مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي



الجزء الأول – القاهرة في غرة المحرم ١٣٧٧ – ٢٨ يوليو ١٩٥٧ – المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

من عام – إلى عام

نودّع عاما كنا منه في امتحان عظيم برهنّا به على صمودنا للبغى الفاجر ، لنستقبل عاما يجب علينا أن نحسن فيه استعمال نعم الله ، فيما يرضى الله ، لنكون من أولياء الله .

كنا قبل العام الماضي نعبر ، لننتقل – في عهد التحرير – من سن الطفولة إلى سن الشباب . فاجتزنا عاما لم يكن كسائر الأعوام ، وإنما كان – بأحداثه – عصرا كاملا : فنحن ، بين العام الذي نودعه والعام الذي نستقبله ، كالطفل نخرج من طفولته الطاهرة البريئة ، ليستقبل جهود عصر كامل ، وجهاد عصر كامل ، وتقدم عصر كامل ، وإنتاج عصر كامل ، وتجاريب عصر كامل ، وانتصارات عصر كامل .

إنها نقلة مباركة من طفولة طاهرة بريئة كانت بنت أربعة أعوام ، إلى رجولة نامية استحكمت قواها بمصارعة البغي والتغلب عليه ، وشحذت عزائمها لإقامة الحق والاستكانة له ، وأوسعت خطاها لعلىّ القافز نحو الهدف القوىّ الأقصى ، وسنبلغه بحول الله وقوته .

نحن في نعم من الله نعدها ولا نحصيها . إنها نعم ، كنا نتمناها في أحلامنا ، فمنّ الله علينا بأن نراها في يقظتنا . وأبلغ الشكر لله على نعمته حسن استعمالها فيما يرضى الله ، ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم .

من الاسلام ... الى الايمان

حقائق تاريخية ، لمناسبة الصراع مع الاستعمار فى الجزائر

كان آخر عهد الناس بالاستعمار الغربى للشرق الإسلامى فى الخمسين سنة الأخيرة التى كنا شهود أحداثها ، أنه كان ـ كما لا يزال ـ حريصا على مطاردة الإسلام من بلد إلى بلد ، ومن طبقة من المسلمين إلى طبقة أخرى منهم ، وقد رسم لذلك خططا لا يراها أقل شأنا من خططه السياسية والعسكرية ، وقلما عقد معاهدة مع جهة إسلامية إلا كان للناحية التبشيرية عناية كبرى منه فى صلب تلك المعاهدة أو فى ملاحقها .

لقد رأينا الاستعمار منذ عشرات طويلة من السنين يحشد الجحافل من صنائعه الذين يسمون أنفسهم « مبشرين » على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ، فكانوا فى كثرة عددهم ، وفى تنظيم نشاطهم ، وفى استعدادهم المالى والثقافى ، وفيما يستندون إليه من تأييد إدارى ، وما يعتمدون عليه من حماية سياسية ، كأنهم ـ وهم فى أوطان المسلمين أو مستعمرات الغربيين ـ حكومات أخرى من وراء الحكومات ، مستكملة للوسائل والأدوات ، مؤتلفة فى صنوف المهمات وأنواع المسئوليات ، يقدمون عن نتائج نشاطهم السنوى التقارير المسهبة بحساب دقيق هدفه الأول والأخير أن ينسلخ المسلمون عن الإسلام ولو إلى الإلحاد ، فإن تعذر عليهم استمالة الذين شبوا من المسلمين عن الطوق فلا أقل من الاستيلاء على قلوب أبنائهم ، والتحكم فى تكييف نفوس الأطفال وتوجيه عقولهم وثقافتهم ، بما رسم لهما من مناهج وأساليب تتنوع وتتجدد بما تقتضيه ظروف الأزمنة والبقاع .

فالإنجليز فى السودان ـ مثلا ـ عزلوا منطقة الجنوب عن أمها السودان الشمالية ، ووضعوا مهمة التربية والتعليم للجنوبيين فى أيدى دعاة التنصير من الإنجليز والأمريكيين وغيرهم ، إنجيليين وكاثوليكيين ، ومنعوا حتى التجار المسلمين من أن يقيموا شعائر الصلاة فى العراء على مشهد من الناس ، لئلا يدخل الإسلام فى قلوب الذين ما زالوا على الفطرة

من سكان الجنوب فيتقبلوا مسلمين . ولا يزال قراء هذه المجلة على ذكر مما نشرناه في جزء رجب سنة ١٣٧٣ (ص ٨٣٣) من مشاهدات السيد محمد جمال الدين محفوظ في رحلة قام بها في الملاكال وجوبا وتوريت وكاتزى إلى حدود بلاد أوغندا .

وكنا نشرنا قبل ذلك في جزء جمادى الأولى من تلك السنة (ص٦٣٧) شكوى جريدة (التيمس) اللندنية وعويلها من أن الإسلام يتقدم بخطى سريعة في غرب إفريقية حتى أن بعثات التنصير والأوربيين على السواء ليبدون (قلقا) شديدا عما قد يترتب على انتشار الإسلام في المنطقة كلها . قالت (التيمس) : « وكان الاعتقاد قديما أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء ، وقد يتقدم إلى الحضر ، وما كان أحد يصدق أنه يستطيع أن يخترق المناطق الاستوائية وأن يصل إلى الجنوب كما حدث في (سيراليون) و(ساحل العاج) و(ساحل الذهب) و(الداهومى) . ويخشى رجال الإدارة على الأخص من أن انتشار الإسلام في هذه البقاع يتبعه اتصالات بالقاهرة وبالعالم العربي » ... وقالت (التيمس) كذلك « ويختلف الغربيون في اتجاههم الفكرى نحو مستقبل الإسلام في إفريقية : فن قائل إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية ما دام يسير في (الخطوط التي رسمها له الاستعمار) ، بينما يرى آخرون ضرورة (الحد من تقدم الإسلام) من طريق نشر البدع والخرافات (أى نشر البدع المخالفة لأصل الإسلام ، لإفساده ، وإزالة حقيقة الإسلام منه ، مع بقاء اسم الإسلام عنوانا له) حتى يكون هـذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد) .

هذا ما قالته (التيمس) ، وهى على علم تفصيلى بمحافل دعاة التنصير المنتشرين مع الاستعمار في القاصى والدانى من بلاد المسلمين في إفريقية وآسيا ، وما يبثونه به من عقائدهم وما يفرضونه عليهم من تعليم استعمارى إن لم ينجح في تحويلهم من المسجد إلى الكنيسة ، فلا أقل من أن يبعدهم عن المسجد إلى ناحية الكفر بالله ، والجحود بيوم الدين ، والإلحاد بالأديان كلها .

وأنظم من الكيد الاستعمارى الذى يلقاه الإسلام من الإنجليز وأعوانهم الأمريكيين وغيرهم في غرب إفريقية ووسطها وشرقها ، الكيد الاستعمارى الذى لقيه من الفرنسيين في شمال إفريقية ، وعزلهم مناطق البربر عن مناطق العرب ، وتكالب المبشرين من الآباء البيض على أبناء المسلمين البربر لئلا يبقى لهم من الإسلام إلا عنوانه الذى يوشك أن يزول هو كذلك إن لم يتداركهم الله بلطفه ورحمته .

وكان الكاردينال لافيجرى قد أسس لهم بمعونة المرشال ليوتى وأسلافه جيوشا من دعاة التنصير رجالا ونساء فى جميع أنحاء شمال إفريقية ، فأقيم لهذا الكردينال تمثال جسيم فى العاصمة التونسية ما زال قائما فى مكانه إلى اليوم جزاء جهوده المتواصلة لهدم الكيان الإسلامى فى ظل الاستعمار الفرنسى . وهـذا الكردينال هو نفسه الذى وقف يوم أول يوليه سنة ١٨٨٨ فى كنيسة سان سوليبس بباريس يشنع على الإسلام ويتهمه بالرقيق ، وتشريعاته الواسعة النطاق لتضييق دائرة الرق فى المجتمع الإنسانى ، والنهوض بمستوى الأرقاء . فخطب خطبة زعم فيها أن الإسلام هو المسئول عن الرق ، واتفق أن كان من شهود هذه الخطبة أحمد شفيق باشا فى أيام شبابه ، فرد عليه بكتاب (الرق فى الإسلام) الذى ألفه بالفرنسية ، وترجمه بالعربية أحمد زكى باشا .

وقد استمر الكيد من الفرنسيين للإسلام فى كل مكان ، ولاسيما فى إفريقية ، إلى أن استصدروا فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ (أى عند مرور قرن على احتلالهم الجزائر) الظهير البربرى الذى عزلوا به مسلمى البربر عن التشريع الإسلامى فى الأحوال الشخصية ، وعن التثقيف الإسلامى والمدارس القرآنية ، ووضع لهم مسيو سوردون Sonlon تشريعا تحدث هو عنه فقال : « إن الأسلحة الفرنسية هى التى فتحت البلاد البربرية ، فلأصحاب هذه الأسلحة الحق فى اختيار التشريع الذى يجب تطبيقه فى البلاد ، ويجب على حكومة المخزن (أى حكومة سلطان المغرب) أن تكون مستعدة لإعطائنا الحرية التامة فى تنظيم البلاد البربرية كما يطيب لنا ، وبالطريقة التى ترضينا . وإذا كانت العادات العرفية البربرية (أى التى كانت للبربر فى زواجهم ومواريثهم قبل إسلامهم) لا مناص لها من الاضمحلال أمام شرع مدون ، فلماذا لا تضمحل أمام شرعنا نحن الفرنسيين ، ألا يمكن أن يتخذ البربر فى يوم من الأيام نفس الشرائع الفرنسية ؟ ولما صدر الظهير البربرى فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ علقت عليه جريدة (الطان) فى عددها الصادر يوم ٢٧ من ذلك الشهر فقالت : « الآن تخلصت قبائل البربر من سلطة الشريعة الإسلامية ، ولقد اتخذت جميع الاحتياطات لحماية المحاكم العرفية الجديدة من تأثيرات السلطة الإدارية الوطنية » .

إن الاستعمار ما كان ليجرؤ على القيام بهذه الغارة القاهرة على العالم الإسلامى إلا لأن عصور الانحطاط الأخيرة جعلت جماهير المسلمين كبعض الأعراب فى بداية إسلامهم ، وقد تحدث القرآن عن بنى أسد بن خزيمة يوم حسبوا أن مجرد الاتجاه منهم إلى الإسلام

يرفع منزلتهم إلى مقامات الإيمان ، فقال الله لهم فيما أنزله على رسوله من سورة الحجرات ١٥ : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » . روى الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمنون فى الدنيا على ثلاثة أجزاء :

(١) الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .

و (٢) الذى يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

و (٣) الذى إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل » .

ثم إن الاستعمار ما كان ليجرؤ على القيام بغارته الفاجرة على الإسلام إلا لأنه وجد المسلمين مكتفين من الإسلام باسمه وعنوانه ، متهاونين بتفاصيل شعب الإيمان وتربية أنفسهم عليها ، متخاذلين عن الاستعداد للقيام بأعباء السيادة والسعادة فى أوطانهم ، فكانوا يقولون كما قالت الأعراب من بنى أسد بن خزيمة وهم حديثو عهد بالإسلام : « آمنا » . فقال الله لهم فى سورة الحجرات ١٤ : « لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا » . فالإسلام فى الجمهرة الغالبة من المسلمين عند مادهمهم الاستعمار كان « جنسية » مقتصرة على شهادة الميلاد أو مايقوم مقامها ، ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم . ولو أن شعب الإيمان كلها - مما بثه حامل آخر رسالات الله فى قلوب أصحابه بتوجيهاته المتلاحقة مدة ثلاث وعشرين سنة - كانت متأصلة فى نفوس المسلمين عند مافوجئوا بالاستعمار الأجنبى ، لاصطدم منهم بقلعة حصينة يتحطم بغيه على جدرانها ، ويتخاذل كيده أمام عزائمها ، ولكافحه المسلمون متعاونين متناصرين دفاعاً عن كيانهم خطوة بعد خطوة ، وسنة بعد سنة ، إلى أن ييأس منهم ، وينقلب إلى بلاده بالخزى والفشل الذريع وحسرة الأبد .

الإيمان الإسلامى قوة لا تعدلها قوة ، ولقد تمكن الاستعمار من الاستيلاء على بعض بلاد المسلمين بضعفهم لا بقوة الاستعمار ، وإنما كانوا ضعفاء لأنهم كانوا مكتفين من الإسلام باسمه ، ولم يكونوا مؤمنين بمجموع ما يطالبهم بالإيمان به . . .

قبل أن يحتل الاستعمار الفرنسى بلاد الجزائر بخمسين إلى سبعين أو ثمانين سنة ، كان قد نجم فيها شاب مغرور ، ضعيف العقل ، سقيم المعرفة بالإسلام ، تصوف بغير علم ، وتلقف كلمات من بنيات الطريق ، فاخترع لمن حوله طريقة بناها على أنه يلقى

النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، ويتلقى منه ما يخالف شريعته ، فزاده هذا التصور غرورا إلى غروره ، فصار يقول لأتباعه : « قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله من أول إنشاء العالم إلى النفخ فى الصور » ، ويقول لهم : « إن غير النبي قد يكون عنده علم أزيد من النبي » ، ويقول لهم : « كل الشيوخ أخذوا عنى من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور » ويقول لهم : « إن مقامنا عند الله فى الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه ، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور ليس فيهم من يصل إلى مقامنا ... ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم تحقيقا » . واخترع لهم صيغة من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سماها « صلاة الفاتح لما أغلق » وقال عنها : « إن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل من كل تسبيح وقع فى الكون ، ومن كل ذكر ، ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ، ستة آلاف مرة » ، وقال لهم عنها : « من لم يعتقد أن صلاة الفاتح من كلام الله لم يصب الثواب فيها » ، وقال لهم عنها : « نهانى صلى الله عليه وسلم عن التوجه بالأسماء (أى بأسماء الله الحسنى) وأمرنى بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق » .

إن ضعفاء العقول فى الدنيا والمغرورين والمعتوهين كثيرون ، ويقولون ما يسنح فى خواطرهم . وكان ينبغى لقائل هذا الكلام فى الجزائر قبل أن تصاب بمصيبة الاستعمار الفرنسى أن يوضع فى مستشفى المجاذيب ، أو فى الأقل أن ينبذ ويدعى له بالشفاء ، ولكن الانحطاط يومئذ فى الوعى الإسلامى بين الجماهير قد جعل لهذا المعتوه شأنا ، فصار له فى الجزائر أتباع يعدون بالألوف ، ثم كان له مثل ذلك فى المغرب الأقصى وغيرها من أصقاع إفريقية ، ومات بمدينة فاس سنة ١١٩٦ (١٨٨٢ م) عن ٤٦ عاما فقط وهو من أهل الزعامة ، وكلامه هذا تتلقاه الألوف من العامة والمنتسبين إلى العلم بالقبول ، وله إلى هذا اليوم أتباع يعدون بالملايين ، ومنهم دجالون فى مصر والشام وحتى فى ألبانيا التى تعد من أوربا ، وقد استطاع الفرنسيون من قبل أن تدنس أقدامهم أرض الجزائر أن يصطنعوا خلفاء هذا المعتوه من مشايخ السجادة التى أسسها لطريقته فى حين ماضى . وشيوخ هذه السجادة يفتخرون اليوم بأنهم حاربوا الأمير عبد القادر الجزائرى مع الفرنسيين وأنهم كانوا عيون الاستعمار وسماسرته وأعوانه منذ الاحتلال الأول إلى اليوم .

وفى سنة ١٨٧٠ بينما كانت أحذية جنود بسمارك ومولتكه تسحق كبرياء الفرنسيين فى باريس وتطأ رقاب عظمائهم ، كان خلفاء الزاوية التجانية فى الجزائر يعلنون عبوديتهم

للفرنسيين المخذولين ، ويقوم كبيرهم سيدى أحمد التجانى الحفيد بتقديم الشكر - باسم الجزائريين - إلى بقية السيوف من جنود التيرايور الذين صفوا من معركة « وريش هوفن » وواقعة « ويسانبور » ، فكافأه الكردينال لافيجرى بأن قام بطيلسانه وصلبانه تولى عقد زواج سيدى أحمد شيخ السجادة على مدام أوريلى بيكار التى بقيت على كاثوليكيتها ، وألفت كتابا عنوانه « أميرة الرمال » تعنى نفسها ، وقد ملأته بالمثالب على مسلمى الجزائر والزاوية التجانية ، وذكرت فيه أن سيدى أحمد هذا إنما تزوجها على يد الكردينال لافيجرى بحسب الطقوس الدينية المسيحية . ولما توفى عنها سيدى أحمد هذا خلفه عليها وعلى السجادة التجانية أخوه سيدى على ، فصاروا يسمونها « زوجة السيدين » ، وقد قضت بين التجانيين بضعا وستين سنة لم تستعمل معهم فيها شيئا من النفاق ولا الرياء ، بل قضت تلك العشرات من السنين كاثوليكية فرنسية لم تغير من كاثوليكيتها وفرنسيتها شيئا . و « الأحباب » التجانيون يتبركون بهذه الدميسة الشيطانية ويتمسحون بآثارها شابة وعجوزا ، ويتيممون لصلواتهم بالتراب الذى تمشى عليه . وقد قضت « أم التجانى » الفرنسية شيخوختها فى مزرعة كبرى امتلكتها فى ضواحى مدينة « بلعباس » من أعمال وهران كانت تعيش فيها عيشة المترفين ، وهى تهزأ بهؤلاء الأنعام الذين تنعم بخيراتهم ، وتعبث بدياناتهم ووطنيتهم ، ولم تقطع علاقتها بالزاوية التجانية ، بل ظلت تسيطر عليها وتقبض على أزمتها ، وقد أنعمت عليها الجمهورية الفرنسية بوسام جوقة الشرف ، وقالت عنها فى براءة التوجيه : « إن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى ، وساقت إلينا جنودا مجندة من « أحباب » هذه الطريقة ومريديها يجاهدون فى سبيل فرنسا صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

وفى ربيع سنة ١٩٣١ (أواخر ذى الحجة ١٣٤٩) قامت بعثة عسكرية فرنسية برئاسة ليوتنان كولونيل سيكونى برحلة فى منطقة الأغواط بالجزائر ، فدعاها شيخ السجادة التجانية فى ذلك الحين - وهو الشيخ سيدى محمد الكبير - لزيارة عين ماضى المركز الرئيسى لطريقتهم . قالت جريدة لابرس ليبر La presse libre الجزائرية فى عددها الصادر يوم السبت ١٦ مايو ١٩٣١ : « وبعد ما تفرج رجال البعثة على مدينة عين ماضى وعلى الزاوية التجانية ، ذهبوا إلى القصر العظيم الذى شيد بإيعاز من السيدة الفرنسية مدام أوريلى التجانى ، وفى ردهات هذا القصر الرائعة الجميلة أقيمت مأدبة فخمة فاخرة لهؤلاء الضباط ولنواب الحكومة العسكرية المحلية بالأغواط ، وفى أثناء شرب الشاى قام حسينا حسنى

سي أحمد بن طالب خطبا باسم المرابط سيدى محمد الكبير صاحب السجادة التجانية الكبرى خطبة عميقة مستوعبة للخدمات الجليلة الصالحة التى قامت بها الطائفة التجانية لفرنسا ، وفى سبيل توطيد الاستعمار الفرنسى ، وتسهيل مهمة الاحتلال على الفرنسيين، وفى إشارات الصقل التى كانت تسديها هذه الطريقة الصوفية لمريديها من « الأحباب » .

ولعل أهم فقرة وردت فى الخطبـــة قول شيخ السجادة التجانية : « حتى الأراذل والأوباش أعداء فرنسا الذين يشكرون الجميل، ولا يعترفون لفاضل بفضل ، قد اعترفوا لفرنسا بالمدنيـة والاصطهار ، وبأنهـا حلت عنا ما كان يثقل كواهلنا من أعباء الملك والسيادة » .

وإلى القراء فقرات من خطبة المرابط سيدى محمد الكبير التجانى يومئذ :

« . . إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ، ماديا وأدبيا وسياسيا . ولهذا فانى أقول ـ لا على سبيل المن والافتخار ، ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب ـ : إن أجدادى قد أحسنوا صنعا فى انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا ، وقبل أن تحتل جيوشها الكريمة ديارنا .

« ففى سنة ١٨٣٨ كان جدى سيدى محمد الصغير (رئيس التجانية يومئذ) قد أظهر شجاعة نادرة فى مقاومة أكبر عدو لفرنسا الأمير عبد القادر الجزائرى . ومع أن هذا العدو قد حاصر بلدتنا (عين ماضى) وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر ، فان هذا الحصار انتهى بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين ، وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين ، وذلك أن جدى أبى وامتنع أن يرى وجها لأكبر عدو لفرنسا ، فلم يقابل الأمير عبد القادر !

« وفى سنة ١٨٦٤ كان عمى سيدى أحمد (صاحب السجادة التجانية يومئذ) مهد السبيل لجنود الدوك دومال، وسهل عليهم السير إلى مدينة بسكرة ، وعاونهم على احتلالها .

« وفى سنة ١٨٧٠ حل سيدى أحمد هذا تشكرات الجزائريين للبقية الباقية من جنود الترايور الذين سلموا من واقعة « ريش ـ هوفن » وواقعة « و يسانبور » . ولكى يظهر لفرنسا ولاءه الراسخ وإخلاصه المتين برهن على ارتباطه بفرنسا ارتباطا قلبيا ، فتزوج

بالآنسة أوريلي بيكار ، وبفضل هذه السيدة ـ الذي نعترف به مقرونا بالشكر ـ تطورت منطقة كوردان من أرض صحراوية إلى قصر منيف رائع ، ونظرا لمجهودات مدام أوريلي التجاني المادية والسياسية فإن فرنسا الكريمة قد أنعمت عليها بوسام الاحترام من رتبة جوقة الشرف .

« وفي سنة ١٨٨١ كان أحد مقادمنا سي عبد القادر بن حميدة مات شهيدا (كذا) مع الكولونيل فلاتير ، حيث كان يعاونه على احتلال بعض النواحي الصحراوية .

« وفي سنة ١٨٩٤ طلب منا مسيو جول كومبون والي الجزائر العام يومئذ أن نكتب رسائل توصية ، فكتبنا عدة رسائل ، وأصدرنا عدة أوامر ، إلى أحباب طريقتنا في بلاد الهكار (التوارق) والسودان (أي السودان الفرنسي) نخبرهم بأن حملة فودولامي الفرنسية عابرة على بلادهم ، ونأمرهم بأن لا يقابلوها إلا بالسمع والطاعة ، وأن يعاونوها على احتلال تلك البلاد ، وعلى نشر العافية فيها ! ! . .

« وفي ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧ أرسل مسيو جونار والي الجزائر العام يومئذ ضابطه الترجمان مسيو صرانت مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة برسالة إلى والدي المأسوف عليه سيدي البشير ، فأقام عنده في زاوية كوردان شهرا كاملا لأداء مهمة سياسية ، وتحرير رسائل وأوامر أمضاها سيدي البشير والدي ، ثم أرسلت هذه الرسائل إلى كبراء مراكش وأعيانها وزعماء تلك البلاد ـ وأكثرهم تجانيون من أحباب طريقتنا ـ تبشرهم بالاستعمار الفرنسي ، وتأمرهم بأن يتقبلوه بالسمع والطاعة وبالاستسلام والخضوع التام ، وأن يحملوا الأمة على ذلك ، وأن يسهلوا على جيوش فرنسا احتلال تلك البلاد .

« وفي سنة ١٩١٣ إجابة لطلب الوالي العام لجزائر أرسلنا بريدا إلى المقدم الكبير للطريقة التجانية في السنغال سيدي الحاج مالك بن عثمان ساي نأمره بأن يستعمل نفوذه الديني الأكبر هناك في السودان (أي السودان الفرنسي) لتسهيل مأمورية كلوزيل الوالي العام لجزء الشمالي من إفريقية الغربية (أي ليسهل عليه احتلال واحة شنقيط) .

« وفي الحرب العالمية الأولى أرسلنا ووزعنا في جميع أقطار شمال إفريقية منشورات برقية وبريدية استنكارا لتدخل الأتراك في الحرب ضد فرنسا الكريمة وضد حلفائها الكرام ، وأمرنا أحباب طريقتنا بأن يبقوا على عهد فرنسا وعلى ذمتها ومودتها .

« وفي سنة ١٩١٦ – إجابة لطلب المارشال ليوتي عميد فرنسا في مراكش – كان سيدي علي صاحب السجادة قبلي ، كتب ١١٣ رسالة توصية وأرسلها إلى الزعماء الكبار وأعيان المغاربة يأمرهم بإعانة فرنسا في تحصيل مرغوبها وتوسيع نفوذها ، وذلك بواسطة نفوذهم الديني .

« وفي سنة ١٩٢٥ (في أثناء حرب الريف) أرسلت أنا حبيبنا المخلص ومريد طريقتنا ومستشارنا المعتبر حسني سي أحمد (الذي تلا هذه الخطابة على مسامع الضباط الفرنسيين بلسان سيده وعلى مسمع منه) إلى المغرب الأقصى فقام بدعاية كبرى و(بروبا) غندة واسعة في حدود منطقة الثوار ، وتمكن من أخذ عناوين الرؤساء والكبراء والأعيان الريفيين والمقادم وأرباب النفوذ على القبائل الثائرة ، وكتبنا إليهم رسائل نأمرهم فيها بالخضوع والاستسلام لفرنسا ، وقد أرسلنا هذه الرسائل إلى مقدمنا الأكبر في فاس فبلغها إلى المبعوثة إليهم يداً بيد . . .

« وبالجملة فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التجانية نفوذها الديني إلا وأسرعنا بكل فرح ونشاط بتلبية طلبها وتحقيق رغائبها ، وذلك كله لأجل عظمة ورفاهية ومجد حبيبتنا فرنسا النبيلة » .

ثم ختم شيخ السجادة التجانية خطبته بالثناء العاطر على الموظفين الفرنسيين ، وعلى الضباط العسكريين واحداً واحداً ، ومدح الوالي يومئذ ووصفه بأنه « المستعمر الأكبر » .

ولما انتهت اعترافات الشيخ التجاني وتبجحه بخياناته وخيانات أسلافه نهض ليوتنان كولونيل سيكوني رئيس البعثة العسكرية وشكر الشيخ وأثنى عليه ثم قال : « من كمال مروءتك وإحسانك يا سيدي الشيخ المرابط أنك لم تذكر ولا نعمة واحدة من النعم التي عرفتنا بها ، فأنت الذي أنجيتني من التوارق الملثمين وأنقذتني من أيديهم » .

إن القليل من هذه المخازي الكثيرة كان يكفي لانفضاض مريدي هذه الطريقة الصوفية عن طواغيتها الكبار الذين رضوا لأنفسهم بالعبودية لفرنسا من دون الله ، لو كان هنالك وعي إسلامي سليم مؤسس على الإيمان الإسلامي القويم في مدارس المسلمين ومعاهدهم ومرافقهم وصحفهم وأنديتهم ومنابر مساجدهم وفي سائر مظاهر حياتهم . ومن العجيب أن نرى المستعمرين أيقاظاً للتمييز بين أعدائهم وأصدقائهم ، وأن يعرفوا كيف يسلطون المسلمين بعضهم على بعض ، بينما المسلمون لا يميزون بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

ومن الإنصاف للاسم والتضحية ، أن نذكر بالرحمة والثناء والتمجيد رجلا عظيما انتسب إليها ، ولكن الله طهره من رجسها ، وهذا الرجل هو الحاج عمر السنغالى ، ابن شيخ صالح من علماء السنغال ولد له فى قرية الفدر من مقاطعة دكار سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧م) وتربى فى حجر والده على الصلاح والاستقامة والولاء للإسلام ، ثم قام فى شبابه بأداء فريضة الحج ، وعرج على مصر فى طريق عودته فالتحق بالجامع الأزهر ، وكان ذلك فى مدة مشيخة الشيخ محمد العروسى التى امتدت من سنة ١٢٣٣ إلى وفاته سنة ١٢٤٥ ، فخلفه الشيخ أحمد الدمهوجى سنة ١٢٤٦ فالشيخ حسن العطار الذى بقى شيخا للأزهر إلى سنة ١٢٥٠ ، وفى تلك الفترة من حياة الأزهر كان الحاج عمر السنغالى يتضلع فيه من علوم الشريعة الإسلامية وآدابها وصحيح الإسلام ، حتى إذا اكتفى من ذلك عاد إلى بلاده ، وظهر فى بوربو سنة ١٢٤٩ أى بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر بثلاث سنوات ، وقد رسم لنفسه فى الجبلة خطة حكيمة أن يدعو الوثنيين من قومه إلى الإسلام ليذوقوا ما ذاق هو وقومه من حلاوة هذا الدين ، ويروا ما رأى هو ومواطنوه من جمال الإسلام . وآلى على نفسه أن لا يتعرض للاستعمار بين الأشرار إلا إذا اعترضوا دعوته ، فيدفعهم بما يدفع به شرهم عن هذه الدعوة . وكان يرى فيما تعلمه فى الأزهر أن أجمل ألوان الإسلام وأحلاها ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ، فكانت دعوته سلفية سليمة من الشوائب . وكان أول ميادين دعوته بلاد الفاوسة ، ثم التحق به أخوه أحمدو متنقلا إلى بلاد دوما والبعيرة ، وفى بلد كنكان من السودان الفرنسى انضم إليه رجل من أهلها اسمه محمد فتلقى من الحاج عمر طرق الدعوة ، وأدخل فى الإسلام فرقة الوامو بكنكه . ولما اتسع نطاق الدعوة ظهر لها مقاومون من الوثنيين ، فحشد لهم الحاج عمر جيشا صغيرا من المؤمنين بدعوته تولى به حمايتها . وبنى عليه الفرنسيون فى بلاد ديون من السكوتو الفرنسى لأثار مصاحبه عليهم ووطد فى تلك المنطقة دعائم دعوته . وفى سنة ١٢٦٣ عاد إلى بوندو وتاجوب ، وبنى قلعة حصينة فى شمال البحر من السودان الفرنسى وهزم مقاوميه من وثنيى بارباره فى توت هزيمة ساحقة . وفى سنة ١٢٧٠ انتقل إلى نيورو فى شمال السنغال الأعلى واتخذها مقرا له ، ثم استولى على مملكة سيجو ، وعلى بلاد ماسينه . وما زالت دعوته فى انتشار ومملكته فى اتساع إلى أن توفى سنة ١٢٨٤ عن ٧٠ سنة من عمره المبارك وهو فى جهاده مع وثنيى ماسينه ، فخلفه على قيادة هذه الحركة الدينية اثنان من أتباعه أحدهما ابن أخيه ، فواصلا الدعوة سنين أخرى ، ولو استقر لها

التوفيق لتحولت الوثنية الإفريقية كلها إلى الإسلام ، لكن احتلال الفرنسيين تمبوكتو في ١٠ يناير سنة ١٨٩٤ (٣ رجب سنة ١٣١١) حول مجرى التاريخ الإسلامي في إفريقية ، كما تحول قبل ذلك في أوربا يوم ٨ شعبان سنة ١١٤ بسبب شارل مارتل على جيوش عبد الرحمن الغافقي في [illegible] (انظر مجلة الأزهر ٢٥ : ٤٥٤ و ٣٦ : ١٠٠ و ٢٢٠) .

أنا أعتقد أن المسلمين على خير إذا تولى قيادتهم وتوجيههم مؤمنون صادقون من أهل الخير ، وأن الرجل الواحد الصالح - كالحاج عمر السنغالي الأزهري - يستطيع أن يجيء بالإسلام بلادا غارقة في ظلمات الوثنية فينتشلها من أعماق الجحيم إلى جنات النعيم ، وإن التهاون في أمر دجال واحد أو معتوه تافه مثل أحمد عبد القهار قد يؤدي إلى كارثة كبرى كالكارثة التي وقعت بها الجزائر أيام جهادها بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري ، فكان مضطرا - وهو يحارب جيوش الاستعمار الأجنبي بضعة عشر عاما - أن يحمي ظهره من خناجر الذين يحاربون الله والإسلام من أصحاب السجادة التيجانية في عين ماضي ، ومن العجيب أنهم ما زالوا مصرين على خياناتهم من أيام الاحتلال الأول في الجزائر إلى زمن الاحتلال الأخير في المغرب الأقصى ، ثم إلى جهاد الريف بقيادة الأمير عبد الكريم ، وفي كل ملحمة وقعت بين الإسلام وأعدائه . وهؤلاء الخونة يستمدون حياتهم ووجودهم من انخداع الملايين من أتباعهم ، فهم يعتبرون ما عليه شيوخهم الخونة هو الإسلام ، بل هو منزلة أعلى من منزلة الإسلام ، ولو أن الوعي الإسلامي في الرأي العام الإسلامي كان عليا كما كان يريده النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين لانفضح الباطل تحت أضواء الحق ، ولخرس صوت الباطل إذا جلجل الحق بصوته الرهيب ، ولكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان وحزبه هي السفلى .

إن اسم « الإسلام » الذي يحمي رايته الآن ويعتز به خمسمائة مليون مسلم في آسيا وإفريقية وغيرهما ، كان يمكن أن تتغير به معالم الإنسانية كلها من الشقاء إلى السعادة لو أن الذين يحملون أمانة هؤلاء المسلمين من علماء وأساتذة مدارس وجامعات ومؤلفين وصحفيين عرفوا قدر الأمانة التي يحملونها ، وكل واحد منهم اعتبر نفسه مسئولا تجاه كل شخص يتصل به في معاهد التعليم أو بين جدران المساجد أو في صفحات الكتب والصحف ، فيحوله من مسلم تائه إلى مؤمن محمدي يرى له رسالة سامية في الحياة ، كما تحول أمثال الأعراب من بني أسد بن خزيمة عن أمراضهم الثلاثة إلى أمثال أهل بدر والمجاهدين مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المواقف التي انتشر بها الإسلام ، ثم تكون بها هذا العالم الإسلامي .

ونريد من أهل القدوة الفكرية في الإسلام أن ينهضوا بالمسلمين من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان ، ومن الإسلام شهادة الميلاد إلى الإيمان الذي يدفع بصاحبه إلى كتائب الجهاد الأدبي والعسكري لإعلاء كلمة الحق والخير .

الإيمان الإسلامي بضع وسبعون شعبة ، وكل فضيلة طلب الإسلام من المسلم أن يتحلى بها ، وأن يدعو الناس إليها ، هي شعبة من شعب الإيمان : فالصدق شعبة من شعب الإيمان الإسلامي ، والذي يعيش كاذبا يعيش ما عاش كذلك كافرا بهذه الشعبة من شعب الإيمان . وإقامة الحق شعبة من شعب الإيمان الإسلامي ، والذي يعيش مماريا في الحق ، ومصانعا الناس فيه ، ومجاملا لأهل الباطل في باطلهم ، يعيش ما عاش كذلك كافرا بهذه الشعبة من شعب الإيمان . والحياء شعبة من شعب الإيمان الإسلامي ، وكان ينبغي أن لا يكون في المسلمين إنسان واحد محروم من هذه الخلقة الإسلامية الجميلة . وإن التعاون على الحق والخير شعبة من أعظم شعب الإيمان الإسلامي ، ولو أن المسلمين شاع بينهم خلق التعاون على كل حق وكل خير لتغير بهم مجرى التاريخ .

ومهمة قادة الفكر في الإسلام هي التبشير بهذه الشعب من شعب الإيمان الإسلامي ، وأن يحرصوا على بثها في نفوس المسلمين بالحكمة والأساليب الجميلة ، وأن يبدأوا بأنفسهم فيتحلوا بها ، فيرى الناس فيهم ذلك فيكونوا قدوة فيها لأسرتهم في بيوتهم ، ولإخوانهم في مجتمعاتهم ، ولمن يتصل العمل بهم من صغير وكبير .

لا نعرف الإسلامية معنى من معاني الحق ، ولا لونا من ألوان الخير ، إلا وهو جزء من إيماننا نحن المسلمين ، لأن ديننا أمرنا بهذه الأمور الجليلة جملة أو تفصيلا ، وكل شيء أمرنا به ديننا أصبح شعبة من شعب إيماننا ، والعمل به ركن من أركان هذا الإيمان ، فلو ربينا أنفسنا وأبناءنا وجماعتنا على ذلك لكنا خير الناس ، ولما كان في أمم الأرض أمة موموقة مغبوطة ترقى في معارج القوة العسكرية والعمرانية والخلقية والصناعية كهذه الأمة الإسلامية .

إمهال المسلمين حتى يبقوا محرومين هذه القوة جريمة سنسأل عنها غدا بين يدي الله ، وقبل أن نسأل عنها بين يدي الله سنتحمل جزاءها في مجتمعنا ومستوانا من الكرامة بين الأمم . والنهوض بالمسلمين إلى منازل الإيمان الإسلامي في أيدي قادة الفكر لو عقدوا عزائمهم عليه ، وكل واحد منهم على ثغرة من ثغر الإسلام ، فليحرص على تحصين الثغرة التي هو فيها لئلا يؤتى الإسلام من ناحيته . وبهذا نرتقي من مقام « الإسلام » إلى مقام « الإيمان » . . .

محب الدين الخطيب



— ٥١ —

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بين الإيجـــاب والإعفاء

> ا — « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
> ب — لا يضركم من ضـــل إذا اهتديتم
> جـ — إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون »

المعروف كل ما فيه نفع ولا يخالف الدين ، والمنكر كل ما خالف الدين ولو كانت منفعة

ويعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلا أول من أصول التربية في القرآن ، وهو مظهر التكامل الذي ينشده الإسلام في أهله ، ويفرضه رسالة متبادلة بين المسلم والمسلم ، والجماعة والجماعة ، فهو منوط بالذمم كأمانة يؤديها كل إنسان إلى أخيه حينما يجد أخاه بحاجة إلى التوجيه ، ويتلقاها من أخيه حينما يكون هو بحاجة إلى التوجيه .
وقد جعل الله تلك الرسالة المتبادلة شعارا للقومية الإسلامية ، فامتدح في المسلمين أنهم خير أمة أخرجت للناس ، إذ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولم يرض لهم أن يهملوا النصيحة ، كما لم يرض لهم أن يشهدوا المنكر أو يسمعوا به ثم لا ينهوا عنه ، كما كان ذلك نقيصة معهودة في بني إسرائيل ، حتى أفرخت بينهم الرذائل ، وتأصلت في طباعهم المنكرات .

والآية التي معنا تتحدث عن مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية في منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وهي المرحلة التي يكون فيها الأمر والنهي غير مسموعين ، ولا نافذين إلى القلوب ، ويكون موقف الداعي إلى الخير موقف اليائس من النجح ، أو المتعرض

للأذى في تأدية رسالته الدينية إلى قوم أو أفراد غير مستعدين للقبول ممن رانت عليهم الضلالة ، وغلبت عليهم شقوتهم ، حينذاك يكون المتصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد بلغ رسالته ، وأدى أمانته ، وما عليه إلا أن يأخذ بالحيطة لنفسه من نزغات الشيطان ، والركون إلى إخوان السوء ، وأن يدع المتعطلين عن إرشاده إلى ما هم عليه ، ليسلم من أذاهم ، ولا يلقي بنفسه إلى التهلكة دون أن يكون في ذلك صلاح للناس ، ولا نفع يرتجى منهم .

وهذا تخفيف من الله عن كاهل الدعاة إلى جانب الله ، حيث أعفاهم من أمر أصبح شاقا عليهم ، واكتفى منهم بالحيطة لأنفسهم .

وذلك قوله سبحانه : « عليكم أنفسكم » .

وحينئذ تكون التبعة قاصرة على المذنبين ، ولا حرج على غيرهم ممن نصحوهم ووعظوهم فلم يستجيبوا لهم ، وهذا مصداق قول الله تعالى : « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » . يعني بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . كقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، أي لا تحمل نفس وزر نفس أخرى بل « كل امرئ بما كسب رهين » .

أما عند التقصير في إنكار المنكر ، وتوجيه الأمر بالمعروف : فالتبعة متجهة إلى التاركين لواجبهم كما تتجه إلى المذنبين على ارتكابهم ، والجميع مهددون من جانب الله تعالى .

وهذا قوله سبحانه : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

وقد وضح من المقابلة بين هذه الآيات أن الإعفاء من الرسالة المتبادلة وهي أمانة الإرشاد والنصح لا يكون إلا لمن حاول القيام بها ، وأراد تأديتها ثم لم يجد سبيلا إلى غايته ، وتعرض لما يكره .

ولا يعفى من هذا من يتعلل بمعاذير شخصية غير جدية ، لكن يتوانى في ذلك معتمدا على أن في القوم من يغني عنه ، أو يخشى أن يغضب أناسا يحرص على مرضاتهم ، أو يحسب في قيامه بالواجب حيلولة بينه وبين أمل يتعقبه ، أو إبطاء له عن مطامع يرتجيها . فكل هذا فرار من واجب شرع حماية للمجتمع من أضرار العابثين بدينهم ، وبالنظام العام .

وكل هذا تمكين للفساد في محيط يحمي الإسلام ساحته من كل فساد بل من شوائب الفساد .

وفي الجزء الأخير من الآية تسلية للدعاة ، وتلطف بهم حتى لا تهدأ غيرتهم على الدين ، ولا تفتر عزيمتهم عن مواصلة الإرشاد والتماس الخير للناس في كل بيئة لا يسيطر عليها الإجرام ، وفي كل مناسبة توحي بالاستجابة .

وذلك قوله تعالى : « إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون » .

فهنا تأييد لهم بما يقومون به ، ووعد كريم بجزائهم على ما عملوا ويبذلون من جهود ، وفيه وعيد للمتخلفين عن القبول بأن الله سيذكرهم بما عملوا ، ويحاسبهم على كل ما كان .

ومن ثم نجد الكلمات القرآنية في هذه الآية تستثير القلوب والأنفس أن الإعطاء في الحياة ليس أمرا يترك فيه الحبل على الغارب ، ويأخذ فيه كل امرئ بما يحبب له ، ويلائم مزاجه ، بل هي حياة جدية أرادها الله لعباده ، ورسم لهم في شرائعه ، وعهد بها إلى رسله ، والعلماء من بعدهم ، وأعد لهم حسابا عسيرا سيكاشفهم به يوم يلقونه ومنهم أناس صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومنهم آخرون أخلفوا الله ما وعدوه وكانوا يكذبون .

هذا : وقد وجد في الناس قديما من يزعم أن الآية أسقطت عنهم واجب الأمر بالمعروف ، وجعلتهم في حل من ترك مناصحة الناس ، وقصرتهم على رعاية أنفسهم فحسب .

وقد أوضح النبي - صلى الله عليه وسلم - مقصد الآية لمن سأل عنها واشتبه عليه أمرها فقال - عليه السلام - « بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام » .

فتبين لمن سأل أن الإعفاء من واجب الهدى للناس إنما يكون بعد محاولته والوفاء به ، وبعد قيام المانع في سبيله ، وظل الأمر في التكليف بهذا باقيا على ما نطق به الكتاب العزيز في كثير من آياته كقوله سبحانه « وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » وقوله « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة » الآية ، وفي قول الرسول عليه السلام « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وهكذا من الأحاديث وأقوال الصحابة التي حفلت بها الكتب في هذا الشأن الخطير على أن سيرة الرسول عليه السلام في دعوته تذكي عزائم المسلمين في مواصلة الإرشاد ،

والتصحيح ، فقد اشتد القوم في معارضته مرة ، وفي إغرائه بصنوف الآمال ، حتى أقسم لهم ألا يعدل عن تبليغ رسالته ولو وضعوا الشمس والقمر في يديه ، أو قتلوه دون غرضه في صميم الدعوة .

وإذا كان شأن الرسالة يقضي بذلك على نبي اختير للرسالة فقد كان الصحابة كذلك من بعده حرصا على تراثهم الإسلامي أو علما بأن دينهم يطالبهم بتوثيق الإخاء ، وتركيز المحبة ، حتى تركزت فيهم عاطفة الخير ، وآمنوا إيمانا لا وهن فيه بأن المسلم يحب لغيره ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه . فلا يتحقق إسلام صحيح مع الأنانية أو لا يستطيع المجتمع إذا رأى كل امرئ إنما يختار لنفسه من مآثم ، ويعرض بسبب انحرافه للزلات .

ومثل الأمة مثل الأسرة الواحدة تسعد كثيرا إذا استقام أفرادها على الجادة ، وبنوا مجدهم بأعمال محمودة ، وتنهار إذا لم يكونوا مطبوعين بطابع إنساني سليم من الآفات الهادمة لكيانها .

ولا أحسب أحدا يزعم أن رسالة المسلم إلى غيره قاصرة على جانب العمل الديني البحت ، بل هي شاملة لكل ما يتصل بالدنيا في أعمالها الحيوية ، فإن شأن الدنيا جانب هام من الدين ، وصلاحها منوط بفهم معانيه ، ومتابعة إرشاده .. ودنيا الإنسان يجب أن تكون غير دنيا الحيوان ، ومن أجل هذا كانت من حساب الدين في مقام خطير .

ومن أجل هذا أيضا عرف المسلمون الأولون حدودها ، وأعطوها حقها ، وبذلوا في الهدى إلى خيرها ما بذلوا من جهود مشكورة ، حتى كانت لهم السيادة ، ونوه بهم التاريخ .

ولكن من مآسي الحياة في عصرنا هذا أن نجد أرباب المجون ودعاة الفسوق أشجع من دعاة الهدى ، وأن نجد الرذائل مؤيدة من أنصار لها ، والخيرين من الناس لا يسلمون من ألسنة السفهاء وإن كانوا من العلماء والصلحاء ، وهي سنة الله قديما بين العلماء والجهلاء وبين دعاة الرشد وأهل الغواية . « وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم » :

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

مكان النصح فى الإسلام

— ١ —

من حق هذه المجلة على قرائها ـ مكان جرير فى الصحابة ـ جانب من خلقه البصرى ـ رفع الحرج فى الدين ـ الرجال والنساء سواء فى حق النصح ـ حق الكبار على المسلم فى النصح والدعوة .

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .

وعنه رضى الله عنه قال : بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، فلقننى ـ فيما استطعت [1] ـ والنصح لكل مسلم . (رواهما الشيخان)

باسم الله تعالى وعلى بركته ، نفتتح السنة فى عامها الجديد بأحاديث النصح وبيان منزلته فى الدين ، راجين من الله جلت آلاؤه ، أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض بالتناصح والتآزر ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، كما من عليهم من قبل بجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

وإذا كنا فى مقام النصح والتناصح والتعاون على البر والخير ، فإن من حق هذه المجلة ـ وكل مجلة إسلامية ـ على قرائها ، أن ينصحوا بكل ما يرونه أعون لها على تأدية مهمتها ، وبلوغ غايتها ، فى كل باب من أبوابها الحالية أو المرجوة .

• • •

(١) قال النووى : والرواية بفتح التاء ، وقال صاحب الفتح : رويناه بفتح التاء وضمها .

أقول هذا تمهيدا لما اعتزمت فيه بعون الله وتوفيقه من عرض مناهج « السنة » في هذه الحلقة منذ صدورها إلى وقتنا هذا ، رغبة الاسترشاد بآراء الناقدين . وآمل أن يكون هذا العرض في العدد الآتي إن شاء الله « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

• • •

روى الشيخان هذا الحديث بروايات عدة لمناسبات مختلفة ، عن جرير رضي الله عنه .

وجرير أحد الصحابة الأجلاء ذوى التاريخ الحافل بالمناقب العلية والهمم الأبية ، وإن تأخر إسلامه – كما قيل – إلى السنة العاشرة . كان سيد قومه بجيلة ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الإسلام فأسلم ، وما حجبه النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلم ، وما رآه إلا تبسم ، وشكا إليه أنه لا يثبت على الخيل فضرب بيده الكريمة على صدره ، وقال « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » ، وحج مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فاختاره أن يستنصت له الناس كي يعظهم خطبته الجامعة .

وبعثه صلى الله عليه وسلم إلى ذى الخلصة ، بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم ، فهدمه . وخرج مع أنس في سفر فكان يخدم أنسا مع أنه أكبر منه سنا ، ويقول « لما رأيت الأنصار تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء آليت ألا أصحب أحدا منهم إلا خدمته » . وكان رضي الله عنه رجلا طوالا وسيما حتى قال فيه عمر رضي الله عنه « جرير يوسف هذه الأمة » . ووجد عمر يوما رائحة في مجلسه فقال عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام فتوضأ ، فقال جرير علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم ، قال عليكم كلكم عزمت ، ثم قال يا جرير ما زلت سيدا في الجاهلية والإسلام .

ومن دلائل سيادته وعظيم نصحه وورعه ، أنه كان إذا اشترى شيئا أو باع يقول لصاحبه اعلم أن ما أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك ، فاختر . وروى الطبراني أن غلامه اشترى له فرسا بثلاثمائة دينار فلما رآه جاء إلى صاحبه فقال إن فرسك خير من ثلاثمائة . فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة !!

• • •

روى مسلم هذا الحديث بروايتيه هاتين وبينهما رواية ثالثة مختصرة ، في « كتاب الإيمان » عقب الحديث المشهور الذى رواه تميم الدارى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » . وليس لتميم الدارى حديث ما فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس له فى صحيح مسلم غير هذا الحديث « الدين النصيحة » ونرجو أن نشرحه فى الجزء الآتى بمشيئة الله تعالى وتوفيقه .

• • •

وأما البخارى فرواه كذلك فى « كتاب الإيمان » بالرواية الأولى ، فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة . . . » وأتبعها فى الباب نفسه برواية ثانية تبين سببه فقال : عن زياد بن علاقة قال . سمعت جرير بن عبد الله يقول : يوم مات المغيرة ابن شعبة قام فحمد الله وأثنى عليه وقال : عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير ، فإنما يأتيكم الآن ، ثم قال . استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو ، ثم قال : أما بعد فإنى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم قلت : أبايعك على الإسلام ، فشرط على : والنصح لكل مسلم ، فبايعته على هذا ، ورب هذا المسجد إنى لناصح لكم ، ثم استغفر ونزل .

وكان المغيرة بن شعبة واليا على الكوفة فى خلافة معاوية ، ولما حضرته الوفاة استناب عنه ابنه عروة ، وقيل : استناب جريرا ولهذا خطب ، وكانت وفاة شعبة سنة خمسين ، وتوفى جرير سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة أربع وخمسين .

والمسجد الذى يشير إليه جرير فى قسمه بربه إنه لناصح لهم هو مسجد الكوفة إذ كانت خطبته به ، وقيل هو المسجد الحرام ، ويؤيده ما جاء فى رواية الطبرانى « ورب الكعبة » وأيا ما كان الأمر فقد وفى رضى الله عنه بما بايع عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى كل شأن من شئونه عامة وخاصة ، لم يدخر فى ذلك وسعا ولم يأل جهدا .

• • •

ثم رواه البخارى فى باب البيعة على إقامة الصلاة من كتاب « مواقيت الصلاة » وفى باب البيعة على إيتاء الزكاة من « كتاب الزكاة » ورواه فى باب هل يبيع حاضر لباد ؟

من « كتاب البيوع » ولفظه فيه : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم » كما رواه في أوائل « كتاب الشروط » ثم رواه أخيرا بالرواية الثانية التي اخترناها مع الرواية الأولى ، في باب كيف يبايع الإمام الناس من « كتاب الأحكام » .

وإنما ذكرنا مواضعه من صحيح الإمام البخاري تبيينا لجانب من فقه البخاري رحمه الله ودقيق صنعه في تكرير الحديث الواحد في غير موضع من كتابه ، وتحقيقا لرغبة المسترشدين من فقه الحديث وشرحه .

• • •

ولم يذكر الصوم والحج في المبايعة وهما ركنان من أركان الإسلام الخمسة ، اكتفاء بأهم الأركان ومعظمها ، على أنهما داخلان في عموم المبايعة على السمع والطاعة .

وتقييد السمع والطاعة بالاستطاعة ، موافق لقوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

وتلقينه صلى الله عليه وسلم من كمال رأفته ورحمته بأمته ، لئلا يتكلفوا من الأمر ما لا يطيقون فيقعوا في العسر والحرج « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وفي ذلك إشارة إلى رفع المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما أكره عليه المرء .

والمسلمة كالمسلم في وجوب السمع والطاعة والنصح ، لأن النساء شقائق الرجال وأخواتهم في التكليف العام . بل إن للكافر على المسلم حق النصح والإرشاد والدعوة إلى الحق ، ولا سيما إذا رغب في الهداية بلسان الحال أو المقال ، وإنما خص المسلم لأن حقه أوجب ، واستجابته أقرب ، وأخوته أعظم شأنا وألصق جوارا .

• • •

أما بعد ، فهذه مبايعة نبوية على الدين كله عامة ، وعلى النصيحة منه خاصة ، لأنها عماده وملاكه .. وتفصيل هذا في الجزء الآتي إن شاء الله »

طه محمد الساكت

خوارق العادات

التي اقترنت بالهجرة الشريفة النبوية

إذا أهل هلال المحرم من كل عام ذكرنا أعظم انقلاب في تاريخ البشرية ، وأكبر حدث غير وجه الزمان ، وأحسبه للنظام بعد الفوضى والعدل بعد الظلم ، وقضى على نظام الطبقات ، وأعلن في قوة وصرامة أن « الناس سواسية كأسنان المشط » ذلك الحدث هو هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فرارا بدينه ، وحرصا على إظهاره ونشره بين قوم علم أن قلوبهم متفتحة له ونفوسهم متطلعة عليه ، فخرج من بيته مهاجرا إلى الله يدعو الناس إلى دينه ويعلمهم أحكامه ، ويبشر بينهم الأمن والأمان والهدى والسلام ، ويخرجهم من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان ، فكان كما قال الله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » غير أن هذه الهجرة الشريفة لم تكن هجرة عادية ، مجرد انتقال من بلد إلى بلد آخر في هدوء وطمأنينة – لا – ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يكن رجلا عاديا بل كان رسولا من عند الله يدعو إلى دين جديد قوامه توحيد الله سبحانه ونبذ الأرباب جميعا من دونه ، وإخلاص العبادات له سبحانه ، فكان من أجل ذلك له أعداء يتربصون الدوائر ويعملون جاهدين على إطفاء النور الذي جاء به ، يمنعوا له الخروج وأرادوا الفتك به – لعنهم الله – ولكن الله جلت قدرته لم يكن ليدع رسوله وحبيبه إلى أعدائه وأعداء رسوله ينالون منه ما يريدون ، فأمره بالهجرة الشريفة وكان إليها مستشرفا وبها مستبشرا ، وحفظه أتم حفظ وأكرمه ، وقرن هجرته الشريفة بمعاجز ظاهرة وخوارق خارقة وآيات بينات تدل على أنه رسول من عند الله حقا صلى الله عليه وسلم

١ – إن الله سبحانه أخذ على أبصار أولئك الشبان الذين جمعهم الأعداء للإيقاع به ، وقتله فوقفوا أمام بابه مترصدين خروجه عليه الصلاة والسلام ، ولكن الله إكراما لنبيه أعمى أبصارهم ، فخرج صلى الله عليه وسلم فلم يروه ، وألقى التراب على رءوسهم إذلالا لهم وتحقيرا لشأنهم .

٢ — مر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه أول خروجه من دار أبي بكر على اللعين أبي جهل وهو واقف في الطريق فلم يبصرهما وعيناه مفتوحتان وبصره حديد ولكن الله سبحانه أعمى عين أعدى أعدائه عن أحب أحبابه صلى الله عليه وسلم .

٣ — قال القاضي عياض في الشفاء : وروى أنه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش ناداه ثبير (جبل بمكة) لما صعد عليه : اهبط عني فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب ، فناداه حراء (جبل آخر بمكة مقابل ثبير) : إلي يا رسول الله اهـ . ولعل الله سبحانه وتعالى أنطق الجبلين بما ذكر ، أو أحدث فيهما أمرا فهم منه النبي صلى الله عليه وسلم ما قالا ، وعلى كل فوجه الإعجاز فيهما ظاهر ، وكل هذا قبل توجهه صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور ، فإنه هو الذي اختفى فيه عند الهجرة الشريفة .

٤ — لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر الغار أنبت الله في الحال على بابه شجرة تسمى الراءة (بفتح الراء المشددة والمد والقصر) وهي المشهورة أم غيلان ، وهي شجرة تكون مثل قامة الإنسان ، ولها فروع كثيرة متدلاة ولها زهر أبيض ، ووجه معجزة من حيث نباتها في الصخر الأصم ، ومن حيث إنها في قليل جدا من الزمن طالت وكثرت فروعها وتدلت وأزهرت زهرتها وابيضت .

٥ — أرسل الله العنكبوت فنسجت نسيجه على باب الغار حتى غطته ، وفي حياة الحيوان : والعنكبوت دويبة تنسج في الهواء ، وهي صغيرة ضعيفة . وباب الغار إن كان مستديرا فالظن أنه لا يقل قطره عن نصف متر ، وإن كان مربعا لا يقل ضلعه عن هذا العدد حتى يمكن للرجل أن يدخل منه ، ومن هنا يتبين الإعجاز ، فإن العنكبوت لا يمكن أن تنسج مثل هذه الفتحة بنسجها في أقل من شهر ، ولكنها صنعت ما صنعت في وقت وجيز ، فكان ذلك خرقا للعادة واضحا .

٦ — بعث الله حمامتين وحشيتين فباضتا ـ أو باضت إحداهما إن كانا ذكرا وأنثى في أسفل الباب ونسج العنكبوت ـ بيضات متعددات في لحظات ثم حضنت البيض شأن الحمام المستقر في المكان من مدة طويلة ، ونبات الشجرة وبيض الحمام ونسج العنكبوت أعجب في رد الأعداء من الجنود المجندة ؛ فإن رد الجنود بالجنود أمر اعتدنا أن نراه أو نسمع به ولكن رد الجيش بما ذكر أمر بالغ في خرق العادة .

٧ — بعد أن مكثا في الغار ثلاث ليال خرجا ومعهما دليلهما الذي استأجراه ليدلهما على الطريق إذ كان بها خبيرا ، وهو عبد الله بن أريقط (بصيغة التصغير) . ومن عجب أنه كان من عبدة الأوثان ، ولكن الله سخره لحبيبه وصاحبه ، وكان معهما بعد الرحيل عامر بن فهيرة يخدمهما ويهيئ لهما شئون الطريق ، فمروا في طريقهم في المكان المسمى قديدا (بصيغة التصغير) على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وهي عجوز بفناء خيمتها فسألوها طعاما أو شرابا ؟ فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القرى لأنه كان من عادتها أن تسقي وتطعم من يمر بها . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا شاة ضعيفة هزيلة داخلة في كسر الخيمة ، فاستأذنها في حلبها فأذنت ، فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدنيت أو جيء له بها فمسح بيده الشريفة ضرعها وظهرها وسمى الله ، وإذا بالشاة التي لا تبض بقطرة ولا ينتظر من مثلها لبن أبدا تدر درا قويا ، ويحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حلبا كثيرا جدا ليسقي أم معبد ومن معه نهلا بعد نهل حتى شبعوا وترك الإناء لأم معبد مليئا باللبن . ومن بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الشاة التي لمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيت إلى خلافة عمر رضي الله عنه وكانت تحلب صبوحا وغبوقا وما في الأرض لبن قليل ولا كثير .

وإني لذاكر هنا مقالة أم معبد في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها لما عجب من وجود اللبن عندها ، ولا حلوب بالبيت ، لأنها من أعذب وأمتع المقالات في وصفه صلى الله عليه وسلم قالت : مر بنا رجل مبارك ، وحدثته حديثه فقال : صفيه يا أم معبد . فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة (أي الحسن والجمال) مبلج الوجه (أي مشرقه) حسن الخلق (بضم الخاء ، عرفته من حاله مع رفقته) لم تعبه ثجلة (عظم البطن) ، ولم تزر به صعلة (صغر الرأس أو نحول البدن) ، وسيم قسيم ، في عينيه دعج (سواد شديد) ، وفي أشفاره وطف (طول) وفي صوته صحل (ليس حاد الصوت) أحور أكحل أزج (في عينيه حور ، وفي أحداقهما سواد حالك كأنه مكتحل ، دقيق طرفي الحاجبين ، شديد سواد الشعر ، وفي عنقه سطع (طول) وفي لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكأن منطقه خرزات نظم طول يتحدرن ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا (لم تلتفت إلى الرابع لأن الخادم في العادة يكون تبعا له) له رفقاء يحفون به إذا قال

استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا لأمره ، محفود (مخدوم) محشود (عنده قوم) لا عابس ولا مفند (كثير اللوم) . فقال أبو معبد هذا والله صاحب قريش ، والله لو رأيته لاتبعته ولأفعلن إن وجدت لذلك سبيلا . وفعلا هاجر ، وأسلما ، رضي الله عنهما ، بل قيل إن أم معبد كانت مسلمة قبل ذلك .

٨ — لما وقف الأعداء بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه وخذلهم الله سبحانه بخروجه من بينهم سالماً محفوظاً بعد أن حثا على رءوسهم التراب حرجوا حرجاً شديداً وحربوا حرباً كبيراً وصاروا يطلبونه في كل وجه فلم يعثروا له على أثر فجعلوا لمن يرده حياً أو ميتاً مائة ناقة ، فسمع ذلك سراقة بن مالك المدلجي فسال لعابه وتلهفت نفسه على هذا الجعل ، وظن أنه يستطيع بمفرده أن يصارع الأبطال الصناديد ، ونسي أنه صلى الله عليه وسلم كان يمشي وحده مع أعدائه لا يبالي بهم . فركب فرسه وتقلد سيفه ورمحه وذهب مسرعاً فأدركهم بقديد بعد مسيرهم من عند أم معبد وخيل إليه أنه سيبلغ منهم ما أمل وما هو ببالغه . فالتفت أبو بكر فرآه فبكى وقال : يا رسول الله أتينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، اللهم اكفناه بما شئت . فساخت قوائم فرسه في ذلك الحجر الصلد إلى الركبتين أو إلى البطن — وهذه خارقة بلا شك — فطلب الأمان فأمنه النبي صلى الله عليه وسلم فخلصت فرسه وقال : يا نبي الله مرني بما شئت . فقال تقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا أي ممن كان يطلبهم ، ففعل ، فكان أول النهار جاهداً على نبي الله وآخره حارساً له بسلاحه ، مع أنه لم يكن آمن بعد ، وهنا حصلت من النبي صلى الله عليه وسلم خارقة أخرى إذ أخبر عقيب ظفره بسراقة كيف بك إذا لبست سواري كسرى ، وقد حقق الله ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه إذ جيء له في الغنائم بالسوارين والتاج والمنطقة ، فدعا عمر رضي الله عنه سراقة وقد كان أسلم فألبسه السوارين بحضور الصحابة وقال بصوت مرتفع : ارفع يديك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابياً من بني مدلج » .

تلك من خوارق العادات التي اقترنت بالهجرة الشريفة النبوية ، وكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من معجزة ظاهرة وخارقة للعادة واضحة . وأعظم ذلك وأدومه القرآن الكريم ، ولولا أن الله أجرى عادته أن يؤيد رسله بالمعجزات العظيمات التي تخرس ألسنة الأعداء المعاندين لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غنية عن معجزة تؤيده غير نفسه

من ذاته الشريفة ، فإن له من نفسه عليه شواهد تدل دلالة واضحة قاطعة على صدقه صلى الله عليه وسلم في أنه رسول من عند الله يؤدى رسالته إلى خلقه ويهديهم إلى صراط مستقيم . فقد كان صلى الله عليه وسلم طوال حياته قبل النبوة مثلا أعلى في شرف النفس وحسن الخلق وعلو الهمة وصدق الحديث وعمل المعروف والبعد عما لا يليق والعطف على الخلق والصدع بالحق ، يأخذ بيد الضعيف ويكرم الضيف ، ويلاحظ الله فطرته فيما يعمل ويذر فلا يعمل إلا الحسن ويصدف عن القبيح ، ويصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ، كما وصفته السيدة خديجة رضى الله عنها ، وكان هذا الوقت لم يعرف أنه نبي ، ووصفه أبو سفيان وهو عدوه الألد قبل أن يسلم لعظيم الروم لما سأله عنه فقال : يأمرنا بالصدق والعفاف والصلة ، يقصد أن هذه كانت صفاته قبل النبوة ، فهل هذه كلها إلا دلائل النبوة . وبعد فلو استغنى رسول عن معجزة تؤيده لكان أولى الرسل بذلك سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أشرف الخلق أجمعين وسيد الرسل الأكرمين وخاتم النبيين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

محمد الطنيخي
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر
ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

أقنعة الاستعمار

إن الاستعمار في عصرنا الحديث لا يجيء سافرا ، كاشفا عن ظفره ونابه ، وإنما هو دائما يحاول أن يضع من الأقنعة على وجهه ما يخدع به الناس عن حقيقة ما ينويه . لما جاء الاستعمار البريطاني بعد سحق انتفاضة وطنية باسلة قام بها شعبنا ، وهي ثورة عرابي ، لم يحكم البلد صراحة بضباط الإنجليز . . . لقد كان ذلك حريا أن يضعه أمام الشعب وجها لوجه ، وكان الاستعمار يرى أن خير ما يلائم أهدافه ويحقق أغراضه أن يختفي وراء الستار ولا يقف أمامه ، وأن يدير الملهاة — بل المأساة — من خلف المسرح ولا يظهر عليه . هكذا نصب الاستعمار تابعه ، وأقام من الوهم عرشا ثم بدأ يجيء بالدمى والأصنام يضع منها فوق رءوسنا ملوكا وأمراء .

جمال عبد الناصر — في خطاب افتتاح مجلس الأمة

من تاريخ الكفاح فى الجزائر :

الأمير عبد القادر

١٢٢٢ — ١٣٠١

أسمى أبيه بنى الدنى	والله من شرف الفتيان
وقع الصوارم فى الوغى	يوم الكريهة والطعان
	عبد الغنى النابلسى

حينما حاولت فرنسا أن تثبت أقدامها فى الجزائر ، وما كان لها أن تطمع فى ذلك ، وهى تلقى أشد المقاومة منذ وطئت قدمها تلك الأراضى الطاهرة ، وبعد أن عبثت بكل المقدسات ، وتنكرت لكل مبادئ الأخلاق ، وأبسط قواعد المروءة والشهامة . وإن التاريخ ليحفظ فى طياته أروع وأجمل الصفحات عن الكفاح الجزائرى ، وحديثى فى هذا المقال عن الصفحة الأولى التى كانت — ولا تزال — فخرا لأبناء الجزائر ، بل ولأبناء الشعوب الإسلامية جميعا ، ولقد وقف كفاح الأمير عبد القادر منذ أكثر من مئة عام ، ولكن أحاديث هذا الكفاح لا تزال تملأ الأسماع ، وتسطر بطون الكتب .

وقد ولد الأمير عبد القادر فى قرية القيطنة من أعمال وهران — وهى قرية بوادى الحمام اختطها أحمد جده فى رجب سنة ١٢٢٢ ، واشترك فى المعارك مع الفرنسيين وسنه أربع وعشرون سنة حين احتلت فرنسا الجزائر ، وقصة هذا الاحتلال حقيقة بالتدوين فى التاريخ ، فقد كانت فرنسا تطمع فى هذا القطر منذ زمن بعيد ، وظلت هذه الأمنية تراودها حتى وجدت الفرصة سانحة فى سنة ١٨٣٠ م فاحتلتها ، ومن تلك السنة

يتحدى كفاح الشعب الجزائرى ، فينهض ليذيق المحتلين ألواناً من التعذيب والتقتيل ، فينقص مضاجعهم وينغص عليهم ما كانوا ينعمون به من عيش هنىء ، وكان الرائد الأول فى معارك الحرية — تلك المعارك التى ما كانت تهدأ إلا لتثور — هو عبد القادر بن محيى الدين الحسنى ، ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب وأسلافه الأدارسة الذين أسسوا دولة قوية فى المغرب الأقصى ، وكان منهم القواد ، والعلماء ، والمحدثون ، والزهاد ، وأقرب من استشهد من جدوده هو عبد المعروف بالمجاهد ، قتل فى حرب المسلمين مع الأسبان فى سنة ١١٢٣ هـ وهو جد والده ، وكان أبوه السيد محيى الدين ذا مكانة مرموقة فى قومه ، يلجأون إليه حين تكربهم الخطوب ، وتدلهم الأحداث ، ويمضى عليهم وجه الرأى ، وحين دخل الفرنسيون الجزائر وعاثوا فيها فساداً ، جاءه الأشراف من كل فج ، وألحوا فى مبايعته بالإمارة على النصر فأبى ، ثم عاودوا الإلحاح عليه ، أن يتولى الإمارة ويقوم بالجهاد ، فقبل الجهاد ، ورفض الإمارة ، واشتبكت جيوشه مع الفرنسيين فى مواقع كان النصر حليفه فيها ، ثم أشار قومه على أن يعقدوا البيعة له أو لابنه عبد القادر ، فوافقهم على الرأى الأخير .

ونستخلص مما كتب [1] عن الأمير عبد القادر أنه جمع ما تفرق من صفات أجداده فكان فارساً ، مجاهداً ، عالماً ، كاتباً ، خطيباً ، زاهداً . ولقد ظهرت بوادر عبقريته فى أول حربه مع الفرنسيين تحت لواء أبيه ، فقد أبدى من ضروب البسالة والصدق فى القتال ، مع بصر بتسيير الأمور ، ما برهن على جدارته بأن يكون زعيم قومه فى هذه الحقبة من التاريخ .

ولست أريد فى هذا الحديث أن أؤرخ للأمير عبد القادر ، ولكنى أريد أن أعطى عنه صورة مصغرة ، لعلها تذكر غافلا ، أو تنهض متقاعداً ، أو تقوى مجاهداً ، وحسب الأمير مجادة أن يحارب فرنسا وهى أكبر دولة من دول أوربا آنذاك ستة عشر عاماً بجيش لم يكن يزيد عن العشرين من الخيالة وعشرة آلاف من المشاة فى حين أنه كان يقاوم جيشاً يبلغ عدده مائة ألف وستة آلاف ما بين فارس وراكب وراجل ، ذلك الأمر الذى حير

---

[1] كتب عن الأمير عبد القادر كثيرون ومن أجمع الكتب كتاب تحفة الزائر فى مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر . ألفه ابنه محمد فى جزءين الأول فى سيرته الحربية . والثانى فى سيرته العلمية .

مؤرخو الفرنسيين أنفسهم ، وملأ نفوسهم بالعجب منه ، ولا غرو فإن من كان دائماً يرى المنية ولا الدنية ، ويدافع عن عقيدة قومه وأعراضهم ، لا يبغي إلا مرضاة الله تعالى ، حقيق بأن يثبت أمام أقوى الجيوش وأكثرها عدداً . وقد شهد غير واحد من قواد الفرنسيين ومؤرخيهم وكتابهم للأمير عبد القادر . فيقول المارشال سوليت الفرنسي في سنة ١٨٤٠ م : (لا يوجد الآن أحد في العالم يستحق أن يلقب بالأكبر إلا ثلاثة أشخاص ، كلهم مسلمون ، وهم الأمير عبد القادر ، ومحمد علي باشا ، والشيخ شامل) .

وقد كان الأمير حرياً بأن يكون له النصر في النهاية على الأعداء ، لولا أنهم لجأوا إلى أسلحة دنيئة لا يجيدها إلا أمثالهم من أصحاب النفوس الوضيعة ، والأخلاق المريضة ، فقد عقدوا معه معاهدتين ولم يكونوا معتزمين – كعادتهم دائماً – الوفاء بما فيهما ، وإنما كانوا يقصدون كسب الوقت وكذلك بذروا الدسائس بين بعض القبائل ، وهيجوها عليه ، ثم ألبوا عليه سلطان المغرب ، وقد كان ألم الأمير لذلك شديداً ، ينم عنه ما جاء في استفتائه لعلماء مصر ، وعلماء فاس بشأن هؤلاء المسلمين الذين عظم بهم الخطب واشتد بهم الكرب ، فناصحوا العدو ، وجلبوا له المواشي وجياد الخيل ، ودلوا على عورات المسلمين ، ثم وجدوا في قومهم من يتستر عليهم ويدافع عنهم ويمالئهم .

أما سلطان المغرب فقد أضر بالمجاهدين ضرراً بليغاً ، ولم يلتفت – على حد قول الأمير عبد القادر – إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه » ، ولا إلى قوله : « المؤمن لأخيه كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ، ولا إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

ومن مفاخره موقفه في فتنة دمشق (١) حين أعمل المسلمون القتل في المسيحيين ، فدافع الأمير عن هؤلاء ، وحفظ دماءهم وأموالهم ، مما أوجب شكره من الأفراد والجماعات والدول مسلمين وغير مسلمين ، وكان يرى أن هذا العمل هو مقتضى الشريعة السمحة ، والمروءة الإنسانية ، لأن البغي مذموم في كل الأمم ، مرتكبه ملوم ، ولكن .

يقضى على المرء في أيام محنته   حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

---

(١) تعرف هذه الحوادث بحوادث سنة ١٨٦٠ كانت أولا في لبنان لأسباب سياسية ، ثم امتدت إلى دمشق.

هكذا يقول الأمير ، ويجيء في خطاب الشيخ شامل له شكر على هذا العمل ، وذكر الحديث النبوي الكريم : « ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيبة نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة » ، وتشهد له الصحف الفرنسية ، وترى في خصمها القديم - هذا العدو الخبيث للفرنسيين على حد تعبيرها - عنصرا لإنقاذ آلاف من نفوس المسيحيين (أن عدونا القديم في الجزائر قد جعله الله الآن سببا لإنقاذ المسيحيين في الشام) .

وما زال الأمير طول حياته واجهة عالية وصبر على الشدائد ، التي لو ألمت بغيره لأذلته إذلالا ، كما يقول أحد المؤرخين الأوربيين ، آمن بربه ، وبوطنه ، وبنفسه ، فجاهد وصمد ، وعاش عزيزا ، ومات مكرما ، وتوفي في سنة ١٨٨٣ م ، ودفن في الصالحية - بدمشق - عند الشيخ محيي الدين بن عربي داخل القبة - رحمه الله » .

علي الصلاح
مكة المكرمة

حكم

- خير مالك ما وقاك ، وشره ما وقيته .
- جزاء من يكذب أن لا يصدق .
- ظلم الضعيف أفحش الظلم .
- صبرك على الاكتساب خير من حاجتك إلى الناس .
- ظاهر العتاب خير من باطن الحقد .
- صاحب المعروف لا يقع ، وإن وقع وجد متكأ .

رسالة الصحافة

تعتبر الصحافة من أخطر الوسائل في التوجيه والتأثير ، لأنها تظهر كل يوم ، وتدخل كل بيت ، ويطبع منها عشرات الألوف من النسخ ، وهي في الأصل سجلات يومية لوقائع الحياة وأحداث المجتمع ، ومنبر للتعبير عن الرأي العام وتوجيه أفكار الناس نحو الحق والخير ، ولو استقام أمر الصحافة ، وكان شعارها الحق والصدق والإخلاص والأمانة ومراقبة الله والضمير والحق والمصلحة العامة ، صارت أدق مرجع للمؤرخ حين يؤرخ ، وأصدق مصدر للباحث حين يبحث .

ولشدة تأثير الصحافة سموها : « صاحبة الجلالة » ، وما زال بعضهم يسميها كذلك ، ويلقبها بذلك اللقب مع أنه قد هوت عروش وسقطت تيجان !! ..

والصحافة الشريفة النظيفة لا بد لها من عقيدة ومبدأ ، فهي تؤمن بتلك العقيدة وتستهديها ، وتدافع عن ذلك المبدأ وتنصره ، وتجند أقلامها ورجالها وصفحاتها وكلماتها لتمجيد ما تعتقد ، وتأييد ما ترى ، محاولة حمل غيرها على مبدئها في غيرة وإخلاص وحكمة ، حتى يتحقق لها شرف الاعتقاد والجهاد الذي أشار إليه الشاعر حين قال :

قف دون رأيك في الحياة مجاهدا ... إن الحياة عقيدة وجهاد !

فإن لم تكن الصحافة كذلك صارت صحافة تجارة ، أو صحافة تملق ، أو صحافة انحلال ، أو صحافة استغلال ، أو أي شيء آخر سوى أن تكون صحافة قوية كريمة .. ولقد وصف « شوقي » الصحافة الحرة الصادقة القوية النزيهة بأنها :

لسان البلاد ، ونبض العباد ... وكهف الحقوق ، وحرب الجنف

فهل تصدق هذه الأوصاف الجيدة ـ حقيقة ـ على كل صحافة العصر الحديث ؟ وهل الصحافة جميعها تترجم صادقة عن مشاعر الناس وعواطفهم ، وتدافع عن حقوقهم ومصالحهم ؟ .. وهل هي حقا تصلح الفاسد ، وتعدل المعوج ، وتقوم المنحرف ؟ ..

إن كثيرا من أجهزة بعض الصحافة يسيطر عليها طائفة من المنحلين والملحدين والمتفسخين في أخلاقهم وعقائدهم ، الذين يتخذون الصحافة مرتعا خصيبا وميدانا رحيبا

لبث دعواتهم الإلحادية ، وإذاعة مبادئهم التحللية ، وهم ينشرون وينمون في جرأة ، ويتواصون بإذاعة المنكر في عزيمة ، ويتعاونون على الإثم والضلال في قوة ، ويستغلون بعض المعروف ، ويتسترون وراء بعض الشعائر والأستار ، ويمشون ما يمشون بلا وازع أو رادع ، ناسين أو متناسين أن الله عز وجل وصف عباده الأخيار بأنهم : « الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » ، ومعرضين عن أمر ربهم القائل : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ! .

ومعاذ الله أن ننكر وجود الضمير النبيل وسط طوفان الشر الزاحف ، فهناك من الصحف نوع شريف عفيف ، ولكنه غريب غربة الأيتام في دنيا اللئام ، ولقد كان هناك مثلا من جعل شعار صحيفته هذه الكلمات :

باسم الكنانة واسم شعب ناهض لا باسم أحزاب ولا زعماء
كل يزول وينقضي ، أما الحمى فوديعة الآباء للأبناء

ولكن هؤلاء الشرفاء الأوفياء الأعفاء في دنيا الطمع والنفاق والتضليل يعيشون غرباء ، ويموتون فقراء ، بينما يستمتع غيرهم من الوصوليين الأدعياء ! ؟ .

وأنت قد تتناول مجموعة من هذا النوع من صحف الزور والباطل ، فإذا هي – على الرغم من اختلاف الأسماء والعناوين والأشكال والأحجام – صور متشابهة ، ونسخ معادة مكررة ، حذوك النعل بالنعل ، لا تكاد تختلف في الموضوعات ، ولا في العبارات ، وكأن يدا واحدة قد طبعتها ثم وزعت أسماءها ، فلا تستطيع أن تميز بين واحدة منها وأخرى في مبدأ أو اتجاه أو منهاج أو عقيدة ، بل الشكل متشابه متماثل . . . وأغلب أنهار هذه الصحف المتحللة يفيض بالملق الرخيص ، والتضليل الرهيب ، والصور الفنية الفاحشة ، والقصص الغرامية الماجنة ، والأسرار البيتية الفاضحة ، والأخبار العائلية الجارحة ، والدعوات الإلحادية الهدامة ، إلى غير ذلك من معاول التخريب ووسائل التدمير ، مع أن الله تبارك وتعالى يقول : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ! .

وتبحث عن الهدف الأخلاقي ، أو التهذيب الاجتماعي ، أو التوجيه الروحي ، أو الحياء الديني ، في هذا اللون القذر من الصحافة ، فلا تكاد تجد طلبتك ، وربما وجدت به

كل شيء إلا الغيرة على الدين والأخلاق والحرمات ، أو الأمانة في النقل والقول ، أو الصدق في التسجيل والتاريخ .

« ترضى » هذه الفئة من أهل هذا اللون من الصحافة عن بعض الناس ، فترفعه وتكيل له المديح بلا حساب ، وتقلب سيئاته إلى حسنات ، وتبالغ في وصف ما قد يكون له من حسنات ... « وتسخط » هذه الفئة على بعض الناس فتنال منه ، وتفترى عليه ، وتشوه سيرته ، وتختلق حوله الإشاعات والأباطيل ، وتسرف في ذلك إسرافا وشططا .. « وترهب » هذه الفئة فإذا هي ذيول وأتباع ، وأسارى شهوات وعبيد أطماع ، تقلب الحق باطلا والباطل حقا ، وتستبيح في سبيل ذلك مسخ الحقائق وتغيير الوقائع .. « وترغب » فإذا هي سباقة إلى مواقف الذلة ودركات الهوان ..

وإذا صار هذا هو الدين والمألوف في افتراء التصوير والتسجيل — كما يفعل هؤلاء — فما أصدق كلمة من قال : إن التاريخ مجموعة من الأكاذيب ! .. وما أسرع أهل الغيرة والإنصاف إلى قولهم : إن هذا هو التاريخ فشهد الله أننا كافرون بهذا التاريخ ! .

ألا يذكر هؤلاء المفترون على الله وعلى الحق وعلى الناس قول العظيم الجبار : « ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم (أي يهلككم ويستأصلكم) بعذاب وقد خاب من افترى » . وقوله : « إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » ! .

لقد كتب أحد المحررين المنافقين في صحيفته مقالا طويلا كال فيه الثناء ، ورفع فيه أحد الحاكمين في عهد ما إلى السماء مدحا وإطراء وثناء ، ثم جلس المحرر عقب ذلك في مجلسه الخاص يطعن في ذلك الحاكم ! ... يطعنه في رجولته ودينه وعرضه ، فتعجب من ذلك أحد سامعيه وقال للمحرر : ولكن ، كيف يتفق هذا مع مقالك عنه ؟ . فأجاب المحرر : وماذا أصنع وهو حاكم يضر وينفع ، وصحيفتي يوزع منها في عهد هذا الحاكم آلاف النسخ .

وهكذا فليكن تدهور الأخلاق في دنيا النفاق ! .

ونرى بعض هؤلاء المتصحفين في دينهم وأخلاقهم يوغلون القول في إنكار الله ، وفي السخرية من الأديان ، وفي التهكم على علماء الدين ، وفي الحملة على الدعوات الروحية ، ويدعون إلى الفجور واستباحة الأعراض والحرمات ، وإذا اعترض عليهم أحد في ذلك قالوا : إن هذا الاعتراض عدوان على حرية الرأي وحرية الفكر وحرية النقد ، ولسنا ندري لماذا تظهر جرأتهم وحريتهم في مهاجمة حرمات الله وحدها ؟ . ولماذا لا تظهر

حريتهم أو بجرائمهم في حق الفئة المستضعفين من البشر .. لماذا تكون أيها الحر المتحلل جريئا وقحا في هجومك على حرمات الله وحدها ، ولا تجد مثل هذه الجرأة أو بعضها وأنت تتحدث عن زعيمك أو تملقهم من أهل الجاه والمال ؟ ! « أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » ! ولماذا تكون مجنون الحرية وأنت تتحدث عن أعراض النساء والدعوة إلى الفسق والفجور ، ولا تكون حرا أو شبه حر إذا دعيت إلى الدفاع عن المهضومين أو الانتصار للمنكوبين ؟. لماذا تكون سفيها مسرفا وأنت تتطاول على قوانين السماء وهدى الرحمن الرحيم ، ثم تكون جبانا كل الجبن وأنت تتحدث عن نظم البشر وقوانين الأرض ؟.

ألأن عينك القاصرة لا ترى أن لها جيوشا ولا جنودا ولا محاكم ولا سجونا ؟ « ولله جنود السموات والأرض » ، « وما يعلم جنود ربك إلا هو » ! . . . ألأن الله الحليم لم يسارع إليك بالانتقام منك أولا بأول ؟ . . . « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » ، « أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون » !

أما بعد يا أبناء الإسلام . . . اتقوا الله فيما تقرأون أو تطالعون : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ، دققوا في الصحيفة التي تشترون ، وفي المجلة التي تفضلون . . . حاربوا الصحافة الرخيصة المبتذلة الماجنة بالإعراض عنها والاعتراض عليها . لا تشجعوها بالإقبال عليها ودفع المال فيها ، ولا تسكتوا عن انتقادها والمقاومة لباطلها بكل أسلوب مشروع ، فإنه من أكبر الأكاذيب أن يقال عن هذه الألوان الماجنة الآثمة من صحافة الزور والباطل والافتراء إنها « صاحبة الجلالة » بل الأصح أن يقال إنها « صاحبة الضلالة » .

وإن كل مثقف له صحيفته اليومية ومجلته أو مجلاته المأثورة عنده ، ولا أقل من أن يضم المسلم ما يقرأ بعض ما يصدر من مجلات دينية ، وهناك عدد من هذه المجلات الدينية يستأهل التأييد والإقبال ، وهذه المجلات على الرغم من ضعف إمكانياتها ، وقلة رأس مالها ، وضيق الإقبال عليها ، وعدم القدر الكافي في إخراجها وتوزيعها — لا تزال أصواتا مذكرة بالله ، وبحقوق الله ، وبلقاء الله ، فعدوا أنصار هذه الصحافة الدينية ، وأقبلوا عليها ، وأعينوا على تأييدها وتثبيتها وتقويتها وإصلاحها والإكثار منها ، فإن استقامة الطريق أمامها يساعد على استقامة الطريق أمامكم .

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

حديث عيد الأضحى المبارك

عام ١٣٧٦ هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإنه يحلو لي في هذا اليوم السعيد المبارك، أن أبعث بالتهنئة زكية طيبة، إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأخص منهم طائفة مخصصة، لوفد الله في الأراضي المقدسة، هؤلاء الذين أقبلوا على ربهم، آتين رحاب بيته الكريم، خالعين أنفسهم عن لهو الدنيا وصوارفها، متجردين من ألوان متاعها وزخارفها، متحملين مشقة التنائي والبعاد عن ذويهم، متحدين بمظاهر الجد والقوة في عبادتهم، وبصدق الإخلاص في طاعتهم لربهم، هاتفين من أعماق قلوبهم، بالتلبية وآيات التمجيد والحمد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» نشيدا روحيا يرن صداه في الأجواء، وتخشع لجلاله الأرض والسماء.

أحيي هؤلاء الذين أفاضوا من الموقف العظيم في عرفات والمشعر الحرام، فرحين بما آتاهم الله من فضله، وبما أفاض عليهم من عظيم بره.

أحييهم وأهنئهم بهذا اليوم المشهود، الذي جعله الله فرصة لتلقي نفحات جوده، والفوز بعفوه ومغفرته، إنه أحد العيدين الكريمين، اللذين يحتفل فيهما المسلمون ابتهاجا بنعمة الله وتوفيقه، لأداء ركنين عظيمين من أركان الإسلام، هما صوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام، بل إن هذا العيد الأكبر هو أكرم العيدين وأعظمهما عند الله، لما يحمل من ذكريات كريمة ماجدة، تهدي إلى الخير، وتذكر بأسباب العزة والمجد.

إن شرائع الله جميعها هي أصل كل خير وبر، ومنبع كل هداية وصلاح، وهي للناس جميعا – في حياتهم الفردية الخاصة وشؤونهم الاجتماعية العامة – أقوى معين على سلوك

أقوم الطرق وأجدرها لدرك ما يبتغون من هدى وعزة فى هذه الحياة وسعادة ورضوان من الله فى الحياة الآخرة حياة البقاء .

ولقد جاء الإسلام بتشريعات هيأت الفرص لاجتماع المسلمين وتعارفهم وتعاونهم ، وبارك كل اجتماع يحقق هذا المعنى ويؤكده بينهم كاجتماعات الصلوات اليومية وصلاة الجمعة والعيدين ، كما بارك كل مجلس يقصد لخير والبر ويعمل فيه على الإصلاح والتقريب بين جماعات المؤمنين .

وإن أكبر اجتماع يحظى بعظيم البركة من الله ، هو ذلك الاجتماع الذى تختفى فيه الحدود ، وتتلاشى فيه الفوارق وتمحى العصبيات هو اجتماع الحج ، الذى يفد إليه المسلمون من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويؤدوا شعائر الله ، ويرسموا الخطط الصالحة لتنظيم حياتهم وترقية شئونهم وإسعاد أوطانهم .

إن ذلك الموسم السنوى الجامع ، الذى يتمكن فيه المسلمون من عقد مؤتمرهم العام فى الحرم المبارك الآمن ، يجب أن يأخذ الناس فيه من الرسول أحسن الأسوة وأعظم القدوة ، وأن يتعظوا بما أثر عنه عليه الصلاة والسلام من بالغ التقوى والإرشاد .

فى مثل هذا اليوم من السنة العاشرة من الهجرة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاطب الناس خطبته الجامعة فى حجة الوداع ، تلك الخطبة التى أكمل بها التوجيه ، وأفرغ فيها بالغ النصح ، وأوضح بها المعالم ، وأحل فيها الأسس والمبادئ ، وثبت الأصول وأحكم القواعد ، وأرشد الناس إلى ما يقيم لهم أمر المعاش والمعاد . ومما قاله صلوات الله وسلامه عليه فى خطبة الوداع :

« أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا وبلدكم هذا فى شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا لا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، وقد تركت فيكم ما إن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله ، ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

هذا هو التوجيه النبوى السديد ، الذى تجلى به مزايا الإسلام فى حرصه على السلام

والاستعداد بأسباب القوة ، وفي تحذيره من عواقب الخلاف والفرقة ، فليتدبره المسلمون لعلهم يرشدون .

أيها الحجاج المؤمنون ، أيها القادة أيها الزعماء المخلصون ، يامن لهم شأن أى شأن في ولاية أمور المسلمين وتدبير مصالحهم في أى ركن من أركان الأرض ، أسألكم أن تعاهدوا الله – وأنتم بمكان يجل فيه حفظ المواثيق والعهود – أن تكونوا يدا واحدة وكلمة واحدة ، وأن تتصافوا وتتصافحوا وتطهروا قلوبكم مما عسى أن يكون قد مسها من آثار حقد أو ضغينة ، فإن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه .

ثم لتأخذوا حذركم من عدوكم ولتحلوا مشاكلكم بأنفسكم ولا تجعلوا أمركم غمة عليكم ، واربأوا بدينكم وقوميتكم ووطنيتكم أن يستهويها أو يستهدفها أهل الغدر والخداع من أعدائكم .

إن الإسلام يأبى لأهله الذلة والمهانة ، والعروبة الأصيلة لا ترضى أن تخضع لعوامل التسخير والسيطرة ، والشرق كله أدناه وأقصاه وأوسطه يكره أن يكون مستغلا أو حقلا سهلا للغرب يستنفد كل ما فيه من ثروة وذخيرة ، والوعي العام الراشد لا يرضى أن يغتر بأساليب الماكرين الغادرين .

إنه لا ينبغي أن يكون ظن العدو بكم أنه قد بلغ منكم الضعف والهوان على أنفسكم مبلغا يبيح له أن يضرب بعضكم ببعض أو أن يضرب الحصار الاقتصادي عليكم أو على شعب من شعوبكم ، فارصدوا خططه حتى ترتد إليه فاشلة واعملوا على مكافحة مكايده كي تعود عليه خائبة خاسرة واعلموا أن النصر مع الصبر وأن الله مع الصابرين .

أيها المسلمون : يجدر بنا في هذا اليوم المبارك أن نكثر من أعمال البر ، لكي تقوى الرابطة بين المسلمين وتشيع بينهم روح المودة والأخوة ، ويجب علينا ونحن في يوم التضحية والفداء ، أن نذكر إخوانا لنا في فلسطين والجزائر وجنوب شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الإسلامية التي منيت بألوان من البغي والعدوان ، إنهم يقاسون من أيدي المستعمرين أشد الأذى والنكال ولكنهم لا يملون ولا يخضعون بل هم يناضلون بكل ما أوتوا من قوة وجهد لتخليص حقوقهم من أولئك الغاصبين المستبدين ، فلنمدهم بما نستطيع من عون ، ليشعروا أن لهم إخوة يحسون بإحساسهم ويشاركونهم في آلامهم وآمالهم ، فتقوى بذلك روحهم ويشتد أزرهم وتنفتح نفوسهم بالرجاء في نصر الله القوي العزيز .

هذا وليعلم المتغطرسون الباغون أن اليوم غير الأمس ، وأن المسلمين الآن فى يقظة واعية ، وإيمان بالحق قوى ، لا تزعزعه الاعتداءات الوحشية ، ولا الأخلاق العسكرية ، ولا الأموال التى ينفقونها لتفريق الصفوف ، وإضعاف الشوكة ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون .

أيها المسلمون : حذروا من تصادم أولى البغى والعدوان عليكم عبرة وعظة وكونوا دائماً أمامهم صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، سبيلكم سبيل الله الذى يحقق لكم العزة ويدرأ عنكم المهانة ويلقى فى قلوب أعدائكم الرعب والفزع ، وقد رسم لكم الله إلى سبيل اتحاد وحدتكم أن تسلكوا طريق العدوان بقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » .

أسأل الله أن ينصر المجاهدين ويعز الإسلام والمسلمين ويرد كيد المبطلين وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

غارة إسرائيل على غزة

فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب افتتاح مجلس الأمة :

كنا قبل غارة إسرائيل على غزة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ نعتبر خطر إسرائيل هو مشكلة سباقنا مع الوقت لبناء أوطاننا ، ونعتبر أن خطر إسرائيل فى حقيقة أمره هو ضعف العرب ، فإذا استطعنا أن نبنى أمتنا الكبيرة التى نحلم ببنائها فإن خطر إسرائيل يتلاشى ... ولكن دخان غارة إسرائيل على غزة فى ٢٨ فبراير انجلى عن كشف حقيقة خطيرة هى أن إسرائيل ليست الحدود المعروفة وراء خطوط الهدنة ، وإنما إسرائيل فى حقيقة أمرها رأس الحربة للاستعمار ، ومركز تجمع لقوى أخطر من إسرائيل وأخطر من الاستعمار ، وهى الصهيونية العالمية ... كانت هذه الحقيقة التى انجلى عنها دخان الغارة على غزة نقطة تحول فى تفكيرنا ، وفى اتجاه الأحداث فى المنطقة كلها . لقد تبين أن مشكلة إسرائيل ليست مشكلة داخلية إلى الحد الذى كان يبدو قبل غارة غزة ، وتبين أننا لا نستطيع أن نمضى فى معركة البناء غافلين عن الخطر الذى يهدد ما نبنيه ، ويهدد وجودنا بأسره .

الهجرة والتضحية والفداء

الهجرة في الإسلام من مكة إلى المدينة من الأحداث المهمة التي كانت فيصلا بين عهدين ، عهد الضعف والقلة والاضطهاد ، وعهد القوة والعزة والانتصار ، ولا نكاد نعلم في التاريخ الإنساني حادثا كان مسرحا للتضحية والفداء وبيع النفس ابتغاء مرضاة الله والاستهانة بكل شيء في الحياة في سبيل العقيدة مثل ما عرفنا ذلك في حادث الهجرة ، فقد هاجر المسلمون رخيصة بذلك نفوسهم لا يلوون على شيء من ولد أو أهل أو مال أو دار وضربوا في هذا الباب أروع مثل للتضحية والفداء .

وأول ما يطالعنا من قصة الفداء في الهجرة ما كان من فتى الفتيان وسيد الشجعان الذي تربى في مهد النبوة ونهل من معينها الصافي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صار فيما بعد زوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء ، فقد أمره رسول الله ليلة عزم على الهجرة أن ينام على سريره وأن يتسجى ببرده الحضرمي كي يكون في ذلك تعمية على المشركين الذين وقفوا على بابه مترصدين لقتله ، فكانوا كلما ملوا من الانتظار نظروا من شقوق الباب فوجدوا النائم لا يزال على السرير فيمنون أنفسهم بأنه لن يفوتهم ، ولقد كان لهذه الحيلة البارعة أثرها الحسن ، فقد وقفوا طوال ليلهم يترصدون النائم أن يخرج بينما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد خرج عليهم وقد أخذ الله بأبصارهم وختم على أسماعهم فلم يشعروا به ، وذهب إلى صاحبه الصديق وخرجا إلى حيث اختبأ في الغار .

إن الإنسان ليعجب من فتى كعلي في مقتبل الشباب يرجو العمر الطويل ويأمل الآمال الحلوة العريضة كيف يسرع إلى إجابة رسول الله وهو يعلم أنه على قيد أذرع من فتيان أشداء امتلأت قلوبهم بالحقد والضغن وأمسكت أيديهم بالسيوف المشحوذة التي في متونها الموت المحقق . ولكن العجب سرعان ما يزول إذا ما عرفنا أثر الإيمان حين يعمر القلوب فإنه يستعذب العذاب ويستهين بالبلاء في سبيل العقيدة والمبادئ الشريفة ، وندع الفدائي الشاب ، لنرى ما صنع الفدائي الأكبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في هذه الليلة الخالدة على الزمن .

لقد صنع عجباً ، جعل يمشي مرة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره — لا يستقر له حال ولا يهدأ له بال — فقال له الرسول : مالك يا أبا بكر ؟ فقال : أذكر الطلب فأمشي خلفك ، وأذكر الرصد فأمشي بين يديك ، ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لا آمن عليك "

ولما وصلا إلى الغار قال الصديق المصدوق : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار ، فإن كان به شيء نزل بي قبلك ، فإن هلكت فأنا رجل واحد من المسلمين ، وإن هلكت هلكت الأمة . ثم نزل فاستبرأ الغار فلم يجد به أذى ، ثم قال : انزل يا رسول الله . ولم يكتف الصديق بهذا بل صار يأخذ من إزاره ويسد الشقوق التي في الغار خشية أن يكون فيها شيء من هوام الأرض يؤذي رسول الله ، وبقي جحر فوضع عقبه عليه فإذا فيه حية فلدغته ، وكان رسول الله قد نام متوسداً رجل أبي بكر فمنعه مكان رسول الله منه أن يتململ حتى لا يستيقظ ، ولكن الألم برح به فتحدرت دموعه فسقطت على وجه رسول الله ، فاستيقظ فقال : مالك يا أبا بكر ؟ قال فداك أبي وأمي ، لدغت فتفل عليها النبي الشافي الإنسانية ، فذهب ما كان يجده من الألم بإذن الله .

وهكذا فليكن الإيمان والوفاء ، وهكذا فلتكن الصداقة والفداء ، وبهذا وبغيره من الخصال استحق الصديق أن يكون أفضل الأمة بعد نبيها ، وسجل الله له لسان صدق في الأولين والآخرين .

ويسهم البيت البكري في التضحية والفداء ، فهؤلاء أهل أبي بكر يجهزون المهاجرين الكريمين سفرة يتزودان بها ، ولا يجدون ما يربطون به الجراب فتشق بنت الصديق السيدة أسماء نطاقها شقين فتربط الجراب بأحدهما وتنتطق بالآخر ، فيسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين ، ويبشرها بأن الله سيبدلها بنطاقيها هذين نطاقين في الجنة ، ثم تسترسل في التضحية فكانت تذهب كل ليلة إلى رسول الله وأبيها وهما في الغار بما يحتاجان إليه من طعام ، وهي جارية حديثة السن . قال ابن إسحاق إمام أهل المغازي في أثناء الحديث عن الهجرة : « وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه تأتيهما من الطعام إذا أمسيا بما يصلحهما » .

وهذا عبد الله ابن الصديق — وكان شاباً ثقفاً لقناً — يكون مع قريش بالنهار ، حتى إذا ما اختلط الظلام ذهب إلى رسول الله وأبيه بالغار فيخبرهما بما تدبره قريش وما يكيدان به ، فلله بيت الصديق فكم له من أياد بيضاء على الإسلام والمسلمين .

وهذا مثل آخر رائع في مثل التضحية والفداء ، وكان بطله صهيب بن سنان الرومي .

روى البيهقي بسنده عنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه – ولم أكن شاكيا – فناموا فخرجت ولحقني منهم ناس بعد ما سرت يريدون ليردوني ، فقلت لهم : إن أعطيتكم أواقي من ذهب أتخلون سبيلي وتوفون لي ؟ فقالوا : نعم ، فتبعتهم إلى مكة فقلت : احفروا تحت الباب ، فإن بها أواق من ذهب ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين ، وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء قبل أن يتحول منها ، فلما رآني قال : « يا أبا يحيى ، ربح البيع » . فقلت : يا رسول الله ما سبقني إليك ، وما أخبرك إلا جبريل » . وقد أنزل الله في صهيب ومن على شاكلته قرآنا يتلى على كر السنين : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رءوف بالعباد » .

أيها المسلمون في كل مصر ، هذا قل من كثر مما زخرت به الهجرة من صور التضحية والفداء ، سواء في ذلك الرجال والنساء ، وبهذا وغيره كان المسلمون أعظم أمة عرفتها الدنيا في إيمانها ووحدتها وتراحمها وتعاونها على البر والتقوى ، وكانوا خير أمة أخرجت للناس .

ما أشد حاجتنا في نهضتنا الحاضرة ونهضتنا الكبرى إلى أن نأخذ من هجرة المسلمين الأولين دروسا نستعين بها على ما نصبو إليه من عزة وقوة ووحدة كي نستعيد المجد الغابر والسلطان المضيع .

إننا في حاضرنا اليوم أحوج ما نكون إلى البذل والتضحية والفداء في سبيل تحقيق المثل العليا ، وبناء كيان وطني على أسس صالحة من التآخي والتكافل والتضامن ورعاية المصلحة العامة والتجرد من الأنانية وحب الذات فحسب .

لقد كانت الهجرة اختبارا قاسيا للرعيل الأول من المسلمين ، فنجحوا فيه أيما نجاح ، ودللوا على أنهم جديرون بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة ، ونحن اليوم نتعرض بين حين وآخر لضروب من الاختبارات القاسية في ديننا ودنيانا ، فإن نحن صمدنا في سبيل الحق كما صمد هؤلاء السادة الأوائل كان لنا الغلب والنصر في النهاية ، واستخلفنا الله في الأرض كما استخلف هؤلاء ، ومكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا كما مكن لهم . وإلا فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، وما ذلك على الله بعزيز .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

من نوادر المخطوطات :

اعلام الساجد ، بأحكام المساجد

كتاب [جليل القدر ، نادر الموضوع ، وضعه مؤلفه العلامة الزركشي في أحكام المساجد ، وجمع فيه كل ما يتعلق بهذا الموضوع ، واستقصى في ذلك ، حتى لتكاد تجزم بأنه لم يند عنه حكم يتعلق بالمساجد من قريب أو بعيد . وقد أفرد كلا من المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، بباب خاص ، ثم جمع الحديث عن غيرها من المساجد في باب واحد] وهو حقيق بقول مؤلفه : هذا كتاب ينزل من القلوب منزلة الجنان ، ومن العيون منزلة الإنسان ، لم ينسج له على منوال ، ولم تسمح له قريحة بمثال ، يشتمل على الأحكام المختصة بالمسجد الحرام ، ومسجد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، والمسجد الأقصى وغيرها من مساجد الإسلام ، قد أتى في هذا الباب بالعجب ، وحاز قصب السبق ما كتب الطرب (كذا) ، وصار لقصاد الحرم ميقاتا ، ولوراد حياض الفضل ماء فراتا .

وقد أغفله المترجمون للزركشي فلم يذكروه ضمن مؤلفاته ، ولعل ذلك لعدم تداوله وربما كانت النسخة التي بين أيدينا هي النسخة الفريدة للكتاب ، وقد ذكر صاحب كشف الظنون اسمه فقط ، ولم يذكر نبذة منه كما يفعل في غيره من الكتب مما يدل على عدم اطلاعه عليه .

وقد حصر المصنف كتابه في فاتحة وأربعة أبواب ، وتكلم في الفاتحة عن تعريف المسجد لغة وشرعا ، وأول مسجد وضع في الأرض ، وعن فضل بناء المساجد .

وتكلم في الباب الأول عن المسجد الحرام وما يتعلق به ، وعن مساحته وبنائه ، وعن الكعبة كذلك من هاتين الناحيتين ، وعما تعرضت له من الحوادث ، وعن كيفية الصلاة في المسجد الحرام والكعبة ، وفضل الصلاة فيهما . ثم استطرد إلى الكلام عن مكة وعن بعض المشاعر كمنى وعرفات ، وعن حدود الحجاز وجزيرة العرب وغير ذلك ، وجعل ذلك في مسائل عدتها ١٢٤ مسألة .

وتكلم — في الباب الثاني عن المسجد النبوي وكيفية بنائه ومساحته ، وعن المدينة وحدودها وأسمائها وهل هي حجازية أو شامية ، ويستطرد في الكلام لأدنى مناسبة على الطريقة الجاحظية ، فقد ذكر عند الكلام على المدينة ما جاء من الأحكام في عالم المدينة وهو الإمام مالك رضي الله عنه ، وذكر جملة من خصائصها وأحكامها كتحريم صيدها وشجرها ، وفضل الصلاة فيها وفي مسجدها واختصاص أهلها بمزيد الشفاعة وأن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم كما روي عن مالك ، وجعل عدة مسائل هذا الباب أربعين مسألة .

وتكلم — في الباب الثالث عن المسجد الأقصى وذكر أسماءه وهي سبعة عشر اسماً ، كما تكلم عن بنائه وفضله وعدد جملة من أحكامه في مسائل بلغت عشرين مسألة .

وتكلم في الباب الرابع عما يتعلق بالمساجد جملة من الأحكام مما يتعلق باحترامها وتنظيفها واتخاذ الشرفات فيها والبناء عليها وزخرفتها وتبخيرها وفرشها وتعليق القناديل فيها وغلقها في أوقات الصلاة ، وعن حكم صلاة المرأة في المساجد ، واستطرد في هذا الباب كما استطرد في غيره فذكر فيه ما يتعلق بالأذان والمؤذن وهيئة لباس الخطيب وجواز تعليم الصبيان فيه إلى غير ذلك ، وعدة مسائل هذا الباب ١٣٧ مسألة .

وبالجملة فإن هذا الكتاب لم يعزب عنه فيما نظن شيء من أحكام المساجد ، فهو فريد في بابه ، والنسخة التي تحدثت عنها هي من كتب رواق الحنفية التي ضمت إلى المكتبة الأزهرية حديثاً ، وهي من أقدم النسخ إن لم تكن أقدمها ، وربما كانت النسخة الوحيدة له ، فقد ذكر ناسخها أنه نقلها من نسخة سقيمة جداً ، وقد بيض المصنف من نسخته مواضع ، والظاهر أنه نقلها من مسودة المؤلف وهي قديمة جداً ، فقد كان نسخها سنة ٨٤٠ هـ أي بعد وفاة المصنف بنحو ٥٠ سنة على ما يأتي في ترجمته .

وقد جاء في آخرها : « تم كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تصنيف الشيخ بدر الدين الزركشي ، علقه لنفسه على استعجال لأمر اقتضاه الحال في آخر المحرم سنة ٨٤٠ هـ محمد بن محمد بن عبد الله الشافعي غفر الله ذنوبه » ، وخط النسخة جيد بالنسبة لخطوط ذلك الوقت وورقها جيد كذلك ، وهي سليمة من النقص والطمس والتحريف وعدد أوراقها ١٠٨ ورقة وعدد سطور كل صفحة ٢٣ سطراً ، ومتوسط عدد كلمات كل سطر

١٤ كلمة ، وعليها تمليكان أحدهما في سنة ١٠٨٤ هـ والثاني سنة ١١٠٣ ، والظاهر أنها لم تتداول كثيرا ، فليس عليها تعليقات أو تصحيحات ولم ينقل عنه في الكتب التي يكثر تداولها ، ومؤلفها هو : بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي المنهاجي المصري كان أبوه تركيا مملوكا ، وتعلم الزركشة في صغره فنسب إليها ، وقد عني بالعلم فأخذ عن الشيخين جمال الدين الأسنوي ، وسراج الدين البلقيني ، ورحل إلى حلب ودمشق وأخذ عن علمائهما ومنهم الحافظ ابن كثير .

وقد تبحر في العلوم وصار يشار إليه في الفقه والأدب والحديث ودرس وأفتى ، وكان زاهدا منقطعا للعلم ، وله من أقاربه ما يكفيه مئونة العيش ، ومن مصنفاته البحر المحيط في الأصول في ثلاثة أجزاء ، وهو مخطوط ، وتشنيف المسامع بجمع الجوامع في الأصول أيضا ، وهو مطبوع ، ولقطة العجلان في الفقه والحكمة والمنطق وهو مطبوع ، والديباج في توضيح المنهاج ، والمنثور المعروف بقواعد الزركشي وهما مخطوطان .

وله هذا المؤلف الذي تحدثت عنه : إعلام الساجد في أحكام المساجد ، ولم يذكره المؤرخون ، ولعل ذلك لقلة تداوله كما أسلفنا ، وقد ولد الزركشي سنة ٧٤٥ هـ ، وتوفي سنة ٧٩٤ ودفن بالقرافة الصغرى .

أبو الوفا المراغي

سياسة الاستعمار

أرادوا مرة امتحان السياسيين في بلاغة السياسة ، فطرحوا عليهم هذا السؤال :

سرقت حقوق أمة ضعيفة ، فاكتب كيف تشكرها على هديتها .

مصطفى صادق الرافعي

بحث الدرس والتمحيص :

نظرة فقهية

في قانون معاشات الموظفين وحكم صندوق التوفير بالبريد، وكل معاملة تكون الحكومة فيها طرفاً أول والجمهور طرفاً ثانياً .

يظن كثير من الناس أن كل معاملة فيها شيء اسمه فوائد وأنه نسبة كذا في المائة أنه معاملة ربوية أو شبه ربوية لأن فيها عوضاً في غير مقابل ، أو لأنها ليس فيها تكافؤ في العوض . وعلى هذا الظن أحجم ناس ورعاً عن قبول المعاملة بقانون المعاشات في وظائف الحكومة ، وقبله ناس على مضض منهم ، وآخرون قبلوا غير مبالين بما إن كان ربوياً أو غير ربوي فوقعوا في ذنب الاستهتار وعدم المبالاة في المعاملة .

كذلك امتنع خلق عديد من وضع توفيرهم وأموالهم بصندوق البريد بحجة أن المصلحة تعاملهم بفوائد سنوية تحتسب لهم في مقابلة إيداعهم تلك الأموال فيه بنسبة ٢٫٥ في ٪ ، وآخرون يخرجون إيداعهم بصفة أمانة لا شيء من الفوائد فيها .

وحتى أسهم المشروعات التي تصدرها الحكومة وتقول إنها تصرف كل سنة لأصحابها كذا في المائة أرباحاً وفوائد لأصحاب هذه الأسهم ، رأيت بعض الشيوخ يفتي الناس بأنها حرام وأنها ربا ، وهذا لمجرد أن يسمع كلمة « فوائد » . فلننظر في هذه المعاملات هل هي معاملات ربوية بين الجمهور وبين الحكومة في أسهم هذه الشركات ومعاشات الموظفين وفوائد صندوق التوفير ؟ أم أنها معاملات خالية من الربا المعروف شرعاً ؟

ولننظر أولاً فيم يكون الربا المنهي شرعاً ؟

يكون الربا في البيوع والمبادلات ، ويكون فيما تقرر في الذمة كأن تقترض مائة جنيه تدفعها ١٠٥ جنيه .

ومعاملة الحكومة لموظفيها وللجمهور في مسألة صندوق التوفير والمساهمين في مشروعاتها ولموظفيها ، كل هذا من نوع المعاملة التي في الذمة ، ومثل الحكومة في ذلك كمثل كل هيئة تعامل آخرين مع فرق في بعض الوجوه ، إذ الربا الذي يأتي في البيوع بالتفاضل أو النسيئة لا حاجة إليه هنا فليست هذه المعاملات من قبيله .

ولنبدأ بالكلام على معاشات الموظفين هل فيها ربا أو شبهة ربا ؟ أم هي خالية من ذلك ؟ والمعترضون على السادة العلماء الموظفين لدى الحكومة في تناولهم هذه المعاشات لا حق لهم في اعتراضهم إطلاقاً .

ولنقرر شبهة هؤلاء المعترضين أولا فنبين أن المعاملة بقانون المعاشات فيها ربا قطعا على حسب ظنهم ، لأن الحكومة تستقطع من الموظف ٥٪ مثلا من مرتبه ثم تعطيه معاشا لنفسه في حياته ومعاشا لأولاده وزوجته بعده إن كان له أولاد أو زوجة ، وقالوا : ما تأخذه منه الحكومة في خصم الـ ٥٪ فيه تفاوت بينه وبين ما تعطيه تارة يطول عمر الموظف بعد إحالته إلى المعاش ، فيأخذ أضعاف ما استقطع منه ، وقد يكون له بعد ذلك زوجة أو زوجات وأطفال يأخذون معاشاتهم بحسب حكم القانون ، وخاصة القول بأن الحكومة ترث المتوفى مع ورثته في اقتسام ما كان يأخذه أو يستحقه من المعاش ، وتارة يموت الموظف ولا ورثة له فيكون كل ما استقطع منه ذهب إلى الحكومة بدون عوض ، وكان الموظفون الذين لا عقب لهم يفضلون أن لا يعاملوا بقانون المعاش ، لذلك لأن ما يخصم منهم لا يرد عليهم . فيرى هؤلاء المعترضون أن هذه معاملة بين اثنين فيها غبن أو فيها ربا صريح لأخذ أحد الطرفين من الآخر زيادة عما استحقه بغير عوض مقابل ، وكأن الحكومة مثلا أخذت ممن لم يتمتع بكل ما خصم منه مدة الخدمة وأعطتها من استمتع بأكثر مما خصم منه . وهذه شبهة يتحدث بها كثير من الموظفين ويعترضون بها على الموظفين وخاصة من كانوا من العلماء وعلى الحكومة معا . والجواب أن ذلك ناشئ عن عدم تحرير الموضوع وعدم فهم حقيقة هذه المعاملة بين طرفيها .

وذلك أن الحكومة في هذا كله طرف أول وكل موظف طرف ثان يتعامل مع الحكومة على أساس قوانين في أجور ومرتبات الحكومة للموظفين وفيما تعاملهم به في حالة المعاش والتقاعد وتعامل به أسرهم ، فليست الحقيقة أن الموظف بمائة جنيه مثلا في الشهر أنه استحق جميع هذا القدر وأن الحكومة أخذت منه هذا الاستقطاع ديناً

عليها ثم ردته إليه في المعاش بأقل أو بأكثر حتى يأتي التفاوت بين ما أخذ منه وما أعطى له ويقع الغرر وتقع شبهة الربا كما يصفه المتورعون لأول وهلة .

بل إن الموظف دخل مع الحكومة على أن يخدمها بأجور هي كذا بحسب قانون المستخدمين (الكادر) ويأخذ في المعاش كذا إن عاش بعد الخدمة أو يأخذ ورثته كذا بحسب قانون المعاشات .

فلم يكن هناك معاملة في الذمة استقر بها حق للموظف بالاستقطاع منه أثناء الخدمة ثم يرد له في المعاش حتى يقال إن هذا الذي تقرر له في ذمة الحكومة أخذه كاملا أو ناقصا أو يقال إن الحكومة أخذت من بعض الموظفين وأعطت الآخرين ، كل هذا غير صحيح ، وإذا لم يكن هناك حقوق تقررت في الذمة بين الطرفين فليس هناك ربا من هذا النوع . فليطمئن العمال والموظفون لمعاملاتهم الحالية ومرتباتهم الشهرية ، ومعاشاتهم أنها خالصة من الربا والغرر وشبهة الربا والغرر ما دامت للحكومة قوانين يدخل الموظف مع الحكومة على أساسها ، وحينما يختلف معها تفصل فيه المحاكم المدنية كما تفصل في كل الحقوق .

وفي مقال تال نتكلم عن صندوق التوفير وما فيه من الحكم الشرعي الذي ينطبق عليه إن شاء الله تعالى

محمد عبد المنعم القبانى

حياء المعتذر

سأل رجل ابن العلاء حاجة ، فوعده بها ، ثم تعذرت عليه . فلقيه الرجل وقال له : وعدتني وعدا فلم تنجزه !

فقال ابن العلاء : فمن أولى منا بالغم ، أنا أو أنت ؟ قال له الرجل : أنا .

فقال ابن العلاء : بل أنا أولى بالغم ، لأني وعدتك ، فأبت أنت بفرح الوعد ، وأبت أنا بهم الإنجاز . ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة ، فلقيتني مدلا ، ولقيتك محتشما ، فصرت أولى منك بالغم .

دعوة الإسلام
ومنهجها في الإصلاح

تمهيد وتعريف :

« الفطرة الإنسانية وصلتها بالدين والتدين »

قضت إرادة الله ومشيئته ، أن يجعل خليفة في الأرض ، يكون مظهرا لأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، يقيم به سننه في خلقه ، ويظهر به بديع صنعه في ملكوته ، ويجلى به بالغ حكمته في عدله وحكمه ، ويستودعه أمانة التكليف والابتلاء ، ويجرى عليه أحكام المسئولية والجزاء ، وذلكم الخليفة هو آدم أبو البشر ، الذي اختاره الله لهذه الخلافة الأرضية ، وعهد بها من بعده إلى أبنائه وذريته ، وقد قرر القرآن هذه الحقائق التي أشرنا إليها ، كقوله جل جلاله في سورة البقرة « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون . — ٣٠ » وفي سورة الأنعام « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ، إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم . — ١٦٥ » وفي سورة الكهف « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . — ٧ » وفي سورة الذاريات « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . — ٥٦ » وفي سورة النجم « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى . — : ٣٩ — ٤١ » فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما في معناها ، تبين لنا في وضوح وجلاء ، الحكمة التي من أجلها خلق الله الإنسان ، وجعل له في الأرض مستقرا ومتاعا إلى حين » .

ولما قضت حكمة الله البالغة ، وإرادته النافذة ، أن يكون الإنسان في تكوينه وفطرته ، متمشيا مع مقتضيات هذه الخلافة وحكمتها ، لم يجعله سبحانه ماديا محضا ، ولا روحانيا بحتا ، بل جعله وسطا بين المادية الحيوانية المحضة ، والروحانية الملكية البحتة ، فمنحه من كل منهما حظا ونصيبا ، وأقام نظام حياته في الدنيا ، على قواعد

الإرادة والاختيار ، وأصول الفكر والنظر ، لا على نواميس القسر والإلجاء ، ودوافع الإلهام والإيحاء ، وهيأ له من السنن الكونية والمواهب الفطرية ، ما جعله مستعدا لهذه الخلافة التي اختير لها ومتمكنا من الوصول إلى الغاية التي خلق لأجلها .

ويتجلى هذا الإعداد الإلهي ، في مظاهر المواهب الإلهية الآتية

الموهبة الأولى : أن الله جلت قدرته وعظمت نعمته ، سخر للإنسان ما في الكون من عوالم الأرض والسموات ، كما قال جل جلاله في سورة لقمان : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » ٣١ : ٢٠ » وفي سورة الجاثية « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ٤٥ : ١٣ » فهذه العوالم الكونية التي نراها والتي لا نراها ، خلقت مسخرة للإنسان بنواميسها وأسرارها ، وخلق الإنسان مستعدا لتسخيرها والانتفاع بها ، بما منحه الله من مواهب العقل والفكر ، وملكات البحث والنظر ، وطرائق الهداية والرشد ، وها هو اليوم قد عرف من أسرار العوالم الكونية ونواميسها ، ما جعله يجوب الآفاق ، ويحلق في الهواء ، ويسبح في أعماق المحيطات ، ويجعل من موات الأرض مدائن وأمصارا ، ومن قفارها حدائق وورودا ، ولا ندري ما الله فاعل به غدا ، وتبارك الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (١) .

الموهبة الثانية : أنه تعالى أودع في فطرته من النوازع والغرائز ، ما جعله مستعدا لأن يحيا حياة طيبة كريمة ، في مجتمع طيب كريم ، إذا هو استعمل هذه المواهب في المقاصد التي خلقت لأجلها ، واتجه بها إلى مواطن الخير والكمال ، وسلك في الانتفاع بها مسالك الحكمة والاعتدال ، وجعله مستعدا مع ذلك ، لأن يعيش في ظلمة الخطيئة والإثم ، وجحيم الشقاء والبؤس ، إذا هو استعملها في غير ما خلقت لأجله ، وسلك بها مسالك الشر والفساد ، وأطلق لنفسه عنان الأهواء والشهوات وأفلتها من قوانين الفضائل والكمالات ، فالإنسان بطبيعته وفطرته ، مستعد للخير والشر على السواء ، ليتحقق بذلك مناط التكليف والابتلاء ، وأهلية المسئولية والجزاء ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل في سورة الإنسان : « إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » ٧٦ : ٣ »

---

(١) هذه الفقرة مقتبسة من آية ٥٠ من سورة طه .

وفي سورة الشمس « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » ٩١ : ٧ – ١٠ » وفي ذلك يقول علي كرم الله وجهه فيما يروى عنه :

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

الموهبة الثالثة : أنه تعالى منحه عقلا نورانيا ، يتدبر به عواقب ما يأتي وما يدع ، ويزن به مدارك الحواس ومطالب الغرائز ، ويميز به بين الحق والباطل ، ويتعرف به مواطن الخير والشر ، ويستظهر به مواقع الصواب والخطأ ، ويهتدي به إلى معالم السير على الصراط المستقيم ، ويفتح أمامه أبواب الفكر وطرائق النظر ، فيما يحيط به من عوالم الأرض والسموات ، وبهذه المنحة الإلهية والموهبة الربانية ، استطاع الإنسان في أطواره المتقدمة ، أن يسبح بعقله في بيداء هذا الوجود ، وأن يطالع بفكره أسرار ما يحيط به من الكائنات ، وأن يتخذ له من عوالم الكون وظواهره ، مرشدا يسترشد به في حياته ، ورائدا يهتدي به في تنظيم شئونه ومعاشه ، ومعينا يستعين به في جهاده وكفاحه ، وهو في ذلك بين علو وهبوط ، ونهوض وسقوط ، تارة تتجلى له الحقائق ، وتارة تلتبس عليه الطرائق ، ومرة يدفعه الرجاء والأمل ، ومرة يقعده الإخفاق والفشل ، وطورا تسعفه الأقدار المواتية ، وطورا تعوقه العوائق القاهرة ، وهكذا كتب الله عليه في أم الكتاب ، أن تكون حياته حياة كفاح وصراع ، يصارع الأحداث وهي تصارعه ، فأحيانا يصرعها وأحيانا تصرعه ، كان ذلك في قضاء الله قدرا مقدورا ، وسيبقى كذلك حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

الموهبة الرابعة : أنه تعالى أودع في فطرته وطبيعته ، شعورا وجدانيا بقوة غيبية قاهرة ، خلقت هذه العوالم الكونية على اختلاف أنواعها ومظاهرها ، ووضعت لها هذا النظام البديع المحكم ، وسخرت لها وسائل الحياة والبقاء ، ويتجلى هذا الشعور الفطري فيه بأجلى مظاهره ، في مواقف الشدائد التي لا يستطيع دفعها ، عند ما يجد نفسه متجها بأحاسيسه ومشاعره ، إلى صاحب هذه القوة الغيبية القاهرة ، يطلب منه الهداية فيما لا يهتدي إليه عقله وفكره ، ويستمد منه المعونة فيما تعجز عنه حيلته وقدرته ، كما

يشير إلى ذلك قول الله عز وجل في سورة فصلت : « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض » ٤١ : ٥١ » وفي سورة النحل : « وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون » ١٦ : ٥٣ » وفي سورة الروم : « وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ، ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون » ٣٠ : ٣٣ » . فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما في معناها ، تدل دلالة لا لبس فيها ولا خفاء ، على أن الشعور بالقوة الغيبية القاهرة ، غريزة كامنة في أعماق النفوس ، وطبيعة متمكنة في حنايا الضلوع ، وأن الناس وإن ضلوا عن طريق الحق ، واتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويتقربون إليها ، إلا أنهم إذا أحاطت بهم الشدائد ، وتقطعت بهم الأسباب ، وضاقت عليهم مسالك النجاة ، فإنهم يلجأون بفطرهم ووجداناتهم ، ويتجهون بأحاسيسهم ومشاعرهم ، ويجأرون بالدعاء والاستغاثة ، إلى الله ذي القوة القاهرة ، لا إلى آلهتهم ومعبوداتهم .

ومن هنا يتبين لنا في وضوح وجلاء ، أن الاعتراف بخالق الكون أمر مركوز في الفطرة ، مهما ضلت العقول والبصائر ، وغلبت الأهواء والشهوات ، ومما يؤيد هذه الحقيقة وضوحا وجلاء ، أن المشركين وهم عبدة الأصنام والأوثان ، كانوا يعترفون لله بالخالقية مع شركهم في العبودية كما قال تعالى في سورة الزخرف : « ولئن سألتهم من خلقهم ، ليقولن الله ، فأنى يؤفكون » ٤٣ : ٨٧ » ، أي فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ، وفي سورة العنكبوت : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ، ليقولن الله ، فأنى يؤفكون » ٢٩ : ٦١ » . وكانوا يقولون في شأن أوثانهم ومعبوداتهم ، ما حكاه القرآن عنهم في سورة الزمر : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ٣٩ : ٣ » .

وهذا الشعور الغريزي الذي تحدثنا عنه ، هو الدين الفطري الذي قامت عليه تعاليم الدين التشريعي، الذي بعث الله به النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الموهبة الخامسة : أنه تعالى أودع في فطرته وطبيعته ، إحساسا وجدانيا بالنقص والكمال ، والفجور والتقوى ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل في سورة الشمس : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها » ٩١ : ٧ – ٨ » .

وبهذه الموهبة الفطرية الإلهية ، قام للإنسان بجانب هداية العقل والحواس ، رقيب

لا يغفل عن مراقبته ، وحسيب لا يهمل فى محاسبته ، يراقبه فى سره وجهره ، وفى همه وعزمه ، فإن وجد فيما هم به صلاحا وخيرا ، حبب إليه المضى فى إمضائه وإنفاذه ، وإن وجد فيه فسادا وشرا ، كرّه إليه الإقدام على فعله ، وبالغ فى تحذيره من سوء عاقبته ، ثم هو مع ذلك يحاسبه على كوامن أسراره وظواهر أعماله ، فإن رأى فى سلوكه استقامة على الطريقة المثلى ، تتمثل فى سلامة الصدر من الأحقاد والأضغان ، وعفة اللسان عن الفحش والسباب ، والتميز بالأدب النفسى من محاسن الأخلاق وذميم الأفعال ، والترفع بالأقوال والأعمال عن مظاهر الرياء والنفاق ، والإحسان فى المعاملة والمعاشرة والجوار ، والحرص على أداء الواجبات والحقوق ، والوفاء بالالتزامات والعقود والعهود ، نفث فى روعه وحيا خفيا ، يملأ جوانب نفسه بالراحة والطمأنينة ، ويفتح له آفاق الحياة الطيبة الكريمة ، وإن رأى فى سلوكه انحرافا عن الطريق المستقيم ، تتمثل مظاهره فى انطواء القلب على الحقد والحسد ، وخبث الطوية وسوء النية ، والتواء اللسان فى القول والمنطق ، ورميه بفحش الأعراض وخدش الكرامات ، وإفساد روابط الجوار والصلات ، والتحلل من قوانين الأخلاق والفضائل ، والمشى فى التباغض والتخاذل ، والتدسس فى الغش والتضليل ، والنفاق فى القول والعمل ، والتفريط فى الحقوق والواجبات ، والميل مع الأهواء والشهوات ، أخذ عليه باللائمة ، وصب عليه جام غضبه ، وقسا عليه فى التقريع والتأنيب ، ونغص عليه العيش وكدر صفو الحياة ، وجعل الدنيا فى وجهه أضيق من سم الخياط ، لأنه أطاع الهوى والشيطان ، وخالف وحى الفطرة والوجدان .

فهل شاقك أيها القارئ الكريم ، أن تعرف هذا الرقيب العتيد والناقد البصير ؟ إنه هو السر الإلهى الذى تعارف الناس على تسميته بالضمير .

بيد أن هذا الضمير وإن كان غريزة فى أصل الفطرة الإنسانية ، إلا أنه يختلف فى الأفراد والجماعات قوة وضعفا ، تبعا لاختلاف ما يعرض له من العوامل التى تنميه أو تضعفه ، فقد يعرض له من صلاح البيئة وكمال التربية ، ما يبلغ به من القوة والسيطرة على صاحبه إلى حد التحرج من الإقدام على أى قول أو عمل ، يكون فيه خدش للكرامة والشرف ، أو انتقاص للعزة النفسية وأخلاق الكريم ، فإذا ما زلت بصاحبه القدم ، أو نبا به اللسان ، أخذ منه الندم كل مأخذ ، وذهبت به الملامة كل مذهب ،

وأولئك هم أصحاب الضمائر الحية ، الذين بهم تستقيم الأمور ، وبهم تجتمع الشعوب على الألفة والمحبة ، وبهم تسعد الشعوب وتسود الأمم ، وقد يعرض له من فساد البيئة وسوء التربية ، ما يبلغ به من الضعف وفقدان السيطرة على صاحبه ، إلى حد عدم الإحساس بالعزة والكرامة ، والقيم الخلقية والآداب النفسية ، فلا يتأثم صاحبه من ارتكاب المآثم والجرائم ، والخروج على قوانين الأخلاق وآداب السلوك ، ولا يرى في ذلك سقوطا يوجب له المهانة والاحتقار ، ويسجل عليه العار والشنار ، وأولئك هم الذين ماتت ضمائرهم ، وفسدت فطرهم ، وذهبت أصول الخير من نفوسهم ، وأولئك هم آفة المجتمع في كل زمان ومكان .

هذه هي أصول المقومات التي قامت عليها فطرة الإنسان ، والتي جعلته مستعدا لخلافة الأرض وعمارتها ، وبهذه الفطرة الجامعة بين الروح وأسرارها ، والمادة وخواصها ولوازمها ، اشتملت طبيعة الإنسان على عنصرين متباينين في الماهية والخواص : أحدهما عنصر مادي ، يخضع لقوانين المادة وخواصها ، وثانيهما عنصر روحي ، يسمو بروحانيته فوق قوانين المادة ونواميسها ، ومن هنا نشأت معركة الصراع بين الروح والمادة ، وتجلت مشاهدها في سير الإنسان وسلوكه ، فقد قامت بين العنصرين حرب لا تضع أوزارها ، ومعمعة لا ينتهي صراعها ، كل يريد أن يجتذب الإنسان في حياته وسلوكه ، إلى مقتضياته ومطالبه ، فالعنصر المادي يريد أن ينزل به إلى حضيض المادية ونقائصها ، والعنصر الروحي ، يريد أن يرتفع به إلى أفق الروحانية وكمالاتها ، غير أن الله جلت قدرته وعظمت حكمته ، لم يتركه أمام هذا الصراع العنيف بدون مدد معين ، به يكون انتصار أحد العنصرين على الآخر ، بل فتح له باب الإمداد الغيبي الإلهي ، وأجراه على سنة حكيمة عادلة ، تقوم على مقتضى توجيه الإنسان لميوله وغرائزه . وهذه السنة الإلهية هي أن « الإمداد على قدر الاستعداد » .

وتوضيح هذه السنة وتأويلها : هو أن الإنسان إذا ما أعد نفسه لمدد الإضلال والخذلان ، بأن وجه ميوله وغرائزه إلى مسالك الشر والفساد وآثر داعي الهوى والشيطان على وحي الفطرة والوجدان ، أمده الله بمدد الإضلال والخذلان ، وإذا ما أعد نفسه لمدد الهداية والتوفيق ، بأن وجه أمياله وغرائزه ، إلى طريق الخير والرشاد ، وآثر هداية الوجدان والفطرة ، على طغيان الهوى والشهوة ، أمده الله بمدد الهداية والتوفيق ، والمعونة والتأييد .

وبهذا المدد الإلهي الثنائي ، يكون السبب لأحد المصيرين عن الآخر ، ويتقرر مصير المعركة القائمة بين الزيغ والهداية ، وقد قرر القرآن هذه السنة في مواطن كثيرة ، كما ترى ذلك في الآيات الآتية . « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » ٨ : ٢٣ » ، « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » ٢ : ١٠ » ، « ويمدهم في طغيانهم يعمهون » ٢ : ١٥ » ، « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » ٦١ : ٥ » ، « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » ٤٣ : ٣٦ » ، « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم » ٤٧ : ١٧ » ، « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى » ٩٢ : ٥ — ١٠ » .

فهذه الآيات القرآنية وغيرها ، جاء فيها ترتيب الإمداد الإلهي بالهداية أو الإضلال على مقتضى ما يكون من اتجاهات الإنسان بأعماله ونياته ، إلى طريق الخير والكمال ، أو مسالك الشر والفساد ، وهي صريحة في تقرير هذه السنة الإلهية المحكمة ، وهي سنة الإمداد على قدر الاستعداد .

أما الحقائق التي تستخلص من هذه النظرة الإنسانية ، والتي توضح صلتها بالدين والتدين ، فهي موضوع الحديث التالي إن شاء الله ،،

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

الاتحاد المصري السوري

في الخطاب الذي أفضى به الرئيس جمال عبد الناصر عضو الأمة إشارة للعلاقات بين مصر وسوريا ، وتحية كريمة للجارة الشقيقة التي وقفت مع مصر في أحلك الأوقات ، وناصرت قضية التحرير العربي أقوى ما تكون المناصرة ، وتحملت — وهي الدولة الصغيرة العربية — كل تضحية في سبيل تحقيق الخير العربي المشترك ، وإشارة أيضا إلى الاتحاد بين البلدين والرغبة الشاملة في إخراجه إلى حيز التنفيذ .

حصوننا مهددة من داخلها

— ١ —

يظن بعض الناس أن الدول القوية هي التي تملك عددا ضخما من عدد القتال وآلاته ، وتنتج مقادير هائلة من المصنوعات التي تغمر أسواق العالم ، وحقيقة الأمر أن هذه الدول لا تتاح لها القوة حتى تكون من وراء كل هذه العدة الهائلة وذلك الإنتاج الضخم خلق متين يجمع أهلها ويشد بعضهم إلى بعض ، ويعطف كل واحد منهم على أخيه ، ويمنع عناصر الفساد وأسباب الفرقة والخلاف أن تتسرب إلى صفوفهم وتنخر عظامهم . إن الدول لا تسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمال ، ولكنها تسود وتعلو بالخلق المتماسك، وأعلى مصادر الخلق المتماسك وأعمقها جذورا وأدومها آثارا هو الدين . فهو الذي يجمع الناس على التواد والتراحم ، وينفي عنهم ما طبعت عليه النفس البشرية من الشح ، ويكف بعضهم عن بعض ، وهذه هي دول الغرب ، يستطيع كل ذي بصر أن يرى — كما رأى المؤرخ الإنجليزي توينبي من قبل ، منذ الحرب العالمية الأولى — مظاهر تدهورها وانحلالها وهي في كامل عددها الصناعي والآلي ، لم يعوزها المال ولم تنقصها الآلات ولا المعارف الفنية ولا العلوم العقلية ، ولكن أعوزها الخلق والدين ، فسرى الفساد في جسدها ودب الخلاف في صفوفها . إن مظهر هذه الدول الضخم قد يخدع كثيرا من الناس فيظنون أن نهايتها بعيدة ، والحقيقة أن الدول الكبيرة لا تصغر ولا تذوي ولا تنكمش ، ولكنها تنهار كما ينهار عمود الخشب الضخم الذي نخر السوس لبه . كذلك انتهت كل الدول الكبرى من قبل ، في أثينا وفي روما وفي بغداد وفي الأندلس وفي الأستانة . انتهت حين كانت عظمتها ومظاهر الترف فيها تخدع النظر عن السوس الذي ينخر عظامها .

وما ينبغي لنا أن نغفل عن هذا الدرس الماثل أمام أعيننا بل علينا أن نعي ما حفظه التاريخ من دروس ومن عظات . يجب أن نعرف معرفة اليقين أن التقدم الصناعي لا يغني عنا شيئا إذا دب فينا دبيب الخلاف ، فتفرقت بنا السبل وتوزعتنا الأهواء والآراء ، ومزقتنا الدعوات المتنافرة التي يناقض بعضها بعضا . والدين واللغة هما أهم دواعي الألفة

والتماسك في كل مجتمع إنساني . فالدين هو الذي يوحد العقائد والأمزجة ، فيجتمع الناس فيما يحبون وفيما يكرهون ، وفيما يأملون وفيما يخافون ، وفيما يقدسونه وفيما ينفرون منه ، على ألوان معينة من غذاء الأذهان والنفوس . واللغة هي الوعاء الذي يشتمل على ذلك كله ، وهي أداة التفاهم التي لا يتم بدونها تواصل . ثم الأدب بعد ذلك يجمع أمزجة الناس وأذواقهم على ألوان معينة من الأساليب البيانية في الخيال الفني . لذلك كانت المساجد والمؤسسات التي تقوم على صيانة الدين واللغة هي بمثابة الحصون والمعاقل التي تسهر على حمايتنا وسلامتنا ، وكانت العناية بأمرها خليقة أن تنال من اهتمامنا مثل ما تناله العناية بإعداد العدة الحربية والصناعية بل أشد . وشر ما يطرأ على هذه المعاقل من الوهن أن تؤتى من بعض الذين قد وكل إليهم حمايتها والدفاع عنها حين يخونون الأمانة ، فيتسللون متلصصين إلى الأبواب يفتحونها للأعداء المهاجمين بليل ، والحماة الساهرون في غفلة لا يشعرون . من أجل ذلك سوف أتناول في هذه السلسلة بعض معاقل الدين واللغة ، منبها إلى ما طرأ عليها من انحراف بعض حراسها .

ولا شك أن وزارات التربية والتعليم هي أهم هذه المعاقل والحصون الساهرة على أمن الشعوب وكيانها ، لأنها هي المؤتمنة على أثمن ما تملكه الأمة من كنوز ، وهي الثروة البشرية بما تحتوي عليه من قوى مادية ومن ملكات عقلية وخلقية ، ممثلة في رجال الغد الذين تشرف على تربيتهم ، وهي ثروة تتضاءل إلى جانبها كل كنوز الأرض لأن كنوز الأرض لا تساوي شيئا بدونها . فالعقل هو الذي يستخرجها من مكامنها ويحيلها من مادة صماء جامدة إلى قوة حية منتجة ، والخلق القويم هو الذي يدفع الناس إلى إحسان هذا العمل وإلى بذل الجهد فيما وكل إليهم من أمور ، أداء للأمانة ، وابتغاء للعزة والسيادة وإعلاء الحق .

وقد أصبحت مطامع أمريكا في هذه المنطقة وعداوتها للذين يتصدون لحراستها ويتزعمون نهضتها مشهورة لا تخفى ولا تحتاج إلى بيان . فاتصال القائمين على شئون التربية والتعليم في هذه الأمة العربية بالمؤسسات الأمريكية ، والتعاون معها في ترويج مبادئ وأساليب يقال إن المقصود بها هو رفع مستوى التعليم وإصلاح شئون الجيل الجديد ، أمر لا يصدقه العقل ولا يتفق مع ما يبدون من محاولات ظاهرة وخفية لابتلاع هذه الأمة والكيد لها . فالذين يشتركون في المؤتمرات الأمريكية ، والذين يتعاونون مع دور النشر الأمريكية ، وكلها ممولة من مصادر مريبة ، يسخرون من عقولنا ، ويخدعون أنفسهم إن زعموا أنهم يخدمون أمتهم بالاشتراك في هذه المؤسسات ، لأن الأموال

الأمريكية التي تنفق بسخاء يبلغ حد السفه على هذه المؤتمرات وعلى هذه البحوث لا يمكن أن تستهدف خير هذه الأمة ونفع أهلها .

وقد وقع بين يدي في هذه الأيام كتاب أصدرته الجامعة الأمريكية ببيروت في العام الماضي (يوليو ١٩٥٦) ، يحتوي على محاضرات في علم التربية ، هي سجل لما دار في مؤتمر دعت إليه هذه الجامعة ، واشترك فيه جماعة من كبار المسئولين عن التربية في مصر وفي سوريا والعراق والأردن ولبنان . وقد مثلت ثلاثة من هذه البلاد في ذلك المؤتمر الأمريكي ثلاثة وزراء سابقين للتربية والتعليم . فمثل مصر إسماعيل القباني ، ومثل العراق عبد الحميد كاظم ، ومثل الأردن أحمد طوقان ، والأخيران من تلاميذ الجامعة الأمريكية الداعية لعقد هذا المؤتمر ، وقد كان العضو الأردني يشغل عند عقد هذا المؤتمر منصب مستشار لشئون اللاجئين الفلسطينيين في منظمة الإغاثة الدولية . أما البلدان الباقيان — سوريا ولبنان — فقد مثلهما رجلان من كبار المسئولين عن التعليم وهما جميل صليبا عميد كلية التربية في الجامعة السورية ، ونجيب صدقة المدير العام لوزارة التربية الوطنية والفنون في لبنان . وقد اشترك مع إسماعيل القباني في هذا المؤتمر عضو مصري آخر هو حامد عمار الأستاذ في معهد التربية العالي بجامعة عين شمس ورئيس قسم التدريب في المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي بسرس الليان .

وهذا المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي لا عمل له إلا (سلخ) الريف العربي من دينه وخلقه وعروبته ، و (طبعه) بالطابع الأمريكي . وهو يتولى هذه المهمة إتمامًا لما بدأه الغرب من جهود في فرنجة هذه المنطقة ، بعد أن تبين المستشرقون الذين يبحثون في شئون هذا الشرق الإسلامي والعربي أن تأثير الفرنجة أو ما يسمونه Westernisation لم يتجاوز المدن ، لأن كل الوسائل والأساليب التي يستخدمها الغربيون في هذا الصدد من صحافة ودعاية ومؤسسات علمية أو اجتماعية وسينما وشراء الأقلام والذمم والرجال إلى آخر ما هنالك ، كل ذلك لا يصل إلى الريف ، ولا يتجاوز حدود المدن . فما الذي صنعته أمريكا لتلافي هذا النقص ، والاحتيال لدخول الريف الذي عجز التبشير وعجزت الأساليب الاستعمارية العتيقة عن اقتحامه إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة ؟ اخترعت أمريكا تحت ستار (الدولية) وعن طريق (الأمم المتحدة) شيئًا اسمه « التربية الأساسية » . وما هي التربية الأساسية ؟ يقول الدكتور حامد عمار في بحثه الذي ألقاه في هذا المؤتمر الأمريكي : « التربية الأساسية منهج من مناهج الإصلاح

الاجتماعي لرفع مستوى المعيشة يؤكد قيمة العملية التربوية و (تغيير الأفكار والنزعات) إلى جانب تغيير الأوضاع المادية – ص ٩٢ محاضرات في نظم التربية » . ويقول في موضع آخر « تسعى التربية الأساسية إلى محاولة تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات ، كما تسعى إلى تغيير في الأوضاع المادية في الدائرة التي تخدمها ، ويؤمن دعاة التربية الأساسية أن كل عمل أو مشروع مادي لابد أن يسبقه ويصاحبه ويتبعه تغيير في تفكير الناس ، وفي الاتجاهات الفكرية والنفسية ، حتى يمكن أن يكون العمل منتجا إنتاجا كاملا – ص ٨٥ » .

وواضح أن (تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات) الذي أشار إليه الباحث يقوم على أسس غربية خالصة ، تروج باسم العلم – علم مزعوم لا يستقر له قرار ولا يجتمع في ظاهرة رأي يتفق عليه أصحاب الرأي ، يسمونه « علم النفس » – وواضح أيضا أن هذا (التغيير) – تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات – لا يبالي أن يخالف الإسلام ومبادئه في الريف المسلم ، لأن القائم على هذا (التغيير) ليس هو مشيخة الأزهر ، ولكن القائم عليه هم مجموعة من (الخواجات) يحركون خلف الشخوص العربية التي تبدو للناظر وكأنها تتحرك بإرادتها ، وواقع الأمر أنه لا إرادة لها ، وإنما تسير في خطوط مرسومة ، وحسب خطط مدبرة تفرض عليها ، أقل ما يوصفون به أنهم لا يبالون بالإسلام وتعاليمه إن لم يكونوا معادين لها يعملون على محوها واستئصالها من نفوس الناس ، ولهم في ذلك أساليب خبيثة يتسللون عن طريقها إلى قلوب أهل الريف السذج الطيبين . وسوف لا أصف لك أنا هذه الأساليب ، ولكني سأدع الخبير المصري المحترم في هذا المؤتمر الأمريكي يقدم لك صورة منها بألفاظه كما جاءت في الكتاب الذي بين يدي .

فأول مراحل العمل في الريف هي « مرحلة التعرف » ، [وهدفها أن يعرف العامل الاجتماعي طريقه في القرية بصورة عامة وأن يألفه الناس ويألفهم ... ومن المستحسن أن تكون هذه المرحلة من العمل مرحلة فيها شيء من الاسترخاء وأخذ الأمور بأخذ غير محدد ، إذ أن هذا الهدوء والاسترخاء ضروريان لتأسيس العلاقات الاجتماعية وتمتينها وبخاصة إذا تذكرنا أن الفلاح سريعا ما تأخذه الريبة ويتولاه الشك إذا قرب إليه ما هو غريب عليه في أمر من الأمور ... ثم إنه لا بد من التعرف على قادة القرية الطبيعيين الذين يعتبرون عناصر فعالة في تكوين الرأي العام والتأثير فيه ... وليس من المهم أن يكون

هؤلاء القادة من النوع الذي يرحب به المصلح ، ولكنه لابد من الاعتراف بهم و (استخدامهم) .

وإذا كان العرف يتطلب الاتصال والزيارة ومبادلة الحديث فإن هذا شرط لازم ، وليس بكاف في كثير من الأحيان ، وربما كانت القيام بعمل إنشائي صريح من أنجع الوسائل لكسب الثقة وتأسيس علاقة طيبة مع الأهلين . وقد تبين بالتجربة أن دق طلمبة مياه بالقرية ، أو إصلاح دورات المياه بالجامع ، أو مقاومة الآفات الحشرية في الزراعة ، كان من أقوى العوامل التي وثقت الصلة بين أهل القرية وبين المشرفين على مختلف جوانب الخدمة الاجتماعية فيها . وأذكر أن زجاجات قطرة العيون كانت من أهم الوسائل التي اكتسبت بها آنسات المركز الدولي للتربية الأساسية ثقة نساء القرية [١]. ص ٩٨ إلى ١٠٠) .

ويتكلم الدكتور حامد عمار بعد ذلك عن المرحلة الثانية وهي « مرحلة الدراسة والبحث » التي « يقوم فيها المشتغل بميدان التربية الأساسية أو الخدمة الاجتماعية بجمع المعلومات والبيانات اللازمة جمعا منظما بحيث تكون معرفته بظروف القرية معرفة لا تقوم على مجرد الإحساس ... بل على الاستقصاء للحقائق وتنظيمها ، حتى يستعين بها في رسم خطته وتنفيذ برنامجه ... ومن البحوث المفيدة أيضا تسجيل مختلف العادات والطقوس التقليدية التي تشكل حياة الريفيين وتتابع كثيرا من نواحي نشاطهم ... ومن الأمور العملية المفيدة في هذه البحوث الكيفية الاحتفاظ بمذكرات أو يوميات يسجل فيها الباحث ملاحظاته ومجريات الحوادث وظروف العمل أثناء إقامته في الريف ، ولاشك أن مثل هذه المذكرات هي المادة الخام التي نستطيع أن نعتمد عليها في فهم ظروف الحياة الريفية فهما ديناميكيا يعبر عن الواقع وتفاصيل الحياة اليومية » (ص ١٠٠ إلى ١٠١)

من الذي يشرف على إدارة هذا الجهاز ، وعلى جمع كل هذه المعلومات والدقائق ؟ هيئة أجنبية ، وليكن اسمها ما يكون ، لتسمى هي « التربية الأساسية » أو « الخدمة الاجتماعية » أو ما شئت من هذه العناوين الخلابة . هل هناك وسيلة لجاسوسية أحسن وأرخص وآمن

[١] ألا ترى وجه الشبه بين أساليب آنسات المركز الدولي وبين أساليب المبشرين ؟!

من هذه ؟ تجمع الخبثة وتتآمر بها ، الخبيث منهم والمغفل ، مدفوعات من المعونات في هدوء واطمئنان ، دون أن يثير عملها ريبة أحد ، بل إنها تلقى المساعدة الكاملة من الجهاز الحكومي ، وتيسر لها سبل توثيق الصلات بالناس ، وتترك لها الفرص لتعمل في نطاق وفي مهل وفي غير عجلة . فهم جواسيس في ثياب أطباء ، يقفون على كل أسرار المريض الذي لا يخفى منه شيئا طلبا للشفاء ، وإذا هذه الأسرار تستغل في الغدر به ، وإذا هي فرص لاختيار أفضل الوسائل لهدمه وأمثل السبل لامتصاص ما في عروقه من دم .

أتريد بعد ذلك أن أحدثك عن هدف آخر مهم من أهداف هذه المؤسسات الأجنبية المريبة ؟ إن هذه المؤسسات تريد إفساد المرأة الريفية وهزيمتها . إنها تقوم باستئصال (حياء) المرأة الريفية المسلمة في النهار المبصر ، وعلى مسمع من كل ذي أذنين . هل تريد دليلا على ذلك ؟ إذن فاقرأ بحث الدكتور هارولد الن مدير التربية بمؤسسة الشرق الأدنى الذي ألقاه في مؤتمر أمريكي آخر تحدثت عنه من قبل وهو مؤتمر (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة (١)) ، وقد تولت نشره مؤسسة فرنكلين الأمريكية . وراجع في هذا الكتاب مقال الدكتور الن عن (العامل الريفي في الحضارة الإسلامية – ص ٢٦١ إلى ٢٨٨) . وسوف تتبين بعد قراءته أن الأساليب التي وصفها هذا الأمريكي مما اتبع في سوريا هي الأساليب نفسها التي وصفها الدكتور حامد عمار مما اتبع في مصر . وهذا الأسلوب الواحد الذي يذكرنا بأساليب الجواسيس والمبشرين يؤكد ما أعلنته من أن هذه الشخوص التي تبدو للناظر وكأنها تتحرك بإرادتها لا تتحرك إلا حسب خطة واحدة قدرها الذين صنعوا أن يجذبوا الخيوط من خلف ستار . ولنقف قليلا عند صفحتي ٢٦٧ ، ٢٦٨ من هذا المقال ، حيث يقدم الكاتب صورة من بيوت أمريكا – أو البيوت الدولية إن شئت – التي تتغلغل إلى صميم البيئات الإسلامية في الريف باسم الخدمات الاجتماعية أو الخدمات الصحية ، وسوف تدرك بسهولة أن الهدف الكبير لهذه المؤسسات – إلى جانب ما تجمعه من معلومات تفيد الجاسوسية السياسية والحربية – هو (أمركة الريف) ، والاهتمام فيه بالمرأة خاصة وبتوجيه الحركة النسوية . ونرى في هذا المقال أن هذه المؤسسة تختار موظفيها الذين يتعاملون مباشرة مع القرويين من الوطنيين ليكونوا أقرب إلى قلوب الناس . ويروي لك الكاتب ما حدث في (قبر الست) وهي إحدى قرى

(١) انظر عددي شعبان ورمضان من مجلة الأزهر ص ٧٣٩ – ٧٤٥ و ٨١٥ – ٨٢٠ من سنتها الماضية

سوريا . ذهب مبعوث المؤسسة الدولية – أو الأمريكية إن شئت – وهو شاب عربي اسمه « فؤاد مرج » إلى القرية ليعيش فيها ، واستطاع أن يقيم في حجرة من الحجرات المخصصة لإقامة زوار ضريح الست (والمقصود بها هي السيدة زينب رضي الله عنها حفيدة النبي صلى الله عليه وسلم) ، وأخذ يتلمس طريقه لممارسة نشاطه بعد أن وثق به أهل المنطقة واطمأنوا إليه ، فنجح في إدخال بعض التحسينات الزراعية ، وقدم ألوانا مختلفة من الخدمات الصحية لعامة السكان وتعليمهم ، ورش أبنية القرية كلها بمسحوق د . د . ت للقضاء على الذباب والبعوض ، ورصف الشوارع ، وأنشأ ناديا للشباب ، كما أنشأ دراسات مسائية في القراءة والكتابة للمتعلمين من الأميين ، وكون جمعية تعاونية . وبعد أن سرد الدكتور هارولد ألين ضروب النشاط التي قامت بها هذه المؤسسة الأجنبية ختم وصفه لهذه التجربة بالسطور التالية ، التي تدل على الهدف الحقيقي لهذا النشاط . قال : « وفي السنة المنصرمة بدأ الرجال الذين يعيشون في محيط هذا الرائد – بعد أن تحسن اقتصادهم وصحتهم تحسنا كبيرا نتيجة لجهوده الطيبة – يفكرون في حاجات مدنهم ، وهذا هو ما ظل فؤاد مرج ينتظره زمانا . ولقد أحيل الاقتراح إلى قسم رعاية المزارع بالمؤسسة المسئولة عن هذا العمل . فأعد برنامجا للنساء والأطفال يدار من مكاتب خدمتنا القروية بلا إيجار [1] » . ثم يعقب على ذلك بقوله : « إن المشروع الذي وصفناه هو جزء من تجربة تشمل اثنين وستين قرية ، يبلغ مجموع سكانها ستة وعشرين ألفا . وهو مثال لعشرات غيره من الجهود الفعالة المماثلة التي يمكن القيام بها – ص ٢٦٨ » .

---

[1] من القواعد الأساسية في مؤسسة [التربية الأساسية] حسب ما جاء في ص ٥٥ من الكتاب الذي نتكلم عنه في هذا المقال « الاتجاهات في نظام التربية » . [مساهمة الناس بالجهد أو بالمال أو في الفكرة أو في التنفيذ في أي عمل من الأعمال . ولا شك أن هذا يدعوهم إلى الشعور بأن هذا العمل أو المشروع جزء منهم وأنهم أصحاب حق فيه . وهو ما يحفزهم إلى رعايته والمحافظة عليه والاهتمام به] .
ويذكرنا هذا الأسلوب بأسلوب الجاسوس الإنجليزي الميجور لورانس حيث يصفه في كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » فيقول إنه كان يعيش بين العرب كأنه واحد منهم . ولم يزل يمعن في تقليدهم حتى أحسوا أنه واحد منهم وعند ذلك وجدوا أنفسهم منساقين إلى محاكاته وتقليده . فهو لم يفعل – كما يقول – شيئا بنفسه . وليس هناك من يمكن أن ينسب صراحة إليه ، إلا أن يكون من تأثيره في أفكار غيره وتحويلها إلى أغراضه . على أن العرب – كما يقول – كانوا يبدون في كل تصرفاتهم أحرارا يتأثرون بالقوة الصامتة إيجابا وسلبا حسبما يحلو لهم [ص ٢٩ من النسخة الإنجليزية طبعة أكسفورد سنة ١٩٤٣] .

والآن بعد أن طال الحديث عن المركز الدولي للتربية الأساسية أنتقل إلى مقالات الأعضاء الذين تحدثوا عن شئون التربية والتعليم في البلاد العربية ، وهي الأساس في عقد هذا المؤتمر . والهدف من هذه البحوث التي دعي أصحابها لإلقائها لا يخرج عن الهدفين السابقين اللذين أشرت إليهما من قبل : الجاسوسية ، والسيطرة على توجيه المجتمع . ففي مثل هذه المؤتمرات يتيسر استقاء معلومات دقيقة من مصادر موثوق بها ، كما يمكن معرفة الاتجاهات الفكرية لقادة الرأي والمسئولين في هذه البلاد . وهذه المؤتمرات – مثل المؤسسات الأمريكية والدولية التي أشرت إليها من قبل – هي أصلح الوسائل وأرخصها وأوثقها لجمع المعلومات الصحيحة الدقيقة التي تخدم الذين يرسمون الخطط السياسية والحربية لهذه المنطقة . ثم إن هذه المؤتمرات هي – من ناحية أخرى – وسيلة للاتصال القريب المباشر بالمسئولين ، يكسبون ودهم ، ويدرسونهم عن قرب ، ويختبرون مدى مناعتهم ومدى استعدادهم للتجاوب مع الأهداف الخفية للسياسة الاستعمارية ، كما يختبرون مواطن القوة ومواطن الضعف في كل واحد منهم لمعرفة أنجع الوسائل للاتصال بهم والتأثير عليهم . هذا إلى أن الكلام الذي يلقى في مثل هذه المؤتمرات – وهو عامل لا شك لوجهة نظر الداعي إلى المؤتمر – لا بد أن يلقى صدى في نفوس كثير من هؤلاء المسئولين من المدعوين .

أما خدمة هذا المؤتمر لأغراض الجاسوسية الأمريكية التي ترسم الخطط السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة ، فهي واضحة في كلمة الدكتور عبد الحميد كاظم وزير معارف العراق السابق ، التي ألقاها في هذا المؤتمر ، حيث أشار إلى ما طلب منه إعداده حين وجهت إليه الدعوة ، فقال : « إن خطاب الزميل الدكتور حبيب كوراني يشير إلى الرغبة في أن أتكلم عن تطور التربية في المملكة العربية خلال السنوات العشر الأخيرة [1] ، مشيرا إلى أهم الاتجاهات الحديثة من حيث : التنظيم ، والمنهج ، وإعداد

---

[1] السنوات العشر الأخيرة هي السنوات التي تبدأ بانتهاء الحرب الثانية [illegible] وهي الفترة التي اشتد بها تدخل أمريكا في شئون هذه المنطقة ، فأصحاب هذا المؤتمر يريدون الاطمئنان على مدى نجاح خططهم في خلال هذه السنوات العشر ، ولا شك أن أمريكا قد حققت بدولاراتها خلال هذه المدة ما لم تستطع الدبلوماسية الإنجليزية والجاسوسية الفرنسية ومؤامرات الاستعمار الظاهرة والخفية مجتمعة أن تحققه في قرن كامل .

المدرسين ، والتفتيش ، والامتحان ، وكذلك المشكلات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، التي تجابه التعليم في العراق ، مع بعض الحلول التي اتخذت أو يجب أن تتخذ لمعالجتها ، على أن تأتي هذه في محاضرتين . هذا هو المطلوب حتى حسبما جاء في الدعوة الموجهة إلى » ـ (ص ١٧٧ إلى ١٧٨) .

والذي يراجع ما ألقى في هذا المؤتمر من بحوث يتبين دقة المدعوين في التزام الوفاء بما طلب إليهم التحدث فيه على أكمل ما يطلبه الأمريكيون ويرجونه . فبحوثهم مدعمة بجداول إحصائية لا حصر لها في كل جانب من جوانب التعليم ، مما يقدم صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلادهم ، إلى جانب النظم التعليمية . والواقع أن أعضاء المؤتمر لم يقدموا هذه الجداول الإحصائية تبرعا من عند أنفسهم ، ولكنهم قدموها استجابة لطلب الذين دعوا إلى هذا المؤتمر ونظموه . فالدكتور حبيب أمين كوراني رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية ببيروت ـ وهو الذي وجه الدعوة لهذا المؤتمر ـ يقول في تقديم الكتاب الذي ضم ما ألقى فيه من بحوث : « . . . فدعونا لذلك نخبة من قادة الفكر وكبار رجال التربية في مختلف الأقطار العربية للمساهمة في هذه الدراسة ، وذلك بتقديم محاضرات تتناول أهم الأحداث الحديثة في التربية في أقطارهم من حيث الأسس الفلسفية والاجتماعية والنفسية التي ترتكز عليها التربية ، ومن حيث التنظيم والمنهج وإعداد المعلمين والتفتيش والامتحان بالاستناد إلى بعض الإحصائيات التربوية الهامة ويتناول أيضا عرض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تجابه التعليم ، مع بعض الحلول التي اتخذت والتي يجب أن تتخذ » .

أما المنطق التوجيهي من هذا المؤتمر فهو واضح في هذه المقدمة أيضا وفي سائر البحوث . يقول رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية ببيروت في مقدمته « لقد بدأ قادة التربية في البلدان العربية يحسون بالحاجة إلى تربية فعالة كوسيلة لمعالجة الوضع الخطير الذي أحدثته عوامل التطور في هذه البلدان » . ثم يقول بعد أن عرض هذه العوامل باختصار : « ونتج عن هذه تبدلات عميقة هي تبديلات جوهرية لا يمكن أن تحدث في مجتمع ما دون أن تحدث فيه تصادما بالأفكار والمثل والقيم ، ودون أن تتطلب تبديلا في مفاهيم ذلك المجتمع وآرائه ومعتقداته وطرق تنظيم معيشته . لذلك نجد أنفسنا في هذا الوضع مرغمين على إعادة النظر في مؤسساتنا التي تكونت ضمن الوضع القديم ، وفي المبادئ

والاتجاهات والأهداف التي يجب عليها تلك المؤسسات وتعديلها على ضوء الوضع العلمي والحضاري الحديث ، والوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي القائم في مختلف مجتمعاتنا ، كي تمكن من إعادة بناء حياتنا على أساس مبادئ وآراء ومثل بناءة صحيحة تتماشى مع الحضارة الإنسانية الراقية (١) ، وتمكننا من المساهمة الفعالة في تقدم ركب المدنية البشرية ورقيه ..

ولست أريد بعد ذلك أن أقدم صورة عما ألقي في هذا المؤتمر من بحوث ، فقد يطول بي الحديث إن أحدث فيه . هذا إلى أنه حديث يمس بلا شك صراحة وصف بالواقع الراهن للتعليم في هذه البلاد ، بما فيه من كلام كثير من رجال أمريكا في إنشاء مؤسسات التعليم المختلفة ومعاهده المدنية في شرق الأردن وفي لبنان خاصة ، وعما فيه من استهزاء بآدابنا وموارثنا ، يبعث في أوهام المشككين ثوب العلم . وكأن أحلام ما يسمونه علم النفس ودعاواه المتميزة المتناقضة التي لا تكاد تستقر قد أصبحت شيئا مقطوعا بصحته . فباسمه يدعو المدعوون إلى (تحطيم) ما توارثناه في أنفسنا من توقير الصغير للكبير ، غير مكترثين بما حاق بنظم التعليم وحق المتعلمين من خسران بعد أن فسدت صلات التلاميذ بمدرسيهم بحجة التقليد الأعمى والتقبل المجهول . وباسمه يقحمون أوامر ديننا ويتجاهلون آدابه الصالحة الرشيدة حين يدعون إلى خلط الذكور بالإناث ، وإلى إخراج المرأة للأسواق وامتهانها بين الرجال ، مما يعرضها ويعرض المجتمع الإنساني كله للفساد والانحلال ثم الانهيار ، وبما يحقق أحلام الداعين بهذا المؤتمر من تحلل ديننا والتجرد من الصحيح من تقاليدنا القديمة [illegible] الأمريكي المنحل ، وسيرا في أعقاب تجارب أثبت الواقع فشلها في حل مشاكل الناس في مواطنها الأصلية التي تنقل عنها ، بل لقد عقدت مشاكلهم وزادتها كما تدل عليه جداول الإحصائيات التي أثبتت اطراد الزيادة في النسب المئوية للانحراف والشذوذ والجرائم على اختلاف ألوانها ، وكما يصوره الواقع الملموس من انحلال أخلاق شبابهم ، واستهلاكهم قواهم وملكاتهم في العكوف على الشهوات ، وضعفهم عن حمل الأمانات والنهوض بالواجبات .

لا أريد أن أخوض في تفاصيل ما ألقاه المؤتمرون في هذا المؤتمر لأقدم صورا دقيقة

---

[١] لست أدري ما هو مفهوم « الرقي » و « الحضارة الإنسانية الراقية » في وهم صاحب هذا الكلام . هل هو كل ما جاء من الغرب المنحل وكل ما أخرجته قرون الجمود الأمريكي .

مطولة عما ألقى به من بحوث ، ولكني لا أستطيع أن أختم الكلام عنه دون الإشارة إلى أن هؤلاء المدعوين المختارين من الوزراء ومن في مستواهم قد ظلوا في ضيافة المؤتمر أربعة شهور كاملة ، بدأت بمحاضرة العصر العباسي الأول في نادي وست هول بالجامعة الأمريكية في ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥ وانتهت بمحاضرة العصر العراقي في ٢٦ أيار (مايو) ١٩٥٥ . وسيعجب القارئ للسخاء الذي أنفقت به الأموال على هذا المؤتمر وأمثاله . ولست أدري أيزول عجبه أم يزداد حين يعلم أن مؤسسة روكفلر هي التي قامت بكل النفقات ، ولكي يطمئن القارئ إلى صدق ما أقوله أنقل له السطرين الأخيرين من مقدمة حبيب كوراني رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية ببيروت حيث يقول : « إننا مدينون بالشكر أيضاً إلى مؤسسة روكفلر (Rockfeller Brothers' Fund) التي قدمت جميع نفقات هذا المشروع » . وقد كان يكفي أن أقول منذ البداية : إن الجامعة الأمريكية في بيروت هي التي دعت إلى هذا المؤتمر ، وإن جلساته عقدت في مقرها ، وإن مؤسسة روكفلر هي التي تكفلت بكل نفقاته ، لكي يغني ذلك عن كل تفصيل .

دكتور محمد محمد حسين
الأستاذ بجامعة الإسكندرية

في التعليم الثانوي

أعدت وزارة التربية والتعليم المصرية أمكنتها لقبول ٢٨٦٣١ طالبا وطالبة بالسنة الأولى المدارس الثانوية هذا العام ، منهم ١٦٨٨٠ طالبا بالمدارس الأميرية للبنين ، و ٤٣٠٩ طالبة بالمدارس الأميرية للبنات ، و ٤٩٢١ طالبا بالمدارس الحرة للبنين ، و ٥٦٦ طالبة بالمدارس الحرة للبنات ، و ١٩٠٥ طلبات بالمدارس الثانوية النسوية . ويلحق هذا من يقبلون بالمدارس التجريبية وكليتي السادات .

من تاريخ المسلمين في الهند :

ثورة الهند الدامية على الأنجليز

سنة ١٨٥٧ م

في العاشر من شهر مايو سنة ١٩٥٧ بدأت الاحتفالات في الهند وباكستان بمناسبة مرور مائة عام على ثورة الهند سنة ١٨٥٧ م ضد الإنجليز ، تلك الثورة التي ذهب ضحيتها آلاف من الشهداء ، والتي قضى على الدولة الإسلامية بعد فشلها ، وتمكن الإنجليز من حكم البلاد ، ونفوا آخر إمبراطور مسلم في الهند بهادور شاه ظفر إلى « رانجون » عاصمة « بورما » حيث ظل في سجنه هو ومن بقي من أسرته حتى لقوا ربهم ودفنوا هناك .

وقد خطب رئيس جمهورية الهند « راجندر برشاد » كما خطب الرئيس نهرو بهذه المناسبة ولفت نظر المواطنين في الهند إلى أن الإنجليز لم يستعمروا بلادهم إلا بعد التفريق بينهم . كما أقيمت حفلات متعددة في مختلف البلاد تمجيداً لهذه الثورة وضحاياها ، وأصدرت الصحف أعداداً خاصة عن تاريخها وخصصت الإذاعة برامج متنوعة عنها .

أما باكستان فقد خصصت هذه الذكرى المجيدة أسبوعاً كاملاً تحدثت فيه الاجتماعات والخطب من رجال الحكومة والعلماء والمؤرخين في جميع المدن . وأرسلت وفداً إلى « رانجون » ليضع أكاليل الزهور على قبر الإمبراطور « بهادور شاه ظفر » ، وعنيت صحفها عناية تامة بإبراز الدور الذي قام به المسلمون ، والنصيب الأكبر الذي تحملوه في التضحية من أجل دينهم ووطنهم وحكمهم ، ليستنقذوه من براثن الإنجليز الذين دخلوا البلاد باسم التجارة ثم ما لبثوا أن تحكموا فيها ، وكان للاذاعة الباكستانية نصيب الموفور كذلك في إحياء هذه الذكرى بجانب شقيقتها الصحافة .

* * *

ولقد أتيح لي أن أطلع على هذا الجانب المهم من تاريخ المسلمين في الهند وجهادهم الدموي ضد الإنجليز بمناسبة ما أقوم به من وضع كتاب عن تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند ، فظهرت أمامي كثير من الحقائق الهامة والمواقف العظيمة التي ألقى عليها الغبار

طويلا ، وأهملت إهمالا كبيرا حتى حيل بين قراء العربية وبين الاطلاع عليها ، ولهذا رأيت أن أنتهز هذه الفرصة فأكتب لمجلة الأزهر شيئا عن هذه الثورة وما سبقها من مقدمات وما خلفها من نتائج ، لأنى بذلك أؤدى واجبا على نحو تاريخ المسلمين فى هذه الفترة وفى هذه البلاد ، ومن عجب حقا أن هذه المناسبة التى احتفلت بها الهند وباكستان مرت دون أن تلقى أية عناية من الصحف والمجلات العربية الإسلامية .

وقد وجدت نفسى مضطرا حين بدأت الكلام عن هذه الثورة إلى أن أرجع إلى الوراء قليلا لأربط النتائج بأسبابها حتى لا يكون الحديث مبتورا ، وأطلع القارئ على المحاولات التى بذلها الغرب للتسلط على الهند وانتهت بسيطرة الإنجليز عليها وضمها نهائيا للتاج البريطانى .

• • •

منذ أن دخل محمود الغزنوى الهند فاتحا فى نهاية القرن العاشر الميلادى والحكم الإسلامى قائم فيها تتوارثه دولة عن أخرى حتى انتهى سنة ١٨٥٧ م تماما ، وكانت الممالك الإسلامية تقوى حينا فيمتد نفوذها على أكثر بقاع الهند وتضعف حينا فتنكمش رقعتها . وكانت دائما فى صراع مع من حولها من حكام الهند وزعمائها الذين كانوا يطمعون فى الاستقلال عنها أو بسط نفوذهم على أراضيها أو تطمع هى فى ضمهم إليها .

وفى الوقت الذى كان فيه الحكم الإسلامى قائما فى الهند كانت هناك دول أخرى بعيدة عنها كل البعد تفكر فى الوصول إلى هذه البلاد واستغلال خيراتها والقضاء على النفوذ الإسلامى فيها وفى البحار التى تحيط بها أو توصل إليها ، كانت هذه الدول فى أوربا التى شغلت ولا تزال تشغل بالشرق وخيراته وكنوزه ، فأخذت تبحث عن طريق آخر إليها غير الطريق الذى يسيطر عليه المصريون ويحتكر التجارة فيه البندقيون ، وبحث أهل « جنوا » عن وسيلة تقضى على نفوذ منافسيهم البندقيين فوجدوا ضالتهم فى البرتغال ، وكانت دولة تمتلئ بالحقد والتعصب على الإسلام والمسلمين وتعمل للقضاء عليهما بكل وسيلة . وكان طريق التجارة فى أيدى المسلمين كما أن الهند يسيطر عليها المسلمون ، فكان فى طليعة البواعث التى حرضتهم على المجىء إلى الهند الرغبة فى محاربة الإسلام ، وذلك حين أصبحت فى القرن الخامس عشر المدافعة عن المسيحية ضد الإسلام واجبا وطنيا وفرضا دينيا على أهل أيبريا من البرتغاليين والأسبانيين . فالإسلام فى رأيهم هو العدو الصريح الذى يجب عليهم محاربته فى كل مكان ، ومن كلمات الزعيم البرتغالى « البوكرك » الذى وطد حكم

البرتغال في بعض موانئ الهند لرجاله حين وصل إلى هنا قوله : « إن البرتغاليين يؤملون استنزاف قوة الإسلام بإقصاء المغاربة عن تجارة التوابل » . وكان البرتغاليون في أول حركتهم الكشفية يسيطر عليهم الروح الصليبية وهذه الروح كانت في جوهرها عداء للإسلام » [1] .

وقام الأمير « هنري » الابن الثالث لملك البرتغال « يوحنا الأول » والمعروف باسم « هنري الملاح » والذي تشبع منذ صغره بعداوة الإسلام ، قام هذا الأمير على رأس الحركة الداعية إلى كشف طريق آخر للوصول إلى الهند مستغلا مدنية جماعة أنصار المسيح التي كان يرأسها في تحقيق أغراضه . . وتابعت البرتغال جهودها حتى وصلت أول طلائع سفنها المسلحة إلى ميناء « كاليكوت » على شاطئ مليبار سنة ١٤٩٧ م . . وكان وصولها عن طريق ما سموه « رأس الرجاء الصالح » بدء انقلاب جديد في عالم التجارة والسياسة معا كان له أثره الكبير في مصر والبلاد العربية والأوروبية معا . . وبدأت البرتغال في مؤامراتها بالهند وفي البحار المحيطة بها والموصلة إليها ، فارضة سلطانها على تلك البحار والسفن المارة بها ، متعمدة إغراق سفن مصر والمسلمين عموما سواء أكانت تحمل التجارة أو تحمل الحجاج . . كما عبثت في بعض موانئ ملك كجرات المسلم وموانئ الملك الهندوسي في مليبار . فاستنجد ملوك الهند بملك مصر في ذلك الوقت وكان « قانصوه الغوري » ، فبعث الأسطول المصري إلى المياه الهندية للقضاء على الأسطول البرتغالي بالتعاون مع السفن الهندية . وتم له النصر أولا على شاطئ مليبار سنة ١٥٠٨ ، ولكن الأسطول البرتغالي ألحق به هزيمة في معركة أمام « ديو » في الكجرات سنة ١٥٠٩ ، وكان للخيانة أثرها في هزيمته عن الأساطيل المتعاونة مما جعل الأسطول المصري يعود إلى مصر . ولو قدر لهذه الأساطيل المتعاونة النجاح التام في تحطيم الأسطول البرتغالي لكان من الممكن أن يتغير وجه التاريخ ويكف الغرب عن مغامراته في الهند وفي الشرق كله . ولكن هكذا أراد الله . وتم ما أراد .

ولما رأت دول أوربا ما أتيح للبرتغال من نصر وكسب هائل واحتكار لتجارة الهند ومستعمرات فيها بدأت تحذو حذوها ، فتأسست شركة الهند الإنجليزية الشرقية سنة ١٦٠٠ وبعد ذلك بسنتين تأسست شركة الهند الهولاندية الشرقية سنة ١٦٠٢ ثم تأسست شركة الهند الفرنسية سنة ١٦٦٤ م ، ونزلت هذه الشركات ميدان المنافسة الدامية في الهند وكل فريق يسعى لإضعاف الآخر والقضاء عليه حتى يخلو له

[1] ملخصا من كتاب الهند والعرب ص ٣١ ، ٣٢ .

الجو ... وكانت البرتغال قد وقعت في حروب متعددة مع حكام البلاد وبدت منها بوادر الشر ، لذلك استقبل حكام الهند هذه الشركات الجديدة المنافسة للبرتغال بشيء من الراحة لعلها تخلصهم من تحكمها وشرورها . وقد بدأت هذه الشركات كلها باسم التجارة بين الغرب والهند وسعت لإنشاء مراكز لها في بعض المواني الهامة مثل سورت ومدراس وكالكوت وبومباي وغيرها . ثم حصنت هذه المراكز بالسلاح والرجال ، وبدأت بذلك نواة جيش لها نما على مر الزمن حتى أصبح جيشا جرارا يحارب ملوك الهند ويضرب بعضهم على بعض ، مستغلا الخلافات التي بينهم .

وقد استطاعت الشركة الإنجليزية بعد صراع عنيف مع هذه الشركات أن تثبت أقدامها وتقضي على المنافسين حتى خلا لها الجو في أرض الهند الواسعة ولم يبق للبرتغال وفرنسا إلا بعض مستعمرات صغيرة على الشاطئ ظلت البرتغال متمسكة بها حتى الآن في « جوا ودمن وديو » وتقوم منازعات بينها وبين الهند من أجلها . أما فرنسا فقد تركت ما كان لها عندما أعلنت الهند استقلالها ، وأما هولندا فقد تركت ما كان لها في الهند لتثبيت أقدامها في أندونيسيا .

وقد ساعد إنجلترا على هذا النجاح ما كان لها من سيادة على البحار بعد تهزيم « الأرمادا » [1] والقضاء على نابليون ، وبدأ الإنجليز عملهم في الهند بإظهار الخضوع والتذلل لملوك المسلمين وغيرهم والظهور بمظهر الذي يريد تخليص البلاد من شر البرتغاليين ، وتقديم الهدايا الكثيرة من المصنوعات الحديثة في أوروبا مما لم يكن للهند عهد بها ، فكان لها وقع كبير في نفوس الملوك والحكام ، فاغتر المسلمون وغيرهم بهذه الظواهر ومنحوا بعض التسهيلات والمراكز التجارية للشركة ، معتقدين أنه لا يمكن أن تكون مثل البرتغاليين الذين هاجموا المدن بالمدافع وأغرقوا السفن في البحر . وساعد الحكام على هذا الاعتقاد مسكنتهم من الإنجليز وأنهم شعب صغير لم تظهر لهم قوة يخشى منها بجانب قوة الملوك المسلمين حتى نرى مندوب الملك جيمس يحاول أن يقابل الملك جهانكير فلا ينجح في محاولته ، ثم لما أراد أن يحصل على رسالة منه لمليكه ، قال له الوزير الأول لجهانكير : « إنه لا يليق بقدر إمبراطور مغولي مسلم أن يرسل كتابا لملك صغير يحكم جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون » وكان هذا في مستهل القرن السابع عشر ، وبودي أن أقف قليلا مع المؤرخين الذين انخدعوا كذلك بمظهر هذه الشركة فقرروا ما أضفته على

[1] أسطول أسبانيا والبرتغال وكانوا يعتزون به ويسمونه « الأرمادا أي الذي لا يقهر » .

سبيل التمويه من أن غرضها كان تجاريا بحتا ... » إن مثل هذا القول لو صدر عن الذين عاشوا في القرن السابع عشر حينما نشأت الشركة فإنه لا يجوز أن يصدع به الآن مؤرخو الشركة وكتاب أوربا في تقرير هذه الواقعة .

إن الواقع يثبت أن هذه الشركة قامت بعد قرن من وصول البرتغاليين للهند وبعد ما رأى الإنجليز أن البرتغال تسيطر على بعض نواحي الهند وتنشئ لها المستعمرات فيها ، وكان هذا باعثا على تأليفها بمرسوم ملكي في عهد الملكة « إليزابيث » وتشجيعها ، فلا بد أن تكون الشركة والحكومة قد وضعت نصب عينيها من بادئ الأمر هذا الهدف . لكن الإنجليز لم يكونوا من السذاجة حتى يعلنوا الناس حقيقة مقاصدهم ، وقد رأيناهم حينما أرادوا السيطرة على مصر يبدءون ذلك عن طريق الصفقات المالية فأغروا الحكام بالاقتراض وسهلوه لهم ، ثم أخذوا يتدخلون في شئون مصر باسم المحافظة على هذه الأموال حتى تم لهم أخيرا ما أرادوا من احتلال مصر .

هذه هي طريقتهم ، وتلك هي أساليبهم سرها الآن وإن خفيت على السذج الذين وقعوا في شرك مكايدهم وتدبيراتهم . على أن الشركة ظلت في أحضان الحكومة مدة نشاطها ، وانتهى أمرها بعد مدة من حياتها إلى أن الحكومة هي التي كانت تعين رئيسها وتحاسبه بواسطة البرلمان . ولقد وجدت أحد الكتاب يكاد يشاركني هذا الرأي في كتاب « الهند خلال العصور » [1] فيقول : « ... لقد كان هدف الشركة تجاريا ولكنه امتزج بالسياسة ، وهنا نستطيع أن نكشف عن حقيقة ما كانت ترمي إليه الشركة .. ولست أجد وصفا وصف به الإنجليز في سياستهم نحو الهند والتمهيد لها بالعمل عليها إلا ما قاله « مارتن لوثر » عنهم في هذه العبارة « إن في رءوسهم جنونا غريبة وأفكارا عجيبة » .

لعلنا بما تقدم نكون قد أعطينا فكرة عامة عن العهد الذي سبق الثورة .. أما الثورة ـ أسبابها وحوادثها ونتائجها المفزعة الدامية ـ فستكون موضع حديث المقبل إن شاء الله .

عبد المنعم النمر

عضو بعثة الأزهر والمؤتمر الإصلاحي في الهند

---

[1] هو الأستاذ السنيبي وكان موظفا بالإذاعة الهندية ، ومادة كتابه تقوم على الإشادة بمجد الهند وحضارتها القديمة ، وبعثها من جديد .

أعلم الصحابة بالحلال والحرام

هو وصف وصف به النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من شباب أصحابه عبقريا نهما في طلب علم الحلال والحرام حتى بلغ فيه الغاية. لقد كان يفتي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فما ينكر عليه أحد من الناس، ولا سيما بعد ذلك الوسام الذي منحه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد أضاف النبي إليه أوسمة أخرى. فأقسم له أنه يحبه، وأخبره الله سبحانه عن أنه يأتي يوم القيامة أمام العلماء برتوة (خطوة) فأعلن ذلك في صحابته الأكرمين، ثم خلفه بمكة بعد فتحها يفقه الناس ويقرئهم القرآن. ثم بعثه إلى اليمن في السنة العاشرة للهجرة وبعث معه بكتاب قال فيه: إنه من خيرة أهلي وولي علمهم ودينهم، وقد امتحنه السيد الرسول صلوات الله وسلامه عليه امتحانا زاده فيه ثقة وشرح صدره به حتى قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسوله.

روى علماء الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن واليا ومعلما وقاضيا قال له: بم تقضي إن عرض قضاء؟ قال: بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: أقضي بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فإن لم يكن؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو.

وعند مناسبة كريمة أستطيع أن أحذر فيها صفوة القارئ الكريم من أن ينخدع بما يقول المتحاملون المشوهون للحقائق حول الإسلام الدين الخالص الصميم الصافي الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من أنه مقتبس أو بعضه من أنظمة الرومان، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، وإنما هو دين تمهدت قواعده وتمت كلمته قبل أن يعرف المسلمون ما يقول الرومان أو فقه الرومان، مستقلا دقيقا في أصوله ومبادئه معربا في تشريعه وحقائقه إزاء لا يسمح له أن يكون عالة على غيره ولكنه يسمح لغيره أن يكون عالة عليه، وهذا سيد من سادات العلماء يسأله النبي صلى الله عليه وسلم: كيف تقضي؟ فيقول إن قضاءه في كتاب الله أو سنة رسوله أو الاستنباط من واحد منهما، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا!

وصاحب ذلك السيد هو الإمام (معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي) الذي لم يتجاوز عمره بضعاً وثلاثين سنة حتى نال هذا المجد الذي جعل مثل عمر بن الخطاب ـ وهو الإمام الفقيه العظيم ـ يعترف له فيقول : لقد عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، ويقول فيه وقد أذن له أبو بكر أن يخرج في جهاد المشركين بالشام : لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه ، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه ، فقال : رجل أراد وجهاً يريد الشهادة ، فلا أحبسه .

ولد معاذ بالمدينة قبل الهجرة النبوية بعشرين سنة أو ثماني عشرة على اختلاف الروايات في ذلك ، وشهد بيعة العقبة الثانية مع الأنصار ، ثم لزم حجر النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة يأخذ عنه ويبان في ذكاء عجيب وفقه واستخراج ودقة ، والحفظ شيء والفقه شيء آخر ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، فعد من أهل الفقه والإدراك السليم والكياسة حتى يشهد له عبد الله بن مسعود (وكان صاحب مدرسة في الفقه والاستنباط) فيقول إن معاذ كان أمة قانتاً لله حنيفاً ، وقد كنا نشبهه بإبراهيم .

ويشهد له عبد الله بن عمرو بن العاص فيقول فيه وفي صاحبه أبي الدرداء : حدثونا عن العاقلين معاذ بن جبل وأبي الدرداء .

لزم هذا الصيد المثقف النجيب صاحب الرسالة وحفظ منه ما جعله واحداً من أربعة جمعوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا كلهم من الخزرج ، وإذا قيل إن فلاناً جمع القرآن في عهد الصحابة فمعنى ذلك أنه كان عليماً بما فيه ؛ لأن الحفظ يومئذ يصحبه كان من دراسة ومعرفة بالمناسبات وأسباب النزول ، فهو حافظ ومفسر .

وروى صاحب العقد الفريد [1] عن الشعبي رحمه الله قال : تفاخرت الأوس والخزرج ، فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة الراهب ، ومنا عاصم الأفلح الذي حمت لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذي اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ . فقالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب سيد القراء ، ومنا الذي أيده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

---

[1] جـ ٣ ص ٢٢٩ بتصحيح الأستاذ العريان وتحقيقه

على أن معاذا ذلك الشاب العالم الخطير لقد كان من خيرة العاملين الصالحين حتى قالوا إنه شهد المشاهد كلها مع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو من أهل بدر وما أدراك ما أهل بدر ، ثم هو من أهل أحد والأحزاب وبيعة الرضوان و و . . . وبالطبع مناقب أخبت حتى على كثير من الأصحاب الكرام .

وقد بلغ من حرصه على الاستشهاد في سبيل الله أنه طلب من السيد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه أن يخرج إلى الشام في جيش أبي عبيدة كما سبقت الإشارة ، ذلك الجيش الذي ما زال يجاهد فيه وهو خير مجاهد ومعوان لأبي عبيدة حتى كانت وفاته بطاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة وعمره نيف وثلاثون سنة .

بعض صفاته :

قال محمد بن سعد : كان معاذ رجلا أبيض طوالا حسن الثغر عظيم العينين مجموع الحاجبين جعدا قططا .

فأما منزلته في العلم والدين والفقه فقد رأيت أنه في منزلة الإمام الذي لا يجارى في معرفة الحلال والحرام ، وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث بين معرفة الحلال والحرام وبين القضاء فعلي كرم الله وجهه أقضى الصحابة ، ولكن معاذ أعلمهم بالحلال والحرام ، ومعنى ذلك والله أعلم أن معاذا أقوى في الإفتاء والإجابة ولكن القضاء الذي امتاز به علي موهبة تجعل صاحبها أقدر على الخروج من المآزق وأقوى على حل المشاكل وأدرك من غيره لاستخراج الحق بين دعوى المدعين واحتيال المتقاضين ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال « لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضي له » فإن معنى ذلك أن القضاء مهمة من أخطر المهام وأحوجها إلى ندرة الذكاء وقوة العبقرية ، فهو شيء غير معرفة الحلال والحرام في هدوء وبصر وتبصر ، وهي ميزة معاذ التي لا يبارى فيها باصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم إياه لهذا ، ولهذا كان يفتي والرسول صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه كل آية في كتاب الله ، وقد جعله إماما يصلي ببعض الطوائف في حياته كما دل عليه الحديث الصحيح ، فإن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو أنه لا يكاد يدرك الصلاة من تطويل معاذ فقال « أفتان أنت يا معاذ ؟ من أم بالناس فليخفف » الحديث .

وكان معاذ عالما يأخذ عنه الكثير من كبار الصحابة منهم عمر وابنه وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك وأبو أمامة ، والكثير من التابعين وكبارهم من أمثال الأسود بن يزيد النخعي

ومسروق بن الأجدع وأبي مسلم الخولاني والأسود بن هلال وغيرهم ممن تفقهوا الفقه وخرجوا الأئمة ، وقد بلغ عدد أحاديثه في الصحيحين فقط ١٥٧ حديثاً .

قال أبو مسلم الخولاني دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين من كهول الصحابة وفيهم شاب أكحل براق الثنايا ، فإذا امتروا في شيء سألوه ، فقالوا لي : هذا معاذ ونقل الذهبي مثله في التذكرة أيضاً عن شهر بن حوشب وقال إن ذلك أول خلافة عمر .

فهو لم يدع العلم والإفادة به حتى أثناء جهاده في سبيل الله وقال أبو بحرية أيضاً : دخلت مسجد حمص فإذا فتى جعد قطط ، إذا تكلم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ فقالوا : هذا معاذ بن جبل .

وفي خطبة عمر المشهورة : من أراد القرآن فليأت أبياً ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيداً ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذاً ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه ويقدمه في ذلك وقد خرج معه لما بعثه إلى اليمن يشيعه ماشياً تحت راحلته وهو يقول : يا معاذ ، عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك تمر بمسجدي وقبري ، حتى أبكاه وهو يقول له : لا تبك فإن البكاء من الشيطان .

وكان في معاذ كرم وسماحة حتى كان لا يمسك شيئاً ، وجدير بتلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم أن يكونوا أزهد الناس في الدنيا وأحرصهم على الآخرة ، وروى معمر بسنده إلى عبد الله بن كعب عن أبيه قال : كان معاذ شاباً سمحاً جميلاً من أفضل شباب قومه وكان لا يمسك ، فلم يزل يدان حتى أغلق ماله كله من الدين ، فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل غرماءه أن يضعوا له ، فباع النبي صلى الله عليه وسلم ماله كله في دينه وقام بغير شيء ، حتى إذا كان عام الفتح بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن أمير البحيرة .

وقالوا : إنه لما حضرته الوفاة بكى ، فقيل له : أتبكي وأنت صاحب رسول الله وقد قال فيك كذا وكذا ؟ فقال : ما أبكي جزعاً من الموت حل بي ولا على دنيا تركتها بعدي ، ولكن إنما هما القبضتان فلا أدري من أي القبضتين أنا .

ومعنى ذلك أن معاذاً كان ممن يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون ، وجدير بمن كان أمة قانتاً لله ، وعالماً بصيراً بحقوق مولاه ، أن يخشاه وإنما يخشى الله من عباده العلماء .

ومن العجيب البديع ما يرويه في هذا المقام صاحب العقد الفريد (١) عن أبي حباب

(١) ٣ - ١٨٣

قال : لما احتضر معاذ قال لخادمته ويحك هل أصبحنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعة ثم قال لها : انظري ، فقالت . نعم . قال أعوذ بالله من صباح إلى النار !

ثم قال : مرحبا بالموت . مرحبا بالزائر جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم . اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب البقاء في الدنيا لكرى الأنهار ، وغرس الأشجار ، ولكن لمكابدة الليل الطويل ، وظمأ الهواجر في الحر الشديد ، ومزاحمة العلماء بالركب في مجالس الذكر .

فمعاذ ليس من أهل التكاثر بكرى نهر ولا غرس شجر ، ولكنه القوام الصوام ، كما تقرب إلى مولاه بذكر ذلك في ساعة يؤمن فيها الكافر ، ويتقي فيها الفاجر ، ومعاذ ممن يزاحمون العلماء تواضعا لله وهضما لنفسه حتى آخر لحظة من حياته .

• • •

وهذه بعض حلل مما ترك معاذ من تراث أدبي خالد مهذب ، روى عاصم بن حميد عن معاذ بن جبل قال :

إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاء وفتنة ، ولا يزيد الأمر إلا شدة ، ولا الأئمة إلا غلظة ، ولا يأتيكم أمر يهولكم إلا حقره ما بعده

وعن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال : إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإني أخاف عليكم فتنة السراء ، وهي النساء إذا تحلين بالذهب والفضة ولبسن ريط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يطاق . وليت شعرى ما يقول اليوم إذ رأى ما صارت إليه الدنيا ؟ ونسأل الله العفو والعافية .

ولما قبض أبو عبيدة في طاعون عمواس الذي لم يمهله من بعده كتب معاذ إلى الخليفة ينعاه مكانه مما قال : لعبد الله عمر أمير المؤمنين من معاذ بن جبل ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فاحتسب امرءا كان لله أمينا ، وكان الله في نفسه عظيما ، وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزا ، أبا عبيدة بن الجراح غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وعند الله نحتسبه وبالله ثقتي به ، كتبت إليك وقد فشا الموت وهذا الوباء في الناس ولن يخطئ أحدا أجله من الموت ، ومن لم يمت فسيموت . جعل الله لنا ما عنده خيرا لنا من الدنيا إن أبقانا أو أهلكنا . فجزاك الله عن جماعة المسلمين ومن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ورضوانه وجنته ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

رحم الله الجميع وجعل لنا في سيرهم الطاهرة خير عظة وذكرى وعبرة لنا

محمود الشرقاوي

صور إسلامية

عندما أخرجنا من الأندلس

ما أظن أن صورة من صور التاريخ الإسلامي تهز النفس هزا عنيفا وتأخذ بالألباب وتثير الشجون وتدفع الدمع من المآقي مدرارا – على كثرة ما في التاريخ الإسلامي من صور باهرة لأحداث ضخمة – كما تفعل صورة « أبي عبد الله » آخر ملوك الأندلس وهو في طريقه إلى خارج غرناطة – آخر معقل من معاقل الإسلام – مقهورا مدحورا . وقد حمل معه زوجه وأمه ، وودع الأرض المقدسة راضيا بالذلة والمهانة ليسلم مفاتيح الحمراء إلى فرديناند في طريقه إلى البشرات .

ما أقسى تلك الصورة وقد أشرف أبو عبد الله على منظر غرناطة واستدار على فرسه فوق الربوة ليسرح بصره لآخر مرة في هاتيك الربوع العزيزة التي ترعرع فيها وشهدت سلطان آبائه ، ثم شهدت ذله وهو خارج لا يلوي على شيء . وقد ضيع كل شيء .

هنالك انهمر دمعه وأجهش بالبكاء ، وفاضت نفسه بالألم العميق عندما تصور أنه آخر ملوك الإسلام في الأندلس ، وأن التاريخ الإسلامي سيكتب له صفحة سوداء من الجبن والهزيمة قضت عليه بتسليم مفاتيح الملك العربي إلى الأعداء ، علما شيئا كبيرا قد وقع في براثن الخصوم المتعصبين الذين أذهلتهم نشوة النصر فأمعنوا فيه عسفا وتنكيلا ، غير أن عائشة لم تدعه يمضي في تأملاته ودموعه تنسكب على صفحة وجهه إذ أسرعت تقول له : « ... أجل فلتبك كالنساء ملكا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال » .

وما تزال تلك الأكمة تسمى « زفرة العربي الأخيرة » .

ومضى أبو عبد الله إلى البشرات فأقام فيها ما شاء الله له أن يقيم ، ثم انحدر إلى الساحل وجاز البحر والتجأ إلى بلاط فاس وعاش أعواما طوالا تملأ نفسه الحسرات وآلام الندم ، حتى توفي بعد ذلك بأربعين عاما .

ولا بد أن أبا عبد الله جمع أتباعه المسلمين بعد خروجه ، وكيف حل بهم قضاء أعنف من القضاء نفسه ، وقد امتد هذا القضاء أكثر من قرنين من الزمان فقضى على آخر « مسلم » في أرض الأندلس .

كان ذلك اليوم الذي خرج فيه « أبو عبد الله » من الأيام المظلمة الشديدة الظلام ، فقد استيقظ أهل قصر الحمراء مبكرين ذلك اليوم ، يجمعون متاعهم وأموالهم وحاجاتهم ، والبكاء يرن في جنبات القصر وأبهائه .. والوجوم يسود الوجوه .. والألم يعصر كل حلق .

وغادر السلطان القصر ومعه أمواله وأمتعته وأهله وصحبه القلائل وفريق من الفرسان ، وامتطت أمه الأميرة عائشة صهوة جوادها جريئة موطدة في الحزن .. كما ركبت زوجة السلطان . واخترق الركب غرناطة في صمت ، والناس يتطلعون إلى هذا الميت الحي الذي خلف لهم غدا غامضا مبهما ، فيه الوحشة الموحشة والقضاء الأسود .

وكان حصار فرديناند قد استمر أكثر من عشرة أشهر لغرناطة كمعقل عسكري ثم تسلم آخر معاقل المسلمين ، وكان في استطاعة أبي عبد الله ومن حوله من الفرسان أن يدافعوا عن معقلهم الأخير حتى الموت وألا يسلموه بمثل هذه السهولة .

ولكن قادة غرناطة إذ ذاك كانوا قد بلغوا مبلغهم من الرخاوة والترف ، فلم يعد تملأ أنفسهم تلك العزيمة الصارمة التي كانت تقاوم الأحداث والخصوم دون أن تبالي المصاير . وهو نفس المعنى الذي صوره الفارس موسى بن أبي الغسان عندما رأى القادة يسلمون وثيقة التسليم ؛ قال « .. لا تخدعوا أنفسكم ولا تظنوا أن النصارى سيوفون بعهدهم لكم ، ولا تركنوا إلى شهامة ملكهم . إن الموت أقل ما نخشى ، فأمامنا نهب مدينتنا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا وخراب بيوتنا ، وهتك نسائنا وبناتنا . وأمامنا الجور الفاحش ، والتعصب الوحشي والسياط والأغلال . وأمامنا السجون والأنطاع والمحارق . هذا ما سوف نعاني من مصائب وعسف . وهذا ما سوف تراه على الأقل هذه النفوس الوضيعة التي تخشى الآن الموت الشريف . أما أنا فوالله لن أراه » .. ثم غادر المجلس ومضى .. يغشى فرسان العدو حتى قتل منهم عددا كبيرا في معركة عنيفة جرح فيها وسقط جواده من تحته قتيلا . فمضى يقاتل بخنجره ويدافع عن نفسه . فلما خاف أن يقع في يد خصومه ارتد إلى الوراء وألقى بنفسه في النهر .

فما أبعد الفرق بين الصورتين والرجلين .

* * *

وصورة أخرى تبدأ بعد خروج أبي عبد الله وتتكرر خلال قرن كامل، لقد سقطت غرناطة في ديسمبر سنة ١٤٩١ ، وفي ديسمبر ١٦١٠ خرج آخر عربي من الأندلس ...

هذه الصورة هي منظر العرب المسلمين وهم يخرجون فزعين هاربين من وجه الظلم والقتل حاملين ما يستطيعون حمله .. رجال ونساء ، وشيوخ عجائز وأطفال صغار يجرون أذيال الألم والحزن والفقر ، يركبون بعض الدواب أو يسيرون حفاة في الرمال التي تحرق أقدامهم نارها .. وقد ربطوا في رقابهم مفاتيح بيوتهم التي غادروها بأمل العودة يوما قريبا إلى هذه الدور . وما تزال هذه الأمواج تتمدد وتتوالى ويمضي عليها الليل فتبيت في العراء ، قد تجد ما يبل ظمأها ويسد رمقها أولا تجد فتتلوى من الجوع أياما وليالي طويلة ، حتى تصل إلى الشاطئ فتعبر إلى المغرب .

لقد استمرت هذه الصور تتكرر يوما بعد يوم في مدى أكثر من تسعة عشر ومائة من الأعوام حتى بلغ عدد من هاجروا أكثر من ثلاثة ملايين عربي ، كان الفوج الأخير منهم الذي أخرج عام ١٦١٠ أكثر من نصف مليون .

وإذا كان هذا عدد من هاجروا فكم عدد الذين أحرقتهم محاكم التفتيش وقتلوا جملة وذبحوا كالأنعام .

وعلى مر هذه الأعوام منذ سقطت غرناطة والعرب يقاسون مرة وذلا وظلما لا حد له ولا عهد لهم به ، فهم غرباء في الديار التي كانوا سادتها وحكامها ، وهم مراقبون ، جماعات فقيرة لا تملك شيئا إزاء العذاب الذي صبه الفرنجة عليهم صبا في صور مختلفة من الإعنات والظلم والغدر ، وهم إلى هذا الفقر والظلم أقوياء في عقيدتهم وإيمانهم لا يستسلمون ولا يذلون ، وربما يقاومون ظلما مهولا وحربا طاحنة وثارا متقدة يقاومونها بأجسادهم إذا أعوزهم السلاح ، والقرى تحرق بهم حرقا ، والدخان يرسل إلى كهوفهم حتى يموتوا أو يخرجوا ليقتلوا ، وهم مع هذا كله لا يستسلمون ، يهاجرون ما استطاعوا إلى ذلك حيلة ، ويقاومون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ويفرض عليهم دين جديد غير دينهم ويرغمون عليه بالتعذيب والمثلة ، ومع ذلك يظل

كل منهم مؤمنا بدينه الأول يؤدي فرائضه خفية ويحتمل في سبيله كل شيء ، والمطاردة والوحشية تلف كل مكان وكل شيء ، دون أن ينال ذلك من النفس العربية المؤمنة شيئا .

ورفع محمد بن أمية لواء الثورة ، وجمع حوله الناس وضيق على الفرنجة واقتحم عليهم كل مكان وتحصن بالجبال ، وجردت له قوات ضخمة وقف أمامها وأدال منها حتى اضطر خصومه إلى طلب المفاوضة .

أكره المسلمون على التنصر ، وأكرهوا على الهجرة تاركين ثرواتهم وأرضهم ، ورفعت النواقيس في صوامع المآذن . ومع ذلك فقد ظل الذين ارتدوا ثلة موضعا للإرهاق . وأغلقت المساجد ، وحظر على أهلها إقامة شعائر الإسلام ، ومضت حملة التشريد والإبادة في طريقها ، ومضت المقاومة في طريقها ممتدة على الأيام والشهور والأعوام في غرناطة والبشرات والبيازين . حدث هذا كله بالرغم من العهود المغلظة التي قطعها فرديناند على نفسه والعقود التي وقعها . . وصدق الفارس بن أبي الغسان الذي كان كأنما يقرأ لوح القدر . ذلك أنه كان يعلم أن الفرنجة لا وعد ولا عهد لهم ولا ضمير ، وأنهم كانوا كذلك في تاريخهم كله مثلا للغدر والظلم والنكث بالعهود والمواثيق ، على هذه العناصر كلها قامت حضارتهم ومضت أساليبهم في الفتح والاستعمار . وبقي للإسلام شرف الكلمة والكرامة والصمود !!

أنور الجندي

احتفال الأزهر بالهجرة

احتفلت مشيخة الأزهر بذكرى الهجرة النبوية الشريفة واستقبال العام الهجري الجديد ، وذلك في ساحة الرواق العباسي ، حيث اجتمع عدد كبير من علماء الأزهر وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وكثير من الطلاب وطوائف الجماهير ، كما شهده ممثلو السفارات والمفوضيات الإسلامية .

وألقى كلمة الاحتفال فضيلة الشيخ محمد الصبيحي ، المدير العام للوعظ والإرشاد بالأزهر وعضو جماعة كبار العلماء ، وقد تحدث فيها عن أسرار الهجرة الإسلامية ، وجهاد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في سبيل إظهار دعوته . وتلاه فضيلة الشيخ محمود طيره فألقى قصيدة كريمة .

ودعا في ختام كلمته أن يوفق الله جمهورية مصر وعلى رأسها القائد الوطني المكرم الرئيس جمال عبد الناصر ، وأن يوحد كلمة العرب والمسلمين .

ثم وزعت الحلوى في نهاية الاحتفال على المدعوين ، وختم كما بدئ بتلاوة آي الذكر الحكيم .

بشائر العام الهجري الجديد

أشرقت على البلاد شمس حياة نيابية جديدة كان الشعب المصري يحترق إليها شوقا ويهفو بقلبه إليها حنانا ووجدا ، فالشعب المصري كـكل الشعوب تواق إلى أن يحكم عن طريق الجماعة بعد أخذ رأيه فيها ، وحتى في عهد الحكومات السابقة التي كانت تغلب عليها الأثرة كان يجب أن يحكم عن طريق الشورى الشعبية . وقد اتضح لكل ذي عينين أن حكم الشعوب عن طريق القوة والإعنات من شأنه أن يورث الأحقاد والأضغان على حاكميه . وفي تاريخ القرن العشرين أمثلة ماثلة لموسوليني وهتلر حكما شعبيهما بطريق النار والحديد ، فأتى الله بنيانهم من القواعد .

إذن فالشورى مبدأ المبادئ وأساس الأسس ، أول من أخذ بها الإسلام ونادى بها كمبدأ منقذ للبشرية من جبروت الحاكمين يؤصل في الشعوب الإيمان بحقوقها وينشر بينها مبدأ العدل والإخاء والمساواة ، كما قال شاعر العرب السيد عبد المحسن الكاظمي :

ملوك على كل الملوك ثلاثة ... هي الحكم دون الناس في الفتق والرتق
وأقسم أني لا أكون لغيرها مطيعا ... ولو من أجلها ضربت عنقي

وهذه التي به أقرها القرآن فقال « وشاورهم في الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فحكم الشورى مبدأ معترف به في الإسلام ، بل في جميع الأديان قديمها وحديثها وقد أطبق علماء القانون الدستوري على أن جميع السلطات مصدرها الأمة ، فجاء دستور البلاد مؤيدا لهذه النظرية العامة ونص على أن الأمة هي مصدر السلطات .

وبهذه المناسبة يجب أن نقدم إلى جمهرة قراء هذه المجلة بحثا عن حياة الشورى (الديمقراطية) وعن رأس الأزهر وإمامه الديني ورجل نهل من ثقافة العرب وأحاط بكنوزها ودقائقها هو شيخ العلماء وشيخ الجامع الأزهر .

كان الملوك ولا سيما في أوربا يدعون إلى أن سلطانهم مستمد من الله ، وأنهم لا يقدمون حسابهم إلا إليه وأن ليس على الشعوب إلا الطاعة والرضوخ .

ولقد كان من الطبيعي على الكتاب الذين آمنوا بحقوق الشعوب ونظام الشورى أن يتخذوا من المبدأ الديمقراطي أداة لمقاومة استبداد هؤلاء الملوك ، وعلى هذا الأساس عادت النظرية الديمقراطية إلى الظهور كسلاح في وجه حكم الفرد ، ولم يكن الغرض منها استخدامها لعزل الملوك وإنما للحد من سلطانهم .

ولعل أول مثل لاستخدام هذه النظرية وحده يعرفنا عندما اجتمعت الهيئات العمومية عام ١٤٨٤ في عهد الملك القاصر شارل الثامن ، فقد صرح فيليب بو بأن : « الشعب هو صاحب السلطة ، وهو الذي يهبها الملك ، وعلى ذلك فما دام الملك قاصرا فالشعب ممثلا في الجمعيات العمومية ـ لا الأمراء ـ هو صاحب الحق في تنظيم الوصاية » .

وعندما قامت الحروب الدينية في القرن السادس عشر أخذ كل من الكاثوليك والبروتستانت بحسب الظروف يتمسك بالمبدأ الديمقراطي ضد استبداد الملوك ، وفي هذا العصر زاد المبدأ وضوحا وبدأ الكتاب يرجعون الديمقراطية إلى فكرة العقد، فالشعب هو صاحب السيادة أصلا إلا أنه تنازل عنها للملك بشروط خاصة ، فإذا ما أخل الملك بهذه الشروط فسخ العقد وعادت سلطة الملك بلا أساس قانوني ، وغدا حاكما ظالما ليس على الشعب له الطاعة بل وتحل مقاومته والتخلص منه .

يتضح مما تقدم أن الديمقراطية حتى القرن السابع عشر كانت تتلخص فيما يلي :

١ ـ أن الشعب هو صاحب السلطة الحقيقية .

٢ ـ أنه يتنازل عنها أو بعبارة أصح يعهد بها إلى الملك .

٣ ـ أنه يستطيع استرداد هذه السلطة في ظروف معينة .

وقد أدى ازدياد الاستبداد في عهد لويس الرابع عشر والخامس عشر إلى تقوية المبدأ الديمقراطي تقوية أدخلته في عداد المبادئ السياسية ، ولم يلبث أن ظهر بعد ذلك ضمن مبادئ القانون العام الحديثة .

ولقد نادى كتاب ذلك العهد ـ القرن الثامن عشر ـ بفكرة حديثة هي فكرة عدم قابلية السيادة للتنازل عنها ، بينما أخذت فكرة التعاقد مع الملك في التلاشي فلم يعد الملك طرفا في العقد ، بل أصبح منصوبا من الجماعة .

ونظرية العقد الاجتماعي Contrat social التي تنسب بصفة خاصة إلى جان جاك روسو والتي تفترض وجود حالتين :

أولا : حالة طبيعية Etat de nature سابقة على وجود الجماعة المتمدينة لم يكن الفرد فيها خاضعا لأى سلطان ، بل بالعكس كان متمتعا بحرية كاملة مطلقة ، هذه الحالة الطبيعية كان يحلم بها أنصار المدرسة الطبيعية في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ثانيا : عقد اجتماعي Contrat social صريح أو ضمني أنهى به الأفراد حالتهم السالفة راغبين في الخروج منها لتكوين أمة Nation فأقاموا بتعاقدهم الاجتماعي سلطة أعلى من سلطة الأفراد هي سلطة الفرد المشترك ، أو بعبارة أخرى هي « سلطة الأمة » .

ويرى روسو أن السلطة لا يمكن أن تكون شرعية Legitime إلا بالاتفاق الصريح السابق على وجـــودها . ولذلك فهو لا يعترف بسلطة الأسرة ولا بسلطة طبقة خاصة ولا بسلطة الفتح ولا بسلطة الأسياد على العبيد ـ وعلى هذا الوضع فالعقد الاجتماعي لم ينشئ السلطة بل أنشأ الأمة أيضا .

وكما هو واضح من هذا الشرح التاريخي نجد أن الديمقراطية إلى عهد روسو أي إلى القرن الثامن عشر لم تكن سوى نظرية فلسفية يراد بها الحد من سلطة الملوك .

الثورة الفرنسية تجعل من الديمقراطية مبدأ قانونيا :

عندما اجتمعت الهيئات العمومية في ١٧ يونيو ١٧٨٩ أراد نواب العامة على أثر خلاف بينهم وبين الأشراف ورجال الدين ، أن يجعلوا مبدأ سلطان الأمة أساس عملهم فأطلقوا على أنفسهم اسم « الجمعيـــة الوطنيـــة » وأعلنوا أنهم مكلفون بتمثيل إرادة الأمـــة العامة La volonté général de la nation .

وقد كان هذا الانتصار الذاتي انتصارا كبيرا لمثلى الشعب ، ولم يأت يوم ٢٦ أغسطس في السنة نفسها إلا وقد صدر إعلان حقوق الإنسان الذي نص على أن مبدأ السيادة يتركز في الأمة .

وقد أضافت المادة السادسة من إعلان حقـــوق الإنسان نفسه « القانون هو التعبير عن إرادة الأمة » .

وقد عاد مبدأ سيادة الأمة فتكرر فى إعلان حقوق الإنسان الصادر مع دستور ١٧٩٣ فنصت المادة الخامسة والعشرون على أن « السيادة تتركز فى الشعب ، وهى غير قابلة للانقسام ولا يمكن صيرعها بالتقادم ولا التنازل عنها » .

وقد جاء بإعلان حقوق الإنسان وواجباته الملحق بدستور السنة الثالثة بالمادة السابعة عشرة « السيادة تتركز أصلا فى مجموع المواطنين » .

وهكذا جعلت الثورة الفرنسية من المبدأ النظرى الفلسفى قاعدة قانونية عامة بحيث صب القانون العام الحديث بل وسرت مبادئ الثورة الفرنسية إلى الممالك المجاورة ، تنعث معها مبدأ سلطان الأمة الذى وجد مرتعا خصيبا فى جميع الحكومات المستبدة فقضى على أغلبها سريعا .

ولعل مبدأ سيادة الأمة لم يجد سرعة فى الانتشار كسرعة انتشاره عقب الحرب العظمى الأولى ، عند أخذت به جميع الدساتير الحديثة على وجه التقريب .

(يتبع) عباس طه
المحامى

العربية فى اللغة الفارسية

خطب كبير علماء الأدب العربى فى القارة الهندية الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى فى حفلة تكريم أقيمت له فى مكة ، ومما قاله : إن الشعر الفارسى لم يوجد ولم يولد إلا فى أحضان الشعر العربى ، وأقدم شاعر فارسى كان فى القرن الرابع الهجرى ، وعلى غرار الشعر العربى وقوافيه وأعاريضه كان شعراء الفرس ينظمون . وإن بلاد فارس (إيران) كانت فى القرن الهجرى الأول والثانى بلاد عربية ، فكان العامة والخاصة فيها يتكلمون باللسان العربى . فلما داخلهم روح (الشعوبية) فيما بعد رجعوا إلى التحدث باللسان الإيرانى ، لكنهم اضطروا لإدخال مئات الصيغ العربية فيه ، واستدل على هذا بأدلة من الشعر العربى والروايات العربية القديمة التى كان يحاضر بها من ذاكرته القوية .

تحية العام الهجرى الجديد

الفجر لاح بمشهد فتان — فى لوحة ، جلت يد الفنان

يا مطلع العام الجديد ، تحية — من كل قلبى ، لا بطرف لسانى

جددت ذكرى فى النفوس كريمة — تحتل فى العليا أعز مكان

ذكرى الذى أبى ليصنع أمة — قد وحدت ، من عابدى الأوثان

ذكرى النبى غدا يهاجر مكرها — يحمى رسالته من العدوان

ورفيقه الصديق فى الغار الذى — شملته فيه عناية الرحمن

نسجت خيوط العنكبوت ببابه — فكأنه خال من الإنسان

والقوم قد وقفوا حيارى عالم — وأغاظهم أن يفلت الرجلان !

ويميل صاحبه ويهمس قائلا — ماذا لو اكتشفت لنا عينان ؟ !

فيجيبه الهادى إجابة واثق — من نصرة المولى بغير توان

لا تحزنن ، فالله ثالثنا ترى — كنفا عنايته ، بكل مكان

وإذا العناية لاحظتك عيونها — فأبيك لا تخش قط يدان ! !

* * *

لك يا ابن عبد الله أروع قصة — قد كنت فيها أعظم الشجعان

جاهدت فيها أمة وثنية — بل دولة الطاغوت والطغيان

ولقيت منهم شر ما يلقى الفتى — من بطش جبار عنيد جانى

صبرت صبرا ، ما نظيرك مثله — ودفعت بالحسنى ، وأنت تعانى !

قلب كبير ، لا ينال به الأسى — ماض بعزم ثابت الأركان

زادوه إيذاء ، فزاد تسامحا — وتلطفا ، شأن العظيم البانى

حتى إذا ما الظلم جاوز حده — شد الرحال بجانح الإيمان

ومضى ليثرب ، حيث كان صحابه — والأنصار فيها ، خيرة الإخوان

لاقوه بالبشر العظيم وقدموا — لله آى الحمد والشكران

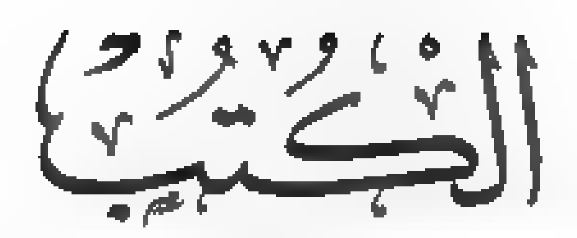
وأقام يبنى الرسول مشرعا — ويمده مولاه بالقرآن

ولقد تآخى المسلمون بيثرب … وتسابقوا في الصبر والإحسان
كانوا — وبينهم الرسول معلما … وموجها خير — عقد جمان
لم ينفرط رغم الخطوب لأنه … عقد متين، نظمه رباني!
وإذا ترابطت القلوب فعندها … أمر عسير، ليس بالإمكان!!

* * *

ولكم تمادى الشرك في غلوائه … ولكم طوى كشحا على العدوان
ولكم أثار الحرب ضد محمد … ولكم هنالكم الحق إذعان!
ولكم أراد الشر يفتح بابه … فيبوء منه بأكبر الخسران
حتى أتى اليوم الأغر المرتجى … يوم انحسار الشرك والبهتان
يوم تنادى الحق فيه إلى القرا … والجيش من بطحاء مكة دان
هذا رسول الله أقبل جيشه … لجبا يزلزل دولة الشيطان!
هذا رسول الله يدخل فاتحا … والشمس ساطعة على الأكوان
والجيش يزحف في صحيح جنوده … وصهيل خيل كتائب الفرسان
وملائك الرضوان حفت بالألى … ضحوا لترفع راية القرآن
دخل الرسول البيت أروع ماجدا … والشوق غالبه من الحرمان
ومضى يطهره من العار الذي … جثموا عليه ولوثة الأوثان!!
ورءوس مكة يشهدون مصارع ال … أصنام في ذل المهيض الواني
جلسوا بجانبه على جمر الغضى … بجانبهم فزع الأثيم الجاني
لكنه والصفح شيمته — عفا … عفو الكريم القادر الإنسان"!
وتواعدت أفواج مكة تبتغي ال … إسلام في صدق وفي إذعان!
واعتز دين الله بالفتح الذي … غمر القلوب بخالص الإيمان!
والحق غلاب وإن طال المدى … والباطل المفضوح للخذلان
والصبر في ظلم الخطوب سبيلها … ولكم به نيلت منى وأماني!!

محمود ابراهيم طيره
مفتش الوعظ العام بالأزهر ورئيس بعثة الصومال



صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ محمد ناصر الدين الألباني - ١٥٨ ص - مطبعة الاتحاد الشرقي بدمشق

الأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من الأفراد المعدودين بخدمة السنة المحمدية ، وكتابه هذا (صفة صلاة النبي ﷺ - من التكبير إلى التسليم - كأنك تراها) سبق طبعه منذ عهد قريب ، ثم جدد طبعه الآن مضيفاً إليه تخريج أحاديثه ، وشرح غريبه ، وتوضيح بعض مسائله وعزوها إلى قائليها من أئمة المذاهب وغيرهم .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ، ومن صلى صلاته كصلاته أن له عند الله أن يدخله الجنة ، وقد ترتب على ذلك أن يكون من ضروريات المسلم معرفة صفة صلاة النبي ﷺ كما كان يصليها ، وقد قام بهذا الواجب الإسلامي رجل من المسلمين هو أهل لهذه المهمة ، فاستعرض ما حفظته لنا دواوين السنة من ذلك بأمانة ودقة وبصيرة على طريقة أهل العلم بهذا الشأن . وقد عرف الناس له هذا العمل فأقبلوا على الطبعة الأولى حتى نفدت نسخها ، وسيقبلون إن شاء الله على طبعتها الثانية ويتفقهون بها ؛ فما كل الصلاة تدعى صلاة ، وفي الحديث « إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها عشرها ، تسعها ، ثمنها ... » . وإن الصلاة الكاملة هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ونفع الله بها جماهير المسلمين .

مذكرة عن خليج العقبة

ومطامع اليهود السياسية والاقتصادية في حوض البحر الأحمر وشرق إفريقية

للهيئة العربية العليا ، ولسماحة رئيسها الجليل السيد محمد أمين الحسيني فضل كبير في إيقاظ العرب والمسلمين إلى مواطن الخطر الذي يهدد كيانهما بدسائس اليهود والذين يعطفون عليهم من أقطاب الاستعمار الآثم . وليس بدعاً أن هذه المذكرة عن خطر اليهود من ناحية

خليج العقبة وما يرمون إليه من خطط بعيدة للوصول حتى المدينة المنورة في المستقبل فضلا عن مطامعهم السياسية والاقتصادية في حوض البحر الأحمر وشرق افريقية ، وهي مؤامرة استعمارية يهودية لعزل العرب في آسيا عن إخوانهم في افريقية .

ومع هذه المذكرة خريطتان موضحتان لمطامع اليهود وأهدافهم السياسية التي أشارت إليها المذكرة وأوردت الأدلة والمعلومات الكافية لبيانها ، فنرجو الله أن يمنح كيان العروبة والإسلام القوة الدافعة لدرء هذه الأخطار والتنكيل بأصحابها ، كما فعله في أمثال ذلك من قبل .

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة

لعز الدين ابن شداد – بتحقيق الدكتور سامي الدهان – ٤٧٢ ص – طبع بيروت

هذا كتاب نفيس من نوادر تراث السلف ومن أجمع ما ألف في موضوعه عن جغرافية الديار الشامية وتاريخ أمصارها والإلمام بما ينبغي معرفته عنها . قال ناشره الدكتور سامي الدهان : « ولا أعرف مؤرخا في العرب القدماء عن الشام كلها كما فعل ابن شداد في خطة واضحة وتنظيم بين ، فكأنه شبيه بالمعاصرين من العرب والغربيين ، يكتبون في قطر معين وفي إقليم محدود ، فيوضحون المنهج ، ويبعدون عن الحدس .. وعبثا بحثت عن كتاب في العربية لفلسطين الجريحة والأردن الجميلة والجزيرة الخصبة ، فلم أجد كتابا يقوم مقامه ، على كثرة التآليف ووفرة الدراسات » . وكانت أجزاء هذا الكتاب المخطوطة موزعة في لننجراد ولندن وليدن وروما واستنبول وحلب .

وعز الدين بن شداد من أعلام القرن السابع الهجري (٦١٣ – ٦٨٤) ، وهو غير القاضي بهاء الدين بن شداد (٥٣٩ – ٦٣٢) مؤلف سيرة صلاح الدين الأيوبي ، ومتأخر عنه نحو نصف قرن ، وكما كان القاضي بهاء الدين من أعلام الدولة الصلاحية فقد كان مؤلف الأعلاق الخطيرة من وزراء الملك الظاهر وابنه الملك السعيد . وألف كتابه الأعلاق الخطيرة بين سنتي ٦٧١ و ٦٨٠ .

والجزء الذي اختاره الناشر الآن من أجزاء الأعلاق الخطيرة هو الخاص بتاريخ مدينة دمشق إلى سنة ٦٧٤ ، وهو كتاب مستقل في بابه ، وترتيبه في الكتاب الجزء الثاني ، أما الأول منه ففي تاريخ مدينة حلب ، والثالث في تاريخ الجزيرة وأقسامها . وقد استوعب

ما نشر الآن من تاريخ مدينة دمشق القسم الأول منه وعنوانه (محاسن دمشق) ، ذكر فيه اشتقاق اسمها وذكر من بناها وعدة أبوابها وفضلها وذكر مسجدها الجامع وسائر مساجدها وللمزارات بباطنها وظاهرها والخوانق والربط والمدارس والكنائس والأنهار والحمامات ، وختم هذا القسم بذكر فضلها وما مدحت به شعرا ونثرا . وسيكون القسم الثاني خاصا بأنهارها وقراها وجبالها وما اشتمل عليه جندها من البلاد ، وذكر بلاد جند الأردن وبلاد جند فلسطين وما فيها من المزارات . وفي القسم الثالث ذكر أمراء دمشق ومن ملكها من أيام الفتح إلى سنة ٦٧٤ .

وقد تولى إصدار الكتاب المعهد الفرنسي للدراسات الإسلامية بدمشق ، واعتمد ناشره الدكتور الدهان في تحقيقه وطبعه على مخطوطتي لندن وليدن وقد وصفهما ونشر صور نماذج منهما وذيل الكتاب بخمس فهارس علمية وافية . فنشكر له ، ونرجو أن يوفقه الله إلى نشر الكتاب كاملا إن شاء الله .

الشيخ المراغي بأقلام الكتاب

للأستاذ أبو الوفا المراغي — ٢٩٥ ص — المطبعة المنيرية بالقاهرة

شخصية الشيخ المراغي (١٢٩٨ - ١٣٦٤) كما يقول شقيقه المؤلف « شخصية تاريخية خصبة سيتسع لها الزمن حين تقدر الناس بأنها مدهشة » . وقد رأى المؤلف - إلى أن تتاح الفرصة لإخراج صورة كاملة لتاريخ الشيخ المراغي - أن يجمع ما كتب عنه بمناسبة وفاته وذكرياته مما دبجته أقلام الكتاب ، فأصدره في كتاب مستقل ليكون في المستقبل مصدراً لمن يعالج كتابة تاريخه . قال « وقد جمعت تلك المقالات أهم العناصر التي تكون ذلك التاريخ ، هذا إلى أنها معلومات صحيحة صادقة كتبها كتاب معاصرون له لم تعمل فيها يد الزمان بالعبث والتحريف . وإنه لعمل له خطره التاريخي لمن يعالج تراجم الرجال » .

وقد صدر الكتاب بصورة الشيخ ، وافتتحه بعد المقدمة بترجمته الرسمية ، يليها فصل بقلم المؤلف عن الشيخ المراغي والأزهر ، وبعده خطبة فمذكرة للشيخ عن إصلاح الأزهر ، فما كتبه الكاتبون مما هو موضوع الكتاب ، وآخره نماذج من دروس الشيخ وخطبه وأحاديثه .

شعر حفني ناصف

جمعه الأستاذ مجد الدين حفني ناصف — ٣٩٤ ص — دار المعارف بمصر

حفني ناصف (١٢٧٢ – ١٣٣٧) كوكب لامع من الكواكب التي طلعت من أفق الأزهر، ورجل عظيم من رجال دار العلوم، ومفخرة من مفاخر العلم والفكر والنبوغ في مصر. قال عنه ابنه الأستاذ مجد الدين: «ليس من اليسير أن أؤرخ لأبي، ولا سيما إذا أردت أن أبين في وقت معاً أنه شاعر، ناثر، رحالة، ظريف، بليغ، نحوي، مؤرخ، عالم محقق، قانوني، مجاهد، وطني، اجتماعي، صحفي، رياضي، إنساني، فشخصيته لم تعد مقصورة على ناحية بعينها كما هي الحال بالنسبة لكثير من أعلام التاريخ».

وشعر حفني ناصف من روائع شعرنا العصري، ومن العجيب أن يتأخر تدوينه إلى اليوم، فهو في نفسه قطعة من تاريخ مصر، ومن تاريخ الأدب في مصر، فضلا عن أنه قطعة من نفس هذا النابغة من نوابغ مصر، ولا ريب أن ما جادت به شاعرية حفني ناصف في حياته أضعاف ما أمكن جمعه ونشره في هذا الديوان، وأكثره من شعره الباكر، ويقول ابنه الأستاذ مجد الدين: إن الذي ضاع من شعر والده في ثورة سنة ١٩١٩ نتيجة لتفتيش السلطات المنزل تفتيشا مطردا قد تبدد معه أكثر مخلفات حفني ناصف الأدبية والعلمية.

ولعل وزارة التربية والتعليم تعنى بتثقيف أبنائنا بهذا اللون من أدبنا النموذجي فتيسر اقتناءه في مدارسنا. ونرجو أن يعمل الأستاذ مجد الدين بإصدار نثر حفني ناصف وبقية آثار والده العلمية.

ويجمل أن يتعاون الأزهر ودار العلوم وكلية الآداب والقضاء على إحياء ذكرى حفني ناصف، فنقترح أن يختار ليوم هذه الذكرى التاريخ العربي الذي كان يحبه حفني ناصف وكل من نشأ على العروبة والإسلام كنشأة حفني ناصف. رحمه الله وأكرم ذكراه.

في ظلال الإسلام

ثلاثة مؤلفين — ٣٢٠ ص — دار العهد الجديد بالقاهرة

هذا الكتاب مجموعة فصول ودراسات كتبها أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ محمود

أمين النواوي المفتش بالأزهر ، والشيخ محمد عبد المنعم خفاجي ، والشيخ محمود فرج العقدة الأستاذان في كلية اللغة العربية ، وكثير من فصوله ليس بغريب على قراء المجلة ، وفي التصدير الذي كتبه المؤلفون لكتابهم دفاع عن علماء الأزهر وموقفهم من غزو الاستعمار الثقافي والفكري للعالم الإسلامي ، وأن واجب العلماء يحتم عليهم أن يقولوا ، وليس عليهم أن يشرعوا وينفذوا . ثم وصفوا الكتاب بأنه صور ودراسات إسلامية تقصد إلى شرح الإسلام ومبادئه وأصوله شرحا واسعا ، ومعها تراجم لعدد من أعلام الإسلام ممن هم موضع القدوة العليا في تاريخ الإسلام الديني والسياسي والعقلي .

والمؤلفون الثلاثة من كتاب هذه المجلة ، وقد عرف قراؤنا أساليبهم ، ومناطق دراساتهم فلا نزيد القراء تعريفاً بفضلهم وتقديراً لما يكتبون .

فارس الإسلام سعد بن أبي وقاص

الأستاذ حسني آدم حسين - ١٣٥ ص - المطبعة السلفية بالقاهرة

كتاب لطيف يجلو حياة هذا الصحابي الفاتح الجليل ، منذ نشأته الأولى وكيف التحق بكتيبة الإسلام في بداية تكوينها ، وماله من المواقف في تأييد هذه الدعوة والجهاد في سبيلها في مكة قبل الهجرة ، وفي مواقف الإسلام الكبرى بعدها ، وفي الفتوح العظمى في ظل الخلافة العمرية .

إن حياة سعد بن أبي وقاص قطعة من حياة الإسلام نفسه في عصوره الأولى ، وجهاد سعد بن أبي وقاص مثال كامل لعبقرية الإسلام في جهاده الإنساني لإعلاء كلمة الله والتنكيل بالطغاة والطغيان

وقد كتب لهذه الرسالة مقدمتها رئيس تحرير هذه المجلة ، إعجابا منه بإخلاص مؤلفها وصدق إيمانه فلفت إليها الأنظار .

الأدب والعلوم

المصاحف من الخارج
مرحبا على مشيخة الأزهر

أصدرت لجنة تعديل القانون الجمركي قراراً بتعديل فقرة من قانون الجمارك بأنه لا يجوز إدخال مصاحف القرآن الشريف من أية طبعة كانت إلا بعد العرض على إدارة المطبوعات لاستطلاع رأى مشيخة الأزهر .

التربية والتعليم بمصر
قبل الثورة وبعدها

من أهم ما تضمنه خطاب الشعب الذي ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر في افتتاح مجلس الأمة الفقرات التالية عن التربية والتعليم في مصر بعد الثورة مقارنة بما قبلها :

في العام السابق للثورة بني في مصر ٣ مدارس جديدة .. وفي سنوات الثورة الخمس بلغ مجموع ما بني من المدارس ١٢٣٥ مدرسة . أي بمعدل ٢٤٧ مدرسة كل عام .. أي بمعدل مدرستين كل ٣ أيام .

وفي السنوات الخمس السابقة على الثورة بلغ ما صرف على بناء المدارس ٢٥ مليون جنيه .. بالإضافة إلى مليونين ونصف مليون أنفقا على تجديد مدارس قديمة .

وفي أول سنة الثورة ، وصلت ميزانية التعليم إلى ٢٦ مليون جنيه . ثم قفزت إلى ٣٦ مليون جنيه . وفي هذا العام وصلت إلى ٤٥ مليون جنيه

وكان عدد الطلبة العرب والشرقيين في معاهدنا ١٦٧٩ وعددهم الآن ٨٥٣٤ .

وكان لنا في البلاد العربية ٩٩٠ مدرساً ولنا الآن ١٦٧٩ مدرساً

وكان عدد تلاميذ مدارسنا الابتدائية مليوناً وأربعمائة ألف ، فأصبح مليونين ومائتي ألف .

والمدارس الصناعية والفنية كان فيها ٣٢٠٠٠ طالب فأصبح فيها ٤٩٥٠٠ طالب

وكانت الجامعات تضم ٤٣ ألف طالب فأصبحوا ٧٤ ألفاً

والأزهر كان فيه ٢٢ ألف طالب ، فأصبحوا ٢٣ ألفاً .

ولنا الآن أكثر من مائة عالم مصري يتخصصون في أبحاث الذرة في أكبر مراكز البحث الذري في العالم .

الديانة الاسماعيلية

لمناسبة موت أغا خان إمام الطائفة الاسماعيلية النزارية في الشهر الماضي ودفنه بوصية منه في أسوان من صعيد مصر تساءل الناس عن حقيقة هذه النحلة ومنزلتها من الإسلام ، وكتب أحد أصحاب المجلات الأسبوعية يلح على الأزهر في بيان ذلك . وقد قامت مجلة الأزهر بهذا الواجب قديماً وذلك بما كتبته في جزء جمادى الأولى ١٣٧٢ ص ٦٤٢-٦٢١ بعنوان (من هم العبيديون) وبينت سر الاختلاف في نسب المعز وبنيه الذين ينتسب أغا خان إلى واحد منهم وهو نزار بن المستنصر ، كما تنتسب اسماعيلية البهرة إلى أخيه المستعلي بن المستنصر . وفي ذلك المقال بيان دقيق لأصل المذهب والشخصيات التي مثلت دورها في تكوينه وطريقته في النبي الروحي الذي انتقلت به سلسلة الاسماعيليين إلى عبد الله المهدي (٢٦٠ - ٣٢٢) الذي دخل سلسلة الاسماعيليين بالنبي الروحي أو ما يسمونه « الامامة المستودعة » مع أنه من ذرية ميمون القداح . والمذهب الاسماعيلي مذهب باطني ينافي الإسلام في جميع الأسس التي هو قائم عليها ، وقد أفصح شاعرهم عن حقيقة مذهبهم الحلولي يوم قال عند حلول عبيد الله المهدي مدينة رقادة :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه ريح

جامعة أسيوط

تفتتح كليتا الهندسة والعلوم بجامعة أسيوط في أول العام الدراسي القادم ، وقد اختير لها مقر مؤقت في مبنى المدرسة الثانوية التي تقرر نقلها إلى مكان آخر في أسيوط .

المدينة الجامعية

لطلبة جامعة عين شمس

تم بناء المدينة الجامعية لطلبة جامعة عين شمس ، ويفتتح جناحان منها في أول أكتوبر القادم ، ويتسع الجناح الواحد لاستيعاب ٢٥٠ طالبا .

أنباء العالم الإسلامي

مجلس الأمة

عقد مجلس الأمة في صباح ٢٢ يوليه أول اجتماع له ، فأقسم الأعضاء اليمين القانونيــة ، وانتخب السيد عبد اللطيف البغدادي رئيسا ، والسيد أنور السادات وكيلا أول ، والأستاذ محمد فؤاد جلال وكيلا ثانيا ، وفي المساء افتتح الرئيس جمال عبد الناصر أول دورة لمجلس الأمة ، وبعد أن حلف اليمين ألقى بيانه التاريخي الخطير الذي استغرق إلقاؤه ساعتين إلا عشر دقائق ، قدم فيه للشعب حساب الثورة عن سنوات حكمها الخمس ، وكان الأعضاء يقاطعون البيان بالتصفيق الحاد عشرات المرات ، وبعد انتهاء البيان هتف رئيس المجلس وأعضاؤه بحياة جمهورية مصر ، ثم غادر الرئيس جمال عبد الناصر القاعة والتصفيق يدوى من الأعضاء والزوار في الشرفات ، وأعلن رئيس المجلس تأجيل الاجتماع إلى مساء ٥ أغسطس .

حياة مصر الاقتصادية

بعد الثورة

جاء في خطاب الشعب الذي ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر في افتتاح مجلس الأمة أنه قد تم في سنوات الثورة توزيع ٨٠٠ ألف فدان طبقا لقانون الإصلاح الزراعي ، ورصدت ٤٠٠ مليون جنيه لمشروعات الإنتاج ، و ١١٢ مليونا للتعمير ، وقد حقق الميزان التجاري – لأول مرة – فائضا قدره ٦,٥٠٠,٠٠٠ جنيه .

الأسطول المصري

تعزز الأسطول المصري بقطع جديدة اشترتها مصر من بلاد الاتحاد السوفيتي وفي طليعتها ثلاث غواصات من أحدث طراز ، وست قطع من واضعات الألغام ، وخمسة عشر زورقا من زوارق الطوربيد . وقد تدرب رجال السلاح البحري المصري على استعمال هذه القطع أكمل تدريب .

مشروع أيزنهاور للشرق الأوسط

اعترف جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا في حديث أذاعه على التلفزيون البريطاني بأن مشروع أيزنهاور للشرق الأوسط لم يوضع كنتيجة للحملة الثلاثية على مصر ، ولكنه وضع كنتيجة لصفقات السلاح التي صدرها الاتحاد السوفيتي إلى المنطقة .

الاتحاد المصرى السورى

قال الرئيس جمال عبد الناصر لأعضاء الوفد البرلمانى السورى فى مهرجان عيد الثورة : « إنكم تستطيعون أن تعلنوا على لسانى رسميا أن الحكومة المصرية مستعدة للدخول مع الجانب السورى فى مباحثات لتحقيق الاتحاد المصرى السورى فورا ».

والتفت الرئيس إلى الوزراء المصريين الذين حضروا الاجتماع وقال لهم : إنكم مستعدون على ما أعتقد لبدء المباحثات مع رجال سوريا لوضع تفاصيل الاتحاد بالترحيب . فأمن الوزراء على قول الرئيس .

تونس جمهورية

فى صباح يوم الخميس ٢٧ من ذى الحجة (٢٥ يوليه) اجتمعت الجمعية التأسيسية التونسية لبحث نظام الحكم الصالح لتونس ، وقررت إلغاء النظام الذى كان يقوم على رأسه أمير أو ملك يسمى (الباى) والعمل بالنظام الجمهورى على الطريقة الأمريكية التى يتولى فيها رئيس الجمهورية رئاسة الوزارة ، واختير السيد الحبيب بورقيبة الرئيس الأول لهذه الجمهورية العربية الحديثة ، وتولى فى الوقت نفسه رئاسة الوزارة فى الحكم الجديد .

الانجليز بين مسقط وعمان

كان سلطان مسقط ـ الذى يحكم تحت الحماية البريطانية ـ قد اعترف لإمامة عمان بالاستقلال ، وذلك فى معاهدة (السيب) التى وقعت سنة ١٩٢٠ على يد الإنجليز ، ولما تبين للانجليز فى السنوات الأخيرة مظنة وجود بترول فى أراضى إمامة عمان دفعوا ربيبهم سلطان مسقط إلى نقض معاهدة السيب ومحاولة التدخل فى شئون إمامة عمان . ولما كان سلطان مسقط أضعف من أن يقوم بهجوم مستقل على إمامة عمان تعاونت بريطانيا معه على هذا البغى واشتركت قواتها العسكرية والجوية فى العدوان على بلاد إمامة عمان ، واعترف مستر ولم لندساى ممثل شركة مسقط الدولية للبترول بأن هذه الشركة تدفع إعانة لجيش مسقط ليقوم بهذه الحرب الباغية على جيرانه وذويه فى سبيل البترول .

فلسطين

بين الاستعمار وأعوان الاستعمار

تناول الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه بالإسكندرية يوم ٢٦ يوليه قصة حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فقال : إن الاستعمار يهدف إلى تصفية قضية فلسطين من أجل مصلحة إسرائيل ، ويعتمد فى هذا على أعوان الاستعمار فى الدول العربية ، وعلى الخونة العرب الذين اعتمد عليهم سنة ١٩٤٨ ، كلنا نعرف ماذا وقع فى اللد والرملة ، وكيف تركت لاسرائيل وفتح أمامها الطريق لتهاجم

مصر ، وواجه الجيش المصري وحده قوات إسرائيل . كلنا نعرف كيف حوصرت قوات من الجيش المصري في الفالوجة ، وكيف اجتمع قادة العرب وقرروا إنقاذ هذه القوات ، ولكن الجيش السوري كان هو الجيش الوحيد الذي وصل إلى الخليل ، والجيش السعودي كان مشتركاً مع الجيش المصري في الجبهة المصرية ، والجيش السوري توجه وحده إلى الجبهة بعد الهدنة ، أما الباقي فلم تصلهم أوامر ، لأن الأوامر لم تجئ من إنجلترا ، ولأن إنجلترا كانت هي صاحبة السلطة العليا في البلاد التي لم تتلق جيوشها أوامر بتنفيذ ما قرره قادة العرب في اجتماعهم ، هذا هو الفرق بين الاستقلال والاستعباد ، هذا هو الفرق بين البلد الذي يستمد سياسته من داخله والبلد الذي تأتيه سياسته من الخارج .

تقدم مصر الصناعي

جاء في خطاب الشعب الذي ألقاه الرئيس في افتتاح مجلس الأمة :

ينتهي في هذا العام بناء مصنع الحديد والصلب وإنتاجه مائتا ألف طن .

وتم توسيع معمل تكرير البترول في السويس وزاد انتاجه من أربعمائة ألف طن إلى مليون وثلاثمائة ألف طن .

وتم أيضاً إنشاء معمل في مسطرد .

وتم كذلك إنشاء معمل في الاسكندرية تصل طاقته إلى سبعمائة ألف طن .

وتم مد خط أنابيب بترول بين السويس والقاهرة طوله ١٣٠ كيلو متراً ، وكفايته ٢,٣٠٠,٠٠٠ طن .

وأوشك العمل في كهربة خزان أسوان على الانتهاء ، وتقدر تكاليفه بـ ٣٧,٥٠٠,٠٠٠ جنيه ، وسيعطي قوة كهربائية قدرها ١٨٨٠ مليون كيلووات ساعة تستخدم في الأغراض الصناعية بما فيها الكهرباء اللازمة لمصنع السماد الكبير الذي يجري إنشاؤه الآن ويتكلف ٢٢ مليون جنيه ليكون انتاجه ٣٧٠ ألف طن من سماد نترات النوشادر الجيري تبلغ قيمتها كل عام أكثر من ٨ ملايين جنيه .

وتم وضع مشروع التوسع الصناعي على خمس سنوات وسيترتب على تنفيذه زيادة في الدخل القومي مقدارها ١٣٠ مليون جنيه وبذلك يصبح نصيب الصناعة ٢٢ ٪ من الدخل القومي .

تعداد سكان مصر

تبين من عملية الحصر التمهيدية التي أجرتها مصلحة التعداد والإحصاء أن عدد سكان الجمهورية المصرية ٢٢و٨٤٠و٠٠٠ نسمة يجمعها ٤و٦٥١و٠٠٠ أسرة ، تسكن في ٤و١٥٦و٠٠٠ مبنى ، و٥و٢٣٩و٠٠٠ مسكن وفي القاهرة من ذلك ١٩٥ ألف مبنى و٧٠٠ ألف مسكن تقطنها ٦٢٨ ألف أسرة عدد أفرادها مليونان و٨٩١ ألف نسمة .

الفهرس

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

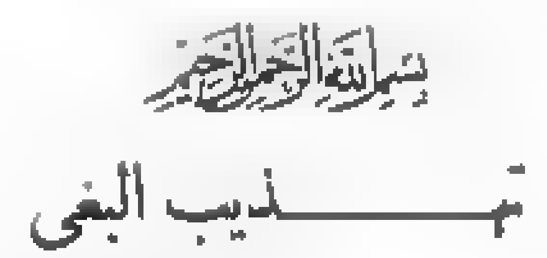
الاشتراك السنوي
قرش
١٠٠ في وادي النيل
٥٠ للطلبة في وادي النيل
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]


مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٥٦١١٤

الجزء الثاني – القاهرة في غرة صفر ١٣٧٧ – ٢٧ أغسطس ١٩٥٧ – المجلد التاسع والعشرون



بسم الله الرحمن الرحيم

تهذيب البغي

> لقد كان هذا الظلم فوضى ، فهذبت
> حواشيه ، حتى بات ظلما منظما
>
> حافظ

لقد احتك الشرق الإسلامي بالغرب المسيحي على مقياس واسع لأول مرة عندما زحفت جحافل الصليبيين من أنحاء أوربا لإبادة المسلمين ، وحصد شوكتهم ، وانتزاع بيت المقدس والبلاد الفلسطينية والديار الشامية من دائرة سلطانهم الرحيم ، فكانت الحروب الصليبية في القرون الوسطى حروب عن همجية وتعصب ذميم ، ما في ذلك شك . . . غير أنها كانت حروباً سافرة رفعت أعلامها وصاحت بها الملاحم والشعر ، وعلا صوت دعاتها بالإعداد والاستعداد ، وأعلنت عن نفسها بالطبول والمزامير ، وكان ملوكها وقادتها ودعاتها يجاهرون بما في أنفسهم غير متأثمين ولا مداهنين . . .

وفي عصرنا هذا ، أو بالتحديد بعد الحربين العالميتين ، صرنا نرى تحت الرماد ، بين الحين والحين ، وميض جمر لونه كلون الحروب الصليبية ، وصفاته وميزاته كصفات

الحروب الصليبية ومبرراتها ، والروح التي يوصف بها هي الروح الصليبية بلا أي فارق بينهما ، غير أن هـذا الجو المصري المستتر تحت غلائل من الرماد مجرد من صراحة الحروب الصليبية القـديمة وصورها : القلب قلب الحروب الصليبية ، والوجه وجه الحضارة الغربية ...

وقارن — إن شئت — بين الحروب الصليبية البغيضة التي سجلها التاريخ من مخازي القرون الوسطى ، وما وقع على مصر في أواخر أكتوبر من العام الماضي والأسبوع الأول من شهر نوفمبر ، أعني غارة العـدوان الغادرة التي كانت موضوع استنكار إجماعي في جمعية الأمم ، ذلك الاستنكار الذي اشترك فيه وأعلنه ممثلو خمس وستين دولة ، مما لم يسبق له نظير في تاريخ روابط الدول بعضها ببعض .

إن هذا الخزي المصري الذي استنكرته دول العالم جميعا ، ارتكبته دولتان كانت جامعاتهما ومجامعهما ومراصدهما وصحافتهما ومؤلفات علمائهما وأدبائهما توحي إلى الأحرار وأهل السـذاجة من متخرجي العالم الإسلامي وبعض خريجي جامعاته بأن تينك الدولتين هما حاملتا أمانات الحضارة الإنسانية ، ورائدتا التقدم العلمي والأدبي في الأرض ، وأنهما القدوة في الثقافة والتهذيب لكل أمة متطلعة تبحث عن أمثل السبل للنهوض والتقدم نحو المعالي . وبالدعاية لهذه المعاني في صحافتنا ومطبوعاتنا ومدارسنا وجامعاتنا وقاعات محاضراتنا — مضافا إلى ذلك ما قام به التوجيه الثقافي الاستعماري من تحويل مرافقنا كلها عن ثقافة العروبة والإسـلام في أسسها وروحها ، والاقتصار منها على أثارة من ظواهرها وشكلياتها — بهـذا وذاك ضعف إيمان شبابنا المثقف بماضيهم ومقوماتهم الأصيلة ، وبكيانهم وخصائصه المعنوية . ثم وقعت تلك الغارة الهمجية على مصر في نوفمبر الماضي — على غير انتظار من دعاة ثقافة الغرب والمتفرنجين — فمزقت بها نقاب الرياء ، وانكشف عما وراءه من الغدر اليهودي الخسيس ، متخذا له من هاتين الدولتين مطية لأغراضه البعيدة الأهداف ، فاضطر أمثال كاتب « ماقل ودل » إلى إعلان الكفر بالحضارة التي كان يبني لها ما كان يبني ، ويدعو لتقاليدها وأغراضها في الصحف والكتب .

ومع ذلك ما برحت قافلة البغي والظلم والتدمير سائرة في طريقها من الغرب إلى الشرق ، فالحرب هي هي : في ربوع الجزائر ، وفي قلب الوطن العربي من مخاليف اليمن ، وفيما بين مسقط وعمان ، بل في كل مكان . والسعايات والدسائس والتحريق والعبث في عقول الأطفال السذج والحكام ، لا تزال هي هي في كل بقعة يوجد فيها أناس منا يعيشون

لأنفسهم لا لأمتهم ، وللساعة التي هم فيها لا لتأمين الاتصال بين أمجاد ماض يجهلونها ، وأمداد في مستقبل قوي لا يؤمنون به ولا يقيمون له وزنا ، لأن الثقافة التي رضعوا لبانها لا توحي إليهم بهذه المعاني .

وفي الساعة التي أكتب فيها هذه السطور لاح في خبرات الصحف تحت غلائل الرماد لون جديد من ألوان الحروب الصليبية . طائرات وسيارات دبلوماسية تنقل حملة بطلان طرد وحكم ، وطلان الملحق العسكري الأمريكي في روما ، فيحمل كلا منهما إلى وطنه ليحتمي — بدلالة الدبلوماسيين الأمريكيين هوارد ستون ، ومسترفنسيس جيتون ، والكولونيل روبرت مالوي — الذين يتهمهم هؤلاء الأمريكيون من ضباط الجيش السوري بالتآمر على وطنهم وإحداث الفتن فيه ! ولكن هؤلاء السادة الذين يحاربوننا في ديارنا حربا صليبية مستترة ، فوجئوا بأخلاق عالية من الضباط السوريين الذين كانوا يحسبونهم متآمرين معهم ، فنفخ بعض هؤلاء الضباط غلائل الرماد عن الجمر الصليبي ، ووقى الله عاصمة الأمويين وحكومة سوريا الفتية شر الفتنة ، وقيل لهؤلاء السادة الدبلوماسيين الأمريكيين الثلاثة : تفضلوا واخرجوا من بلادنا ، فإنها لا تستطيع أن تحتملكم ...

إن أمريكا تريد أن تكون نظام حكمنا في بلادنا كما تشاء هي لنا وكما يلائم مصالحها ، لا كما نحب نحن لأنفسنا ويلائم مصالحنا . وتريد أن تكون اتجاهاتنا القومية والدينية كما تشاء هي لنا وكما يلائم أذواقها ومشاربها ، لا كما يليق بنا ونواصل به سيرتنا في التاريخ وإيماننا بالمبادئ والأهداف ... ومع هذا الاختلاف بيننا وبينها فيما تريده لنا ونريده لأنفسنا ، فإنها تزعم لنا كما تزعم للذين تحاول اصطناعهم من أبنائنا لإحداث الفتن في أوطاننا ، تزعم لهم ولنا ، أنها صديقة لنا ، وأنها جديرة بثقتنا بها وطمأنينتنا لها ! أليس الذين زحفوا علينا من أوربا في القرون الوسطى ، ليسلبوا حياتنا وأوطاننا ، كانوا — بصراحتهم في حروبهم السافرة — أكثر نبلا وأقل جريرة ؟!

وأحب أن يعرف القارئ من الآن أن ما تقدم ليس هو موضوع هذا المقال وما الحرب الصليبية وما وراءها ، وما الجهات التي تهتم بأمرها ، وتمهد لكل شيء أسبابه ، وأسباب الوقاية منه ، والوقاية في الإسلام شعبة من التقوى ، وكلاهما من شجرة واحدة في اللغة العربية ، لغة الأزل والأبد .

إن الذي أريد أن أتحدث عنه في هذا المقال هو حرب صليبية أخرى ، وسياسة صهيونية أخرى ، في هذا الوطن العربي الإسلامي ، ولقد فحص عن الحديث عنهما مقال

السيد الجامعي المصري النبيل الدكتور محمد محمد حسين الأستاذ بجامعة الإسكندرية الذي نشرنا شطره الأول في الجزء الماضي وأكملنا نشره في هذا الجزء . هو بحث هادئ رزين مملوء قوة وعلما وصدق لهجة وحسن توجيه .

« حصوننا مهددة من داخلها » هكذا يقول الدكتور محمد محمد حسين ، وهو في الموضوع ، إنه يتحدث عن الحرب والسياسة ، ولكن لا عن حرب الأسلحة الجوية والبحرية والبرية ، ولا عن سياسة الدبلوماسيين الأجانب الذين تحمل طائراتهم إلى دمشق طريد حكم ووضيع أخلاق ، ليتوليا عنهم وزر مؤامرتهما من رجال الجيش في بلد عربي ينكرون عليه حقه في أن يكون له نظامه الذي يختاره لنفسه لأنه يلائم مصالحه ، ويريدون أن يحدثوا فتنة ليقيموا فيه النظام الذي يشاءونه له ويلائم مصالحهم الأجنبية ، فيتحول عن مودته إلى معاديهم ، وعن أعدائه إلى أصدقائهم . . .

مقال « حصوننا مهددة من داخلها » يتحدث عن حرب أخرى غير غارة العدو على مصر في نوفمبر من العام الماضي ، وعن مؤامرة أخرى غير مؤامرة الدبلوماسيين الأمريكيين في دمشق ، إلا أنها حرب تلتقي مع غارة نوفمبر على مصر ومع مؤامرة الدبلوماسيين الأمريكيين في أهدافهما وغايتهما . ولا أكون مغاليا إذا قلت إنها حرب أبعد غورا وأعمق آثارا . وصدق الدكتور محمد محمد حسين إذ قال : « إن الدول لا تسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمال ، ولكنها تسود بالخلق المتماسك . وأهم مصادر الخلق المتماسك وأعمقها جذورا وأدومها أثرا هو الدين » .

أجل ، إن المال ، وإن الحديد والنار ، إذا لم يكن لهما رادع من الخلق المتماسك والدين القويم فمصيرهما الفشل . والدين القويم والخلق المتماسك هما عصمة المال وردء الحديد والنار ، وديننا — على الخصوص — دين أخلاق ، والرسول الذي بعثه الله بهذا الدين قد أعلن بكل صراحة أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق .

جمال عبد الناصر الذي يقف في وجه الاستعمار هذا الموقف الحكيم المشرف ، إنما استطاع أن يقف من الاستعمار هذا الموقف بما عنده من خلق متماسك وبما عنده من دين . إن أحدا لا يعرف اسم زوجته ، ولم يروا لها صورة في صحيفة . وأديب الشيشكلي الذي اتخذه الدبلوماسيون الأمريكيون في دمشق عكازا يتوكأون عليها ليحدثوا في سوريا

ثقة على الطريقة الأمريكية ، كان في مدة حكمه إذا بلغه عن ضابط في جيشه أنه لا يشرب الخمرة ، يدعوه إلى منزله ويقدم له الخمرة بيده ويرغمه على تناولها ، أو يصدر له البصاق والشر إذا استهلك هذا الضابط عاقبة رفضه . . . إن من لا دين له لا وطنية له ، ولا خير فيه لأمته وحكومتها .

إذا كانت الأخلاق حاجة من حاجات الأمة ، أي أمة ، وإذا كانت حاجة من حاجات مصر والأوطان العربية ، فإن مصر والأوطان العربية لن تجد مصدرا عليا للأخلاق يعلو على الإسلام أو يبلغ مستواه . ولن تجد مثلا أعلى للأخلاق ، كالخلق العظيم الذي كان عليه حامل رسالة الإسلام في تعامله مع أوليائه وشانئيه ، وكالأخلاق المختارة التي كان عليها أصحابه في تعاملهم فيما بينهم ، وفي معاملتهم الأمم التي فتحوا لها نوافذ النور يوم فتحوا بلادها ، فاستجابت لدعوتهم ، واندمجت فيهم ، وتنازلت عن لغاتها إلى لغتهم . كل هذا لما كانوا عليه من أخلاق رفيعة عالية تلقوها عن صاحب الخلق العظيم . إن الإسلام من جميع نواحيه دين أخلاق ودين سليمة وطريقة نبيلة ، لأن رسول الإسلام مبعوث إلى الإنسانية برسالة من أهم عناصرها النهوض بمكارم الأخلاق إلى مستواها الرفيع .

لكن رسالة الإسلام وصاحبتها العروبة كانتا في مئات السنين الأخيرة (يتيمتين) ، فليس للإسلام ما يقوم مقام الأنظمة البطريركية والمكتبية التي تتولى أبناءه ، وليس له ولا للعروبة حماية حكومية في أية بقعة من بقاع العالم تختصهما وترعى خيريتهما . لذلك بقيت مزايا الإسلام معطلة ، ومزايا العروبة مبعثرة مشتتة . فبقيت خواص الإسلام مدمرة في حياة ، وينابيع قوته وقوة العروبة مجهولة عن أهلها ، وكان الغرب يراقب مزايا الإسلام وصاحبتها العروبة بعيونه من المستشرقين فيحرص على تشويههما ، وتحويل وجوه أمانيهما عنهما ، ورصدوا في ميزانياتهم الاعتمادات السخية لمحاربة الإسلام بأنظمة التبشير في عمق الأعماق من أوطان الإسلام ، وأعدوا المكتشفين من رجالهم للسيطرة على منابع وروافد المعارف في أنحاء الشرق العربي والإسلامي ، وتوجيهها التوجيه الذي يكبت كل حيوية يمكن ظهورها في نهضة العرب والمسلمين . فكان من نتائج ذلك ما نراه الآن من حملة الأقلام والقائمين على صحفنا ودور النشر والمصورين والمؤلفين ، من العمل على هدم العفة ، وتمزيق براقع الحياء ، وتحريض البنات على الأولاد ، والدعوة إلى الاختلاط في المدارس ، والحط من كل شيء منسوب إلى

الإسلام ، والتحامل على علماء الإسلام بالحق والباطل لمناسبة وغير مناسبة . كل ذلك من نتائج الحرب الصليبية التي حاربنا الغرب بها في استعماره الثقافي لوزارات المعارف في الأوطان الإسلامية والعربية مدة تسلطه عليها ، وآتت أكلها بعد الجلاء العسكري عن بعض أوطاننا ، وما برح الغرب يواصل حربه هذه بالأساليب التي يجلوها لنا الدكتور محمد محمد حسين بدقة وأمانة وبعرض هادئ .

إن الذين يعاونون الغرب من رجالنا بترجمة الكتب الاجتماعية التي توجه أبناء العروبة والإسلام في عكس الطريق الذي ترشدهم إليه عروبتهم وإسلامهم لا ريب أنهم أعوان للغرب في حربه الصليبية من طريق الثقافة ، إنهم والغرب معا يجردون حصوننا من الداخل ، كما أن أذنابنا الشيوعيين – من أجل شهوة الحكم ولأنه تتعذر عليه فرصة – يعمل والغرب معا على تهديد حصوننا من الخارج .. الذين يترجمون الكتب التي تحدث عنها الدكتور محمد محمد حسين يحاربوننا مع مؤلفي تلك الكتب لينتزعوا قلوب قرائنا من سلطان العروبة والإسلام ، وليمكنوا أعداء العروبة والإسلام من الاستيلاء عليها ، والذين يهربون إلى الوطن العربي محتمين بالسفارات الأجنبية الدبلوماسية ليجتمعوا في منازل الدبلوماسيين الأجانب بضباط جيش عربي إنما يحاولون انتزاع السلاح العربي من سلطان العروبة والإسلام وتمكين أعداء العروبة والإسلام من الاستيلاء عليه .

في خلال العطلة الصيفية هذه السنة كان في زيارة مصر بعض ممثلي وزارات المعارف في الحكومات العربية الشقيقة التي تعمل على تحقيق الوحدة الثقافية العربية ، وكان منهم ممثلو لجنة التربية الدينية في مشروع المناهج الموحدة للمدارس الإعدادية والثانوية ، ومن حسن الحظ أن ممثلي لجنة التربية الدينية في وزارة معارف إحدى الحكومات العربية الشقيقة مؤمنون – كما نحن مؤمنون – بأن الشر كل الشر في إبعاد النشء العربي عن التربية الإسلامية ، وأن الخير كل الخير في إعداد النشء العربي إعدادا صحيحا بإسلامه ، وفي حمله على التربية التي يهدي إليها الإسلام ، ومن أعجب العجب أن بعض رجال وزارة التربية والتعليم عندنا من أشباه الذين نقرأ أسماءهم على بعض الكتب المترجمة التي تحدث عنها الدكتور محمد محمد حسين في مقاله ، كانوا يتألمون وتضيق صدورهم من رغبة ممثل البلاد الشقيقة في تزويد النشء بتربية إسلامية أوسع ، ويرون هذا التوسع في التعليم الإسلامي والتربية الإسلامية كأنه قطع تقتطع من لحومهم ، ولولا العون الجميل الذي لقيه ضيوفنا

من شخص وزير التربية والتعليم في مصر لما نجحوا في بعض ما نجحوا فيه مما يرجون أن يزدادوا فيه نجاحاً في المستقبل .

الحروب الصليبية في القرون الوسطى ، كانت حروباً صليبية حقاً ، ولكنها كانت صريحة لا تنطوي على رياء أو نفاق . لقد كانت حروباً بين أقصى مصالح الأمتين في الشرق والغرب ، لكنها بصورها ووضوحها كانت تسمي العدو عدواً والصديق صديقاً . ونحن الآن نواجه غزواً مهذب الحواشي ، من ورائه دارسون ودراسات ... إنه غزو مهذب ، يسمي العداوة صداقة ، والشر خيراً ، والاستعمار ملء فراغ ، والاحتلال معونة وربطاً وإحساناً . وكما أن من أسلحته المطارات والأساطيل والقنابل الهيدروجينية ، فإن من أسلحته كذلك الطائرات الدبلوماسية وكتب مؤسسة فرانكلين . وكما أن من جنوده أولئك الذين تتم عليهم التربية من المولودين في الولايات المتحدة ، فإن من جنوده كذلك أدباء المشكل ومترجمي الكتب التي يحدثنا عنها الدكتور محمد محمد حسين . بل من جنوده — أي من طابوره الخامس — كل حامل قلم ، وكل مصور ، وكل مؤلف ، وكل مدرس ، وكل خطيب أو محاضر ، وكل ممثل يحاول أن يهدم جانباً من بنيان الإسلام ، ويحاول أن يسفه حكماً من أحكام الإسلام ، وكل من يطارد بذكائه وعبقريته خلقاً من أخلاق الإسلام ، وكل من يحاول أن يجعل نساءنا رجالاً ورجالنا نساء .

نحن الآن في مفترق طريقين . طريق يدعونا إليه إسلامنا وعروبتنا وماضينا ومستقبلنا ، ومن مقتضاه أن نربط بين ماضينا ومستقبلنا بخط واحد مستقيم ، نجمع فيه جميع دقائق العلم وتفاصيله التي تجعله من أصل القوة في جيشنا وأسلحتنا وصناعاتنا وعمراننا وحضارتنا ، فنكون في هذه الكرة الأرضية أصحاب حضارة إسلامية فتية قوية شامخة . وطريق آخر يريد الغرب أن يسوقنا فيه ، ونكون فيه أجانب عن إسلامنا ، متنكرين لعروبتنا ، مجردين من ينابيع قوتنا ومصادر عزتنا ، ونكون فيه أمة طوع ومتعة نسير حسب توجيهاتهم ، ونعيش في تبعيتهم ، ونرى الأشياء بعيونهم ، ونكون كما يريدون لنا أن نكون .

فالذين يدعون إلى العامية في مصر ، ويجددون أختها في تونس ، ويتسابقون في ترجمة الكتب الأمريكية التي تدعو إلى الإباحية الجنسية باسم علم النفس ، والذين يكتبون ويصورون ويؤلفون ويحاضرون ويخترعون النكت لإسقاط المراكز الأدبية

وإخماد النخوة والحمية في قلوب الشابات والشباب ، والذين تنقبض صدورهم من التوسع في تعليم الدين والدعوة إلى التربية الإسلامية في المدارس ، كل هؤلاء ماشون في القافلة وراء الغرب ، ينفذون الخطة التي رسمها الغرب لإبعاد هذا الجيل من أبناء العروبة والإسلام عن العروبة والإسلام ، فهم في نظر الغرب أعوان له على تحقيق خطته ، لا فرق بينهم وبين الدبلوماسيين الذين يحملون رجال الفتنة بالسيارات الدبلوماسية والطيارات الدبلوماسية لينقذوا أعمارهم من رجال أي جيش عربي يزلزلهم عن أوطانهم ويتخذوا منهم كتلة تحقق الأغراض الأجنبية في سياسة أوطاننا .

هما طريقان : أحدهما يريد تجديد الحيوية في مصادر قوتنا الأصيلة ، لتحتل المكان اللائق بنا بين الأمم ، والآخر يريد محق هذه الحيوية في مصادر قوتنا الأصيلة لنكون إفرنجا يتكلمون اللغة العربية ، بل اللهجات العامية العربية ، ونسير وراء الغرب في حربه الصليبية المهدمة التي تغزو قلوبنا وعقولنا واقتناعاتنا ، فهذا يقول وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس : « إن سياسة أمريكا في الشرق الأوسط ينبغي أن تكون : الغزو من الداخل » .

إن هذه الدعايات التي تتبارى بها الصحف لتهوين أمر الدين والفضائل وتوجيه النشء في غير طريقهما ، وهذه الكتب التي يختارها الغرب للشرق ويستأجر الأقلام لترجمتها وإذاعتها بيننا لتقريبنا منه وإبعادنا عن كتبنا وأنفسنا ، كل هذا لم يوجد في بلادنا اعتباطا ومن غير قصد ، بل هو نتيجة بغي مهذب ، وخطط مدروسة ، وأهداف معينة . فكما أن حركة التبشير في الشرق نظمت لأغراض مخصوصة ، وعززت بالأموال والتأييد لتحل محل الحروب الصليبية القديمة ، فإن الدعايات المعاصرة لتحويل أبناء المسلمين عن الإسلام قد نظمت لتصل حركة التبشير في مهمتها ومقاصدها .

كانت المعركة بالسيوف والحراب والمجانيق ، ثم صارت بالمدافع والبنادق وإرساليات التبشير ومدارسها ومرافقها ، ثم صارت بالطائرات والدبابات والغواصات ، ثم صارت بالقنابل الذرية والهيدروجينية . وقد انضم أخيرا إلى كل هذه الأسلحة الطائرات الدبلوماسية والكتب والغارة على العقول والقلوب ، لإخراج العرب والمسلمين عن أخلاق عروبتهم وآداب إسلامهم .

أيها العرب والمسلمون يجب أن تعرفوا أعداءكم ، وقد يكونون في بيوتكم .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٥٢ -

من عجائب القصص الكريم

مائدة عيسى عليه السلام

> أ — «إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟
>
> ب — قال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين»

الحواريون: هم الخاصة، والصفوة الأولى من أتباع المسيح عليه السلام، وقد شهد القرآن لهم بما فيه الكفاية من تزكيتهم، وثنائه عليهم.

ومن ذلك قوله تعالى: «وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي، وبرسولي — يريد عيسى — قالوا: آمنا، واشهد بأننا مسلمون».

وبلغ من ثناء القرآن عليهم أن دعانا إلى القدوة بهم في صدق الإيمان، فقال: «يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: من أنصاري إلى الله؟؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله».

ومع هذا الإيمان المشهود به للحواريين، طمحت نفوسهم يوما إلى شيء ظنه عيسى نزوعا منهم إلى التمرد، ووقف منهم موقف الرادع، إذ فاجأوه بقولهم له: «يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء» فهاله سؤالهم، وخشي عليهم مغبة السؤال وأن يكون هذا بادرة عناد، أو مشعلة للأماني والطلب، وحينذاك عاجلهم بالرد غير متريث، فقال: «اتقوا الله إن كنتم مؤمنين».

يريد عيسى عليه السلام أن يرجع بهم إلى الإيمان المعهود فيهم ، ومن شأن الإيمان أن يذود صاحبه عن سؤال خوارق كهذه من قدرة الله على إنزال مائدة من السماء ، فضلا عن كونه معنتا لم تجر به العادة ، ولا هو من مسالك الرزق المألوفة ، بل هو أشبه بما كان يمتد إليه بنو إسرائيل في طلبهم أن يرزقوا من السماء بالمن والسلوى ، ثم لا يرضون بعده ، ولا يحمدون ولا يشكرون ، فكيف يقصد الحواريون إلى المسألة على هذا النحو المريب من سواهم ؟ ؟

هذه عوارض خطيرة يثيرها لدى عيسى طلب الحواريين إنزال المائدة وعليها من الأطعمة ما يشاء الله .

ولكن الحواريين يعودون بالإيمان المعهود فيهم ، ويكشفون لعيسى عما يعتزمونه حقا فيقولون له : « نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين » .

ولا شك أن في المائدة تحقيقا لتلك الأغراض وزيادة ، فهم يفرحون بالأكل منها لأنها تحية لهم من عند الله ، وهم يستدلون بها على صدق إيمانهم ، وقبول رجائهم ، وهم يعلمون — علما آكد — من حضورها بطلب عيسى أنه صادق في كل ما يدعيه وكل ما يدعوهم إليه ، وهم وراء ذلك يكونون شهداء — لدى من لم يشهدها من القوم — على روعة تلبية لعيسى في دعوته ، وشهادتهم تروج الدعوة ، وتنهض الحجة ضد آخرين .

بهذا الإيضاح تذهب الشبهة التي علقت بموقفهم ، ويتبين لعيسى أنهم جادون في الرجاء وغير عابثين ، ولا مترددين .

وكثيرا ما يكون الإيمان والرغبة في المزيد منه سببا في التشطط والإمعان في الطلب ، وخاصة إذا اقترن الإيمان شيء من السذاجة ، أو كان الحظ من العلم غير كثير بجانب اليقين الموفور ، وحينما ينبه المرء على شططه ويوجه إلى الاحتشام فيما يهجس به ، تراه يثوب إلى الحق ، ويبادر إلى تجلية قصده ، وبيان مآربه .

وهذا فرق ما بين المؤمن فيما يشتد من أمانيه ، والكافر فيما ينبعث من عناده وتحديه .

فالمؤمن يترفق ، ويتلطف ، ويحتشم ، ويترضى ، والكافر يتجهم ، ويمعن في الشك ، ويتحول من عناد إلى عناد .

وأنت تذكر من أمثلة الغريبين .. ما يحكيه القرآن عن إبراهيم عليه السلام إذ طلب من الله أن يريه كيف يحيي الموتى ، فلم يكن ذلك شكاً منه في السؤال بل « ولكن ليطمئن قلبي » ، فاستجاب له ربه .

وتذكر أن الكافرين كانوا يطلبون الآيات ، فلما تحقق لهم يصدون عنها ويستهزئون بها « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً » .

وموقف الحواريين من طلبهم نزول المائدة موقف المؤمن المستزيد ، المتطلع إلى جديد يستمد منه القوة لديه والتثبيت لإيمانه ، لا موقف المشاقة والتحدي ، فلذلك استجاب المسيح لرغبتهم وتهيأ للدعاء بما اعتاد من طهارة ، ولباس واتخاذ موقفه إلى القبلة بين يدي ربه ، وقال : « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين » .

فهذه ضراعة مبرورة يتجه بها عيسى إلى الله . إله الجميع ، ورب الجميع ، أن ينزل عليهم المائدة من السماء تكريماً لهم ، ولتكون عيداً لهم ولمن يأتي بعدهم ، ولتكون آية بينة من عند الله على تأييده لرسوله المسيح ولمن يهتدي بهديه .

ثم يطلب إلى جانب هذه المعاني المقصودة أن يرزقهم الله ترزيقه ويوفق من معه للحمد ويعينهم على الشكر .

وإلى هنا تمت الوصية وبعثت النية ، فماذا كان من ثمرات الدعاء ؟؟ قال الله : « إني منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم ، فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » .

فهذا وعد من الله بأنه منزل المائدة على عيسى وقومه ، غير أنه وعد مقرون بالشرط ، والشرط هو أن من كفر بالمائدة يعذبه الله عذاباً لا يعذب مثله أحداً من العالمين .

فإذا صدق الوعد بإنزال المائدة صدق الوعيد به لا محالة بحصول الجزاء بحصول شرطه ، وخلاصة هذا أن المائدة التي وعدهم الله بها مشروط فيها عدم الكفر بها فإذا حصل بها كفر فسيعذبه عذاباً لا نظير له .

فهل نزلت المائدة وجرى في شأنها حديث ؟؟

فريق من العلماء يأخذون بظاهر الوعد ويقررون وقوعه ، ويضعف بعضهم الحديث ، ويقولون : حصل من بعض القوم كفر بها ونزل بهم عذاب شديد ، وأرجح الأفهام التي قيلت في ذلك أن الوعد مشروط بعدم الكفر .

ولما خشي القوم أن يهلك بعضهم بسبب كفره بالمائدة عدلوا عن طلبهم وانصرفوا من عيسى وعن التطلع منه إلى تحقيقه ثم تنزل المائدة .

وليس في هذا خلف للوعد لأنه كان مشروطا بشرط لم يتعهد به القوم ولم يرضوه ، ويرجح هذا أنها لو نزلت لكانت عيدا مأثورا للخلف عن السلف كما طلب عيسى ، ولكن لم يعرف لدى أهل الكتاب شيء عن ذلك العيد .

ويكون مغزى هذه القصة الكريمة أن الله أعلم الحواريين بقدرته على إنزال المائدة وأنه تعالى افترض عليهم نظير إنزالها أن يؤمنوا بها تقديرا لها .

وأنه لما عرفوا من شأن أنفسهم عدم القدرة على تمام الوفاء أعفاهم من إنزالها رحمة بهم وتجاوزا .

وبقيت القصة خالدة في القرآن مظهرا لمنزلة الحواريين من التقرب إلى الله ، وأمارة على قدرة الله في خلق العجائب إذا اقتضتها الحكمة ، ولم تعارضها حكمة ، وبقيت نكتة على قوم عيسى عليه السلام وتذكيرا لهم بما كانوا عليه من حق ومطاوعة ، وبما أصبحوا عليه في دينهم ودنياهم .

والعبرة للجميع والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

سؤال غير الله

سمع علي رضي الله عنه رجلا يسأل الناس في الموقف يوم عرفة فقال له : « أفي هذا اليوم ، وفي هذا المكان تسأل غير الله ! » وخفقه بالدرة .

السنة

مكان النصح في الاسلام

— ٢ —

منزلة هذا الحديث من السنة — لكل مسلم حق ناصح ومنصوح — أركان الفوز والسعادة — النصح عام وخاص — مرض مبرح — خدمة السنة — دين واجب القضاء .

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .

وعنه رضي الله عنه قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقنني — فيما استطعت — والنصح لكل مسلم . (رواهما الشيخان)

• • •

منزلة هذا الحديث من السنة ، بمنزلة سورة « العصر » من الكتاب المبين .

أجمل الدين كله ، أصوله وفروعه ، في هذه المبايعة الجامعة التي اختتمها بالنصح لكل مسلم ، كما أجملت السورة الكريمة الدين كله ، أصوله وفروعه كذلك ، في الإيمان وعمل الصالحات ، ثم اختصت من بين الصالحات بالذكر ، تواصي المؤمنين بالحق ، وتواصيهم بالصبر . وفصل الكتاب ما أجملته السورة ، كما فصلت السنة ما أجمله الحديث .. وقام الدين الحنيف كاملا شاملا صالحا لكل زمان ومكان — على كتاب الله وسنة رسوله معا ، لا يزيغ عنهما إلا هالك .

والنصح لكل مسلم يقتضي أن يخلص كل من المسلمين لأخيه كائنا من كان ، ويبادله النصيحة ما استطاع إليها سبيلا ، فيكون كل منهم ناصحا ومنصوحا . . . وهذا التناصح

الشامل الكامل، هو التواصى بالحق والتواصى بالصبر، فى سورة العصر، التى جعلت أبلغ بيان وآكده أنهما ركنا السعادة والفوز فى الحياتين، بعد الإيمان بالله والعمل الصالح جميعا.

* * *

ومهما تختلف درجات النصح وتتعدد مناحيه وشئونه فى الدين والدنيا، فإنه صنفان: عام، وخاص.

فأما النصح العام، فهو فى أبواب الحلال والحرام مما يستوى فيه الخاصة والعامة، والعالم وغير العالم، وهذا لا يعذر أحد بجهله؛ لأن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن، وإن من الحرام الغش والمماطلة، والخديعة والنفاق فى النصيحة، وهذا النوع من النصيحة فرض عين على كل مسلم.. وعلى كل جاهل أن يتعلم الضرورى من دينه، ليعمل به ويصلح فيه، وإلا كان آثما ومقصرا، وبعيدا عن أخلاق المؤمنين وسماتهم «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم».

وأما النصح الخاص، فهو فى دقائق الفقه، وأسرار الشريعة، ومسائل الاجتهاد والاستنباط، وما إليها من معضلات السياسة، ومشتبهات الأمور، وتدبير الملك فى حدود ما أنزل الله على رسوله.. وتلك مرتبة خاصة لا ينهض بأعبائها إلا أولو الأمر من الأئمة المجتهدين، والعلماء الراسخين، ممن اختارهم الله حملة لشريعته، وحماة لملته، وورثة لنبيه صلى الله عليه وسلم، فهم بهديه يهتدون، وعلى بصيرة من ربهم يهدون، علموا وعلّموا وبينوا ولم يكتموا، ونصحوا لله ولرسوله، فجزاهم الله عن نبيه وأمته خير ما يجزى الناصحين المخلصين...

* * *

ثم خلف من بعدهم خلوف خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، [illegible] عن الاجتهاد، واحتالوا وتأولوا.. ولكن لا تزال من بينهم طائفة متفقهة فى دين الله، ظاهرة على الحق، ناصحة لله ولرسوله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله.

ولئن جاز أن يكون هذا النوع الخاص من النصح موضع بحث بين العلماء فى أنه فرض كفاية، أو فرض عين على كل مستطيع له، فإنه لا جدال فى أن النصح فى الحديث مطلق، وأن الحديث يدعو كل مسلم ألا يألو جهدا فى النصيحة على قدر علمه ووسعه «ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها». وفى هذا البحث عودة نرجو أن تكون بمشيئة الله قريبا.

أما بعد ، فقد وعدنا بعرض منهاج « السنة » في هذه المجلة منذ صدورها إلى وقتنا هذا ، رغبة الاسترشاد بآراء الناصحين في سديد خطتها ، واستدراك ما وقع من تقصير في حقها ، والسنة — وهي ثاني الأركان التي هي عصب الدين — حق العناية بها ، وبذل الجهد في نشرها ، وتيسير الطرق إليها ، وإلى الفقه فيها والذب عنها ، وكشف الدسائس التي يلبسها أعداء الله ورسوله للتمسك منها ، تذرعا إلى النيل من كتاب الله المجيد . ومن أحق بهذا كله من الأزهر ، شيوخه ، ورجاله ، وعلمائه ، ومجلة لوائه في مصر خاصة والعالم الإسلامي كافة ؟ .

• • •

لقد أسست هذه المجلة على الكتاب والسنة من أول يوم :

فكتب فيها الأستاذ حسن منصور منذ صدورها حتى الجزء السابع من المجلد الثاني .

ثم كتب فيها شيخنا إبراهيم الجبالي من المجلد الثالث حتى الجزء الأخير من المجلد الخامس ،

ثم كتب فيها الأستاذ عبد الرحمن الجزيري [1] من المجلد الثامن حتى الجزء الأخير من المجلد الثاني عشر .

ثم كتبت فيها منذ صدور الجزء السادس [2] من المجلد الرابع عشر حتى الجزء الأول من المجلد العشرين .

ثم كتب فيها الأستاذ فكري ياسين [3] من المجلد العشرين إلى منتصف المجلد الثاني والعشرين

---

[1] اختتم كتابته رحمه الله في الجزء الثاني من هذا المجلد ، [الإخلاص] واختتمها بـ [زيارة القبور]

[2] جاءت أحاديث هذه الفترة بحديث [من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه] واختتمت بحديث [الصوت في الإسلام] حيث كنت مبعوثا من الأزهر إلى البلد الحرام

[3] [illegible] شيخ الأزهر رحمه الله في الجزء السادس من هذا المجلد ، وفي هذا الجزء [illegible] كتبت في السنة بعنوان [زكاة الفطر حكمها وحكمتها] ثم كتبت في الجزء الثامن من هذا المجلد بعنوان [[illegible]] .
وظلت المجلة خالية من الكتابة في السنة إلى آخر المجلد الثالث والعشرين ، إلى أن استأنفت الكتابة فيها بعد عودتي من الحجاز .

وقد تبين من هذا العرض أن أطول فترة خلت المجلة من كتابة السنة فيها ، هي ما بين الشيخين الجليلين رحمهما الله الجبالي ، والجزيري ، ثم الفترة التي بين وفاة الشيخ الجليل [illegible] ، ثم الأستاذ [illegible] بين وفاة الأستاذ فكري !

ثم استأنفت الكتابة في العهد الأخير منذ صدور المجلد الرابع والعشرين

• • •

وإلى جانب أولئك الكاتبين ، كتب كتاب أفاضل في السنة والسيرة والشمائل ، ما يجمع للكاتب علما حيا في الهدى النبوي ، ودستورا مشرقا في أحكام الإسلام وآدابه ثم في حياة سلفنا الصالح بالسنة ، وبكلهم من الدين نصيب .

هذا عرض موجز سريع ، لم نطل فيه خشية الإملال ، نذكر به أولى البصيرة من الكتاب والسنة ، ونرغب إلى الله تعالى ونضرع إليه أن يسددهم ويوفقهم للتأدية دين عليهم ، يعلمون أنهم مسئولون عنه بين يدى الله عز وجل ، وأنه لن يؤديه عنهم مجرد الكتابة ، بالغة ما بلغت من بلاغة القلم ، وفصاحة اللسان .

• • •

بقى ، ويوصى فضيلة أستاذنا الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن ، بأن يكون طابع الكتابة في المجلة علميا ، قبل أن يكون وعظيا أو أدبيا ، ويرى غيره أن يكون طابعها فقهيا ، على حين يرغب كثيرون أن يكون منهجها تربويا واجتماعيا .

ويرى بعض الأفاضل أن يكون من المجلة ركن لتيسير الثقافة الإسلامية العامة ... وهذا عرض جدير بالبحث والنظر ، والله المستعان على اتباع أحسن القول ، وسلوك أهدى السبيل ؟

طه الساكت

بنو وطني

سرت الحرية من أقصى الشمال إلى ... أقصى الجنوب لأهل الضاد أوطاني

لا فرق في الحس والنجوى وإن شحطت ... بي النوى و(دس) الحقد حواني

ونحن في الدين والفصحى سواسية ... وفي المطالب والآمال أخدان

فإن توحد منها اليوم معظمها ... فإن سائرها لا شك لحاق

المجد سيف وإقدام وتضحية ... والمجد عدل وإصلاح وعمران

تلك العزائم في الإسلام بالغة ... بالله ، ما شهدت ضيما وحرمان

أحمد إبراهيم غزاوي

حصوننا مهددة من داخلها

— ٢ —

ننتقل الآن من مؤسسة روكفلر إلى مؤسسة أمريكية أخرى سبق أن قدمت كتابا من الكتب التي أخرجتها دولاراتها (١) هي مؤسسة فرانكلين . أصدرت هذه المؤسسة فيما أصدرته من مطبوعات (٢) سلسلة عنوانها (كيف نفهم الأطفال - سلسلة دراسات سيكولوجية) . وقد أشرف على هذه السلسلة وقدم لكل كتاب من كتبها الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني بوزارة التربية والتعليم في مصر . والحديث في هذه السلسلة موجه إلى الآباء والمدرسين حسب ما هو مبين على غلاف كل عدد من أعداد هذه السلسلة ؛ إذ رسم في أعلى الجانب الأيسر كتاب مفتوح ، في إحدى صفحتيه « الطريق إلى حياة أفضل » وفي الصفحة الأخرى « علم النفس للآباء والمدرسين » .

ويؤكد الدكتور القوصي هذا الهدف ؛ إذ يقول في تقديم العدد الأول من أعداد هذه السلسلة الذي صدر في مارس ١٩٥٤ ، وأعيد طبعه في أكتوبر ١٩٥٥ - مما يدل على الروح الذي تنفثه هذه السموم الأمريكية - يقول في هذه المقدمة : « هذا هو الكتاب الأول في مجموعة من الكتب تهدف إلى توجيه الآباء والمدرسين إلى حياة أحسن من تلك التي يعيشونها . ولا نقصد بالحياة الأحسن أن تكون من الناحية المادية ، وإنما هي حياة أحسن من حيث الأداء لرسالة الأبوة ورسالة التربية » . فالمشرف على هذه السلسلة - وهو من كبار رجال التربية في مصر - يعرف أن هذه المؤسسة الأمريكية تهدف إلى توجيه الآباء والمدرسين . وهو يقر هذا الهدف ويرضى نفسه أن يجني الأموال الأمريكية منه . وهو يعرف - كما يعرف كل عاقل - أن الناس لا يصدرون فيما يأتونه من أعمال إلا عن دوافع تدفعهم إلى العمل ، وأن هذه الدوافع مهما تختلف وتتنوع فهي تشترك في أنها تحقق نفع الفرد أو الجماعة التي ينتمي إليها . فليت شعري ألم يرد على خاطر الأذكياء الذين شاركوا في هذه الأعمال - كتبا كانت أو مقالات أو مؤتمرات -

---

(١) كتاب (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) في جزء شعبان ورمضان من العام الماضي .

(٢) الكتب التي تخرجها هذه المؤسسة جميعا لمؤلفين أمريكيين كما هو معروف ، وهي مختارة اختيارا خاصا يبرز إجمالا ما يتفق منها من المثال الأمريكي .

هذا السؤال الذي لا ينبغي أن يغيب عن البال : ما هو النفع الذي يعود على هذه المؤسسة ، والذي يدفعها إلى بذل ما تبذله من جهد ومن مال ؟ إنه لم يكن هذا السؤال قد ورد على أذهان هؤلاء الأذكياء فقد ورد على ذهني ، وأظنه قد ورد على أذهان الكثير من الأذكياء ومن غير الأذكياء . وقد تكون الإجابة عن هذا السؤال طويلة ، وقد لا تكون واضحة في أذهان الذين يتساءلون . ولكن من الأهداف الواضحة التي لا تخفى أن مثل هذه المشروعات تحقق أول ما تحققه توثيق الصلات بنفر من ذوي النفوذ وكسب ودهم وولائهم بإبدال المنح الذي يقدم في صورة مهذبة مؤدبة جدا . فهو لا يعدو أن يكون أجرا على مجهود قد بذل، وقد لا يكون هناك مجهود ، وقد يكون المجهود تافها وصوريا . وقد يكون الأجر مضاعفا أضعافا كثيرة . ولكن المأجور لا يقول عادة إن الأجر كبير ، وصاحب العمل مهذب رقيق يقدم هداياه المنح في أدب جم وفي حياء (كأنك تعطيه الذي أنت سائله) – كما يقول أبو تمام .

وهدف آخر من هذه الأهداف الواضحة هو السيطرة على توجيه المجتمع ، عن طريق هؤلاء الأصدقاء من أصحاب النفوذ ، وعن طريق المخدوعين بأصدقائهم ممن يقرءون ما ينشرون . والذي ينشرونه ليس باطلا كله ، بل إن فيه حقا كثيرا . بل إن الباطل فيه يلبس ثوب الحق فيصعب على غير الخبير الاهتداء إلى موضع الخطر فيه . ولكن بعض الأباطيل عارية لا تخفى ولا تلبس غير أثوابها . فمن هذه الأباطيل العارية ما جاء في العدد ١٢ من هذه السلسلة وعنوان هذا العدد هو (العمل والأمور الجنسية) . وما نقل في السطور التالية صورا من هذه الأباطيل مكتفين بهذا النقل عن التعليق .

قدم الكتاب في صفحتي ٢٢ ، ٢٣ مجموعة من الأسئلة في صورة اختبار يساعد الآباء – فيما يزعمه المؤلف – على تبين اتجاههم الخاص في وضوح ودون حرج ، وعلى تقدير ما تنطوي عليه تصرفاتهم من خطأ أو صواب ، وأثبت المؤلف الإجابة الصحيحة المزعومة على كل سؤال من هذه الأسئلة في ذيل صفحة ٢٣ ، ومن بين هذه الأسئلة السؤال رقم ٩ ونصه هو : « هل ترى في التعبير الساخر عن الحبة ما ينبئ عن ذوق رديء أو ما يثير الحرج ؟ » . والجواب الصحيح فيما يزعمه الكتاب الأمريكي هو « لا » . والسؤال التالي هو : « هل تعتقد أن المواقف التي تتضمن ناحية جنسية تثير الضحك ؟ » والجواب الصحيح الذي أثبته الكتاب هو « نعم » .

وجاء في ص ٤٦ : « إن الكثيرين من الآباء اليوم لا يكترثون للظهور مجردين من الثياب أمام أطفالهم الصغار . وهذا أمر لم يكن يحدث في الماضي إلا نادراً ، كذلك أصبحت أبواب الحمامات وغرف النوم تترك مفتوحة أحياناً فيرى الصغار أبويهم وهم يخلعون ملابسهم أو يرتدونها ، فإذا كان في وسع الآباء أن يفعلوا ذلك بصورة طبيعية ودون شعور بالحرج أو الاضطراب فإن ذلك يكون أمراً طبيعياً ، لأنه يعود الطفل على الشعور بأن الجسم ليس أمراً مشيناً ، كما يساعد على إشباع فضوله فيما يتعلق بأجسام الكبار »[1] .

وجاء في صفحة ٦٠ : « إذا حدث التجريب في النواحي الجنسية في الفترة الواقعة بين سن ٨ ، ١٢ ، فمن المحتمل أن يقع بين أفراد الجنس الواحد ، إذ نجد الصبية مثلاً يعرضون أعضاءهم التناسلية بعضهم على بعض ، ويعتبر ذلك محاولة من الطفل لتحديد مدى تشبهه بأقرانه . كذلك قد يلجأ البعض إلى ممارسة العادة السرية ــ كمحاولة لتخفيف ما يشعرون به من توتر جسمي وانفعالي ــ ومرة أخرى نقول : إن هذا السلوك لا يعتبر غير طبيعي ، ولا يدمغ الطفل بالشذوذ أو الإجرام أو الانحراف ، كما أنه لا يستدعي عقابه أو تهديده بأنه سيصاب بأمراض خبيثة ، ولا يتطلب محاضرات خلقية تلقى عليه ، كما لا يبرر نبذه وتحقيره » .

وجاء في صفحتي ٦٢ و ٦٣ : « بدلاً من فصل البنين عن البنات يجب علينا أن نعمل على إشراكهم معاً في الأعمال المختلفة ومواقف اللعب ، وأن نحاول مساعدتهم على تكوين مشاعر طبيعية صريحة نحو أفراد الجنس الآخر . وعلى الآباء تشجيع أطفالهم على المساهمة في نواحي النشاط المشتركة بين البنين والبنات مما تشرف عليه المدرسة والجمعيات الرياضية أو المراكز الاجتماعية . فهذا النشاط المشترك ليس « مواعيد غرامية » بل هو فرص لاشتراك البنين مع البنات في متع الرياضة وركوب الخيل أو الدراجات والسباحة وغير ذلك . وإذا حدث « استلطاف » بين بعض البنين والبنات فينبغي النظر إليه على أنه نوع من الصداقة وليس « غراماً » أو « عشقاً » . وإنما كانت التربية

[1] أرأيت إلى الذين يريدون أن يعودوا بنا إلى العصر الأول والجاهلية الجهلاء . هل ترى كبير فرق بين مذهبهم هذا وبين مذهب الذين يمارسون العري في معسكر العراة .

التي من نوع « مراد وسمير صديقان حميمان » فقد حدث في صداقتهما دفء كان يغمران رأيه . وقد ولد فيهما الشعور بأننا نتوقع منهما أن يسلكا مسلك الكبار » .

وجاء في صفحة ٧٨ « إن خروج المتحابين في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها — في الوقت المناسب على أي حال — باعتباره جانبا من جوانب النمو الجنسي الراهق » .

وجاء في صفحتي ٨٧ ، ٨٨ : « في كل علاقة تقوم بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافع يحفزه إلى التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسة أو ضغطة على اليد أو قبلة ، والرغبة في الكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعي » .

وأخيرا يقترح مؤلف الكتاب برامج للدراسة في مراحل التعليم المختلفة ويضع تحت كل برنامج من هذه البرامج ما يرى أنه حقيق بالدراسة ، ومن بين ما يراه حقيقا بالدراسة في برنامج « المواد الاجتماعية » (ص ١٠٤) : « المعايير الدينية والأخلاق الحديثة ، وأساليب المجتمع في تقرير الخطأ والصواب [١] » و « المركز الاقتصادي والقانوني للمرأة وكيف تأثر بتغير الظروف الاقتصادية في المجتمع وأثر هذا التغير على حياة الأسرة والزواج » . ومن بين ما يقترحه المؤلف في برنامج (العلاقات العائلية) ص ١٠٥ — ١٠٦ « كيف تعرف أن ما تشعر به هو الحب ؟ — كيف تختار رفيق حياتك ؟ — فترة الخطوبة — العلاقات السابقة على الزواج . الخ » . ومن بين ما ذكره تحت عنوان : « النشاط غير المنهجي » ١٠٦ — ١٠٧ في بيان أهداف هذا البرنامج وأساليبه : « والغرض منها مساعدة الطلاب والطالبات على تنمية علاقات طيبة ، ويشرف على توجيهها المدرسون بصورة بعيدة عن الرسميات ، وهي تتضمن . أندية الشباب — صحيفة المدرسة — جمعيات الهوايات والميول — التمثيليات — مجالس إدارة الفصل — حفلات السمر والرقص » .

وجاء فيه أيضا . « فمن حق الآباء أن يهتموا بمدى كفاءة الذين يقومون على تعليم أبنائهم وبناتهم الأمور الجنسية ، فهم يريدون مدرسا يستطيع تزويد التلاميذ بنظرة عامة عن الزواج والتكيف الجنسي ، وقد يشعر البعض منهم أن خير من يستطيع ذلك هم المتزوجون والمتزوجات ، ولكن ليس هناك ما يدل على أن هذا شرط ضروري ، وإن كان له بعض المزايا » .

---

[١] تأمل معي قوله : « الأخلاق الحديثة » وكأن في الخلق قديما موروثا جاءت به الأديان ، وجديدا يخالف ما تواضعت عليه الأديان والمجتمع في تقرير الخطأ والصواب

وإذا لم تقنعك كل هذه النماذج فهاك نموذجاً من كتاب آخر أصدرته مؤسسة فرانكلين نفسها وأشرف على إخراجه وقدم له الدكتور القوصي أيضاً حين كان عميداً لمعهد التربية العالي للمعلمين بجامعة عين شمس ، واسم الكتاب هو (كيف تتكامل الشخصية) .

جاء في صفحة ٥٦ من هذا الكتاب : « إن جميع الحاجات الإنسانية سواء كانت عضوية ينبغي إشباعها للإبقاء على الحياة ، أم اجتماعية يقتضي إشباعها أيضاً لتضمن عيشة راضية ، أو جنسية تشتمل على الناحيتين الاجتماعية والعضوية ــ كلها ما هي إلا قوى دافعة إلى النشاط ، تحضنا على العمل بدلاً من مجرد التطلع أو التفكير فيه ، وكلنا يعرف أنه عندما تستيقظ حاجة ما ، سواء أكان نشاطها شعورياً أم لا شعورياً ، فإننا نحس بحالة من التوتر ، وأن هذا الشعور يفقدنا الهدوء والراحة ، ويضطرنا إلى العمل على الحد من شدة هذا التوتر أو التخلص منه كلية ، وعندئذ نعود إلى الهدوء مرة أخرى ، أي أنه متى تم إشباع حاجة من حاجاتنا زال التوتر ، وهذا القول يصدق على جميع الحاجات البشرية » .

وجاء في صفحة ٧٢ تحت عنوان (المشاعر الجنسية مشاعر طبيعية) . « ولنصور المسألة الآن تصويراً واضحاً . إن الطبيعة الجنسية ليست بالشيء الشاذ أو المشوه ، بل إنها الحياة الجنسية التي تقوم عليها الأسرة ، تلك الأسرة التي نعتمد عليها كدعامة ، والشيء الطبيعي المناسب أن يحب الفتيان الفتيات وأن تحب الفتيات الفتيان . والواقع أن أغلب المشكلات التي هي مصدر شقاء شباب العقد الثاني من العمر ومن يكبرهم من إخوة وأخوات يمكن ردها إلى الثقافة والمدنية التي نعيش فيها ، أو على الأقل يمكن أن نعزو أثرها في الانحرافات السائدة في هذه الثقافة أو المدنية ، وربما لحقيقة على جانب عظيم من الأهمية أن الثقافات التي يتعلم النشء في ظلها الحقائق الجنسية في سن مبكرة وبطريق مرضي بحيث لا يكتنفها إبهام أو غموض لا يتعرض الأطفال ولا الشباب فيها لتلك المشكلات المألوفة في حياتنا وحياة أصدقائنا » . ثم يقول بعد ذلك في صفحة ٧٥ : « فالشوق إلى القبلة أو بعض الغزل الرقيق أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية ــ كل هذه ليست أموراً شاذة ، فليهدأ الشاب بالاً ، فليس كل ما يدور حول الجنس يدخل في باب المحرمات ، ولعل كثيراً مما سكتنا كان نتيجة سوء التوجيه » .

هذه نماذج من الآراء التي يشرف المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم على ترويجها فهل تجد في الكتابة تعليل بعض ما يجري من حوادث في هذه الأيام ؟

ومثل هذه الدعوات وأشباهها مما نرمز به لأنه ينافي الدين والخلق القويم ، ومما يسميه بعض هؤلاء أو يطورا ، ويسميه أصحابه (علما) ويصورونه تحت عنوان جميل اسمه (علم النفس) ، ويغرون الناس باسم العلم بما فشل فيه التبشير والدعوات الهدامة طوال قرن من الزمان . ثم هذا البذاء وهذه الدعوة السافرة إلى هدم الخلق وفضحه وإشاعة الفاحشة بين خلق الله تسمى عند الأمريكيين وسماسرتهم (علما) . فقد كتب بالخط الفارسي الجميل على غلاف هذا الكتاب وعلى غلاف كل كتاب من كتب هذه المجموعة — وهي على اختلافها تشترك في الكلام عن الجنس والاهتمام به — « سلسلة دراسات سيكولوجية » . والسيكولوجيا هي ما يترجمه الذين يروجون هذا البلاء « علم النفس » .

وعلماء النفس هؤلاء يبنون قواعدهم ونظرياتهم على تجارب مهما يظنوا بها الدقة فهي معرضة للخطأ من نواح كثيرة ، ومهما يظن الناس بها الأمانة فهي معرضة للتحيز ولأن تكون أداة في يد أصحاب المذاهب السياسية والاقتصادية والدينية [1] . إذ من الواضح أن هذه التجارب — مهما ادعى أصحابها شمولها — هي غير شاملة لأفراد الجنس الذي تجري عليه ؟ ثم إن نجاحها بعد ذلك يتوقف في كثير من الأحيان على صراحة الأفراد المستجوبين وصدقهم ، وعلى أمانة الباحثين وبعدهم عن التحيز ، وصحة إدراكهم لدلالات ما يشاهدون وما يحسون ، وعلى توافر كل ما يستلزمه الحكم الصحيح من شروطه . ومهما يحرص صاحب التجارب النفسية والاجتماعية على التنوع وعلى الشمول في اختيار الذين يجري عليهم تجاربه ، فليس هناك وسيلة للقطع بأن الأفراد الذين جرت عليهم التجارب أو الإحصاءات يمثلون الجنس الذي ينتمون إليه تمثيلا صحيحا . ثم إن هذه التجارب محدودة بحدود الزمان والمكان ، فهي تمثل جيلا من الجنس الذي تجري عليه التجارب

---

[1] راجع [الحرية والثقافة] لجون ديوي ط جامعة العربية ١٩٥٥ ص ٤٠ — ٤٦ ، وإغراء النفوس الناشئة ط مصر ١٩٥٦ ص ١٢ — ٢٨ ، وراجع كذلك في مجمل الأقوال الفصل الرابع عشر والخامس عشر من كتاب « مبادئ علم النفس التطبيقي والطب » ط المعارف مصر ١٩٥٦ ج ٢ ص ٥٢٣ — ٦٢٦ .

وليس هناك ضمان لصحة الحكم المستنبط بالنسبة إلى الأجيال السابقة واللاحقة ، لأن الحكم الذي يصلون إليه هو في أكثر الأحيان خاضع لظروف معينة مرتبطة بالمكان أو الزمان أو الملابسات . ومن الأهمية بمكان في مثل هذه البحوث أن نتأكد من نزاهة الباحث وأنه غير مسخر لخدمة مذهب معين من المذاهب السياسية أو الدينية . فإذا استوثقنا من ذلك كله بقي أن نستوثق من أنه غير واقع تحت تأثير آراء معينة تحيد به في تجاربه وفي استنباطه عن الحق ، وأنه قد التزم الدقة والأمانة واعتصم بالصبر والأناة في هذه التجارب

من أجل ذلك كثرت مذاهب النفسيين والاجتماعيين وتعددت آراؤهم وأصبح كل فريق منهم ينكر آراء الآخرين أشد الإنكار ويفندها أشد التفنيد . فما أكثر ما نشاهد بين النفسيين والاجتماعيين من خلاف ، وما أعظم ما نجده بين مذاهبهم من تفاوت يبلغ حد الطرفين المتناقضين في كثير من الأحيان . والواقع أن بحوث النفس والاجتماع ليست علوما بالمعنى الدقيق كما يتوهم كثير من المخدوعين بها ، وجل ما توصف به أنها فروض علمية يحاول مفترضوها أن يعللوا بها بعض الظواهر النفسية والاجتماعية ، ولو عرف هؤلاء المخدوعون ما تتعرض له من تغير دائم لا يستقر لعلموا أنه من الحماقة المحضة الهدامة أن نترك نصوص الدين الثابتة المحكمة إلى هذه الفروض المتغيرة التي ينقض بعضها بعضا ، وأن كل سند أصحاب هذه الدعاوى النفسية والاجتماعية الشاردة هو الظن الذي أضل من قبلهم من الكافرين ، والذي وصفه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بأنه لا يغني من الحق شيئا .

وحقيقة الأمر في ذلك كله أن العقل ليس هو الأداة الصحيحة لبحث المسائل النفسية كلها ، لأن النفس تدخل في عالم الغيب الذي لا يخضع لحاسة من الحواس ، ولأن تقرير الخطأ والصواب في علم الأخلاق يحتاج لمعرفة العلة الأولى والهدف الأخير ، ونحن لا نعرفهما . من أين جئنا وإلى أين نصير ؟ وهل ذلك الذي يبدو ضارا في اللحظة الراهنة يمكن أن يكون نافعا في مستقبل الزمان قريبه أو بعيده — والقرب والبعد في الزمان مسألة نسبية ؟ وهل يمكن أن ندرك وجها من وجوه النفع فيه لو أتيح لنا معرفة ما غاب عنا من بعض الظروف الملابسة له ؟ (وقصة الخضر مع موسى عليهما السلام في سورة الكهف من أروع الأمثلة لتصوير هذا القصور البشري في إدراك الخير والشر) .

هذا إلى أن عجز الحواس البشرية أصبح شيئاً محسوساً ملموساً تؤيده التجربة العلمية الآن . فالأذن البشرية مثلاً ينحصر مدى إدراكها في بين الموجات الصوتية التي طولها ٢٠٠٠٠ ، والموجات الصوتية التي طولها ٤٠ ... ومن البصر ، وهي الموجات المحصورة بين اللون الأحمر واللون البنفسجي ، وهي لا تدرك بعد ذلك شيئاً مما فوق البنفسجي ، ولا تدرك شيئاً مما تحت الأحمر . وقل مثل ذلك في حاسة السمع وفي سائر الحواس . وإذا ثبت قصور الحواس فقد ثبت قصور التفكير البشري المبني على مشاهدات هذه الحواس .

فالتجارب والإحصاءات إذن ليست هي الوسيلة الصحيحة لتقرير الحقيقة وهداية الناس وسلوكهم ، لأنها محدودة بحدود الزمان والمكان والظروف . ولذلك لم يكن هناك مندوحة من الاستناد في التنظيم الاجتماعي والتهذيب التربوي الخلقي إلى الشرائع السماوية ، لأن موضوعها هو هذا التنظيم ووضع الناس عليه . أما العقل فمداه المسائل المادية الصناعية كالهندسة والكيمياء ، وكل ما اصطلح الغربيون في هذا العصر على تسميته بالـ Science (١) لذلك لم تزل الشرائع والأديان السماوية الآتية تدخل في عالم الغيب مما يتصل بالسلوك الذي يترتب على إدراك الخير المطلق والشر المطلق ، لأن العقل البشري عاجز بطبيعة تكوينه عن إدراكه ، ولو أخذ به لخبط في أودية من الظن والوهم الذي لا يستند إلى دليل ولاختلف الناس فيه اختلافاً شديداً لا يجمعون معه على رأي ولا يلتقون عند غاية . فما ترك الدين بعد ذلك للعقل أن يسرح ويمرح كيف شاء فيما هو صالح له من ميادين البحث والمعرفة . ولم يتدخل في شيء من أسرار الطبيعيات أو في الهندسة أو في الصيدلة أو الكيمياء — إلا ما يكون من ذلك على سبيل ظهور المعجزة — لأن ذلك من شأن العقل ، وهو مهيأ له . أما ما وراء ذلك من عالم الغيب الذي لا تخضع مشاهداته وحقائقه فهو خارج عن حدود طاقته وقدرته [illegible] . وذلك هو معنى قوله تعالى « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، لأن الله سبحانه وتعالى حين علم عجز العقل وقصوره أرشدنا فيما هو خارج عن حدوده إلى ما فيه مصلحتنا رحمة بنا . وذلك أيضاً هو

(١) على أن العقل لا يستطيع في كل هذه العلوم إلا إثبات مشاهدات ... وهو مع ذلك عاجز عن معرفة حقيقة شيء ما ، فالاتصال بين الأسباب والمسببات — كما يقول ... — ... كولن بارنت ... الحواس ... فعلماء الطبيعة مثلاً يمكنهم أن يصفوا كيف تعمل الذرة ... ولكنهم لا يعرفون ولا يحاولون أن يعرفوا حقيقة ... الأشياء (راجع « العالم وأينشتين » — رقم ٤٠٤ سلسلة « اقرأ » — دار المعارف — ص ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٦٢ .

السبب في جعل التسليم لحكمة الله والانقياد لأوامره ولزوم حدوده هو الأصل في الدين وهو الدعوة الأولى فيه { إن الدين عند الله الإسلام } والمثل مضروب في القرآن بقصة أبينا إبراهيم ، إذ أمر أن يذبح ابنه فبادر للأمر هو وابنه دون أن يعرفا وجه الحكمة فيه أو يسألا عنه ، فحقق بذلك ما أراد الله سبحانه من اختبارهما { فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين } الصافات ١٠٣–١٠٥)

جمع الدين الناس على قيم الخير ومثله ، وهي قيم موحدة متفق عليها ، ثم جاء هؤلاء الباحثون باسم علم النفس والاجتماع ففرقوا الناس ومزقوا وحدتهم وشككوهم في قيمهم ، ثم لم يستطع واحد منهم أن يجمعهم على مذهبه بعد أن فرقهم في الدين ، ولم يستطع واحد منهم أن يقدم البرهان الحاسم على صدق مذهبه فساح بعض الناس في بعض ، وبغى بعضهم على بعض ، وأصبح العلم والمعرفة عامل فرقة وفساد واضلال بدل أن يكون عامل هداية ووئام ، وأصبح كل مجرم لا يعدم سندا له في تبرير دوافعه إلى الإجرام من قواعد علم النفس المزعوم .

وليس يعنيهم من ذلك كله أننا ندعو إلى مصادرة البحوث النفسية والاجتماعية والأخلاقية ، فذلك ما لا يدعو إليه عاقل يؤمن بمنحة العقل والتفكير ، ولكن الذي ندعو إليه هو أن ندرك حق الإدراك مدى طاقتنا العقلية والفكرية ، فنقيد أنفسنا في هذه البحوث وأمثالها مما يتصل بعالم الغيب بقيود الدين ، فنلزم حدوده ولا نتعسف الطريق حتى لا نتعرض للضلال والهلاك ، فنحن إذن لا نعطل العقل ، ولكننا نحفظه من الضلال ، ونضع له أصولا وقواعد هي كالسور الذي يعصم السالك في الظلام من التردي في الهاوية ، وهي مثل قوانين المنطق التي لا يعتبر التزامها حدا للتفكير ولكنه عصمة له ، وهي مثل الدستور الذي لا يعتبر تقيد المشرعين به في كل ما يشرعون حدا من سلطتهم ولكنه عصمة لهذه السلطة أن تزيغ عن القصد ، عن عمد أو عن غير علم .

ونحن إن احتجنا إلى الاستفادة من خبرة الغرب وتجربته في الصناعات الآلية التي كانت سببا في تقدمه وسيادته ، فإن من المؤكد أننا في غير حاجة إلى استيراد قواعد السلوك والتربية والأخلاق التي تكثر الأمارات والبوادر على أنها ستؤدي إلى تدمير حضارته والقضاء عليها قضاء تاما في القريب العاجل ، ونحن في غنى عن هذا البلاء ، لأن لدينا من عوامل الضعف والهدم ما يكفي .

ومع ذلك كله نجد فينا من لا يصيخون السمع إلى صوت الدين ، وهم يلحدون في آيات الله فيميلون بها عن وجهها حينا ، ويجادلون فيها أشد الجدال حينا آخر . ولكنهم يخضعون لهذه المزاعم الداعرة ويرونها فوق النقاش والمراء . هؤلاء قوم لا تقوم عندهم الحجة بالقرآن ، ولكنها تقوم بهذه الظنون والأوهام ، فإذا عارضتهم بآيات من قول الله سبحانه وتعالى — وهم يزعمون أنهم مسلمون — لووا رءوسهم وقالوا : نحدثك في العلم فتحدثنا في الدين ؟ كأن هذه الأوهام أثبت عندهم من القرآن ، أترى فرقا بين هؤلاء ، وبين أمم قد خلت قبلهم من الغابرين كانوا يقولون إذا ذكروا بآيات الله : « قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين » . « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون » .

الدكتور محمد محمد حسين
الأستاذ بجامعة الإسكندرية

وحدتنا

« ليعرف من شاء ومن لم يشأ ، أن كل بلاد تنطق العربية بلادنا ، ولابد أن تتحرر بلادنا . . .

« وليعرف من شاء ومن لم يشأ ، أن المسلمين في شتى بقاع الأرض إخوة ، ولابد أن يتعاون الإخوة في البأساء والشدة . . .

« وليعرف من شاء ومن لم يشأ أن كل إفريقي لكل إفريقي أخ وجار ، ولكل جار على جاره حق المعونة حتى يستقل ويأمن ويتحرر . . .

« لقد عاش ساسة أوربا زمنا يرددون قول الشاعر الإنجليزي « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » ، فاليوم قد آن لنا أن نقول مثل قولهم . « نحن الشرق ، بإزاء مطامع الغرب ، أمة واحدة » .

جمال عبد الناصر

إلى الشباب :

في معترك الحيـــــــاة العامة

(جاءني شاب أزهري ، كان تلميذاً لي في الأزهر ، وأتم دراسته هذا العام في إحدى كلياته ، وقال لي : أنا أحد تلاميذك ، وقد فرغت من الدراسة ، وأتأهب الآن للعودة إلى بلادي ، وسأنزل ميدان الحياة العامة بعد قليل ، وقد جئت إليك راجياً منك كلمة توجيه ونصح ، أتدبرها وأنتفع بها في حياتي .

فدارت في ذهني خواطر تترجمها الكلمات الآتيـة ، التي أرجو أن تكون شعاع توجيه ، لا للشاب السائل وحده ، بل له ولكل أمثاله من الشباب في دنيا الإسلام) :

تسألني — أدام الله عليك نعمة التوفيق في القول والعمل — أن أنصحك وأنت تتهيأ لنزول معترك الحياة الاجتماعية العامة ، بعد إنهاء دراستك ، وقد تكون أقدر مني على الاهتداء إلى سبيل الخير ، ومعرفة طريق البر ، ولكن العادة جرت بأن يطلب اللاحق من السابق كلمة يستهدي بها في حياته ، ويجعلها نبراساً له في خطواته ، ثقة منه بهذا الناصح السابق ، وجرياً على هذه العادة أقول لك :

لقد كنت — وأنت شاب تطلب العلم — مشغولاً بأمرين : أمر دراستك التي كانت تزحمك ، وتنال من صحتك ، لكي تكون مبرزاً فيها موفقاً ، وأمر المثل العليا التي كانت — ولعلها ما زالت — تملأ جنانك وخيالك ، وكان لك من شبابك ما يجعلك تساير هذه المثل إلى أشواطها الفكرية البعيدة ، ومسابحها العلوية العالية ، ولعلك كنت تحسب أن تحقيق هذه المثل في دنيا الناس وتحويلها إلى واقع أمر سهل ميسور ، وأنك ما تكاد تنتهي من فترة الطلب ، وتدخل هذه الدنيا حتى تسارع إلى تطبيقها وجعلها حقائق ملموسة ! . . .

فاذكر جيداً — وقبل أن تصدمك الحقيقة المؤلمة — أن هناك فارقاً — بل فوارق — بين دنياك الفكرية المحشودة بالمثل العليا ، وبين واقع الحياة الحاضرة التي زاغ أبناؤها عنها وحادوا ، فاتسعت شقة البعد بينهم وبين هذه المثل .

وستخرج إلى الحياة فتجد من حولك ويحملك أمورا وأشياء لاتحبها ولا ترتضيها ، فإن ثرت عليها كلها ثورة المتحمس المتعجل صدمتك وصدتك ، وربما آلمتك ، وإن خرجت لعلاجها وإصلاحها بالإيمان والإخلاص والحكمة والصبر استطعت أن تؤدي واجبك ، ولو لم تصل إلى نهاية الطريق ، وربما عليك أن تسعى ، وليس عليك إدراك النجاح .

ستجد أن احتفاظك بدينك وأخلاقك ومبادئك المثالية يضايقك ويؤلمك ، ويحرمك الكثير ، ويحجب عنك الكثير ، لأن الناس لا يصادقون اليوم إلا على غرض أو مرض ، ولكنك ستجد — إذا صح يقينك وإيمانك — راحة في أعماق نفسك ، تعوضك عن الشقاء الحسي الذي يحيط بك في دنيا الناس ، فحاول دائما أن تحقق هذا المعنى — معنى الراحة النفسية — برحيق الذكر ، والشكر ، والإقبال على الله ، والثقة بعدله — وإن ابتعد موعد الحكم في نظر الناس — وحسن الانتظار لفضله في العاجلة والآجلة : « وما عند الله خير للأبرار » .

وسيقول الناس لك حينما يحسون هذا اليقين منك : إنك تعيش في دنيا الخيال ، وإنك تضيع عمرك في الأوهام ، وإنك لا تحسن اكتساب الدنيا ! فلا تطل الجدال معهم ، ولا تسهب في الرد عليهم ، فأنت في واد ، وهم في أودية أخرى ، بل الجأ إلى أعماق نفسك المؤمنة ، لتوقظ فيها المعاني المذكورة التي تحقق الروحية الرفيعة الواصلة لأسبابك بأسباب الله قيوم السموات والأرض .

* * *

وستجد في مواطن كثيرة أن أناسا عديدين يسبقون وحقهم أن يتأخروا ، وأن أناسا عديدين يتأخرون — أو يؤخرهم الناس بتعبير أدق — وهم أحق بالسبق والتصدر ، وربما وجدت نفسك في مكان الصدارة ، ووجدت من هو أحق أو أفضل في مؤخرة الركب ، فتذكر أن موازين الناس في عهدك وعهد الناس من حولك موازين مختلة معتلة ، قد تخفض الرجل الرزين ، فتحرمه حقه ونصيبه ، وتقدم الإمعة التافه فيفوز بحظوظ سواه ، ولا يحملك هذا الاختلال على أن تتنكر لمبادئك ، أو تفرط في أداء واجبك ، أو تتابع غيرك على باطله لتصل كما وصل .

وتذكر دائما قول رسولك صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول :

أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » ! .

وعليك أن تتذكر أن الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وأن الباطل لن ينقلب حقا مهما كثر متابعوه : « قل لا يستوي الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث » ؛ وأن الضلال يستأسد حين يبعد أهل الحق عن جمعهم ، وأن المنكر لا دولة له إذا امتدت جولة المعروف أمامه ! . . .

وقد يحرمك المجتمع حقوقا في نفسك ، ولكن الله يعوضك عنها حقوقا أكبر منها وأفضل في نفسك . . . وقد يحرمك الله الذهب ويمنحك الأدب ، وقد يحول بينك وبين الجاه ، ولكنه يحفظ عليك الدين ، وقد يسد عليك بابا من أبواب المتعة المادية ، ولكنه يفتح عليك أبوابا من الراحة القلبية ، ولا تنس قول الله تبارك وتعالى : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما » ، وقوله عز من قائل : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وقد تكون للأرض عدالة محدودة ، وقصاص في نطاق ضيق ، وقسمة بحسب الظاهر ــ والظاهر خداع ــ ولكن عدالة السماء أوسع وأسمح ، وقصاص الله أحق وأعدل ، وقسمته أصح وأدوم ، وهو أحكم الحاكمين . .

فإن رأيت آثما لا يقتص منه ، أو ظالما لا يرد عليه ، أو آخذا غير الحق لا يستقيم الحساب معه ، أو مظلوما لا ينتصف الناس له ، فلا تحسبن ذلك إلى غير نهاية ، بل لا بد من يد تقيم المعوج ، وتحق الحق ، وتبطل الباطل ، اليوم أو غدا أو بعد غد « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم إلينا لا ترجعون » ؟ . . .

وقد تكون هذه اليد يدك ، أو يدا من بين من تراهم أمامك ، وقد تكون من بين أناس لا تراهم ، وقد تكون في النهاية يد الله العلي الأعلى الذي يقول : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » .

• • •

وقد تشرع في عمل ، وتأمل من ورائه نتيجة وثمرة ، وتقدر لهذا العمل وقتا معلوما

وجهدا مجهودا ، ولكنك بعد أن تبذل الجهد وتستنفد الوقت ربما لا تجد الثمرة أو النتيجة ، بل ربما وجدت ما بنيته وقد تهدم ، وشاهدت ما أملت وقد تقوض ، وقد يعرض لك هنا عارض اليأس والاستسلام ، فتجعل عملك هذا هو المحاولة الأولى والأخيرة ، فلا تنس أن طريق النجاح والوصول إلى المأمول ليس مفروشا بالورود والرياحين ، بل هو مفروش ـ عادة ـ بالأشواك والعقبات ، وأكثر الأعمال العظيمة في تاريخ الإنسانية كانت مواليد محاولات تجسم فيها الفشل ، ولكن العزيمة الصادقة المصممة جاءت من وراء هذا الفشل فحطمته وصدعته ، ومضت خطواتها الموفقة إلى رائع النجاح .

وقد وضع الله لك في هذا المجال عبرة أي عبرة في مخلوق ضعيف صغير ، وهو النملة التي تحمل الحبة ـ والحبة يكبرها أضعاف المرات ـ وقد تفشل النملة في حمل الحبة عشرات المرات ، ولكنها تعزم وتصمم ، وتحاول ثم تحاول ، فتصيب ، وتنجح !...

ألا ترى الحق تبارك وتعالى أن نصره يأتي بعد تحمل الشدائد ومقاساة الأهوال ، والمصابرة أمام النكبات ، والمعاودة للعثرات والأزمات : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ؟ مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه ، متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » ، « حتى إذا استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

* * *

وقد يخيل إليك وأنت تتسلم إجازتك الدراسية الأخيرة أنك قد طويت كتاب الطلب للعلم ، وفتحت باب الاستقلال لما علمت ، وأنك أصبحت غير محتاج ، وأنك بغير حاجة إلى مزيد من الدراسة والطلب !.. وليس هناك ما هو أخطر عليك من مثل هذا التخيل ؛ وأنت قد حفظت من قبل الأثر المشهور : « منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال » ، وأنت معدود في صفوف العلماء ما دمت تطلب العلم ، فإذا بدأت تظن أنك قد كملت علما فقد بدأت تجهل !!...

وأنت حين تخرجت في « كليتك » قد انتقلت إلى « كلية » أرحب منها وأوسع ، هي كلية الحياة التي ستصول فيها وتجول ، والتي يجب أن تتصل فيها حلقات بحثك واطلاعك وقراءتك وكتابتك وإنتاجك العلمي ، وارتباطك بأسباب المعارف والثقافات ، فلا يغلبك في الحياة صديق على صديقك الأول الدائم الخاص ، وهو الكتاب !!.

ولا تنس تنقيح أفكارك وتجديد معلوماتك بما تتفتق عنه عقول الكاتبين والباحثين في شتى الميادين من أفكار ونظريات وآراء . ولا حرج عليك في هذا الباب أن تقرأ في أي كتاب ، ما دامت مناعتك الروحية والعقلية تميز لك بين الخبيث والطيب ، وتفرق لك بين الخير والشر ، وتعصمك من أن تكون نهبة للتيارات الرخيصة ، ومن الاغترار بالكذب الخادع ، ومن التنكر للزاد العقلي القيم الممتع .

ومع هذا فإنه من الخير كل الخير أن يكون لك أصول في مصادرك ومراجعك ، بحيث تكون هذه الأصول موازين لغيرها من المصادر أو المراجع ، ويطيب لي أن أهتف من أعماق نفسي بأن أنصحك في هذا المجال بأن تجعل في طليعة هذه الأصول كتاب الله عز وجل ، وما صح من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما استفاض حول الكتاب والسنة من تفاسير وشروح بأيدي الخيرة من العلماء القدامى والمحدثين ، ولا تنس أن تعمر بمواجدك ما استطعت من مؤلفات أمثال ابن كثير وابن تيمية وابن القيم ومحمد عبده وشكيب أرسلان ورشيد رضا ومحمد إقبال وصادق الرافعي وأمثالهم ، ولست أحصى ، وإنما أذكر ما يصلح نموذجا لغيره من مؤلفات جمع أصحابها — في أكثر ما كتبوا إن لم يكن في كل ما كتبوا — الدين والعقل والبيان وحسن التأتي لعرض الموضوع ، وليس معنى هذا أنهم معصومون لم يخطئوا أو لم يغلطوا ، فكل غير معصوم يؤخذ منه ويرد عليه .

وليس معنى هذا أيضا أن تظل أسير الكتب والمطالعة فحسب ، فإنك إن فعلت جنيت على نفسك ، وفاتك خير كثير ، فهناك مدرسة واسعة جليلة الأثر عظيمة النفع ، هي مدرسة التجارب ومعالجة الحياة وملاقاة الأحياء .

إن هذا الكون بما يموج فيه كتاب كبير ، مفتوح على الدوام بين يديك وأمام عينيك ، فقلب في صفحاته ، وتنقل مع لوحاته ، واستفد من عجائبه ، واستمع لعظاته ، وقديما قيل : من لم يؤدبه والداه ، أدبه الليل والنهار !! .

وأنت شاب مسلم قد رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، وبالقرآن هاديا وإماما ، وقد تجد في مجتمعك أمورا تخالف عقيدتك أو تتنكر لها ، وربما وجدت من أدعياء العلم أو تجار الدين من يحاول استخلاص التسويغ الديني لتلك الأمور المخالفة لدينك وعقيدتك ، فتذكر هنا دائما أن الدين جاء ليحتكم إليه ، لا ليحتكم هو إلى غيره ، والواجب أن تخضع الحياة لمبادئ ذلك الدين الذي آمنا به وارتضيناه ، لا أن تخضع نصوص ذلك الدين لأوضاع هذه الحياة .

ولو استقام أمر الفهم ، واستقام فهم الدين من مصادره ، لتلاقى الدين الصحيح مع الحياة القوية فى شرعة سواء ، فإن هذا الدين للحياة وللأحياء ، لا يكون بمعزل عن الحياة والأحياء ، والمهم هنا هو أن نحسن فهم هذا الدين بلا إسراف أو اعتساف ، وبلا جمود أو ابتداع ، وأن نحسن التفرقة بين ما يليق وما لا يليق من أمور هذه الحياة ؛ والطريق هنا دقيق شاق يكاد يشبه الصراط ، والسالكون فيه والرواد لغيرهم عليه يجب أن يكونوا أهل بصر وبصيرة ، وأهل فقه وحكمة ، وأهل خبرة وتجربة ، وإلا أفسدوا هذا الطريق على أنفسهم ، وأفسدوه على من وراءهم من الناس ، فيكونون والعياذ بالله قد ضلوا وأضلوا .

ولو قيض الله لعباده عصبة تحسن فهم الدين وتطبيقه ، كما تحسن فهم الحياة وقيادتها ، لكان أفراد تلك العصبة أعلام الإصلاح فى تاريخ الناس ...

* * *

وقد يكون من نافلة القول بالنسبة إليك أن أوصيك بالمحافظة على الجانب التعبدى فى حياتك ، فإن هذا الجانب — إذا فقهت أسراره ، وأتقنت أداءه ، وحفظت مواقيته — يصفى حسك ، ويهذب نفسك ، ويجعلك موصول الأسباب بالملأ الأعلى ، ويذهب عن صدرك كثيرا من الهم والحزن ، ويفتح عليك أبواب البركات والمنن : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » ، « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون » .

وأطلق التحذير فى قول من قال : « لا تطمع فى الخوف من الله مع الرغبة فى الدنيا ، ولا تطمع فى إلهام الحكمة مع ترك التقوى ، ولا تطمع فى الصحة فى أمورك مع موافقة الغفلة ، ولا تطمع فى حب الله مع محبة المال والشرف ، ولا تطمع فى لين القلب مع الجفاء لليتيم والأرملة والمساكين ، ولا تطمع فى الرقة مع فضول الكلام ، ولا تطمع فى رحمة الله مع ترك الرحمة للمخلوقين ، ولا تطمع فى الرشد مع ترك مجالسة العلماء ، ولا تطمع فى الحب لله مع حب المدحة ، ولا تطمع فى الورع مع الحرص على الدنيا » .

وأريد لك بعد هذا أن تعيش على الدوام فتى في حسك ونفسك، وروحك وعزمك، وقلبك وعقلك، قد تشيب ناصيتك ولكن لا يشيب فؤادك، أريد لك أن تكون أحد الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم ربهم هدى، أريد أن تبذل جهدك على الدوام كي يتوافر لك القوة في الجسم، والصحة في العلم، والعمق في الفهم، والرقة في الحس، والطهر في النفس، والحذق في التصرف، والاطمئنان عند العزم، والتواضع عند الهم، والثقة بالخالق، والخدمة للمخلوق.

لا تهمل حسك، ولا تسرف في نفسك، ولا تستنم لهواك، ولا ترهق جسمك، فإن لبدنك عليك حقا، ولا تتعب قلبك، فإن القلوب إذا ملت عميت، والنفوس محتاجة إلى ما ينشطها ويروح عنها، وذلك يكون بمقدار، وتذكر قول ربك: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين».

وعليك بتوثيق صلتك الفكرية والعقلية بالطبيعة ومظاهر الكون الخالدة، فإن الله عز وجل إذ كان قد نزل على عباده كتابا مقروءا هو القرآن، فقد برأ لهم كتابا منظورا هو الكون، ولو أدمت النظر في هذا الملكوت، وأدمنت التدبر لمظاهر هذا العالم، لازددت علما وفهما وطمأنينة وإيمانا، وربك يدعو إلى ذلك حيث يقول: «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون».

ثم أدعو لك دعاء حريص عليك، آمل فيك، منتظر منك الخير لنفسك وللناس، فأقول: جنبك الله الشبهة، وعصمك بيقين، وزانك بالتقوى، وجملك بالورع، وأغناك به عن سواه، وهون في عينك متاع الحياة، وجعلك من الدعاة إلى طريقه، والمستمسكين بهداه، حتى تكون من عباده الذين «رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه».

ولقد قدمت إليك النصح وأنا إليه محتاج، والقصير مستعان، هو يتولاني وإياك برحمته وتوفيقه، وسلام الله عليك ،،

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

دعوة الإسلام

ومنهجها في الإصلاح

- ٢ -

<u>تمهيد وتقديم :</u>

« الفطرة الإنسانية وصلتها بالدين والتدين »

بينا في الحديث السابق ، أصول المواهب التي قامت عليها فطرة الإنسان ، وعلى ضوء هذا البيان ، نستطيع أن نقرر الحقائق الآتية :

• الحقيقة الأولى • أن الإنسان لم يخلق في هذه الحياة عبثا ، ولم يترك فيها سدى ، يعيش لعبادة أهوائه وشهواته ، ويحيا لإشباع غرائزه ونزواته ، لا رقيب ولا حسيب ، ولا مسئولية ولا جزاء ، « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق ، لا إله إلا هو رب العرش الكريم » ٢٣ : ١١٥ - ١١٦ » وإنما خلق ليكون خليفة في الأرض ، يحمل فيها أمانة التكليف والابتلاء ، وتجرى عليه أحكام المسئولية والجزاء ، وذلك بما توجبه حقوق الألوهية والربوبية ، وتحقيقا لما تقضي به قواعد العدالة الإلهية .

• الحقيقة الثانية • أن هذه الفطرة التي فطر عليها ، وضعت في يده زمام المعركة القائمة بين الروح والمادة ، وجعلت مصيرها متوقفا إلى حد كبير ، على كيفية توجيهه لأنظاره وأفكاره ، وقيادته لمواهبه وغرائزه ، وأن التوجيه الذي هو من مقتضيات فطرته واستعداده ، هو أساس التكليف والابتلاء ، ومدار المسئولية والجزاء .

• الحقيقة الثالثة • أن الإنسان مفطور بطبيعته على الدين الحق ، والاعتراف لله بالربوبية والخالقية ، كما قال تعالى في سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها » ٣٠ : ٣٠ » . وعلى أساس هذا الدين الفطري ، قامت دعوة الدين التعليمي ، الذي بعث الله به الأنبياء والرسل ، فكانت رسالاتهم قائمة في أصولها ،

على دعوة أقوامهم إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته ، وصفاته وعبادته ، كما قال الله تعالى في سورة الأنبياء « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٢١ : ٢٥) وهكذا كانت رسالة كل نبي ورسول قائمة على دعوة قومه ، إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته ، أما أصل الاعتراف بالربوبية والألوهية ، فذلك أمر مركوز في فطرهم وأحاسيسهم ، غير أن هذا الدين الفطري الوجداني ، تختلف مظاهره باختلاف العوامل التي تنميه أو تضعفه .

« الحقيقة الرابعة » أن الإنسان متدين بطبيعته وفطرته ، غير أن هذا التدين الفطري ، قد يكون قائما على أصول وأوضاع فاسدة ، أوحى بها جهل الإنسان لافتقاده الرائد والمرشد أو ضعفه أمام سلطان الأوهام [illegible] ، وهذا هو شأن الإنسان في أكثر أطواره وأجياله ، وقد يكون قائما على أصول وأوضاع صحيحة ، وذلك إذا كان مستمدا في عقائده وأعماله من تعاليم الأديان الإلهية والشرائع السماوية .

وخلاصة هذه الحقيقة ، أن الإنسان متدين بطبيعته وفطرته ، أما كون هذا التدين صحيحا أو فاسدا ، فراجع إلى العوامل والمؤثرات الخارجية ، فصحته راجعة إلى تعاليم الدين السماوي وتوجيهاته ، وفساده راجع إلى ضعف الإنسان أمام عوامل الإضلال والانحراف .

« الحقيقة الخامسة » أن كل محاولة لصرف الناس عن الدين والتدين ، وحملهم على اعتناق مذهب الإباحية والإلحاد ، إنما هي محاولة خاسرة فاشلة ، لأنها محاولة لصرفهم عن مقتضى فطرهم وطبائعهم ، ومن مثل القائمين بها مثل الذي يقول :

ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلب في الماء جذوة نار

ولا يرد على تقرير هذه الحقيقة ، استجابة بعض الجماعات لدعوة الإباحية والإلحاد ، فإن ذلك ليس راجعا إلى مقتضى أحاسيسهم ومشاعرهم ، وإنما هو راجع إما إلى عوامل الإغراء ، وإما إلى رهبة القوة الغاشمة ، التي فرضت عليهم تعاليم الإلحاد بالقوة القاهرة ، فإذا ما انقشعت غمة الإغراء والجهل ، أو زالت رهبة الإكراه والقهر ، عادوا سراعا في شوق وحنين ، إلى حظيرة الدين الكامن في أعماق نفوسهم وفطرهم .

هذه هي الحقائق المستمدة من تاريخ الإنسان في ماضيه وفي حاضره ، وسيبقى الإنسان

متديناً بفطرته وغريزته ، وسيبقى العالم عامراً بالدين والتدين ، ما دامت صفحات الوجود تطوى وتنشر ، على رغم دعاة الإباحية والإلحاد ، الذين يريدون النزول بالحياة الإنسانية الفاضلة ، إلى حضيض المادية الحيوانية الفاجرة .

وإن اليوم الذي تختفي فيه معالم الدين من الأرض ، وتسود فيه تعاليم الإباحية والإلحاد ، هو اليوم الذي تطوى فيه آخر صفحة من صفحات هذا الوجود .

هذه هي الحقائق التي يمكن استخلاصها ، مما ذكرناه من مقومات الفطرة الإنسانية ، والتي توضح صلة هذه الفطرة بالدين والتدين .

وهنا يقول قائل : إذا كان الإنسان مفطوراً على الدين الحق ، والاعتراف بخالق الكون ومبدعه ، فما بال الناس إلا قليلا منهم ، قد خرجوا في أطوارهم وأجيالهم المختلفة ، عن مقتضى فطرهم وأحاسيسهم ، وضلوا في عقائدهم وتدينهم ، فاتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويتقربون إليها ، وذهبوا في ضروب الشر والفساد مذاهب شتى .

والجواب عن هذا السؤال الذي يتردد في نفس كل باحث ، هو أن هذا الذي عرض لأكثر الناس في عقائدهم وسلوكهم ، إنما يرجع إلى العوامل التي لازمت وجود الإنسان في الأرض ، وسارت معه في حياته وأطواره جنباً إلى جنب ، وهذه العوامل على كثرتها ، ترجع في أصولها إلى العوامل الآتية .

العامل الأول : خضوع الإنسان في تدينه لسلطان الوهم والخيال ، فإن الإنسان بمقتضى شعوره بالقوة الغيبية القاهرة ، كان في كل أطواره التي فقد فيها الرائد والمرشد ، شديد الحنين إلى معرفة مصدر هذه القوة الغيبية ، معرفة تكون سكناً لنفسه وطمأنينة لقلبه ، وتأويلا صادقاً لأحاسيسه ومشاعره ، ولكن كيف السبيل إلى معرفة صاحب هذه القوة الغيبية ، وقد احتجب عن الحواس بحجب العظمة والجلال ، وتعالت ذاته العلية عن الإحاطة والإدراك ، والإنسان بطبيعته المادية لا يأنس إلا بما تدركه الحواس ، فهنا أطلق العنان لوهمه وخياله باحثاً عن مصدر هذه القوة في ظواهر الكون وعوالمه ، وذهب في بحثه وراء الخيال كل مذهب ، فجعلها تارة في بعض العوالم العلوية فألهها ، وطوراً في بعض العوالم السفلية فعبدها ، وهكذا ملك الخيال عليه عقله وفكره ، فطوح به في أودية الجهل والضلال ، وباعد بينه وبين هداية العقل

والوجدان ، ووقف به عند حدود هذه العوالم الحسية ، وعجز عن الوصول به إلى معرفة الإله الحق ، الذى لا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأفكار .

ومن هنا فشت الوثنية فى الشعوب والأمم ، فاستعبدت بأوهامها العقول والأفكار ، وسدت عليها منافذ الفكر والنظر .

وهكذا كان خضوع الإنسان لسلطان الوهم والخيال ، من أكبر عوامل انحراف الإنسان فى عقيدته ودينه .

العامل الثانى : طاعة الشيطان فى وحيه ووسوسته ، فإن الشيطان هو الطاغوت الأكبر ، ورأس الضلال ومنبع الفساد ، ومبعث الخطيئة فى كل زمان ومكان ، وهو إمام المتكبرين وشيخ المتعصبين ، الذى وضع أساس العصبية العمياء ، ونازع الله رداء العظمة والكبرياء ، يوم أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عقب خلقه ، تكريما له وتنويها بسر خلافته ، فاستكبر وأبى أن يسجد مع الساجدين ، واحتقر من آدم بخلقه ، وتعصب فى كبر وغرور لأصله ، وقال : أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فباء بالغضب والحرمان ، والطرد من ساحة الرحمن ، فطلب من الله الإمهال والإنظار ، وطوى نفسه على الكيد والعداوة الخالصة ، فلما مد الله له حبل الإمهال والإنظار ، وفسح له مجال الإغراء والإضلال ، أظهر العداوة السافرة لآدم وذريته ، وكشف عن الحقد الكامن فى نفسه ، وأغرق هم فى التهديد والوعيد ، كما قال تعالى حكاية عنه : « قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين » ٣٨ : ٨٢ — ٨٣ » ولهذا عنى القرآن الكريم بأمر هذا الطاغوت عناية كبرى ، فذكر قصة تمرده على أمر ربه ، فى كثير من الآيات والسور ، وجاء بها فى أساليب متنوعة ، أظهرت للناس حقيقة أمره ، وبثت فيهم كوامن حقده وعداوته ، ليكونوا على بينة من حيله وحبائله ، فإن له فى كل أمة جنودا وأعوانا ، اتخذهم سندا لإضلاله وإفساده ، وأبواقا لوحيه ووسوسته ، ولهذا كانت طاعة الشيطان من أهم العوامل ، التى أدت إلى ضلال الإنسان فى عقيدته ودينه ، وانحرافه فى سلوكه وسيره ، كما قال جل جلاله : « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » ٥٨ : ١٩ » .

العامل الثالث : تأليه الهوى والانقياد الأعمى لسلطانه ، والهوى ما دخل شأنا من شئون الدين والدنيا إلا أفسده ، لأنه آفة الرأى ، ومضلة العقل ، وسبيل الزيغ والانحراف ، فهو يطمس معالم الحقائق ، ويقلب الأمور ، ويعكس الأوضاع ، ويوجب

اختلال موازين الحكم على الأمور والأعمال ، فإذا ملك قياد صاحبه ، طغى على عقله وفكره فلا يستقيم له رأى ، ولا يعتدل له قصد ، ولا تسلم له طوية ، ولا يستجيب لنقد الناقدين ، ولا يستمع لنصح الناصحين ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون » (٤٥ : ٢٣) .

العامل الرابع : شره الغرائز الإنسانية وجموحها ، فى تحصيل مطالبها وشهواتها ، فإن مطالب الإنسان لا تقف عند حد ، وآماله لا تنتهى إلى غاية ، بل كلما وصل إلى مطلب من مطالبه ، أو حقق أملا من آماله ، تجدد له شوق إلى غيرهما من المطالب والآمال ، لأن فطرته التى فطر عليها ، لم تحدد له فى هذه المطالب حدودا يقف عندها بالقسر والإلجاء ، ولا رسمت له طريقا معينا يلتزمه بالإرغام والإيجاب ، بل فتحت له مسالك الخير ومسالك الشر على السواء ، ومكنته باستعداده من سلوك أى مسلك شاء ، والعقل وحده لا يكفى لحمله على التزام الطريقة المثلى ، والوقوف عند حدود التوسط والاعتدال ، لأن النفس منساقة إلى مشتهياتها بمقتضى الغريزة والطبع ، لا بتدبير الفكر وحكم العقل ، وما كان مقتضاه الغريزة والطبع ، فقلما تستسلم النفس فيه لرأى الفكر وحكم العقل ، لأن الطبع أقوى سلطانا عليها ، وأسرع إقداما فى تحقيق مشتهياتها ، ومن هنا جمحت بالإنسان غرائزه وأهواؤه ، وتمردت على سلطان العقل أمام نوازعه واتجاهاته .

هذه هى أهم العوامل التى قارنت وجود الإنسان فى الأرض ، وسارت معه فى حياته جنبا إلى جنب ، واكتنفت تدبير العقل فى أحكامه ونظرياته ، وتغلبت بسلطانها على هداية العقل والحواس فى أكثر أطواره ، فضل سعيها فى عقائده ونسكه ، وانحرف عن الطريق المستقيم فى سلوكه وسيره ، وهذا كان فى حاجة إلى هداية أعلى شأنا وأقوى سلطانا من هداية الحواس ، يستعين بها على مقاومة هذه العوامل والمؤثرات ، وتوضح له معالم السير على الصراط المستقيم ، ومن هنا نشأت حاجة الإنسان إلى إرسال الرسل ، وتشريع الشرائع .

وإلى اللقاء فى الحديث التالى إن شاء الله

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

من الهدى المحمدى

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » .

هذا الحديث الشريف حكمة من حكم النبوة المحمدية ، وجامعة من جوامع كلمه صلوات الله وسلامه عليه وهو كلام بكر لم يسبق إليه ، مع الغاية فى إيجاز اللفظ ودقة المعنى وشدة المغزى وروعة التصوير ودقة التمثيل ، وهو درس من الدروس العملية التى قصد بها النبى صلى الله عليه وسلم تربية المؤمن على حصافة العقل وعمق التفكير وأصالة الرأى وإحكام التدبير وبعد النظر وتوجيهه إلى ما ينبغى أن يكون عليه المسلم الكامل فى دينه ودنياه .

وليس هذا الكلام الحكيم بمستغرب ممن يوحى إليه من ربه وأفاض عليه من الفيوضات الإلهية ما أفاض ومنحه الله سبحانه عقلا كبيرا وكياسة دقيقة وسياسة حكيمة رشيدة ، فالنبى صلى الله عليه وسلم يوصى كل مؤمن أن يكون حازما عاقلا حذرا يقظا لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى سواء أكان ذلك فى شئون دينه أم دنياه ويحذره أن يكون مغفلا غرا غير مجرب يلعب به الدهاة المجربون ويجعلونه كالريشة المعلقة فى الهواء أينما الريح تميلها تمل

وقد أدب النبى صلوات الله وسلامه عليه أصحابه بهذا الأدب الشريف الحكيم وأخذهم بهذا التوجيه السديد فلا عجب إذا صير من رعاة الإبل والشاء علماء حكماء ساسة ، وأن صير من الأمة العربية التى كانت متوغلة فى البداوة ، وأبعد ما تكون عن الحضارة – أمة صارت مضرب الأمثال فى العلم والعمل والحكمة والفطنة والتحضر والتمدين – التمدين المبنى على دعائم الإيمان والحق والعدل والخير – وأنجبت رجالا عقمت الدنيا عن أن تجود بأمثالهم فى العلم والسياسة والقيادة والعدل والرحمة .

فالمؤمن الكامل ليس من شأنه – ولا ينبغى له – أن يكون مغفلا غير مجرب يتخذه أعداؤه ضحكة وسخرة ويضارونه فى دينه أو دنياه ، وفى الحديث الشريف الذى أخرجه صاحب مسند الفردوس عن أنس مرفوعا : « المؤمن كيس فطن وقاف متثبت » والمؤمن

العاقل هو من اتعظ بأحداث الحياة واستفاد من التجارب . روى عن الصحابي الجليل معاوية رضي الله عنه أنه كان يقول « لا حليم إلا ذو عثرة ، ولا حكيم إلا ذو تجربة » والحديث سيق مساق التمثيل ليكون أروع في النفس وأقوى في التأثير والعظة ، فالعادة جرت في عالم اللصوص أن من لدغته حية من جحر مرة أولى لا يعود إلى هذا الجحر ولا يدنو منه فلا يلدغ منه مرة أخرى فالأحرى أن تتعظ بذلك وتعتبر في عالم المعقول .

وأن حمل الحديث على معناه الحقيقي فإنما يذهب إليه من لم يتذوق لغة العرب ، ولم يقف على أساليبهم في البيان ولا يذهب إلى هذا الفهم إلا من تمكنت منه عجمة اللغة وعجمة الفكر .

ولهذا الحديث قصة تفصح عن الغرض الذي سيق له هذا الحديث النبوي ، ذلك أن أبا عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وكان شاعرا فأسر يوم بدر مشركا فأتى رسول الله فطلب وجهه ، وقال للرسول : لقد عرفت ما لي من مال وأني لذو حاجة وذو عيال ، فامنن علي ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا ، فمدح الرسول بقصيدة . ثم لعب المشركون بعقله حتى نقض ما كان عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال له صفوان بن أمية قبيل غزوة أحد : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك واخرج معنا ، فقال : إن محمدا قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه ، قال : بل فأعنا بنفسك ، فلله إن رجعت أن أغنيك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر ، فخرج أبو عزة يحرض الناس على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فلما كان يوم أحد أسر أيضا فسأل النبي صلوات الله وسلامه عليه أن يمن عليه مرة أخرى ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « لا أدعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين » ثم أمر به فضربت عنقه ، ثم قال رسول الله « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فذهبت الكلمة مثلا شرودا وحكمة صائبة تلهج بها الألسنة على توالي الحقب والأجيال .

أيها المسلمون من كل جنس وفي كل قطر ، لقد استفاد الرعيل الأول من المسلمين بهذا الأدب الحكيم وأخذوا به أنفسهم فلم يغتروا في أمور دينهم ودنياهم ، وكان الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول « لست بالخب والخب لا يخدعني » ووصفه واصف فقال « هو أكرم من أن يخدع وأورع من أن يخدع » .

وكان لهذه التوجيهات النبوية السديدة أثرها البالغ في حياة المسلمين الأولين ، ولكنا ـ ويا للأسف ـ لم ننتفع بها في حاضرنا ، فلدغنا من الجحر الواحد مرارا ، وتكالبت علينا الحوادث ونوائب النكبات فلم نتعظ بها ، وما كان أجدرنا ـ معاشر المسلمين ـ أن نكون ذوي كياسة وفطنة وحذر كما أرشدنا المرشد الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، لا أن نكون أغرارا مخدوعين يتلاعب بنا أعداؤنا ـ أعداء الله وأعداء الإسلام ـ

لقد تعاملت علينا قوى الشر والاستغلال والاستعمار قبل الحرب العالمية الأولى ، وأذاقونا الأمرين ، ثم قامت قيامة هذه الحرب فوعدونا الوعود البراقة ومنونا الأماني المعسولة ، ثم لما وضعت الحرب أوزارها تكشفت الوعود عن الخداع والكذب ، وذهبت الأماني أدراج الرياح ، وعادوا إلى سيرتهم الأولى ثم قامت الحرب العالمية الثانية فكرروا الوعود ومنونا الأماني وانقضت الحرب العالمية الثانية فإذا الوعود والأماني سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، وجوزي المسلمون والعرب جزاء سنمار وكانت المأساة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا مأساة فلسطين الشهيدة فشرد أهلها وصبوا العذاب ألوانا وأتى الحلفاء ـ حلفاء الشر ـ بشذاذ الآفاق وهم اليهود فأمكنوهم منها وأغدقوا عليهم من مالهم وسلاحهم وأعطوهم الشيء الكثير ، وأضحى سكان البلاد وأهلها الأصليون مشردين في العراء يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ، وأصبح الدخلاء المغتصبون متمتعين بخيرات الأرض المباركة وطيباتها ، ومثلت المسرحية الاستعمارية بأوضح ما كانت في شمال إفريقيه وفي أطراف الجزيرة العربية على مرأى ومسمع ممن يدعون الحرية والديموقراطية الزائفة ، وتناسوا كل ما نطقوا به في أيام محنتهم من أن كل شعب حر في تقرير مصيره والحصول على حريته المسلوبة وانقلبوا لهم والقذائف من طائراتهم ومدافعهم وأساطيلهم على الآمنين المسالمين الذين لا جريرة لهم إلا أنهم يطالبون بحقهم في الحياة الكريمة ، وكان هذا بعض ما جوزي به المسلمون والعرب على مساعدتهم للحلفاء في الحربين الماضيتين مساعدة مثمرة لانتصارهم ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول في أمثالهم وأشباههم « كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ، يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون » إلى أن قال سبحانه « لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون » .

أليس من المؤسف حقا أن نرى في يومنا بعض المسلمين والعرب لا يزالون يخدعون

وعود هؤلاء الكذابين الفجرة وكلامهم المعسول ودجلهم المكشوف ؟ ؟ ويحسون أو يتناسون لدغاتهم لدغة لدغة ! ! !

يا أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، هذا كتاب الله بين أيديكم يكشف لكم عن خبيئة نفوس أعدائكم فإلى متى ستسيرون في ركابهم وقد لاح الصبح لذى عينين ؟ وهذه سنة نبيكم ترشدكم إلى النصيحة لهم والحذر من ألاعيبهم ، فإلى متى تنخدعون بظاهرهم وقد بدت البغضاء من أفواههم وتمثلت في معاملتهم وما تخفى صدورهم أشنع وأكبر حسبكم أن تصغوا بعض أسماعكم لقول الحق تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » ولقول المرشد الأعظم صلوات الله وسلامه عليه « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ا ه

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

أخي في عمان

أخي في عمان ، رعاك الإله ... فأنت وليد الأسود الأباة
جدودك سادوا ، وتاريخهم ... شهيد على مجدهم في الحياة
ويوم اعتدى البرتغال عليك ... رماه الجدود بعشق رماه
وحققت نصرا قويا عظيما ... وروى الديار مقول الرواه
وراح يبث الحر حول السنين ... يفوح أريجا ، ويزهو سناه

• • •

أخي في عمان ، أخي قم وجاهد ... بعزم أكيد لمحو الطغاه
فليست تنال الكرامة إلا ... بسفك الدماء وموت العتاه

محمد على فرج

الإسلام والمسلمون في صحف العالم

الوحدة الإسلامية بين الأمل والواقع

الإسلام والشيوعية في إفريقيا

كتبت جريدة « التيمس » كبرى الصحافة البريطانية مقالا عن الحج هذا العام بعنوان « إلى مكة » ، أوردت فيه شيئا من الحق وشيئا من الباطل ، ومن هنا وذاك أخذت بعض العبرات التي لا تخفى ، فليس قصد « التيمس » فيما كتبت الحديث عن الحج الإسلامي من حيث ذاته ، ولكنها أرادت أن تتلمس الآثار السياسية التي يمكن أن تكون وراء هذا « المؤتمر » الذي يجمع المسلمين من جميع أقطار الأرض .

ولقد مهدت « التيمس » لأغراضها بمقدمة قصيرة قالت فيها : « ... في هذه الأيام يؤدي آلاف من الحجاج المسلمين شعائرهم ، ويقومون بزياراتهم للأماكن المقدسة تحت شمس المملكة العربية السعودية المحرقة ، وإن تمكن الحياة التي تأتي بها المصنوعات واستعمال المراوح والأنوار الكهربائية مما يجعل إقامتهم أكثر يسرا بالنسبة لما كان عليه آباؤهم وأجدادهم ، كما أن استخدام الكثيرين منهم السيارات الخاصة والطائرات في سفرهم وتنقلاتهم قد جعل الرحلة إلى الحج أسرع جدا مما كانت عليه في الزمن القديم » .

ثم دخلت « التيمس » في الموضوع فقالت : « ولقد لاحظ الدارسون لشئون الإسلام دائما ، وبخاصة الذين يعتنقون ديانة أخرى مخالفة ، ما للحج من قوة موحدة غير عادية ، فإن هذه الفريضة التي تعد الركن الخامس من أركان الإسلام يجب أن يؤديها كل من يؤمن بالإسلام مرة واحدة على الأقل في حياته (١) ، وبهذا يجمع الحج الرجال والنساء من كل جزء من أجزاء العالم تقريبا في صعيد واحد ، وهؤلاء جميعا يجمعهم من تراث مشترك يتبادلون الأفكار والآراء التي يمكن أن تصبح بعد عودتهم إلى بلادهم خميرة سياسية أو اجتماعية » .

ثم قالت « التيمس » في سياق مقالها : « ومن آن لآخر يفكر الزعماء المسلمون فيما

إذا كان من الممكن جعل الحج مؤتمرا قائما بذاته إلى جانب كونه واجبا دينيا ، ففى أوائل عهد الملك عبد العزيز آل سعود منذ ثلاثين عاما عقد فى مكة مؤتمر من مسلمى العالم أجمع ، ولكن على الرغم من الاسم الذى اتخذه المؤتمر لنفسه فإنه لم يتمخض عن شىء من النجاح ، ولكن فكرة مماثلة لفكرة ذلك المؤتمر قد ظهرت أخيرا بتأييد الرئيس جمال عبد الناصر » .

وبعد أن أوردت « التيمس » ما كتبه الرئيس فى كتابه « فلسفة الثورة » عن أهمية موسم الحج قالت : « على أن شيئا من هذا الذى تنبأ به ناصر لم يحدث ، ولم يسمع الشىء الكثير عن السكرتيرية الدائمة التى أعلن منذ ثلاث سنوات أنها ستنشأ لتنهض بتنظيم المؤتمر السنوى ، كما أن مكة لم تصبح مقصد ملوك الإسلام ورجال السياسة منهم .. ولا شك أن هناك أسبابا أدت إلى صرف النظر عن المشروع وطرحه جانبا » .

وبعد أن أوردت « التيمس » هذه الأسباب من وجهة نظرها قالت : « على أن الفكرة قد تظل قائمة وحية فى صورة أو فى أخرى ، فزعماء العالم الإسلامى السياسيون لا يزالون يؤدون فريضة الحج ، وعندما يجتمع هؤلاء الزعماء فمن المؤكد أنهم يبحثون الأمور ذات المصالح المشتركة » .

ثم قالت : « وبما أن الوحدة فى العالم الإسلامى لا تزال أملا أكثر منها حقيقة واقعة ، فسيكون من غير الحكمة أن يحاول أحد جعل الحج مناسبة رسمية يجتمع فيها المسلمون على وضع رسمى ، فموسم الحج الإسلامى شأنه شأن مؤتمرات وزراء دول « الكومنولث » يمكن اعتباره مناسبة يجتمع فيها رؤساء وحكومات العالم الإسلامى بعضهم ببعض متحررين من مظاهر الأبهة والرسميات » .

وكل ما نود أن نقوله لمحرر الصحيفة البريطانية فى هذا المقام هو أن الوحدة الإسلامية ليست أملا عند المسلمين كما ظن ، ولكنها أصبحت حقيقة واقعة بارزة ، فإن الشعوب الإسلامية تخفق اليوم كلها عند هذه الراية فى آلامها وفى آمالها .

حقا إن هناك خلافات بين بعض الحكومات الإسلامية ، ولكنها خلافات حول التفاصيل السياسية لكل منها ، أما المبادئ الأساسية ، وفى مقدمتها مبدأ الوحدة ، فهو موضع الإجماع من الحكومات والشعوب الإسلامية على السواء ، ويوم تتطهر رقعة العالم الإسلامى من كل أثر للاستعمار ، سترى « التيمس » قوة هذه الوحدة الإسلامية .

على أننا نطمئن الجريدة البرلمانية من اليوم أنه لن يكون قوة تنطوي على الشر والإضرار بأحد من الناس ، ولكنه سيكون قوة إيجابية في نصرة الحق وإيثار الخير والسلام للجميع ، كما كان المسلمون في وحدتهم الأولى ، وفي أيامهم السابقة .

الإسلام في إفريقيا

وكتبت صحيفة « لوروور » الفرنسية مقالا عن الإسلام في إفريقيا ومخاوف الغربيين من تسرب الشيوعية إلى المسلمين في هذه القارة فقالت : « إن التقدم السريع الذي أحرزه الإسلام في إفريقيا لا يمكن أن يجادل فيه أحد ، فبينما كان الإسلام ينحصر في بداية هذا القرن في الشمال ، وقلما تجاوز حدود مصر والمغرب ، نجده اليوم قائمًا في الوسط ، بل إنه ليتغلغل في المناطق الجنوبية .

ثم عقدت الصحيفة مقارنة بسيطة بين المسيحيين والمسلمين في القارة فقالت : « والذين يعتنقون المسيحية بين سكان القارة الذين يبلغون مائة وثلاثين مليونا فئة لا تزيد عن سبعة عشر مليونا ، منهم ثلاثة عشر مليونا من الكاثوليك ، وأربعة ملايين من البروتستانت ، هذا على حين يعتنق الإسلام في هذه القارة ثمانون مليونا ، وإن عددهم ليتزايد بصفة مستمرة ... »

وبعد هذه المقدمة قالت الصحيفة : « وإن هذا التقدم الملحوظ ليثير قلق بعض الغربيين ، فهم يخشون – أو بالأحرى يتظاهرون بالخوف – من أن يصبح هؤلاء الذين ينضمون إلى الدين الإسلامي فريسة سهلة للدعاية الشيوعية ، لأن الدين الإسلامي – كما يدعون – لا يقيم حواجز فعالة ضد الشيوعية .

وتصدت الجريدة للرد على هذه الدعوة قائلة : ولكن نعرف على أي أساس يقيمون هذا الرأي ؟ ! .

إنهم يقيمون ذلك على أن ٢٥ مليونا من المسلمين في القوقاز وآسيا الوسطى قد قبلوا المذهب الشيوعي ، ولكن أليس في الاتحاد السوفيتي والدول التابعة له ٢٠٠ مليون مسيحي من الكاثوليك والأرثوذكس يعتنقون الشيوعية ؟ !

ومضت الصحيفة قائلة : فالدين الإسلامي مثل الدين المسيحي لا يشترك مع الماركسية

فى شئ ، والبابوية تحسب معرف ذلك أكثر من أى شخص ، وإذا كانت البابوية لا تقبل أية علاقات رسمية مع الاتحاد السوفيتى وتوابعه ، فإن هناك كثيرا من الدول الإسلامية لا تقيم علاقات دبلوماسية كذلك مع الاتحاد السوفيتى ، وإذا كانت مصر وسوريا قد قبلتا التعاون مع روسيا ، فليس ذلك لأنهما تعتنقان الشيوعية ، ولكنهما يصنعان ذلك لدوافع وأسباب خاصة تتعلق بموقفهما من إسرائيل .

ولكن ماذا تريد أن تقول الصحيفة بعد ذلك الكلام الذى الذى ينطوى على كثير من الحق والإنصاف ؟!

إنما تركز نظرتها بعد ذلك على الباكستان فتقول . إن الباكستان وهى من أكبر الشعوب الإسلامية يمكن أن تقدم وساطتها فى مشكلة الجزائر التى تثير متاعب بالغة لفرنسا ، ويمكن أن تكون وساطتها ذات فائدة كبيرة فى هذا الشأن .

ولكن لم تقـل لنـا الصحيفة ، على أى أساس تكون وساطة الباكستان فى هذه المشكلة ؟.

وهل تحسب أن الباكستان - وهى من أكبر الدول الإسلامية كما تقول - تقبل هذه الوساطة لإراحة فرنسا على أساس يمس حرية الجزائر الإسلامية المجاهدة لحريتها وكرامتها ؟!

وهل تحسب تلك الصحيفة أن هناك أية دولة عربية أو إسلامية تقبل الخروج على إجماع المسلمين بضرورة إعلان استقلال الجزائر وتحريرها من ربقة الاستعمار البغيض ؟!

إن هذا لا يكون أبدا ، فقد مضى زمن الوساطات والمساومات وقبول أنصاف الحلول ، ولن يقبل أى مسلم يدين بالإسلام حلا إلا الحرية التامة والاستقلال الكامل لأبناء الجزائر الذين يبذلون أرواحهم بحد السلاح فى سبيل حريتهم وكرامتهم !!

محمد فوزى عبد اللطيف

أصـــــول الحرية
فى منهج التفكير الاسلامى

لكل نظرية أساس ، ولكل مبدأ قاعدة .

هذه حقيقة واضحة لمن يراجع مذاهب العصر القائمة ، وهى حقيقة مهمة لما يبنى عليها من أساليب العرض بالنسبة للمذاهب المختلفة .

فالديمقراطية تقيم مذهبها على (الحرية والمساواة) ، وعلى أساس هذه الفلسفة تقيم الديمقراطية نظمها فى شتى الميادين — فى السياسة والاقتصاد والتعليم ... الخ .

والشيوعية تقيم مذهبها على (المادية الجدلية) ، وما تولد عنها من (مادية تاريخية) و (صراع الطبقات) وهى تطبق مذهبها على العالم الزاخر بالمتناقضات ، المتميز بألوان الصراع ، فتخرج من هذا بتعاليمها فى حقل الإنتاج ، وما يترتب على مشاكلة حقل الإنتاج من آثار فى مختلف الحقول — حتى الفنون والآداب ! !

والدين عموما — والإسلام خصوصا — له أساس وقاعدة يبنى عليهما نظامه المحكم ، ولا بدّ من تبين هذه الحقيقة سواء بالنسبة لعرض الإسلام الفكرى ، أو تطبيقه العملى .

• • •

كل الناس يعرفون أن الدين عقيدة وشريعة ، أو إيمان وعمل ، أو عبادة ومعاملة ... إلى غير ذلك من المقابلات التى تميز بين شطر الأساس الخلقى العقلى الذى يستقر فى الذهن وتطمئن إليه النفس ، وشطر الأعمال البشرية التى يستجيب بها الإنسان لدواعى الحياة .

ولكننا حين ندعو للاسلام أو نطبقه ، نغفل عن هذه الحقيقة المهمة ، فنقيم الإسلام فى أذهان الناس ، أو فى ميادين الحياة جزئيات وتفاريق ، منفصلة عن أساسها الاعتقادى الذى ينظم حياتها ، ويحكم وضعها .

فقد يهتم دعاة الإصلاح بأن يعرضوا شريعة الإسلام في تنظيم الأسرة ، أو نهجه في علاج شئون الدولة أو الاقتصاد ، ولكن دون أن يصلوا هـذا بأصل الإسلام الأصيل الذي يكفل ـ وحده ـ النجاح لنظامه ، ويميزه عن غيره ، وبغير هـذا الأصل يغدو الإسلام مجرد إصلاحات جزئية موضعية ، وتغييرات عارضة سطحية ، لا تمس جـذور التفكير النفسي والعقلي للأمة ، ولا تصوغ روحها وقيمها ومذاهبها وموازينها ، ومن ثم تختلط على الناس السبل فتعزل بهم عن سبيل الإسلام ، فيرون هذه الميزات التنظيميـة التي تهدف إلى إقرار العدل وإشاعة الخير لا يحتويها مذهب عصري ، ومن ثم يحق لهم أن يزهدوا في الدين وتعاليمه لا ينهض بها إلا الرجال أولو العزم ، قانعين بتحقيق لمحة من زخرف المتعة تخطف لهم من المجرى هنا أو هناك !!

وليس يعني هذا ألا يتحدث دعاة الإسلام عن نظم الإسـلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليجابهوا بها ما تعرضه المذاهب من أساليب الدعاية والإعلان ، ولكننا نرى أن يعرض نظام الإسلام مرتبطاً بأساسه العقائدي ، هـذا الأساس المتميز الذي أخرج أمة وصاغ حضارة ... هـذا الأساس الذي مهما تشابهت المـذاهب العصرية في عرض التفصيلات والتفريعات ، واقتبست من تجارب الإنسانية التاريخية المنوعة في محاولة سد الثغرات وإحكام الأحكام ، سيبقى الروح الأصيل المهيمن على النظام الإسلامي بتفرده وتميزه الذي لا يتطاول عليه فيه غيره .

فمثلما يعرض الديمقراطيون والشيوعيون وكل أصحاب المذاهب حلولهم وتصنيفاتهم الجزئية مشفوعة بفلسفاتهم وأصولهم (الجذرية) ، يجب على المسلمين أن يسلكوا هذا المسلك ويتخذوا هذا المنهج ، وهم في هذا لا يقلدون ، بل يستمدون من هدي دينهم ، فلم يكن عبثاً أن أرست الديانات الإلهية المبكرة في أيدي رسل الله الأوائل قواعد العقيدة وحدها ، ولم تتعرض للتشريع إلا بتدرج قريب من تصعيب الأحكام على مر الأجيال وتتابع الرسالات حتى تبلغ الغاية في الإسـلام ، وإن مقارنة ما جاءت به رسالات الله الأولى على قدر ما عرفنه منها بما أتى به محمد صلوات الله عليه وسلامه ينهض على هذه الحقيقة شاهداً ودليلاً .

والإسلام نفسه حين بدأ ، ظل ثلاثة عشر عاماً يثبت قواعـد العقيدة ، ومن بعدها بدأ الوحي ينزل بآيات التشريع . ومازالت عقيدة التوحيد الإسلامية هي أخص الخصائص

التي يقوم عليها تشريع الإسلام ، وحضارة الإسلام ، ودولة الإسلام وتاريخ الإسلام ، حتى آثار المسلمين المعمارية وحضارتهم الفنية ؟

فهل نغفل عن هذا الأصل الثابت ، والعنصر الضارب ، حين نعرض الإسلام أو نحاول تطبيقه ؟

وهل نغفل عن لفتات القرآن ، وهو دائب يقرع أسماعنا بذكر العقيدة وهو يأمر ويشرع المعاملات والتنظيم ؟؟

• • •

العقيدة في الإسلام محددة واضحة منضبطة ، تتلخص – كما أبان الحديث الشريف – في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . فهل هذا ما أقصد التكليف بمداومة بيانه ، وربط الأحكام والنظم الإسلامية به ؟ ؟

إن الإيمان من هذا المحور دائم شائع معلوم . فما الذي أقصد إذن أن يذاع ويشاع ويعلم ؟ إنما أقصد أن يبين للناس أمران :

• المنهج العقلي الذي سلكه الإسلام للوصول إلى تقرير عقيدته ، لأن هذا المنهج الذي استخدمه الدين وهو بصدد تقرير أخطر قضية في الوجود ، يعد منهجا نموذجيا ودستورا فكريا مثاليا يستمد منه المسلمون (تشكيلهم) الذهني و (تكوينهم) العقلي الذي على هديه يمارسون سائر قضايا الفكر والعمل .

النتائج المترتبة التي تترتب على تقرير المسائل العقدية البحتة في عالم الحياة العملية ، فهذه النتائج هي الأساس التي تؤسس عليها نظم الإسلام الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

• • •

في الإسلام منهج عقلي لإثبات صحة عقيدته وإقرارها في العقول والقلوب ، هو تراث خالد ، وأساس ثابت لحضارة تقوم على تقدير العقل وتكريم الإنسان .

إن المنطق الذي عرض به الله – جلا وعلا – دينه ، وحرص فيه على إيراد كل معارضة ، ومناقشة كل مخالفة ، ومناقضة كل نزوة ، فهو منطق لم تصل البشرية

في كفاحها الطويل المخضب بالدماء لأروع مثل في أمانة العلم وإحقاق الحق وتحرير الفكر وإذا كان الله – سبحانه – قد ضرب لنا المثل الأعلى

ونحن سنلتقي في القرآن نقد المخالفين وسنجتمع على دراسته ، ونستوعب هذا كله بالبحث والتمحيص – فأولى بالبشر ألا ينصرفوا عن هذا المنهج الرصين .

ولقد بلغ من أمانة عرض القرآن لوجهات المعارضة ، أنك لو حكيت اليوم في كل ما يهاجم به الدين من صور البيان ، لما خرجت بجديد في عصر (العلم الحديث) عما جاء به هذا الكتاب منذ أربعة عشر قرنا !!

إن خطاب القرآن كله تكريم للإنسان والإنسانية ، وتقدير للعقل والعلم ، وإقامة البرهان والمنطق ، ودعوة لإعمال الفكر والفقه والتدبر .

وإن خطاب القرآن كله هجوم على الانقياد لهوى النفس ، وإيحاء العرف والتقليد ، وقهر السلطة .. إنه استنهاض لحيوية الإرادة الإنسانية التي بها يغدو الإنسان قوة إيجابية فعالة ، وليس مجرد أداة سلبية كما في عالم الجماد وفي كثير من عالم الحيوان !!

هل أستطرد إلى الآيات التي تقرر هذا وهي مقروءة محفوظة متداولة ..؟؟

حسبي أن أشير إلى هذه الآيات من سورة الأعراف تقيم في نفس كل فرد شاهدا من عقله ووعيه على قضية العقيدة ، وتقطع عليه طريق الاحتجاج والتنصل : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون !!! وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون » .

ثم تستطرد الآيات ترسم صورة مثيرة لمن يؤثر المروق من حصانة العقل إلى نزوات الهوى ، ويختار التمرغ في مواحل الضلال : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب – إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وأنفسهم كانوا يظلمون » .

ثم يصور القرآن هذا الذي ظلم نفسه فعطل فيها كل أدوات الاستدلال وأجهزة الاستقبال : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

ونقرأ في الآيات التالية بعد ذلك :

« أو لم يتفكروا ، ما بصاحبهم من جنة ، إن هو إلا نذير مبين » .

« أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأي حديث بعده يؤمنون » .

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل : إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بغتة ـ يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

« قل : لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

« هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ... » .

« أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ؟ » .

« إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين » .

هذه قطعة واحدة من سورة واحدة من السور المكية في القرآن ، إنها إذ تقيم عقيدة الدين إنما تقيم البناء العقلي لكل فرد من أفراد الأمة . . . إنها تقيم (العقل المؤمن) بصورة تناقض ما يتشبث به المهرطقون . . . إنه العقل الذي راضه القرآن بتقريراته ومحاوراته ومن صور بيانه على النشاط ، والحياد ، والحرية .

واقرأ إن شئت الوعيد لمن حجروا على عقولهم في سورة سبأ : « ... ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ـ يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا :

أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ، بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ... وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا – هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ؟ » .

وتستطرد سورة سبأ – وهي مكية أيضا – تعدد صور الذين يجحدوا نعمة العقل التي حباهم بها ربهم .

« وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » .

« وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين » .

« قل إنما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا ، ما بصاحبكم من جنة – إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

« قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجري إلا على الله ، وهو على كل شيء شهيد .

قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب . قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » .

* * *

وإذ يسري هذا المنهج الجدلي البرهاني في خلجات النفس وبين ثنايا العقل ، ويتفاعل مع الفرد والمجموع ، وينتقل خلال الأجيال ، فإن نسمته تسكب روحها في كل ميدان ، وتطبع بطابعها طرق التربية في الأسرة ، وأساليب التعليم في المدرسة ، وألوان النقاش في البرلمان والصحافة .

فتصبح عقيدة الإسلام مصنع تخريج الأحرار أولي الألباب ، وتصير أمة الإسلام أمة العقل والعلم ، أمة الحجة والدليل ، أمة الحق وحده « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » .

* * *

وحين تستقر عقيدة الإسلام خلال هذا المنهج الحكيم في القلوب والعقول ، فإن هذه العقيدة تثمر نتائج هائلة في الفكر والحس .

إن عقيدة الإسلام ليست مناقشة مشكلة ميتافيزيقية باردة ، أو مزاولة عملية تجريبية جامدة ، أو حل مسألة حسابية جافة . . . إن تأليه الله وإنكار ألوهية من سواه ، معناها تحرير الفرد والمجموع من ألوهية الأهواء والتقاليد والمتجبرين . . . فالله وحده الذي يملك حق التشريع الأصيل الذي لا يرد « إن الحكم إلا لله » ، « ألا له الخلق والأمر » وكل من عداه محكومون بأصول دينه وشريعته « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

والله وحده هو الذي لا يحاسب ولا يحاكم « لا يسئل عما يفعل ، وهم يسئلون » . . .

والله وحده هو المتفرد بخصائص يستحيل بها على من سواه ، فهو الخالق وغيره يستوون في أنهم مخلوقون ، وهو المعبود والجميع سواء في عبادته « ليس كمثله شيء » وهو وحده « الكبير المتعال » ، « العزيز الجبار المتكبر » . . .

والله وحده هو المالك لخزائن السموات والأرض ، لكن الناس عاملون في تناول رزقه وفقا لشرعه « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » .

وهكذا تثمر عقيدة الإسلام نتائج تعتبر أسسا سياسية اجتماعية اقتصادية لنظام الإسلام وشريعته ، وهو ما يعبر عنه المودودي في « نظرية الإسلام السياسية » بأجلى بيان حيث يقول :

« والذي ينبغي أن نعرفه قبل كل شيء ولا نغفل عنه أبدا ، أن الإسلام ليس مجموعة من الأفكار المبعثرة وطرق العمل المتفرقة ، بل هو نظام جامع محكم أسس على مبادئ حكيمة ، وأركانه الكبيرة المهمة إلى الجزئيات الصغيرة الدقيقة كلها ترتبط بتلك المبادئ ارتباطا منطقيا ، وكل ما وضع فيه لحياة الإنسانية بمختلف شعبها من النظم إنما قد أخذ روحه واقتبس جوهره من تلك الأصول الأولية . . .

ماذا كان يريد الأنبياء بتوحيد الإله ، وما معنى عبادة الواحد الأحد وحده ؟ وماذا كان وراء قولهم : ما لكم من إله غيره ؟ وما بال من عصوا من الأمم كلما جاءهم رسول يدعوهم إلى عبادة الله الواحد واجتناب المعبودين دونه نفروا منه ؟ . أتراهم قد أصيبوا في عقولهم حتى يمنع الحكام رعاياهم الوهمية المطيعة عن إتيان الفروض والمناسك وهي شعائر لا تضر بمصالحهم ؟ .

إذا نظرت إلى المجتمع الإنساني استيقنت أن منبع الشرور والفساد الحقيق إنما هو (ألوهية الناس على الناس) إما مباشرة وإما بواسطة . وقد بينت التجارب التاريخية أن الإنسان لا محيص له من أن يجعل لنفسه إلهاً ورباً ، وإن لم يرض بالله رباً وإلهاً ، فحينذاك يتسلط عليه جنود مجندة من الأرباب والآلهة الباطلة .

وحيثما وجهت نظرك وجدت أن أمة اتخذت نفسها إلهاً لقوم آخرين ، أو طبقة ملكت ألوهيتها على طبقات أخرى ، أو حزباً سياسياً استولى على مناصب الألوهية والربوبية واستبد بها ، أو تجد مستعمراً ينادي الملأ (ما علمت لكم من إله غيري) !

وليس لهذا الداء من دواء إلا أن يقوم الإنسان فيكفر بالطواغيت جميعاً ، ويؤمن بالله العزيز الذي لا إله إلا هو ، وبنفسه تفردت أسماؤه بالألوهية والربوبية ، فهذا هو الطريق الوحيد لنجاة البشر من رق ذئاب الإنسانية ولطلوع مستقبل البشرية . وهذا هو الصلاح الحقيق الذي ظهر في المجتمع الإنساني على أيدي رسل الله الكرام ، وهذه هي النظرية الصالحة التي بعث بها الأنبياء إلى الناس .

• • •

إن الدين ليستقيم أمره في العقول والقلوب إذا سار دعاته على هذا النهج ، وربطوا نظمه وشرائعه بفلسفته الاعتقادية في أصولها المنهجية ونتائجها المتكررة . ونحن في مطلع عام جديد نسأل الله فيه علماً نافعاً وعملاً صالحاً ، وفقهاً محصناً وقلباً سليماً .

فتحي عثمان

لغويات

التوليف ، والتواليف . ونس ، عبد الونيس

نرى بعض المحدثين يستعمل التوليف في مكان التأليف . فترى من يقول : لفلان تواليف كثيرة ، وتصانيف عديدة . وكنت أحسب هذا مجاراة للعامة . إذ يقولون : وَلَّف الحيوان ، وفلان ولف فلان ، والأسد له وليفة ، وهكذا تسير عندهم صيغ هذه المادة بالواو في مكان الهمزة .

وقد جاء في القاموس في مادة (صنف) : « وابن عمر صاحب التواليف » ، فعلّق صاحب الجاسوس ، فهو يقول في ص ٣٦٦ . « ذكر المصنفين في الخطبة ، والتصانيف – والمراد بها تآليف المكتب خاصة – في شمت وبقل وعلم وصمص ، والتآليف هنا في صنف . وفي نسختي ونسخة مصر « التواليف » ، وحقها أن تكتب بالألف ، لأنه من ألف . وليس وَلَّف لغة فيه ، كما أن وزخ لغة في أرخ » .

فترى صاحب الجاسوس يرى في إبدال الهمزة واوا في نحو وزخ ليس عاما في كل ما كانت فاؤه همزة ، وأنه يقتصر فيه على ما سمع . ويؤخذ من المصباح في عدة مواضع أن هذه اللغة لأهل اليمن ، وجاء على هذا واسى في آسى وواحد في آحد ووكد في أكد . وتراه يقول (في الأسوة) « وآسيته بنفسي – بالمد – سوّيته . ويجوز إبدال الهمزة واوا في لغة اليمن فيقال : واسيته » . ويقول في (الأخ) . « وآخيت بين الشيئين بهمزة ممدودة . وقد تقلب واوا على البدل ، فيقال واخيت ، كما قيل في آسيت واسيت ، حكاه ابن السكيت . وتقدم في (أحد) أنها لغة اليمن » . وقوله . حكاه ابن السكيت أي حكى عن العرب واخيت في آخيت » وجاء هذا في كتاب القلب والإبدال له (انظر ص ٥٧ من مجموعة الكنز اللغوي) .

والقارئ يرى من هذا صحة ما جاء في القاموس وسقوط ما تعقبه به الشدياق صاحب الجاسوس .

وجاء في ديوان الهذليين ٢ / ٦٨ قول صخر الغيّ :

لشماء بعد شتات النوى ... وقد كنت أخيلت برقا وليفا

وورد في شرحه : « وليفا » متتابعا : اثنين اثنين ، مرتين مرتين . قال أبو سعيد . سمعت عيسى بن عمر يقول . كان رؤبة ينشد : « والركض يوم الغارة الإيلاف » والويلاف . وبعض العرب يقول : ونف ييهم ، والأكثر . ألف يألفهم » .

ويخرّج الحديث إلى قول الناس : ونسه في أنسه ، فهذا صحيح على لغة أهل اليمن ، كما عرفت . وهم يقولون في الأنيس ونيس ، ويقولون : عبد الونيس يريدون الله سبحانه وتعالى أنه مؤنس المؤمن ومؤنس له من الخوف والفزع . والأصل في هذه التسمية أن هذا الاسم الأنيس أو الونيس أو المؤنس لم يرد — فيما علمت — في نص يرجع إلى الشرع اسما لله سبحانه حتى يؤذن في الإضافة إليه واستعماله .

نحت البئر ، حفر البئر . نبش الحفيرة .

١ — يستعمل العامة النحت في الحفر ، فيقولون : نحت البئر ونحت قناة الري . وكنت أميل إلى تخريج هذه المادة على أنها قلب الحفر مع إبدال الراء تاء . ويحتمل عندي أن أصل النحت البحث ، فأبدلت الباء نونا ، والثاء تاء . والإبدال الأخير شائع في لسان العامة ، فهم يبدلون الثاء تاء في أكثر الأحوال ، وقد يبدلونها سينا . ومن طريف صنعهم أنهم يقولون : تقيل للثقيل في الوزن ، وسقيل لمن يستثقلون مكانه من الناس ولا يعتب على قومهم فيأرز عن عشرته . وإبدال النون من الباء قريب إذ هما حرفان شفويان . وقد جاء عنهم مرفد السمك ومرفده .

ويؤيد هذا التخريج أن بعض أهل مصر العليا لا يزالون يقولون : بحث عهد القناة ، كما أخبرني بذلك بعض الثقات .

والبحث في العربية طلب الشيء في التراب ، وهو سبيل قريب من الحفر . وورد قوله تعالى في سورة المائدة في القصص عن خبر ابني آدم إذ قتل أحدهما الآخر (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه) ويقول النيسابوري في تفسيره المطبوع على هامش الطبري ٦ / ١١٩ : « قال المفسرون : إنه لما قتله تركه لا يدري ما يصنع به

ثم خاف عليه السباع ، فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تغير ، فبعث الله غرابا ، وروى الأكثرون أنه بعث غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ، فحفر بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فغطاه من التراب » .

٢ — ويستعملون الفعل المصري «حفر» . والأقرب في هذه أنها مقلوبة عن الحفر . وقد بدا لي أن أصل الفعل الفأر ، فأبدلت الهمزة منه ، وهو إبدال قريب لأنهما حلقيان والفأر في اللغة الحفر ، يقال : فأر البئر أي حفرها وقد أهملت مادة الفحر في الصحاح واللسان ، وجاء منها في القاموس قولهم : افتحر الكلام والرأي إذا أتى به من قبل نفسه ولم يتابعه فيه أحد ، وجاء في شرحه أن هذا مثل افتعل الكلام ، فكأنه يشير إلى أن الراء بدل من اللام ، ومن ثم لم تكن مادة الفحر تامة عربية .

٣ — ويقولون : قش البيت أي كنسه ، والمقشة عندهم هي المكنسة ، والقش : الكناسة . والأصل في القاف في هذه المادة هي الجيم . ويقال : جش البئر كنسها أو نقاها مما فيها من قذى . وأطلق القش على الكناسة من إطلاق المصدر على المفعول ، كما قيل الخلق المخلوق . والقاف والجيم قريبا المخرج يتبادلان ، وعامة العراق الآن يبدلون القاف جيما فيقولون : جال في قال .

لابد من صنعا وإن طال السفر

يورد النحويون هذا المصراع شاهدا على قصر الممدود لضرورة الشعر ، فأصل صنعا صنعاء ، وهي مدينة اليمن المشهورة . والجاري على أقلام الكتاب كتابة (صنعا) بعد القصر بالألف . وكأن ذلك لمراعاة الهمزة المحذوفة ، وإلا فالقياس يقضي بكتابتها بالياء (صنعى) ، إذ إن الألف إذا جاوزت الثلاثة في المتمكن من الأسماء والأفعال ترسم ياء عند جمهور أهل الرسم الذين لا يطردون كتابة الألف بالألف .

وقد كنت أرتاب في هذا ، وأحسب أن الواجب أن تكتب (صنعى) بالياء ، كما هو القياس ، إذ إن الكلمة مقصورة ، وإن كان قصرها للضرورة ، فوجب اعتداد حالتها الراهنة في أحكامها اللغوية والرسمية . وعلى هذا فالألف في (صنعى) هي همزة (صنعاء) عادت بعد حذف ألف المد قبلها إلى أصلها وهو الألف ، كما هو مقرر في الصرف ولا ينبغي أن يقدر الحذف في (صنعى) للهمزة التي هي للتأنيث لأنها علامة التأنيث ،

فلا يصح إجلاء الكلمة ثم وإيثار ألف امتدعيها فصارت الآن كسكرى سواء . وبهذا قصرت (الأخراء) بأن احتذف تناول ألف أصل ، وصارت (الأجرا) على مثال الأصل لا على مثال الأفعاء . وينبغي أن يرسم (الأخرى) .

وقد وجدت تثبيت هذه الفكرة في كلام ابن يعيش في شرح المفصل . فقد أورد بيتي أبي ذؤيب الهذلي:

عرفت الديار كرقم الدوى ... يزبرها الكاتب الحميرى
على أطرقا باليات الخيا ... م إلا الثمام وإلا العصى

وقال بعد كلام طويل : « [1] وقيل . أطرقا ـ بالكسر ـ جمع طريق في لغة هذيل . وجاز ذلك أن يكون مقصورا من أطرقاء ، كأنه جمع فعيلا على أفعلاء ، كصديق وأصدقاء ، ثم حذفت الألف الأولى التي قبلها ، فعادت ألف التأنيث إلى أصلها وهو القصر ، وينبغي أن تكتب الألف بالياء على هذا كتبها في حبارى وشكاوى » .

ويرى الباحث في كلام ابن يعيش الجزم بأن قصر الممدود يكون بحذف الألف التي قبل الهمزة ، وفي هذا ما يتصل من قريب بقول الصبان في مبحث قصر الممدود في كتابته على الأشموني « قال الشاطبي : لم يذكر الناظم كيفية القصر ولا ما الذي يحذف ، والقياس حذف الألف قبل الآخر لأنه اختصار ، قال سم . ولم يبين ما يفعل بعد حذف ما قبل الآخر ، فهل تبدل الهمزة التي هي الآخر ألفا أو ترجع إلى أصلها الذي انقلبت عنه ، وهو الألف في حمراء ولام الكلمة في نحو كساء وحياء ، إذ أصلهما كساو وحيي ، لكن تقلب الألف بعد الرجوع إليه في القسم الأول ، وتبدل اللام ألفا في القسم الثاني . وفيه نظر » .

وعلى هذا يكتب (صفرى) بالياء في قول الشاعر :

فقلت لو باكرت مشمولة ... صفرى كلون الفرس الأشقر

مع الاعتراف بأن هذا الرسم مجانب للمألوف ، ولكنه الذي يقضي به القياس .

محمد علي النجار

---

[1] شرح المفصل ١/٣٢

تحيـــــــة الأزهر

مهداة لشيخ معهد أسيوط

أيها الأزهر المبارك عهدا … بت شأنا في عمر موج تحدى

أنت نبع الحق لكل تقي … أنت صوب الغمام بل أنت أجدى

أنت سيل بجانب النيل يجري … أنت كالزند ما حولت وقدا

أنت ورد الظماء من عهد عهد … تحمد الناسك من كتابك وردا

أنت روح صلح هززت مواتا … أنت نور آنسته لي تحمدا

طاب أهلوك سيرة واستقاموا … فأقاموا المعوج شيبا ومردا

أو علوا في القرى مصابيح رشد … لست تحصي من صار في النور عدا

رب جهل جلاهم صار فقها … وورى مسندا إليهم فأسدى

بعثوا مالكا هناك إماما … كيماء الضبط حررا ومدا

ليس يحصيهم الصحيح فريضي … صدق شعري إذا أردت وأكدى

• • •

إنما الأزهر الكريم شعاع … وجهه الصين عنده والهندا

يمموا وجهه الأمير وغادروا … صحراء الهدى يؤمون قصدا

وصى الله صحبه واصطفاه … ثالث القبلتين إن رمت عدا

ذاك سر أصفاه رب البرايا … واجتهدت كالناس نحسا وسعدا

وطن المسلمين في الشرق حتى … صار يدعى أباهم أو جدا

إن من أنكروا رسالة نوح … مثلهم منكروك في الفضل عمدا

حكى رفيقا بهم عليك سلام … لا تقل : لا تمر ولكن أنت حدا

حكى ورب النبي أحمد رفقا … كان يرجو في الصلب لله عبدا

• • •

أيها الأزهر الذي عن حصننا … وملاذا لمصر قبلا وبعدا

صل مرنا وذاكا أنفرضنا … من سوى الأزهر الجسور تحدى ؟

من تصدى لكل باغ دخيل … رام غدرا لنا وبطشا وكيدا ؟

رام نابليون المشئوم مقاما … ووراحا في مصر يخلو ومغدى

ثرت في وجهه فأدبر بعدو … خائفا مسلما عدوا تهدا

سل رشيدا [1] «عن» «مكرم» كيف أبلى — كيف قاد الجموع للحرب حشدا

صار يعدو إلى الفرنسيس جندا — أسدا قاد للعراك أسدا

ساق بالأرشود جيشا وأبلى — شعب مصر العزيز أكرم جندا

صيته الحق كم أطاح خصوما — منذرا بالجهاد قوما لدا

قام تاريخه يدل عليه — فاحفظوه ، وعوه علما ورشدا

* * *

من «كبده» في ثورة لعرابي — أزمت وارث الكنانة حصدا

فاذكروا من أهل معهد صدق — مثلك ما ووري الشيخ لحدا

أيها الأزهر الرحيب جنابا — وسع القاصدين لم يأل جهدا

أنت لولاك هل كل كفيف — عاش بالبؤس عيشا نكدا

أو صدت دونه المسالك صدا — وادعوا أن ذا نظام أعدا

إنما العلم كالمياه حياة — أي ذنب جنوه يمنع وردا

كم جنود لولاك ظلوا سيوفا — لم تفارق قرابها والغمدا

كم إمام وكم لسان قويم — كان أعيا من باقل لو تصدى

أيها الأزهر الكريم سلاما — يا شبابا في عمر نوح تبدى

أنت شمس لا تفتأ الدهر نورا — بارك الله نورها فاستعدا

عشت ألفا ، وسوف تحظو ألوفا — أنت والدين تخلدون أبدا

أزهري أنا وذاك فخاري — والوفي الكريم لا يتعدى

معهدي في أسيوط أول دار — حب زارها وطاب أهلا ومهدا

إن دار العلوم مذ صحبتني — وصلت حبله ووادته أيدا

رضي الله عنه غذيانى — رحيق العلوم والخلق شهدا

أيها الأزهر المؤمل أصبحت — بجديد يبين عما استجدا

أنت بيت الرجاء فاصلح وإنا — لك جند نروم هديا ورشدا

ها بنوك إليك جاءت تقنيا — عرف الحق صدقه فأهدى

يا «جمال» الحبيب آزر خطاه — تلق سعدا به وسعدا وسعدا

سيد عبد الرءوف سيد
المدرس بأسيوط الثانوية للبنات

[1] مدينة رشيد وموقعتها المشهورة مع الإنجليز في عهد محمد علي.

النصيحة

النصيحة إرشاد إلى الصواب وتوجيه نحو العمل الصالح المفيد الذي يعود على المنصوح بالسعادة والعزة ، والنصيحة تبصير بالمصادر حتى لا يقع فيها من لا يعرفها ، وتعريف بمواطن النفع حتى يلزمها ويسلك سبيلها . ولذلك ينبغي أن يكون الناصح ذا رأي ثاقب وعقل راجح قد جرب الأمور وحركته الأيام والليالي وذاق حلوها ومرها واتعظ بما رآه فيها من عسر ويسر وفرح وحزن ، وخلص قلبه من هم قاطع وهم شاغل ليسلم رأيه وتخلص نصيحته .

والنصيحة وظيفة الأنبياء والمرسلين ، فما من نبي أرسل لقوم إلا كان لهم ناصحاً أميناً وحكيماً مرشداً ، لا يألو جهداً في نصحهم ولا يقصر في إرشادهم ، ألا تستمع إلى سيدنا نوح عليه السلام وهو ينصح قومه فيقول « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » فيقول الملأ من قومه : « إنا لنراك في ضلال مبين » فيقول لهم : « يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون » ويقول : « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم » واستمع إلى سيدنا هود عليه السلام وهو يقول لقومه مقالة أخيه نوح « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » فيقول الملأ الذين كفروا من قومه « إنا لنراك في سفاهة ، وإنا لنظنك من الكاذبين » فيقول لهم « يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين » . واستمع إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام « إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين » . واستمع إلى سيدنا صالح وإلى سيدنا شعيب وإلى غيرهم من الأنبياء والمرسلين فكلهم كانت رسالتهم مع قومهم النصح والإرشاد . هذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه عتبة بن ربيعة في جماعة من قومه منهم أبو البختري والأسود ابن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل وقالوا له : إن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً

ملكناك علينا ، وإن كان هذا الأمر الذي يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : « ما بي ما تقولون ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوا علي أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم » .

قال صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » والنصيحة لله سبحانه اعتقاد وحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال والجلال والجمال ، وتنزيهه عن صفات النقص أو سمة من سماته ، والنصيحة لكتاب الله اعتقاد أنه من عند الله ، ولا يمكن للمخلوقين مجتمعين ومنفردين أن يأتوا بشيء من مثله وأنه « كتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه » .

والنصيحة للرسول تصديقه بأنه رسول من عند الله ، وأن جميع ما جاء به حق ، يجب اتباعه فيه عملا أو تركا ، والنصيحة لأئمة المسلمين طاعتهم فيما لا يغضب الله ، وإعانتهم على الأعمال الصالحة التي تعود على الأمة بالنفع العام . والنصيحة لعامة المسلمين تعليمهم أمور دينهم وإرشادهم إلى العمل به والمحافظة عليه وطاعة أولياء الأمور في غير معصية . وهكذا كان الرسل كلهم علماء نصحاء مرشدين وقد ورثهم في ذلك العلماء ، فهم يعظون الناس ويرشدونهم إلى ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهم بعدهم الدعاة إلى الله والهداة إلى دينه القويم .

وإني ذاكر هنا نصيحة أمامة بنت الحارث التغلبية لابنتها أم إياس بنت عوف ليلة زفافها لزوجها ، وبودي لو يحفظها الرجال والنساء على سواء ، ويفهمون ما فيها من حكم ، ويتمسكون بها في أعمالهم ومعاملاتهم واجتماعياتهم ، إذن لا نرى بيتا يشقى بعد سعادة ، ولا يتهدم بعد شموخ وثبات ، ولا أسرة تتفرق بعد صفاء واجتماع ، ولا أولادا تتشرد بعد النعيم في ظل الوالدين .

قالت أمامة الحكيمة الناصحة لبنتها : يا بنية ، إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو لتقدم حسب لزويت ذلك عنك ولأبعدته منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ، أي بنية لو استغنت امرأة عن زوج بفضل مال أبيها لكنت أغنى الناس عن ذلك ، ولكن للرجال خلقنا كما خلقوا لنا ، يا بنية ، إنك قد فارقت الحي الذي منه خرجت والعش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ، أصبح بملكه عليك

مليكا، وكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا، واحفظي منه خصالا عشرا يكن لك ذكرا وذخرا. أما الأولى والثانية فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة. فإن في القناعة راحة القلب، وفي حسن المعاشرة مرضاة الرب. وأما الثالثة والرابعة فالتعهد لموضع عينيه والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح. واعلمي يا بنية أن الكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود. والخامسة والسادسة التعهد لوقت طعامه والتفقد لحين منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مكربة. وأما السابعة والثامنة فالاحتفاظ ببيته وماله، والرعاية لحشمه وعياله، فإن أصل حفظ المال حسن التقدير، والرعاية للحشم والعيال من حسن التدبير. وأما التاسعة والعاشرة فلا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره. واتقي مع ذلك كله الفرح إذا كان ترحا والاكتئاب إذا كان فرحا، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظاما أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة. واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاك وتقدمي هواه على هواك فيما أحببت أو كرهت، والله يصنع لك الخير واستودعك الله.

وتلك لعمر الحق نصيحة كاملة وحكمة بالغة، لو حفظتها كل فتاة تزف إلى زوجها لعاشت عيشة هنية راضية.

وربما كان لا بد لي في مقامي هذا أن أتقدم بنصيحة خير نصيحة أقدمها نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل. قال معاذ: أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى قليلا ثم قال: «يا معاذ، أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الإمام والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل، وأنهاك أن تشتم مسلما، أو تصدق كاذبا، أو تكذب صادقا، أو تعصي إماما عادلا، وأن تفسد في الأرض. يا معاذ، اذكر الله عند كل شجر وحجر، وأحدث لكل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية». فنسأل الله التوفيق والرشاد.

محمد الطنيخي

عضو جماعة كبار العلماء

والمدير العام للوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

بشائر العام الهجرى الجديد

- ٢ -

مميزات الديمقراطية : إن من أهم خصائص الديمقراطية أن الشعب يظل صاحب السلطان مهما تكن الهيئة التى تمارس هذا السلطان ، فالسيادة لايمكن تنازل الشعب عنها وعلى هذا الأساس فهم روسو وكل رجال الثورة معنى مبدأ السيادة ، ولقد ظل المبدأ قائماً على الأساس نفسه فى العصور التى تبعت الثورة حتى الآن .

على أنه إلى جانب هذه الميزة الهامة لمبدأ سلطان الأمة توجد للديمقراطية مميزات ثانوية « كلاسيكية » يحسن أن نستعرضها فيما يلى

أولا — الديمقراطية مذهب سياسى : إن المذهب الديمقراطى هو مذهب سياسى لا اجتماعى ولا اقتصادى فهو ليس كما اعتبره بعض الألمان مسألة « بطن » بل على النقيض مسألة عقل وقلب .

لقد كانت ألمانيا أيام بسمارك تكثر من المنشآت الاجتماعية لحساب عمال طبقات الشعب ، ولا سيما العمال منهم بقصد تحويل أفراد الشعب عن المطالبة بحقوقهم السياسية ، ولقد كان بسمارك يقول فى هذا الصدد :

« إنه عندما يشعر الشعب بالسعادة فالحزب الاشتراكى الديمقراطى أن ينشد مايشاء من الأغانى فلن يتبعه أحد » .

ومما لاشك فيه أن الديمقراطية الاجتماعية لا يمكن أن تغنى عن الديمقراطية السياسية بحال ، ذلك أن ما يحصل عليه الشعب فى الحالة الأولى من الإصلاح يأتى إليه كمنحة من الحاكم أو صاحب الأمر ، بينما فى الحالة الثانية يحصل الشعب بنفسه على ما يريد من الإصلاحات .

ثانيا — الديمقراطية مذهب الحرية السياسية : إن الديمقراطية ترمى إلى الحرية

السياسية ، أي أن يحكم الشعب نفسه بنفسه وأن يختار الحكام من يرتضيهم لذلك . وهذه الحرية السياسية التي تقصدها الديمقراطية الكلاسيكية لا يجب خلطها بالحرية بوجه عام ، فالحرية السياسية ليست حتما الحرية الفردية ، إذ ليست من الضروري في نظام قائم على الديمقراطية السياسية وجود حريات فردية قائمة في وجه الحاكم ، إن نظرية العقد الاجتماعي التي ترجع إليها الديمقراطية وسيادة الأمة تشتمل على كثير من النظريات الاستبدادية ، فالفرد في العقد الاجتماعي ليس له أي حق أمام الشعب صاحب السلطان الذي له أن يتصرف في كل شيء بحسب ما يرتئيه .

ثالثا — الديمقراطية مذهب روحاني بعيد عن المادة : لاحظنا عند الكلام على الفرق بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية أن الأولى هي مسألة عقل وقلب وأن الثانية هي مسألة خبز وزبد . ويتضح من ذلك أن الديمقراطية السياسية هي مسألة فكرة معنوية خاصة بكيفية الحكم ، فهي تفترض وجود عقيدة معينة تعمل نحو مثل أعلى مع رغبة صادقة في العدالة ، ومن ذلك يتبين كيف أن الديمقراطية هي مذهب روحاني بعيد عن المادة ، وليس أدل على ذلك من اعتقاد الشعب الفرنسي إبان الثورة بأن إعلان حقوق الإنسان هو إنجيل سياسي مظهر لحقائق أبدية .

رابعا — الديمقراطية مذهب فردي : إن الثورة الفرنسية بإعلانها المبدأ الديمقراطي قد قررت الديمقراطية الفردية كذلك ، فالأمة مكونة من أفراد متساوين لا يربط بعضهم ببعض سوى انتمائهم لدولة واحدة وهو ميثاق ونظرية العقد الاجتماعي ، ويتتج من ذلك أنه :

١ — لا يوجد أي سلطة وسيطة بين الأمة صاحبة السلطان والفرد ، فلا اعتبار للطوائف المهنية ، ولا لطبقة الأشراف أو النقابات وما إلى ذلك — وعلى ذلك قضت الثورة على جميع هذه الطوائف وما لها من امتيازات .

٢ — المواطن يشترك في الشئون السياسية العامة باعتباره إنسانا ، أي فردا بصرف النظر عن أي اعتبار آخر ، فلا ينظر إلى مهنته أو إلى وراثته أو إلى وسطه أو إلى درجته العلمية فالحقوق التي يتمتع بها الفرد في الديمقراطية هي باعتباره إنسانا فقط .

خامسا — الديمقراطية تقرر المساواة . إن الديمقراطية تقرر المساواة ، ولا شك

أن هذه المساواة مستمدة من النص السابق ، فما دامت الديمقراطية قد جعلت اشتراك الأفراد في الحكم هو بصفتهم أفرادا آدميين فلابد أن يكون لكل فرد منهم حقوق سياسية واحدة ، ولا سيما أن كلا منهم بحسب العقد الاجتماعي قد ترك حالته الطبيعية وتنازل عن جزء من حريته مساو لما تنازل عنه الآخر . ومدعى أن ينتج من اعتبار الديمقراطية فردية وموجبة للمساواة بين الأفراد وجوب تعميم مبدأ الاقتراع العام على قدم المساواة بين الجميع .

ومما كتبته يتضح لقراء هذه المجلة أن هذا البحث طويل الذيول كثير الفروع ، من أجل ذلك كتبت خدمة للحقيقة واستجابة لما يجيش به قلبي من حب الوطن ، ولي رغبة ملحة في بعض كبار المسئولين قطعا لجميع أعداء الأزهر الذين يظنون – وما أكذب ما يظنون – أن الأزهر لا يواكب حركات الشعب ، ولا يساير ركائبه ولا يعرف من قيثارته على أن هؤلاء الأدعياء سواء أن مشرق الحركة الوطنية منبعث من ربوع الأزهر ، في الوقت الذي كان المستعمرون والقادة لا يحترزون عن إعلان رأيهم بلا على منبر الأزهر ، ومن صحيفة الأزهر وبين رجال الأزهر ، وما أصدق شوقي حين قال بهذه المناسبة .

قم في فم الدنيا وحيِّ الأزهرا … وانثر على سمع الزمان الجوهرا

فإلى الغد القريب . . .

عباس ط.

سنطالب بالتعويضات كاملة

أعلن الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية المصرية في مجلس الأمة أن مصر لن تتنازل عن المطالبة بالتعويضات الكاملة لما لحق بها من خسائر نتيجة للعدوان . وإن مصر حولت العدوان إلى فرصة لاستكمال تحررها السياسي والاقتصادي والعسكري .

من قصيدة

الأستاذ محمد صالح الزيدي

المشرف العام على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في احتفالها السنوي

ألقى الأستاذ محمد صالح الزيدي كلمة قيمة في الاحتفال السنوي لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ، جاء فيها ما يلي :

شاركونا احتفالنا بكتاب ... قد أفاض الخير بين العظماء

شاركونا شكرنا للكتاب ... قد أتاح النفوس صرف شفاء

إنه النور يجلي في ظلام ... فيضيء النهى ضياء السماء

إنه الكوثر[1] الذي تتهنى ... بنداه مراكب الدأماء

إنه الصاعد الحبيب ومنه ... يبلغ الناس قمة الجوزاء

• • •

فاشمخت جوانب الأرض النو ... ر بحبيب الصحابي الرواء

وأرى تاجه المنير صبيا ... في رداه بالسنة الغراء

هو تاج الشيوخ حرصا وعزما ... هو حقا صنيعة الخلفاء

زكي عالم أمين نزيه ... يحتمي بالكتاب لا بالعلاء

هو للأزهر الشريف عماد ... وله في سماه كل الرجاء

صانه الله أزهرا صحيا ... وروده قد تثير السعداء

ثم اختتم كلمته بقوله :

قد بذلتم جهودكم لتصونوا ... آية الله من أذى ورياء

نال منكم جهادكم وأرجو ... أن يرى جهدكم من الناس راقي

يا رجال القرآن أديتم الفر ... ض فطوبى لكم وحسن الجزاء

---

[1] الكوثر . مكان السعادة . الجنة .

جماعة الشرق الأوسط

واللجنة الأمريكية الدائمة

« للتعاون الإسلامي المسيحي »

أقيمت أخيراً في واشنطن ونيويورك جمعية أمريكية باسم « اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي المسيحي » برئاسة الدكتور جارلاند هوبكنز نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية ، ويؤخذ من نشرة أصدرتها هذه اللجنة باللغة الإنجليزية في أول أبريل (نيسان) ١٩٥٧ أنها جادة في إنشاء فروع ومراكز لها في بلاد المسلمين والعرب بزعم إيجاد تعاون إسلامي مسيحي وإقامة معاهد أمريكية وعقد اجتماعات لهذه الغاية . وتقول النشرة . إن اللجنة تبدأ خلال شهر أبريل ١٩٥٧ بالعمل لإنشاء معهد لها في طهران ثم في البلاد الأخرى .

وقد تأكد أيضاً أن جماعة الشرق الأوسط تعد العدة منذ الآن لعقد مؤتمر في كراتشي (باكستان) في شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٥٧ شبيه بمؤتمرها في بحمدون (لبنان) وأنها وجهت رسائل بهذا المعنى إلى بعض كبار الشخصيات الإسلامية .

إن جمعية الشرق الأوسط ، وربيبتها اللجنة الدائمة للتعاون الأمريكي ، تعملان لغاية واحدة وتهدفان إلى أغراض سياسية أجنبية تتستر بالدين ، وهي في حقيقتها حركة أجنبية مريبة تحيط بها الشبهات من كل جهة . فالذين يشرفون عليها ويديرون شؤونها جماعة من الأمريكيين عرفوا بصلتهم بوزارة الخارجية الأمريكية والعمل بتوجيهها وتنفيذ أغراضها وترويج سياستها التي ترمي إلى تحقيق المشروعات الأمريكية الاستعمارية كالأحلاف العسكرية ومشروع أيزنهاور ونحوها ، كما أن منهم بعض القسس ممن يحترفون التبشير ويعملون لهدم الإسلام أو (تطويره) وجعله آلة بيد السياسة الأمريكية والاستعمارية التي يراد فرضها على بلاد المسلمين والعرب لتمزيق وحدتهم وتدمير قوتهم أو تسخيرها في خدمة مصالح أمريكا وحلفائها الاستعماريين من إنجليز ويهود وفرنسيين .

إن هذه الحركة يراد بها تسخير الإسلام والشعوب الإسلامية والعربية لخدمة الأهداف الأمريكية بادعاء مقاومة الشيوعية .

إن الدكتور هوبكنز رئيس هذه الجماعة الأمريكية كان قسيسا بروتستانتيا لطائفة الميثوديست[1] ، ثم عمل في وزارة الخارجية الأمريكية ، وسافر لأندونيسيا ، ثم عاد إلى الشرق الأوسط ، ثم حضر إلى لوزان في سنة ١٩٤٩ أثناء اجتماع لجنة التوفيق الدولية فيها ، وحاول إقناع مندوبي العرب بقبول (الأمر الواقع) بشأن قضية فلسطين وعدوان إسرائيل ، وتعاون في ذلك مع المستر سام كوبر وكيل إدارة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية البريطانية ، ثم شرع مع غيره بتأسيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط سنة ١٩٥١ وعمل بعد ذلك لعقد ما سماه بالمؤتمر الإسلامي المسيحي في بحمدون (لبنان) سنة ١٩٥٤ ، كما عمل لعقد لجنته التمهيدية في فندق سيسل بالإسكندرية سنة ١٩٥٥ . وبالرغم من الدعاية الواسعة التي نشرها ، والأموال الطائلة التي بذلها في دفع أجور الطائرات للمدعوين ، وفي الفنادق الكبرى ـ فقد فشل مؤتمره كما فشلت لجنته ؛ لأن الكبراء والصفوة الواعية من المسلمين والمسيحيين في العالم الإسلامي والعربي نبذت دعوته وقاومت حركته ووجهوا إليه جارح النقد ، كما أعربوا عن ريبتهم في مقاصد هذه الجماعة الأجنبية .

فقد رفض الدعوة لحضور المؤتمر صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وأعلن إلى هوبكنز تنكر الأزهر للغاية التي عنيت بها في حين كتاب دعوته ، كما امتنع فضيلة شيخ علماء الإسكندرية عن حضور اجتماع لجنة المؤتمر بفندق سيسل ، والبطريركية القبطية بمصر ، وبطريركية الموارنة في لبنان ، والهيئات المسيحية الرسمية في بلاد الشرق ، فاتضحت للمؤتمر ريبتهم في مقاصده وأهدافه السياسية المستترة بالدين .

ونذكر هنا بعض ما قاله هؤلاء الكبراء من مسلمين ومسيحيين في جماعة أصدقاء الشرق ومؤتمرها وحكومتها الأمريكية التي كفلت المؤتمر وأنفقت عليه ووجهت الداعين إليه ، فالشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله لم يكتف برفض الدعوة التي وجهت إليه لحضور ذلك المؤتمر بل أرسل كتابا إلى هوبكنز فضح فيه سياسة أمريكا وحث المسلمين على رفض التعاون معها وحضهم على مقاومة أحلافها ومشاريعها الاستعمارية وشهر بها وبعملائها واعتبرها المسئولة عن كارثة فلسطين وتشريد أهلها المسلمين والعرب بمساعدتها لليهود بالمال والسلاح وتمكينهم منها ، وقد طبع رده على هوبكنز في رسالة

[1] أسس مذهبها John Wesley ـ المجلة .

سماها « المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون » وهى رسالة مطبوعة في المطبعة الحيدرية بالنجف وكلمة سماحة مفتي فلسطين السيد محمد أمين الحسيني نشرتها جريدة الجمهورية المصرية بتاريخ ٢٣ / ٤ / ١٩٥٤ تحت عنوان « رأى صريح في المؤتمر الإسلامى المسيحى » جاء فيها ما يلي :

« نحن نرحب بكل دعوة ترمي إلى التعاون بين المسلمين والمسيحيين ، فدين الإسلام يدعو إلى التعاون بين البشر كافة . ولكني أرى أن أية دعوة إلى تحرير الديانات الشريفة يجب أن تكون منزهة عن الهوى وعن الأغراض السياسية والأهداف الاستعمارية ، ونحن المسلمين نخشى أن تكون وراء أمثال هذه الدعوة السياسية الأنجلو أمريكية ، تلك السياسة التي سببت المشكلة الأولى من نكبة فلسطين وتشريد أهلها العرب . ويبدو أن الغرض الحقيقي من عقد هذا المؤتمر هو محاولة تخدير المسلمين العرب وتحويل اتجاههم عن التزام سياسة الحياد ومعارضة الأحلاف العسكرية ومشروعات الدفاع المشترك . ولذلك فإني أعتقد أن النية الحقيقية من وراء عقد هذا المؤتمر هي الترويج لسياسة الدول الاستعمارية الغربية ، والسير في ركابها وراء ستار كثيف من المبادئ السامية والقيم الروحية . وإني موقن بأن العلماء المسلمين الذين سيشتركون في هذا المؤتمر لن تخفى عليهم ألاعيب المستعمرين وخداعهم ، ولن يتأثروا من مقاصدهم التي لم تعد تخفى على أحد . فلو أرادت الولايات المتحدة الأمريكية حقا وصدقا أن تعنى بالأمور الروحية وتوثيق العلاقات بين أهل الديانتين السماويتين فما عليها إلا أن تتوقف عن مساعدة اليهود ومساعدتهم ماليا وعسكريا في اعتداءاتهم وعدوانهم . »

وتمثل بطريرك الأقباط بالإسكندرية رفض دعوة جمعية الشرق الأوسط ، ولم يكتف بذلك بل صرح لوكالة مصر للأنباء عن سبب رفضه فقال : « إني كممثل لهيئة دينية روحية لا أسمح لنفسي بحضور اجتماعات تدعو إليها هيئة أجنبية عن بلاد ليس من حقها أن تتدخل في شئونها ، كما أنه ليس من الحكمة حضور مثل هذه المؤتمرات التي لا تعرف أغراضها الحقيقية ، وقد يخشى انحرافها إلى النواحي السياسية » (جريدة القاهرة ١٠ / ٣ / ١٩٥٥) .

وقد سأل مندوب وكالة مصر للأنباء فخامة السيد شكري القوتلي رئيس جمهورية

سورية من المؤتمر المذكور فقال : « إن هذا المؤتمر دسيسة أجنبية يجب الحذر منه ،
وإنه يعتقد أنه محاولة للاستعمار وإثارة الفتن » (جريدة القاهرة ١٠ / ٣ / ١٩٥٥) .

وما حدث من اعتذار ممثل أقباط مصر عن حضور المؤتمر المذكور حدث مثله أيضا
في مؤتمر بحمدون سنة ١٩٥٤ فلم يحضره أي ممثل للطائفة المارونية ، وهي أكبر الطوائف
المسيحية بلبنان ، لريبتهم في مقاصد المؤتمر والداعين إليه . وقد نشرت جريدة الحياة
اللبنانية بتاريخ ٢٨ / ٣ / ١٩٥٤ أن مندوبها سأل مستر هوبكنز الذي كان الرئيس
الحقيقي لمؤتمر بحمدون الإسلامي المسيحي : « لماذا لم تمثل الطائفة المارونية في مؤتمركم ؟
فأجاب بأن الدعوة قد وجهت إلى المسيو يوحنا مارون ، ولم يتلق المؤتمر جوابا » .

وبتاريخ ٩ / ٦ / ١٩٥٦ نشرت جريدة الأهرام كلمة للدكتور منصور فهمي
رفض فيها الدعوة التي وصلته من الدكتور هوبكنز لحضور الاجتماع الذي ستعقده لجنة
مؤتمر بحمدون المنبثقة عنه لمواصلة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي في القدس من
١٥ – ١٨ / ٦ / ١٩٥٦ » .

جاء فيها ما نصه :

« إن من الواضح أن الاجتماع الذي تدعون إليه إنما هو تكرار للاجتماعين السابقين
اللذين دعت إليهما جماعة أصدقاء الشرق الأوسط وعقدا سنة ١٩٥٤ في بحمدون (لبنان)
وفي الإسكندرية سنة ١٩٥٥ ، ولم أحضرهما ، ولعلكم قد أدركتم أن سبب فشلهما رغم ما بذل
في سبيل إنجاحهما من جهود ، إنما كان لما يخالج قلوب الناس من ارتياب في الأهداف
الحقيقية لجماعة أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية التي يعتقد المسلمون والعرب أنها على
صلة وثيقة بالحكومة الأمريكية وتعمل لترويج سياستها التي تؤيد إسرائيل بكل الوسائل
والمساعدات المادية والسياسية ، وهذه السياسة تعتبر مضرة جدا بمصالح المسلمين
والعرب . وليس من المعقول أن يكتفي المسلمون والعرب من السياسة الأمريكية
بالمؤتمرات والكلام عن الصداقة والتعاون والوئام بينما يرون الولايات المتحدة الأمريكية
تغدق على إسرائيل ألوف الملايين من الدولارات وغيرها من المساعدات الحربية ،
والسياسية التي مكنتها من الاستيلاء على فلسطين العربية وطرد مليون من أهلها مما لم
يسبق له نظير في التاريخ الخ .... » .

هذه بعض نماذج مما قيل في فضح أغراض هذه الجماعة الأمريكية .

إن الشعوب الإسلامية والعربية وحكوماتها تعلم علم اليقين أن إنجلترا جنت على مليون مسلم وعربي من أهل فلسطين، وسلمت بلادهم وأراضيهم إلى اليهود، وأن حليفتها أمريكا هي التي ساعدت على إقامة دولة إسرائيل وأمدتها بجميع وسائل القوة والنمو حتى بلغ ما قدمته أمريكا من مساعدات لدويلة اليهود ما يزيد عن ألفي مليون دولار خلال بضع سنين.

وإذا كانت أمريكا جادة في كسب ود المسلمين فيكون في مقدمة عملها أن تعدل عن سياستها وتقف موقف الحياد بينهم وبين إسرائيل فلا تقدم أي عون لكل منهما.

ولكن هل تستطيع جماعة الشرق الأوسط ووسائلها الخبيثة الخادعة أن تحقق ذلك؟ كلا. فهي إنما تريد أن تسد مسد وزارة خارجيتها وتبث دعايتها في عقول المسلمين والعرب وخداعهم بواسطة عقد اجتماعات ومؤتمرات وإقامة معاهد ومراكز أمريكية ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب، حتى لا ييأس المسلمون والعرب نهائيا من أمريكا وحلفائها.

على أن تصريحات ساسة أمريكا وحكامها في تأييدهم التام لدويلة اليهود وإصرارهم على تقويتها وإمدادها بالمال والسلاح، تقطع السبيل على ما تزعمه جماعة الشرق الأوسط ومعاهدها ومؤتمراتها، وهذا مما يجعل المسلمين يتأكدون أن أمريكا من ألد خصومهم، لأنها أكبر مساعد لأعدائهم، ولهذا فهم يرفضون مشروعاتها، ويرفضون أحلافها حتى تعود إلى الحق وتعدل عن تأييد الصهيونية والاستعمار.

من أجل ذلك كله، ولدفع خطر هذه الجماعة الأمريكية المتسترة بالدين، ومن أجل دفع شرها والقضاء على دسائسها، نسترعي أنظار إخواننا من علماء المسلمين وقادتهم وأصحاب الرأي منهم إلى الحذر من ألاعيب هذه الجماعة الأمريكية التي تحاول التغلغل في أوساطهم، ونرجو أن يبذلوا جهودهم لمقاومتها، وإحباط خططها الاستعمارية، ومنع إنشاء أية فروع أو معاهد لها في بلادهم، وأن يكشفوا الستار عن أهدافها في خدمة الصهيونية والاستعمار، ويحولوا دون اشتراك أي أحد من المسلمين في فروعها واجتماعاتها ومؤتمراتها. وأن يؤكدوا للجميع أنها حركة ضارة بالمصلحة الإسلامية والعربية العامة، وكل مرادها الزج بالمسلمين والعرب في سياسة الأحلاف الاستعمارية بدعوى مقاومة الشيوعية، ليتخذوا من المسلمين وبلادهم وقودا للحرب التي يستعدون لها.

والله الموفق إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

عربي مسلم

أم المؤمنين أم سلمة

كانت أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية هي الزوجة السادسة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تزوج ـ صلوات الله عليه ـ إحدى عشرة امرأة ولم يجتمع له منهن أكثر من تسع، فقد توفيت السيدة خديجة أولى زوجاته وأيمن ولم يتزوج غيرها حتى ماتت، وتوفيت السيدة أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية وهي الزوجة الخامسة للنبي صلى الله عليه وسلم بعد شهرين من زواجه بها.

فأما الزوجة الثانية سودة بنت زمعة، والثالثة وهي عائشة، والرابعة وهي حفصة، والسادسة وهي أم سلمة (موضوع حديثنا اليوم)، والسابعة وهي زينب بنت جحش، والثامنة وهي جويرية بنت الحارث، والتاسعة وهي أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، والعاشرة وهي صفية بنت حيي، والحادية عشرة وهي ميمونة بنت الحارث، فهؤلاء التسع قد بقين مع السيد الرسول صلوات الله عليه حتى لحق بالرفيق الأعلى، وكان آخرهن وفاة هذه السيدة الكريمة موضوع الحديث، توفيت في عهد يزيد بن معاوية سنة إحدى وستين من الهجرة النبوية.

لم كان تعدد الزوجات في الإسلام؟

مهما تقول المتقولون على الإسلام وتشريعه، ومهما حاول المبشرون والملحدون والحاقدون أن ينفذوا من أحكامه ونظامه «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» مهما تقولوا وحاولوا فإن الإسلام متين الأركان محكم البنيان، لم يشرع شريعة وضعها أصلح منه وأوفى بالغاية، ولا رخص للناس رخصة ولا أخذهم بعزيمة إلا وفي ذلك نفعهم أو فائدة، فليكن قولهم بأفواههم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

جاء الإسلام الكريم، والعرب يعددون الزوجات إلى العشر، فربما كان ذلك لحاجة، وربما كان ذلك لمجرد شهوة وهوى، ولكن الإسلام هذب ذلك كما هذب سائر

الأوضاع البشرية ، وقد حد من أمر الرقيق وحث على الإحسان إليه وعتق رقبته بعد أن سار الناس إلى حد محدود في أمره .

كذلك الإسلام أمر التعدد فأباح منه ما دعت إليه الحاجة وشرطه بشرط هيهات أن يتحقق ، ولكنه إذا تحقق كان شيئا مهذبا كريما لا حرج فيه ، فهو يقول : « فانكحوا ما طاب لكم » ولا تطيب امرأة حتى يتوفر العدل والتوفيق في الحياة الزوجية ، فإن توفر وتحقق معنى العدل في المساواة والمكافأة ، ومن النفقة والمعاشرة ، تحقق معنى عمل تشريعات العالم كله على تحقيقه وهو رعاية مصالح الناس . وإن لم يتحقق ذلك كان الإسلام أول خارج عليه ومحارب له .

ولا أريد أن أخوض في تفصيل مواضع الحاجة إلى التعدد ، فقد أطال الناس الكلام في ذلك ، وذكروا أنه قد تدعو إليه حاجة إلى تكثير النسل في حرب أو غيره ، أو حاجة إلى دفع الظلم أو مقاومة الإسراف في بعض الطبائع ، ولكني أقولها هكذا كلمة عامة وأحكم بأنها مسألة تتقدر بالحاجة وبما تدعو إليه المصلحة وفي حدود الضرورة ، فأما إذا كان التعدد مما يترتب عليه مفسدة ما ، فإن الإسلام يحرمه كما يحرم كل شيء كذلك ، وهذا هو السر في أن الشارع الحكيم حرم ما فوق الأربع في حق جميع البشر ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم ، لأنه تعديل من شأنه أن تدعو إليه الحاجة ، ومن شأنه أن يدعو إلى الجور ، وعدم التوفيق في الحياة الزوجية .

فأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد خصه الله سبحانه بإباحة ما فوق ذلك في الحد الذي رأيت بيانه في صدر هذه الكلمة ، ذلك أن الله سبحانه خصه بصفات وسعة ورع وأفق ، وقوة دين وخلق ، وقوة جسدية يسمح له كل ذلك بإقامة العدل ، وتحقيق معنى الزوجية الهادئة الوادعة ، ولم يكن الداعي إليه في حقه صلى الله عليه وسلم مظهر شهوات تبتغى ، ولا معنى من معاني الأثرة والتمييز ، حاش لله . إنه لو كان الأمر كذلك لكان موضع تخيره بارعات الجمال والمتفوقات في الحسن ، ولما قبل أن يتزوج وهو في الخامسة والعشرين ثيبا في سن الأربعين كأولى زوجاته التي لم ينس عشرتها ولم ينقطع حنينه إليها (خديجة بنت خويلد) . ولو كان الأمر كذلك لم يتزوج صبية في سن التاسعة كعائشة ، ولا تزوج عدة من الأرامل ولا ذوات الأبناء من أمثال أم سلمة موضوع الحديث .

وكل ظروف زواجه صلى الله عليه وسلم تدل عند المنصف المحقق على أنه كان يتوخى في زواجه معاني جليلة كريمة من أمثال ما يأتي :

١ — إحكام الروابط العامة والخاصة ، حتى يجمع القلوب حول الدعوة الكريمة ، ويتجلى ذلك في زواجه بحفصة بنت عمر وعائشة بنت أبي بكر التي لم تجاوز يوم زواجه بها سبع سنين . وقد قال بعض المفسرين في قوله سبحانه «قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » . إنه ليس هناك قبيلة من قريش إلا وللنبي صلى الله عليه وسلم قرابة قريبة له أو لبعض زوجاته فيها .

٢ — القيام بأمر بعض من فقدن العائل وجبر كسرهن لما أصابهن من مصيبة ، ولا سيما إذا كان ذلك في أمر يتعلق بالدين ، كما وقع ذلك في تزوجه بأم سلمة موضوع الحديث ، وأم حبيبة التي تنصر زوجها بالحبشة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم يخطبها وطلب من النجاشي أن يزوجه بها ، وكما في زينب بنت خزيمة أم المساكين التي كانت تحت عبد الله بن جحش وقتل عنها يوم أحد ، وكما في جويرية بنت سيد قومه التي وقعت في السبي في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها فتزوجها ، ثم أرسل المسلمون ما بأيديهم من السبي لأنهم أصهار النبي ، وكما في غير ذلك مما لا نطيل به اليوم .

٣ — القضاء على بعض التقاليد الموروثة الفاسدة في العرب كما في تزوج زينب بنت جحش .

٤ — على أن ذلك التعدد في ذاته كان ضرورة دينية علمية لنقل أحكام الإسلام فيما يتعلق بشئون النساء تفصيلا ، كالحيض والطهر وأحكام الأسرة وما يتصل بها وما يلي ذلك ، فإنه يحتاج إلى تلميذات في داخل المنازل النبوية الكريمة ، فقد كان أكثر تلاميذه لغير تلك الأحكام من الصحابة ، فأما تلميذاته لتلك الأحكام فهن الزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين ، فنقلن العلم إلى الناس وبين أحكام الشريعة فيها بما لم يتيسر لغيرهن .

فليومر أعداء الإسلام عنادهم وليحفروا الطريق لدعوة الحق ، فإن لله سبحانه طائفة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله .

زواج أم سلمة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

كانت هذه السيدة الكريمة هي وزوجها عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة من السابقين إلى الإسلام الذين ألقوا منه حق البلاء ، فكانا ممن لقيه أذى المشركين يوم كان الإسلام غريبا بمكة ، يستضعف المستجيبون لدعوته ، وكانا ممن هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد ذلك ، وكانت هجرتها متأخرة عن هجرة زوجها لأن قومها بني المغيرة فرقوا بينهما فحملوها عنه كدأبهم في كل ما يستطيعون من عناد وتحد للدعوة الكريمة ، وتفصيل ذلك في كتب السيرة .

على أن الله سبحانه شاء أن تخرج بعد ذلك لأن قومها رثوا لحالها وما كانت فيه من ألم وشقاء ، وما كان يصب عليها من عزلة في تحبيب وبكاء . فأفرجوا عنها وخرجت وحدها إلى المدينة ، ثم قيض الله لها في طريقها من أوصلها إلى زوجها في عزة وتكريم . وبذلك كانت أول ظعينة دخلت المدينة ، كما كانت من قبل أول امرأة هاجرت إلى الحبشة .

وبعد الهجرة إلى المدينة تفرغت هند لتربية ما كان لها من أولاد من هذا الزوج الكريم الذي تفرغ لمعركة الإسلام مع الشرك ، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه بدرا وأحدا وأصيب بجرح بليغ في أحد .

وبلغ من تقدير النبي صلى الله عليه وسلم له وثقته به أنه كان استخلفه على المدينة في غزوة العشيرة ، وقد بعثه إلى سرية بني أسد وكانوا قد عسكروا في الجمع للنبي صلى الله عليه وسلم ، وغزوه بعد أحد فظفر بهم أبو سلمة وقضى عليهم ، ولكنه كان ضحية جراحة أحد لأن جرحه نكس من كثرة مالقي من عناء في جهاده فمات شهيد تلك الجراحة ، واحتسبه النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وكان من الخير بعد ذلك ، وقد أصيب ذلك البطل الكريم في سبيل الله والإسلام ، أن يتولى النبي صلى الله عليه وسلم بعض أمره ، وأن يعطف على زوجه وولده من غير أن يكون به حاجة إلى الزواج وفي عصمته عائشة وحفصة وسودة التي كان قد تزوجها أيضا لمثل ذلك من جبر الكسر ، وتولي الأمر ، كما أن أم سلمة لم يكن لها أرب في زواج ، وهي ترى ذرية صغارا من أبناء أبي سلمة ، ولهذا رفضت الزواج من كل من أبي بكر وعمر .

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها بعدهما وحرص عليها أن تقبل بعد أن اعتذرت إليه بأنها غيرى ومسنة ، وذات عيال .

وقال لها : أما الغيرة فإني أسأل الله أن يذهبها عنك ، وأما السن فأنا أكبر منك ، وأما العيال فإلى الله ورسوله .

لم تكن هند إذا ذات جمال يشبه جمال عائشة ولا جمال حفصة أو يقاربه فيحرص عليه لمتعة مادية ، ولكنه وفاء من السيد الرسول صلى الله عليه وسلم لمن استطاع أن يفي له من أصحابه الأكرمين .

ثم قبلت أم سلمة وزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على بركة الله في السنة الثالثة من الهجرة ، وكان طبيعيا أن يحمل زواجها بعض القلق البشري على السيدات أمهات المؤمنين شأن من يتمسك بزوج عظيم مثل محمد ، ويتنافس على القرب منه ، ويخشى من أن ينازعن فيه وإن كن بعد ذلك قد اطمأنن إليها ، وكان لها من مهارتها ولباقتها وسمو نفسها ما جعلها موضع الرضا والتقدير .

بعد الزواج :

كانت هند قد أثمرت من زوجها عبد الله : سلمة وعمر ودرة وزينب ، وكانت زينب كما تحدث علماء السير أنها بقيت في حضانة أم سلمة بعد زواجها من السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرحب بها ويلاطفها ويسأل عنها إذا دخل الحجرة الشريفة فيقول : أين زناب ؟ ولكنها مالبثت أن بعثت بها إلى حاضنة أخرى لتتفرغ لخدمة السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما بعد أن دخل على أم سلمة أخوها من الرضاعة عمار بن ياسر يوما فرأى زينب عندها فقال : هذه تمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته .

وعاشت السيدة أم سلمة في حجرتها من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ذات مكانة مرموقة من عقلها ومنطقها وبصرها ومهارتها وسمو نفسها .

وفي التواريخ والسير مواقف لها تدل على ما كان من مرة وعادة فيها

١ — وكان من ذلك أيضا ما اشتهرت به عمر بن الخطاب رضي الله عنه في موقف رواه البخاري وغيره من المحدثين ، وعمر من يعلم الله ونبي الكريم غيرة واستماتة فيما يقتنع به ، ولكنه استحيا وعدل عما كان يريد أن يحاول .

قالوا : إن زوج عمر بن الخطاب ناقشته يوما كما تناقش كل امرأة زوجها ، فقال : وما شأنك وهل أنت إلا امرأة تلعب بشرعة ؟ فقالت : أنت تقول ذلك وإن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه فيما يقول .

فخرج مسرعا حتى أتى حجرات النبي صلى الله عليه وسلم وقال لحفصة : أتشكين لتراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وسمعته أم سلمة فقالت : وما لك الأمر يابن الخطاب أن تدخل فيما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته ؟ عجبا لك يابن الخطاب ! فتراجع عمر بعد ذلك .

٢ — وكان من ذلك موقفها في صلح الحديبية فقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يوم ذلك بما أراه الله ، وكان في الصلح بعض شروط ربما أوهمت التنازل ، كما توهم ذلك كثير من الصحابة ، وهي مشهورة مفصلة في مواضعها من كتب السير . وبعد الانتهاء من الصلح وعقد المعاهدة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يقوموا فينحروا الهدي ويحلقوا كما يفعل ذلك كل من يقصد البيت الحرام . أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وكرر الأمر ، فلم يستجيبوا له ، وكان موقفا فيه الهلاك المحقق لو تم وفيه إحباط أعمالهم . وكان المنقذ من ذلك ما رأت أم سلمة للسيد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد رووا أنه دخل عليها (وكانت صاحبته في هذه الرحلة) وهو آسف مغضب يقول : هلك المسلمون .

أم سلمة : وكيف ؟

محمد صلى الله عليه وسلم : أمرتهم بالنحر والحلق مرارا ، فامتنعوا ؟

أم سلمة : الأمر أهون من أن يحرجك ذلك الإحراج ، وما هو إلا أن تخرج إليهم فتفعل ذلك من غير أن تخاطبهم .

فخرج وفعل ذلك من غير حديث معهم ، فإذا هم ينحرون ويحلقون ، وكأنهم ما خوطبوا

طول ماوقفوا فيه ، ثم استغفروا الله . ونزلت سورة الفتح تؤيد الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوه بما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم فتحعله فتحا مبينا ، وقد حقق الله ذلك .

وقد ذكر المفسرون أن الوحي كان ينزل في بيتها كما نزل في بيت عائشة ، وأوردوا من ذلك قوله سبحانه « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » ، وقوله سبحانه « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم » . وتفصيله في موضعه .

وقد كانت السيدة أم سلمة من المقبلات على رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذ عنه وتروى حديثه ، وقد الكثير من ذلك في الصحيحين وغيرهما .

أم سلمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم :

ثم آثرت أم سلمة أن تعتزل حياة الناس وما يكون لمثلها بعد ما شعرت به من السعادة وما كتب الله لها من الحظوة ، أن تتصل بدنيا الناس وحياتهم في غير مسألة تسأل عنها أو دعوة إلى خير ، وحين فكرت السيدة عائشة في الخروج مع السيدين طلحة والزبير أنكرت عليها أشد الإنكار ، ونصحت لها ألا تخرج ، ولكن أبى الله إلا ما شاء .

على أن السيدة الجليلة أم سلمة تعصبت لبيت النبوة ودفعت بولده كبدها عمر ابنها ليخرج مع على ، وتمنت كما يقولون لو أنه أبيح لها أن تخرج معهما ، وكان مجاملة كريمة أدتها إليها اجتهادها ، ثم لزمت بعد ذلك شأنها وعكفت على عبادة ربها حتى وافتها المنية سنة ٦١ هـ في عهد يزيد بن معاوية .

رحم الله الجميع وجعل لنا منهم صالح الأسوة وجميل الموعظة . آمين .

محمود النواوي

تعليقات

خطبة الجمعة وخطيبها

كان المنهج النبوى فى تبليغ الرسالة ، وتوجيه الدعوة ، مشافهة القوم ، والتفاهم والتلطف معهم فى الخطاب ، حتى تدرجت دعوته فى خطواتها الرشيدة ، وشقت من الطرق ، وقومت من عثارها ، ولمست من كان يعترضها ، ونفذت إلى أهدافها المنشودة فى كل واد .

ومنذ أعلنت الدعوة صيحتها فى الجهر ، وآزرها أنصار سبقوا إلى الإسلام واختصوا دعوته بمنعة شرعت لهم صلاة الجمعة وحتمتها على سبيل الفرض ، لتكون موعداً أسبوعياً تتلاقى فيه الجماعة الإسلامية فى ظل الأخوة الدينية ، وبين يدى ربهم الذى هداهم ، وعاهدوا رسوله على الوفاء بكل ما عرفوا أو يعرفون من أحكام دينهم ، وشئون دنياهم ، وقد بلغ من أهمية الخطبة يوم الجمعة أن يعتاض بها عن ركعتين من صلاة الظهيرة ، وأن يشترط فيها العدد ، حتى لا تكون قاصرة على قلة من الناس ، ولا تكون أشبه بأمر سرى يخص على الكثيرين ، ولا يذاع ما يقال فيها بين أهل الحى ، ولا يدرى به من تخلف عنها .

إن القصد من خطبة الجمعة أن تكون منهجاً تعليمياً ، قصد الصدق فى كل ما يحتويه ، وتعلم الناس ما يجهلون من أحكام ، ومن أمور الدين المتعلقة بأعمالهم ، وتستنهضهم إلى الخير ، وتذكرهم بما ينسون ...

والقصد كذلك أن يكون فى اجتماع الناس لدى خطيبهم ، وبين يدى ربهم ، توثيق لروح الإخاء ، وتجديد لنوازع المروءة ، وتبديد للوحشة التى تنجم عن الفرقة والتباعد ؛ إذ التعارف يزداد — لا شك — واتصال القلوب يتأكد كلما تلاقت الوجوه فى ساحة الرجاء من الله ، وكلما شخصت الأرواح فى التماس الهداية ، وتوحدت الأنفس فى الدعوات والضراعة .

ومن وراء ذلك تتوافر المودة والتآزر ، وتكون المعونات والتناصر ، وإرهاب العدو بتكتيل المسلمين حول دعوة ربهم ، وتجمعهم من وقت إلى وقت ، وانتظامهم فى صفوف رتيبة كلما دعاهم إلى ذلك من يتولى الأمر فيهم .

وما دام هذا الخط التهذيبي قائماً بين المسلمين كما قصد به ، فإنهم جماعة مطبوعة بطابع سوي إنساني لا تعرفه الدساتير ، ولا تذهب به الأنانية ، وتنال منه الأحداث .

وتكون خطبة الجمعة وسيلة ناجعة في تحقيق هذه الغايات إذا روعي فيها الموضوع المناسب الحق ، والأسلوب الخفيف المفهوم ، وروعيت الملابسات الأخرى ، من حيث البيئة وما يلابسها من شئون تتصل بحياتها ، ومن حيث الزمن وما فيه من برد أو حر ، ومن حيث المكان وما فيه من ضيق أو رحابة ، فلكل جانب من هذه الجوانب أثره الواضح في نجاح الخطيب أو فشله .

وقد كان منهج النبي – صلوات الله عليه – في خطبة الجمعة ومنهج الخلفاء من بعده منهج الحريص على نفع المستمعين بصدق فيما يدعوهم إليه ، واجتذابهم نحو ما يريد منهم .

وما نسي النبي ولا واحد من خلفائه في موقف من مواقفهم ، ولا في خطبة من خطبهم ، أن الأنفس محتاجة إلى ملاينة في الزجر حتى لا يتسرب القنوط واليأس إلى الأذهان ، وأنها محتاجة إلى استدراج رفيق ، وسياسة مرنة بالترغيب والتخويف ، حتى تقلع عما تشبثت به وتزهد فيما تعودته من سوء ، وتنقاد رويداً رويداً إلى التوجيه ، ومن قبيل ذلك أنه عليه السلام كان يطيل الخطبة حيناً ، ويقصرها أحياناً .

وكانت إطالته يسيرة وبقدر المناسبة ، فلم تكن إطالة مسئمة ، ولا مدعاة لتضجير .

وإنما هو الوعظ القوي ، والزجر الرادع ، وهو الترغيب في التوبة ، دون إغراء بالمفاسد أو تهوين للعقاب .

وكذلك هو الترهيب من العقاب دون إقناط من الرحمة والعفو عمن تاب ، كل ذلك في أسلوب سهل أخاذ ، لا يداخله غرور بالنفس ، ولا يشوبه دجل ولا جهل ، ولا خلط للحق بالباطل ، وتلويح للسامعين بأنه يأتيهم بعلم من عنده ، وإنما يعلمهم أحكام دينهم وفيها كفاية وكفاية .

وعلى هذا جرى الخطباء السابقون الفاهمون لدينهم وكذلك يعمل الخطباء المعاصرون المترسمون للأسلاف ، والمحتاطون لدينهم .

غير أن خطبة الجمعة قد عراها من الشوائب ما عرا سواها من تقاليدنا الإسلامية ، منذ صدر أمر الخطبة في كثير من المساجد إلى من تنقصهم الدراية بما يجب أن يعرفه الخطيب ، وبما يجب أن يحذقه .

وقد قضينا زمنا لا نسمع فيه من الخطيب غير الخطب المطبوعة المحفوظة في ذكر الجنة والنار ، ونسمع لكل جمعة موضوعا خاصا بها ، لا يناله تجديد ، ولا يأخذ من أحداث المجتمع موضوعا مناسبا ، ولا يتصل بما يجد في الأفق الوطني أو الإقليمي من مناسبات حتى أصبح جفاف الخطبة صارفا أو شبه صارف للناس عن الرغبة في حضور الجمعة بدلا من تشوقهم فيها واستدراجهم إليها .

ثم كان ليقظة الوعي وللنقد الذي أثار حول خطبة الجمعة أثر لا بأس به في علاج هذه المآخذ فظفرت منابر المساجد بخطباء مثقفين واعين .

وأصبح المتصلون بالمساجد والمستمعون إلى الإذاعة في حديثهم عن المساجد يلمسون تجديدا شيقا في الموضوعات والأساليب ، ويحسبون أنهم يستفيدون ، وقد تخلت لهجة النقاد كثيرا عن ذي قبل ، فأصبحت رطبة رحيمة على الخطباء ، وتعلق الأمل بتقدم يزداد .

غير أننا في غمرة هذا الابتهاج نلحظ أن بعض المجيدين للخطب يرخي لنفسه عنانها في القول ، ويطاوع خياله وإن كان في خطبة الجمعة ، ويعنيه سوق الأمثلة أكثر مما يعنيه تحري الصواب في الموضوع ، وأكثر مما يعنيه تربية الخشية في الأنفس وردعها عن المآثم .

ومن أمثلة ذلك — ونحن في أسف ممض — أن نجلس في آلاف من المستمعين إلى خطيب الجمعة في مسجد عريق التاريخ ، وله خطره في اعتبار المسلمين ، فيصعد المنبر عالم غير خطيب المسجد وهو خطيب مرموق في وقتنا الحاضر ، فماذا سمعنا من الخطيب ، وماذا سمع هذا الجمهور الممتلئ ، وكان فيه صفوف من كبار الشخصيات الإسلامية ؟ ؟

حدثنا الخطيب عن قول النبي — صلى الله عليه وسلم — « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

وهذا الحديث موفق ، ومناسب لكل مجتمع ، في كل مكان وزمن ، غير أن خطيبنا شطح شطحة خرجت به عن الموضوع إلى نقيضه ، فكان وعظه تهوينا للجرائم ، وكان أسلوبه المعسول أن الله خلق الناس جميعا على ارتكاب المعاصي ، وفطرهم على عمل السيئات حتى لا يمكن مخلوق أن يبعد أو يفر من عمل المنكر .

وقد أسهب في ذلك واستثنى الأنبياء من عمل المعصية — بحكم العصمة — واستثنى الملائكة من هذه الفطرة .

واستثناء الأنبياء صحيح ، ولكن التعميم في وقوع الناس جميعا ، وعدم فرار أحد

منهم من عمل السيئات أمر يأباه العلم ، ولا تقوم له حجة ، بل هو مناقض صراحة لما ورد في القرآن من ذكر الأبرار ، وعباد الرحمن ، وما ورد في السنة من الناشئين في طاعة الله . . . الخ .

وهذا التعميم الخاطئ يوحي إلى الناس أن ارتكابهم للآثام أمر فطري لا حرج فيه ، ويغريهم بمتابعة الشهوات والأهواء ما دام هذا مقتضى الفطرة كما قرر الشيخ المرموق ، وشر من ذلك وأفحش خطأ أن يقول الخطيب بالحرف والترتيب : إن الله لم يقل للناس لا تسيئوا ، ولكن قال لهم إذا أسأتم فاستغفروا . وهذا منطق واضح يفصح في غير تأول عن نفي الزواجر كلها ، ويوحي للناس أن القرآن خال من الزواجر ، ومن النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ويركز في أذهان البسطاء أن النهي عن المنكر لم يرد به شيء في الكتاب ولا في السنة .

وما دام الخطيب يرى ويقرر أن ارتكاب السيئات أمر فطري لا علاج له ، وأن الله لم ينه الناس عن السيئات في كتابه وشريعته وسنة رسوله ، فماذا بقي في خطبته من وعظ قديم أو جديد .

وماذا بقي من زواجر القرآن والسنة ليجتنب الناس ما يخالف دينهم وينافي آدابه ؟ أليس هذا إنكارا صريحا لشطر كبير من آيات الله البينات ؟ وهدما فاحشا لواجب النهي عن المنكر ؟ ؟ إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل أصيل في التربية الإسلامية ، بل هما الأصل الأول الذي يناط به كل توجيه ورد به الإسلام فإذا انتهينا إلى إنكار الشق الثاني من هذا الأصل فماذا بقي من أصول الإسلام وتربيته ؟ .

وإذا جاز الوقوع في هذه الزلة المردية من خطيب عادي لا يتحرج لدينه ولا يحتاط في موقفه ، فما يجوز ذلك ، ولا شيء من ذلك في مسجد كالأزهر ولا بين جمهرة العلماء وغير العلماء ولا من رجل يشار إليه ؟

وهذا أمر لم نستطع درأه حين وقوعه ، فلا هوادة أن ننبه عليه حتى لا نقع تحت الإثم المسكوت عنه ، ونحذر من هذا كله أن تكون الخطبة سابقة في مساجدنا .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الى جزيرة العرب . . .

انتقل إلى رحمة الله ومغفرته في مدينة كابل عاصمة المملكة الأفغانية شاعر عربي معاصر كانوا في أيام إسماعيل صبري وحافظ إبراهيم يعدونه في الطبقة الممتازة من شعراء العروبة ، وهو الشيخ فؤاد الخطيب سفير الدولة السعودية في الأفغان . وقد رأينا أن ننشر من شعره هذه القصيدة بيانا بمنزلته :

لمن المضارب في ظلال الوادي ‏ ‏ رفافة الجنبات بالوراد
الله أكبر ، تلك أمة يعرب ‏ ‏ نفرت من الأغوار والأنجاد
طوت المراحل والأسنة شرع ‏ ‏ والبيض متلعة من الأغماد
ومشت على الأصلات مشية واثق ‏ ‏ بالله والتاريخ والأجداد

* * *

لبيك يا أرض الجزيرة واسمعي ‏ ‏ ما شئت من نجوى ومن إنشاد
لك في دمي حق الوفاء وإنه ‏ ‏ باق على الحدثان والآباد
فهجرت مضطهدا بما جشمتني ‏ ‏ وحملت فيك عظائم الأحقاد
ووقفت بين يديك أطرق خاشعا ‏ ‏ وكأنك المحراب للعباد
ورميت دونك بالدليل مصفدا ‏ ‏ فسمعت صوت الحارث بن عباد (1)

* * *

أنا لا أفرق بين أهلك إنهم ‏ ‏ أهلي ، وأنت بلادهم وبلادي
ولقد برمت إليك من عصبية ‏ ‏ شلاء تؤثر موطن الميلاد
فلكل ربع من ربوعك حرمة ‏ ‏ وهوى تسلسل في صميم فؤادي

---

(1) أحد الرهط الذين أوفدهم النعمان بن المنذر الملك من جزيرة العرب بين يدي كسرى .

كم صيحة بالقاع في غلس الدجى ... فوق الرمال العفر وهي وسادي
أدركت إذ أدركتها معنى الكرى ... وسكينة الأرواح في الأجساد
ولقد ما أطرب السرور وما أطربت ... للعيش فيك بشاشة الأعياد
فسفرت بالفجر المبين لمدلج ... وتفجر العرفان منك لصاد
آمنت بالهمم التي أحييتها ... فمضت تزلزل شامخ الأطواد
وتعطفت شم الحصون وإنها ... كانت تصد مراحص الآساد
ولقد شهدت بنيك يوم تشمروا ... متلببين لغارة وطراد
فعلمت كيف يثور من طلب العلى ... ورأيت كيف مراجم الأجناد
بجريحهم وأسيرهم كقتيلهم ... سبب يراوحه الردى ويغادي
وهم الأباة فما تلين قناتهم ... تحت السيوف ولا الحمام العادي

. . .

شهداء عهدك في ثراك بعصبهم ... ومنائر ثم حفيظة ووداد
صدقوك من كل موضع طعنة ... فيهم لسان دم بذكرك شاد
سهرت عليك جراحهم كعيونهم ... بالأمس غير ملمة برقاد
ولقد تطوع كهلهم وغلامهم ... للموت غير مسخر بقياد
ونمت بهم في شعب كل كريهة ... همم الغزاة وعفة الزهاد
ومن اشترى استقلاله بدمائه ... لم يستنم لأذى ولا لاستعباد
الملك فيك وفي بنيك وراثة ... حق مبين الأبد للأحفاد
وأمانة التاريخ في أعناقهم ... من عهد بابل يوم نهضة عاد
فإذا انبروا للمجد فهو سبيلهم ... يمشون فيه على هدى وسداد
تمشي الهداة فما يفرق شملنا ... متفرق الأسماء والأجداد
ظلموا وما علموا بأن وراءهم ... شعبا ، وأن الله بالمرصاد

فؤاد الخطيب



الاشـــــــتقاق

للأستاذ عبد الله أمين – ٤٦٣ ص – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

من أعظم مزايا اللغة العربية حيويتها المتصلة بين ماض عريق في القدم ، ومستقبل وثيق الصلة بمراحل هذه الحيوية ، في نظـام منطقي حكيم امتاز بالاطراد والاستقرار . وكما أن العرب الذين نطقت ألسنتهم بهذه اللغة النبيلة قد سنوا لأنفسهم على نظام الأنساب والتوسع في روابط الأسرة حتى كانت منها البطون والأفخاذ ونمت في المعاونة والشعوب المتناصرة ، كذلك لغتهم قد احتفظت بالقرابة الوثيقة – في اللفظ والمعنى جميعا – بين جذور الكلمات وما تفرع عنها في تسلسل متطور أحكمته عقل نظامه عند صوغ بعض الكلمات من بعض في صيغ وأبنية كان من مجموعها أسرة لغوية حملت مؤلفي المعاجم على استعراضها كلها معا في مادة واحدة ، غير مفرقين بين الأصل وما تسلسل منه ، لأنهم اعتبروها كالشجرة التي إذا فصل فرع منها عن أصله فقد حيويته ، أو كالعضو إذا فصل عن الجسد الذي هو منه .

ولقد عني أسلافنا بدراسة العربية من ناحية الاشتقاق فألفوا فيها الكتب القيمة والبحوث الحكيمة ، وأماطوا عن تقارب المعاني بتقارب حروف ألفاظها ، وعن اشتراك الألفاظ الكثيرة في معنى عام لاشتراكها في حرفين أو أكثر . ومن أقدم من درس العربية من هذه النواحي أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني وأبو الحسين أحمد بن فارس وآخرهم أحمد فارس الشدياق .

وبين أيدينا كتاب نفيس في هـذا الفن من فنون العربية للفاضل المدقق الأستاذ عبد الله أمين قسمه إلى أربعة أقسام ، أولها الاشتقاق الصغير وتكلم فيه على أصل المشتقات ، وعلى اشتقاق الأفعال ، واشتقاق الأسماء . والقسم الثاني في الاشتقاق الكبير وهو الإبدال اللغوي . والثالث الاشتقاق الأكبر وهو القلب اللغوي . والرابع الاشتقاق

الكبار وهو النحت . وختم الكتاب بمقارنة وجيزة بين اللغات السامية الثلاث : العبرية والسريانية والعربية .

وهذا الفن من فنون العربية مما يجب على كل متأدب عربي أن يلم بأطرافه ، وقد يسر الأستاذ عبد الله أمين هذه المهمة على الذين لم يدرسوا دراسة الكتب القديمة ، فشكرا له ، ونرجو الله أن ينفع شبابنا بكتابه .

السبيل إلى أسرة أفضل

للأستاذ محمود مهدي استانبولي — ١٤٤ ص — مطبعة دمشق

هذا الكتاب مجموعة فصول تدور حول مشكلات الأسرة الإسلامية وما فيها من عيوب ، وبيان الطرق إلى إصلاحها . والمؤلف مدير مدرسة ثانوية في دمشق للتربية الاستقلالية ومعهد إعداد المعلمين والمعلمات ، وينظر إلى التربية من نواحيها الإسلامية ، وقال في كلمة تمهيدية للكتاب : « إن الأمة خلية إذا صلحت صلحت الأمة كلها ، وإذا فسدت فسدت الأمة كلها ، ألا وهي الأسرة » . وقد عالج في كتابه موضوعات الأسرة وتربية النشء من بداياتهما ، أي من اختيار الزوجة لتكوين الأسرة ، ثم مضى في البحوث التي تتصل بالأسرة والبيت وتربية النشء فتكلم على كل موضوع بما يليق به .

وقد قدم له الأستاذ الكبير السيد علي الطنطاوي بمقدمة لطيفة دلت على مكانة المؤلف في النشاط الإصلاحي ، وما أفاده القراء والقارئات من مؤلفاته المنشورة .

مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء التاسع — ٣٠٦ ص — المطبعة الأميرية بالقاهرة

اعتاد مجمع اللغة العربية في القاهرة أن يصدر بين سنة وأخرى جزءا من مجلته العلمية ، بيانا لنشاطه ، وتسجيلا لبحوثه ودراساته ، وإعلانا عن مبتكراته واختياراته في المصطلحات العلمية والقانونية والاجتماعية . وفي هذا الجزء أربع عشرة مقالة في اللغة بأقلام أعضائه ، وعشر مقالات في تحقيقات لغوية ، وثلاث مقالات في الأدب والنقد ، وثلاث مقالات حول المصطلحات . ثم أربع قوائم بالمصطلحات العلمية المجازة التي وافق عليها مؤتمر المجمع ، إحداها في مصطلحات قانون المرافعات المدنية والتجارية ، والثانية مصطلحات في العلوم النفسية والاجتماعية ، والثالثة عن ألفاظ نباتية في المعجم اللغوي الوسيط ، والرابعة مصطلحات طبية .

التراث الروحى للتصوف الاسلامى فى مصر

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى – ٢٣٨ ص – دار العهد الجديد للطباعة

يوالى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى نشاطه الأدبى المتواصل ، فيضيف إلى عشرات الكتب من مؤلفاته كتابا جديدا عن التصوف فى مصر من عهد ظهوره إلى الآن .

وقال المؤلف فى كلمته الأولى عن الفتح الإسلامى لمصر « كان الفتح العربى الإسلامى لمصر معجزة من معجزات التاريخ ، وإنقاذا إلهيا لشعب طال حلمه بالتحرر ، وكانت عبقرية قائد التحرير والفتح (عمرو بن العاص) موضع دهشة العالم حينذاك . أربعة آلاف جندى من جند المسلمين انتصر بهم عمرو بن العاص على الإمبراطورية الرومانية فى معارك الفرما وبلبيس إلى أن دخل جيش المسلمين إلى حصن بابليون ، وأمد الخليفة عمر بن الخطاب جيش المسلمين بأربعة آلاف جندى آخرين ، ثم زاد جيش عمرو إلى خمسة عشر ألفا هم الذين دانت بهم مصر كلها بالطاعة للحكم الإسلامى ، وقابل الشعب المصرى هذا الفتح بالفرح والسرور لتحرره من قسوة الرومان وشرورهم » .

وعلى أساس هذا الفتح العظيم الذى كان من معجزات الله فى الأرض قام تراث الإسلام الروحى فى مصر ، ومنه الزهد والتقوى والانقطاع لله وما أطلق عليه بعد ذلك عنوان التصوف ، وكان للعلم الإسلامى رجال وللتصوف الإسلامى رجال ، وهؤلاء الرجال من أولئك وهؤلاء على مراتب ، وطرق متفاوتة فى قربها من ذلك الأساس الأول أو بعدها عنه ، وفيهم العظماء الذين يباهى تاريخ الحركات الإسلامية بهم ويعتز بسيرهم وتراجمهم وقد أراد الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى أن يكون بين عشرات الكتب التى ألفها ونشرها موضع لهذا الموضوع فأفرد له هذا الكتاب الحافل بتراجم الزاهدين الأولين والمنتسبين بعدهم إلى الطرق الصوفية ، وفيه كثير من الفوائد كسائر مؤلفاته .

الخطبة فى الإسلام – ما لها وما عليها

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبى – ٣٤ ص – مطبعة الإمام

رسالة لطيفة قدمها فضيلة الأستاذ المؤلف إلى الشباب العاقل تبصرة فى الحياة

الزوجية وتكوين الأسر الشريفة والخطوة الأولى (الخطبة) فى الوصول إليها ، نشرها لمناسبة الحديث الذى نسبه النجم السينمائى حسين صدقى إلى فضيلة الأستاذ الباقورى حول هذه المواضيع فى مجلة الجيل ، وبراءة فضيلته من هذا الحديث ، وجواب المؤلف على ذلك أولا وأخيرا .

نهرو يتحدث عن سياسة الهند الخارجية

مكتب النشر بسفارة الهند بالقاهرة — ١٧٠ ص — مطابع دار الهلال

أصدر مكتب النشر بسفارة الهند بالقاهرة كتابا بهذا العنوان هو مختار من خطب رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو ، مما ألقاه فى أربع سنوات من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٦ ومن ذلك خطبته فى نقابة الصحفيين المصريين بالقاهرة فى ٢٥ يوليه سنة ١٩٥٣ وخطابه فى المؤتمر الصحفى الذى عقده بالقاهرة فى ١٦ فبراير سنة ١٩٥٥ وكلمته فى المؤتمر الأسيوى الأفريقى فى باندونج عند اختتام جلسات المؤتمر فى ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٥ وبيانه فى البرلمان الهندى عن أعمال مؤتمر باندونج ، وبيانه بشأن قناة السويس الذى ألقاه فى مجلس الشعب فى ٨ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، والبلاغ المشترك الذى أصدره رئيسا وزراء الهند ومصر بالقاهرة فى ١٦ فبراير سنة ١٩٥٥ ، والبلاغ الآخر المشترك الذى أصدراه فى ١٢ يوليه سنة ١٩٥٥ .

أخطار التفجيرات النووية

ومما صدر عن مكتب النشر والاستعلامات فى سفارة الهند بالقاهرة البيان النفيس الذى ألقاه السيد كريشنا منون فى لجنة نزع السلاح التابعة للأمم المتحـــدة ، وكان ذلك فى يوم ١٢ يولية من العام المـاضى .

إن البشرية ، والكرة الأرضية ، ما كانت فى عصر من عصورها أشد تعرضا للفناء والدمار مما هى الآن ، بعد أن دفعت رعونة الساسة فى الدول الاستعمارية الجشعة طائفة العلماء الطبيعيين إلى استنباط وسائل الإبادة والتخريب ليهددوا منافسيهم بالبطش والزوال فكان هذا التهديد إعلانا فى الوقت نفسه عن تقـــدم أصحابه تقدما واسعة عن الأقطار . وهذا البيان من هذا السياسى الهندى فى الأمم المتحدة نذير بكل ذلك .

الأدب والعلوم

السياسة التعليمية فى مصر

قال وزير التربية والتعليم فى مجلس الأمة «إن تغيير اسم وزارة المعارف العمومية إلى وزارة التربية والتعليم دليل صادق على أن رسالة الثورة ثورية فى التربية والتعليم، على عكس ما كان عليه الحال فى الماضى، إذ كان مقصورا على تلقين المعلومات وحشد الحافظة بالمعارف العامة. ثم رأت الثورة أن تكون القاعدة التى تقوم عليها السياسة التعليمية هى «أكبر قسط من التعليم للأكثرين» ثم تكافؤ الفرص فيما بعد ذلك من مراحل التعليم. لهذا تقرر أن يكون التعليم الابتدائى إجباريا ومجانيا لمدة ست سنوات كاملة. ولابد من بذل أقصى الطاقة لتدبير ثلاث سنوات أخرى للتعليم الفنى فى المرحلة الابتدائية. وقد وضع برنامج لعشر سنوات تتم فيها المرحلة الابتدائية وتنشأ عشرة آلاف مدرسة ويتم إعداد ٥٠ ألف معلم.

إعداد المعلم العربى

انعقد فى بيروت مؤتمر إعداد المعلم العربى، واشتركت فيه مصر والبلاد العربية. وقد أصدر المؤتمر التوصيات التالية:

دراسة المجتمع العربى الحاضر.

دراسة الحضارة العربية وتطوراتها، وإبراز أثرها فى الحضارات الإنسانية الأخرى.

دراسة نظم التربية والتعليم فى البلاد العربية للوصول إلى مناهج متقاربة وأهداف ومستويات موحدة.

تبادل زيارات المعلمين والطلاب فى البلاد العربية.

جمعيات المحافظة على القرآن

يقوم الأزهر بإدارة جمعيات المحافظة على القرآن الكريم هذا العام فى أنحاء الجمهورية المصرية، وتتبع هذه الجمعيات أربعون ألف مدرسة لتحفيظ كتاب الله وتعليم مبادىء العلوم. وتقوم مشيخة الأزهر بإعداد مناهج الدراسة فى هذه المدارس، ويشرف المفتشون الأزهريون على نشاطها الدراسى والثقافى، وسيكون لتقاريرهم أثر فى اعتماد الإعانات المخصصة لهذه الجمعيات.

مدينة البحوث الإسلامية

يتسلم الأزهر هذا العام الدراسى مدينة البحوث الإسلامية التى شيدت فى العباسية،

وقد قدرت نفقات بنائها بحوالى مليونين من الجنيهات ، وبها ٤١ عمارة تتسع لخمسة آلاف طالب ، وسيخصص جناح منها لاستقبال الضيوف من العالم الإسلامى .

وسيقام لافتتاح هذه المدينة حفل عظيم يشهده الرئيس جمال عبد الناصر وكبار الشخصيات المصرية والإسلامية .

فى كلية الطب الباكستانية

خصصت حكومة الباكستان الغربية عشرة مقاعد فى ثلاث من كليات الطب هناك للطلبة من الأقطار الإسلامية ، منها مقعدان للطلبة من أفغانستان وإيران ، ومقعد واحد لكل من العراق وأندونيسيا وبورما والملايو وتركيا وغيرها من الأقطار الإسلامية .

معرض للفنون الإسلامية بلاهور

يقام فى نهاية هذا العام معرض للفنون الإسلامية فى مدينة لاهور عاصمة الباكستان الغربية ، وينتظر أن يكون من أبرز معالم حلقة الدراسات الإسلامية ، وتعرض فيه الرسوم الإسلامية وقطع النقود والمخطوطات ونماذج الخطوط والنماذج الزخرفية وصور الفن المعمارى الإسلامى وسائر المعروضات ذات الصلة بالفنون الإسلامية .

إلى الجامعات المصرية

بلغ عدد الطلبات التى قدمت حتى أول سبتمبر للالتحاق بالجامعات المصرية ١٦ ألفا و٤٠٠ طلب ، من ذلك ٦٦٠٠ من شعبة الآداب ، و٩٨٠٠ من شعبة العلوم ، ويشمل هذا العدد طلبة الشهادتين الثانوية العامة والتوجيهية ، وسيقوم مكتب التنسيق الجامعى بتوزيع الطلبات على الكليات المختلفة ، ويراعى فى ذلك رغباتهم والنسب المئوية لمجموعاتهم فى حدود العدد المطلوب الذى حدده المجلس الأعلى للجامعات بمصر ٩٣٠٠ طالب للجامعات الأربع بما فى ذلك جامعة أسيوط التى ستقبل ٥٠٠ طالب فى هذا العام نصفهم فى كلية الهندسة والنصف الآخر فى كلية العلوم .

مصانع الطائرات بمصر

لم يمر على قيام الثورة إلا وقت قصير حتى أنتج مصنع طائرات التدريب الطائرة طراز جمهورية (١) ، والطائرة طراز جمهورية (٢) . وقد ثبت أنها طائرة تدريب ممتازة فى التدريب العسكرى والتدريب المدنى .

والأمل وطيد فى أن تنمو هذه المصانع وتزدهر ، وأن تساهم مساهمة فعالة فى مجال الصناعة ، بجانب تحقيق غرضها الأصلى .

أنباء العالم الإسلامي

رسوم قناة السويس

زادت حصيلة مصر من رسوم المرور في قناة السويس منذ بدء عودة الملاحة فيها عن أحد عشر مليون جنيه ، والعملة الاسترلينية من هذا المبلغ تزيد عن خمسة ملايين جنيه .

أموال السودان في لندن

للسودان ودائع في بنك إنجلترا بلندن تبلغ عشرين مليون جنيه ، يضاف إليها عشرون مليون جنيه أخرى وافقت مصر على دفعها للسودان حصته من ديون مصر الاسترلينية المجمدة في بريطانيا ، لتغطي بها السودان عملتها الجديدة بعد سحب العملة المصرية من السودان . وقد سافر رئيس وزراء السودان إلى لندن وسيحاول تحويل هذه الأموال السودانية من لندن إلى الخرطوم ليستغلها في مشروعاته العمرانية .

مسجد الكلية الحربية

اعتمدت وزارة الأوقاف عشرين ألف جنيه لإنشاء مسجد كبير في مبنى الكلية الحربية يقيم فيه الأساتذة والطلاب شعائر الدين .

البغاء الرسمي

نسب إلى أحد أعضاء مجلس الأمة أنه أعد اقتراحاً لإعادة البغاء الرسمي ، وفتحت إحدى الصحف صدرها لتشجيع هذه الموبقة فوقف الشيخ سيد جلال في إحدى جلسات المجلس وتلا المادة الخامسة من الدستور « الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق والوطنية » وقال : إن الصحف نشرت أن عضواً في المجلس يعد مشروعاً لإعادة البغاء ، وتساءل . كيف ندعو إلى إعادة البغاء في الوقت الذي يعاب فيه على تقصير ملابس السيدات ؟ إن هذا لا يمكن أن يحدث ، ولا يجوز أن يقال في عهد الثورة . واستنكر نائبان آخران اهتمام الصحف بهذا الموضوع . وقال رئيس المجلس : إن هذا تقليد حسن ، ودعا الأعضاء إلى عدم إثارة أمر معد للعرض على المجلس في خارجه قبل عرضه على المجلس .

استقلال الملايو

قام دوق جلوستر نيابة عن المملكة البريطانية بتسليم وثيقة استقلال بلاد الملايو إلى تانكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو ووزير خارجيتها . وأقيم حفل كبير لذلك في ستاد الحرية في كوالالمبور أنزل فيه العلم البريطاني ورفع علم الملايو بين دوى المدافع وأنغام موسيقى النشيد الوطني وقد شهد الحفل ٤٠ ألفا يمثلون ٣٠ دولة ، وأطلقت المدافع ١٠١ طلقة احتفالا بهذا الحادث التاريخي . وبادرت حكومات آسيا بإعلان اعترافها بحكومة الملايو المستقلة ومن بينها اليابان والصين واندونيسيا والهند .

وبذلك تضاءل الاستعمار البريطاني في آسيا وتمزقت أوصاله ، فلم يبق له إلا جيوب في سنغافورة وهونج كونج والبورنيو الشمالى من جزيرة بورنيو وبعض جزر في المحيطين الهندي والباسيفيكي ثم في عدن .

وبمناسبة إعلان استقلال الملايو بعث الأمير عبد الرحمن رئيس وزرائها ووزير خارجيتها برقية إلى داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة يطلب انضمام حكومة الملايو المستقلة إلى المنظمة الدولية .

سياسة سوريا

خطب السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية في افتتاح معرض دمشق الدولى الرابع فأوضح في صراحة ووضوح السياسة التى تنتهجها الجمهورية السورية فقال : « عندما اخترنا حيدتنا وجاهرنا وأعلنا صراحة « عدم الانحياز » إزاء صراع المعسكرات الدولية ، فعلنا ذلك لأن الشعب السوري ينشد السلام في ظلال العدل ، وينشد الحرية في ظلال الرفاهية والطمأنينة . . ولأننا نطمح في أن نقيم لأنفسنا سياسة مستوحاة من ضمير هذه الأمة ومن حاجاتها ، بل من حاجات الإنسانية في عهدها الجديد . ومن المستحيل على دول الاحتكار والاستعمار التي جعلت من الصهيونية وإسرائيل شريكا في العدوان والغزو أن تقيم بعد اليوم مطامعها الاقتصادية على حسابنا وعلى حساب المحرومين من اللاجئين في قارتي آسيا وأفريقيا . فإذا ما أحست دول الاستعمار باختلال موازينها وانهيار حساباتها عمدت إلى التلويح بالصاعقة بالحرب ، وإلى تعبئة البحر بمختلف قوى الشر ، فمثل هذه الغايات أقامت إسرائيل وأقامت الأحلاف العسكرية ، فهي تتقدم بالمنافع الاقتصادية والسياسية المزوقة لكي تتدخل في شئون الدول الحرة لتسلبها حريتها وتفرض عليها أحلافها » وما نقمتهم علينا الآن إلا للتآمر على سلامتنا وسيادتنا وحريتنا ، بعد ما أيقنوا أننا شببنا عن الطوق وحطمنا التقاليد الاستعمارية في بلادنا . وكان هذا الوطن السوري في مركز القيادة والنضال

عندما اقتنص حريته اقتناصا وراح يدعو ملايين العرب إلى ثورة قومية ، عن أساليب التعامل السياسي مع دول الاستعمار التي جربت في ساحات مكايدها ومؤامراتها طوال الأحد عشر عاما من أعوام الاستقلال ، فارتدت عنها في كل جولة خاسرة وبالا .

وإننا مهما أثارت الصهيونية أو الدول الناجمة من غبار التمويه والتضليل سائرون نحو أسلم طريق ، نقاوم بكل أسباب المقاومة كل أسلوب من أساليب التدخل ، ونمد يدنا بنية للتعامل بالحسنى كل من يعاملنا بالحسنى .

أريدكم أيها المواطنون أن تطمئنوا إلى سلامة أوضاعنا الداخلية وسداد سياستنا الخارجية ، وإننا حريصون على حرية هذا الوطن وسيادة الأمة العربية في جميع مرافقها وشئونها . وأريدكم أن تعملوا وتبنوا وتنشئوا وتوسعوا أسباب التبادل والتعامل بقدر ما لوطننا من إمكانيات وحاجات . ونحن لسنا لقمة سائغة يتناولها الجشعون بالسهولة التي يتصورونها . والله يعزكم أمكم في مقدمة الشعوب درعا للضيم وصيانة للعزة القومية » .

القوات التي هاجمت مصر

قال وزير الحربية اللواء عبد الحكيم عامر في بيان ألقاه في مجلس الأمة : خلال شهري أغسطس وسبتمبر من العام الماضي كانت المعلومات ترد عن حشد القوات الإنجليزية والفرنسية . ولقد بلغت قوات الأعداء في أكتوبر : ٤ مجموعات لواءات مشاة ، ولواءين فدائيين محمولين ، وألاي دبابات ثقيل ، والفرقة الخفيفة مجهزة بالدبابات ، ومجموعتين لواء من مظلات ، و ٩٢ قطعة بحرية منها بارجة وست حاملات طائرات وعشر غواصات ، عدا أربع قطع أخرى في منطقة البحر الأحمر منها حاملة طائرات . وكانت القوات الجوية تتكون من ١٦ سرب طائرات قتال و ٤ أسراب قاذفات قنابل و ١٤ سرب نقل جند وسرب هليكوبتر عدا طائرات الحاملات .

خسائرنا وخسائر العدو

قال اللواء عبد الحكيم عامر وهو يستعرض الصفحة المجيدة لمصر ضد اعتداء الدول الثلاث عليها في العام الماضي . ومع كل الظروف التي لابست قواتنا ، فإن خسائرنا في هذه المعارك أقل بكثير من خسائر الأعداء في الأرواح ، وتقدر خسائرنا في القوات المسلحة عامة — من جيش وبحرية وطيران وحرس وطني — بما لا يتجاوز ٢١٠٠ من جميع الرتب ، وهي نسبة ضئيلة بالنظر لضخامة القوات المسلحة وقت العدوان ، وكانت خسائرنا في المعدات لا تكاد تذكر .

وقد أعدنا تنظيم قواتنا وسليحها فى سرعة فائقة . وإن قواتنا المسلحة البرية والبحرية والجوية أصبحت الآن كاملة المعدات ، وإنها على أتم استعداد للقيام بواجبها فى أى وقت .

وأعلن اللواء عبد الحكيم عامر أن قوات الجوية الآن أصبحت أكثر من ضعف ما كانت عليه قبل العدوان .

برنامجنا العسكرى

جاء فى بيان وزير الحربية الذى ألقاه فى مجلس الأمة إن برنامجنا العسكرى يتضمن ست نقاط رئيسية هى :

١ - ... الجهاز الدفاعى المطلوب لتأمين قلب الجمهورية ، وبناء قاعدة شعبية مسلحة واتخاذ خطوات جديدة للوقاية من الحرب النووية (الذرية) والتوسع فى بناء القواعد الجوية .

٢ - المضى فى تنظيم وتسليح قواتنا فى ضوء الالتزامات الجديدة .

٣ - تعزيز العناصر الضاربة فى القوات المسلحة بما يحقق لها السيطرة الكاملة .

٤ - الارتفاع بالمستويات العسكرية والمدنية والفنية داخل القوات المسلحة .

٥ - تعزيز إمكانياتنا فى ميدان الإنتاج الحربى .

٦ - الالتزام بتنفيذ الاتفاقيات العسكرية الثنائية المعقودة مع الدول العربية المتحررة .

مصانعنا الحربية

قال وزير الحربية المصرية فى مجلس الأمة : إنه ما من دولة مستقلة متحررة إلا وتعتمد على نفسها فى سد حاجاتها من عناصر التسليح الأساسية ، فالاعتماد على الغير وحده السبيل لا تؤمن عاقبته .

وتمشيا مع مبادئ الثورة أخذت الحكومة على عاتقها انتشال المصانع الحربية من عثرتها ودفع عجلتها إلى الأمام ، وإخراجها من دور الإعداد والتفكير إلى عمل الانشاء والتشغيل ولم ينته عام ١٩٥٤ إلا وكانت المصانع الآتية قد بدأت فى الانتاج وهى :

مصنعان للذخيرة ، ومصنع للذخيرة المعدة للطائرات ، ومصنع للأسلحة الصغيرة ، ومصنع لخامات عبر الحديدية . واطردت الهمة فى باقى المصانع .

وقد انتهت بالفعل مراحل الانشاء ، وبدأت مراحل الانتاج فى مصنع البوادى والمواد المصبئة ، ومصنع المفرقعات والمواد الدافعة ، وقد مرت مراحل الانشاء على النهاية فى مصنع لانتاج الذخيرة الثقيلة بأنواعها ، ويجرى العمل حاليا فى توسيع مصانع المواد الحارقة بأنواعها .

ولقد أثبتت المصانع جدارة فائقة بالرغم من حداثة عهدها ، وحققت فى العامين الماضيين إنتاجا زادت قيمته على سبعة ملايين جنيه .

الفهرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
بإدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٦١٤



رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
قرش
١٠٠ في وادي النيل
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الجزء الثالث ـ القاهرة في غرة ربيع الأول ١٣٧٧ ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٥٧ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نحب رسول الله؟

وعاذا نحيي ذكراه؟

> عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »
> حديث صحيح من الأربعين النووية

كان المسلمون ـ من زمن الدولة الأيوبية إلى أواخر الدولة العثمانية ـ يحتفلون بذكرى المولد النبوي الشريف بتلاوة رسائل مؤلفة في قصة المولد ، أدركنا منها مولد السيد جعفر البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة المتوفى سنة ١١٧٧ ، ومولد الشيخ الدردير (١١٢٧ ـ ١٢٠١) ، وأقدم منهما مولد الشيخ عبد السلام اللقاني (٩٧١ ـ ١٠٧٨) ومولد النجم الغيطي المتوفى سنة ٩٨١ ، ومولد ابن حجر الهيتمي (٩٠٩ ـ ٩٧٣) ، ومولد ابن الديبع اليمني (٨٦٦ ـ ٩٤٤) ، ومولد عائشة الباعونية المتوفاة سنة ٩٢٢ . وهذه الموالد فيها الصحيح وفيها الضعيف ، وفي أيدي الناس موالد أخرى قد يطغى سقيمها على صحيحها .

وكانت مجالس قصة المولد تعلق فيها مجامر البخور ، ويدار فيها قماقم ماء الزهر وماء الورد ، وتوزع فيها صحون المنفوش والحلوى .

وفي دار السلطنة العثمانية كانت تتلى قصة المولد منظومة شعرا ، وهي من نظم سليمان البروسوي المتوفى بعد سنة [illegible]٨ ، وكان إماما للسلطان بايزيد .

والاحتفال السنوي بالمولد النبوي لم يكن معروفا في الإسلام قبل الدولة الأيوبية ، فقد أحدث ذلك منهم صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوك بري (٥٤٩ — ٦٣٠) وكان صهر السلطان صلاح الدين على أخته ربيعة خاتون بنت أيوب ، فكان المظفر يقيم ذكرى المولد النبوي في كل عام سماطا يكلف الدولة أموالا طائلة [١] .

وفي أيامه قدم من المغرب الحافظ أبو الخطاب بن دحية ، فدخل الشام والعراق ، واجتاز بإربل سنة ٦٠٤ فوجد ملكها المظفر يعنى بالمولد النبوي ، فألف له كتاب (التنوير في مولد البشير النذير) وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار . ولعل هذا الكتاب أول ما ألف في قصة المولد خاصة ، ومن المستبعد أن يكون مولد العروس المنسوب إلى أبي الفرج بن الجوزي (٥٠٨ — ٥٩٧) من تأليفه ، وكذلك المنسوب لعبد الرحيم البرعي ، بل إن الوراقين أسرفوا فزعموا أن لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما كتابا في قصة المولد . والمعقول أن ذيوع التأليف في هذه القصة بعد عصر أبي الخطاب بن دحية الذي كان أول من أفرد هذا الموضوع بالتأليف .

ولما أخذت عادة الاحتفال بالمولد تنتشر في العالم الإسلامي بعد الملك المظفر صاحب إربل ، وحالطتها وانضاف إليها ما اعتادته الجماهير في مثل هذه الأحوال من ارتكاب الآثام ، قامت المناظرات واشتد النقاش بين العلماء في حرمة أصل هذه العادة باعتبار أنها لم تكن في السنة القرون الأولى للإسلام ، وفي مقاومة المحرمات التي انضافت إليها ، فأجمع الجميع على حرمة كل ما خالف الشرع مما يرتكب في الموالد ، ثم اختلفوا في أصل المولد والتزام إقامته ، وفي حكمه الفقهي هل هو واجب أو مندوب أو مباح

(١) نقل شمس الدين سبط ابن الجوزي (٥٨١ — ٦٥٤) في تاريخه [مرآة الزمان] عن بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد أنه عد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوي ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة فرس ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين ألف صحن حلوى . وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور ، ويعمل للصوفية سماعا من الظهر إلى الفجر ، ويرقص بنفسه معهم ، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار [illegible]

أو مكروه أو محرم ، فكتب في ذلك أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (٦٥١ — ٧٣٧) المعروف بابن الحاج المتوفى بالقاهرة في كتابه (المدخل إلى تنمية الأعمال) الذي فرغ من تأليفه في المحرم سنة ٧٣٢ ، وتشدد في المنع والتحريم الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي الإسكندري في كتاب أسماه (المورد في عمل المولد) ، واحتفل في مناقشته الجلال السيوطي (٨٤٩ — ٩١١) في رسالة سماها (حسن المقصد في عمل المولد) وهي منشورة في الجزء الأول من كتابه (الحاوي للفتاوي) ص ١٨٩ — ١٩٧ .

وآخر العهد بإحياء الذكرى في القاهرة كان بإقامة الحفل الرسمي في صحراء العباسية ، وكانت تشترك فيه الطرق الصوفية بشاراتها ودعواتها ، ويتلى فيه القصة ويحضرها رأس الدولة أو من ينوب عنه ، وتعلق فيها الأنوار والسواريخ إلى ساعة متأخرة من الليل .

وقد أدرك الناس إلى عهد قريب نمطاً آخر من حفلات المولد لا تزال له بقايا إلى الآن يتغنى فيه بأناشيد المديح التي اشتهر بها الشيخ علي محمود ومن زامله أو تقدمه تلقوا ذلك عن شيوخ لهم من مولوية صوفية وموسيقى الدولة العثمانية .

وفي عشرات السنين الأخيرة تحول إحياء ذكرى المولد النبوي إلى الحفلات التي نشاهدها في مصر والبلاد العربية والإسلامية ، وتلقى فيها الخطب البليغة والقصائد الرائعة ، ومن النادر جداً في هذه الخطب والقصائد .. تتجاوب فيه القلوب بما تكون له نتائج عملية في تربية الأسرة والقدوة لإصلاح المجتمع الإسلامي .

والآن ونحن ننتقل من مراحل القول إلى مراحل العمل في نواحي حياتنا كلها ، ونحاول أن نستمد القوة والرجاحة والسداد من ينابيع قوتنا ، ومصادر ثروتنا الأدبية والمادية ، فقد آن لنا — في تقديري — أن نعمل على إحياء ذكرى حامل أكمل رسالات الله إلى الإنسانية ، بإحياء عناصر رسالته التي حملها إلينا وإلى الإنسانية .

روى أنس خادم النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » رواه الإمام أحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحيهما ، وابن ماجه والنسائي في سننهما .

وكلنا نحب رسول الله ، ونحرص على محبتنا هذه بأساليب مختلفة على قدر علمنا ، وما توجهنا إليه عواطفنا ومعارفنا . ولكن ينبغي أن نحقق محبتنا له كلما أردنا أمراً من أمورنا ، وكلما ترددنا في اختيار الشيء أو ضده من شئوننا ، بأن نعرضه على ما نعلمه من سيرته عليه السلام ورسالته ، فإذا كان مما يرضيه ويختاره مما نعرف أنه صلوات الله عليه

يحبه ويسره فإن ذلك دليل على صدقنا في محبة رسول الله وحبيبه ، وإذا كان ما نريده ونختاره مما نعلم من سيرته ورسالته أنه يسوؤه ويكرهه فهذا دليل كذبنا فيما ندعيه من المحبة له ، وانحرافنا عما نتظاهر به من الانتساب إليه . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص . « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » فمحبتنا لرسول الله تقاس بمقدار محبتنا للدين والسنن والتوجيهات التي بعثه الله بها ، وبمقدار إقامتنا لها ، وتعميمها في المجتمع الإسلامي ، وإحياء ذكرى صاحبها بها .

وإذا أحببنا النبي صلى الله عليه وسلم بالتزام ما يحبه ، وتجنب ما يسوؤه ، في كل تصرفاتنا ، فإنا نكون بذلك من إخوانه الذين آمنوا به ولم يروه . فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أنس أن النبي صلوات الله عليه قال . « وددت أني لقيت إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني » . فياله من مقام عظيم ، وشرف لا يدانيه شرف ، أن نكون نحن في عصرنا هذا ، بعد النبي صلوات الله عليه ببضعة عشر قرناً ، ونكون مع ذلك « إخواناً » له في مقابل أن يكون هوانا تبعاً لما بعثه الله به ، وقد تمنى هو هذا فيقول . « وددت أني لقيت إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني » . فيبلغ هذا المقام الرفيع بالإيمان به ، ولا يؤمن به إلا من يكون هواه تبعاً لما جاء به ، لمحبته محبة رسالته وتحقيق ما بعثه الله لتحقيقه ، وبهذا نحيي سنته ، وطريقته في الحياة ، وبذلك نحيي ذكراه .

مما يحبه الله لأمته أن تكون أمة صدق ، والمسلم الذي يجاهد نفسه — في سره وبين يدي ربه — على أن يكون من محبته لربه أن يؤثر الصدق في تصرفاته ، فيكافئه الله على ذلك بأن يحببه إلى الناس ، ويبارك له في رزقه ، ويحفظ له كرامته ، ويرفع مقامه في الدنيا والآخرة . وأنا أكتب هذا ويخيل إليّ أني أسمع صوت النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار . ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » . رواه الإمام أحمد في مسنده ، والإمام البخاري في الأدب المفرد ، والإمام مسلم في صحيحه ، والترمذي في سننه . فالصدق من صميم الرسالة التي بعث الله بها صاحب هذه الذكرى ، وإقامة الصدق وتعميمه بين المسلمين ، وفي بيوت المسلمين وأسواقهم ومجتمعاتهم ، من أهم وسائل إحياء الذكرى المحمدية ، والذي يحب صاحب هذه الذكرى ينبغي له أن يتحبب إليه بإحياء

هذا العنصر من عناصر رسالته ، ويوم يتم لنا ذلك تكون لنا منه قوة ترتفع بها من الحضيض إلى الأوج .

ومن عناصر رسالة صاحب هذه الذكرى الاعتدال والرفق والاقتصاد والتوسط في الأمور كلها . روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال : « عليك بالرفق ، فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » رواه مسلم في صحيحه . وروى البخاري في الأدب المفرد عن أم المؤمنين أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش » . وعن بريدة في مسند الإمام أحمد وفي مستدرك الحاكم على الصحيحين وسنن البيهقي أن رسول الله قال : « عليكم هدياً قاصداً ، فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه » . وفي حديث عمران بن حصين في المعجم الكبير للطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم من الأعمال بما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا » .

والرسالة المحمدية لا يخالط بها ، وقد كوّن الله بها خير أمة أخرجت للناس ، ولا تزال هي هي كما هي ، فإذا أردنا ـ ونحن ننتقل الآن إلى طور جديد في الحياة ـ أن نكون نحن خير أمة أخرجت للناس كما كان سلفنا الأول من الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن نجدد النهضة المحمدية التي كانت معجزة من معجزات التاريخ ، فالأمر لنا ، وفي متناول أيدينا ، إنه الإسلام الذي وصفه مصطفى صادق الرافعي بقوله :

« هو دين يعلو بالقوة ويدعو إليها ، ويريد إخضاع الدنيا وحكم العالم ، ويصرح هو في ذلك ، لا لإعزاز الأقوى وإذلال الأضعف ، ولكن للارتفاع بالأضعف إلى الأقوى . ويفرق ما بين شريعته وشرائع القوة أن هذه إنما هي قوة سيادة الطبيعة وتحكمها ، أما هو فقوة سيادة الفضيلة وعملها وحسنها . تلك تعمل للتفريق ، وهو يعمل للمساواة . وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هي أساس العبودية ، وغلبة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية . ومن هنا كان طبيعياً في الإسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة إلا وهو يطبع عليها صورة الجنة ونعيمها الخالد ، ولا رذيلة إلا وهو يضع عليها صورة النار الأبدية ووقودها الناس والحجارة ، فلا تنظر العين المسلمة إلى أسباب الحياة نظرة العسكر المنازع ـ يحرص على ما يكون له ، ويشره إلى ما ليس له ، ويمكر الحيلة ، ويبدع وسائل الخداع ، ويريد بكل ذلك في تعقيد الدنيا ـ بل نظرة القلب المسلم : يجمع الدنيا ويسمو بكل مصون منها ، ويعف عن كثير ، ويعرف الإنسانية ويطمع في غاياتها

الدنيا جمعوه من كثير ، ويدرك أن الحلال وإن حل فوراءه حسابه ، وأن الحرام وإن غر ليس إلا تعلل ساعة ذاهبة ثم من ورائه عقاب الأبد ، ويخرج من ذلك أن يكون أكبر أغراض الإسلام هو أن يجعل من خشية الله تعالى قانون وجود الإنسان على الأرض ، في أي مجتمع اجتمعت هذا الإنسان وجد عن يمينه وعن يسرته ملكين من ملائكة الله يكتبان أعماله خيرها وشرها ، فهو كالمتهم المستراب به في سياسة النفس : لا يخطو خطوة إلا بين جاسوسين يحصيان عليه حتى أضعف النية ، ويحصيان منه حتى نزوات الفكر ، ويترجمان منه حتى معاني النظر ، وبذا الإرادة المحكمة في الإنسان ، وإذا كل ما في الإنسان وما حول الإنسان لا يراد منه إلا إسلام النفس في عاقبتها ، وإذا معنى السلام هو المعنى الغالب المتصرف في دنياها ، فليس يتم السلام إلا إذا عم هذا الدين بأخلاقه ، فشمل الأرض أو أكثرها ، فإن قانون العالم حينئذ يصبح منتزعاً من طبيعة التراحم ، فإذا انفسخ به قانون التنازع الطبيعي ، ورد كسر من شرته ، ويولد الموجود يومئذ ، ويولد معه الأخلاق الإنسانية » .

ويعد فإن سهل بن سعد الساعدي الأنصاري — وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة — يروي عن رسول الله صلوات الله عليه أنه قال : « عند الله خزائن الخير والشر : مفاتيحها الرجال . فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير ، مغلاقاً للشر . وويل لمن جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير » وهو حديث صحيح رواه الطبراني في معجمه الكبير والضياء المقدسي في المختارة . وخزائن الخير التي عند الله هي جملة ما بعث به رسوله وحبيبه محمداً إلى الإنسانية إذا أرادت السعادة ، وخزائن الشر عند الله هي ما سوله شياطين إسرائيل لسائمة الأرض من الكيد والمكر والبغي ، ولن نستطيع أن نقف في وجه ذلك كله إلا إذا رجعنا إلى إسلامنا بسنته ومبادئه وقواعده وأخلاقه وأحكامه فجعلناها عنوان بعث لحبيب الله محمد بن عبد الله ، ونوصف بأحبابنا لإحياء ذكراه ، وبذلك نكون من أصحابه كأصحابه الأولين ، ومن إخوانه كإخوانه السابقين . وفي الصحيح من حديث أنس وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « عينان لا تصيبهما النار عين بكت في جوف الليل من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » . والحراسة في سبيل الله كما تكون حراسة الأوطان ، فهي كذلك وقبل ذلك حراسة رسالة سيد بني الإنسان . فالويل كل الويل للعاملين على هدمها ، وطوبى لكل من يكتب الله له سهماً في إقامة معالمها والذب عن حماه .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٥٣ —

> الضجة المدنية المدخولة أشبه بالجاهلية الأولى
> في اضطراب العقيدة ، ورداءة الأخلاق .

« الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » .

في ظلمة الجاهلية الأولى كانت عقيدة الناس حائرة بين حق وباطل ، وغموض واضطراب . وكانت أفهامهم سقيمة ، تكاد لا تميز بين خبيث وطيب ، ولا ترجح خيرا على شر ، وأوضح ما كان من تلك الحيرة وهذا الاضطراب عقيدتهم في ربهم الذي خلقهم وأسبغ لهم نعمه ، ونوّل أمرهم إليه ، وكشف لهم عن ألوهيته بآثار قدرته من يقع تحت أبصارهم من صنائعه في هذا الوجود ، وبما يزخر به الكون من آيات بينات .. وكان للناس شيء من العذر في حرمانهم من تفهم هذه المعالم الواضحة ، فإن العقول يومئذ كانت محدودة في مداركها ، ومحبوسة ، فضلا عن حرمانها يومئذاك من مؤهلات علمية تمهد لها طريق الاهتداء عما يتكشف لها من معالم الكون . ومع هذه الحال كان الناس يعترفون بالله ، وأنه خالق السموات والأرض ، وأنه ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها .

ولم يبلغ بهم الانحطاط في الإدراك ، أو التبجح في التحقق أن يتجاهلوا الربوبية إطلاقا ، كما جهلوا اليوم الآخر مثلا ، بل ساورتهم جهالتهم فاتخذوا أربابا متفرقة وعبدوا الأباطيل من أصنام وغيرها ، وزعموا أنها تقربهم إلى الله الذي آمنوا بأنه خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر .

فلما جاءتهم البينات من عند الله على ألسنة رسله ، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ترددوا فيها ، أو تخلف عنها من غلبت عليهم شقوتهم ، وظلوا على شيء كثير من جهالتهم ومتابعتهم لما كان عليه آباؤهم ، وتشبث به كبراؤهم ، ومن ثم كانت وطأة القرآن عليهم شديدة ، ووجهاته فيهم ألمية ، إذ لم يعد لهم عذر في جهل ما كانوا يجهلونه ، ولا في الشك لما جاءهم من عند الله .

وكان من معارضة الكتاب الكريم لتلك الضروب المتحجرة أن يستنهض إلى تليته

مثل قوله تعالى : « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض » ، وهذا وصف يقررونه ولنبي تلقينا لهم : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن : الله » .

ومع تقريرهم لهذا الوصف الحق كانوا ينصرفون عن توحيده فيتخذون آلهة أخرى ، تقربهم إلى الله ، وهذا عدول عن الحق الذي يقتضيه اعترافهم ، وهي معادلة وتسوية بين الله الحق ، وما يزعمونه آلهة يتقربون إليها بالقرابين . وذلك اضطراب في العقيدة ، وحيرة في مجال الإيمان فما دعاهم ربهم إلى توحيده ناقضوا أنفسهم وأشركوا مع الله غيره في العبادة ، فسخر القرآن منهم ، وأخذها عليهم جريرة صريحة ، وسجل التكفير عليهم في قوله تعالى : « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » . وتلك معادلة ظالمة ، ومساواة آثمة من عقول جامدة منحرفة .

ثم سار القرآن في توجيه الناس إلى الحق سيرا حثيثا حكيما فتارة يذكرهم بدلائل ربوبيته الماثلة في أنفسهم : « هو الذي خلقكم من طين » ثم يعقب عليهم في رفق : « ثم أنتم تمترون » يعني تتشككون وتجادلون في وحدانيته وتارة يقرع أسماعهم بلهجة العظمة ، وأسلوب الإرهاب ليثير مشاعرهم الخامدة ، ويحيي وقائعهم المتصلفة فيقول سبحانه وتعالى : « وهو الله في السموات وفي الأرض ، يعلم سركم ، وجهركم ، ويعلم ما تكسبون » . يعني : هو الله المعترف به وحده في السموات وفي الأرض ، وهو المعبود فيهما وحده بالحق ، سواه ؛ أأدركتم إلى توحيده ، أم تخلفتم ولن ينقص من ألوهيته أن تضل عقول في معرفته أو تتشعب وجوه في استقبال دعوته ، والاستجابة لرسله . وهو بمقتضى ألوهيته قادر عليكم ، وعلمه محيط بكم « فهو يعلم سركم وجهركم » ولا يند عن علمه ما يغيب عنكم من شئون .

ثم يصارحهم بتهديد زاجر ، وتخويف مروع فيقول سبحانه في شأنهم « فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » فوقف القرآن من المكذبين موقف الناصح في دعوته يترفق تارة ، ويتشدد أخرى ، ثم ينتهي بهم إلى قول فصل ، ووعيد حق ، حتى لا تكون معذرة « فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » . فهناك جزاء ينتظرهم في موعد لن يخلفه الله مع خلقه .

وقصة القرآن مع أولئك هي قصته الجارية مع من شاكلهم في التكذيب وحاكاهم في التمرد . والقصص في القرآن كله للتذكير والتحذير لمن شاء أن يتذكر ويحذر .

وإذ نحن اليوم في غمرة من الثقافة نرى نكسة خطيرة لاضطراب العقيدة ، نكسة جلبتها الثقافة المدخولة ، وهي شر من الجاهلية الأولى .

ولو تركت تلك الثقافة المدخولة ، ينفث سمومها في الجيل الحاضر ، باسم العلم وحرية البحث ، وبدعوى أن مقاومتها تزمت وتخلف عن الركب ، إذا تركت تلك الثقافة تتسلل في الشباب الناشئ باسم التجديد ، وتتسرب إلى البيوت والمصانع ، والمجتمعات في ظل التسامح معها ، والتغاضي عن شرورها فإنها لتهدم من بناء المجتمع أكثر مما يبني العلم والتعليم ، وإنها لتحدث من الهدم الخلقي والاستقرار الأدبي أكثر مما يبذل في دعم النظام وتوفير الاستقرار .

إنها ثقافة تلبس ألواناً مغرية للعقول ، فهي تلوح مرة باسم الوجودية التي تنكر وتتشكك في وجود الله سبحانه ، ولم تخط الجاهلية الأولى إلى هذا الدرك من الإسفاف ، وإنها تلوح مرة ثانية بالإباحية ، والتهوين من شأن الأخلاق عند من يلتزمون رعاية الأخلاق .

وإنها لتجد مجالاً فسيحاً في بعض المجلات والصحف ، وهي آمنة من سلطان يكبتها ويأخذ عليها جريرتها ، بل وهي آملة أن تحرق ما هنالك من حياء ، وما بقي من رعاية التقاليد ، وما يدعو إليه الناصحون الغيورون .

إنها ثقافة مدسوسة علينا في وطننا عمداً لتنتزع من بيئتنا معاني الإنسانية وتقذف بنا في تيار تأباه العروبة ، وإذا استسلمت له فلن تدع لنا سبباً من أسباب الطموح ، ولن تجد في صفوف الشباب من يحفظون للعروبة تراثها المجيد .

وبينما نرى مصر ناهضة في وجه عدوها السياسي نهضة مشرفة : نرى دعوة الإباحية ومفاتن الأهواء زاحفة في غير تريث نحو البيئة المصرية زحفاً يثير الغضب أو يقتضي المبادرة إلى صده في غير هوادة ، وإن لم يكن ذلك ، وبقيت دعوة الإباحيين على نشاطها في غفلة الغيورين على الأخلاق ، وعن هذا الوطن ، وبقيت على نشاطها تلك المبادئ من طريقها المشئومة فإن الطمع في رعاية الله لنا ضرب من الخيال ، وإن الله آخذ بحقه منا ، وإن الله لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



الدين النصيحة

منهج التربية النبوية — موقع النصيحة من الدين — تفسيرها بما ينبغي للمنصوح له — أئمة المسلمين صنفان — حياة تميم — جهلنا بكنوزنا وهي بين أيدينا !!

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الدين النصيحة ». قلنا: لمن؟ قال: « لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم ».

(رواه مسلم).

بدأنا أحاديث النصح في الإسلام بحديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه: « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » وبينا في العدد الماضي كيف كانت منزلة هذا الحديث من السنة، بمنزلة سورة « والعصر » من الكتاب المبين.

ونظرة في حديث تميم هذا، الذي وعدنا أن نثني به على حديث جرير، تبين أنه أول أحاديث النصح سابقه، وأدناها إلى أن تكون قاعدة بيانه وتفصيله، فيما يأتي بعده إن شاء الله، من بيان وتفصيل.

وحديث تميم في إيجازه الجامع، وإجماله الرائع، يبين منزلة النصيحة من الدين، فيجعلها عماده وملاكه، بل يجعلها الدين كله أصوله وفروعه وآدابه، وتلك هي خصال الإسلام والإيمان والإحسان، في حديث جبريل عليه السلام، الذي قال العلماء فيه:

إنه من السنة بمنزلة الفاتحة من الكتاب ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه في خاتمة هذا الحديث : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ، فجعل تلك الخصال كلها دينا .

وإذا كان حديث تميم هذا مجملا بالقياس إلى ما سواه من أحاديث النصيحة المفصلة ، فإنه على إجماله وإيجازه ، جامعها وعمادها ، وإليه مرجعها في مقصدها ومغزاها . .

* * *

وإمام المربين صلى الله عليه وسلم ، يربي أمته بالإجمال ثم التفصيل ، ويبين للناس ما نزل إليهم ، متدرجا في البيان تدرج التنزيل ، ثم يتبع هذا التفصيل إجمالا جامعا ، في بيان رائع ، هو الشمس ساطعة والنهار دليلا .

فهل يعلم أساطين التربية وعلم النفس والاجتماع ، في أرجاء الدنيا الحديثة ، أن منتهى ما يلهجون به من أسس ، وما وضعوه من قواعد ، وما طاروا به فرحا وتيها من كشف اجتماعي زعموا أنه جديد ، أو منهج تربوي اتفقوا على أنه رشيد ، هل يعلمون أن ذلك كله وما هو أقرب منه نفعا ، وأعظم منه رشدا ، من المبادئ الأولى في منهاج التربية النبوية التي جاء بها معلم الناس الخير ، ومخرجهم من الظلمات إلى النور ، وهاديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم ؟.

* * *

بين الحديث إجمالا موقع النصيحة من الدين ، ثم بين تفصيلا لمن تكون النصيحة ، ثم ترك تفصيل ما يجب للناصح والمنصوح ، لأحاديث أخرى تأتي في مواطنها بعون الله تعالى وتوفيقه .

* * *

والنصيحة أجمع كلمة وأدلها على إخلاص الناصح ، وعنايته بالمنصوح له ، وقيامه بكل ما ينبغي له من وجوه الخير قولا وعملا ، لا جرم أن النصيحة إنما تختلف باختلاف المنصوح .

فالنصيحة لله تعالى : صدق الإيمان به ، وصحة الاعتقاد في وحدانيته ، وإخلاص النية في عبادته ، والحب فيه والبغض فيه ، وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه ، ووصفه بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص .

والنصيحة لكتاب الله تعالى : إجلاله وتعظيمه ، وتعلمه وتعليمه ، والعمل به والتأدب بأدبه ، والوقوف عند حدوده ، والذب عنه والدعاء إليه ، والإنفاق في سبيله .

والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تصديقه والإيمان بكل ما جاء به ، وتعظيمه وتوقيره ، وإحياء سنته ، ونشر دعوته ، والاقتداء به والتأدب بآدابه ، وإيثاره على المال والولد والناس أجمعين .

• • •

وغني عن البيان أن هذه النصائح الثلاث متلازمة مترابطة ، ويمكن أن تغني إحداها عما عداها ... ولكنها ذكرت كلها متعاطفة ، لتعظيم حق الله وحق كتابه وحق رسوله ، وتوكيد ما ينبغي لكل من الإخلاص والتوقير ...

• • •

وأما النصيحة لأئمة المسلمين ، فهي طاعتهم في غير معصية الله عز وجل ، ومعاونتهم على البر والتقوى ، وحب صلاحهم ورشادهم ، وإعزازهم بعزة الله ورسوله والمؤمنين ، وحب اجتماع الكلمة لهم ، وبغض التفرق والاختلاف عليهم ، ودعوتهم إلى الخير ، والتلطف معهم في الإبعاد عن الشر ، وحفظ عهدهم وبيعتهم ، ما أقاموا الصلاة ...

ومن أئمة المسلمين فقهاؤهم وعلماؤهم ، الداعون إلى الخير ، والآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ... لهم حق الطاعة والامتثال ، والتوقير والإجلال ، والأخذ عنهم بما فقهوا من الكتاب والسنة ، ورووا عن أعلام هذه الأمة ...

وجملة القول أن أئمة المسلمين هم الصنفان اللذان إذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس ، ونرجو أن نبين ما لهم وما عليهم في حديث خاص .

• • •

وأما النصيحة لعامة المسلمين ، فتعليمهم وإرشادهم والرفق بهم ، وحب الخير لهم ، ودفع الأذى عنهم ، والزهد عما في أيديهم ، وإصلاح السيرة والسريرة فيهم ، وقضاء حاجاتهم والستر على سيئاتهم ، والدعاء بإصلاح دينهم ودنياهم .

هذه كلمات مجملة في هذا الحديث الجامع ، الذي نحسب أنه أصل لكل حديث بعده في النصح والدعوة ، مما نعرض له بعد إن شاء الله .

بقيت نظرة لاهى منها ، فى حياة تميم رضى الله عنه ، راوى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن بينه وبين هذا الحديث نسبا يكاد يتميز به عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ولو أنا تقصينا البحث ما وسعنا الجهد ، عن كل ما امتاز به صحابى فى روايته ، إذا لانتهينا إلى آيات وعجائب فى علم النفس والتربية والاجتماع ، تضاف إلى كنوزنا الفريدة ، التى نجهلها وهى بين أيدينا ! !

• • •

هو تميم بن أوس . . ويكنى أبا رقية ، بابنة ليس له سواها ، ينسب إلى جده الدار ابن هانئ ، ويقال الديرى ، نسبة إلى الدير الذى كان يتعبد فيه قبل الإسلام ، فإنه كان نصرانيا وأسلم سنة تسع من الهجرة ، وروى له عن النبى صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثا روى مسلم منها حديثه هذا . وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه قصة الجساسة [١] دابة معدودة فى آيات الساعة ، وتلك منقبة شريفة لتميم ، لا يشركه فيها غيره ، وتدخل فى رواية الأكابر عن الأصاغر .

قدم تميم المدينة ، وصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وظل بالمدينة إلى أن انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان رضى الله عنه ، وسكن فلسطين . كان كثير التعبد والتهجد ، قام ليلة بآية واحدة حتى أصبح ، قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » .

وتميم أول من أسرج السراج فى المسجد ، وأول من قص فى صدر الإسلام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن من عمر ، ثم باذن من عثمان ، رضوان الله عليهم . والقصص تذكير الناس وترقيق قلوبهم بالمواعظ المؤثرة ، وكثير منه مدخول بعد الصدر الأول ، وربما عرضنا لتفصيل شىء منه بعد . والله المستعان على النصيحة له ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ؟

طه محمد الساكت

---

[١] تفسير هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم حدث أصحابه عن مسيح الضلال والجساسة ، فى آيات الساعة ، فلما أسلم تميم قص على النبى صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك مما تعلمه من الكتب السماوية السابقة قبل تعريفها ، فأعجبه صلى الله عليه وسلم من تميم هذه الموافقة ، فحدث بها على أثر الصلاة أصحابه . . انظر كتاب الفتن وأشراط الساعة فى آخر صحيح مسلم .

الملايو ... دولة اسلامية تولد

هذه دولة إسلامية تبعث في عالم الحرية والاستقلال ، وتكتب لها الأقدار المجيدة ميلاداً جديداً في دنيا الكرامة والسيادة ، وهي دولة « الملايو » الشرقية الأسيوية المسلمة !.

إنها البشرى تحرك القلوب ، وتهز المشاعر ، وتزيد في الأمل ، وتفسح دائرة الرجاء ، وتؤكد توقعنا الخير لمستقبل الإسلام والمسلمين ، « الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » .

في صبيحة يوم السبت الرابع من شهر صفر الخير سنة ١٣٧٧ هـ الموافق الحادي والثلاثين من شهر أغسطس سنة ١٩٥٧ م ، هوى علم بريطانيا الاستعمارية المحتلة عن بلاد « الملايو » إلى غير رجعة بمشيئة الله عز وجل ، وارتفع العلم الوطني لدولة الملايو المستقلة ، وسيظل مرتفعاً بمشيئة الله الذي وعد بالعاقبة الصابرين المجاهدين المتقين !.

و « الملايو » بلاد مجهولة الحال للكثيرين منا نحن أبناء الشرق العربي عامة ، ونحن أبناء مصر خاصة ، ومن واجبنا أن نعرف عنها ، لا بد لنا من معرفته ، وخاصة بعد أن احتلت « الملايو » مكانها الكريم العزيز من قلوبنا عقب ميلادها الجديد في دنيا الحرية والاستقلال .

تقع شبه جزيرة « الملايو » في جنوب آسيا ، ويحدها من الشمال « سيام » ، ومن الجنوب « أندونيسيا » ، ومن الشرق « بحر الصين الجنوبي » ، ومن الغرب « مضيق ملقا » ، ومساحتها نحو ثلاثة وخمسين ألفاً من الأميال المربعة ، وعدد سكانها نحو ستة ملايين وثلث مليون ، وعاصمتها هي مدينة « كوالالمبور » ، وتتكون الملايو من إحدى عشرة ولاية يجمع شملها نظام « الاتحاد الفيدرالي » ، وهي من بلاد المناطق الحارة الاستوائية ، وإن كانت كثرة الأمطار ودوامها ، ووجود البحار حولها مما يلطف جوها .

والملايو بلاد خصبة التربة ، وفيها مساحة كبيرة مزروعة ، تبلغ نحو خمسة ملايين ونصف مليون فدان ، وتكثر في أرجائها الأشجار ، ويزرع فيها المطاط ، وهو أهم الحاصلات هناك ، إذ يقترب محصول المطاط في الملايو من نصف محصول العالم ، كما

يزرع فيها الأرز وجوز الهند والأناناس والشاي والكاكاو ، وفيها ثروة حيوانية لا بأس بها ، ويوجد فيها من المعادن القصدير ، وهو أهم معدن هناك ، إذ تنتج الملايو منه ثلث ما ينتجه العالم من القصدير ، وفيها أيضاً الحديد والذهب والفحم الحجري والألومنيوم ، ويجب ألا ننسى أن بريطانيا المستعمرة كانت تعتمد على « الملايو » في حصولها على الدولارات الأمريكية ، وذلك بفضل المطاط والقصدير اللذين تحتاج إليهما أمريكا .

وقد دخل الإسلام الملايو منذ عدة قرون ، وكان ذلك بواسطة التجار العرب المسلمين الذين رحلوا إلى « الملايو » متاجرين ، ونشروا مبادئ الإسلام بين أهليها ، فاعتنقوه عن طواعية واختيار ، وجمعهم لواء الإسلام تحت ظلاله .

ولقد شقيت « الملايو » طويلا بالاحتلال الأجنبي ، وإن لم ترض عنه أو تسكت عليه يوما من الأيام . . . فقد جاء البرتغاليون بمدفعهم الضخم وأسطولهم الجبار واحتلوا الملايو ، بعد عدة معارك دموية عنيفة ضرب أهل الملايو فيها أمثلة الشجاعة والصبر والإقدام ، وكان ذلك سنة ١٥١١ م ، وكانت الملايو تعرف يومئذ باسم « ملقا » ، وظل البرتغاليون يسومون أبناء الملايو سوء العذاب ما يقرب من مئة وثلاثين سنة ، حتى استطاع أهل الملايو أن يتخلصوا منهم سنة ١٦٤٠ م ، ولكنهم وقعوا في مخالب ذئب استعماري آخر ، فقد جاء إليهم الهولنديون وأوهموهم أنهم أصدقاء لهم وأنهم سيساعدونهم على طرد البرتغاليين من بلادهم ، وكانت النتيجة أن خلف الهولنديون البرتغاليين في احتلال الملايو ، ثم عقد الهولنديون معاهدة مع بريطانيا كان من نتيجتها أن خرج الهولنديون من الملايو وحلّ محلهم فيها الإنجليز ، وكان أن توطدت أقدام انجلترا في الملايو سنة ١٧٨٦ م .

ولم تسلم « الملايو » هذا الاحتلال حيناً من الأحيان ، بل كانت حياة الملايويين طيلة هذه القرون سلسلة من المقاومة الإيجابية أو السلبية للاحتلال الأجنبي ، واستخدموا في هذه المقاومة كل ما استطاعوا من أسلحة ووسائل ، وفي سنة ١٩٢٧ م قوي الوعي الوطني في الملايو ، وظهر القادة الذين يكتبون عن حرية الملايو واستقلالها ، ويجاهرون بالحديث عن حقوقها ومطالبة المحتل بالخروج منها ، وفي سنة ١٩٣٧ م تألفت في « الملايو » الجمعيات الوطنية المناهضة للاحتلال المقاومة للأجانب ، كما أنشئت بعض الأحزاب والجمعيات السرية السياسية ، مثل « حزب الملايو الفتاة » .

وكان من نتيجة المقاومة والجهاد في الملايو أن اضطرت انجلترا إلى الاتفاق مع زعماء

الملايو من أجلها الاستقلال الذي ابتداء من يوم ٨ فبراير سنة ١٩٥٦ م ، وأن تنال استقلالها التام يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٧ م .

وقد تحقق هذا والحمد لله الذي بجلاله وقدرته تتم الصالحات ، وانتخبت الملايو أول رئيس لدولتها ، وهو السلطان « توانكو عبد الرحمن » ، كما تولى رياسة الوزراء فيها الشيخ « تنكو عبد الرحمن » زعيم الحركة الوطنية .

ووضعت الملايو لنفسها دستورا نصت فيه على أن دين الدولة الملايوية الرسمي هو الإسلام ! ...

واليوم نرى من الواجب علينا أن نحيي « الملايو » الشقيقة الحرة المستقلة : نحيي استقلالها الميمون الأغر ... نحييه باسم مصر ، وباسم الإسلام ، وباسم العروبة ، وباسم الشرق ، وباسم الإنسانية ...

نحيي استقلال الملايو باسم « مصر » ، لأن مصر الناهضة المتوثبة لتجد شقيقة الملايو في الكفاح والجهاد ، فقد وقفنا هنا في مصر ما دفعتموه — يا أبناء الملايو — هناك من بطش المحتل ، وطغيان المستعمر ، وتحكم الأجنبي ، وكان عدونا المسيطر علينا المتحكم فينا عدوا واحدا مشتركا هو انجلترا ، ولقد قاومتموه بما قاومناه ، ولقد خاصمتموه كما خاصمناه ، وانتصرنا وانتصرتم ، واستطعنا هنا وهناك أن نحطم الأغلال ، وأن نحقق الاستقلال ، وأن نحتل اليوم ساحة العز ، ويظلنا لواء الكرامة ، ولقد فرحتم من غير شك يوم نلنا استقلالنا ، فلا أقل من أن نفرح يوم تنالون استقلالكم ، ونحن في الألم والأمل شقيقان ، وكم من روابط بين الأشقاء ! ...

ونحيي استقلال الملايو باسم « الإسلام » لأن الملايو مسلمة ، ونحن مسلمون ، والإسلام رحم بين أهله ، والله يقول : « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، والإسلام كذلك يأبى الذلة والهوان لأهله ، فيقول الله لعباده : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، ويوجب لهم حياة العزة والكرامة . « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، ويحرص عليهم ألا يعطوا هاماتهم إلا لخالقهم عز وجل : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » ، ورضوان الله على عمر بن الخطاب يوم رسم لنا صورة الإسلام وإباء المسلم فقال : « يعجبني من الرجل إذا سيم خطة خسف أن يقول (لا) بملء فيه » ! .

ونحيي استقلال الملايو باسم « العروبة » لأن العروبة هي التي حملت رسالة الإسلام

إلى الملايو ، ولأن العروبة تعشق الحرية والاستقلال ، وتكره الذلة والضعف ، وتفضل المنية على الدنية ، وتطلب بالصدر أو القبر ، ويقول شاعرها داعيا إلى الصبر والشجاعة والإقدام :

فصبرا في مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع

وما للمرء خير في حياة ... إذا ما عد من سقط المتاع

ويقول شاعرها الآخر :

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة ... تلق السوابق منا والمصلينا

وليس يهلك منا سيد أبدا ... إلا افتلينا غلاما سيدا فينا[1]

إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ... ولو نسام بها في الأمن أغلينا

بيض مفارقنا ، تغلي مراجلنا ... نأسو بأموالنا آثار أيدينا

إني لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الكماة ألا أين المحامونا

لو كان في الألف منا واحد فدعوا ... من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا

إذا الكماة تنحوا أن يصيبهم ... حد الظباة وصلناها بأيدينا

ولا تراهم وإن جلت مصيبتهم ... مع البكاة على من مات يبكونا

ونركب الكره أحيانا فيفرجه ... عنا الحفاظ وأسياف تواتينا

والرباط وثيق بين العروبة والإسلام ، فالعروبة هي وعاء الإسلام ، والإسلام هو روح هذه العروبة ، والمسلمون يرون في العروبة مبدأ دعوتهم ولسان دينهم ، والعروبة ترى في المسلمين أشقاءها وأحباءها ، وكلما استقل قطر عربي فرح لاستقلاله المسلمون ، وكلما استقل قطر مسلم فرح لاستقلاله العرب .

وتحيي استقلال الملايو باسم « الشرق » .. الشرق مهد الحضارات ، ومهبط الديانات ، ومصدر الرسالات ... الشرق الذي هدى الناس خلال العصور المتعاقبة ، فكيف يتحكم به أهل الضلال ؟ ... وإذا كان يقال إن ضوء الحياة يبزغ أول ما يبزغ من الشرق ، فإن الواجب قبل ذلك أن يعرف هذا الشرق مكانته في توجيه العالم وإصلاح الحياة ، وأن يعرف له الغرب هذه المكانة ، فلا يغمطها عليه ، ولا يحاول سلبها منه ، ويوم يقود الشرق الحكيم العليم البصير هذه الحياة لن يقودها بالمدفع ، أو القنبلة ، أو الأسطول ، أو الصاروخ ، بل سيقودها بالحكمة والأخلاق والدين والمثل العليا ...

---

[1] افتلينا : فطمنا .

ونعنى استقلال الملايو باسم « الإنسانية » ... الإنسانية الرفيعة السامية الكريمة التى أرادها الله عز وجل لصاحبها « الإنسان » أن يكون خليفة له فى أرضه ، بعد أن خلقه فسواه فعدله ، فى أى صورة ما شاء ركبه ، ووهبه الحرية والكرامة ، وجعل له حقا طبيعيا فى الاستقلال والعزة ، لا يسلب منه هذا الحق إلا مجرم أو أثيم ، ورضوان الله على عمر بن الخطاب يوم دافع عن هذا الحق الطبيعى للإنسان فى الحرية والاستقلال والكرامة ، فقال لمن أراد الاعتداء عليه مستنكرا : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ! . . .

ونحن إذ نحيى استقلالكم يا أبناء الملايو هنا وهناك نذكركم – والذكرى تنفع المؤمنين – نذكركم بأنكم تستقبلون عقب الاستقلال أعمالا وأثقالا وتبعات جساما تحتاجون معها إلى مضاعفة الجهود وشحذ العزائم . . .

لقد خرج المحتل من دياركم بجنوده وأتباعه ، ويجب أن يخرج منها بآثاره وفضلاته ، وأن يخرج منها بآرائه وأفكاره ، وأن يخرج منها برواسبه وأوشابه ، وكما خرج المحتل من الديار يجب أن يخرج من القلوب والعقول والأرواح . وتذكروا دائما أن العدو الذى خرج اليوم من دياركم متظاهرا بالرضى عن هذا الخروج لن يغفل عن التربص بكم ، والتماس الثغرات فيكم ، وانتهاز الفرص لمحاولة العودة أو التدخل بصورة من الصور فاحذروا ذلك كل الحذر ، واقطعوا على أعدائكم الطريق ، وقفوا لهم بالمرصاد .

وفى بلادكم يا أبناء الملايو خيرات وبركات و « خامات » طبيعية ، ومن الواجب عليكم – وقد استقللتم وتحررتم – أن تحسنوا استغلال هذه الخامات ، وأن تتقنوا الانتفاع بتلك الخيرات ، وأن تثبتوا لأعدائكم والذين أساءوا بكم الظن فى الماضى أن المارد الشرقى الجبار الذى استطاع أن يقهر أعداءه ويخلص بلاده بالحديد والنار ، قادر كذلك على أن يكون صانعا ماهرا ، ومنتجا مكثرا ، ومخترعا موهوبا ، وبطلا فى ميادين الإصلاح والبناء والتعمير

وأنتم يا أبناء الملايو شعب مسلم ، ولعل الفترة الطويلة المديدة التى قضيتموها فى ظل الاحتلال الأسود البغيض كانت عقبة بينكم وبين تطبيق الإسلام فى بلادكم تطبيقا صحيحا كاملا بنصه وروحه ، وعدالته وشموله كله ، ودنيوياته وأخروياته ، وأما اليوم فقد ملكتم زمام أنفسكم ، وأصبحتم فى حرية من أمركم ، ووضعتم دستوركم باختياركم ،

وعلمتم في قانونه أن دين دولتكم الرسمي هو الإسلام ، فأقيموا بناء مجتمعكم الجديد على أساس من التقوى والصلاح : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين » ؛ وشيدوه على دعائم من طهارة الحس والنفس « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ، وعلى حوائط من الإيمان بالله والاعتصام بحبله : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وإسلامكم هذا يقتضيكم أن توثقوا روابطكم وصلاتكم بالعرب والعروبة والعربية ، فالمسلم لا يكمل فقهه لدينه ، ولا يتم تأثره بروحه وجماله وجلاله إلا إذا قرأ كتابه « القرآن الكريم » في لغته العربية المبينة ذات المميزات والخصائص ، وقد امتزج تاريخ الإسلام والمسلمين بتاريخ العروبة والعرب خلال أجيال وأجيال ، والعربي بحكم هذا الامتزاج لابد له من الارتباط بتاريخ المسلمين ، والمسلم لا بد له بحكم هذا الامتزاج من الارتباط بتاريخ العرب ، ولعلنا نشهد اليوم الذي نرى فيه لغة القرآن شائعة مألوفة في أرجاء « الملايو » الوطن الشقيق المسلم ، الحر المستقل .

أما بعد يا أبناء الملايو هنا وهناك . . إن الناس يهنئونكم بالاستقلال ، ولكني مع التهنئة أدعو لكم . . إنهم يهنئونكم بأنكم وصلتم ، وأراكم بدأتم وانطلقتم . . . إن الاستقلال ليس نعمة فحسب ، بل هو نعمة ونقمة . . . إنه نعمة جليلة وتبعة ثقيلة . . ولقد مضى عليكم بضعة قرون وأنتم تنقلون أغلال الاحتلال ، والشخص الذي طال عليه القيد يحتاج إلى الحيطة في السير وفي الخطوات حينما تفك عنه هذه الأغلال ، والأسير الذي طال عليه الأسر يحتاج إلى حسن التصرف في استعمال حريته عند إطلاق سراحه ، والخارج إلى ضوء الحياة بعد سجن طويل مظلم لا بد له من أن يقابل هذا الضوء الباهر بحكمة وتبصر ؛ ولذلك كله أدعو الله عز وجل أن يبارك للملايو في استقلالها ، وأن يحفظ عليها حريتها ، وأن يوحد كلمتها ويجمع شملها ، وأن يؤيد خطواتها في سبيل الإصلاح والبناء والتعمير ، وأن يديم عليها نعمة التوفيق ، وأن يجنبها عثرات الطريق ، وأن يكون لها في مستقبل أيامها خير رفيق ، إنه أكرم مسئول وأفضل مأمول » .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

ذكرى الميلاد المحمدى

لقد أتى على العالم حين من الدهر فسدت فيه العقائد وانتشرت الوثنية ، حتى كاد أن لا يعبد الله فى الأرض ، وانتكست فيه الأخلاق ، وسادت فيه الخرافات والجهالات ، واستبدلت فيه أساليب الحياة الصحيحة بأوضاع الحياة الفاسدة الشريرة ، هذا الحين من الدهر هو الفترة التى سبقت ميلاد نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ولو طفت معى فى أصقاع العالم المعروف حينئذ لما وقع بصرك إلا على ما يتفطر له القلب ويندى له جبين الإنسانية الكاملة ، ولوجدت عالماً يعج بأنواع المثالب والرذائل والمفاسد فى الدين والأخلاق والاجتماع ، من وثنية إلى عنصرية ، ومن إشراك إلى تثليث . ومع أن العالم كانت تنتشر فيه فى ذلك الزمان الديانتان اليهودية والنصرانية إلا أنهما عدا عليهما عادى التحريف والتبديل حتى أصبحتا بعيدتين عن روح التوحيد الخالص ، ومن مظالم وسفك للدماء وأكل للأموال بالباطل ، إلى انتهاك للأعراض وإغراق فى الملذات والشهوات وغشيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ومن انتهاك لكرامة الإنسان وسلب حقه الفطرى فى الحياة ، إلى الجور على النساء ووأد البنات وعقوق الأمهات . . . إلى غير ذلك من المفاسد والأغلال التى جعلت العالم يئن ويتوجع ويتطلع شوقاً إلى من يخلصه من هذا العذاب الواصب والشقاء المقيم .

ترى — أيها القارئ الكريم — من يكون هذا المخلص الذى انتشل العالم من وهدته التى تردى فيها وأخذ بيد الإنسانية بعد كبوتها ؟ ؟ إنه نبى الرحمة وكاشف الغمة وهادى الأمة سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله النبى الأمى العربى القرشى .

ففى صبيحة يوم الإثنين الثانى عشر من ربيع الأول لعام الفيل الموافق سنة سبعين وخمسمائة من ميلاد المسيح عليه السلام ، فى الوقت الذى بدأ فيه الصبح يتنفس والشمس تؤذن بالإشراق والسطوع ، افترّ ثغر الدنيا عن مولود كريم آباؤه كرماء ، لم يزل تتخطفه الأمهات والآباء منذ قديم الزمان حتى ولد من أبوين ضربا فى العراقة والأصالة والفضل والكمال بسهام وأى سهام .

ولد سيدنا رسول الله ، فما وجدت أمه في حمله ولا في وضعه ألماً ولا نصباً ، ونشأ كما ينشأ أبناء الأشراف في مكة ، فاسترضع في بني سعد حيث السماء الصافية والهواء النقي والبيئة الصالحة لتنشئة الأجسام على خير ما تكون ، وكان مصدر خير وبركة على أمه وعلى مرضعته السيدة حليمة السعدية وآلها ، وعلى كل من كان يحوطه ويرعاه .

وشب وترعرع تحوطه عناية الله ، وتكلؤه عين الرحمن ، فنشأ نشأة خيرة فاضلة ، فلم تعرف له صبوة ولم تحص عليه زلة ، فما عرف عنه أنه سجد لصنم أو اعتنق فكرة خاطئة ، بل بغضت إليه الأصنام ومقت من أباطيله ، لأن عبادتها لا تتفق هي وما ركز في فطرته الطاهرة من التوحيد وعبادة الله الواحد الحق ، وما يتراءى له صباح مساء من البراهين المتكاثرة على وجود الله ووحدانيته ، وتفرده بالخلق والجلال والكمال ، ولم يشرب خمراً ولم يقترف إثماً ولا انغمس فيما كان ينغمس فيه المجتمع العربي آنذاك من اللهو واللعب وقرع الكؤوس ومعاشرة القيان ومصاحبة الأشرار والجري وراء الهوى والشهوات ، على ما كان عليه من فتوة وشباب وجمال وغيرها من وسائل الإغراء ، ولقد هم ذات ليلة أن يسمر كما يسمر الشباب بمكة وهو صغير لم يشب عن الطوق فقال لصاحب له قرشي : ارع لي غنمي حتى آتي مكة فأسمر كما يسمر الشباب ، فذهب حتى أتى بيتاً فسمع فيه عزفاً وغناء وضرباً بالدفوف ، ولكن الله الذي تكفل بتربيته وتنشئته على خير ما تكون النشأة حال بينه وبين رؤية هذا اللهو ، فألقى النوم على عينيه ، فلم يستيقظ إلا وقد مسته حرارة الشمس ، ومرة أخرى حاول مثل ذلك ولكن الله حال بينه وبين ما أراد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث بذلك لما كبر وبعده من نعم الله العظمى عليه .

وما زال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يكبر وتكبر معه الفضائل والأخلاق العالية حتى صار شامة بيضاء في هذا العصر المظلم ، ولم يعرف عنه أنه ارتكب نقصاً ، أو عاهد فغدر ، أو خاصم ففجر ، أو حدث فكذب ، وكانت الأمانة والصدق من أبرز خصاله ، فلا عجب أن كان يلقب في قريش « بالأمين » وأن شهد له بالصدق الصديق والعدو .

ولما صعد على الصفا لينذر عشيرته الأقربين قال بين يدي الإنذار : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذباً ، قال : « إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فتأمل في مقالتهم : « ما جربنا عليك كذباً » .

وما أن بلغ الرسول الأمين الأربعين من عمره المبارك حتى نبئ ثم أرسل إلى الناس كافة عربيهم وعجميهم وأبيضهم وأسودهم ، وما زال يكافح ويجاهد ويصبر على مشاق الدعوة ويصابر حتى فتح الله به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ، فاهتدوا بعد الضلالة ، وسعدوا بعد الشقاء ، ورشدوا بعد الغواية ، وصارت الجزيرة العربية ـ وقد كانت مباءة الشرك والجهل والمظالم والمآسي ـ عنوان التوحيد ومنبع العلم والهدى والعدل والحق والرحمة والخير .

لقد صدع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بهذه الأصول والمبادئ الخالدة ، فأعلن أن لا معبود بحق إلا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأن كل من في الكون فهو خاضع لله معترف بربوبيته ، وأن كل ما خلا الله فهو معزول عن الألوهية واستحقاق العبادة .

وأعلن أن الناس جميعا سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ، وإنما التفاضل بالتقوى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » [1] بذلك قضى على التفاخر بالأحساب والأنساب والأجسام والأشكال ، وجعل المعيار الصحيح لتقدير الناس التقوى والعمل الصالح المنتج ، ففي الكتاب الكريم « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » [2] ، وفي الحديث الصحيح : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ... « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » رواهما مسلم .

ووضع أساس الفضائل الثابتة والأخلاق العالية ، فأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، وفي الكتاب الكريم « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي » [3] « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » [4] ، وفي الحديث الذي رواه صاحب المسند « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسن

[1] سورة الحجرات الآية

[2] سورة النجم الآية ٣٩ [3] سورة النحل الآية ٩٠ [4] سورة النساء الآية ٣٦

الأعمال ، ودعا إلى احترام حقوق الإنسان ورعاية حرماته وشرع التشريعات الكفيلة بهذا ، ففي الحديث الصحيح « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » ، وفي حجة الوداع خطب رسول الله فكان مما قال : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا » .

ورفع من شأن الكرامة الإنسانية واستنكر الذلة والخضوع حتى لقد جاءه رجل يرتعش بين يديه ، فقال له : « هون عليك فإني لست بملك ، وإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد من قريش » ولما هم رجل أن يقبل يده أبى وقال له : « إن هذا تفعله الأعاجم بملوكها ، ولست بملك ، وإنما أنا رجل منكم » وغرضه بهذا صلى الله عليه وسلم أن يبقى على العزة في قلب كل مسلم ، وأن لا يتخذ المسلمون من تقبيل اليد وأمثاله وسائل للزلفى والمداهنة والملق وأن التكريم لا يستلزم التقبيل ، وإلا فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه أحق من تقبيل يده بل وقدمه .

ووضع الأساس الصالح لعلاقة الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقة الدول بعضها ببعض في السلم والحرب إلى غير ذلك من الأصول التي لا يتسع المقام الآن لتفصيلها ، ولم يأل جهدا في تبليغ الدين إلى الناس قاطبة ، فكاتب الملوك والأمراء وأرسل الرسل داعيا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، وهكذا بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

ولم يجاور الرسول الرفيق الأعلى إلا والإسلام قد تقررت أصوله في الأرض ، وحمل أصحابه الكرام الرسالة من بعده ، وما هو إلا قرن من الزمان حتى انضوت العرب تحت لواء الإسلام ، وعم العالم برسالة الحق والعدل والسلام والأمان ، وهكذا نرى أن الميلاد المحمدي كان خيرا وبركة على الدنيا كلها ، وأن البعثة المحمدية كانت رحمة للناس أجمعين ، وصدق الله العظيم « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مصادر الشريعة النظرية

المصالح المرسلة

تعريفها

— ١٠ —

تمهيد : قبل أن نتكلم على تعريف المصالح المرسلة نرى من المناسب أن نذكر هذه المقدمة ، وهى :

أن ما يحدث من الوقائع كثيرا ما يشتمل على معان تصلح أن تكون مناطا لحكم شرعى يحكم به بناء على تلك المعانى ، وهذه المعانى هى ما تعرف عند العلماء بالأوصاف المناسبة ، وهى تتنوع بالنظر إلى شهادة الشرع لها بالاعتبار وعدمه ثلاثة أنواع[١] .

النوع الأول : أوصاف قيام الدليل الشرعى المعين على رعايتها واعتبارها، وهى ما تعرف عندهم بالمناسب المعتبر أو المصلحة المعتبرة ، وهذه يجوز التعليل بها وبناء الحكم عليها بإجماع القائلين بحجية القياس [٢] .

ويدخل فى هذا النوع جميع المصالح التى جاءت الأحكام المشروعة لتحقيقها ، كحفظ العقل الذى شرع الشارع لتحقيقه تحريم الخمر ، وإيجاب الحد على شاربها ، وحفظ النفس الذى شرع الشارع لتحقيقه تحريم القتل ، وإيجاب القصاص من القاتل عمدا ، وحفظ المال الذى شرع الشارع لتحقيقه تحريم السرقة ، وقطع يد السارق ، إلى غير ذلك من المصالح التى اعتبرها الشارع ، وشرع الأحكام لتحقيقها .

ومن طريق هذا النوع من المصالح جاء دليل القياس ، فإنه مبنى على النظر فى الأحكام المشروعة ، ومعرفة قصد الشارع فيها إلى مصلحة بعينها حتى إذا وجدت هذه المصلحة فى واقعة أخرى ألحقت حكم الواقعة المصرح بحكمها ، ولإيضاح هذا أضرب المثل الآتى :

---

[١] راجع المستصفى للغزالى ج ١ ص ٢٨٤ وما بعدها ، والاعتصام للشاطبى ج ٢ ص ٢٨٣ وما بعدها .

[٢] المستصفى ج ١ ص ٢٨٤ ، والاعتصام ج ٢ ص ٢٨٣ .

حفظ العقل مصلحة قام الدليل الشرعي المعين على اعتبارها ، وهو تحريم الخمر وإيجاب الحد على شاربها . فإذا نظر المجتهد في هذا الحكم ، وعرف هذه المصلحة ، ثم وجد شيئاً آخر لا يسمى خمراً ، ولكنه يفعل بالعقل ما تفعله الخمر لم يتردد في تحريمه بالقياس على الخمر أخذاً من الدليل القائم على اعتداد الشارع بمصلحة حفظ العقل ، وبناء الأحكام على رعايتها .

النوع الثاني . أوصاف قام الدليل الشرعي المعين على إلغائها وعدم اعتبارها وتسمى عندهم بالمناسب الملغي أو المصلحة الملغاة وهذا لا يصح التعليل بها وبناء الحكم عليها باتفاق العلماء [١] .

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن الشارع الحكيم لا يلغي مصلحة إلا إذا عارضتها مصلحة أخرى أرجح منها ، أو كان في اعتبارها مفسدة تساويها أو ترجح عليها كما يدل على ذلك استقراء المواضع التي ألغى الشارع فيها بعض المصالح ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ — منع تعدد الزوجات . فقد يبدو أن فيه مصلحة وهي قطع ما يحدث بين الضرائر من الخصومات والمنازعات التي قد يكون لها أسوأ النتائج في حل الروابط بين أفراد الأسر ، ولكن الشارع ألغى هذه المصلحة ، ولم يعتد بها وأباح تعدد الزوجات اكتفاء باشتراط العدل بين الزوجات لإباحة هذا التعدد . نظراً لما يترتب عليه من المصالح العظيمة كتكثير النسل والتوالد الذي هو المقصود الأول من الزواج ، وصون ذوي الشهوات الحادة من الوقوع في الزنا واتخاذ الخليلات ، وليكون التعدد علاجاً اجتماعياً عند ما يعرض للأمة نقص في رجالها وخاصة في أعقاب الحروب حتى لا يبقى عدد كبير من النساء بدون عائل يقوم بشئونهن ويحصن فروجهن .

٢ — الاستسلام للعدو . فقد يبدو أن فيه مصلحة وهي حفظ النفوس من القتل . ولكن الشارع الحكيم ألغى هذه المصلحة . ولم يعتبرها وأمر بدفاع العدو ومقاتلته نظراً إلى مصلحة أرجح منها . وهي حفظ كيان الأمة وكرامتها .

٣ — ويمكن أن يدخل في هذا النوع أيضاً ما روي أن عبد الرحمن بن الحكم

---

[١] الاعتصام ج ٢ ص ١١٤

الأموي أحد ملوك الأندلس باشر إحدى نسائه في رمضان ثم ندم على جريمته . وجمع الفقهاء وسألهم عما يكفر به ، فقال له يحيى بن يحيى ، تلميذ الإمام مالك بن أنس وفقيه الأندلس فيما بعد ، تكفر بصوم شهرين متتابعين . فلما خرجوا قال له بعض الفقهاء : لم لم تفته بمذهب مالك وهو التخيير بين العتق والصيام والإطعام ؟ فقال يحيى : لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يباشر كل يوم ويعتق رقبة . ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود [1] . فإن هذا الفقيه بنى فتواه على مصلحة ، وهي أن في حمل ذلك الملك على الصوم زجرا له عن العود إلى انتهاك حرمة الصيام . ولكن الشارع قد ألغى هذه المصلحة بإيجابه الكفارة على وجه التخيير بين العتق والصوم والإطعام ، كما هو مذهب مالك . لأنه لم يفرق بين ملك وغيره . وذلك لما يعارضها من مصلحة أرجح منها . وهي وجود العتق وتحرير الأرقاء وإطعام الفقراء وهي مصالح تتعدى مصلحتها إلى الغير ، وقد حث الشارع عليها في أكثر من موضع . والزجر مصلحة خاصة بذلك الملك وأمثاله .

النوع الثالث : أوصاف لم يقم الدليل المعين على اعتبارها أو إلغائها . وهي التي سكت الشارع عنها ولم يرتب حكما على وفقها أو خلافها . وليس لها أصل معين تقاس عليه . وهذه تسمى عندهم بالمناسب المرسل أو المصالح المرسلة أي المطلقة عن دليل يدل على اعتبارها أو إلغائها . وبالاستصلاح [2] .

ومن هذا يتبين أن المصالح المرسلة هي :

تعريف المصالح المرسلة : الأوصاف التي يحصل من ربط الحكم بها وبنائه عليها جلب مصلحة أو دفع مفسدة عن الخلق ، ولم يقم دليل معين يدل على اعتبارها أو إلغائها .

وواضح من هذا التعريف أن المصالح المرسلة لا تكون إلا في الوقائع التي سكت الشارع عنها ، وليس لها أصل معين تقاس عليه . ويوجد فيها معنى مناسب يصلح أن يكون مناطا لحكم شرعي يحكم به بناء على ذلك المعنى المناسب . فإذا عرضت واقعة

---

[1] المستصفى للغزالي ج ١ ص ٢٨٥ . والاعتصام للإمام الشاطبي ج ٢ ص ٢٨٦ وحاشية العطار ج ٢ ص ٢٩٨ .

[2] راجع نهاية السول شرح المنهاج ج ٤ ص ٣٨٥ و ٣٨٦ . وشرح الجلال المحلي وحاشية العطار عليه ج ٢ ص ٢٩٨ .

من هذه الوقائع ، فهل يجوز للمجتهد أن يشرع الحكم الذي تقتضيه المصلحة ، ويجعلها أصلا للحكم ودليلا عليه؟ هذا هو ما نبينه فيما يلي :

حجية المصالح المرسلة

للعلماء في الاحتجاج بالمصالح المرسلة آراء ثلاثة ، كما حكاها الأصوليون :

الرأي الأول : أنها حجة شرعية ، وأصل من الأصول التي يستند إليها في تشريع الأحكام ، وهو مذهب الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة كما يؤخذ من المسائل الفقهية التي بنوها على هذا الأصل ، وهي كثيرة في كتب أئمة المختلفة تظهر للمتتبع .

ومن الأصوليين من نسب هذا القول إلى الإمام مالك دون غيره من الأئمة، ولكن هذه النسبة لا تتفق مع الواقع في شيء ، لأنه لم يخل مذهب من العمل بها . والذي ينفرد به مالك عن غيره في ذلك هو توسعه في العمل بها أكثر من غيره ، قال القرافي في مختصر التنقيح « وأما المصلحة المرسلة فغيرنا يصرح بإنكارها ، ولكنهم عند التفريع تجدهم يعللون بمطلق المصلحة ، ولا يطالبون أنفسهم عند الفروق والجوامع بإبداء الشاهد لها بالاعتبار ، بل يعتمدون على مجرد المناسبة ، وهذا هو المصلحة المرسلة » . وقال الشوكاني في إرشاد الفحول (ص ١٩١) : « وقد اشتهر انفراد المالكية بالقول بها قال الزركشي وليس كذلك فإن العلماء في جميع المذاهب يكتفون بمطلق المناسبة ، ولا معنى للمصلحة المرسلة إلا ذلك » . ونقل في (ص ٢١٢) عن ابن دقيق العيد قوله « الذي لا يشك فيه أن لمالك ترجيحا على غيره من الفقهاء في هذا النوع ، ويليه أحمد بن حنبل ولا يكاد يخلو غيرهما من اعتباره في الجملة ، ولكن لهذين ترجيح في الاستعمال لها على غيرهما » .

الرأي الثاني : أنها ليست حجة ، ولا يصح أن يبنى عليها حكم من الأحكام الشرعية ، سواء أكانت ملائمة للصالح التي اعتبرها الشارع أم لا ، وهو قول المنكرين لحجية القياس من الظاهرية ومن معهم ، وهو القول المختار لابن الحاجب من المالكية والآمدي من الشافعية [١] .

---

(١) الأحكام للآمدي ج ٣ ص ١٣٨ ومختصر المنتهى ج ٢ ص ٢٤٢ ونهاية السول ج ٤ ص ٣٨٦ .

والرأى الثالث : أنه يصح العمل بها إذا كانت مصلحة ضرورية قطعية كلية ، ولا يصح العمل بها إذا فقد واحد من هذه الثلاثة ، والمراد بالضرورية ما يترتب على اعتبارها المحافظة على واحد من الضروريات الخمس التى هى الدين والنفس والعقل والنسب والمال ، والمراد بكونها قطعية أن يكون حصول المصلحة متيقنا وليس مظنونا ولا مشكوكا فيه ، والمراد بالكلية ألا تكون مخصوصة ببعض المسلمين أو ببعض الأحوال دون بعض .

وهذا الرأى هو المختار للغزالى والقاضى البيضاوى . وقد مثل الغزالى للمصلحة التى توافرت فيها هذه الشروط الثلاثة بما إذا تترس الكفار بجماعة أسارى المسلمين ، فاذا رميناهم قتلنا مسلما من غير جريمة منه . وهذا لا عهد به فى الشرع ولو تركنا الرمى لسلطنا الكفار على المسلمين فيقتلونهم ثم يقتلون الأسارى الذين تترسوا بهم ، فانه يجوز رميهم وإن أدى إلى قتل من تترسوا به من المسلمين .[1]

ونحن إذا أمعنا النظر فى هذه الصورة وجدنا أن المصلحة فيها ليست من قبيل المصالح المرسلة التى يجرى النزاع فيها بين العلماء ، وإنما هى من قبيل المصالح التى قام الدليل على اعتبارها ، والتى لا خلاف فيها لواحد من العلماء ، يقول الشوكانى نقلا عن القرطبى : « المصلحة بهذه القيود لا ينبغى أن يختلف فى اعتبارها »[2] ، ويقول الكمال بن الهمام فى التحرير : « إن المناسبة لو عمل أحد الضروريات لزم العمل بها على قول الكل »[3] ، ويقول ابن السبكى فى جمع الجوامع : « وليس من المرسل مصلحة ضرورية كلية قطعية ، لأنها مما دل الدليل على اعتبارها قطعا .»[4] « يتبع »

زكى الدين شعبان
الأستاذ المساعد
بكلية حقوق عين شمس

[1] المستصفى للغزالى جـ ١ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ونهاية السول جـ ٤ ص ٣٨٥
[2] إرشاد الفحول ص ٢٤٣
[3] التحرير مع التقرير والتحبير ج ٣ ص ١٦٠
[4] جمع الجوامع مع شرح الجلال وحاشية العطار ج ٢ ص ٣٠٠

محمد صلى الله عليه وسلم

نبي الوحدة ورسول الاستقلال

اصطفى الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه برسالة تتفق أصولها مع أصول الرسالات السماوية التي سبقه بها إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، ومع هذا فقد ماز الله محمداً بتشريعات وتعاليم جعلت رسالته فريدة في بابها ، وأعطتها صبغة أصبحت بها سيما وحدها ، سواء في العقائد أو في العبادات أو المعاملات .

وإن الدارس لهذه الرسالة المحمدية ، والمتفهم لتشريعاتها السماوية ، لا يسعه إلا أن يعلن بملء فيه . أن محمداً اختاره ربه ليجعل صبغة التوحيد في جميع مظاهرها ، تلك الصبغة التي تأخذ بلب المفكر ، وعقل المؤمن ، ويهتف بها المسلم « لا إله إلا الله » ، له الكون واحد لا متصرف فيه سواه ، بذكره تطمئن القلوب ، ولعظمته تخر الجباه ، تجلت هذه الوحدة في العقيدة الإسلامية ، وفي المظاهر التشريعية التي أخذ بها محمد أتباعه من المسلمين .

فإذا نادى المنادي إلى الإيمان بالله واحد فقد أمر المستجيبين له الذين لبوا النداء أن يتجهوا جميعاً في صلاتهم إلى قبلة واحدة ، وأن يعززوا في أداء مناسكهم ، حجهم وعمرتهم حول بيت واحد « وليطوفوا بالبيت العتيق » ، « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين » ، وأن يسعوا في مكان واحد ، وليجمعهم مع هذه المظاهر كلها في زمن محدد مكان الوقوف واحد بزي موحد ، يهللون ويلبون ويناجون إلههم الواحد « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .
« لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

تلك هي عقيدة التوحيد ، وتلكم هي المظاهر الإيجابية للوحدة ، ملكت قلب المؤمن ، وسيطرت على جميع تصرفاته ، ووجهته إلى المثل العليا ينشدها ويسعى جهده لتحقيقها يجلب الخير وينشره بين الناس ، ويقاوم الشر ويجهد نفسه لقمع الضر ، ويسمو بمعتقداته وأعماله عن الدنايا ، وينأى بها عن الخرافات والضلالات والأباطيل .

فلا يرهب قوياً ولا يرضى له دينه أن يظلم ضعيفاً ، ولا يخدع بضلالة مهما ازينت وتبهرجت ، ولا يثنيه عن الوصول إلى غايته المثلى جبروت أو طغيان ، تلك الغاية التي تتمثل في استقرار عقيدة التوحيد ، وتمكين أصحابها من إقامة شعائر دينهم دون خوف

من وعيد أو تهديد ، ونشر ألوية السلام بين ربوع العالمين ، وتساوى الناس جميعا أمام الحق والقانون ، دون نظر إلى جنس أو لون ، فالكل عند الله سواء . « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » . « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » كذا قال صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه .

هذه نواح تكشف أمام الدارس لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم أنه حقق بين الوحدة والتوحيد .

فإذا أمعنا النظر فى سياسة الإسلام التشريعية أخذت هذه التشريعات بألبابنا ، حين تتسق وتطرد نحو هذه الوحدة ونحو تكوين الشخصية المستقلة للمسلم والمسلمين ، ليظل المجتمع الإسلامى محتفظا بمقوماته ، متميزا عن سواه ولو كان يمت إلى الدين .

حتى ليضطر الناظر أمام هذا إلى أن يعترف من أعماقه ، بأن محمدا رسول الاستقلال وإليك شواهد من هذا اللون لا تحتمل جدلا ولا تأويلا : —

أولا : قام محمد صلى الله عليه وسلم بأداء رسالته ، ومضى يتجه فى عبادته لربه نحو القبلة التى كان يتجه إليها من تقدمه من الأنبياء والمرسلين ، وبعد هجرته إلى المدينة كان يجول فى نفسه أمر كثيرا ما ظهر أثره فى تطلعه إلى السماء ، وتوجهه إلى ربه بما يكنه فى حنايا صدره ، وينطوى عليه ضميره ، ولا يستطيع أن يفصح عنه لسانه خشية أن يكون فى التلفظ به خروج عن الأدب الذى أدبه به ربه . كثيرا ما شخص ببصره إلى السماء يقلب وجهه فيها . وهو صامت يكتم فى نفسه ما يملأ عليه جوانب هذه النفس الكبيرة .

أى أمنية يا ترى هذه التى يجيش بها صدر هذا النبى العظيم ولا ينطق بها لسانه ؟ وأى خطر فيها ، وأى أرهب . ؟ تلك التى يتردد صداها فى كونه كله فتتراءى لعقله وبصره ، ويرهب ما تمعه ؟ هى أمنية استجلاء الوطن الحبيب — أول بيت وضع للناس — عند مناجاته لمولاه أراد أن يدعم بها استقلاله ، ويقطع بها ألسنة المتخرصين ، ويدحض بها شبهة المغرضين حتى لا يدعوا أن محمدا ما هو إلا تابع لمن سبقه من المرسلين . وليس مستقلا برسالة أو دين .

وما أكرم رب محمد بمحمد ، فها هو ذا يحقق له أمله ، ويعطيه أمنيته ، ويفيض سابغ الرضا على قلبه . إذا فلتكن وجهة محمد صلى الله عليه وسلم فى مناجاته لربه وقبلته هو ومن اتبع رسالته وآمن بدينه ، قبلة عربية . فهو النبى العربى . تلك هى الكعبة أول بيت

وضع للناس ليعبد الله فيه وحده لا شريك له « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » فيجيب الله سؤالك ، حتى إذا رضيت يا محمد يسترح في هواك ويمنحك كل ما تمنى من عوامل الوحدة والاستقلال .

وما أكثر الشواهد والمعالم الإسلامية التي تشهد بحرص محمد صلى الله عليه وسلم على تمايز رسالته والاستقلال بها عن الذوبان والتميع في الرسالات السابقة ، والاحتفاظ بأمته حتى لا تتلاشى في الأمم الأخرى ، لقد كان حريصاً الحرص كله — كما علمه ربه — على أن تكون رسالته قائمة بذاتها ، مستقلة في عقائدها أو مقوماتها متناسقة في جميع أصولها وفروعها ، تتجاوب نحو تحقيق الغاية السامية التي أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم لتحقيقها — ألا وهي سعادة البشرية جمعاء — بأقوم رسالة وأكمل دين .

ثانياً : وفي المدينة أيضاً كثر المسلمون ، وألح عليهم طلب العيش فتفرقوا في متاجرهم ومزارعهم ودورهم وهم جد حريصين مع ذلك على الاجتماع برسولهم الكريم وبخاصة في أداء الصلوات : فما السبيل إلى جمعهم ، وما الوسيلة إلى حضورهم في الوقت المحدد ؟
اهتم المسلمون بهذا الشأن واهتم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ كبارهم يعملون عقولهم ويشحذون أفكارهم ويستوحون تجاربهم في إيجاد وسيلة لجمع المسلمين عند كل صلاة ، واجتمع المسلمون برسول الله يتشاورون ويتدارسون لاختيار أفضل الوسائل وأقومها ، وأدلى كل برأيه ، وانفض الجمع ولم يقطعوا في الأمر شيء ، وانصرف كل وهو مشغول الفكر لابتكار الوسيلة التي يخبر بها المسلمون عن مواعيد اجتماعهم للصلاة

فهل ضن تشريع السماء على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته بهذه الوسيلة ، أم هل تركه يتابع غيره من سبقه من المتدينين ؟ كلا ، وأيم الحق .

وإليك ما حدثت به كتب السنة الصحيحة في هذا الشأن ، لتقف بنفسك على المدى الذي كان يملأ صدر رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من اهتمامه بتكوين أمة مستقلة متميزة في رسالتها عن الآخرين ، ونحن ننقل هنا ما رواه صاحب تيسير الوصول في باب بدء الأذان بتصرف .

اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها ، فقيل له : انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً ، فلم يعجبه ذلك ، فذكر شبور اليهود فلم يعجبه ، وقال هذا من أمر اليهود ، فذكر الناقوس ، فقال هو من أمر النصارى ، وذكرت النار ، فقال هي من أمر المجوس ، وانصرفوا وهم مهتمون بهم رسول الله ، وفي

الصباح أقبل رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله إنى رأيت رجلا كان عليه بردين أخضرين وكنت يقظان غير نائم، فقام على المسجد وعلمنى ما يجمع به القوم للصلاة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هات ما عندك. فقال الرجل ينادى بالأذان – الله أكبر الله أكبر. أشهد أن لا إله إلا الله . . . . . . إلخ الأذان. فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبقك بها الوحى. قم فعلمها بلالا فإنه أندى منك صوتا. قال فقمت مع بلال فجعلت ألقيها عليه وهو يؤذن بها. اهـ

ومن يومئذ صار الأذان الوسيلة المثلى العاملة لجمع المسلمين للصلاة، يدوى فى السكون ويشق المآذن كبد السماء، ومن فوقها يعلو صوت المؤذن فيهرع المسلمون عند سماعه لذكر الله والصلاة فى بيوت الله.

من هذا – وهو قليل من كثير – ندرك أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله برسالة مستقلة متكاملة، متميزة فى مقوماتها وتشريعاتها، تنبثق من أصل ثابت قائم على الوحدة والتوحيد، وتتشابك أغصانها، وتنتشر فروعها، وتطرد تشريعاتها الإيجابية وتحديداتها الوقائية، ليكون أمة واحدة، يثبتها ويقويها ويجمع كلمتها وحدة المبدأ، ووحدة الهدف، مع وحدة المشاعر والأحاسيس، «ترى المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

واليوم وقد أظلتنا ذكرى ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم، وهب المسلمون يحتفلون فى أوسع أركان الدنيا بهذه الذكرى العطرة فواجب عليهم أن يذكروا ذلك الجهاد المضنى الذى تحمله هذا الرسول الكريم فى تكوين هذه الأمة المحمدية التى قال الله فى شأنها: «كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...».

واجب على المسلمين حاكمين ومحكومين أن ينظروا إلى تعاليم دينهم، وإلى ما شرع لهم من مبادئ ومقومات يتميز بها المجتمع الإسلامى، ويتماسك به بنيانه صلبا قويا، ويقارنوه بما عليه مجتمعهم اليوم، وما يطبقونه فى شئونهم من تعاليم. فقد صارت جمهرة المسلمين لا يحسون لتلك المبادئ السامية وجودا فى نفوسهم – اللهم إلا كرجع الصدى – ثم هم لا يجدون لهذا الصدى أثرا فيما يزاولونه فى واقع الحياة من أعمال.

فيارب محمد منحة من نعمائك فى ذكرى ميلاد حبيبك تتفتح لها قلوب أتباع نبيك، وتتحد بها عزائمهم، وتتجمع قواهم لإحياء هذا المجد التليد، والشرف المنيع، إنك على كل شىء قدير، وأنت الغفور الرحيم.

محمد أبو المكارم
الواعظ العام

فى هذه المناسبة

هى مناسبة ذكرى مولد النبى الكريم ، الذى أرسله الله — على رغم كل مكابر — رحمة للعالمين .

وفى هذه المناسبة يطيب لنا أن نعمل ما وسعنا على أن نعيد إلى الإنسانية الحائرة عهدا من مكارم الأخلاق قد تصرم ، وأن نجدد عهدها بصرح شامخ من الإيمان قد تهدم ، هو الذى نعتقد أنه لن يمسك الناس بالسعادة الوادعة ، والسلام الشامل والحب الفاضل إخوانا على سرر متقابلين ، وإخوة متصافين متحابين ، حتى يزكوا النفوس ، ويقضوا حق الروح الكريم الذى هو أعز كنز منحه الله للإنسان ولكن نسيه وأخذ يقترب من الحيوانية ، فكان له شبه من الحيوان : إما سبعا ، وإما نمرا ، وإما كلبا ، وإما خنزيرا . وليغفر القارئ الكريم لى أنى أكاد أتطاول على مقام ، سيد هذا الزمان ، فوربى ما أردت إلا أن يكون إنسانا كما شاء الله خليفة فى الأرض يحكم بالحق ولا يتبع الهوى ، وويل له إذا اتبع الهوى فأضله عن سبيل الله ، يومئذ نرى الناس كما نراهم اليوم لا نخوة ولا صراحة ولا إنصاف ولا فضيلة ولا إخاء ولا مكرمة ، ولكنه الخسران المبين .

وما لى أشتط بالحديث لولا حرص منى على أن يستيقظ الإنسان لخلقه ويتنبه لوضعه ولكن الله يهدى من يشاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا .

وإذا فى هذه المناسبة الكريمة ، أرى لزاما على أن أتحدث عن بعض نواحى السمو والنبل فى محمد بن عبد الله منقذ الإنسانية وهاديها إلى الصراط المستقيم .

وأوثر أن أتحدث عن شجاعة الإسلام الحربية ، وشجاعته الأدبية ، تتمثل فى ذلك النبى الكريم ونحن اليوم فى عهد أحوج ما نكون فيه إلى تلك الشجاعة بنوعيها ، فالأولى تحمى الحمى وحدود الوطن ونستبسل فى الدفاع ، ونؤمن حق الإيمان بأن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وأنه لن يتقدم نفسا قبل ميتتها ضرب الحسام ولا قذائف المدافع ولا خوض المعارك ، فما التراجع إلا ضعف فى الإيمان أو حمق فى الإنسان وأحبولة لا حقيقة لها .

ونحن بالثانية (الشجاعة الأدبية) نستطيع أن نستصلح من أخطاء الخاطئين ونغير من أعمال الظالمين الذين يسيئون إلى أنفسهم وإلى أهليهم وإلى أوطانهم ، ومن لم يأخذ على يد ظالم أو يردعه عن ظلمه فقد أوشك أن يجني على نفسه وعلى الناس أجمعين .

ونحن بالشجاعة الأدبية نستطيع أن ننصح وأن نواجه بكلمة الحق لا مجاملين بل محسنين مصلحين وكم أصلحت الصراحة والمكاشفة ما بين كثير من الإخوان والأصدقاء ، وردت إلى الحق كثيرا من القادة والزعماء على طول ما أفسد النفاق والمجاراة على الباطل من شئون الأمم والجماعات .

ولعمرك لقد طالما أفسد هذا البلد من قبل وأخرها إلى الوراء كثيرا على كثرة المتعلمين فيه والقادة البارزين أفسده الممالأة على الباطل والجبن عن كلمة الحق في صراحة . حتى قيض الله رجالا صالحين للقيادة من ذوي الشجاعة والصراحة لم يقاروا على سوء الحكم ، وتشاغل الحاكم عن واجب الوطن بمتعه وشهواته ، ولم يقبلوا نظام الإقطاع ولا إهمال الشعب إهمالا أقعده عن اللحوق بالأمم العظيمة ، ولقد أصبح الشعب بفضل تلك الشجاعة وعدم المبالاة في سبيل الحق شعبا ناهضا كريما يفخر به الشرق ويحسده الغرب ، ولولا الشجاعة بنوعيها لما قام من سباته العميق ولظل راكدا في الحضيض .

والشجاعة في قائد هذه الأمة صلوات الله عليه ، وفي كل من تربى في مدرسته الإسلامية تستمد كنهها مما رسم هذا النبي الكريم من إيمان بالله وتوكل عليه مع الانبعاث بما أمر الله سبحانه بتحقيقه وعلى رأسه حماية دعوة الإسلام مهما كلف ذلك من تضحيات وجهاد بالنفس والمال ، ولقد نوه الإسلام في كتابه وفي كلمات السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم بالشجاعة والإقدام والثبات أمام العدو وعلى كلمة الحق ، وجعل التولي يوم الزحف من كبائر الذنوب « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

وأما المؤمن الصادق والمسلم على بينة من ربه فقد علم أنه لابد من مقاومة الباطل ، وإلا فالحياة خسران مبين على صاحبها وإلقاء بالنفس والوطن إلى التهلكة ، وهو قد علم أنه يعود من جهاده بإحدى الحسنيين ، وأن الحرص على الموت يهب الحياة وأن وأن ... إلى كثير من المعاني التي تستوجب الشجاعة والإقدام في المعارك ، وتستوجب الشجاعة والإقدام في تغيير المنكرات ، وما يشيع الفساد ويفتك بالشعوب والجماعات .

وعلى مقدار تحقق إيمان المؤمن بربه ، وعلى مقدار تمسكه بدينه ، وعلى مقدار هداية الله له باستكمال الشخصية الإسلامية الحق يكون نصيبه من الشجاعة والإقدام ، ومواجهته بالحقائق وعدم الكتمان . ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم من الشجاعة بموضعها بالمحل الأول ، والمنزل الذى لا يجهل . فمنذ استقر فى نفسه الكريمة أنه رسول الله إلى هذه الأمة ليغير كل ما هى فيه من فساد وضلال وفوضى فى العقائد وفى السلوك وفى الأخلاق ويضع مكانه صلاحا واستقامة وهداية إلى الصراط المستقيم ، منذ ذلك الحين شمر عن ساعد الجد ، فقام يدعو إلى الله على بصيرة ، ويهدى الناس إلى الطريقة بالحكمة والموعظة الحسنة .

فلما ناصبوه وجحدوا بما جاء به ، قاومهم وداهمهم غير متراجع ولا متواضع لهم ، وهم ينهون عنه وينأون عنه ويعبثون به وبأصحابه ما شاءت لهم قوتهم وكثرتهم وإمكانياتهم وقد سطر التاريخ الشيء الكثير مما كان بينه وبينهم مما يضيق المقام عن استقصائه . وقد تضافرت الأخبار على موقفه مع عمه أبى طالب وحديثه المشهور (يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه) ثم أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة وبقى وحده بين صفوف الأعداء يعملون الحيل فى القضاء عليه ولكن الله بالغ أمره . وهاجر أصحابه إلى المدينة بعد أن ضاقت بهم الحيل أمام الأعداء وبقى فى فئة قليلة لا يبالى ما يصنعون ثم خرج هو وصاحبه وصديقه وأويا إلى الغار ، وهناك أدركهما الكفار وأحس أبو بكر بوقع أقدامهم ، وأخذه الفزع من إدراكهم . ولكن نبينا لا يبالى مادام على الحق وفى سبيله « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

لقد خرج عليهم وحده ليلة مكروا به وجمعوا فتاكهم وشجعانهم فتمسك به فى إيمان الواثق بنصر الله ، فأحبط مكرهم ، وخيب آمالهم ، ثم خرج إلى المدينة مع صاحبه بين زوابع البحث والتفتيش ، وإرسال الرواد والباحثين ، إلى قوم يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم ولكن هل هدأت نفوس القوم ، أو اهتدوا إلى حقيقة الأمر ؟ كلا والله . لقد ازداد ما بهم من حنق ، وأخذوا يعملون الحيل بأسلوب أوسع ، يؤلبون القبائل والشعوب ، ويدأبون على محاربة دعوة الحق طامعين فى أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره .

وأذن الله لنبيه بالقتال كما قال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » . فكانت لمحمد صلى الله عليه وسلم مواقف من الشجاعة حيرت الألباب وأطاحت بالأوهام ، فقد اضطر أعداؤه إلى مجالدته وقد أعيتهم الحيل في مجادلته وكانت تتجلى شجاعة النبي الخارقة حين ينهزم الجيش صحبة عرضة للفتك . واستهانة بالموقف كما وقع في كل من غزوة أحد ويوم حنين « إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا » قال القاضي عياض في الشفاء ، فاحص ما شاء وهو يصف شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم : قد حضر المواقف الصعبة ، وفر الأبطال والكماة عنه غير مرة ، وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح ، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة ، وحفظت عنه جولة سواه .

وذكر حديثا مسنده إلى أبي إسحاق أنه سمع البراء وسأله رجل : أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال . لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ، ثم قال : لقد رأيته على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبي لا كذب . فما رؤى يومئذ أحد كان أشد منه . وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته . وذكر مسلم عن العباس قال : فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه . ثم نادى : يا للمسلمين الحديث ، وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال على رضى الله عنه : إنا كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا . وقيل : كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه . وعن أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عرى والسيف في عنقه وهو يقول : لن تراعوا . وهكذا نقل القاضي عياض وهكذا نقل غيره ، ونقلوا أكثر من ذلك من مواقفه الكريمة ومنها مواقفه يوم أحد يوم فر الناس أمام العدو الذى أغراهم من الخلف بشؤم الخلاف عليه صلوات الله عليه ، وأشيع أنه صلى الله عليه وسلم قد قتل ، ولكنه

أصيب بجراح ونجا ، وقد قتل وهو فى الموقف بطلا من أبطالهم وجبارا من جبابرتهم كان لا يزال يتوعده من قبل حتى إذا ظن أن الفرصة سنحت له ، تناول النبى صلى الله عليه وسلم حربة من أحد أصحابه فطعنه طعنة تدأدأ بها مرارا عن فرسه ثم مات . ورد النبى صلى الله عليه وسلم الحربة على صاحبها فى هدوء وثبات منقطع النظير . هذا طرف من شجاعته الحربية .

أما شجاعته الأدبية : فلعمر الحق ما عرف الناس أجرأ من النبى على كلمة الحق ترفع شأن الإنسانية ومقاومة الباطل والقضاء عليه . ألم يجهر بدعوة الإسلام بين مناوأت الأعداء وشغبهم كما فصلنا بعض ذلك منذ اليوم ؟ ألم يبلغ كل ما أنزل إليه من ربه وفيه ما يرده عن بعض التصرفات ، ويبين أن الصواب عند الله غير ما فعل كما فى مسألة زيد وزينب : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » وروى عن السيدة عائشة أنها قالت : لو كتم النبى صلى الله عليه وسلم شيئا من الوحى لكتم هذه الآية . وكذلك آيات أخر منها قوله سبحانه : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى » إلى قوله . « عذاب عظيم » وقوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » الآية وقوله : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » إلى قوله : « لأواه حليم » .

كل ذلك من الشجاعة الأدبية التى تستدعى صاحبها أن يقول كلمة الحق له أو عليه ، وسواء أكانت عاقبتها نفعا أو ضررا مدنيا ، وكيف لا وهو الداعى إلى الحق وحده والذى لا ينشد إلا أن يهتدى العالم إلى الرشاد وأن ينشده .

وإن لعجب فإن هذا النبى العظيم الذى كان أشد حياء من العذراء فى خدرها والذى كان لا يواجه إنسانا بمكروه ، والذى وصفه الله سبحانه فى كتابه فقال : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

إن هذا النبى الذى منحه الله سبحانه من الدقة فى تحديد الفضائل من نواحيها ووزن كل واحدة بميزانها ما لم يؤته أحدا من العالمين بهذا النبى الرضى المتواضع الكريم والحبيب القريب كان إذا غضب لا يقوم لغضبه شىء ، وكان لا يغضب لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لها . وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان كان أبعد الناس منه صلى الله عليه وسلم ، ولما سرقت المخزومية فكر قومها فى أن يستشفعوا بأحب الناس إليه ـ أسامة ـ ليعفو عنها غضب أشد الغضب ، ووعظ أسامة عن أن يشفع

في حد من حدود الله، وقام على المنبر فقال: « أيها الناس، إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد. والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ». ولما سألته فاطمة شيئا من ماله تستخدم به من يعينها على شئون المنزل، فقد مجلت يدها، وضنى جسدها قال لها « يا فاطمة، لا أعطيك وأدع أهل الصفة »!

ولما قيل له إن معاذا يطيل الصلاة لم يمتنع أن يقول له: « أفتان أنت يا معاذ » ثم عنفه. ولما أراد عمر أن يتقدم للإمامة بالمسلمين في صلاتهم على مقتضى ما فهم من بلال أنه مأمور بذلك تحدث النبي صلى الله عليه وسلم في غير مجاملة ولا استحياء وهو يقول « يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر ».

وهذا وأمثاله من تعليمات الإسلام التي توحي بالشجاعة الأدبية والمواجهة بكلمة الحق هو الذي أدب المسلمين بأدب الجرأة في تغيير المنكر ومقاومة الشر ولو كان عند السلطان فيا لله للمسلمين لقد فسد الناس واضطربت أمورهم، والتاثت شئونهم منذ فقدوا ذلك الخلق الكريم العظيم، الشجاعة في جميع صورها وفي شتى مظاهرها، ولقد كان الإسلام أسبق شيء إلى تحقيقها، وهي عند المسلمين دعامة الحق وعنوان الرشاد، وطالما جهر المسلمون بمخالفة الولاة فيما يخالف وجهة نظرهم منذ كان النبي صلى الله عليه وسلم، يتقبل من عمر ومن غيره أن يخالفوه وربما عدل النبي صلى الله عليه وسلم إلى رأيهم، ونزل القرآن بموافقة بعضهم.

وبعد فقد عرفت مصر والحمد لله فضل ذلك المعنى الإسلامي العظيم فيما كتب الله لها من صحو ويقظة، ولا سيما منذ بدأت تقاوم الباطل والفساد، وتهب فتتصدى لكل علة وعناد، وحيا الله القائمين على أمرها اليوم فإنهم خير من قدر ذلك المعنى وعمل على تحقيقه وقد دعا ذلك أصحاب الأفكار والآراء والنصح ألا يبخلوا بالتوجيه الصالح، وفي إعادة حياة الشورى خير كفيل بذلك التوجيه وتحقيق للإصلاح المنشود إن شاء الله».

محمود الشرقاوي

السيرة المحمدية

تحت ضوء التحليل العلمي والفلسفي

لمناسبة مولد النبي الأعظم

قد تمر على المجتمعات في مدة حياتها أحداث جسام تؤثر في وجودها من ناحية ترابط آحادها وتماسك أجزائها . ولكنها لا تبلغ مهما عظم شأنها ما يحدث النضج الاجتماعي الذي يتم بعد مكابدتها الأطوار التي يستتبعها الاجتماع وأدواره المقررة في قرون عديدة .

فهذه الجماعة من مهاجري مكة وبعض قبائل الأوس والخزرج اللتين ألف بين آحادهما دين لم يكن للعرب في وثنيتهم العتيقة وتقاليدهم الموروثة عهد بمثله ، كانت بحاجة إلى أن تحيا حياة اجتماعية وأن تتأثر بعوامل الاجتماع وأن تخضع لأقاصيها ، ولا يكون ذلك إلا إذا وجدت تلك العوامل واستعداد الآحاد للتأثر بها ، وهي لا توجد بالصناعة ، وإن أمكن إيجاد بعضها فيتعذر إيجاد بعضها الآخر ، لأنها تتعلق بالبيئة الطبيعية وبقابلية الآحاد للتطور وبالأحوال الاقتصادية والجماعات المجاورة . وكل هذه الشئون ليس في اليد إيجادها والعقيدة الدينية على قوتها لا يتوقف على الاندماج في جماعة ، وقد عاش المسيحيون بعد عيسى عليه السلام نحو ثلاثة قرون لا تجمعهم جامعة ، متفرقين في بلاد متباعدة ، وبقي اليهود أكثر من ألفي سنة مشتتين في الأرض ليس لهم دولة . فكان لابد لأجل قيام دولة إسلامية من توافر عناصر الاجتماع في الطائفة التي أحدثت دينا فذا وهي خصوصها لأنها قبلها آمادا طويلة .

فإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم ، لأجل أن يصل إلى تأليف جماعة ، عليه أن يوجد العوامل الأدبية والمادية التي تتكاتف على إيجادها ، على الأسلوب نفسه الذي تتبعه الطبيعة في تأليف الجماعات ، فأنى له أن يوجد لها الزمان الكافي لترسيخ نتائجها في عصبية الجماعة وهو شرط لابد من توافره في تأليف الجماعات ؟

اللهم إن هذا من المحالات العلمية ، وهو في البلاد العربية التي لا يوجد فيها من عوامل

الاجتماع إلا ما يكفي لتوليد القتال يعتبر مما لا يجوز أن يفكر فيه إنسان . وكيف يجوز التفكير فيه والطبيعة نفسها تعجز عن إحداثه ، فبقيت الجماعات العربية على الحالة القبلية من يوم وجدت إلى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، لا لنقص في قواها المعنوية ولكن لعدم توافر الدواعي لتألفها . فانتداب محمد صلى الله عليه وسلم للإتيان به يعتبر محالا في تاريخ البشر ، وهو أمر لم يتقدم فيه فرد من أفراده .

ولم يخطر في رأس عبقري من عباقرته من يوم وجد العالم إلى يومنا هذا .

لا جرم أن الانتداب لمثل هذا العمل يعتبر غريبا إلى أبعد حدود الغرابة . ولكن غرابته وخروجه عن دائرة الأمور العادية لا يجوز أن يثنينا عن النظر في الوسائل التي تذرع بها محمد صلى الله عليه وسلم بإرشاد الوحي الإلهي للوصول إلى هذه الغاية البعيدة .

وأول ما وجه النبي صلوات الله وسلامه عليه همته إليه أن يجعل للجماعة التي أنشأها غاية سامية تسعى للوصول إليها . لأن كل جماعة لا يكون لها غاية تركد حيث هي وتنكمش عن الحياة عاملة بحفظ وجودها الشخصي وكيانها القومي ، وقد تلبث على هذا عشرات القرون حتى تبيد أو تفنى في جماعات أقوى منها ، فكانت الغاية التي حببها النبي صلى الله عليه وسلم للجماعة التي يرأسها أن تكون نواة الدين الذي شرع لإصلاح جميع الأديان وأن تحمي الدعوة إليه ضد كل من يحاول أن يحول بينه وبين الذيوع والانتشار .

وهذا لا يكفي في تكوين أمة ولا في إقامة دولة ولا في إنشاء كيان إنساني ، فالأمة لا يتحقق لها وجود إلا بتوافر عدد أفرادها وشغلهم حيزا ووضع الحدود بين الأمم المتاخمة لها ، والدولة في حاجة إلى مقومات اقتصادية وسياسية وأخلاقية . وهل يمكن الوصول إلى هذا كله إلا بإنشاء العلاقات بينها وبين الجماعات القريبة منها والبعيدة عنها ؟

ولكن هل هذه العلاقات مما يمكن إيجاده من غير طريق العوامل إلى توجيهه ؟

هذه العوامل تقتضي فيما تقتضيه التبادل الاقتصادي والتبادل الثقافي ، وكل ذلك يقتضي الإنتاج الزراعي والصناعي والإنتاج العسكري .

فهل كانت مدينة يثرب بالبيئة التي تولد كل هذه العوامل ؟

هذا هو الأسلوب الطبيعي في توليد الأمم وإقامة الدول . ولو صادفها محمد صلى الله

عليه وسلم في البيئة التي ظهر فيها ما كان في عمله إعجاز ، ولأمكن الخصم تعليل نجاحه بالعلل الاجتماعية ، ولو من طريق التلاعب بالألفاظ والعبث بالعقول القاصرة ، غير مقدر كم يقتضي مثله هذه العوامل من الآماد المتعاقبة والأزمان المتطاولة في شروط ملائمة .

ولكن خاتم رسل الله لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى بعد إحدى عشرة سنة من يوم انتقاله إلى يثرب حتى كانت للإسلام أمة وكانت به دولة .

إن سيرة الأرواح الإلهية أن تنفذ ولو قامت دونها جميع العوائل الطبيعية والإنسانية وقد أراد الله أن تتكون للإسلام أمة ودولة قبل أن يفارق رسوله العالم الأرضي ، فكانتا نجيبين قويتين حاصلتين على جميع عوامل النماء والنمو ، وقلبتا العالم كله من حال إلى حال آخر ، لا صوريتين وهميتين لم تلبثا أن اضمحلتا بعد وفاة موجدهما ولم تتركا أثرا .

فاذا كان في تكونهما على خلاف السنن المعروفة إعجاز يقف العلم الاجتماعي أمامه حائرا ، فان في بقائهما واستمرارهما وعظمة آثارهما إعجازا ثانيا ليس بأقل من الأول .

يستخف بعض الناس بتكوين الأمم ، فيخيل إليهم أن الآحاد في الأمة كأحجار البناء في البيت يضعها البناء حيث يشاء ، واصلا بعضها ببعض بالملاط ، فيشيد منها قصرا على النظام الذي رسمه من قبل ، هذا النظر يدل على فاقة عقلية توجب المرحمة ، والحقيقة أن الآحاد الذين تتألف منهم الأمم وتتفاعل بهم كائنات عاقلة وموجودات رشيدة لا يمكن تشبيهها بالأحجار ، والملاك الذي يجمع بينها مؤلف من روابط معنوية تشترك في تكوينها ضرورات طبيعية ومقتضيات جنسية وحاجات عقلية وروحية .

فإذا لم تنتظم جميع هذه العوامل مئات الألوف من الآحاد في وحدة لا انفصام لها طرا على هذا الوئام المحكم لم يتم ارتباطها بحيث إذا تحركت تحرك جميع آحادها اضطرارا لا اختيارا في آن واحد وعلى غرار واحد ، لا يسأل عضو عضوا لم تحرك ؟

فتخيل كيف تصل أمة مؤلفة من عدة ملايين أو عشرات الملايين إلى هذا الضرب من التكافل مع تخالف آحادها في أخلاقهم وعقلياتهم ونفسياتهم وآمالهم وأهوائهم .

فإذا رأيت أمما قائمة ولم يصادف قادتها أثرا من العوائق ، فما ذلك إلا لأن هذه الأمم كانت من عمل العادة والطبيعة لا من عمل القادة والمرشدين . والعمل الطبيعي

المألوف يجرى على أدوار متعاقبة في آماد طويلة متلاحقة تنفقها الطبيعة في التوفيق بين بين هذه المتناقضات لا يصبها في قالب واحد، فهذا جهد عاقل. ولكن باخضاعها لنظام تعاوني يحيل تصادمها الضار إلى تكافل مفيد للجماعة، كما هو مشاهد في كل جماعة قائمة.

فالإسلام بدوره قد رسم الحدود وبين المعالم ونادى في الناس أسفلهم وأعلاهم، أن دين الإسلام هو دين الفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك هو الدين القيم، وأن الأديان كلها دخلها التحريف والغير والإحداث، إلا أن هذا الدين العميق الحصين الدقيق وقف للناس في جميع الأحوال يقول لهم هذا حلال وهذا حرام. ذلك لأن دين محمد صلوات الله وسلامه عليه جاء موافقا لجميع الأديان السابقة التي جاءت بها الرسل، فكان خاتمها وتاجها وعروسها: « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ».

وذلك العامل الحق الذي أخذنا في البحث عنه هو « الإيمان » الذي غذى به محمد صلى الله عليه وسلم في روح صحابته، فجعلهم يتلقفون ما يلقى إليهم بلهف عظيم فتتكيف به نفسياتهم.

وغير خاف على القارئ الحصيف أن الإيمان أهم صرح من صروح العقائد تندرج تحته الأمور من العظائم. فبعد أن كانت الوثنية والنصرانية واليهودية مسيطرة على أمم كثيرة في الأرض، ثم جاءت من بعدها عهود اجتماعية عجزت في الخروج على كل مألوف وعرفت النواميس الطبيعية البشرية ودعوتها أيما مناجزة، جاء الإسلام على يدي محمد صلى الله عليه وسلم، فأصلح القلوب والأخلاق والنفوس. وهتك تلك الأغشية التي رانت على عقائد الجاهلية، وجرد من القلوب ظلمتها ومن العقائد شكوكها ومن العادات أوهامها.

١ — كان المشركون معددين للآلهة، فجمعهم الإسلام بالتوحيد.

٢ — كانوا يخضعون لحكم القوة والجبروت والعنف، فأخضعهم الإسلام لسلطان الحق واليقين.

٣ — كانوا يأخذون بالتقليد، فأخذهم الإسلام على حكم العقل.

٤ — كانوا يحكمون بالعادات العقلية، فجعلهم يحكمون بقانون السنن الفطرى المطرد.

٥ — كانوا قانعين بما هم عليه ، فأهاب بهم الإسلام لطلب الأفضل .

٦ — كانوا واقفين عند عالم المادة ، فعرفهم الإسلام نور عالم الروح .

٧ — كانوا راضين بالأمر الواقع ، فدفعهم الإسلام إلى تحري المثل العليا .

٨ — كانوا يأخذون بالظنون الحيرة ، فأمرهم الإسلام أن لا يأخذوا إلا بواضح الدليل كأنه الشمس في كبد السماء .

٩ — كانوا يضربون في عماية وجهالة ، فحثهم الإسلام على طلب العلم الماحي لظلمة الجهالة .

١٠ — كانوا جد حريصين على تفاوت الطبقات بلا موجب ، فقرر لهم الإسلام مبدأ المساواة في سائر الحقوق البشرية .

وبعد : فإن هذا الدين المحمدي الحنيف جاء خلاصة للأديان كلها ومبشراً بأماني السعادة على يدي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ، فحقق للبشرية جميع آمالها ورغائبها ، وكان مولده فاتحة خير وبركة وسعادة على الناس أجمعين .

عباس طه
المحامي

إلى سماسرة البغاء

عجباً لكم يا أنصار المرأة ، تملأون الدنيا ضجيجاً بسبب تعدد الزوجات ، ثم بعد ذلك تستخدمون للرجل بمئات المومسات . فالتعدد الحلال قذى في أعينكم وشجى في حلوقكم ، وأما الحرام فأنتم تستمرئونه . ولو كنتم تتألمون على كرامته والعزة نفسه ما طاوعتكم يدكم ولا لسانكم على طلبه : « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » .

مصطفى مجاهد
المدرس بكلية الشريعة

دعوة الإسلام

ومنهجها في الإصلاح

- ٣ -

تمهيد وتقديم :

حاجة الإنسان إلى هداية الدين السماوي

حاجة الإنسان إلى هداية الدين السماوي ، حاجة دعت إليها الفطرة التي فطر عليها ، وقضت بها الحكمة التي خلق لأجلها ، فإن الحياة الإنسانية في طبيعتها وأسرارها ، لها مقومات ترتبط ارتباطا وثيقا بسلوك الأفراد والجماعات ، وتتصل اتصالا قويا بمصيرهم في دار المعاد ، وتقضي قضاء جازما بحاجة المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان ، إلى هداية روحية تحرر العقول من رق الأوهام والخرافات ، وتكبت سورة المطامع والشهوات ، وتكبح جماح الغرائز والأهواء .

وترجع هذه المقومات في جملتها إلى الأصول الآتية :

الأصل الأول : ما بيناه في حديث الفطرة الإنسانية ، من أن الإنسان لم يخلق في هذه الحياة عبثا ، وإنما خلق ليكون خليفة في الأرض ، يعمرها ويمشي في مناكبها إلى أجل مسمى ، ويحمل فيها أمانة التكليف والابتلاء ، ويقوم بحقوق الألوهية والربوبية ، وتجري عليه أحكام المسئولية والجزاء ، تحقيقا لما تقضي به قواعد العدالة الإلهية ، وأن هذه الخلافة الأرضية التي خلق لها ، اقتضت أن يكون مستعدا بفطرته للخير والشر على السواء ، لتحقيق مناط التكليف واستحقاق الجزاء .

فهذا الأصل كما ترى ، يقتضي أن يكون الإنسان على بينة من صفات الله وأفعاله ، عارفا بالغاية التي خلق لها عالما بالحقوق والواجبات المترتبة على هذه الغاية ، مهتديا

بأحوال الآخرة التي إليها مرده وفيها حسابه وجزاؤه ، والإنسان مهما سما عقله وفكره ، واتسعت دائرة إدراكه وتفكيره ، لا يمكن أن يحقق هذه المطالب بنفسه ، ولا أن يصل فيها إلى الحق بمجرد عقله وفكره ، لأن العقل لا يستطيع أن يستقل بتحديد ما يجب أن يعرف من صفات الله لما يتناه من ضعفه أمام سلطان الخيال وأوهامه ، كما لا يستطيع أن يستقل بإدراك الحقوق المترتبة على حمل أعباء المسئولية وأخطارها ، وفهم ما يجب أن يفهم من أحوال الدار الآخرة وشئونها ، لأن ذلك من أمر الغيب ، وهو فوق مستوى إدراكه الذاتي وتفكيره الاستقلالي .

ومما يؤيد هذا الذي قررناه ، أن المتقدمين من كبار الحكماء وشيوخهم ، وهم من صفوة أرباب العقول المفكرة ، والبصائر النيرة ، والأحاسيس المرهفة ، تراهم في بحوثهم المتعلقة بالألوهية والربوبية ، قد وقفوا حيارى في منتصف الطريق ، وتشعبت عليهم مسالك البحث والنظر ، وتخبطوا في مباحث الإلهيات التي أفنوا فيها أعمارهم ، فعجزوا عن الوصول إلى الحقائق الخالصة من شوائب التضليل والتلبيس ، وجاءوا بعد طول المطاف بخليط من الوثنية والتوحيد ، ومزيج من المذاهب التي لا تغني من الحق شيئا ، وكان أصحهم في ذلك رأيا ، وأرجحهم حجة ، وأصدقهم حديثا ، من كان منهم على صلة بشرائع الأنبياء والرسل ، فقد كانت هذه الصلة السماوية ، تضفي عليهم قبسا من صحة النظر واستقامة الفكر .

ولهذا ربط الله المسئولية والمؤاخذة بإرسال الرسل وتبليغ الشرائع ، لا بمجرد اكتمال العقل وبلوغ الرشد ، كما قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ١٧ : ١٥ ، « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون » ٢٨ : ٥٩ .

الأصل الثاني : العوامل التي قارنت وجود الإنسان في الأرض ، وسارت معه في جميع أطواره جنبا إلى جنب ، من الأهواء المؤلمة ، والغرائز الجامحة ، وطغيان النفس في مطالبها ، ومجاوزتها حدود الاعتدال في شهواتها ، فهذا الأصل كما ترى ، يتطلب من الإنسان لكي يعيش سعيدا كريما في مجتمع سعيد كريم ، أن يكون مالكا لزمام أطماعه وأهوائه ، كابحا لسورة غرائزه وشهواته ، واقفا بمطالب النفس عند حدود التوسط والاعتدال ، وهو لا يستطيع أن يحقق هذه المطالب بدون أن يعتمد على هداية أقوى

سلطانا من هداية العقل ، فإن العقل وحده لا يكفي لقيادة الأفراد والجماعات قيادة حكيمة رشيدة ، والسير بركب الحياة على النهج الذي يحقق للسائرين سعادة المعاش والمعاد، لأن العقل يحتاج في قيادته للغرائز والقوى الإنسانية ، إلى رائد روحي يسترشد به في دقته ، ويسير على توجيهاته في نظرياته وأحكامه ، ويستعين به على مقاومة هذه العوامل والمؤثرات ، فهو أشبه شيء بالعين الباصرة ، فكما أن العين لا تستطيع رؤية الأشياء رؤية صادقة ، إلا إذا سطع عليها ضوء خارجي ، تستعين به على رؤية الأشباح والصور ، وأما ما دامت في جو مظلم قاتم ، فإنها لا تستطيع أن تقوم بوظيفتها ، وإن كانت موجودة بجوهرها ووظيفتها ، كذلك العقل في إدراكه وتفكيره ، لا يستطيع أن يتصرف في هذه المطالب مواطن الخير والشر ، ومواقع الخطأ والصواب ، ومسالك الحق والباطل ، إلا إذا سطع عليه نور من الوحي السماوي ، يمهد له مجال النظر الصحيح ، ويبين له معالم الحق ومسالك الرشاد ، ويبعد عنه غواشي الأهواء والأوهام ، ولهذا كان الإنسان في حاجة إلى هداية الشرائع والأديان .

الأصل الثالث - تفاوت العقول في نظرها إلى أوضاع الحياة وصورها ، وتحديد مطالبها وغاياتها ، وتعيين الوسائل الموصلة إلى هذه المطالب والغايات ، فإن الإنسان في حياته الفردية والجماعية ، له غاية يسعى ليدركها ، وهذه الغاية التي يسعى وراءها ، ويكافح في حياته للحصول عليها ، هي السعادة التي يحن بها حسه ووجدانه ، وتتراءى له في آماله وأحلامه ، غير أن هذه السعادة التي هي الأمل المرجى والمطلب المرتقب ، قد اختلفت أنظار الناس في فهم حقيقتها وتقدير مظاهرها ، وتعيين مواطنها وتحديد وسائلها وذهبوا في ذلك وراء الأهواء والنزعات مذاهب شتى ، حتى هوى كثير منهم في تفكيره إلى الحضيض ، فظنوا أن هذا الوجود الإنساني ، إنما هو أيام تمر ، وأعوام تكر ، وأجيال تتعاقب ، وأعمار يطويها كر الغداة ومر العشي ، وأن متاع الحياة ولهوها ، هو منتهى ما لهذا الوجود من حكم وأسرار ، وأن الموت هو النهاية الأبدية لوجود الإنسان ، فلا بعث ولا حساب ولا جزاء ، وبنوا على هذه الظنون الآثمة ، أن سعادة الفرد في هذه الحياة التي لا يؤمنون إلا بها ، لا تتم إلا بما يحقق وجوده فيها ، من حيث هو حيوان تتحكم فيه غرائزه ونزواته ، وتستعبده أهواؤه وشهواته ، لا من حيث هو إنسان جعله الله خليفة في أرضه ، وكرمه وفضله على كثير من خلقه ، وانتكست عقولهم في ذلك إلى حد الإسفاف ، فزعموا أن هذا الوجود الذي صوره إسفافهم ، إنما

يتصل بالإلحاد الذي يمثل أبشع ما يتصور من ألوان الجحود والكفران ، فليس شيء أوغل في جحود الفضل وكفران النعمة ، من إنكار الإنسان لربه وخالقه ، الذي خلقه وصوره وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، ورباه على موائد كرمه وإحسانه ، وبالإباحية الفاجرة المتحللة ، القائمة على الإغراق في متع الحياة ولهوها ، والتمرد على قوانين الأخلاق وآدابها ، والقضاء على العزة النفسية والكرامة الشخصية ، والقيم الأخلاقية والمعاني الإنسانية .

وهكذا تفاوتت الأنظار والأفهام ، وتشعبت الميول والمشارب ، وضلت العقول وعميت البصائر ، وغابت عنها الحقائق في غمرة الأهواء والشهوات ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « كذلك زينا لكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون » ٦ : ١٠٨ ، — « كل حزب بما لديهم فرحون ، فذرهم في غمرتهم حتى حين » ٢٣ : ٥٣ — ٥٤ .

فهذا الأصل كما ترى ، يقضي بحاجة المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان ، إلى هداية مستمدة بالحق من عالم الحق ، لا تقترب من أصولها نزغات الشيطان ، ولا تتحكم في نظرياتها الأهواء الجامحة ، ولا تتلاعب بأقضيتها العقول الضالة .

الأصل الرابع : أن الإنسان من حيث هو إنسان بعقله وحواسه فحسب ، كثيرا ما ينحدر بحواسه وعقله وراء الوهم والخيال ، وينخدع بأضغاث الأحلام وكواذب الآمال ، فيستعملها في تحقيق أهوائه وأطماعه ، والأهواء لا تقف عند حد ، والأطماع لا تنتهي إلى غاية ، وكثيرا ما تمتد إلى ما في يد غيره ، فيقع التنازع والتعادي بين الأفراد والجماعات ويشهر القوي على الضعيف سيف بغيه وعدوانه . وقد يصير الضعيف قويا في غده ، فيرد الصاع صاعين لخصمه ، فإن الدهر قلب ، والأيام دول ، والشر بالشر والبادي أظلم ، وبذلك تحل قواطع العداوة والبغضاء ، محل روابط المحبة والإخاء ، هذا هو شأن النفوس الإنسانية في سيرها وتفكيرها ، ما دامت منطوية على ميول جامحة ، وشهوات مطاعة وأهواء متبعة ، وليس لها مع ذلك عاصم يعصمها ، ولا مرشد يرشدها .

فهذا الأصل كما ترى ، يقضي بحاجة الإنسان في كل زمان ومكان ، إلى هداية روحية سماوية ، تحرر عقله من تسلط الوهم والخيال ، وتطلق فكره من رق الأهواء

والشهوات ، وتزن مطالب الحياة بميزان القسط والاعتدال ، وتوضح له معالم السير على الصراط المستقيم ، إذ لو ترك الإنسان وشأنه أمام هذه العوامل والنوازع ، لتشعبت فيه المسالك ، وتفرقت به السبل ، وطاحت به الأهواء ، وآل أمره إلى الزوال والفناء

ولكن الله الذي أحسن في كل مخلوق خلقه ، وأبدع في كل مصنوع صنعه ، قد أراد هذا الإنسان أن يعمر الأرض إلى أجل مسمى وأن يبلغ الكمال الذي قدره له ، ويصل إلى الغاية التي خلقه لأجلها ، فمنحه بفضله ورحمته هداية تساير مراحل السير وأطوار الحياة في كل زمان ومكان ، وتضع للسائرين في ركب الحياة أصول السير وقواعد السلوك التي تحقق لهم وسائل الحياة وأسباب البقاء ، وتدفع عنهم عوامل الشقاء والفناء ، تلك هي هداية الشرائع التي نزلت بها الأنبياء والرسل ، والتي تناجي الأحاسيس والمشاعر وتوقظ العقول والضمائر ، وتهيمن على القلوب والأرواح ، وتراقب الإنسان في سره وجهره ، وتبعث فيه من قوة اليقين وأصالة الرأي وصحة النظر واستقامة الفكر ما يتغلب به على كل ما يقف في طريق أمنه واستقراره ، ويذلل به كل ما يعترض سبيل سعادته ونجاته ؛ وبهذه المنة العظمى والهداية الكبرى ، اكتمل للإنسان أربع هدايات إلهية وهي : هداية الحواس ، وهداية العقل ، وهداية الوجدان ، وهداية الأديان . ولم تبق حجة لمحتج ولا معذرة لمعتذر ، كما قال تعالى : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ، ٤ : ١٦٥ » .

وأما ما يزعمه دعاة الإباحية والتحلل ، من أن ما وصل إليه الإنسان من الرقي العقلي والفكري ، وارتقائه في العلوم والفنون ، واتساع آفاق حضارته ومدنيته ، يقوم مقام هداية الدين السماوي ، ويمكن قادة الشعوب والأمم ، من إرساء قواعد النظام الاجتماعي والسياسي ، على دعائم العلم والحضارة وبناء المجتمعات الصالحة ، التي تكفل لأهلها الأمن والاستقرار ، وتحقق لهم وسائل السعادة والرفاهية .

فإنما هو زعم كاذب ، لا ينخدع به إلا الذين ينظرون بأبصارهم عند ظواهر الأمور ، ولا ينفذون ببصائرهم إلى بواطنها وخوافيها ، ولسنا في حاجة إلى استخراج الأدلة على كذب هذا الزعم ، من الماضي البعيد أو القريب ، ففي الحاضر أصدق الشواهد وأبلغ العبر ، فإن هذه الحضارة التي يقدسونها ويتحدثون عنها ، ويريدون الاستغناء بها عن تعاليم الدين ومبادئه ، هي التي أذاقت لأهلها شر ألوان الشقاء وأبشع أنواع الشرور ،

وأمعنت في الإباحية والاستخفاف بالقيم الأخلاقية إلى أبعد الحدود ، وأعطتها مطامع الاستعمار أسلحة للبغي والعدوان ، ومعاول للتخريب والتدمير ، حتى أصبحت هذه الحضارة نفسها ، مهددة في كل يوم بالخراب والدمار ، لأنها قامت على الفتح والاستعمار ، واستذلال الشعوب واستعباد الأحرار ، والاستهانة بحرمة العهود والمواثيق والاستخفاف بقدسية الحق والعدل ، فكانت شرا على المجتمع وبلاء للشعوب والأمم .

هذه الحضارة المادية التي يغترون بها في تضليل وتدليس ، هي التي أباحت للدول الطغيان والاستعمار ، أن يخدعوا الشعوب المغلوبة عن أمرها ، بأنهم هم الذين قرروا حقوق الإنسان بينما هم يدوسون بأقدامهم أقدس حقوق الإنسان ، ولا يرعون في حقوق الشعوب الضعيفة ذمة ولا عهدا ، إن قدروا لا يعفون ، وإذا حكموا لا يعدلون ، وإذا عاهدوا أو حاربوا نقضوا المواثيق والعهود ، واستهانوا بكل عرف وقانون ، لا يعرفون في حروبهم شفقة ولا رحمة ، كأن قلوبهم قدت من الصخر ، وأجسادهم تقمصت أرواح الشياطين ، ولا يتأثمون من الإمعان في الطغيان والعدوان ، ولو ملئوا الدنيا خوفا وفزعا ، والأرض ظلما وجورا ، والحياة شقاء وبؤسا ، بل ولو سالت الأودية بالمهج ، واختضبت أرضها بالدماء ، وتجاوبت أمواج الأثير بأنين الضحايا والشهداء ، لأنهم لا يدينون بشرائع الأنبياء ، ولا يخافون يوم البعث والجزاء ، « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ٢٦ : ٢٢٧ .

فأي إنسان يحكم عقله وضميره ووجدانه ، لا يرى فيما ذكرناه الأدلة القاطعة على فساد هذا الزعم وبطلانه ، وأن الحضارة عاجزة عن الاستقلال بإصلاح حال المجتمع ، وتحقيق سعادته في المعاش فضلا عن سعادته في المعاد .

ومما تقدم تتضح الحقائق الآتية :

١ — أن حاجة الإنسان إلى هداية الدين السماوي ، حاجة دعت إليها الفطرة التي فطر عليها ، وقضت بها الحكمة التي خلق لأجلها ، وأن سعادة المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان ، لا تتحقق إلا بالسير على هدى الشرائع والأديان .

٢ — أن العقل من حيث هو عقل تكتنفه عوامل الزيغ والانحراف ، لا يستطيع أن يستقل بوضع قواعد السلوك التي تكفل الأمن والاستقرار للسائرين .

٣ — أن العلم البشرى بكل فلسفته وفنونه ، لا يستطيع أن يستقل بإصلاح حال المجتمع الإنسانى ، وأن هذا الإصلاح لا يتحقق إلا عن طريق الجمع والمؤاخاة بين الدين والعلم ، وسيرهما معا فى معترك الحياة جنبا إلى جنب ، الدين للقيادة والتوجيه والإرشاد ، والعلم للكشف والإنتاج والإعداد ، ورجال كل لكل أعوان وأنصار ، والكل فى بناء المجتمعات الصالحة أنداد وأمثال .

٤ — أن ارتقاء الأمم فى ميادين العلوم والفنون الكونية ، إذا لم يكن فى ظلال حياة روحية دينية ، توجهه إلى خير الإنسانية وسعادتها ، فإنه يكون بلاء ونقمة للشعوب والأمم ، وخطرا داهما على الحضارة نفسها كما هو الواقع الذى نراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا ، فلو أن هذه الشعوب التى أحدق بها خطر الجبروت الحربى ، واشتدت عليها وطأة الحضارة المادية ، بآفاتها وأوزارها ، أقاموا صرحها على أساس روحى ، وساروا بها على هدى الدين السماوى ، لكانت من أقوى العوامل فى دعم روابط المجتمع وأنجح الوسائل فى إصلاح حال البشر ، ولو أنهم عادوا بحضارتهم إلى ظلال الحياة الروحية الدينية ، لوجدوا فى صحتها ويسرها وسلمها ، شفاء لما فى صدورهم المتقدة ، وسكنا لنفوسهم المضطربة ، وواقية للآلام الطاحنة ، ولعاشوا فى مجتمع سعيد كريم ، يسوده الحب والسلام ، والتعاون والإخاء ، ولكنها الأهواء عصفت فأعمت ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ٣٠ : ٧ » « قتل الإنسان ما أكفره ٨٠ : ١٧ » « إن الإنسان لظلوم كفار ١٤ : ٣٤ » .

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

العلاج الذرى فى مصر

يجرى العلاج والأبحاث الآن بالنظائر المشعة فى قسم الذرة الذى افتتح أخيرا بمستشفى المنيل الجامعى بواسطة الأجهزة المستعملة فى الوحدات العلاجية الأخرى ، ومنها عداد إلكترونى لقياس كميات الإشعاع وأنابيب حماية للإشعاعات . وقد اعتمد فى الميزانية الجديدة للمستشفى عشرة آلاف جنيه لهذا القسم ليستورد أحدث الأجهزة لتشخيص أورام المخ ، وللأبحاث الذرية التى تتطلب دقة فى التصوير ولتحليلات الدم والهرمونات المختلفة . وسيصبح هذا القسم أكبر قسم فى منطقة الشرق الأوسط .

قضيتان منفصلتان

تناولت هذه الحلقة هجمات الغرب ـ وعلى رأسه أمريكا ـ على العرب والمسلمين من زوايا مختلفة : سياسية واجتماعية ونفسية .

ومن أمانة الحق وحرية الرأي أن نناقش فئة من الناس حسنة النية غيورة على الدين والوطن . هي تتفق مع المهاجمين للغرب ، المنكرين على الاستعمار الأمريكي الجديد ، لكنها في حيرة .

نعم . إنها ترى الغرب جديرا بالهجوم والاستنكار ، غير أنها تنظر إلى الكفة الأخرى التي تستفيد من هبوط أمريكا في الميزان ، ثم تشفق من انتصار النظريات الإلحادية أو النظم الاستبدادية ، فتتردد ، وتتعثر . وتكاد تتساءل : أليست الحكمة أن نختار أهون الشرين ؟؟

وإلى هؤلاء المخلصين الغيورين ، الذين قد تتأثر عواطفهم بما في الغرب من مثل ، لكن جيوبهم طاهرة مما عنده من دولارات نسوق الحديث .

ولسنا نسوق الحديث لكي يقتنع فرد أو أفراد ، ولكنا نسوقه لأن هذه نقطة منهجية حاسمة يحسن أن تستوفي حظها من البحث الهادئ والمنطق الصريح ، إذ إننا نقف اليوم على مفترق الطرق ولا بد أن نعرف إلى أين نسير .

• • •

أول خطأ يقع فيه هؤلاء . أنهم يخلطون بين أوضاع الدول الداخلية ، وسياستها الخارجية . . .

إن القومية العربية والبلاد الإسلامية حين تقف في معترك الصراع الدولي لتأخذ حقها وتحتل وضعها لا تفاضل بين المذاهب السياسية والمفاهيم الفلسفية التي تعتنقها هذه الدول ، إنما تقيم سياستها على أساس الاستعداد لمن يريد أن يتبادل معها النفع بغير حيف ، والعداء لمن يريد المساس بمصالحها .

فليست تحتار بين الشيوعية والرأسمالية ، أو بين (دكتاتورية البروليتاريا) وبين الديمقراطية ... فهذا ليس عظيم بدير الرءوس ويفتن العقول ... إن العرب والمسلمين لم يفروا أن يتنازلوا عن شخصيتهم وكيانهم ليعتنقوا مذاهب الشرق أو الغرب ، ليحاربوا الحضارة الروسية أو الأمريكية ... إنهم عرب ومسلمون يتعاملون مع العالم على أساس المصالح المتبادلة والمنافع المشتركة ! ! !

وليس معنى أن نتفق اليوم مع سياسة دولة ونتفق معها في وجهة نظر دولية أن نحالفها إلى الأبد ، ونؤيدها في كل شيء ! ! ! هذه مغالطة ثابتة يقع فيها بعض الناس ... إن السياسة الدولية ليست جامدة خالدة ، وليست مواقف متعصبة (أديان) لا تقبل الردة ! ! إن العرب وقت الحركة العربية التي تلت الحرب العالمية الماضية كانوا - أو كان الكثير منهم - ينظرون إلى أمريكا نظرة تناسب ذلك الوقت وتتفق مع سياسة أمريكا وقتها التي مثلتها مبادئ ويلسن والتي كانت بعيدة عن الصراع الاستعماري المباشر والتي لم يكن قد عرفها تيار (العزلة) عن المشكلات العالمية .. فلما فقدت أمريكا هذا الوضع بعد الحرب العالمية الثانية ، غير العرب والمسلمون وجهة نظرهم بعد أن رأوا أمريكا تتدخل هذا التدخل السافر المعيب ! ! !

والعرب والمسلمون مستعدون أن يغيروا وجهة نظرهم من روسيا إذا غيرت وضعها وموقفها من قضاياهم .. والعرب والمسلمون لهم آراؤهم الخاصة في مسائل كثيرة يختلفون فيها مع الفلسفة السائدة عند الروس ، فليس معنى التعاون الدولي الذوبان والانصهار والتميع ، والتحالف المؤبد والتأييد على طول الخط ! ! ... وإلا فهذا تيتو يتعاون مع أمريكا ؟ ؟ وليس في هذا بدعا من الناس ... فهو شيوعي يتعاون مع أمريكا دون أن يتنازل عن شيوعيته ، ودون أن تتطلب منه أمريكا التنازل عن شيوعيته قبل التعامل معها ، وبريطانيا ديمقراطية رأسمالية تريد أن تتوسع في تجارتها مع الكتلة الشيوعية ولا تساير حليفتها أمريكا في سياستها بالنسبة للصين الشعبية - والذي لا شك فيه أن مواد

الخاصة ليسوا من الملاحظة التي يستطيعون هذا التجريد ، ومن ثم قد تروج عبارات الإعجاب بما يبدى من صمود أو إبداء أثناء هذه الفترة القلقة من صراع الدول في الشرق الأوسط .. غير أن الحقيقة الثابتة أن يظل أن هذا الإعجاب ثمن باهظ وعبء فادح ، بل الحق أن التعبير العسكري من المعسكرين هو أكثر ترويج للدعاية المناهضة له ، ولا يرد لقمع النار إلا اضطرارا .. أما إن كانت للأمة شخصيتها المصونة المتميزة فلن يرجعها اطلاعها على ما عند غيرها إلا خصبا وكمالا وازدهارا ، وهذه مهمة رواد الفكر ومدخل الأمة ولو أدوا واجبهم ، وحفظوا تراثهم ونموا شخصيتهم لما خسروا شيئا ، ولاستعادت الأمة في كل ميدان ! !

ولقد يقال : إن هناك خطر التحول الانقلابي إذا بعد التعبير الفكري ! ! والتحول الانقلابي خطر أشد إذا اتبعت سياسة الاعتبار ، لأن أعضاء التعبير تتراكم لصالح الطرف الآخر تلقائيا ، وكلما زاد الضغط زادت القابلية للانفجار ! !

لقد خاضت روسيا حربا مع بريطانيا وأمريكا ، وأثارت مقاومة الروس للألمان إعجاب الشعبين الحليفين .. وانتهت الحرب وخرجت روسيا دون أن تفقد مبادئها ، وأمريكا وروسيا لم تعتنق الشيوعية هذا الأحزاب ! !

. وأخيرا : يحصى، الذي يظل أن سياسة الحياد في أهوال الدول ، والإفادة من كل جانب يتحقق لنا منها دون خسارة مصالحنا باختيار كتلة وترجيح كفة ... نحن نريد أن نكسب الفريقين ، ولا نستعدي أحدهما ضدنا ، وإلا لما كان لحيادنا معنى .. وما أحلى اليوم الذي تتوجه فيه الدول الكبرى ميزانيات الصواريخ الطائلة لتتنافس على كسب ود الشعوب وتحقيق رفاهيتها وتقدمها المادي والأدبي ..

إن أمريكا تخطئ كثيرا حين تغلق الباب في وجوه الذين يريدون التعاون مع الجميع إذ تحتم عليهم الاختيار لن تفتحوا بعض الأبواب أو جميع الأبواب ...

. نحن إذن نريد صداقة الجميع ... هذه سياستنا الخارجية ! !

. ونحن لا نريد أن تمس هذه الصداقة استيراد فلسفات وأنظمة لداخل بلادنا ، فإن لنا شخصيتنا المتميزة وأوضاعنا الخاصة ... هذه سياستنا الداخلية .

وليست ثورتنا الأمثلة لتوضيح هذه السياسة .

ولنترك مصر وسوريا اللتين كانتا سبب مخاوف الغرب وشكوكه ... ولنتجه إلى الهند .. كل ما أصرت عليه الهند هو ألا تنساق وراء الأحلاف العسكرية : حلف بغداد أو حلف جنوب شرق آسيا . وظلت الهند بعد ذلك تتعاون مع الشرق ومع الغرب ، وتتقبل ما يستطيع هؤلاء وأولئك أن يمدوها به . وظلت الهند عضوا في الكومنولث البريطاني ، وظل نهرو مع حزب المؤتمر في حرب سياسية عسكرية في الداخل مع الحزب الشيوعي الهندي ، في حين دأب على أن يحمل أغصان الزيتون والريحان للاتحاد السوفيتي وما فتئ يحاول إدخال الصين الشعبية في هيئة الأمم المتحدة .

* * *

والخطة الكبرى أن نحكم على موقف الغرب بأفكاره ونظمه السائدة في داخله ، ونتجاهل الأفكار والنظم التي يعدها للتصدير !!

إنها بضاعة مغشوشة تماما ...

إن أمريكا وبريطانيا وفرنسا (من الداخل) شيء آخر مختلف تماما عن أمريكا وبريطانيا في الشرق .. الأوسط ، والأدنى ، والأقصى !!

لن أناقش هنا ما يصيب العدالة من خدوش جزئية داخل هذه البلاد ذاتها ، فلا شك فيه أن هناك عدالة على كل حال ، وقد أصبحت هذه (العدالة الداخلية) روحا متأصلة لدى الحاكم والمحكوم ، وقاعدة أساسية في الفكر والمجتمع والدولة ، وإن لم يخل وجه العدالة الصبوح من نمش ولمم داخل هذه البلاد ذاتها .

فمن المعروف مثلا أن اضطهاد الزنوج والمطاردات (المكارثية) ليس مما يشرف أمريكا ، واستصدار قانون خاص يبيح اتخاذ إجراءات استثنائية ضد الجزائريين في فرنسا — وهم وفقا لوجهة النظر الفرنسية جزء من الشعب الفرنسي — معناه اضطهاد طائفي عنصري في بلد ثورة الحرية والإخاء والمساواة !

لن أناقش هذا وسأسلم مع الغيورين على الوطن أن الغرب ديمقراطي ، وأن الغرب متحضر مدنيا واقتصاديا ومتكامل اجتماعيا ، وأن الغرب متدين ولا يفتأ يتحدث عن القيم

الروحية والمثل العليا ، ولا يطلقه على الشرق الأوسط إلا أنه مهد الأديان والمقدسات ـ كما قال الرئيس أيزنهاور حين قدم مشروعه للكونجرس الأمريكي .

فماذا يصيب الشرق من فتات هذه المعونات الغربية ؟ ؟

ماذا يصيب الشرق على يدي الغرب .

- الديمقراطية السياسية .
- النهضة العلمية والاقتصادية والعدالة الاجتماعية .
- الاتجاه المثالي نحو الدين والأخلاق .

• • •

الإنصاف يقتضينا أن نشهد للغرب بالديمقراطية السياسية على وجه العموم ، مهما أصابها من خدوش

لكننا نريد أن نعرف هل يحرص الغرب (هنا) على تدعيم النزعة الديمقراطية وحماية الحريات السياسية ، ويحرص على أن يتعامل مع حكومات شعبية ديمقراطية ، إذا حدثت اتفاقات معه ، عبرت بذلك عن إرادة شعبية متأصلة مستقرة ؟؟

حسبي أن أرجع بوقف لبنان العربي في الحرية ! ! إن حكومته تريد أن تستصدر اليوم قانوناً يبيح له الاعتقال مدة شهور دون تهمة أو تحقيق أو محاكمة ! !

إن شعوب آسيا وأفريقيا ـ تشكو أن هدف الاستعمار الغربي كان دائماً خلق حكومات تتعاون معه بأي شكل : (بالحبوب) ، بالديكتاتورية ، بأسنة الحراب ورصاص البنادق وصواريخ الطائرات ـ هذا أمر لا يهم !

أليس أولى بالحريصين على الديمقراطية أن يعرفوا أن تأصيل الديمقراطية لا يستورد من الغرب أو الشرق ؟ ؟

وأن أعبث العبث أن ينتظر الشعب من عدوه أن يعطيه الحرية ! ! !

فليسمعوا إن شاءوا من فلاسفة الغرب ومفكريه ، وعلمائه ومشرعيه ، ولكن عليهم أن يتعدوا بجهودهم هم ، وأن يطبقوا ما علموه بكفاحهم هم ، فلا ينتظرون أن تجيء فرنسا (الدولة) لتحتل الجزائر تقيم فيها فلسفة روسو ومونتسكيو ، ولا يتوقعون أن تسير أمريكا (الدولة) على كلمات نطق بها لنكولن أو واشنطن أو ويلسون أو جفرسون ! !

أما النهضة العلمية والوحدة الاقتصادية عند الغرب فنحن أحوج ما نكون إليهما ، ونحن أحوج ما نكون إلى اقتباس نظم الغرب في التكافل الاجتماعي : تأميناتهم وضماناتهم وتشريعاتهم النيابية ... الخ .

كذلك نحن محتاجون لدراسة مشروعات الأحزاب الاشتراكية المعتدلة في تلك البلاد .

فهل تركنا الغرب نفي باحتياجاتنا من هذه كلها ؟؟

لا .. ولا نفي هذه الاحتياجات ، دون أن ندفع الثمن الدموي الباهظ ، ثم التحالف العسكري مع الغرب في حربه المتوقعة مع الشرق ، كي نصير وقود الصواريخ والقنابل الذرية والهيدروجينية !!

ونحن نريد فقط ألا يكون لنا شأن بالغرب في هذه الأحلاف .. ونرحب بأن يكون لنا شأن في ثقافة الغرب وفي آراء الغرب

ومن الطبيعي أن تحرص روسيا على تشجيع رغبتنا في التحرر من جيوش أعدائها ، فالأحمق وحده هو الذي يريد من الناس أن يتحالفوا مع أعدائهم المحاربين .

فما ذنبنا إذن تجاه هذا الوضع الذي نجد أنفسنا فيه ؟؟

أمريكا لا تريد منا أي تعاون اقتصادي مع الغرب أو الشرق قبل أن نمهر صك انقيادنا لسياستها العسكرية ، لنقاتل أولا ، ثم نصيب بعد ذلك ، وتصرح لنا أن نأخذ من خيرها ما تشاء أو ما نشاء .

وأمريكا التي عرفت كيف أدى الانهيار الاقتصادي بأوربا بعد الحرب الأخيرة إلى أحضان الشيوعية ، وكيف اضطرت للإسراع إلى تدعيم الاقتصاد الأوربي عن طريق مشروع مارشال .. أمريكا التي عرفت هذا هي التي تحاصرنا اقتصاديا وتجمد أموالنا ، وتمنع عنا حتى القمح الذي به نقتات ، ثم تتهمنا بالشيوعية .

وأمريكا التي عرفت كيف حافظت الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية على بقية أوربا من أن تقع في أيدي الشيوعية ، وهي التي نجحت — لا الجيوش المتطاولون — في الإبقاء على أوربا الغربية — وخاصة فرنسا وإيطاليا ..

أمريكا التي عرفت هذا هي التي تتهم كل خطوة نحو رفع مستوى المعيشة عندنا بأنها شيوعية .. وتتهم كل نغمة اشتراكية عندنا بأنها شيوعية .. وحزب البعث الاشتراكي

السوري يردد دائماً أن اشتراكيته مستوحاة من احتياجات أمتنا العربية لا من الفكر الماركسي ، والشيوعيون يسخرون دائماً من هذا المفهوم القومي العجيب لفكرة عالمية كالاشتراكية ، ومع ذلك فالبعثيون عند الأمريكان شيوعيون !!

أليس لنا العذر بعد ذلك أن نوقن أن أمريكا تبني سياستها معنا على أن الشرقيين لا يصلحون للديمقراطية الغربية ... ولا يفهمون كيف يفرقون بين الاشتراكية والشيوعية .. ولا يصلحون لمستوى أرفع من الحياة الاجتماعية أو السياسية ؟؟

• • •

حيث مثالية الغرب الأخلاقية والدينية .

ونحن لا ننكر على الغرب أن الدين والمؤسسات الدينية فيه أكثر نشاطاً ، وأعمق جذوراً مما عند الشرق ... ولكننا كما قلنا لا نريد أن نستورد أفكار السوفييت حين نتعاون معهم .. ثم إن المفهوم الديني عند الغرب مفهوم غريب علينا تماماً ، ومن هنا علينا الحذر من اللبس والاختلاط .

إن الذهاب إلى الكنيسة والانضمام لجمعيات الدينية في الغرب لا يتناقض إطلاقاً مع الإباحية – أو التحلل على الأقل – في العلاقات الجنسية .. مع رقصة الروك آند رول ، مع التقاليع الوجودية .. مع الخمر والميسر والسهرات الصاخبة .. مع الاستبداد في حكم الآسيويين أو الأفريقيين !!

فهل هذا هو التدين والتعمق ، اللذان يراد أن نقتدي بهم ؟؟

نستطيع أن نقرأ للفلاسفة الغربيين في الدين أو الخلق .. ونستطيع أن نعجب بما يستحق الإعجاب ، ونقتبس ما يستحق الاقتباس .. لكن حذار من الدين والخلق عن طريق (الدول والحكومات) و (المنظمات) وخاصة التي تزعمها الدول والحكومات !

إن دين أمريكا خلق إسرائيل لتبقى ، وأقام دولة للذين صلبوا المسيح في عرف الأمريكان ... وإن أخلاق أمريكا شردت مليون لاجئ في العراء عشر سنوات ، والبقية تأتي !!

وأخلاق أمريكا (المسيحية) سمحت لها أن تعاون تيتو الشيوعي وفرانكو الفاشي لكنها أبت ضميرها لتقاطع مصر وسوريا، وتضغط على مصر وسوريا.

وتدين أمريكا (السياسي) أسبغ مشروع أيزنهاور من أجل الشرق الأوسط، مسحة القيم الروحية.

وإخلاص أمريكا للأديان أسبغ مفاهيم الإسلام (المتأمرك)، التي لا يقبل غيرها من المسلمين إذا كانوا من (العالم الحر).

فإما أن يتبع الإسلام في الشرق للتناقض الذي اتسمت به المسيحية في الغرب. وإما أن يكون الإسلام جامدا عاجزا عن (التطور) مع العصر والعلم.

• • •

وبعد، فهذا موقفنا من الغرب...

نحن نطلب صداقة الغرب، لا عداء الغرب. والغرب يأبى معنا حتى ينشد لمستكبر سيادته وطمعه علينا، ويتعامل معنا ليقتنص قسوته التي يتنعم بها ويضفي كبرياءه في دياره.

ونحن مع هذا البغي لا نريد أن نمسك للغرب حبلة، وإنما نريد أن نتوقى شره، ونفيد من خيره، كما يفيد من غيره.

فهل هناك بعد هذا من يتحرج في صدور الذين يغارون على الدين والوطن، وهذا أمر الله بعد أن نقاوم البغي حتى من الذين آمنوا «فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله». ذلك أن المؤمن لا يبغي وهو مؤمن «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون».

فتحي عثمان

التحرير العربي

قال السيد عبد الخالق حسونة (أمين الجامعة العربية) وهو في نيويورك: «إن العرب قد عقدوا العزم على أن تبقى بلادهم حرة إلى الأبد».

الإسلام والمسلمون فى نصف العالم :

ألمانيا وموقفها من العالم الاسلامى

ماذا نعرف عن المسيحية فى روسيا

ألمانيا والعالم الإسلامى :

فى مقال طويل انتقدت مجلة « الأمم الإسلامية المتحدة » التى تصدر فى تركيا تصرفات حكومة ألمانيا الغربية ضد العرب والمسلمين ، فقالت : « إن حكومة بون على وشك أن تفقد العالم العربى الإسلامى لأنها تقدم المساعدات الهائلة تحت ستار التعويضات إلى ما يسمونه بحكومة إسرائيل ، وألمانيا تعلم أن إسرائيل لن تستخدم هذه المساعدات – وفيها ما فيها من المعدات الحربية والعتاد – إلا فى شىء عليها بإراقة دماء الأبرياء من العرب والمسلمين » .

ثم أبدت المجلة عجبها من أن تضحى ألمانيا بصداقتها التقليدية مع العالم الإسلامى لكى تكسب ود اليهود ، وقالت إن هذا التصرف قد أثار الدهشة والامتعاض فى الأمم الإسلامية ، ومن جرائه أوشكت حكومة بون أن تفقد أسواقها فى العالم الإسلامى .

ثم أشارت « مجلة الأمم الإسلامية المتحدة » إلى ناحية أخرى من تصرفات ألمانيا العجيبة إزاء العرب والمسلمين فقالت : وفى الوقت الذى تتجه فيه حكومة بون إلى توثيق صلاتها مع العرب وإلى تعضيد اليهود نراها تضطهد الصحف الوطنية العربية والتى تنصر القضايا العربية والإسلامية وتسوق محرريها إلى المحاكم الإرهابية ، وضربت المجلة مثلا لذلك بما اتبعته حكومة ألمانيا فى اضطهاد « أحمد إخوان » من المسلمين وهو أحد محررى الصحف التى تنادى بأعلى صوتها بحقوق العرب فى فلسطين . وقد كان « لأكثر من ست سنوات عضوا فى البرلمان » وهو صاحب الخطاب البرلمانى المشهور الذى هاجم فيه الصهيونية مهاجمة شديدة ، وتناول تفصيل مشكلة فلسطين وحقوق العرب فيها ، فكان

أول خطاب من نوعه في برلمان ألمانيا الغربية يندد بالصهيونية ، فكان أن قدمته الحكومة أخيرا إلى المحكمة وكل تهمته أن جرؤ في الأربعتين عالجت هذه المشكلة واستشهدت بكلامه ، وأكثر من هذا غرابة أن المحكمة قررت تجريده من حقوقه كمواطن وهي الحقوق الواردة في دستور جمهورية بون الاتحادية . .

ثم مضت المجلة مضيفة قائلة : إن الدكتور أحمد نور قد رفع شكوى إلى جميع رؤساء البرلمانات في العالم العربي الإسلامي وشرح فيها تفاصيل قضيته ، وهي إحدى القضايا التنكيلية ضد أولئك الذين يعلنون بصراحة عن اليهودية العالمية في ألمانيا الغربية ، وعلى المسلمين نعلم ذلك ، ونعلم أنه لا يزال بها أصدقاء في ألمانيا سينطقون بالحق حتى النصر الأخير ، وهؤلاء الأصدقاء هم الشعب الألماني النبيل .

انتهى ما قالته المجلة الإسلامية التركية ، وكل ما قالته صحيح ، ولكن في مقام الإنصاف يجب أن نسأل : ترى من هو المسئول الحقيقي عن هذا كله ، وأكثر من هذا كله ، عما تصنعه حكومة ألمانيا الغربية تجاه العرب والمسلمين ؟

وأعتقد أن الجواب عن هذا لا يحتاج إلى بحث ، فإننا نعرف أن حكومة بون ليست إلا ألعوبة في يد دول الغرب ، وبيد أمريكا خاصة ، فهذه الدول الاستعمارية هي التي فرضت على ألمانيا مبدأ تعويض إسرائيل ، وهي التي أجبرتها على أن تدفع من دمها الملايين لتعويض الدولة الصهيونية والشعب الألماني لا يجد القوت ، وأبناؤه يهيمون في العراء بعد أن هدمت الحرب دورهم وبلادهم ، وما دام الأمر للدول الغربية وهي التي خلقت إسرائيل ، وما دام الأمر لأمريكا وهي لعبة الصهيونية ، فأحسب أن الأمر يكون من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى بيان .

إنه منطق الاستعمار ، وما زالت ألمانيا الغربية تعيش تحت وطأة الاستعمار الغربي وجيوشه جاثمة على قلب الألمانيين ، وليست حكومة بون إلا آلة في يد هذا الاستعمار تنفذ رغباته ، وتسير بتوجيهه ، فمن الإجحاف أن نعد ألمانيا مسئولة عن تلك المحاكمة للعرب والمسلمين ، وإنما هو الاستعمار الغربي وحقيقته المعروفة ، ويوم يقدر لألمانيا أن تتخلص من ربقة هذا الاستعمار ، وأن تطهر من رجسه ، فإننا سنجد ألمانيا على حقيقتها التي عرفناها على مدى الأيام .

المسلمون في روسيا :

كتبت مجلة « الإسلام » التي تصدر في كراتشي مقالا عن الشعوب الإسلامية التي تعيش في داخل الاتحاد السوفيتي فوصفتهم بأنهم ضحايا النظام الشيوعي الذي لا يعترف بالعقيدة الدينية ، وقد أوردت المجلة سلسلة من الاضطهادات والفظائع التي نزلت بالمسلمين في عهد الحكم الشيوعي الذي يستهدف تقويض دعائم الولاء للإسلام في نفوس معتنقيه كما تقول المجلة . وما أريد أن أنقل هنا شيئا مما كتبته « الإسلام » عن هذه الاضطهادات والفظائع ، لأني أحب أن أكون منصفا في هذا المقام ، ولست أدرى هل كتبت المجلة ما كتبت بدافع الغيرة على الحق والإسلام وأنها سوف تفي هذا حقائق حققتها ، أو هي ستجيب في ذلك لغرض آخر .

ومنذ أعوام ونحن نسمع كلاما كثيرا عن المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، ولكنه مع الأسف كلام الدعاية السوفيتية التي تزعم أنهم يعيشون في جنات النعيم ، أو الدعاية المضادة التي تؤكد أنهم يقيمون في الدرك الأسفل من السعير ، وفي غمرة الدعايات ضاع ما الحقيقة التي يمكن الاطمئنان إليها ، والتعويل عليها ، وإني لأعجب للهيئات الإسلامية في شتى العالم الإسلامي كيف لا تفرغ لهذا الأمر فتوفد بعثة من رجالاتها يطوفون بتلك الأرجاء ويقفون على حال المسلمين فيها بأنفسهم ، ويسوقون ذلك للمسلمين حتى يطمئنوا على أولئك الملايين من إخوانهم في حياتهم وفي عقائدهم .

إنه فيما أرى عمل واجب ، فإن من التفريط أن تضيع حقيقة الحال لعشرات الملايين من المسلمين في غمرة الدعايات المتضاربة ، فهل للهيئات الإسلامية أن تبادر إلى النهوض بهذا الواجب ؟!

محمد فوزي عبد اللطيف

يهود المغرب

أصدرت حكومة المغرب قانونا بمنع الهجرة الجماعية إلى إسرائيل ، وطردت أعضاء الوكالة اليهودية في طنجة ، وأن ٩٨٠ يهوديا من الذين يعيشون في طنجة منعوا من مغادرة البلاد نتيجة لهذا القانون ، وأن ١٤٠٠ يهودي آخر كان ينتظر أن يغادروا البلاد في الشهرين الماضيين لولا صدور ذلك القانون .

وقد ألف اليهود جمعيات سرية في طنجة لتهريب اليهود سرا إلى إسرائيل ، لكن حكومة المغرب واقفة لهم بالمرصاد .

الروح

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ،
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . قرآن كريم

آمنت بالله القوي المبدع ... مالي يدان بكشف ذاك البرقع
ذهب الذين تطلعوا لم يظفروا ... ورجعت بعدهم عن المتطلع
لا لا سبيل إلى الوصول فكلنا ... ألقى عصاه وما استقر بموضع
ومحت أداة العلم كل جبينة ... فإذا انتهى للروح أخفق لم يع
أرغمته قسرا ولولا أنه ... ألقى السلاح مسلما لم يقنع
ضاقت به أرض فسار محلقا ... بك واعتلى الأمواج غير مروع
يا روح أنت شعاع كل محيا ... تجلين ظلمته بنور ساطع
أما حجابك مذ جعلت قصره ... عند الإله ولا سبيل لطامع
أنت الصحاب على بساط مسرة ... يتقلبون مع الحديث الممتع
وأراك إن طوى البساط جميعهم ... متوجعا بتحسر على متفجع
أنفاس من وجدوا وصوت نشيجهم ... يا روح أنت ودعوة المتضرع
لله أنت محجب أسراره ... أنى اتجهت لغاية سارت معي
للنور المبين أنت ولطالما ... تمضي ماشئت أن تمضي
عجبا تكاد لقربها تدنو إلى ... لمسي فإن حاولته لم أستطع
إن الذي أدريه أنك قوة ... دلت لسلطان القوي المبدع
ما كنت عزمة إلبا وحلة ... صرنا لتركك أن يحل بمقطع
وأراك بعد رحيله مرحية ... «ولو استطعت إقامة لم ترجعي»[1]
الجسم أنت بنيته وأراك إن ... هدم البناء نزحت لا لا تجزعي

---

[1] الشطر الذي بين القوسين لشوقي من قصيدة « النفس » .

لك عودة يا روح بعد ولنها … عهد وما عهد له بمضيع

ويحن عليك إذا خبت محاه … مسروجة بنور علوى مشعشع

أذاك تسبيح النبى محمد … والروح عيسى بن البتول فأشرعى

صونى جلالك أن يهون بطونه … يا روح صونينى به وروعى

يا روح أنت إذا صعد بك مؤمن … وأتى بما لم يأته لم يبدع

مثل عصا موسى فى روائع آيها … ومثل الكليم معاوقا لم يسطع

ومثل السفينة والغلام .. فإنما … خلقت بآى كالضياء الساطع

هى إن صمت منحتك عما غائبا … وحمت نفسك فى تقى المتواضع

لا لا غل أرامها دهرا بها … وكن الخشوع بها لأروع موضع

أعطيتها لأصير روحا صائبا … ويحن عرفت وما انتفعت بما أعى

توفيقك اللهم كى أرقى بها … متخلصا من كدرتى شرعى

جسمى وروحى أنت أقرب منهم … ربى بقربك كل إلهى رامى

فلعلى الروح أسكن جنة … قد صورت بيد العلى المبدع

سيد عبد الرءوف سيد

المدرس بمدرسة أسيوط الثانوية للبنات

أزياء السيدات

قال النائب سيد جلال فى جلسة مجلس الأمة يوم ٢٥ ديسمبر .

إن الدستور نص على أن الأسرة أساس المجتمع ، وأن الدولة تحمى المواطنين ، والذين يحكمون مصر منذ خمس سنوات هم أكثر الناس احتشاما ومحافظة على الآداب العامة . وطالب الحكومة بأن لاتقف من هذا الموضوع موقفا سلبيا ، كما طالب بأزياء خاصة للطالبات الجامعة والمدرسات والموظفات .

فأكد له وزير الداخلية اهتمام الحكومة بالآداب العامة ، وقال : إن مثل هذه المسائل الحساسة يجب أن تؤخذ بحذر ، وأن تدرس دراسة وافية قبل اتخاذ إجراءات معينة . وقد تشددت حكومة الثورة المظفرة فى كثير من المسائل المتصلة بالآداب العامة ، وإن الحكومة مهتمة بالاتجاه الذى ينادى به السيد العضو .

أخي العربي

مناجاة الروح للروح ، وهتاف القلب للقلب ، ونداء الدم للدم

أخي العربي :

أخوتنا لم تعد كامنة وراء الحدود الإقليمية تخشى عبورها أو تهاب اجتيازها ، بل ستعبر بوجودها كل ما صنعت يد السياسة من الحدود والحواجز حينما ترن الصيحة : أخي العربي .

لقد وحدت العروبة بإيمانها وشرف وحدتها ، وبوعيها ويقظتها ، تحت لواء القومية العربية ، فحطمت القيود ، وامتهنت هذه القيود وسخرت من صانعي القيود حينما أدى البعث ونادى مناديه . أخي العربي .

إنها أخوة في الله تنبثق من الإيمان الذي تعمق به القلوب ، وتحيا بحرارته القلوب ، وتستمد وجودها منه القلوب . وإن الأخوة المنبثقة من هذا الإيمان لتسخر من الدولار ومن عابدي الدولار حين تستهدف العروبة ببراثن المستعمر أو تلتف حولها مخالب الطمع فتصيح : أخي العربي .

وإنها أخوة في الدم الذي تنبض به العروق ، والذي ورث فينا وورث عن الآباء أعظم معاني الشمم وأصدق آيات الإباء ، فالدم المصري في كرم عنصره أخ للدم السوري في طيب أصله ، وكلاهما أخ للدم العراقي في عراقته والأردني في شرفه والجزائري والتونسي واليمني والسوداني في صفاء معدنه ، وكله وليد الدم العربي الذي كان يعيش في الحجاز ونجد في صدر الإسلام عصر الكفاح والقوة ، ووحدة الأخوة في الدم تأبى أن يجد بينها المتآمرون على العروبة كوة يديرون فيه تآمرهم أو يصبون سمائمهم ، كما تأبى أن تعلق بها

الشوائب الخبيثة أو يعيش على حساب المستغلون ، وإنها ستخنق حشوداً غاشمة تعرف المتآمرين وأذناب المتآمرين حين يدوي النداء : أخي العربي .

وإنها أخوة في الوطن الوطن العربي الكبير الذي يمتد من المحيط الأطلسي في أقصى الغرب إلى الخليج العربي في أقصى الشرق ، الوطن الذي يعيش على أرضه الملايين من الشاعرين الأباة الذين عانوا مرارة الذل ولم يستمرئوا قسوة العبودية ، وهذه الأخوة الوطنية ستقتحم جبارة عنيفة من الجبال والسهول والوديان والأغوار والكهوف والمعاقل والحصون والقصور والأكواخ ، من كل شبر في أرض العرب ، فتصعق بصلف المغرورين حين تسمع الصيحة . أخي العربي .

أخي العربي .

إنه صراع بين العروبة وأعدائها ، صراع بين العدل والظلم ، صراع بين الإنسانية السامية ووحشية الغاب ، شهدت أرض الجزائر معركته الأولى ولم تزل تشهد شمس كل يوم مجزرة بشرية على أرضها ، ولم يزل السفاحون يدعون أنهم حماة الإنسانية ودعاتها ورسل السلام ودعاته ، ولن ينخدع شعب الجزائر ولن تلين قناته ، بل سيظل يكافح غير قانط من نصر الله ولا يائس من رحمة الله ، وحسبه الأخوة العربية فهي خير سلاح يعتز به في معركته .

ثم زحف الصراع ليفتح جبهة أخرى فكانت على أرض مصر المعركة الثانية ، وكان الصبر والإيمان والأخوة العربية خير أسلحة المعركة التي أحرزت بها مصر نصرها ولم يزل مثل الغرب في هذه المعركة الطامعة ، بل تغير وجه المغير وتطلع إلى أن يطل على أرض سوريا الحبيبة المعركة الثالثة ، ولكنه سيجني هنالك الدمار ، سيجد المعجزة التي لا تقهر ، وسيرى صنع المؤامرات كيف يدحره صنع المعجزات .

إن الأخوة العربية يومئذ ستنبعث من وراء الحواجز والحدود غير عابئة بالدمى المسحورة التي صنع منها الدولار أشباه رجال ، ستنبعث لتمحق عتو العتاة وتكوي كبرياء الطغاة ، ستنبعث لتطهر أرض العروبة من الاستعمار ومن قواعد الاستعمار .

ثم هو صراع يا أخي العربي بينك وبين العواصف التي تستبد بك وتعبث بمصيرك وتلهو بحريتك وتلعب بكرامتك ، وتصد من حاجتك معارج شهواتها ، فلا تستسلم أبدا ، ولا تهن أبدا ، ولن يخذلك الله أبدا .

أخي العربي : إن يدي في يدك أمام تطاول الأحداث وتصاول الملمات قوة تتحطم أمام بأسها أعتى الزلازل وأقسى الشدائد .

وإن قلبي وقلبك في ميادين الكفاح سلاح يتحطم أمامه في يد العدو كل سلاح .

وإن إخلاصي وإخلاصك عدة تقضي على تآمر الغاصبين .

وإن ثقتي وثقتك هي النور الذي يطلع من دنيانا الرهيبة المشحونة بأشباح الموت فيبزغ به صبح الأمل والحياة .

فلنقتحم معا عباب الأهوال ، ولنستعذب مرارة النضال ، فإما إلى النصر ، وإما إلى القبر معا .

محمد محمد خليفة

المدرس بمعهد القاهرة

خريطة عربية لسواحل أوربا

من القرن السادس الهجري

قامت بعثة جامعة الدول العربية لتصوير المخطوطات بزيارة مكتبة الأمبروزيانا ، وقد عثرت فيها على خريطة عربية من القرن السادس الهجري تبين الطرق البحرية التي كان الملاحون العرب يسترشدون بها بين إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وأسبانيا عندما يعبرون إليها من سواحل شمال أفريقية ، وهذه الخريطة دقيقة جدا ولا تكاد تختلف عن الخرائط العصرية ، وقد أثبتت فيها أسماء الثغور والبلاد الأوربية بالحروف العربية كما كان ينطق بها البحارة العرب في العصر السادس الهجري .

حصوننا مهددة من داخلها

دعوة الاستعمار إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام

تعددت مصادر الثقافة في عصرنا وتنوعت ألوانها ، فلم تعد المدرسة وحدها هي المصنع الذي يصنع فيه الرجال وتصنع الأجيال ، فقد أصبح ينافسها في هذا الميدان كثير من القوى الجديدة التي ولدتها المدنية الحديثة ، ينافسها في ذلك المطبعة بما تخرجه من كتب ومن صحف ومن نشرات ، وتنافسها فيه الإذاعة بما توجهه من كلمات وألحان في مختلف الصور والألوان ، وتنافسها فيه السينما بما تجسمه لوحتها الخداعة من حكايات وما تعرضه من فنون وشئون ، وتنافسها ألوان أخرى أقل أهمية ، مثل المحاضرات والندوات والمسامرات والمؤتمرات ، التي تعقد في الأندية وفي المواسم تختلف صورها وفي الجماعات ، ومثل شركات تسجيل الأغاني ، ودور اللهو والتمثيل .

كل هذه الألوان من مصادر الثقافة في عصرنا تبين أن وزارة التربية والتعليم لم تعد وحدها في هذا الميدان ، وأنها لا تستطيع أن تنهض بعبئها ما لم تجد عونا يشد أزرها من كل هذه الأدوات الصحيحة ، ومن العبث الخاسر والجهد الضائع أن تنفق هذه الوزارة ما تنفقه من جهد ومن مال بينما الأدوات الأخرى تتعقب جهودها وآثارها ، تناقض ما أبرمته ، وتشكك في فكرته ، وتدعو إلى ما حذرت منه وحرمته ، وتقيم للناس مثلا وتبدع لهم طرائق وعادات مما تقترحه أو تختلقه ، هي على نقيض ما تريد المدارس أن تزرعه وأن تؤسسه في أخلاق النشء ، وتصرف القراء عن الجد من القول إلى الهزل ، ومن النافع المثمر إلى التافه الغث ، فتخلق أمزجة فاسدة باردة لا تجد لذة ومتاعا إلا في الساقط من القول واللهو من الحديث . من الواضح أن الدولة التي تنفق أموالها وتستهلك جهودها وقواها في إنشاء المدارس وفي إعداد القائمين عليها وفي إحكام نظمها وبرامجها وألوان النشاط فيها ، ثم تسهو بعد ذلك عن هذه القوى الخطيرة التي تشاركها في هذا الميدان ، فتترك سبلها ومنابعها مفتوحة لشهوات المأجورين والمخدوعين ومطايا الشياطين من الحاسدين والمفسدين ، تفعل ذلك تقديسا للوهم الذي أقامته الثورة الفرنسية

اليهودية وزخرفت له اسماً خداعاً خلاباً سمته «حرية الرأي» أو «حرية النشر» أو «حرية الفرد»، وما هو في حقيقة الأمر إلا وسيلة اليهودية العالمية لإفساد الجماعات وهدم كل الأديان، حتى يتمكنوا من السيطرة عليها جميعاً بعد أن يقضوا عليها قضاء مبرماً [1]. إن الدولة التي تعمل هذا كالنافخ في قربة مقطوعة، أو الجابي في حوض مثقوب.

وقد أنشئت في مصر وزارة للإرشاد القومي نرجو أن يكتب لها التوفيق فيما نهضت به من عبء ليس بالهين ولا بالقليل. وواضح من اسم الوزارة أن مهمتها هي الإرشاد، أي الهداية التي تنقذ من الغي والضلال، وتهذب الطبائع والخصال. فليس من عملها أن تستجيب لأهواء الناس وتتبعهم فيما يشتهون، لأنها تقود ولا تقاد، ولأن مهمتها ـ كما يدل عليه اسمها ـ هي الإرشاد، وليس التسرية ولا التلهية والترفيه، وإن كان بعض ذلك قد يقصد تبعاً للإرشاد، فلا يكون مقصوداً لنفسه، ولكنه وسيلة لما أنشئت له هذه الوزارة الخطيرة من أمر. ثم إن هذا الإرشاد محدود بحدود، مقيد بقيود، فهو إرشاد قومي، أي أنه يخدم هدفاً معيناً هو خدمة قوم بعينهم لهم دين معروف ولهم قيم خلقية واجتماعية محددة مقررة، ولهم سياسة ومصالح رسمتها الدولة في دستورها وفي قوانينها. فإرشاد هذه الوزارة إذن هو في حدود واضحة بينة المعالم والمناهج، وليس متروكاً لشطحات الشاطحين ونزعات النازعين من كل ذي هوى يزعم أن ضلاله هو عين الرشاد.

---

(1) أكثر الناس يجهلون أن شعار الثورة الفرنسية اليهودية: «الحرية والإخاء والمساواة» هو من وضع مجمع يهودي للماسونية، وهو شعار لم يخدع إلا الأغبياء. واليهودية إذا صح لمؤامرتها بنشر الفساد، وأنها في هدم سلطة الكنيسة وتقويض كل القيم، باسم الحرية. وحماها في الوقت نفسه من تعصب المسيحيين على الأقلية اليهودية التي تستأثر بالسلطة عن طريق المال، باسم الإخاء والمساواة. ومن أعجب ما يخضع له الناس من أوهام، مما روجه اليهود، تسمية الصحافة «صاحبة الجلالة»، وإعطاؤها هالة من القداسة تسمح لأي أفاق مدسوس على قومه، أو فاسق مريض النفس والفكر، أن يختلق من الأضاليل ما يريده وما يراد له، وأن يجترئ على صنوف التدجيل من الأحداث والأخبار، والحط من مصاف الشعوب، باسم العلم والثقافة والحرية والتمدن، ما دام قادراً على تأثيث دار الصحافة بماله أو بمال غيره. وسيطرة التنظيمات اليهودية على الصحافة العالمية وعلى وسائل النشر مشهورة معروفة، فرواج هذا الوهم بين الناس باسم «حرية الرأي» هو أكبر ما يمكن للصحافة اليهودية ويدعم سلطانها.

ويضع للهداية والإرشاد مقاييس لايدرى أحد من أى جاء بها ، ويصرف الخير والحلال تصريحات ينكرها ديننا وخلقنا ، ويسوق القول فى مضايق ومآزق تعارض ما رسمت الدولة لنفسها من سياسة وما وضعت الأمة لنفسها من دستور .

ومع ما يدل عليه اسم الوزارة من معنى محدد يرسم منهجها بما لا يكاد يحتمل لبسا أو غموضا فالمتأمل فيما يخضع لها من مصالح وأقسام وإدارات يجد عجبا فيما يعرض من متناقضات ، يخيل إليه معها فى كثير من الأحيان أن مخالفة المنهاج أمر مقصود من فاعليه ، لم يتورطوا فيه عن خطأ أو نسيان .

خذ لذلك مثلا من الإذاعة . فالسياسة التى تجرى عليها هى إشباع الشهوات لا الإرشاد،وهى فى كثير مما تبثه أجواء الأرض من كلمات أو أصوات تفسد ولا تصلح وتغوى ولا تهدى ، وتحتاج لمرشد مع أن مهمتها هى الإرشاد . فقصصها المسلسلة مثار للمرح الذى يطلق النفوس ويسقم الناشئة ويجنح بطباعهم إلى الانحراف ، بما يدور حوله سياقها من جرائم تظهر عتاة الأشقياء فى مظهر الأبطال ، وبما تعرضه من نماذج لنفوس عليلة مريضة ، وبما توحى إلى أبنائنا وبناتنا من سلوك منحط سافل يتحدى خلقنا الإسلامى بما يروونه ويرددونه من مبتكرات الوهم الكبير الذى يسمى « علم النفس » وبما تقدمه لهم من نماذج لأساليب الكتابة والخطاب فى أحاديث الغرام ورسائله وتأوهات المحبين والمحبات ، وتأوهات المتهالكين والمتهالكات من الخليلين والخليلات .

وقد يكون تأثير مثل هذه الحكايات الملفقة والحوادث المصنوعة ضعيفا على كبار النفوس وناضجى العقول من ذوى التجربة والمثقفين ، لأنهم لا ينخدعون فيما يسمعون ، فهم دائما على ذكر من أن الذى يسمعونه هو مجرد أوهام لا تمت للواقع بصلة ، ولكن الشباب والأطفال وضعاف العقول لا يفرقون بين ما يسمعونه فى الإذاعة وبين ما يشاهدونه فى الحياة ، ولا يميزون بين القصة التى شاهدوها على لوحة الخيالة وبين واقع الأمر فى الحياة . فهم ينخدعون انخداعا كاملا فيما يرون وما يسمعون من ذلك كله ، فتجذبهم الأحداث إلى المباهج تارة وإلى البكاء تارة أخرى ، وتنطبع آثارها فى نفوسهم فتصبح جزءا أصيلا من مشاهداتهم وتجاربهم ، بل إنها تصبح أصل من كل ما شاهدوا وما جربوا لما يحيطها من عوامل الإغراء والإقناع والتأثير التى أنفق فيها مخرجوها وبذلوا فى ذلك أقصى الطاقة والجهد .

فإذا انتقلنا من القصص إلى البرامج الأخرى من احتفالات أعيادنا سمعنا أسئلة توجه إلى الزوجة الساذجة وإلى فتيات البيت المحافظة عن العشق والغرام طلبت إجاباتها إلى تقدم المرأة المصرية بعد أن زالت عنها أمراض (داء) أعياء القديم . كما نسمع صخبا من المحرورين والحشاشين وعتقاء السجون ، ونسمع خلال ذلك بعض الأغاني من أصحاب الصنائع القليلة المستقيمة مما يطلبه هذا الحشد الذي لا أدري أهو مصنوع ، أم أن الصدفة وحدها هي التي أعدت جمعه وجمعته .

وإذا أرادت الإذاعة أن تسرى عن مستمعيها وتذهب عنهم ما ألم بهم من الملل ، من آثار ذلك (الجد) الذي عرضنا بعض نماذجه ، أسمعونا في ساعة فكاهية – وما أظن أن القلوب المقصودة بالخطاب إلا قلوب الفارغين والعاطلين – سيلا من الشتائم النابية ، والمهاترات الفظة الهابطة ، التي لا ترعى حرمة ولا تصدر عن لفظ ، ورأينا تسفلا إلى أحط المستويات الخلقية والاجتماعية ، تقدمه هيئة كان يظن أن مهمتها هي الارتفاع بالمستمعين إلى مستويات فكرية أرقى ، وليست هي النزول بالمستمعين إلى مستواهم .

وأعجب ما يحتج به القائمون على هذه البرامج وعلى غيرها من ضروب التلهية شيء جديد من مبتكرات هذا العصر ، افتتن به القرود المقلدون أيما افتتان ، ووهبت له مصلحة الفنون وعلى الآداب شطرا كبيرا من جهودها ، اسمه « الفولكلور » . والفولكلور (Folklore) اصطلاح ظهر في أوربا في منتصف القرن الميلادي الماضي ليدل على الدراسات التاريخية التي تتصل بعادات الشعوب وتقاليدهم وطقوسهم وخرافاتهم وأساطيرهم ومعتقداتهم وفنونهم وما يجرى على ألسنتهم من أغان أو أمثال أو شتائم أو صرخات أو أهازيج ، يدرس ذلك كله من خلال الآثار والعاديات ، كما يستقصى آثاره الباقية في الجماعات البشرية المعاصرة . وقد انصرفت هذه الدراسة في أكثر الأحيان إلى المجتمعات المتخلفة وإلى المستعمرات ، بقصد التعمق في تحليل نفوس أصحابها وإدراك دوافعها ونوازعها ، وفهم ما يتصل من عقلها وتفكيرها من منطق ، بغية الوصول إلى أمثل الطرق وأحذق الخطط للتمكن منهم واستغلالهم واستدامة عبوديتهم (١) . ولما استولى علينا حب التقليد الأجنبي في الشر والخير ، كان من بين ما ابتلينا به أننا أصبحنا لا نحجب

---

(١) كذلك نشأت هذه الدراسات في أول أمرها ، وإن كان هذا لا يمنع من أنها قد اتجهت في السنوات الأخيرة إلى دراسة المجتمع الأوربي في مختلف البلدان والبيئات .

بأثر من آثاره أو عادة من عاداته حتى نسمع تقريظ الأجنبي لها وتقريظها تبعاً له ، أو نرى اهتمامه بها وعنايته بدراستها فندرسها اقتداء به . وقد ظلت « ألف ليلة وليلة » دهوراً لا يكترث لها إلا السوقة والقاصرون وأصحاب المجون حتى رأينا الأجانب يترجمونها ويوهمون الناس أن حياة الشرقيين ليست إلا صورة مما تسوقه أقاصيصها ، فتنبه علماؤنا عند ذلك لها ، وتناولتها أقلامهم بالدراسة والتصحيح والتهذيب والاختصار . وكذلك كان شأننا مع دراسات « الفولكلور » . ولما كنا نجهل أهدافها الحقيقية الأولى ظننا أن المقصود هو الإشادة بهذه الألوان الشاذة حيناً ، والبذيئة حيناً آخر ، والمضحكة تارة أخرى ، فاتجه همنا إلى الدفاع عنها وتمجيدها ، والمحافظة عليها وتخليدها ، برغم أنها هدف القوى الخبيرة الذى لا ينفك عنا ولا ننفك عنه ، وكثر حماة المتخلفين وتهريج المهرجين باسم الشعب والشعبية . وأصبح الداعي إلى الترفع عن الشناعات والبذاءات وقبيح العادات وساقط الأساليب والفنون يتهم عند بعضهم بعداوة الشعب وبالترفع عن عامة الناس وبأنه من بقايا الإقطاعيين والأعيان والذوات أو من خدامهم في العهد البائد . وأصبح قصارى ما يصيح به أحد هؤلاء في وجهه وما يقذفه من حجة إذا عارضك فيما تبينه من الحرام والحلال ، وما تضعه من الحدود بين المحظور والمباح ، أن يسوق إليك جملا من عادات بعض الجهال أو مذاهب الفراعنة ، يعارضون بذلك الإسلام ، كأن الفرعونية دين أو مذهب خلقي ، وليست مجرد عصر تاريخي يجوز فيه الفساد والضلال ، وكأن عرف الجاهلين والدهماء دليل يعارض به الشرع ، ومثل أعلى يحمل عليه ناشئة هذا الجيل .

وأكثر ما كان هذا الشطط في مذاهب دعاة الفرعونية والانفصاليين الذين كانوا يعارضون الإسلام والعروبة بالفرعونية في الفترة التي تلت إلغاء الخلافة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى . فقد كان يزعم هؤلاء الغلاة من الانفصاليين أن تغير الدين في مصر من الوثنية إلى المسيحية ثم الإسلام ، وتغير الكتابة واللغة فيها من الهيروغليفية إلى العربية لم يقطع ما بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة من صلات ، وكانوا يحاولون رد حياتنا المعاصرة في مختلف مظاهرها إلى أصل فرعوني قديم ، ويدعون إلى أن تقوم نهضتنا على بعث المجد الفرعوني القديم مثلما قامت النهضة الأوروبية الحديثة على بعث التراث اليوناني الروماني في عصور الوثنية السابقة على المسيحية .

ومن هنا كان اتصال هذه الجماعة من المارقين الموكلين بتمزيق شمل جماعة العرب

والمسلمين عما يسمونه « الدراسات الشعبية » أو « الفولكلور » ، إذ دعوا الأدباء والكتاب إلى البحث عن مواضع الاتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة في ميادين الأدب وكتب العقائد وطقوس العبادة وموروث التقاليد والعادات في شتى نواحي الحياة كما دعوا إلى إنشاء أدب خاص وفن مستقل في التصوير والنحت والموسيقى ، يعبر عن نفسيه المصري الحق . وقد وصف أحد دعاة هذا المذهب وقتذاك الأدب الذي يعنيه بأنه (مستقل عن آداب الشعوب الشرقية الأخرى الناطقة بالضاد) لأن (اللغة العربية ليست لغة شعب فحسب ، بل هي لغة شعوب وأمم عدة تنطق وتكتب بها ، فنحن في حاجة إذن إلى تقريب هذه اللغة إلى أذهاننا لتعبر عن خواطرنا ، وليس أدل على ذلك من ضرورة خلق أدب قومي تكون لنا غيرة عليه ، ويكون في استقلاله بعيداً عن كل المؤثرات التي تجعله أشتر كما هو) .

ولم يكن هؤلاء يخفون أنهم متأثرون بالأوروبيين في دعوتهم هذه ، ولم يكونوا يتحفظون في دعوة أنصارهم إلى الاحتذاء بكل ما صنعه الأوروبيون وما ألفوه في هذا الباب . وكانوا يجاهرون باتخاذ القدوة من اللغات الأوروبية الحديثة التي نشأت على أنقاض اللغة اللاتينية ، حين كانت هي اللغة التي يكتب بها الشعر والنثر والقصة والأدب في أوروبا كلها (ولكن شعور كل شعب بقوميته واعتزازه بوطنه واعتداده بنفسه ، حدا به إلى أن يتحرر من إسار اللغة اللاتينية وإلى أن يكون مستقلا في آدابه عنها ، موحداً جهوده في سبيل تهذيب لغته وطبعها بطابع قومي خاص له روعته وجماله) . وفي سبيل تحقيق هذا المثال كان هؤلاء يقولون : إن واجبنا هو (أن نبث في الشعب روح القومية وروح الإنتاج الحق) وأن (أول ما يلي وجوهنا ، فيكون شطر الأدب الفرعوني قبل كل شيء ، فهو تراث الآباء والأجداد ، فإن لم يكن بالكاتب ميل كبير إليه أو وجدان يستمده من الأدب الفرعوني فليول وجهه شطر الأدب الريفي) . وكان دعاتهم لا يفترون من تأكيد أن (الأدب المصري الذي نعنيه هو أدب محلي يصور الحياة المصرية والقومية المصرية وحدها ، فلا نعني به أدباً شرقياً - كما أبهم على بعض الكتاب الأفاضل - يتناول حياة الشرق العربي أو البلاد الشقيقة المجاورة) .

وكانت هذه الجماعة التي تصدر (السياسة الأسبوعية) لساناً لها تريد أن تكون (جماعة تقتصر على الكتاب الناشئين ، تعنى بتهذيب ملكاتهم وجعلهم أكثر إنتاجاً وأكثر استقلالا في الفكر واعتماداً على أنفسهم وعلى مصريتهم) . وكانوا يعدون الدكتور هيكل رئيس تحرير تلك الصحيفة قدوة لهم ، ويشيدون بقصة له ظهرت وقتذاك تحكي عن

الريف ويجرى الحوار فيها بالعامية، وهى قصة «زينب» التى كانت أول مظهر على لوحة الخيالة من الإنتاج المصرى حين كانت صورها صامتة؛ وكان من بين ما يقترحونه من الوسائل إلى خلق هذه الروح المصرية فى النشء، توجيه المسرح المصرى إلى الناحية القومية وجعله مسرحا مصريا روحا وقوة وإنتاجا، والعناية بالأناشيد القومية وجعلها تصور على قدر الإمكان أمانى المصريين وآمالهم، والعناية بالأدب الشعبى والأدب الريفى [١].

ولعل هذا القدر الذى قدمته كاف فى توضيح خصائص هذه الدعوة والكشف عن خطورة أهدافها، التى لا تخدم إلا مطامع الغرب، الذى يتوسل إليها فى البلاد العربية وفى العالم الإسلامى بتشجيع أوصالها وبث روح التنافر والتدابر والتقاطع بين أفرادها وجماعاتها، استدامة للوضع الراهن الذليل الذى كانت فيه، وتحاشيا لاتحادها الذى يؤدى إلى قوتها وتمردها على هذا الوضع. وقد أشرت فى مقال سابق إلى أهداف الأوربيين والأمريكيين من الدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام، تلك الدعوة التى ظهرت فى وقت واحد فى كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمال أفريقية وفارس والهند وأندونسيا. وكانت مظاهرها فى كل هذه البلاد واحدا وكانت أساليبها متشابهة [٢].

ومن الواضح أن ألاعيب الاستعمار فى هذا الباب قد انكشف أمرها ولم تعد تخفى على ذى بصر. فقد تنبه إلى ما يراد من تفريق شمل العرب والمسلمين، كما بصرت التجارب الأخيرة بما يمكن أن يعود على ذلك المجموع العربى والإسلامى من خير نتيجة لتضامنه واتحاده. فكل ما يقصد إلى زيادة هذا الاتحاد قوة فهو صادر عن باعث خير يستهدف صالح ذلك المجموع. وكل ما قصد إلى توهين هذا الاتحاد وبث روح الفرقة والعصبية الجنسية والشعوبية الجاهلية بين أفراده فهو لا يخدم إلا أهداف العدو ولا يورث إلا الضعف.

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى بجامعة الإسكندرية

---

[١] لمن شاء التوسع فى ذلك أن يعود إلى صحيفة [السياسة الأسبوعية] فى أعداد ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٦ و ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٧ و ٧ يناير سنة ١٩٢٨ و ٢٨ يونية سنة ١٩٣٠ و ١٢ يولية سنة ١٩٣٠ و ١٩ يولية ١٩٣٠. وعناوين المقالات المشار إليها مرتبة حسب التواريخ السابقة هى [مصر الحديثة ومصر القديمة] و [الفن المصرى] و [هل من خطوة جديدة فى سبيل الفن المصرى] و [دعوة إلى خلق الأدب القومى] و [فى سبيل الدعوة إلى الأدب القومى] و [دعوة الأدب القومى].

[٢] راجع مجلة [الأزهر] فى جزء رمضان سنة ١٣٧٦ ص ٨١٦ – ٨١٨.

توحيد بدء الشهر الشرعي
في جميع الحكومات الإسلامية

هذه بنود عشرة في خلاصة ما كتبته في مجلة الأزهر (أجزاء صفر سنة ١٣٧٤ ، وجمادى الآخرة سنة ١٣٧٥ ، ورجب سنة ١٣٧٥ ، ورمضان سنة ١٣٧٦) فلكيا وشرعيا ، لما يمكن عمله لتوحيد بدء الشهر الشرعي ، ومنع ما يحصل من الاختلاف بين الحكومات الإسلامية في الأعياد والمواسم الدينية ، وقد اختصرتها اختصارا لسرعة وصول القارئ إلى نتائجها المقصودة ، مع استعدادي لإضافة فقرات لتوضيح كل بند والاستدلال عليه شرعيا وفلكيا عند الطلب ، والله الموفق .

بند (١) في إمكان هذا التوحيد شرعا .

ثبت بعد البحث والتحري أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من ثبوت الشهر الشرعي في أي حكومة إسلامية بما نقل إليها بالإذاعة اللاسلكية الرسمية خبر ثبوته شرعا في حكومة إسلامية أخرى ولو كان بينهما اختلاف مطالع ، مع مراعاة وحدة التاريخ واليوم الأسبوعي .

بند (٢) في بيان هذا الإمكان فلكيا :

حدد الشارع (المبدأ الزماني) لليوم الشرعي الإسلامي بغروب الشمس (المغرب) وترك تعيين (المبدأ المكاني) أي الدوراني لاختيار المسلمين حسب ظروفهم ، وإذا لا مانع شرعا للحكومات الإسلامية بعد تعددها واتساع رقعة مساكنها من سطح الأرض وحلا لمشاكلها الاجتماعية الدينية أن تعتبر (المبدأ الدوراني) لليوم الشرعي عند (خط الطول المار بالمحيط الهادي عند الدرجة ١٨٠) شرق جرينتش المسمى (خط تغيير التاريخ العام) الذي اتفقت دول جميع العالم على جعله (المبدأ الدوراني) لليوم المدني حلا لمشاكل المدنية .

مع العلم بأن هذه الحكومات الإسلامية التي لا يقل عددها عن عشرين حكومة

كلها محصورة في قارتي آسيا وأفريقيا من شاطئ آسيا الشرقي لغاية شاطئ أفريقيا الغربي ، أعني من خط (١٢٠) شرقي جرينتش إلى خط (١٥ غربيها) مقدار تسع ساعات من (٢٤ ساعة) تتم فيها دورة النجوم بتسميتها الليل والنهار حول الأرض من الشرق إلى الغرب .

بند (٣) في تطبيق ما تقدم على أبعد ما يفرض .

مقتضى ما تقدم لو ثبت الشهر الشرعي في أي حكومة منها ولو كانت أبعدها من جهة الغرب — كمراكش عند الشاطئ الغربي لأفريقيا — وأذيعت به فورا إلى سائر الحكومات الإسلامية ثبت الشهر في كل منها أيضا ولو كانت أبعدها من جهة الشرق كأندونيسيا والفلبين عند الشاطئ الشرقي لآسيا .

ومعنى أن إذاعة الرؤية من مراكش عقب مغربها ربما تسمع في أندونيسيا بعد مغربها بتسع ساعات أي قبيل شروق الشمس فيها بنحو ثلاث ساعات لأن ليلها (١٢ ساعة) دائما ضرورة وجودها على خط الاستواء أعني قبل الفجر عندهم بنحو ساعة ونصف ساعة وهو وقت يكفي للسحور ونية ما يلزمهم لصيام النهار دون أي حرج مع اتحاد اليوم والتاريخ .

وأما وحدة هذا اليوم في باقي بلاد الدورة من سطح الأرض كأمريكا فأمرها ظاهر ، إذ أنهم وقت هذه الإذاعة كانوا في عصر اليوم السابق أو في ظهره وحينئذ يستقبلون هذا اليوم الجديد من أوله دون تغيير فيه وكذا من بعدهم إلى تمام الدورة عند مبدئها .

الحساب الفلكي

بند (٤) مناط إثبات الشهر الشرعي :

لا كلام في أن الشارع إنما أناط إثبات الشهر بأحد أمرين لا ثالث لهما : (١) رؤية الهلال مساء يوم (٢٩ بالرؤية) ؛ (٢) ، كمال الشهر القديم (٣٠ يوما) عند عدم الرؤية مساء يوم (٢٩ بالرؤية) دون إناطته بالحساب .

كما أنه لا كلام فى أن الشرع لم يمنع الحساب فى ذاته بل حث عليه ، وقد ثبت بالتجربة نفعه فى تنظيم الرؤية ومساعدتها .

بند (٥) فى حالات الرؤية :

وثبت أيضا أن محقق الفقهاء والرصاد من الفلكيين الشرعيين إبان النهضة العلمية الإسلامية قد مدونوا متفقين على إثبات حالات ثلاثة لرؤية الهلال مساء يوم (٢٩ بالرؤية) من الشهر القديم ، وهى (استحالة الرؤية وإمكانها ووجوبها) ، كلها بحسب العادة طبعا ثم طبقوا على كل حالة منها إذا بينها الحساب الموثوق به حكما شرعيا هو بالنسبة إلى الاستحالة (رد القضاء لشهود الرؤية) إذ ترد الشهود لوجود ريبة عند القاضى والحساب القطعى أقوى من الريبة . وبالنسبة لحالة الإمكان بمعنى جواز حصول الرؤية وعدم حصولها (قبول القضاء شهود الرؤية) ، وبالنسبة لحالة وجوب الرؤية وهى ما يكون فيها الهلال واضحا وضاء بحيث يراه ملتمسه ، ولا بد إذا لم يكن بالسماء سحاب أو شبهه (إثبات الشهر لدى القاضى عند امتناع الرؤية بسحاب أو شبهه) .

بند (٦) فى تحرى (يوم ٢٩ بالرؤية) :

متى التماس الرؤية مساء يوم (٢٩ بالرؤية أن يكون مبدأ هذا الشهر القديم قد ثبت أيضا بالرؤية إذ قد يلتمس الهلال فى مساء الأحد مثلا (تاسع وعشرين) بالعد الاجتماعى كما فى التقويم الآن كنتيجة المساحة المصرية والحلمى وغيرها ، ولا يرى الهلال فيكتفى القاضى بكمال الشهر القديم بيوم الإثنين وفيه أخطر الذاتم إذ قد يكون الإثنين هو (تاسع وعشرين) بالرؤية ويتم الثلاثين إنما هو الثلاثاء فيتقدم الشهر الشرعى يوما أو يومين بسبب هذا الخطأ . وقد عرفنا وقوعه فى هذا الزمان . ولهذا قال الفلكيون الشرعيون قديما . « إذا لم يكن أول شهر الاجتماع معلوما بالرؤية يقوم الشمس والقمر لنصف نهار يوم (٢٩) بالحساب ، فإن استويا أو كان الفضل للشمس فذلك اليوم ليس (تاسع وعشرين) بالرؤية فانتقل إلى اليوم الذى بعده ، وإن زاد فضل القمر على (عشر درجة) أمكنت رؤيته وإلا فمستحالة ولا فائدة فى الالتماس ، ومن هنا يعلم أن الحساب لازم لتنظيم الرؤية ومساعدتها » .

بند (٧) فى شروط الحساب الفلكى وحاسبيه :

يؤخذ من كلام محقق الفقهاء وأئمة الرصد والهيئة الذين عنوا بتحقيق مسألة رؤية

الهلال إبان النهضة العلمية الإسلامية أنه يشترط فى الحساب الفلكى الذى يعتمد لمساندة الرؤية وتنظيمها ليكون موثوقا به ما يأتى :

أولا : ألا يكون هذا الحساب من النوع التقريبى ، بل يجب أن يكون من النوع التحقيقى الدقيق المبنى على قواعد فلكية مبرهنة من علوم الهندسة والجبر وحساب المثلثات الكروية أو المستوية للحركات الحقيقية لا الوضعية .

ثانيا : أن يكون متعينا لإحدى حالات الرؤية الثلاثة (الاستحالة أو الإمكان أو الوجوب) كما لو كانت مدركة بالحس ، حتى يمكن أن تطبق عليها ما يناسبها من الأحكام الشرعية .

ثالثا : أن يكون قد اتفق على نتيجة هذا الحساب للرؤية جمع من الفلكيين الحاسبين بحيث يؤمن تواطؤهم على الخطأ .

بند (٨) فى حدود الحالات الثلاث :

بعد الاطلاع على كل ما ورد عن المتقدمين من أئمة الهيئة والرصد من الفلكيين الشرعيين فى تحديد حالتى (مبدأ إمكان الرؤية ومبدأ وجوبها) وجدتها تدور حول ستة أقواس هى (البعد المطلق ـ عرض القمر ـ نوره ـ مكثه ـ قوس رؤيته ـ قوس ارتفاعه) كما وجدت أن الثلاثة الأولى ، وهى (البعد المطلق والعرض والنور) يغنى عنها ذكر (قوس النور) فقط لأن تحققه مبنى على تحقق قوسى (البعد المطلق والعرض) كما وجدت قوسى الرؤية والارتفاع متشابهين فى الوضع والنتيجة تقريبا ويمكن الاكتفاء بأحدهما وأنسبهما بالذكر (الارتفاع) لظهور تعليل اشتراطه بالبعد عن الجو الغليظ .

فبقى معنا ثلاث أقواس فقط (المكث والنور والارتفاع) وقد أخذت بأحوط الأقوال فيها وأميلها إلى الاعتدال ، وما قيل فيه بالتجربة أو إجماع المتأخرين على العمل به دون الالتفات إلى أقوال الحاسبين المحدثين غير الرصاد الذين يشترطون للإمكان الموجب للرؤية مكث (٢٤) دقيقة فقط كالشيخ العيوى فى رسالته (بهجة النظر) التى ألفها سنة ١٣١٨ هجرية ، أو الذين يشترطون للإمكان المجوز للرؤية مكث (١٦) دقيقة كالشيخ الزرقاوى ، أو (١٥ دقيقة) كصاحب كتاب (الهداية الحاسبة) فنتج ما فى هذا الجدول وهو خلاصة جميع الأقوال :ـ

الشروط	قوس المكث درج	قوس النور درج	قوس الارتفاع درج	توضيح
لمبدأ الإمكان	٧ ٩	٧ ١٠	٧ ٦	يعني أنه يشترط لبدء إمكان الرؤية أن يبلغ كل من هذه الأقواس الثلاثة (٧درج) أو أن يبلغ متوسطها الحسابي (٨ درج) بشرط ألا يقل الارتفاع عن (٦ درج) وإلا فحالة استحالة الرؤية .
لمبدأ الوجوب	١٢	١٠	٨	يعني أنه يشترط لبدء حالة وجوب الرؤية أن يبلغ كل قوس ذلك العدد الذي تحته وإلا كانت حالة جواز وقوع الرؤية وعدم وقوعها .

بند (٩) فيما يجب على الحاسبين للنتائج السنوية :

يجب بعد بيان ما تقدم بل يجب على الفلكيين الحاسبين للنتائج السنوية في مصر وغيرها خصوصا الموثوق بحسابهم ، كالأقسام الفنية بمصلحة مساحة المصرية أن يراعوا هذه الشروط لتكون نتيجتهم هلالية شرعية عالمية مساندة ومنظمة لعملية الرؤية في جميع الحكومات الإسلامية موحدة لأوائل الشهور الدينية الإسلامية في جميع العالم .

بند (١٠) في كيفية إثبات الشهور الهلالية في النتائج بناء على ما تقدم :

من السهل جدا أن ينظر الحاسبون إلى نتائج حسابهم بالنسبة إلى الأقواس الثلاثة (مكث القمر ونوره وارتفاعه) بعد تحويلها إلى أفق مراكش طول (١٥ درجة) غرب جرينتش . فإذا لم تبلغ شروط الإمكان أثبتوا الليلة من الشهر القديم ، وإذا بلغت شروط الوجوب أثبتوا الليلة من الشهر الجديد ، وأما إذا بلغت شروط الإمكان فقط ، ترك الأمر لنص الرؤية دون تعيين للقديم أو الجديد ونبه على ذلك في أعلى صفحة الشهر .

فإن رؤى القمر في أي حكومة عندها إمكان وأثبت حاكمها الشهر وبلغ ذلك بالإذاعة الرسمية إلى جميع الحكومات ثبت الشهر القمري في جميع العالم ، وإن لم ير في أي بلد كانت الليلة من الشهر القديم في جميع الحكومات ، وبذلك تصير النتيجة هلالية عالمية والله سبحانه الموفق .

محمد أبو العلا البنا
مدرس الفلك بتخصص كلية الشريعة

تعليقات

مجلس الأمة وأزياء السيدات

بادرة طيبة من بوادر الغيرة تجلت في موقف النائب الموفق سيد جلال نحو أزياء السيدات ، ولم تعد أزياء السيدات المصريات محتاجة منا إلى التعليق عليها ، فقد أصبحت أشنع مما كنا نخشاه ، إذ انحرفت عن كل تقليد متزن من تقاليد البيئة الشرقية ، ولم تعد تتصل بما يفرضه إسلام أو مسيحية ، ولا تمثل الحياء الذي يعد في الفطرة مما تتجمل به المرأة ، وتتحلى به الفتاة ، طغت علينا هذه الموجة الجريئة حتى تسربت إلى بيوت كان يجب أن تظل محافظة على تراثها الأدبي ، وأن تكون قدوة صالحة في الإبقاء على ما امتازت به من ترفع عن الإسفاف ، ومتابعة المسرفين من عبدة الأخلاق الرخيصة .

موجة تلاشت بها الفوارق الأدبية بين كرائم البيوت وسواقط الطرقات اللاتي طرحهن إلى المباذل أسباب غير كريمة ، حتى تعذر على الراغبين في الحياة الزوجية أن يصبوا إلى تلك الأسر التي كان يتعهدها الدين ، والتي ينشدها الدستور الجديد لبناء مجتمع صالح تتمثل فيه أمة مجيدة تحلق في أفق الأمل الصادق .

أصبحت مسألة الأزياء النسوية نقيصة يرثى لها في البيئة المدنية من بلادنا هذه ، واتسعت حولها ضجة السخط على هذه الموجة ، حتى أغرقت أهلها جميعا ، وإن كان بعضهم في دخيلته على بقية من العفة والحفاظ .

وكأن الناس لم يعد لهم حيلة في الرجوع بأنفسهم إلى مواطن السلامة من هذه المخزيات .

أو كأن الناس يرون الاستسلام إلى هذه النقيصة أخف عليهم من العود إلى الكمال ، إذ تم في زعمهم أن عري الأجسام ظاهرة المدنية والترف المعيشي ، وأنه اندماج في الأوساط الناعمة المشهود لها بالأصالة الجيدة .

وهذه – لاشك – أوهام باطلة متناقضة هبطت بالأنساب الكريمة إلى موضع الزراية، ولم تنهض بالأنساب الوضيعة إلى شيء مما يعنيه، وخلطت مقاييس الناس، فلم تعد موازين الأخلاق في النظر العام تشهد بخير سيدة على أخرى، ولم يعد سهلاً في حساب امرئ تمييز أسرة على أسرة.

وعند ما نقدم لهذه الظاهرة المشئومة نجد الرجل أول مسئول عن هذا الانحدار، إذ كانت الغيرة تدفع برجل الأمس إلى المواقف الحاسمة غيرة على محارمه أن يمتد إليها نظر الأجنبي، أو صوت ما يتأدى إلى مسامعها بلفظ مرذول، وأصبح رجل اليوم وشبابه يصطحب محرمه في أبهى ما تستطيع من زينة بادية لا تأخذ بها في بيتها، وفي صورة فاضحة لا تكون بها في مثواها الزوجي، ثم يطوف بها في مزاحم الرجال، وبين النظرات الخائنة واللفتات المريبة، وليس من مأساة تصاب بها الرجولة أكثر من أن الشباب تهدأ فيهم جذوة الغيرة، وتهبط فيهم الحماسة على الزوجات والمحارم، حتى ليطرب الواحد منهم أن تمدح به الزوجة والأخت أنه مودرن، جديد، لا يمانع من المخالطة ولا يأخذ بما يأخذ به أهل الغيرة، هذه مأساة – لاشك – راجعة بنا إلى الوراء، وقد وقع في مهالكها شعب سبقنا بل سبق العالم كله إليها.

ولا يمكن لمنصف أن يخفف من أثرها عاجلاً أو آجلاً.

ولن يستقيم في عقل أن تكون هذه المزالق مأمونة العواقب، فإنها على الأقل مخالفة لما شرع الله لعباده حسبما اقتضته الحكمة في تقدير الخير لهم لو استجابوا له فضلاً عن التجارب التي تكفي للاقتناع، وإن تكن هناك معذرة عن عدم مقاومة هذه المساخر وإلا كنا نتركها للإرشاد والثقافة والمساجد ونحوها فتلك معذرة من بعض نواحيها، ولكنها لا تشفع في السكوت عن المأساة، وتركها للمقاومة الهينة التي تأتي من طريق الإرشاد والمساجد، والثقافة، فماذا تجدي المساجد والإرشاد مع من لا يتصلون بالمساجد، ولا يستمعون لدعوة الإرشاد، وماذا تجدي الثقافة الحديثة وهي الباب الواسع التي دخلت علينا منه تلك الميوعة وسعلت في مجتمعنا وأصبحت داء وبلاء.

وماذا تجدي هذه العوامل مجتمعة في بناء أخلاق إزاء ما يوجد من أسباب وأصداء للهدم، والإغراء بالتجميع، والتحلل، والهتاف بالرذيلة حتى في ربوع العلم والمعرفة،

وعلى مسامع الشباب المختلط ؟ أليس مما يجب فورا ، وقف هذه الأصوات عن دعوتها السافرة إلى التحلل ، وعن زعزعة العقيدة والتهوين من رعاية الأخلاق حتى في دور العلم وبين شبابه وفتياته » ؟

إنه ليكفي هذا في موضوعنا هذا أن تأمر الجهات المختصة بتعقب الفجور والبهتان ، وإنه ليكفي جدا أن تشعر الناس بأن الاحتشام قصد صحيح من مقاصد الثورة الرشيدة ، وأنه أصل أصيل في بناء الأسرة التي هتف الدستور بأنها « أساس المجتمع ، وأن قوامها الدين ، والأخلاق ، والوطنية » .

هذا ما نقصده ، ونطمع فيه ، ونرجو الأخذ به ، دون تفويض الأمر إلى مجرد الإرشاد ، أو التعويل على أصحابه دون نصير يؤيده بجانب من سلطة الحكم .

ولقديما قيل — وهو حق لا جدال فيه — : إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وإنا لنطمع في رعاية جدية كما عودتنا في غير هذا الشأن ، والله الموفق .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

شعر الحكمة

حيل ابن آدم في الحياة كثيرة ... والموت يقطع حيلة المحتال
فإذا بليت ببذل وجهك سائلا ... فابذله للمتكرم المفضال
واصبر على غير الزمان فإنما ... فرج الشدائد مثل حل عقال

بشار بن برد

الكتب

عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير

الجزء الثالث – اختصار وتحقيق الشيخ أحمد شاكر – ٢٨٨ ص – دار المعارف بمصر

صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب النفيس الذى يعد فى الذروة العليا فى تفسير كتاب الله ، وهو مبدوء بتفسير الآية ٩٣ من سورة آل عمران « كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » وآخره آية « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب » ١٢٣ – ١٢٦ من سورة النساء ، وقد سبق لنا التنويه بمزايا هذا المختصر فى ص ٥٠٢ و ٧٩٢ من هذه المجلة فى عامها الماضى بما لا يزال القارئ على ذكر منه .

ومن التعليقات التى يمتاز بها هذا الجزء مما يتعلق بتحقيق الأحاديث ما جاء فى هامش ص ١٧ عن حديث « من رأى منكم منكرا فليغيره » فقد عزاه ابن كثير إلى أبى هريرة وهو لأبى سعيد الخدرى فى صحيح مسلم ومسند أحمد ، ثم قال ابن كثير : وفى رواية « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » فنبه الشيخ أحمد شاكر إلى أنه ليس لأبى هريرة رواية فى هذا ولا فى هذا ، وفى ص ٢٣٧ حديث ابن عمر عن بعث خالد إلى بنى جذيمة ، وهو فى صحيح البخارى ومسند أحمد وسنن النسائى ، غير أن ابن كثير ألحق به ما نصه « وبعث عليا فودى لهم قتلاهم الخ » قال الشيخ أحمد شاكر : ليس من حديث ابن عمر على اليقين بل هو تلخيص بالمعنى عن أبى جعفر محمد الباقر ، فهذه الرواية الملخصة حديث مرسل وهم ابن كثير فأدرجه فى حديث ابن عمر الصحيح المتصل ، والغالب أنه كتب من حفظه ، ونبه هنا إلى أن بنى جذيمة بفتح الجيم ، ووقع فى مطبوعة النهاية لابن كثير (مادة صبأ) مضبوطا بالضم والصواب الفتح ، وفى ص ٢١٩ تحقيق فى معنى « يشرون » عند تفسير آية « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » وأن لذلك تفسيرين ذهب لأحدهما الإمام ابن جرير وللآخر الحافظ ابن كثير ، والذى اختاره ابن كثير أعلى وأدق ، وفى ص ٣٨ كلام نفيس عن الربا فى الإسلام وأنه كل ما زاد

على رأس سلك العالم ؛ وفي ص ٦٤ — ٦٥ كلام عن الشورى في الإسلام ومن هم أهلها، وأنها شيء آخر غير الأنظمة الأجنبية التي لا يعرفها الإسلام ؛ وفي ص ١٠٠ كلام مهم عن طاعة بعض المسلمين للمستعمرين حتى أسلموا إليهم عقولهم وأبناءهم وأسلموا إليهم بعض الأحيان بلادهم ؛ وفي ص ١٠٢ — ١٠٩ كلام عظيم مبسوط عن تعدد الزوجات ينبغي لكل من يبحث في هذا الموضوع أن يرجع إليه ؛ وفي ص ١٢٥ كلام عن الذين يدعون إلى مساواة المرأة بالرجل في الميراث ؛ وفي ص ١٦٤ تعليق جيد على آية « الرجال قوامون على النساء » ؛ وفي ص ١١ تعليق على حديث « هذه ثم ظهور الحصر » ؛ وفي ص ١٣٥ موقف عبرة في حكم عفيف على شاب زنى بامرأة أبيه وتواطأ معها على قتله ولم يحكم عليه بالإعدام ؛ وفي ص ١٥٦ بحث في المكاثر والذين توسعوا فيها حتى أغروا في ذلك مئات الصفحات ، وتحقيق نفيس فيها للحافظ ابن حجر في فتح الباري .

وروح هذه التعليقات والمعنى الجامع لها ما أورده في ٢١٣ — ٢١٥ من تفسير آية « لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » . ونرجو الله أن يعين على إتمام هذا التفسير .

المسند للإمام أحمد بن حنبل

الجزء الخامس عشر — شرح الشيخ أحمد شاكر — ٣٣٩ ص — دار المعارف بمصر

صدر هذا الجزء من مسند الإمام أحمد وفيه من أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه من رقم ٧٨٧١ إلى رقم ٨٠٩٩ . وألحق به في باب الاستدراك والتعقيب تحقيقات للأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي من علماء جامعة مفتاح العلوم بأعظم كره سفا ، يعلق بها على مواضع من أجزاء المسند إلى الجزء الثامن . وهذا الجزء الخامس عشر يمتاز بكل ما امتازت به الأجزاء السابقة ، ولاسيما تخريج الأحاديث ومعارضتها بما جاء في دواوين السنة .

مجموعة الحديث النجدية

نشرها سمو الأمير مشعل آل سعود — ٦٥٠ ص — المطبعة السلفية بالقاهرة

كان الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله قد نشر هذه المجموعة من مطبعة المنار

بالقاهرة ، ثم قام الآن نجله صاحب السمو الأمير مشعل باعادة طبعها على ورق نفيس ، وهي تتألف من الكتب الآتية :

الأربعون حديثا النووية وشرحها للامام النووي .
العمدة في الأحكام للحافظ عبد الغني المقدسي .
أحاديث أصول الإيمان للامام محمد بن عبد الوهاب .
أحاديث فضل الإسلام . له .
أحاديث الكبائر . له .
صحيفة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين . له .
رسالة الصلاة للامام أحمد .
كتاب الصلاة وحكم تاركها للامام ابن القيم .
الوابل الصيب من الكلم الطيب . له .

وكلها معتنى بضبطها وتصحيحها . فشكرا لسمو الأمير مشعل على بره العلم وأهله .

وقد وقف على طبعها الأستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عبد العزيز الشايع صاحب هيئة الأمر بالمعروف بالمسجد الحرام .

طريق الهجرتين وباب السعادتين

للامام ابن القيم — ٣٤٢ ص — المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة

هذا الكتاب في التصوف الإسلامي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله وهدى الهداة من أئمة الدين . وكان الإمام ابن القيم قد ألف قبله شرحه (مدارج السالكين) على رسالة (منازل السائرين) لشيخ الإسلام الهروي وهو في موضع الحرمة والتقدير من زمن تأليفه إلى الآن . وكتاب طريق الهجرتين من نوعه لكنه أكثر تحقيقا وتركيزا . وهو من أجود ما ألف في الإسلام في تهذيب النفس الإسلامية وتوجيهها الوجهة التي مرنها الصحابة من التعليم المحمدي الخالص . والهجرتان : هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والانتصار في كل نفس إليه ، وهجرة إلى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته .

والكتاب مطبوع على نفقة السيد محمد الصالح وكيل وزارة الدفاع والطيران السعودي ،

ووقف على طبعه فضيلة الشيخ يوسف بن عبد العزيز الناصح مراقب هيئة الأمر بالمعروف بالمسجد الحرام .

صور من البطولة الإسلامية

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف — ١٤٤ ص — المطبعة المنيرية

يقول المؤلف عن البطولة إنها ليست في معناها الضيق كما حددها الأقدمون، وإنما هي أشمل وأوسع ، وليست من الابتذال كما يراها المعاصرون ، ولكنها أكرم وأرفع . فالبطولة هي التضحية بالذات ، والترفع عن تفاهات الحياة ، والسخاء والكرم ، والإباء والشمم ، والصبر الذي لا ينفد على مكاره الأيام . وعند المؤلف أن كارليل خلط بين صفة العظمة وصفة البطولة في القصص الإنسانية . وكذلك فعل بلوطرخس مؤرخ عظماء اليونان والرومان . والعظمة لا تكتسب ولا يمكن أن تصنع بالتلقين وإنما هي هبة إلهية ، فهي أكثر من البطولة .

وطليعة البطولة في كتاب الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف إخاء ومسابقة إلى الحق والخير والجهاد في سبيلهما بين ثلاثة من شباب الإسلام هم عبد الله بن عمرو وعبد الله بن مخرمة وسالم مولى حذيفة يوم شهدوا أعظم الجهاد في حديقة الموت ليردوا بني حنيفة عن طريق الشيطان إلى دين الله . وهي قصة من أروع قصص الرعيل الأول في الإسلام . والصورة الثانية الإسلامية في هذا الكتاب — صورة موسى بن نصير فاتح أسبانيا وحكاية مصيره الأخير . والثالثة هي محمد بن القاسم الثقفي أصغر القادة والفاتحين يوم فتح الهند . والرابعة هي سقوط غرناطة وبطولة القائد المسلم في الدفاع عنها إلى النفس الأخير . والخامسة هي البطل المجهول عيسى العوام في جهاد صلاح الدين لقمع الصليبية وطردها من الوطن الإسلامي . والخامسة هي البطل الأعزل سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله . والسادسة هي البطل الأزهري الثائر الشيخ الشرقاوي وقد سبق نشرها بمجلة الأزهر . والسابعة عن بطلة من القيروان وهي جميلة بنت عانق وجهادها في موقعة الحصن ومناصراتها إلى أن حكم عليها القسس بالصلب والإحراق . والثامنة هي البطل الصغير الذي ثار على الفرنسيين في القاهرة ولو تعهدته يد طيبة بالتربية القويمة لكان مثل نابليون . والتاسعة هي البطل الغريب أحمد العوام في جهاد السودان . والعاشرة من أبطال المنصورة . فشكرا للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف على كتابه الذي نرجو له الذيوع والانتشار .

طريق الوحدة الاقتصادية

والبلاد العربية

للأستاذ يونس صالح الحريق – ٢٢٨ ص – مطابع دار العلم للملايين في بيروت

الأستاذ يونس صالح الحريق مؤلف هذا الكتاب والكتاب التالي من أفاضل المشتغلين بالعلوم المالية والاقتصادية في العراق ، وهو معاون مدير الصيرفة في البنك المركزي العراقي ، وقد عالج في كتابه هذا موضوع الوحدة الاقتصادية وأفضل الوسائل للتصرف بالموارد الإقليمية ، فتكلم في الفصل الأول عن دور العوامل الاقتصادية في الاتحادات الإقليمية ، ومفهوم الاتحاد الاقتصادي ، والاتحادات الجزئية والشاملة . وفي الفصل الثاني عن الاتحادات الجمركية وأغراضها ونتائجها . وعن الاتحادات النقدية . وفي الفصل الثالث عن العلاقة بين مشروعات التنمية والاتحادات الاقتصادية . وفي الفصل الرابع وهو الأخير – تكلم عن المبررات الداعية إلى الاتحاد الاقتصادي بين البلاد العربية والتعاون الاقتصادي ومشروعات الوحدة .

واستعرض لذلك حالة تعاون العرب الاقتصادي بين الحربين العالميتين ، وميثاق الجامعة العربية وموقفه من ذلك ، والاتحاد الاقتصادي بين سوريا ولبنان ، ومشروعات جامعية للاتحاد ومعاهدة التعاون ، ومشروعات الاتحاد النقدي بين البلاد العربية ، واتفاقيتي تسهيل التبادل التجاري وتسديد المدفوعات وانتقال رءوس الأموال بين دول الجامعة العربية ، وخطوات الوحدة ووسائلها .

وهو كتاب مفيد في بابه يوطىء من الوجهة العلمية لتحقيق أمنية العرب في وحدتهم من الناحية الاقتصادية .

تطور اقتصاديات الشرق العربي

للأستاذ يونس صالح الحريق – ٧٢ ص – مطابع دار العلم للملايين في بيروت

وهذا كتاب آخر لهذا الفاضل الاقتصادي العراقي ، درس فيه الميادين التي تشترك فيها دول الشرق العربي بخصائص اقتصادية واجتماعية واحدة كتزايد عدد السكان ، وانخفاض مستوى الدخل والانتاج ، وتركز النشاط الاقتصادي حول الزراعة ، وضآلة رءوس الأموال الوطنية الخ ، وما ينبغي للأوطان العربية من معالجة هذه النواحي للنهوض باقتصادياتها إلى المستوى الذي تطمح إليه في نشاطها القومي الحديث .

الأدب والعلوم

الأزهريون فى معاهدهم

عاد الأزهريون فى يوم السبت ٤ ربيع الأول (٢٨ سبتمبر) إلى كلياتهم فى القاهرة ومعاهدهم فيها وفى أمهات مدن الجمهورية المصرية . وأذيعت نتائج قبول الطلاب الجدد . ووجه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر نصائحه الحكيمة إلى الأساتذة والطلاب لمناسبة العام الدراسى الجديد .

استئناف الدراسة

بدأت صباح يوم السبت ٢٥ صفر (٢١ سبتمبر) الدراسة فى جميع المدارس الابتدائية والجامعات الأربع .

ويبلغ عدد تلاميذ وتلميذات المدارس الابتدائية نحو مليونين ونصف مليون (أى أكثر من عشر تعداد سكان الجمهورية المصرية) كما يبلغ عدد طلبة الجامعات وطالباتها نحو ثمانين ألفا .

التربية العسكرية للطلاب

بدأ هذا العام تدريس مادة التربية العسكرية إجباريا ، على أن يبدأ ذلك بالسنة الأولى الثانوية العامة والفنية . وقد أعد زى لكل طالب تدفع الوزارة ٦٠ ٪ من تكاليفه ويدفع الطالب ٤٠ ٪ . وقد أنشئت هيئة عسكرية فى وزارة التربية - بالاتفاق مع وزارة الحربية - للإشراف على التربية العسكرية فى المدارس الثانوية والمعاهد العليا كما أنشئت ميادين لضرب النار لتدريب الطلبة ، وسيكون فى كل منطقة أكثر من ميدان ، وسيخصص لكل مدرسة ثانوية كبيرة ميدان للتدريب .

تدريس التعاون

فى مؤتمر عقده مديرو المناطق التعليمية لمناقشة سياسة التعليم ، طلب وزير التربية والتعليم أن يكون (التعاون) موضوع الدراسة فى جميع مراحل التعليم هذا العام ، وأن يجرى بيان فوائده للتلاميذ ، وتدريسه فى كل مادة من مواد الدراسة ، حتى تغرس فضيلة التعاون فى نفوس أبناء الشعب جميعا .

المؤتمر العلمى العربى الثالث

انعقد فى بيروت المؤتمر العلمى العربى الثالث ، وقد أوصى فى ختام جلساته بالعمل على توحيد الترجمة العربية للمصطلحات العلمية تمهيدا لوضع معجم شامل لها .

كما أوصى بتقوية الصلات العلمية بين الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية في البلاد العربية بتبادل الأساتذة والطلاب والبحوث العلمية .

وبمواصلة البحث للإفادة من مصادر الطاقة ولا سيما الطاقة الذرية لاستخدامها في الأغراض السلمية ، ومناشدة الدول منع استخدام الأسلحة الذرية ووقف تجاربها .

وباستخدام الوسائل العلمية في التنمية الاقتصادية ودراسة مشاكل المناطق الصحراوية لتحويلها إلى مناطق زراعية .

وبالعناية بالدراسات الجيولوجية العربية في البحث عن البترول والمعادن .

جماعة التربية الإسلامية

احتفلت جماعة التربية الإسلامية بشبرا مصر ، بامتحان تلاميذ مدرسة الجماعة ، التي أنشأتها لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده ، والتي يشرف عليها وعلى امتحانها الأزهر الشريف .

وقد أعدت الجماعة جوائز مالية للفائزين ، وكان في طليعة زائري الاحتفال السيد / محمد صالح الزيدي المشرف العام على تحفيظ القرآن الكريم في الجمهورية المصرية ، في نخبة من أهل العلم والفضل ممن يهمهم نشر كتاب الله تعالى فهما وتعليما .

وقد ألقى السيد المشرف العام كلمة جامعة في فضل القرآن وأهله ودعا إلى العناية بتحفيظه . وأثنى على جهود الجماعة في خدمة الكتاب العزيز وحث الجماعات الإسلامية على أن تقتدي بها لتنال هذا الشرف العظيم ، شرف الخدمة لكتاب الله الكريم .

مسئولية كل مواطن

في بناء الجيل بناء سليما

بمناسبة العام الدراسي الجديد وجه السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم كلمة إلى الأمة وإلى كل مواطن من أفرادها ، تحدث فيها عن مسئولية الجميع في موضوع التربية والتعليم ، ونحن نقتبس من بيانه ما يحتمله المقام مما ينبغي لكل مصري أن يطيل التأمل فيه ، ولكل مدرس أن يجعله نصب عينيه وهو يؤدي رسالته ، وأن يعمل له ما استطاع . قال وزير التربية والتعليم :

« موضوع التربية والتعليم هو موضوع الخلق والسلوك الفردي لكل مواطن ، وهو موضوع الخلق والسلوك الاجتماعي لمجموعة المواطنين ، وهو أساس تقويم شخصية كل مواطن ، وهو كذلك أساس الشخصية العامة لجميع المواطنين . . . وهو إلى ذلك كله موضوع يتصل بالوسيلة العملية لخلق الإرادة الحرة الواعية البناءة المتفتحة في نفس كل فرد ، وفي حنايا كل مجموعة من المواطنين في كل ركن من أركان المجتمع .

ومن هنا كان موضوع التربية والتعليم

هو موضوع المواضيع . ونحن حين نهتم به ونعتقد نحوها حبيا للعناية بكل ما يتعلق بشأنه من شئونه ، إنما نهتم ونعنى بأساس كياننا وكيان أمتنا وأحفادنا وكيان وطننا في الحاضر والمستقبل .

والخير كل الخير أن يشترك في هذا رأى ، وأن تكون له عقيدة تسير في هداها في هذا الشأن الخطير من شئون حياتنا ، وأن ينشر هذا الرأى وهذه العقيدة بين المواطنين حتى ليكونا رأيا وعقيدة لكل مواطن .

إنها لمسئولية ضخمة وواجب شاق قد جاءنا له كل جهودنا ، وكل إمكانياتنا ، وحق لوطننا علينا أن تستمر هذه النهضة وأن تكون نهضة شاملة كاملة عامة بين صفوف المعلمين والمعلمات وبين رجال التربية والتعليم في جميع المستويات وبين رجال العلم والفن والأدب ، وبين صفوف الآباء والأمهات ، وبين صفوف الطلاب والتلاميذ أنفسهم ، وبين المشتغلين بالصحة العامة والمهتمين بشئون التغذية والقروية ، والمعنيين بالإرشاد القومى والشئون الاجتماعية والمالية ، وبين صفوف رجال الدين والصحافة والإذاعة ، وكل من يعمل في النشر والثقافة . إن هذه النهضة تأخذ مكانا طبيعيا كاملا في القوات المسلحة ، إذ تساهم في إعداد صغار الأبطال المجاهدين ذوى النفوس الواعية الأبية الذين يقفون صفا منيعا وحصنا واقيا يضمن سلامة هذا الوطن .

لمثل هذه التربية يجب أن تستمر النهضة انتظارا للثمرات الجميلة التي يجب أن نرعى لها البذور منذ اليوم لتحقق لأبناء الوطن المصرى والعربى حياة أسعد وأفضل وأحفل بأسباب القوة والعزة والكرامة » .

هل يتحول الجرافيت إلى جواهر بحرارة الانفجارات الذرية

يتوقع الجيولوجيون الأمريكيون أن تتحول مادة الجرافيت إلى أحجار كريمة بفعل الحرارة والضغط من التفجير الذرى على عمق تسعمائة قدم تحت سطح الأرض في الأماكن التي يتحقق وجود مادة الجرافيت فيها تحت ذلك العمق السحيق من طبقات الأرض .

وقد يكون إعلان ذلك من باب الدعايات السياسية ، للتهوين من أمر التفجيرات الذرية على الناس ، ومثل ذلك ادعاء الدكتور فريد توسون من علماء النفس البريطانيين أن اختلاط الطعام والشراب بمادة الاسترونشيوم وغيرها من فضلات النشاط الإشعاعى المتخلف من التجارب الذرية قد يكون سببا في زيادة نسبة ذكاء الجيل الجديد من طلاب المدارس ، اللهم حواليهم ولا علينا .

أنباء العالم الإسلامى

جهاد الوحدة العربية

قال السيد شكرى القوتلى فى حفل الكلية العسكرية بدمشق لمناسبة تخريج ضباط جدد : « إن وحدة الأمة العربية قامت على الدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله والحق ، ولم تنشد التوسع أو الغلبة . وقد نصرها الله لأنها كانت تدافع عن حقها وبقائها . إننا نقول للعالم الذى تجمع ممثلوه فى هيئة الأمم المتحدة : إننا نجابه حملات ظالمة لا مثيل لها ، فهى حملات يشنها الاستعمار والصهيونية ليؤخروا نهضتنا ، وليعطلوا أسباب وحدتنا ، ولينكروا حقوقنا المشروعة فى الحرية . إن دول الاستعمار ظلت منذ أعوام تسلح الصهيونيين فى السر والعلن ، لتهدد العرب فى حريتهم وحياتهم ، وخطة الاستعمار المرسومة بالاشتراك مع الصهيونية هى مضاعفة الهجرة اليهودية الواسعة إلى فلسطين ، ودعمها بجهاز حربى عدوانى ، ومدها بالأموال . إننا لن نؤخذ غدرا ، ولن تباح أرزاقنا ومقدساتنا للغاصبين ، ولن نقدم للعالم دفعة جديدة من اللاجئين المشردين . فستبقى إسرائيل بعد مصدرا للشرارة التى تهدد بإضرام نيران الحرب فى أرجاء الشرق الأوسط ، ولم يعد سرا أمر العدوان الثلاثى الغادر على مصر ، ولا العدوان الجديد الذى يبيت الآن لسوريا وراء حجب من دخان التضليل والتحريض وقلب الحقائق » .

دعوة مليونين من اليهود إلى فلسطين

أذاعت وكالة يونيتدبرس من نيويورك حديثا أدلى به بن جوريون فى التليفزيون بأنه يود أنه يرى جميع يهود العالم يهاجرون إلى فلسطين ، وزعم أنه سيحدث هذا عاجلا أو آجلا ، وقال : إن مليونين من اليهود على الأقل لا يستطيعون البقاء حيث هم الآن وإنه يدرك أن اليهود ليسوا جميعا متفقين مع الصهيونية ، لذلك فكثيرون منهم راضون بالبقاء فى البلاد التى يعيشون بها الآن . قال : ولكننى أذكر مرة فى إحدى زياراتى للولايات المتحدة أنى شاهدت قطعة من الأرض ثبتت عليها لافتة مكتوب عليها : « لا يمكن التصرف فيها » أى أن اليهود لا يستطيعون شراءها . وهذا ما لا أستطيع أن أرضاه . ولو كنت يهوديا أمريكيا لما قرت

إلى إسرائيل ، فإسرائيل بصفة خاصة تستطيع أن تفيد من اليهود الأمريكيين الذين يتميزون بروح الإقدام والمغامرة ، وحسدين غوريون معنى الصهيونية بأن يكيف اليهودي حياته الخاصة في بلاده طبقا لمعتقداته ومثله الخاصة . وأعرب عن أسفه لأن العالم اليهودي أينشتاين رفض قبول رياسة جمهورية إسرائيل عقب وفاة حاييم وايزمان رئيسها الأول .

اللاجئون العرب

محك لامتحان الإنسانية

أصدر مؤتمر الاتحاد البرلماني الدولي المنعقد في لندن قرارا يقضي بأن يحظى اللاجئون العرب بكل عناية تمسهما ولصيتهم المتدنية ، وبالا توضع أية عقبات في طريق من يجدون رغبتهم في العودة إلى بلادهم .

وقد حاول وفد البرلمان الإسرائيلي أن يستبعد عبارة « اللاجئين العرب » من هذا القرار ، لينصرف إلى اللاجئين عامة ، ولكنه فشل في محاولته ، ورفض اقتراحه بأغلبية ٣٣١ صوتا مقابل ١٨١ وامتنع ٥٢ عضوا عن التصويت .

والتاريخ عندما يسجل مثل هذه القرارات سيعتبرها محكا لامتحان إنسانية هذه الدول ومثليها ؛ لأن قضية فلسطين نفسها وإخراج أكثر من مليون من أصحابها ليكونوا مشردين تحت الخيام خارج أملاكهم ووطنهم ، يعد سبة عار شنيعة على كل من اشترك في هذا الجرم ، أو كان له هوى في وقوعه ، وتدنيس جبهة الحضارة الغربية بما لا تطهره بحار الكرة الأرضية كلها .

إسرائيل تضطهد عرب السواعيد

أرسلت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة إلى الدول الأعضاء اقترحت فيها العمل على إجراء اتصالات عاجلة مع ممثل الأمم المتحدة في لجان الهدنة المشتركة بين العرب وإسرائيل للتحقيق في التدابير التعسفية التي تتخذها السلطات الإسرائيلية لاضطهاد عرب السواعيد القاطنين بمنطقة الجليل المحتلة ، والتي يهدف الإسرائيليون من ورائها إلى إرغام العرب على الهجرة من أراضيهم وترك ممتلكاتهم ، وطلبت الأمانة العامة للجامعة باتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان سلامة عرب فلسطين والمحافظة على أملاكهم فيها ، ومن أساليب هذا البغي أن إسرائيل تطالب عرب السواعيد بأن يثبتوا قانونية تصرفاتهم في أراضيهم الموروثة عن آبائهم خلال الخمسين عاما الأخيرة ، ومن جهة أخرى أوعزت إسرائيل إلى فرقة المشاة الإسرائيلية بأن تقوم بمناورات بالذخيرة الحية في أراضي عرب السواعيد ، فوقعت بسبب ذلك خسائر كبيرة في الأرواح العربية وممتلكاتها .

بيان سعودي
يفضح ألسنة الصهيونية وصنائعها

إن دبلوماسيي الغرب الذين وضعوا أنفسهم تحت تصرف اليهودية العالمية قد أكثروا من القول بعد حصول سوريا أخيرا على حاجتها الدفاعية من الأسلحة بأن جاراتها أوجسن خيفة من ذلك ، ويعتبرن هذا السلاح مهددا للسلام في الشرق الأوسط ، وانتهزت اليهودية العالمية وصنائعها كل مناسبة للتحريض على المملكة السعودية وغيرها من الحكومات العربية بأمل تحطيم الحلف العربي الذي تمثله سوريا ومصر ، وقد أراد الملك سعود وهو يستشفي في سويسرا أن يفحم ألسنة الصهيونية وصنائعها فقطع إجازته في أوربا وحضر إلى دمشق واجتمع برئيسها ، وكان السيد علي جودت الأيوبي رئيس وزارة العراق موجودا في لبنان حينئذ ، فحضر هو الآخر إلى دمشق ، وقد أذاع الملك سعود بيانا صريحا فصيحا قال فيه : « إني أرغب أن أصرح بدون لبس ولا إبهام ، وبإخلاص عرفني به إخواني السوريون خاصة والعرب عامة ، أني أعارض كل اعتداء على سوريا وعلى كل قطر عربي ، وسأقاوم مع إخواني السوريين والعرب أي اعتداء يقع عليهم وعلى استقلالهم أيا كان مصدره ، وقوانا العربية – بعون الله وتوفيقه – مشتركة للدفاع عن كيان المجموعة العربية أمام الخطر المحدق بها ، ومصلحتنا مشتركة في الذود عن حريتنا واستقلال بلادنا جميعا » .

إسرائيل هي الخطر الأكبر

زعم ساسة أمريكا أن الحكومات المجاورة لسوريا ترى في ازدياد السلاح السوري خطرا عليها ، فكان من كذب هذه الدعوى وفد الأردن في الأمم المتحدة فأعلن رئيسه السيد يوسف هيكل أن الدول العربية لا تعتبر سوريا مصدر خطر عسكري على أية دولة منها ، ولكنها ترى أن إسرائيل هي الخطر الأكبر على أمنها وسلامتها .

جواب العراق إلى سوريا

كانت الحكومة السورية قد سألت الحكومات العربية المجاورة عن صحة مازعمته أمريكا من أن هذه الحكومات تشكو من تسلح سوريا ، وتعتبر ذلك خطرا عليها ، فأذاعت شركة رويتر برقية من بغداد بأن متحدثا بلسان وزارة الخارجية العراقية صرح بأن حكومة العراق مقتنعة تمام الاقتناع بأن سوريا لن تفكر في القيام بأي عدوان على أية دولة عربية شقيقة ، وأن شراء سوريا الأسلحة من دول الكتلة الشيوعية لأغراض الدفاع شيء ، ومسألة استغلال الشيوعية الدولية للقومية العربية شيء آخر ، وأن الحكومة العراقية ترجو أن تستمر سوريا في تعاونها مع سائر الدول العربية ضد العدو المشترك وهو إسرائيل .

سوريا بمجلس الأمة المصرى

قرر مجلس الأمة – بالإجماع – إعلان مناصرة سوريا فى كفاحها ، واستنكار المؤامرات الاستعمارية الأمريكية ضد سوريا . وشكر الرئيس جمال عبد الناصر على موقفه من البلاد الشقيقة . وقد ناشد مجلس الأمة المصرى برلمانات وحكومات العالم مساندة سوريا فى صمودها وكفاحها ضد الاستعمار .

العدوان على سوريا

سيؤدى إلى حرب عالمية

تلقت الحكومة السورية تأكيدات جديدة من الاتحاد السوفيتى بأنه لن يسمح بأى عدوان على سوريا ، وكل عدوان عليها سيؤدى إلى حرب عالمية .

مؤتمر المحامين العرب

انعقد فى دمشق مؤتمر المحامين العرب ، ومن أهم مقرراته :

مشروع دستور الاتحاد العربى الذى يمنح المحامين العرب جميعاً حق المرافعة أمام المحاكم العربية دون استئذان النقابات .

وأن تأميم قناة السويس تم على وجه سليم وفقاً للقانون الدولى .

ومطالبة حكومتى مصر وسوريا بالإسراع فى تحقيق الاتحاد الفيدرالى بينهما ، وترك الباب مفتوحاً للدول العربية كى تنضم إليه .

وطالب المؤتمر بمقاومة مبدأ أيزنهاور .

تبرع أمير قطر

مر بمصر سمو الأمير على بن عبدالله الثانى حاكم قطر عند توجهه إلى سويسرا للاستشفاء ثم عند عودته منها إلى بلاده ، فكان موضع الحفاوة والإكرام من الحكومة المصرية وحفاوتها وذوى المكانة فى مصر ، ونزل عن الحكومة ضيفاً فى قصر الطاهرة .

وقد تبرع سموه بخمسة عشر ألف جنيه لضحايا العدوان الثلاثى على مصر فى العام الماضى .

الجزائر والدستور الفرنسى

فى برقية زورتزان كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسية ألقى خطاباً قال فيه :

إنه يتعين تعديل الدستور الفرنسى بحيث يجعل نظاماً فيدرالياً يتفق والتطورات فى الجزائر والمستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار . إننا سنجد أنفسنا – دون شك – مضطرين لتعديل دستور لم يراع فى سنة ١٩٤٦ جميع التطورات المحتمل حدوثها . إننا بين خطرين : خطر انتهاج سياسة إغراق قد يكون معناها الإبقاء على حالة البؤس والفوضى فى الجزائر ، وخطر سياسة تستند إلى القوة دون اعتبار لما يحدث فى العالم من تطورات دون اكتراث بما يصبو إليه الجزائريون من إدارة شئونهم .

مصر وسوريا

في حديث عظيم للرئيس جمال عبد الناصر

قال الرئيس جمال عبد الناصر في حديث تلفزيوني عظيم أدلى به إلى وليم وين مراسل وكالة أسوشيتد برس، وبيل هنري مراسل شركة الإذاعة الأهلية الأمريكية، جوابا عن سؤال عما إذا كانت مصر سترسل قوات لمساعدة سوريا في حالة وقوع عدوان عليها: «إن هناك اتفاقا بين مصر وسوريا بشأن الدفاع ضد العدوان، وإذا ما وقع عدوان على سوريا فإن مصر ستهب لمساعدة سوريا بجميع الوسائل». ونفى أن سوريا أصبحت شيوعية وقال: إن السوريين وطنيون، وينبغي لنا أن نفهم الفرق بين الوطنية والشيوعية. وأنا أعرف شخصيا معظم الضباط البارزين في الجيش السوري وليس بينهم شيوعي واحد. وإني على ثقة من أن سوريا لن تقع تحت أية سيطرة أجنبية. وتساءل قائلا: «فلماذا لا ترسل الحكومة الأمريكية مبعوثين إلى دمشق بدلا من زيارة عواصم البلاد المحيطة بسوريا لجمع المعلومات عن سوريا».

وهذا الحديث التلفزيوني نشر في ٧٦٠٠ جريدة في العالم، وشاهد صورة الرئيس جمال عبد الناصر عند إلقائه نحو أربعين مليونا أمام أجهزة التلفزيون في أمريكا.

إحصاءات من جهاد الجزائر

زاد عدد المجاهدين في جيش تحرير الجزائر خلال ثلاث سنوات من ثلاثة آلاف إلى خمسة وعشرين ألفا، وهناك عشرون ألفا من المدنيين يقضون نصف وقتهم في مساعدة جيش التحرير.

• بدأت أسلحة جيش التحرير ببضع مئات من بنادق الصيد، وهو الآن مسلح بأسلحة حديثة عشرها منتزع من أيدي الفرنسيين، ويحصل الثوار شهريا على ١٠٠٠ قطعة سلاح من طريق تونس وخمسمائة قطعة من طريق المغرب.

• خسائر الثوار وأعدائهم الفرنسيين متعادلة، فقد بلغت أربعين ألفا لكل جانب في السنوات الثلاث.

• يتلقى جيش التحرير من الرأسماليين الجزائريين ٢٥٠٠٠ دولار سنويا، ومن العمال ٠٠٠ و ٣٠٠ دولار، وتبلغ معونة البلاد العربية ٦٥ مليون دولار سنويا، ويقدم الفلاحون لجيش التحرير ٧٥ ألف رأس ماشية.

هذه الإحصاءات حصل عليها ليونل دوراند مراسل مجلة نيوزويك الأمريكية من الجزائر.

حياد مصر الايجابى

وجه مستر ويلزهاغن مراسل الإذاعة الأهلية الأمريكية فى الشرق الأوسط السؤال التالى إلى الرئيس جمال عبد الناصر :

لقد سمعنا شرحا كثيراً لحياد مصر الإيجابى ومع ذلك فى أمريكا كثيرون لا يفهمون كيف تستطيع مصر — من الناحية المعنوية — أن تبقى محايدة بين ديمقراطية الغرب وشيوعية الشرق ؟

فأجابه الرئيس : « عندما تتكلمون عن حيادنا لا بد أن تنظروا إليه فى ضوء تاريخنا وأمانينا الوطنية ، بل فى ضوء عقدنا النفسية وفى ضوء تجاربنا مع الدول الكبرى ، وبالأخص بريطانيا وفرنسا . لقد احتلت بلادنا مئات السنين من الأتراك ، ثم جثم الاحتلال البريطانى على أرضنا أكثر من سبعين سنة . والآن حصلنا على استقلالنا ، ولا نريد أن نضيعه . إننا نتبع سياسة عدم الانحياز ، سياسة تمكننا من أن ندرس بروح من العدل كل مشكلة يواجهها العالم ونبدى رأينا فيها ، فنقف مع الحق ، ونعارض الباطل ، دون ما قيد حتى على حقنا فى التفكير . ونحن نؤيد حق تقرير المصير لكل شعب ، ونقف مع كل دولة تحارب من أجل استقلالها ، هنا نستطيع أن نكون محايدين .

« ولكن هذا ليس حيادا بين الشيوعية والرأسمالية ، ذلك أننا فى مصر نطبق نظاما أقرب إلى النظام الرأسمالى منه إلى أى شىء آخر ، بينما نحن نعارض المذهب الشيوعى فى بلادنا .

« حيادنا إذن هو الحياد الدولى ، ومعناه الأول هو عدم الانحياز . نحن نعتقد أن ذلك خير ما يخدم قضية السلام وينهى الحرب الباردة » .

وقال جوابا عن سؤال بشأن موقف مصر من الاتحاد السوفيتى :

« إن سياستنا هى البعد عن المحالفات العسكرية مع الجميع . أما عن الاتحاد السوفيتى فالواقع أنه ساعدنا فى كل أزماتنا . وحينما واجهنا خطر المجاعة بعد العدوان الثلاثى فى العام الماضى كان الاتحاد السوفيتى هو الذى باع لنا القمح والبترول ، بينما رفضت ذلك الولايات المتحدة الأمريكية » .

مصر والمملكة السعودية

استقبل الملك سعود — قبل مغادرته مدينة دمشق عائدا إلى بلاده — السيد محمود رياض سفير مصر فى سوريا ، وقد دامت المقابلة نصف ساعة ، وقد أبلغ السفير المصرى أثناء المقابلة تحيات الرئيس جمال عبد الناصر للملك سعود ، وحمل الملك سعود السفير المصرى رسالة شفوية تتضمن تحياته وعواطفه الأخوية للرئيس جمال عبد الناصر

الفهرس

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
[illegible]

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٣٤٤

الجزء الرابع – القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٧ – ٢٤ أكتوبر ١٩٥٧ – المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

دولة تعاونية وأمة متعاونة

«التعاون» كلمة صغيرة، وكلمة لها معنى كبير ...

كذلك قال جمال عبد الناصر عندما افتتح في العام الماضي الدورة الثانية للمؤتمر التعاوني العام. ومنذ قالها وأنا أترقب الفرصة لأتحدث إلى القراء عن هذه الكلمة، وعن معناها الكبير. ومهما أطلت في فرصة الحديث عن «التعاون» فإنه موضوع لا يزال بكرا، وهو جدير بالبحث والدراسة، لأنه حاجة الأمة العربية كلها في الزمن الذي نواجهه ونعيش فيه، ويوشك أن يكون الهدف الأول للتفكير والتقدير والتدبير في المستقبل القريب لمصر وأوطان العروبة والإسلام جميعا.

هذه الشعوب الكبيرة والصغيرة من شعوب الأرض، التي طاف الفكر الصحافي بأجوائها في الشهر الماضي، منقسمة – في معايشها وفي حياتها الاقتصادية والاجتماعية – إلى مذاهب أبرزها وأظهرها مذهبان: المذهب الرأسمالي الذي تمثله بيوت الأموال

والأعمال في أمريكا ، والمذهب الشيوعي الذي أحدثت به روسيا منذ أربعين عاما وطبقت بها الصين الشعبية والبلاد الدائرة في تلك الأفلاك .

ونحن أبناء الأوطان العربية والإسلامية ، عرفنا من قديم بيئة اجتماعية عريقة في القدم ، وعرفنا ما تطورت به هذه البيئة تحت تأثير مبادئنا الأدبية والخلقية المستمدة من سنن الإسلام ، تميل دائما إلى الاعتدال والتوسط في الأمور ، والأخذ من كل شيء بما فيه من عناصر الخير التي تلائم مجتمعنا ، وتساير سنن الإسلام . لذلك كانت شعوبنا العربية والإسلامية تعتز بنظام التملك الفردي ، وتعترف للمواطن منفردا ، وللأفراد مشتركين ، بثمرات نشاطه ونشاطهم في المكسب الحلال ، وتحب من المكاسب الصالح أن يكون عضوا نافعا في المجتمع ، متعاونا معه على تقدمه ، وتقدم المجتمع بتقدم أفراده ، حتى يكون الفرد للمجموع والمجموع للفرد .

واعترافنا بمبدأ حرية التملك الفردي ، وإيماننا بصحة هذا المبدأ ، مقيد بالحيطة مما نبه إليه دستورنا الأعظم في سورة العلق (الآية ٦) . « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » ، وقد شاهدنا في مطاوي التاريخ ، ولا نزال نشاهد في مختلف البلاد ، مظاهر طغيان المال في تأثيره على اتجاهات الحكم . كما شاهدنا ولا نزال نشاهد مظاهر طغيان المال في استئثاره بمصادر العيش ومرافقه وأسواقه . لذلك كان من حكمة التشريع في نظام العروبة والإسلام تقييد حرية التملك الفردي أولا بأن يكون اكتساب المال وتكوين رءوس الأموال بالأساليب المشروعة ومن الطرق التي يرضاها الله ، وتقييد رءوس الأموال ثانيا — بعد تكوينها من حلها — بأن تكون قوة للمجتمع لا قوة عليه ، وذلك بأن يحتاط المجتمع للحد من طغيان المال مما يحتمل أن يؤثر به على اتجاهات الحكم كما هو واقع الآن من وراء ستار في بعض الدول الكبرى ، ثم مما يحتمل أن يؤثر به على مصادر العيش ومرافقه وأسواقه مما هو مشاهد وملموس في كثير من البلاد .

إن المسلمين الأولين من أصحاب الملايين كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وطبقتهما كانوا يفهمون من الآية السابعة في سورة الحديد أن الثروة التي يتيحها الله لمن شاء من الناس إنما هي أمانة الله تحت يد من ساقها إليه ، وكانوا يعلمون أن بين الذين حرموا منها من هم أقدر على تحصيل مثلها أو أكثر منها لو كان الغنى والكسب بقدرة الغني الكاسب ، لا بقدرة المغني الواهب . فكان ذلك يزيدهم ثقة بأن الله قد استخلفهم

من شاء على ما شاء من حيواته ليعطي الأغنياء في كيفية تصرفهم في الأموال ، فكانوا يكتفون لنفقتهم الخاصة بما يكفيهم بالمعروف من غير تقتير ولا تبذير ، ثم يكون غنى الغني منهم بعد ذلك قوة للأمة ، يستعمله فيما تحتاج إليه الأمة في حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحربية . هذه بئر في المدينة يحتاج إليها المسلمون في شربهم ومرافقهم ، ويتحكم بها يهودي فيلقون من تحكمه عنتا ، وعند مسلم رحيم من سراة المسلمين المال الكافي لتفريج هذا الضيق عن الناس ، فيبادر إلى شراء نصف البئر من اليهودي ويبيحها للأمة مجانا في أحد يومين ، فينقطع عن اليهودي مورده يومه الثاني لاكتفاء الناس بما يستقونه مجانا في اليوم السابق ، فيضطر اليهودي إلى عرض النصف الباقي له من البئر للبيع ، فيشتريه ذلك المسلم الرحيم ويبيح البئر كلها للناس مجانا ، وينقذهم من احتكار اليهودي البغيض . وهذا جيش رسول الله ﷺ يتجهز لارتياد مشارف الشام ، وإن كثيرين ممن أزمعوا الجهاد مع رسول الله لا يجدون الرواحل تحملهم مع الجيش الذاهب للسفر ، فيقدم هذا الثري المسلم الرحيم الراحلة والعون لكل من يحتاج إليهما من المجاهدين . وهذه قافلة له قادمة من الشام إلى المدينة عليها مواد التموين في أيام قحط ومجاعة ، فيبذل له تجار المدينة أضعاف ثمنها ليتجروا به ، فيقول لهم : إن ربي وعدني بأكثر مما تبذلون ، وأباح ما تحمله القافلة لكل جائع من الفقراء والمساكين . إن هذا التصرف بالمال لخير المجتمع بهذا السخاء العجيب صادر عن دافع واحد هو اعتقاد أن ثروة الغني أمانة من الله تحت يده استخلفه فيها ليحسن تصرفه فيها عند الشدائد . وهذه النظرة إلى المال لا ينتظر أن تكون بهذا المقياس الواسع إلا من تلاميذ معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه وعلى تلاميذه ، ونحن لا نطمع من سراتنا وكبار أغنيائنا أن يبلغوا هذه المنزلة ، ونرضى منهم بأن تبقى ثرواتهم تحت أيديهم على أن يتصرفوا فيها ويختاروا أبواب استعمالها بما يتفق مع حاجات الأمة وعزة الدولة . فقد يكون التعاون في عصرنا هذا على إنشاء مصنع للصلب والحديد ، أو المساهمة في إقامة مصانع الأسلحة ، أفضل عند الله من إنشاء الملوك في القرن الماضي والذي قبله تكايا للكسالى والمنصرفين عن العمل والكسب النبيل . فإذا نوى أصحاب رؤوس الأموال من سراتنا استعمال أموالهم فيما تقوى به الأمة وتحقق به عز الدولة تجاه الأعداء من شانئيها ، فإنا نعد ذلك في هذا العصر من تعاون الأغنياء مع شعوبهم على ما يعلي مقامهم ومقام شعوبهم بين الأمم .

ومبدأ الإصلاح في سياسة المال أن ينظر أصحاب الأعمال إلى مرافقهم الصناعية

والتجارية والاقتصادية بأنها جزء من ثروة الأمة والوطن ، وأنها أمانة الله تحت أيديهم استخلفهم الله عليها ليديروها بحسب مصالح الأمة ، وبما يرفدها قوة ويحميها بذلك من ذل الحاجة إلى الأغيار . ولعلهم إذا نظروا هذه النظرة إلى مرافقهم ومؤسساتهم أن تسري عدوى الخير إلى عمالهم فيكونوا أخلص لهم في خدمة المؤسسة واعتبار أنهم لا يخدمون فيها شخصا لمصلحته الخاصة ، بل يخدمون الوطن بخدمة جزء من ثروته والسهر على تنميتها وتقدمها . ويحزنني أن أقول . إن اليهود يتحدون لصهيونيتهم بالعنصر المادي من هذه المعاني التي هم غرباء عنها وهي من مبادئنا ، ولعلنا نستيقظ لذلك ونتخذ هذه المعاني سلاحا لنا في المعركة التي نخوضها لنكون عند الله من الصادقين ، وفي جهادنا من الظافرين .

وإلى هنا أتكلم عن التعاون بمعناه العام ، وأصوله الإسلامية ، لا بمعناه الفني الذي يوشك أن تختاره مصر نظاما لها بعد أن قالت في المادة السادسة عشرة من دستورها : « تشجع الدولة التعاون ، وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها » .

وأنا أراقب حركة التعاون في مصر من عشرات السنين ، فقد رأيتها وهي تولد ، وتابعت تطورها وهي تحبو ، ولاحظت قوانينها كلما تغيرت وتجددت . وعيبها الأول والأخير في نظري أن التعاونيين ينظرون إلى حركة التعاون بعيون أوربية وأمريكية . هي عندهم طريقة من طرق الحياة الاقتصادية تكون مستقيمة إذا صحت أركانها وانتظمت ميزانيتها وحساباتها ، وأقصى ما يحاولون فيه لنجاحها أن تعزل وأن يكون القائمون عليها حاذقين في قواعدها والعمل بنظمها . وهذا الذي يحرصون عليه هو جسم التعاون ، ولهذا الجسم روح لعله هو الذي عناه جمال عبد الناصر لما قال . التعاون كلمة ضخمة ، وكلمة لها معنى كبير .

إن روح التعاون هو خلق التعاون ، والإيمان بالتعاون ، وثقة المتعاونين بعضهم ببعض . وهذا هو العنصر المفقود في حركة التعاون قبل الوعد الذي أعلنه الدستور في مادته السادسة عشرة بأن الدولة تشجع التعاون وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها . والذي أحب أن ألفت الأنظار إليه أن تشجيع التعاون ورعاية منشآته يجب أن يبدأ بتقوية روح التعاون والحرص على توفره في المنشآت التعاونية ، فإذا استطاعت الدولة أن تقوى هذا الروح وتشجعه وترعاه فإن التعاون سيقف على رجليه ويتحرك ويمشي ، وتكون له حركة ذات حيوية نشيطة ، ونطمع أن تكون الدولة حينئذ دولة تعاونية ، وهذا ما يوشك أن يكون ، وسوف يكون إن شاء الله طال المدى أو قصر ، وكلما عجلنا بوجود

عنصر الحيوية فى التعاون ، وأعنى به خلق التعاون والإيمان به وتبادل الثقة بين أهله ، كان ذلك أسرع فى نجاح حركة التعاون ، وقيام دولة التعاون وسيادتها فى دنيا العروبة والإسلام .

أقول هذا بمناسبة ما نشرناه فى باب الأدب والعلوم من أخبار الماضى عن مؤتمر المناطق التعليمية لمناقشة سياسة التعليم ، وإعلان وزير التربية والتعليم فى ذلك المؤتمر : « أن التعاون ينبغى أن يكون موضوع الدراسة فى جميع مراحل التعليم هذا العام ، وأن يبين جانب مزاياه للتلاميذ ، وتدريسه فى كل مادة من مواد الدراسة ، حتى تغرس عقيدة التعاون فى نفوس أبناء الشعب جميعاً » . وهذا تحقيق عملى لما جاء فى مادة الدستور خاص بتشجيع الدولة للتعاون ، ولكننى أعود فأخشى من مدرسى وزارة التربية والتعليم الذين سيتولون هذه المهمة فى المدارس أن يعنوا بروح التعاون وتربيته فى نفوس النشء كعنايتهم بقواعد التعاون وتعليمها لهم ، فمهمة المدرس الآن مزدوجة تتناول التربية والتعليم معاً لا التعليم وحده كما كان الأمر من قبل ، وتتناول روح التعاون وقواعد التعاون معاً لا قواعد التعاون وحدها كما كان مفهوم التعاون من قبل .

كان تعداد الجمعيات التعاونية فى مصر فى نهاية السنة الشمسية الماضية ٢٧٨٤ جمعية ، منها ١٨٩٢ جمعية تعاونية زراعية ، و٣٥٢ جمعية تعاونية منزلية ، و ٢٩٤ جمعية تعاونية مدرسية و ٨٨ جمعية للإصلاح الزراعى ، و ٨١ جمعية تعاونية للمساكن ... الخ ، وهذا العدد الضخم من الجمعيات التعاونية كان يكفى لتمهيد الطريق بين يدى دولة تعاونية لو أنه نجح فى إشاعة روح التعاون فى الأمة حتى تكون أمة متعاونة ، ولكن العنصر المفقود فى حركة التعاون أعنى روح التعاون هو الذى جعل العدد الأكبر من هذه الجمعيات متخلفاً ومتعرضاً عن المجتمع ، وقد يضطر القائمون بمهمة الإصلاح فى الحركة التعاونية إلى إلغاء أكثر من نصف هذه الجمعيات لتعاجزها وتخلفها ، ولتجديد تكوينها من جديد على أسس صالحة . ومهما كانت الأسس المادية التى تبنى عليها جمعيات التعاون الجديدة صالحة فإن روح التعاون وخلق التعاون والإيمان بالتعاون وعنصر الثقة والتعاون هو الذى يجب أن يتحرى قبل كل شىء ، وأن يبحث عن أهله ، وأن يشجع أهله ، ليتم بذلك تشجيع التعاون ورعاية منشآته بمختلف صورها .

كان المفروض فى الجمعيات التعاونية التى نشأت لبناء المساكن ولا سيما فى عاصمة الجمهورية أن تضرب المثل للتعامل بالمعانى التعاونية السامية ، لأن أعضاءها سيكونون متجاورين فى بقعة واحدة ، وستصبح منازلهم فيها كأنهم أبناء أسرة واحدة أو قبيلة

واحدة يتبادلون حقوق الجوار ، ويتسابقون إلى القيام بواجبات المتعاونين الذين يمثلون – في الغالب – طبقة واحدة متشابهة في المستوى الثقافي والتجاوب الاجتماعي والفكري . ومع ذلك فما نسمع عن بعضهم من التسابق في دوافع الأثرة والأنانية ما يتنافى مع معاني التعاون وأهدافه العليا ، هذا وربما كانت مساكنهم التعاونية لم تتم بعد ، فكيف يتمتعون بحلاوة الجوار الحق، والتعاون السعيد بعد السكنى إذا كان بعضهم يقطع الطريق على هذه السعادة وذلك الهناء لشيء من الأثرة لا يستحق كل هذه التضحية . وقد يكون التمادي في ذلك ناشئا عن ضعف الأعضاء الذين تقع عليهم مسئولية تمثيلهم في إدارة الجمعية ، وكلا الحالتين من نواحي الضعف في الكيان التعاوني ، وكان ينبغي لقسم التعاون في وزارة الشئون الاجتماعية والعمل أن يوجه روح التعاون ، حيثما يرجعها لجسم التعاون ، ولا سيما في هذه السنوات من حياة الحركة التعاونية ، إلى أن يجري فيها عنصر الثقة الذي لا حياة للتعاون إلا به ، بل هو التعاون والعناصر الأخرى تبع له .

ولقد سمعت من صديقي الأستاذ محمود فوزي مدير إدارة التعاون بالإصلاح الزراعي خبرا أثلج صدري ، وذلك أن حريقا نشب في إحدى الجمعيات التعاونية للإصلاح الزراعي ، فحضر على الفور في نفس اليوم مندوبو عشرين جمعية تعاونية قريبة من منطقة الحريق ومع كل منهم مبلغ من المال تتراوح بين مائة جنيه ومائتي جنيه إعانة للمنكوبين في الجمعية التي حدث فيها الحريق . إن هذا الحادث ينبغي أن يسجل في تاريخ التعاون المصري ، لأنه يبشر بولادة التعاون بمعناه الحقيقي ، وسيكون له ما بعده من أمثال هذا التعاون الذي يجعل المؤمنين به – وهو من عناصر الإيمان الإسلامي – كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو سهرت من شكواه بقية أعضائه . وقد يكون مندوبو الجمعيات الأخرى التي تعاونت مع زميلتها بهذا التواسي في كارثة الحريق مدفوعين إلى ذلك بإرشاد المشرفين عليهم من كبار التعاونيين ولكن على فرض وقوع ذلك فإن استجابة الجمعيات الأخرى لهذا الإرشاد يبشر بدبيب روح التعاون الحقيقي في بعض جمعيات الإصلاح الزراعي .

وبعد فقد كتب التعاونيون كثيرا في معالجة طرق الإصلاح التعاوني ، ولكن الناحية الخلقية قلما تناولتها الأقلام بالدراسة والتنبيه ، ولعل وزارة التربية والتعليم تتخذ من ذلك أساسا في تدريس التعاون ، فيكون أساسا لقيام صرح التعاون الحقيقي في المستقبل .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٥٤ —

سلامة الأمة في تدينها
لا في مجرد سلطانها وحضارتها

> « ألم يروا : كم أهلكنا من قبلهم من قرن
> مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ؟ ؟ »

ليس جديداً أن يقال : إن القرآن كتاب تربية جديدة ، وتقويم شامل ، لذلك كان منهجه في الخطاب منهج التقدم بالحجة ، والإقناع ، وأن يسلك بالعقول مسالك التوجيه إلى ما يقع تحت الأبصار ، أولا يبعد عن المدارك . . . ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام : « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ؟ » .

ومعروف أن دعوة القرآن كانت موجهة أول أمرها إلى أقوام عتاة ، يتحكم فيهم التقليد وتلهيهم الشواغل عن العبرة ، ويتوهمون أن صنيعهم مازال سيمتد بهم في أمان من الأحداث ، فكان من سياسة القرآن معهم أن يدرج بهم على المراقي ، ويضرب لهم من أمثال الغابرين ما يقع تحت أبصارهم أو ما لا يبعد عن مداركهم .

والعرب قوم رحالون ، ويشهدون من معالم الدنيا وآثار الأقدمين شيئاً غير يسير ، فهم يعرفون من أنباء الأمم المحيطة بهم ما يكفي لإيقاظ الوعي فيهم لو أرادوا .

ولكن لما عتوا ، وتمادوا في الإباء القاتم جذبهم القرآن إلى ناحية العبرة ، وذكرهم بتاريخ شاخص لمن يبصر به ، ولوى رقابهم إلى الوراء نحو الأحداث التي ألمت بمن كانوا أشد منهم بأساً ، وأكثر مالاً ، وأعز جانباً ، ومع ذلك ما دامت بهم دنياهم وعصف بهم القضاء كما تعصف الريح بالهباء ، وأصبحوا في حساب التاريخ عبرة لمن بعدهم

وانظر تجد في الخطاب حسب نص حة :

فيه استفهام إنكاري ينطوي على تقريع ومفارقة بأولئك المتصلفين الذين يتعامون عن رؤية ما يقع تحت بصرهم ، أولا يبعد عن مداركهم لو تفطنوا قليلا .

وينطوي على اعتزاز الله بقوته الجبارة ، حيث أهلك قرونا سابقة كانت بالغة العتو ، وأشد بأسا من هؤلاء الذين يواجههم القرآن من جديد .

وينطوي على تحقير هؤلاء بالنسبة إلى سابقيهم ، إذ كان الأولون ممكنين في الأرض أكثر من هؤلاء ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ولا سلطانهم ، ولا قوتهم وجبروتهم من الله شيئا .

وفي هذا الإيضاح ذكر الكتاب الكريم جانبا مما كان عليه الغابرون من سعة في العيش لم يمكن للمخاطبين من قريش ومن إليها .

فقال سبحانه : « وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم » . فالمطر مناط الحياة في البقاع الصحراوية وما في حكمها ، ومتعلق العرب بالمطر كتعلقهم بالحياة نفسها ، فإذا عرفوا أن المطر كان دائما لا ينقطع عن أولئك الغابرين ، ولا يجحف بهم كثرته ، بل كان غامرا ، ومتتابعا ، وخصبا ، ونعمة مصحوبة في الأوراق والخضرة إذا عرفوا ذلك ، وتنبهوا إلى أن حظهم من المطر وآثاره لم يبلغ ما بلغه أولئك ، أدركوا ما بينهم وبين السابقين من فرق . وعرفوا أن شأنهم في الدنيا أهون من شأن السابقين ، وكان عليهم أن يدركوا ما هم معرضون له كما تعرض له الأقوى منهم بسبب ذنوبهم وطغيانهم ، وأن الله أنشأ بعد إهلاك الأولين أمما أخرى سكنت ديارهم ، وورثت أوطانهم ، وعمروها من بعدهم ، وأصبح ذكرهم قصصا تروى .

وبعد ـ فما كان القرآن ليزحم بهذه القصص دون هدف يرمي إليه في إصلاح الناس ، والإقلاع بهم من غواية البصائر وقسوة القلوب .

وما كان الإعراض عن خشية الله مهلكا لأمم سابقة دون أن يكون شأنهم شأنا لغيرهم ممن يحاكيهم في غرورهم ، ويحرص على آثارهم في المفاسد .

وأن سنة الله في خلقه لا يقف دونها حائل من سلطان الأمم مهما بلغت من جبروت

وإذا كان من حكمته أن يترفق بهم، وألا يعاجلهم بالهلاك، فليس في هذا أمان من أخذه كما أخذ القرى الظالمة من أهل القرون الأولى.

وقد عرف الناس من تاريخ الحياة قسطاً غير محدود، وعرفوا أن الدنيا أصبحت في غير لونها الأول، وأخذت في نمو مطرد، وفي سرعة خاطفة، حتى تعودنا أن نصبح في تجددها مطلع كل يوم جديد، ونحن وكل من يدرك معنى الحياة نستبشر بهذا الرقي، ونبتهج لانتعاش الحضارة، ونود لو نعيش في ظلالها حقبة طويلة.

ومع ذلك نرى استكمال الدنيا لمباهجها المتزايدة من مباهجها، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس. فالقرآن يحجزنا عن الغرور بتلك المظاهر، مع حثه لنا على الجد فيها والمنافسة في تعميرها، وتدبر ما غيب من نعم، والانتفاع بكل ما نصل إليه من أسرارها وسننها مما أباح الله، ولم يتعلق به حظر، ولا تتصل به مفسدة.

وتحذير القرآن حماية لنا من الفتنة ومحافظة علينا من الغفلة. فالقرآن حين دعانا إلى الخير من جانبيه: جانب التمتع في الحياة بما اشتملت عليه، وجانب الصلة بالله، وتحاشي ما يذهب بالصحة والتحفظ لاستعداداتها ترضية لله فيما دعانا إليه من نشاط روحي أو مادي.

وهذا ربط للدنيا بالدين في أفق واسع، ونهج رشيد، وجهد متصل.

وفي ضوء ذلك تكون الحضارة الحديثة، والمعارف، والفنون، وكل حركة إيجابية تأتي بنفع تكون هذه كلها من وسائل الخير الذي يهدف إليه الدين، ويعتبره مظهراً لفضل الله على عباده، وتسخيراً لهذه الدنيا التي وفر فيها كل أسباب التعمير، واختار الإنسان خليفة فيها ليتدبرها، ويحسن استثمارها، ويتمتع بها، ويشكر المنعم علينا من أجلها.

وليس من الفهم للدين أن نعرضه عدواً للدنيا، أو صارفاً عنها بعد أن وضح لنا أنه يطهرها مما يشوبها، ويرمي إلى كمالها، وحسن الانتفاع بها.

ومن خير التوفيق أيضاً أن يعتبر هذا النشاط الدنيوي استئنافاً لما ينطوي من الزمن، واستعداداً للحياة في سبيل الخلود، فإن طبيعة الدنيا أمام الأعين، وفي المدارك، وفي كل

ما عنده ، أو عسكرية يشهد بالفناء ، والدنو إلى النهاية المحدودة في علم الله ، فعجيب منا أن ننسى جانب العبرة ، وأن نتمادى في التغاضي ، وأن تسحرنا مباهج الدنيا ، وتخدع وراء الظواهر الفتانة التي تعرض ثم تنكمش بذورها وتضيع في غمرة حساب البقاء .

إن المعالم الثابتة التي يستطيع الإنسان أن يسير في ضوئها ويستمد منها معارفه هي الكتب السماوية الشريفة وملاكها القرآن الكريم .

وكم وددنا أن تجمع الأمم إلى التزود منه ، وألا تحتجب عن موارده وراء العصبية ، أو الجهالة أو الانهماك في العيش .

ولكن أناسا يقبلون عليه فيهديهم الله بهدايته وآخرين يصدفون عنه فيضلهم بما كسبت أيديهم ، والقرآن في ذاته مشرق دائما لكل ذي بصيرة .

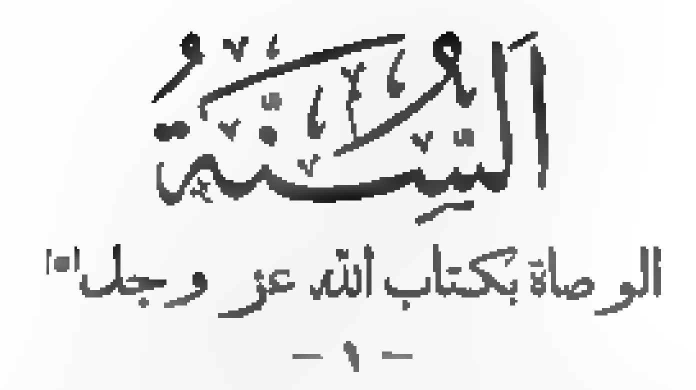
وصدق الله في قوله : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الرجل المخيف

يقول (روبرت جاكسون) القاضي بمحكمة الاستئناف العليا بأمريكا :

« إن مجتمعنا يحق له أن يخاف الرجل المتعلم وحده ، وذلك لأن أفظع الجرائم وأشدها خطورة على الحضارة يمكن أن يرتكبها أولئك الذين نالوا قسطا وافرا من العلوم ، وتبحروا في الدراسات الفنية التي تخصصوا فيها . وليس ثمة ما يصلح هذا الاتجاه الخطير سوى المغالاة بإدراج الثقافات التهذيبية العظيمة والمبادئ الإنسانية ذات القيم الروحية التي تيسر لصاحبها الحكم السليم على قيم الأشياء ، ضمن المواد التي يحتم على جميع الطلاب دراستها .



الوصاة بكتاب الله عز وجل(*)

— ١ —

> حياتنا دين لكتاب الله — هل نقضي هذا الدين ؟ — عربة مسطورة — تروجها بين صديق جاهل أو عدو عاقل — ما أجدرنا أن نتواصى بحياتنا خيراً .

عن طلحة بن مصرف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف كتب على الناس الوصية ؟! أو أمروا بالوصية ؟! قال : أوصى بكتاب الله .

(رواه الشيخان ، و اللفظ للبخاري)

• • •

بينا في الحديث السابق أن النصيحة لكتاب الله تعالى . إجلاله وتعظيمه ، وتعلمه وتعليمه ، والعمل به ، والتأدب بأدبه ، والوقوف عند حدوده ، والذب عنه ، والدعاء إليه ، والإنفاق في سبيله .

(*) كلمة إشراف الأرض المعمور من جمعيات تحفيظ القرآن الكريم بأرض الكنانة ، أعزها الله وعز بلاد المسلمين بكتابه . وهذا العنوان هو ترجمة الإمام أبي عبد الله البخاري للحديث في « فضائل القرآن » غير أنا اخترنا لفظ روايته له في أوائل « الوصايا » وقد رواه رواية ثالثة في « مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته » والروايات الثلاث متقاربة .

هذه النصيحة ، هي جماع الوصاة بهذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والوصاة بكتاب الله عز وجل ، هي – بلا ريب – عين الوصية بحقوق الله وحقوق رسوله ، بل هي عين الوصية بحقوق المسلمين بعضهم على بعض ، أئمتهم وعامتهم جميعا .

إن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها : عربهم وعجمهم ، بل شاهدهم على ظهر البسيطة ، دين في أعناقهم هذا الكتاب الذي تعهد الله بحفظه . ومن أوفى بعهده من الله ، فلينظر المسلمون – أفرادا وجماعات ، شعوبا وحكومات ، كيف يصنعون بهذا الذي – طريقهم إلى البقاء والعلاء ، أو طريقهم إلى المقام الكريم ، والظل المقيم ؟ ! فوالله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، لولا هذا الكتاب لذهب الإسلام والمسلمون إلى غير رجعة ، ولذهب على أثرهما ما في الأرض جميعا . أي وربي إنه لحق ، ومن أصدق الشواهد على ذلك أن رفع هذا الكتاب آية من آيات الساعة ! ! ؟

• • •

كان بعض أشياع علي رضي الله عنه ، وكرم الله وجهه ، أشاعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي من بعده ، وأن الصديق ثم الفاروق رضوان الله عليهما انتزعاها منه ... ووضعوا في هذه الفرية أكاذيب لا تزال مسطورة إلى اليوم ، يخدع بها ويخدع ، من ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ... وقد انبرى لرد فريتهم حملة العلم وأساطين هذه الأمة من سلفها الصالح إلى يومنا هذا .. بل إن عليا نفسه رضوان الله عليه يكذبهم ويتبرأ منهم ويرد عليهم ، ولم يدعها لنفسه قط ، لا قبل خلافته ولا بعدها ، ولا ادعاها له أحد من أصحابه وأعوانه ، وهذا أبو جحيفة رضي الله عنه يقول : قلت لعلي رضي الله عنه ، هل عندكم شيء من الوحي إلا في كتاب الله ؟ فقال لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل (١) ، وفكاك الأسير ، وألا يقتل مسلم بكافر ، وعنه كرم الله وجهه : ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعم الناس كافة إلا ما في قراب سيفي هذا ، ثم أخرج صحيفة مكتوبة .. وقالت عائشة

(١) الدية ؛ لأنهم كانوا يعقلون فيه الإبل ويعقلونها بفناء دار المقتول بالعقال وهو الحبل . والمراد أن بالصحيفة أحكام الدية ومقاديرها مفصلة .

رضي الله عنه ـ وقد ذكروا أن عليا كان وصيا ـ : متى أوصى إليه رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كنت مسندته إلى صـدري (أو قالت حجري) فدعا بالطست ، فلقد انخنث (مال) في حجري وما شعرت أنه مات ! فمتى أوصى إليه ؟ ! كل هـذا ثابت في الصحيحين وغيرها . . .

وهؤلاء الذين يزعمون الوصية لعلي رضي الله عنه من الأصدقاء الجهلة الذين ينقصونه ويذمونه من حيث يظنون تعظيمه وتكريمه ، ذلك بأنهم ينسبونه مع شجاعته وعلو همته وصلابته في دين الله عز وجل ، ينسبونه مع هـذا كله إلى المصانعة والمداهنة والتقية ، والجبن عن المطالبة بحقه وهو قادر عليه والله مؤيده وناصره ! ! إن هذا هو الضمير الثاني الذي يحمي الله أولياءه وأهل بيته منه . . . لقـد كان رضي الله عنه يتطلع إليها ويريدها لذات الله عز وجل ، ولـكن الله الحـكيم العليم لم يردها له ، ولو أرادها لأحلها بها الأمين المأمون صلوات الله وسلامه عليه ، ولصاحت بها الدنيا صيحة أعمق في الآفاق مدوية .

ولقد استحت عنه العباس أن يسأل النبي صلى الله عليـــه وسلم والفرصة في ظنه مواتية ، فأبى :

روى البخاري أن العباس أخذ بيد علي فقال له : أنت بعد ثلاث عبد العصا ! وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا ، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله . فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا ، فقال علي : إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني والله لا أسألهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن هؤلاء الذين يزعمون أنه صلوات الله عليـــه وسلامه أوصى إلى علي بالخلافة ، وانتزعها منه أبو بكر وعمر ، ليؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه وأهل بيته ، قصدوا إلى هذا الإيذاء أم لم يقصدوا ، ويسيئون إلى دين الحق والعـدل ، أرادوا أم لم يريدوا . . . ثم لن ينالوا من ذلك مأربا . . .

* * *

لما شاعت تلك الفرية وذاعت ، وعمل على ترويجها صديق جاهل أو عدو للدين الله

فقال : أحب طلحة بن مصرف أن يستبين ويستوثق من أحد علماء الصحابة وأتقاهم : عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما .

وطلحة بن مصرف أحد كبار التابعين وخيارهم ، اتفقوا على إمامته وجلالته وورعه ، ووفور علمه بالقرآن وغيره ، وكان يسمى سيد القراء ، ولما أجمعوا على أنه أقرأ أهل الكوفة غدا إلى الأعمش يقرأ عليه ليذهب ذلك الاسم .

وأما عبد الله بن أبي أوفى فهو الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما .

شهد بيعة الرضوان وخيبر وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يزل معه بالمدينة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى . ثم تحول إلى الكوفة ، وهو آخر من توفي من الصحابة بها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال : اللهم صل عليهم ، فلما أتاه أبو أوفى رضي الله عنه بصدقته قال : اللهم صـــل على آل أبي أوفى .

* * *

لا يجهل طلحة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى عند موته بثلاث . . . وأن آخر ما تكلم به « الصلاة وما ملكت أيمانكم » ، كما نفصله قريبا إن شاء الله ، وإنما أراد الوصية الخاصة المزعومة ، وفهم ذلك منه بحق عبد الله رضي الله عنه ، فنفى نفيا باتا تلك الوصية المفتراة دون تردد ، ثم أثبت الوصاة بكتاب الله تعالى ، وهي الوصية الوافية الشافية التي ينطوي فيها كل ما عداها من الوصايا النبوية ، وهذا هو سر اقتصاره ـ في الإجابة ـ عليها .

وما أجدرنا نحن والنبي صلى الله عليه وسلم يوصينا بما فيه رشدنا وسعدنا ، أن نتواصى بوصيته وعهده ما حيينا ، والله المستعان على البقية »

طه محمد الساكت

بيان من مشيخة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا بيان للناس وهدى وموعظة »

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز : « يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم — فيما رواه أنس وأبو هريرة — : « خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ » .

بهذا الإرشاد السماوي الكريم ، وهذا الهدى النبوي الحكيم ، الذي بعث الله به جميع الأنبياء والمرسلين ، وتزكو النفوس ، وتطهر القلوب ، وتسعد حياة الأمم والشعوب ، فإنه ينبغي أن تقوم أمور الناس في هذه الحياة ، على المحبة والتعاون ، وعلى الصفاء والتواد ، لتصفو لهم ثمراتها ، وينعموا بخيراتها ، وليتفرغ العلماء منهم والباحثون ، للتفكير والتنقيب ، ويوجهوا جهودهم للكشف والاستنباط ، واستخدام ما خلقه الله في الآفاق ، وما أودعه في باطن الأرض وأعماق البحار ، من قوى وكنوز ومعادن وذخائر .

هذه القوى والمعادن ، وهذه الكنوز والذخائر ، التي خلقها الله للإنسان ، وسخرها لنفعه ومصلحته ، ورخاء عيشه وإسعاد حياته ، لا يمكن أن تضيق بحاجات هذا الإنسان ، مهما اشتدت هذه الحاجات وعظمت ، ومهما تكاثرت أفراد النوع الإنساني على وجه الأرض وعمت . بل إن هذه القوى والكنوز ، تفور مادتها ، وتتجلى آية الله في خلقها ، كلما اتسعت حاجات الإنسان ، وكلما امتدت الأيدي للأخذ منها والانتفاع بمنافعها . هي بقية ما يجب

الأرض والسماء ، بل هي أبق على الدنيا من حياة الإنسان نفسه ، فلا يكون من العقل ولا من الرشد ، التطاحن والتقاتل عليها ، وسفك الدماء في سبيلها ، ما دام معينها هكذا لا ينضب ، وما دام مجال الانتفاع بها فيه متسع للجميع .

إن أسباب الخير بالإنسانية ميسرة ، ووسائل إسعادها والترفيه عنها موفورة ممهدة ، وليس على الإنسان العاقل الرشيد إلا أن يتدبرها ويحسن التصرف فيها ، وأن يستخدمها في الوجوه النافعة الصالحة ، ويتجنب بها الوجوه الضارة المهلكة ، حتى يعيش هو وإخوته في الإنسانية عيشة أمن وسلام ، فإن خير الناس أنفعهم للناس .

إن ثمرات هذه الدنيا وخيراتها وكنوزها وذخائرها ، موزعة بعدل الله وحكمته ، في جميع الأقطار والأرجاء ، فليست محشورة ولا محصورة في جانب محدود من الأرض ؛ وهذا يعني أن شئون الناس في الحياة وأسباب معايشهم فيها مترابطة متشابكة ، كما أنهم مترابطون بنسب الآدمية ، متشابكون في معنى الإنسانية ، وأن شئون الحياة وأسباب المعايش يجب أن تسير بين الأمم والشعوب على نظام التبادل الحر ، وأن تضبط بينها بالاتفاقات الاقتصادية العادلة ، التي لا حيف فيها ولا حرب ، ولا احتكار ولا استبداد ، شأن جميع المبادلات والاتفاقات التي تجرى بين الأفراد والجماعات .

وإذاً تضيق جداً دائرة الخلاف والشقاق ، وتنحسم عناصر الشر المرذول ، وتتلاشى عوامل الفتنة ، وأسباب الحسد والتعصب ، التي وجهت العلم والمال ، وسائر الطاقات والقوى ، إلى غير وجهتها الصالحة النافعة ، وعرضتها للتدمير والتخريب ، بدل أن توجه للتعمير والبناء والإصلاح .

لماذا تتسابق دول العالم شرقيه وغربيه ، في إنفاق الملايين من الجنيهات ، على تجهيز القنابل الذرية وتحضير القنابل الهدروجينية ، وعلى الصواريخ الموجهة ، وسفن الهواء ، ومراكب الفضاء ، وعلى ما يبتلع كل ذخيرة ويفنى كل ثروة ؟ ألأن الرشاشات والدبابات والطائرات لم تفلح في إبادة الشعوب ، التي لا تحب أن تخضع للاسترقاق والاستعباد ؟ أم لأن الأمم التي تفتقت معارفها عن اختراع تلك المدمرات المهلكات ، قد ضاقت من الدنيا وبرمت بالحياة فيها ، فهي تعمل على الخلاص منها بوسائل الانتحار ، ثم عز عليها أن يبقى

على وجه الأرض أحد يسندها ، فأرادته دماراً عاماً ، وخراباً شاملا ، يفسد كل شيء ويبيد كل حي ؟!

إنه إذا لم يستطع مخترعو تلك الصواريخ ، ومكتشفو الطاقات الذرية وغير الذرية ، أن يقصروا استخدامها على المنافع المدنية ، وإنعاش الحضارة الإنسانية ، فحرام أن ينفقوا شيئاً أي شيء ، في سبيل تحضيرها وتجهيزها ، أو الاحتفاظ بها وادخارها . وحرام أن يروعوا الآمنين ، ويسمموا الحياة على الأبرياء المسالمين ، بتلك المخترعات الشريرة التي لا يراعون بها في جانب الإنسانية حقاً ولا حرمة ولا يخشون بها في جانب الله بطشاً ولا قوة .

وقديماً بغى قارون على الناس حين ملأه البغي ، وبطر بالنعمة ، نعمة العلم والمال والقوة ، وطغى مثل هذا الطغيان ، فأخذه الله وخسف به ، ونجى من كيده وطغيانه المؤمنين المتقين . « إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندي ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً » . قال تعالى : « فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » . ثم قال سبحانه : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

إن شيخ الأزهر وعلماءه يهيبون بهذا إلى حكام الشعوب ، وإلى الهيئات العالمية ، والمنظمات الدولية ، وإلى كل ذي رأي مطاع في قومه ، يدعونهم به إلى التآخي والاتجاه بكل ما يملكون من جهود ، نحو خير البشرية والرفق بها ، وإنقاذها مما يساورها في هذه الأيام من قلق ، ومما يحيط بها من ذعر ، حتى تصبح الإنسانية في مأمن من المهالك ، ويتوافر للعالم الاستقرار والأمن والسلام .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر
ورئيس جماعة كبار العلماء

ربيع الأول سنة ١٣٧٧
أكتوبر سنة ١٩٥٧

من خواطر الساعة

دور رجال الدين بعد دور رجال العلم

تواجه الجماعات البشرية حالاً من الرعب لا عهد لها بمثلها من قبل ولا طاقة لها باحتمالها ، فأخبار الصواريخ والقاذفات والأقمار الصناعية أثارت أعصابها ، وأخذت أسماعها وأبصارها ، وملأتها فزعاً وذعراً ؛ فمع كل طير طائرة ، ومع كل نبأة صاروخ ، ومع كل ومضة قمر صناعي ، وباتوا على حسك السعدان ، وشغلوا بالتفكير في مستقبلهم إزاء هذه المخترعات ، ومن قبل ذلك استنفدت الجماعات قدراً غير قليل من طاقتها العصبية في الخوف من أخطار حربين متتاليتين ، ثم فيما أعقبهما من شدائد مادية عمت العالم كله نتيجة لهذه الحروب ولأسباب أخرى متصلة بها كوضع القيود المرهقة على التبادل التجاري الدولي في المواد الخام وفي المنتجات عامة .

ثم تواجه البشرية عهداً من الرعب تظاهرت على تصويره وتجسيمه وسائل النشر الحديثة من صحافة وإذاعة وغيرهما حتى ليخال الإنسان أن الكون انقلب جحيماً تأخذه النيران فيه من بين يديه ومن خلفه ومن أيمانه وشمائله ، ومن أعلاه وأسفله ، وضاقت الدنيا بما رحبت ، وضاقت أخلاق الناس وعز الصفح والاحتمال ، وحار الطب والأطباء في تلك الأمراض العصبية الغريبة التي انتشرت بين الناس وزادت موجات الانتحار في الشعوب كما زادت نسبة الجنون ، ومرد ذلك كله على ما يذكر المختصون إلى ظروف الرعب التي اجتاحت العالم في ظل المخترعات العلمية المدمرة .

ولقد جن جنون العالم وذعرت نفوس الناس إثر إطلاق الصاروخ بالقمر الروسي وشغلت صحافة العالم وإذاعاته بالحديث عن أثر هذا الاختراع في ميادين السلم والحرب والسياسة ، وعن مدى خطره على البشرية إذا قدر أن يستخدم كسلاح حربي ، وعن قوة فتكه بالأمم والشعوب ، وأضيف إلى بيان حقيقته العلمية وطاقته التدميرية مبالغات المتكلمين وخيالات المغالين ، فاستقر في نفوس الناس له صورة رهيبة ترتعد لها النفوس

وتطير من حولها القلوب وتسكن فيها الحياة والأحياء والعلم والعلماء ، وصار الناس فيما يعملون ليعيدوا إلى القلوب استقرارها وإلى الحياة جمالها وإلى النفوس بهجتها وطمأنينتها وليشعروا أنهم في الحياة قائمة وفيها متاعا ولها خيرا وليست هذه الحياة المظلمة القديمة للفكر والوجدان .

وفي هذه الفترات يتطلع الناس إلى من يرشدهم الطريق ويهديهم سبيل الرشاد ويخرجهم من ظلمات الحيرة إلى نور الاطمئنان ويبحثون عن القدوة والزعماء وأول من تقع عليه خواطرهم رجال السياسة فإذا هم منهم في سراب لا ينقع غلة ولا يروى أواما ، فالساسة يعميهم التعصب عن الصواب ويحرمهم من قالة الحق وتعميهم المداهنة والحرص على المناصب عن الدعوة المخلصة إلى التعاون والسلام بين الشعوب ، والناس في التشكك في إخلاص الساسة وغيرتهم عبرتهم من تجارب الماضي والحاضر ، فمواقف الساسة تتكيف بمصالح الشعوب الخاصة لا بمصالح العالم عامة وليس لهم استقرار على رأى ينقضون اليوم ما أبرموه بالأمس ويستنكرون في الصباح ما اعترفوا به في المساء تبعا لاختلاف البواعث والدوافع .

لقد خاب ظن الناس في الساسة وفقدوا ثقتهم فيهم وعافوا أساليبهم ونفضوا أيديهم منهم وأخذوا ينشدون غيرهم ويبحثون عن سواهم عسهم يعثرون على طلبتهم ويظفرون بضالتهم . فأي الطوائف ينشدون ؟ وإلى أي قادة غيرهم يتجهون ؟ ليس للبشرية فيما تظن أمل بعد ذلك إلا في رجال الدين ، ورجال الدين أحق الناس الآن بقيادة الشعوب ودعوتهم أنجع الدعوات ، وإن لم ينجح هؤلاء في توجيه البشرية جهة الخير والصلاح ، فلا رجاء في غيرهم . ولقد أفلح رجال الدين عصورا طويلة في قيادة الشعوب شرقا وغربا وتمتعت الإنسانية في ظلال دعواتهم وهداياتهم بعهود من الأمن والاستقرار والرخاء والاطمئنان مازالت تذكرها وتحن إليها ، وما محنت العالم الفوضى وما حل به البلاء إلا حين انتزعت الزمام من أيدي رجال الدين ، وأمسك به جماعة لم يسوسوا الشعوب سياسة الأديان ، بل ساسوها بقوانين من وضع الإنسان ، لا يلبث بريقها أن يخبو فيسود العالم ظلام دامس تخبط الإنسانية به خبط عشواء .

سيقول السفهاء من الناس : إن قيادة الدين قيادة ضعيفة لا تظاهرها قوة النفوذ ولا قوة السلاح ، فكيف يقدر لها أن تنجح وهي مجردة من الحول والسلطان ؟! ولقد

وهم هؤلاء قيادة الدين قيادة قوية تستمد قوتها من الدين وإيمان المؤمنين ، ومكان الدين في نفوس العامة بالقدر الذي نحسه ونلمس أثره ، فالقيادة به قيادة أدبية منتجة وإن أبطأت ، مجدية وإن تعوقت .

بيد رجال الأديان أن يقودوا الشعوب إلى السلام ويوجهوها وجهة الخير والصلاح العام ، وبيدهم أن يعدلوا من أفكار الساسة ويكفكفوا من غلوائهم ويخففوا من أساليب مكرهم وخداعهم ، وبيد رجال الأديان أن يدعوا إلى استخدام ما أبدعه العلم في سبيل السلام الإنساني العام وفي مصلحة البشرية كلها لا فرق بين شرق وغرب ولا بين أبيض وأسود ولا أصفر وأحمر ، والأديان كلها تهدف إلى ذلك وتلتقي عند هذه الغاية ووجهتها جميعا خير البشرية وإسعادهم .

إن المسرح الآن معد لأن يؤدي رجال الأديان دورهم عليه وأن يعيدوا ما سلف لأجدادهم في تزعم الشعوب وقيادتها ، وقد هيأت لهم أحوال العالم الفرصة فعليهم أن ينتهزوها ، فقد ضاق الناس بالساسة وأساليبهم ، وكشفت التجارب عن خداعهم وأبانت الأمور عن فشلهم وتطلع العالم إلى غيرهم يلتمس العلاج لهذه العلل والأمراض ، وأمل العالم ورجاؤه منوط اليوم برجال الدين ، وإنهم لأكفاؤه إن أخلصوا القصد وصمموا العزم وطرحوا التعصب الممقوت والجدل البغيض ، ومن واجبهم أن يكونوا كذلك ، فالموقف جد خطير وحيرة العالم عامة وشقاؤه شامل ، لا يخص دينا دون دين ولا طائفة دون طائفة والخطر الذي يواجهه العالم خطر داهم ، لن ينجو منه قبيل دون قبيل ولا دين دون دين ، ومهمة رجال الدين هي تكوين رأي عام عالمي تشترك فيه سائر الشعوب ويتقدم إلى الحكومات بما يأتي :

١ — احترام استقلال الأمم وسيادتها .

٢ — تمكين الشعوب من نيل حريتها واستقلالها .

٣ — وقف التسلح وتوجيه نفقاته إلى رفع المستوى المعاشي للشعوب .

٤ — توجيه المخترعات الذرية إلى الأغراض السلمية المفيدة .

٥ — تخفيف القيود على التبادل التجاري بين عامة الشعوب .

هذه مطالب إجمالية تحمل كثيراً من متاعب العالم وتخفف عنه ما ينوء به وتعيد إليه شيئاً من استقراره المنشود إن أمكن تحقيقها ، والشعوب ممثلة في الرأي العام كفيلة أن تحمل الحكومات على الاستجابة لهذه المطالب ، فقد استيقظت على غير الخطوب وأهوال الحروب وأصبح لها خطرها في توجيه شئونها الوجهة التي تلائم مصلحتها ومستقبلها ، ولن تستطيع الحكومات أن تستبد بالشعوب وتقضي على رغباتها وتوجهها إلى ما لا ترضاه ولا يتفق ومصالحها .

وقد استطاع الشعب البريطاني أن يطيح بحكومة ايدن رغم استنادها إلى أغلبية برلمانية حين استبان له خطؤها في الاسترسال في الاعتداء على مصر ، ولم تغن عنه أغلبيته البرلمانية شيئاً ، ووسمه بميسم العار والفشل ، وقضى على حياته السياسية فذاق وبال أمره وكان عاقبة أمره خسراً .

إن العالم الآن مرهف الإحساس ، مهيأ النفس لدعوات الخير ، وخصوصاً إذا كانت من أهلها وكانت دعوات إلى السلام ، فقد ضاق الناس بالدعوة إلى الحروب وبأحاديث الحروب . ومن حق رجال الدين أن يهتبلوا هذه الفرصة ، وأن ينشطوا للعمل وأن يثبتوا أن لهم مكاناً في خدمة الحضارة والسلام العام ويخرسوا ألسنة السوء فيهم وفي أنديتهم وأحبارهم وبقيادة الجماعات والشعوب . فهيا يا رجال الدين وأطلقوها في مسامع الزمن دعوة تعبر القارات وتجتاز المحيطات وتستعيدوا بها مجدكم وتستكتبوا بها التاريخ صفحات عاطرة من سيركم !

أبو الوفا المراغي

لو رتعت لرتعوا

حمل مرة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مال عظيم من الخمس ، فلما نظر إليه قال :

— إن قوما أدوا الأمانة في هذا لأمناء .

فقال له بعض الحاضرين : — إنك أديت الأمانة إلى الله ، فأدوا الأمانة إليك ، ولو رتعت رتعوا .

مؤامرات ضد الإسلام

لقد رضينا بالله جل جلاله ربا ، وبالإسلام الحنيف القويم دينا ، وبمحمد نبي الرحمة ورسول النعمة قائدا وهاديا ، وبالقرآن الكريم المجيد نورا وإماما ..

لم يحملنا على ذلك إرغام أو إكراه ، ولم يخالطنا في ذلك ريب أو اشتباه ، بل آمنا – عن اعتقاد ويقين – بأن هذا هو الدين القيم الذي يجب أن نحيا له ، وأن نعمل به ، وأن نلقى الله عليه . ولذلك كان من حقنا – بل من واجبنا – أن نغار على هذا الدين ، وأن نذود عنه سهام المفترين ، وأن نحذر فيه تضليل المدعين ..

ولكن يظهر أن كثيرا من المنتسبين إلى الإسلام يفرطون في حقوقهم كما يخونون واجباتهم ، ويغالطون أنفسهم كما يغالطون سواهم ، فهم يرون المكايد السافرة المنظمة المتلاحقة المنصبة على هذا الدين ، وهم في غمرة ساهون ، أو عن حق دينهم في رقابهم يتغافلون ...

إن أعداء الدين الكبار والصغار يعملون بجد ومكر على تحويل هذا الدين ، وتسخيره للأهواء والرغبات ، وتطويعه للذات والشهوات ، وإخضاعه – وهو هدى الله العلي الأعلى – للحياة الدنيا بمتاعها ولهوها ، وباطلها وزينتها ، بدل إخضاع هذه الحياة لتعاليم هذا الدين السمح الكريم ، وكلما راجت عندهم بدعة أو بلوى ، ووافقت لشهواتهم ولذاتهم ، ذهبوا يلتمسون لها الفتوى من الدين في شطط وتكلف ، ويتأولون في الرخص تأولا فاحشا ، ويتوسعون فيها توسعا مسرفا ، ويأخذون بالآراء الشاذة والأقوال الباطلة والفتاوى الكاذبة أو المتهالكة صنعا ، لا لضرورة ملحة ، ولا لمصلحة عامة لازمة ، بل لأن الهوى يريد ، ولأن الشهوة تحكم ، ولأن الإجلال لحق الله تبارك وتعالى – وهو خالق الخلق وواهب الرزق وصاحب الأمر – ينكمش فيهم ويتضاءل ، أو يختفي ويزول ! ...

ولقد يضحك أهل الأرض على هؤلاء سخرية وهزءا حينما يستغل هؤلاء نصوص الدين بعد تحريفها عن مواضعها استغلالا رخيصا دنيئا في تبرير سيئاتهم وتسويغ منكراتهم ،

وحينا يحاولون باستخدامهم لمختلف الألوان تسخير بعض المنتسبين إلى الدين لكي يأتوهم بالفتوى المصطنعة أو التسويغ الذي يريدون ، ومعنى هذا أنهم يريدون أن يجعلوا الدين تبعاً للهوى ، لا أن يجعلوا الهوى خاضعاً للدين ، مع أن اتباع الهوى بهذه الصورة يكون إيذاناً بالكفران بالله ، والحق عز وجل هو الذي يقول : « أرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ أفأنت تكون عليه وكيلاً » ؟ . ويقول : « قل لا أتبع أهواءكم ، قد ضللت إذاً ، وما أنا من المهتدين » . ويقول الرسول صلوات الله عليه : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » . وهذا الرسول نفسه — وهو المصنوع على عين ربه ، المختار لأمانته ورسالته ، المعصوم من الزلل في دينه ودعوته — لم يرض الله له أن يكون متبعاً للهوى أو خاضعاً لمواقفه ، فقال عنه ربه : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى » ! . .

• • •

ترون أعداء الدين يقولون مثلاً : « ليس في الإسلام رجال دين » . وهذه كلمة حق في ظاهرها ، يراد بها باطل خطير في باطنها ومرماها ، فهم يريدون من وراء ذلك أن يصبحوا يوماً من الأيام — وما هم ببعيد — يقولون فيه : « ليس هناك دين » ! . .

ثم إن الإسلام لا يعرف طائفة خاصة لها سلطة روحية خاصة ، أو سيطرة دينية خاصة تعرف باسم « رجال الدين » على النحو المعروف في بعض الديانات ، ولكن الدين — بنصوصه وأحكامه ومبادئه ومناهجه وأصوله وفروعه — يحتاج دائماً إلى علماء من أهله يدرسون مسائله ، ويفقهون تعاليمه ، ويبينون للناس أحكامه ، ويبلغون للعالمين دعوته .

وللإسلام علوم تحتاج إلى جهد وتفرغ ودراسة وتبيان ، فالتفسير والحديث والفقه والتوحيد والأصول والأخلاق والسيرة وآراء الدين في مشكلات الحياة الفردية والجماعية ، كل هذه أمور دقيقة عميقة واسعة ، تحتاج إلى صبر وعكوف ، وتحتاج إلى إعداد واستعداد ، والله سبحانه يوصينا في كتابه بأن نسأل في الدين من له خبرة به : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . ويقول : « الرحمن ، فاسأل به خبيراً » . ويقول : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » ! .

ونحن نعيش في عصر « التخصص » ، والناس ينادون بالتخصص في نواحي الحياة المختلفة ، ويحاربون اعتداء أي طائفة على اختصاص طائفة أخرى ... فالأطباء مثلا جماعة لا يزاول عملها من لم يتخصص في الطب ، ولو باشر أحد من الناس عملا من أعمال الطبيب لتعرض للمحاكمة ونال العقاب ، وكذلك لا يجوز لغير المحامين أن يترافعوا في القضايا ، ولا لغير القضاة أن يفصلوا فيها ، ولا لغير الصيدليين أن يجهزوا الدواء ، ولا لغير الضباط أن يلبس ملابس الضباط ، فضلا عن أن يباشر اختصاصهم .

فلماذا إذن لا يكون هناك متخصصون في العلم والدراسات الدينية وبيان الأحكام الدقيقة والخطيرة للناس ؟ .. وإذا لم يكن في الإسلام « رجال دين » بالمعنى الذي ذكرنا فلماذا لا يكون هناك في الإسلام « علماء دين » يرجع إليهم المستفتون في أمور الدين ؟ .

هنا سيقول لك الماكرون المخادعون من أعداء الله وأعداء ملته : لا لا ... إن الدين ليس احتكارا لأحد ! ... وهنا يبيحون لكل من هب ودب — من هب هبوب الذباب أو دب دبيب الخنفساء — أن يلغوا في الدين بما يشاء ، وأن يكتب وينشر ويذيع أفكارا وفتاوى دينية ما أنزل الله بها من سلطان ، بل حدث منذ حين أن اشتركت امرأة لم تقرأ شيئا عن الدين في مؤتمر خارج البلاد ، واشتركت فيه بصفتها الفردية ، ولكنها ادعت لنفسها في المؤتمر أنها تمثل العالم الإسلامي والرأي الإسلامي ، وبطبيعة الحال قبلها المؤتمر على هذا الوضع ، وصدقها فيما قالت ، وهي ورأيها ونشأتها وتصرفاتها في واد ، والرأي الإسلامي في واد آخر بعيد ! .

وكلما حاول غيور أن يقف في وجه هؤلاء البلاء ثاروا ثورة الحمر الوحشية ، وتباكوا على حرية الرأي والفكر ، وهم في الواقع يريدون ألا يكون هناك من يغار على حرمات الدين أو يدافع عنها ، أو من يذكر الناس بكلمة الدين في شئونهم وأمور حياتهم ، حتى إذا لم توجد هذه الطائفة المتصدية لباطلهم وزيغهم ، المحاربة لسفههم وفجورهم ، المنددة بضلالهم وإضلالهم ، المذكرة بحقوق ربهم ، ضاع الدين بين الجميع كما يعملون ويشتهون ويحظرون ، ويقدرون فتصدق الأقدار . يقول الله تعالى في سورة التوبة : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » . ويقول في سورة الفتح : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ،

وكفى بالله شهيدا » ويقول فى سورة الصف : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » ا .

• • •

ومن أجل هذا المرض الخطير الخبيث تروهم يهجون الأزهر الشريف فى كل مناسبة ، ويهونون من شأنه ومن شأن رسالته ، ويحملون على علمائه وأعلامه حملة شعواء بلا رفق أو استثناء ، ويبخسون حقوقهم ، ويتناسون جهودهم وجهادهم ، ويفترون عليهم بالباطل ، ويعوقونهم عن أداء رسالتهم بشتى الوسائل ، ويسترون ذلك باسم الإصلاح والتطوير والتجديد ، وهم فى الواقع يريدون أن يهدموا الحصن الأخير للإسلام ، وهو ذلك الأزهر الذى طاول القرون ، وعاش أكثر من ألف عام باسم الإسلام ، وانكمش فى فترات الظلمات والانحطاط على التراث الإسلامى والثقافة العربية ، فحفظ لنا هذا الميراث الدينى العلمى اللغوى الأدبى الأخلاقى الضخم الجليل ، ولو لم يكن له إلا هذا الحفظ لكفاه مفخرة ! . . . الأزهر صاحب الفضل علينا وعلى الناس جميعا هنا وهناك وهنالك . . . والذى يعبئ من ساحته مشاعر المسلمين وعواطفهم كلما ألمت بساحتنا ملمة ، والذى يعيش على حسابه ويحمل سمعته وهيبته فى سائر بلاد العروبة والإسلام ، ومع ذلك يحاربه هنا محاربون ، ويتحامل عليه متحاملون ، ويزيد فى بلائه وأسباب تجميده وتأخيره عن أداء رسالته كثيرون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وكأن هؤلاء المفسدين الملحدين لم يكفهم أن الطوفان المدنى الاجتماعى قد اكتسح فى طريقه كتاتيب القرى التى كانت مبثوثة فى كل ناحية لتحفيظ القرآن الكريم ، فتضاءلت وانكمشت وقاربت أن تودع ، وقد كان الطفل فى البيت المسلم يفتح أذنيه أول ما يفتحهما على القرآن الكريم ، ويحرك شفتيه أول ما يحركهما بحفظ سوره ، فالبيت المسلم حينئذ تتردد فيه الآيات كل صباح ، و « كتاب الحى » يتلقف الصبيان من أول الطريق ، جاء أعداء الدين فلفتونا عن قرآن ربنا بقصصهم الداعرة ، وكتبهم الماجنة ، وصحفهم المتحللة ، ودعواتهم الإلحادية السافرة ، وثقافاتهم الرقيعة المرقعة . « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » .

• • •

واستغل هؤلاء موضوع المرأة ، لعلمهم أن المرأة هي ذات الأثر والخطر ، وأن المثل يقال عند كل حدث ذي بال : فتش عن المرأة ... وتعللوا أولا بأنها مهضومة الحقوق مظلومة ، فقلنا : الإسلام يطالب بإنصافها .

وتعللوا بأن الرجل يهينها ويحتقرها ، فقلنا : نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام يكرمها ويرفع قدرها فيقول : « النساء شقائق الرجال » .

وتعللوا بأنها جاهلة يجب أن تتعلم ، فقلنا : الإسلام يوجب عليها العلم بما يجب العلم به من أمور الدين وشئون الدنيا ..

تعللوا بما تعللوا به ، وأجبناهم بما أخرس ألسنتهم وقطع عليهم سلاحهم ، ولكنهم لم يكفوا ولم يرتدعوا ...

لقد أخذ هؤلاء الشياطين الماكرون يستغلون موضوع المرأة في خبث عميق واسع ، وغرروا بالمرأة المسكينة ، ودفعوا بها إلى المعاطب والمهالك ، فلم تنل المرأة حقا ولم تهتد صدقا عن طريقهم وبأسلوبهم إلا في القليل النادر ، ولكنها في الأعم الأغلب أطلقت ساقيها للريح – إلا من عصم الله وهن قليل – فتعرت المرأة باسم دعوة الحرية وتجردت ، ورقصت ودخنت ، وسكرت وعربدت ، وتناولت المخدرات وعاقرت ، وتاجرت بجسمها وخانت ، وأسرفت في تحررها وتبجحت ، وشاركها في أغلب ذلك أمثالها من المتحللين من الرجال .. فلم يشق بها الرجل ، ولم يسعد بها البيت ، ولم يصلح بها المجتمع ، ولم تسعد المرأة نفسها بذلك الانطلاق المنحرف ، بل شقيت جراء ما أسرفت ، ولم يكن هذا الاستغلال للمرأة من أعداء الدين إلا نوعا خبيثا من الهدم لتعاليم ذلك الدين وخلقه ، لأن المرأة المتهدمة الأخلاق والفضيلة هي الهوية الشيطانية الخطيرة ! ...

لقد أراد الإسلام المرأة أما فجعلها هؤلاء لاهية لاعبة ، وأرادها زوجة حليلة ، فجعلوها عشيقة خدينة ، وأرادها ذات عفة وفضيلة فجرفوها إلى الإثم ودفعوها إلى المنكر ، وأرادها طيبة فجعلوها صيد متعة أو صيد جماعة ، وأرادها شقيقة الرجل وشريكة له ، فجعلوها مزاحمة منافسة ، وأرادها لعرشها في البيت والأسرة ، فأخرجوها من مملكتها إلى زحمة الأسواق ومباءات الفساد ، وأرادها مصلية فجعلوها راقصة ، وأرادها ذاكرة تالية ، فجعلوها عربيدة منطلقة ، وأرادها محتشمة متوقرة ، فجعلوها متجردة عارية ؟ ! ...

ماذا يراد بالإسلام من وراء هذه المكايد المتلاحقة التي تصب عليه صبا كأنها قطع الليل المظلم ؟ ... وكيف تتفق هذه المحاربة السافرة للاسلام مع أن المجتمع مسلم يؤمن أبناؤه بدينهم ، ويعتبرون أن عقيدتهم أغلى شيء عندهم ، وأن من يحاربها يكون خارجا على هذا المجتمع ، ومتمردا في وجه نظمه الأساسية ؟ .

إن دستور الدولة المصرية مثلا يقول في المادة الثامنة منه : « الإسلام دين الدولة » ويقول في المادة الخامسة منه : « الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق والوطنية » . ويقول في مادته الستين : « مراعاة النظام واحترام الآداب الاجتماعية العامة واجب على المصريين » .

فهل بلغ عندنا آذان المفسدين الملحدين الذين يريدون بمقالاتهم ودعواتهم الفاجرة أن يهدموا الدين ؟ ! ..

وهل آن لأهل الغيرة وأهل القدوة أن يوائموا بين هدى الله وبين تصرفاتنا في هذه الحياة ؟ ! ...

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

الأموال العامة

في كتاب (السياسة الشرعية) لشيخ الإسلام ابن تيمية :

قال رجل لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، لو وسعت على نفسك في النفقة من مال الله عز وجل .

فأجابه عمر : أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء ؟ إن مثلي ومثلهم كمثل قوم كانوا في سفر ، فجمعوا منهم مالا ، وسلموه الى رجل منهم ينفقه عليهم ، فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم .

القوة المادية والروحية

لا يكاد التاريخ يعرف دينا رفع من شأن الجهاد والاستشهاد في سبيل الله والحق والمثل الإنسانية العليا ، ودعا إلى الحمية والعزة ، مثل ما عرف ذلك الإسلام ، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية البيان الوافي لما للمجاهدين من منزلة عند الله وللشهداء من حياة عند ربهم ورزق مقيم في جنات النعيم ، والإسلام حينما دعا إلى الجهاد لم يرد إذلال الناس وسلب الحريات وانتهاك الحرمات واستنزاف الأموال والأرزاق كما هو شأن دول الغرب ، وإنما أراد تأمين حرية الناس في عقائدهم ، والدفاع عن حرمة النفوس والأعراض والأموال ، وحماية الأوطان من ظلم الظالمين واستبداد المستبدين ، وإقامة قواعد الحق والعدل والفضائل الإنسانية في الأرض ، ولكي يكفل الإسلام العزة للمسلمين ، والنصر على الأعداء الذين لا يراعون إلاً ولا ذمة ، ولا يحترمون حقوق الإنسان ، أمر بتحصيل أمرين مهمين :

١ — القوة المادية : فقد أمر الإسلام المسلمين بإعداد العدة وأخذ الأهبة للأعداء ، فقال عز شأنه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » [١] .

وقد جاءت الآية الكريمة في غاية الإعجاز ، إذ تركت تحديد القوة ووسائلها لما يلائم كل زمان ومكان ، وهو ضرب من الإعجاز ، وقد جاء التفسير النبوي للقوة في الآية معجزا هو الآخر ، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن القوة فقال : (ألا إنها الرمي) ثلاثا [٢] . وواضح من الآية أن الإسلام قصد بإعداد العدة حفظ كيان الأمة الإسلامية وإرهاب أعدائها حتى لا تسول لباغ نفسه أن ينال من عزة المسلمين أو ينتقص من أطراف بلادهم .

[١] سورة الأنفال الآية ٦٠ .

[٢] قد أوضحت القول في هذا في هذه المجلة جزء صفر لعام ١٣٢٣

وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم والرعيل الأول من المسلمين بهذا المبدأ فما وجدوا وسيلة من وسائل العزة والغلب والنصر إلا وأخذوا بها ، فقد لبسوا البيضة على الرءوس وتترسوا بالترس واستعملوا المنجنيق واستخدموا الدبابة المعروفة آنئذ ، ولما أشار سلمان الفارسي على رسول الله بحفر الخندق ولم يكن للعرب علم به استحسن الرسول الفكرة ونفذها واشترك مع المسلمين ، يكسر الصخور ، ويحمل التراب مع الحاملين ، وعلى هذا المنهج من الاستعداد سار المسلمون قرونا من الزمان فبقي سلطان المسلمين مرهوبا في الأرض وارتد كيد الكائدين في نحورهم .

٢ — القوة الأدبية : وذلك بإعداد الأمة ولاسيما جيشها إعدادا دينيا أدبيا خلقيا ، وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية بهذا الإعداد الأدبي فغرس في قلوبهم حب الإيمان والحق والخير والفضائل الإنسانية السامية التي لا غنى لمجتمع صالح عنها ، فلا نعجب إذا خط المسلمون الأوائل في كتاب البطولة الإسلامية صحائف مشرقة لا تزال تعنو لعظمتها الجباه ، هذه البطولة التي لم تقم على غدر وخيانة ونذالة وإسفاف كما تعمل دول الاستعمار اليوم ، ولقد كان رسول الله يشحذ المسلمين بما يقوي روحهم المعنوية ويلهب حماستهم ، ولاسيما عند التحام الجيوش مما كان له أكبر الأثر في النصر ، وبهذه القوة الروحية تغلب ثلثمائة وبضعة عشر رجلا قليل العدد على أضعافهم عددا وعدة في غزوة بدر الكبرى ، وبالقوة الروحية انتصر أربعة آلاف من المسلمين على أربعين ألفا من ذوي البأس الشديد من بني حنيفة في موقعة اليمامة ، وبالقوة الروحية هزم أربعون ألفا من المسلمين مائتي ألف أو يزيدون من الروم في موقعة اليرموك .

لقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إذا أرسل جيشا أو سرية أوصاهم بتقوى الله ، وأن لا يغدروا ولا يغلوا ، ولا يقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخا هرما ، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون المهديون من بعده لما يعلمون أن النصر متوقف إلى حد كبير على تقوى الله سبحانه ، وهل التقوى إلا جماع الخير والحق والعدل والفضائل ؟ ؟ وهذا هو الحق سبحانه بعد أن ذكر إمداد المسلمين بالملائكة في بدر قال : « وما النصر إلا من عند الله

«إن الله عزيز حكيم» [١]. وذلك ليرينا أن الأخذ في الأسباب المادية ليس كل شيء، وأن تقوى الله والعمل على مرضاته من أقوى أسباب النصر.

وليس بعزيز على الله — وهو المتصرف في الكون علويه وسفليه المرئي منه وغير المرئي — أن يهيء لعباده المتقين من جنوده المرئية وغير المرئية ما ينصرهم على أعدائهم، وأن يوقع في صفوف الفساق وأهل البغي ما يخذلهم ويذهب بقوتهم المادية. وليست هذه أمنية وإنما هو أمر يعززه الواقع التاريخي: ففي بدر أمد الله المؤمنين بالملائكة «إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان» [٢]. وفي غزوة الأحزاب أمد الله المسلمين بجنوده المحسوسة وغير المحسوسة قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا» [٣]. ولله جنود لا تعد ولا تحصى، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول: «وما يعلم جنود ربك إلا هو» ولنا على ذلك مثل بما أحدثته الرياح — وهي بعض جند الله — في أمريكا في العام الفائت من خراب وتدمير وقفت الدولة الغانية ذات الأساطيل والعتادات والقربات أمامها عاجزة ذليلة، وللفاروق عمر رضي الله كلام حكيم في هذا المقام فقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص فقال:

«أما بعد — فإني آمرك بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحروب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة وإن لا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولوا: إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس «فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا»».

وهذه شهادة أخرى من الأعداء، ذلك أن هرقل وهو على أنطاكية لما قدمت

---

[١] سورة الأنفال الآية ١٠
[٢] سورة الأنفال الآية ١٢ [٣] سورة الأحزاب الآية ٩

عليه الروم منهزمة قال لهم : ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشرا مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن . قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أننا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض . فقال هرقل : أنت صدقتني .

ألا ما أشد حاجة الجند إلى التدين الصحيح ، وعلى القائمين عليهم أن يرغموهم على أداء الفروض الدينية كتمرينهم لهم على الفنون العسكرية . لقد اتفق لي أن دعيت لزيارة أحد الجنود في ثكنة من ثكنات الجيش – وكان يوم جمعة – فآلمني أني وجدت أن نسبة المصلين من الضباط والجند كانت قليلة جدا . وقد أبديت امتعاضي وأسفي لبعض الضباط الذين كانوا يصلون معي ، فشاركوني التأسف والامتعاض . وإنا لنأمل من السيد وزير الحربية – وهو الغيور على مصلحة الوطن – أن يصدر قانونا ملزما للجنود بأداء الفروض الدينية ومعاقبتهم بها ، إذ الوعظ والإرشاد وحده لا يكفي ، لقد كنت أدعو بعض الجنود إلى الصلاة فيزعم أنه سيذهب ليتوضأ ثم لا يعود .

إن الجندي الذي يفرط في الصلاة يكون أشد تفريطا في غيرها من فروض الدين وآدابه ، والجندي الذي يفرط في حقوق الله يكون أشد تفريطا في حقوق وطنه ، ولا يرجى منه كبير غناء ، وإذا فشت المعاصي بين الجنود كان ذلك أضر عليهم من عدوهم – كما قال الفاروق رضي الله عنه – وواجبنا – معاشر العلماء – تبصير أولي الأمر بالتنبيه على مكمن الداء ووصف الدواء ، والسكوت في مثل هذا خيانة لله والوطن .

وبعد : فما أشد حاجتنا – معشر المسلمين والعرب – في يقظتنا ونهضتنا التي أنقضت مضاجع الأعداء أن نتزود إلى جانب التسلح المادي بالتسلح الروحي الذي ينبع من الدين الحق ، فبهذا السلاح الروحي نعوض ما عسى أن ينقصنا من السلاح المادي وبه نستحق نصر الله ، وصدق الله : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » .

الدكتور محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

حصوننا مهددة من داخلها

إن أهداف الدعوات الشعوبية التي تحدثت عنها في مقالاتنا السابقة أصبحت تخالف دستورنا مخالفة صريحة توقع أصحابها تحت طائلة العقاب . فلم يعد هناك مجال للكلام عن الفرعونية التي تعتبر العرب دخلاء ، بعد أن قررت المادة الأولى من الدستور أن (مصر دولة عربية) ، وأن (الشعب المصري جزء من الأمة العربية) ، ولم يعد هناك مجال للكلام عن (الفولكلور) المصري القديم أو الحديث والدعوة إلى إقامة حياتنا ومقوماتنا على أساسه ، بعد أن نصت المادة الثالثة من الدستور على أن (الإسلام دين الدولة) ثم نصت المادة الخامسة على أن (الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق والوطنية) . فنظام مجتمعنا لا يستمد مقوماته إذن من ذلك (الفولكلور) قديمه أو حديثه ، ولكنه يستمدها من ديننا الإسلامي ومن أخلاقنا الإسلامية ومن وطنيتنا العربية .

ولكن العجب الذي لا يشبهه عجب أن هذه الدعوة التي قتل الدستور جراثيمها واستأصل مبضعها الفتاك قد أطلت برأسها من جديد تلتمس الحياة في صحيفة حكومية تصدرها وزارة الإرشاد القومي وهي صحيفة « المجلة » .

ويكفي أن نراجع العدد الأول من هذه الصحيفة لكي نتبين أن العصبية الشعوبية والفرعونية الجاهلية تسيطر عليها سيطرة كاملة ، وأنها تتجاهل تجاهلا كاملا أنها في بلد عربي أو إسلامي . فهي تكاد تخلو من المواضيع الإسلامية أو العربية ، وهي مطبوعة بطابع شعوبي انفصالي يتحدى دستور الدولة ، لأنه يتحدث عن العرب بوصفهم غزاة دخلاء في بلد تنص المادة الأولى من دستوره على أنه عربي [1] ، وهي تقدس الفرعونية إلى حد الغلو الذي يخرج بها إلى الوثنية والكفر والتهكم بقيم الإسلام ورجاله وتشويه

---

(١) راجع مقال « صراع القومية المصرية من غزو الإسكندر حتى الفتح الإسلامي » في العدد الأول من « المجلة » ص ٣٠ ــ ١٣ .

ميزتهم ، فإذا خرجت « الهلال » من هذا الطابع الانفصالي الذي هو خليق أن يدعم مزاعم الدعايات الأجنبية التي تريد أن تصور سياسة مصر الحالية سياسة إمبراطورية استعمارية ، إذا خرجت « الهلال » من هذا الطابع لم تتحدث إلا عن أدب الغرب وموسيقى الغرب ورقص الغرب ومدن الغرب ، ذلك الغرب الذي وصفه أحد كتابه بأنه (العالم المتحضر) ، حين تحدث عن الاحتفال ببرنارد شو ، فقال في صدر مقاله : « احتفل العالم المتحضر بالعيد المئوي لميلاد برنارد شو » ، وكأن من عدا هؤلاء المحتفلين ببرنارد شو — ممن يزعم أنهم هم المتمدنون — رعاع وهمج .

يتحدث المقال الأول في هذا العدد عن (قناة السويس بين التأميم والتدويل) فيزعم أن (تقاطيع رئيس جمهورية مصر الشاب تشبه تقاطيع الشخصيات والرجال الذين خلدت صورهم على جدران المعابد والمباني الفرعونية منذ آلاف السنين) . وجمال عبد الناصر — مثله في ذلك مثل ملايين عديدة من المصريين — عربي الأصل من بني مر ، فمن أين يجيئه العرق الفرعوني ؟ وأي فخر في أن يكون جده أحد هؤلاء الكفار الجبابرة الإقطاعيين الذين قطع الإسلام ما بيننا وبينهم ؟

ويمضي كاتب المقال على هذا الخط في سائر مقاله ، تقوده نزعة فرعونية غالية ، فيتحدث عن (عودة التاريخ الفرعوني بجلاله ودبيب الحياة فيه ، وتحرك الحضارة المصرية القديمة وسيرها على الأقدام ورحفها في العربات السريعة الرشيقة التي نرى صورها في الكتب ونعجب منها ومن راكبيها وفارسيها) . والحضارة كما هو معلوم دين وتفكير وأسلوب في الحياة . فهل هذه دعوة للانسلاخ من حضارتنا الإسلامية والارتداد إلى الوثنية الفرعونية ؟ أم ماذا تكون الحضارة الفرعونية ؟ وكيف يكون تحركها وزحفها وبعثها ؟ ويتحدث المقال فيما يتحدث كذلك عن واجب مصر الأول نحو الناس وهو نشر الحضارة بينهم ، فيخيل للقارئ أن الكاتب يتحدث بلسان الإمبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر . أبمثل هذا ندعم القومية العربية ونحارب أكاذيب المفسدين والدساسين الذين ينفثون سموم الفرقة بين العرب ، حين يزعمون لإخواننا أن مصر دولة ذات مطامع استعمارية تتذرع إلى مطامعها بين العرب والمسلمين باسم العروبة والإسلام ؟

وإذا شئت المزيد من هذه العصبية ومن هذا التهور فاقرأ نص خطاب كاتب هذا المقال في الاحتفال بافتتاح البرنامج الثاني (العدد ٦ ص ١٢٣ — ١٢٧) ، حيث يرد إلى الفراعنة مظاهر الحضارة الإنسانية بكل ألوانها وبكل فروعها وصورها ، وينسب إليهم

(صنع مكرة الإيمان بالله) على حد تعبيره ، وحيث يقول : « إن مصر الآن لا شك في أنها تلعب دورا رساليا ، دورا ذا رسالة . ونحن لا نستطيع أن نضطلع بهذا الدور إلا إذا تحصنا بتاريخنا ، لأن بتاريخنا عبرة » . ثم يروى قصة القبطان الذى نفد ماء سفينته من الماء العذب فأخذ يلح في طلبه ، ثم يتبين له أن الماء العذب تحته وهو لا يدرى ، بعد أن قطعت سفينته المحيط ودخلت في مصب أحد الأنهار . ويشبه حالنا في مصر بحال ذلك القبطان « الماء العذب عندنا ، الماء العذب ثقافتنا ... في مصر هذه المبانى كل والمعابد التي نستطيع أن نشاهدها ، نرى كيف صنع أجدادنا من هذه الأرض وبهذه الأدوات » . ثم يقول : « وأرجو أن يكون البرنامج الثاني إحدى هذه الرسائل في أعماق حياتنا التي امتدت ستة آلاف سنة بل أكثر . ونستطيع أن نخرج منها ماء حلوا لا نشرب منه فقط ، وإنما نشرب ونوزع منه على العالم » . فهل هذا هو الدور الرسالى الذى ستقوم به مصر بين العرب ؟ هل رسالتها هي إحياء الفرعونية وفرقة العرب حيث ؟ وماذا يحدث لو أراد إخواننا المغاربة بالمثل أن يبرزوا البربر ، ونازعهم في ذلك كل من العراقيين والشاميين واليمنيين واحد منهم يدعى بعصبيته ويزعم أنها أحق بالسيادة ؟ هل هذا هو السبيل الصحيح لجمع العرب ، ولم يجمعهم الله ويصلهم مجتمعين عطفا على الإسلام ، لم تفرقهم إلا أمثال هذه الدعوات .

ونجد مثل هذا الانحراف المغرق في التعصب للعصر الفرعوني في مقال (قصيدة من الشعب وجهت أحداث عصرها - العدد الثاني ص ٣٥ - ٤٢) حيث يدور كلام الكاتب عن تقوية النفوذ المصرى خارج الحدود ، وعن منافسة الأشوريين والبابليين والحثيين لمصر في ذلك ، وعن أساليب مصر الفرعونية في نشر نفوذها عن طريق نشر التعليم المصرى . وكل ذلك لا يعين على تدعيم الثقة بين العرب ، ولا يلد إلا الشر لأنه يلهم مزاعم الذين يشيدون بالتفريق بينهم ويشككك في أهداف مصر من وراء مساعدة إخوانها العرب ومدهم بالمدرسين . ولا سيما إذا كان الذى ينشر هذا الكلام صحيفة تصدرها وزارة الإرشاد القومى .

ومن أمثلة هذه المقالات المنحرفة مقال عنوانه (صراع القومية المصرية من غزو الإسكندر حتى الفتح الإسلامى - العدد الأول ص ٣٠ - ٤٣) . وهو مقال طويل كله تقديس لجنون الفرعونية وحط من قدر العرب والإسلام ، ونيل بدوافع الفتح الإسلامى الأول في عهد الخلفاء الراشدين الذين أنقذنا الله بهم من النار وهدى آباءنا وأجدادنا ،

إلى مرتبة السطو والقرصنة واللصوصية » . انظر إليه كيف يتحدث عن ذي النورين ، عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه ، حين يضعه بين جبابرة الرومان والمماليك ، حيث يقول : (فالخليفة يعزل عاملا من أعدل عماله عن مصر ، ثم يعرض بضياعه المتمثلة في عرض الضرائب ، قائلا : لقد درت اللقحة بعدك يا عمرو ، فيجيبه أعدل من ولي مصر بما يفيد أنها أضرت بوليدها — العدد الأول ص ٣١) ويردف ذلك بحديث شبيه عن أباطرة الرومان ومكوس المماليك ، يصور أن همهم كله كان مصروفا لاستغلال الشعب المستعبد والتمتع على حساب كده وشقائه . والمقال كله ينضح عن عداوة عميقة لكل فكرة إسلامية أو عربية . فهو يرفع ذلك العهد الفرعوني الإقطاعي إلى مرتبة من القداسة تكاد ترد الناس إلى ضرب من الوثنية . وهو لا يوقر صحابة رسول الله الذي كان فتحهم لمصر خيرا وبركة على المصريين ، إذ أنقذهم من الضلال وأدخلهم في رحمة الله بدخولهم في الإسلام . فهو حين يتحدث عن أولئك المجاهدين في نشر كلمة الله وهداية خلقه ، الذين عاشوا ما عاشوا زاهدين ، ثم خرجوا من الدنيا لا يملكون من حطامها شيئا ، يقرنهم بالوثنيين من الرومان واليونان وبالعسفة والجبابرة من الطغاة ، كلهم عنده سواء . نجد ذلك في مثل قوله : « ولم تكن بيزنطة أرحم بالشعب المغلوب ، ولا كان الولاة العرب » (ص ٣١) . وفي قوله : « لم يكن المصري يملك شيئا من أرضه ولا من غير أرضه . كلها إقطاعات للفرعون وأسرته ، والمعبد وسدنته ، ثم لبطليموس فالإمبراطور في رومة وبيزنطة ، ثم لخلفاء في شبه جزيرة العرب جنوبا وشمالا [1] ولمن جاء بعدهم من حكام مصر الأجانب » (ص ٣١) . وفي قوله : « وأنت تجد أمثلة هذه الاضطرابات والثورات على طول التاريخ المصري في العهد القديم ، وبعد استتباب الأمر لبطالسة ، وإبان الحكم الروماني والبيزنطي والعربي والعثماني والفرنسي والأرنؤودي والاحتلال البريطاني » (ص ٣٣) . وقوله . « حدث هذا بعد احتلال الرومان وبعد الفتح الإسلامي والغزو العثماني » (ص ٣٥) . وقوله : « وكل همه إرضاء المالك البعيد إمبراطورا أو خليفة أو سلطانا » (ص ٣٥) .

ولقد بلغ بالكاتب تقديسه للوطنية المصرية بهذا المعنى الشعوبي المتطرف إلى حد يقرب من الشرك ، فكان من سوء اختياره للألفاظ أن وصفها بما اختاره الله جل وعلا

---

(١) الحق — من المدهش حقا ولكنا نجد أن الفتح الإسلامي هو الذي ألغى نظام الطبقات للمرة الأولى في مصر ، وتحررت به الطبقة الكادحة في الزراعة ، وصار به حق تملك الأرض عاما لكل الطبقات . والذي يجهل هذه الحقيقة يجهل تاريخ الإسلام في مصر .

لنفسه فقال : إنها لا تأخذها سنة ولا نوم (ص ٣٦) ، وأنزل الدين منزلة تلى فى قداستها وسلطانها على النفوس هذه الوطنية ، إذ جعل اعتناق المصريين المسيحية مظهراً من مظاهر المقاومة الوطنية للاحتلال الرومانى ، وأظهر تعجبه لتحول المصرى عن الوثنية إلى المسيحية متسائلا « كيف لم يحرص المصرى على ديانته العتيقة وهى آخر صلة له بمجدها الغابر ؟ » (ص ٣٦) .

وفى « المجلة » بعد ذلك صور كثيرة من هذه الشعوبية البغيضة فى مثل مقال « فن التصوير المصرى – العدد الأول ص ٤٤ – ٤٦ » الذى يتحدث عن الفراعنة الوثنيين ومن اتخذوه لأنفسهم من آلهة بزعمهم ، وفى مثل مقال « الفن المصرى – إدراك القانون – العدد الرابع ٢٩ – ٣٣ » بما يحمله من مغالطات مارقة فى تعريف الدين والتدين والخلط بينهما وبين فنون الوثنية .

وفى مثل مقال « الرقص الشعبى فى الاتحاد السوفيتى – العدد الرابع ٧٢ – ٧٧ » الذى يدور حول حديث لراقص روسى عن خلق رقص مصرى ذى طابع مميز ، بل إن الموضوعات الإسلامية التى تتناولها « المجلة » تنحرف بها نحو هذه الغاية ، فلا تتحدث عن الإسلام وأبطاله إن تحدثت – وقليلا ما تفعل – إلا من هذه الزاوية الشعوبية المنافية لروح الإسلام منافاة صريحة ، نجد ذلك فى مثل مقال « الخلافة المصرية الأولى – العدد السادس ٨١ – ٨٤ » ، الذى يدور حول تمجيد ثورة دحية بن المصعب فى مصر على الخلافة العباسية سنة ١٦٧ هـ ويسميها كاتب المقال (الخلافة المصرية الأولى) ، وكأن خلافة المسلمين التى هى خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تجمع شملهم على اختلاف أجناسهم ملك ينسب إلى البلاد لا إلى الإسلام نفسه ، ويجد المارقون المفتونون ممن يشتتون كلمة المسلمين ويبثون الفرقة بين صفوفهم .

ونجد فى « المجلة » مع ذلك كله عناية شديدة بتفاهات هابطة ومألوفات من العبث الساذج تسميها « الفنون الشعبية » . تريد المجلة أن ترفع من قدر هذه التفاهات وتتصدى لدراستها وتسجيلها لمجرد تدعيم هذه الروح الشعوبية المفرقة ، وإلا فالفن يتعلق دائماً بمقاييس رفيعة ، وهو يهدف إلى ترقية الذوق الساذج المتخلف وتثقيفه ، لا الهبوط بالذوق العام إلى مستوى الأذواق الفجة التى لم يهذبها التثقيف باسم الشعبية ، وأوضح ما يظهر ذلك فى مقال (الفنون الشعبية فى مصر – العدد الرابع ٤٦ – ٤٩) ، الذى يدعو إلى إحياء الشخصية المصرية ، ولا يعتبر الوثنية والمسيحية والإسلام إلا أعراضا لا تمس

من جوهر الشخصية المصرية برمته ، فهي وثنية حينا وهي مسيحية حينا آخر وهي مسلمة تارة أخرى ولكنها في كل هذه الأحوال مصرية دائما ، وهذا هو ما أسميه جنون (الفولكلور) والانحراف في فهمه وتوجيهه ، وذلك المرض المسموم المريض هو العامل الحقيقي لكل ما نسمعه من الدعوات التي تصدر عن الجامعات حينا ومن مصلحة الفنون حينا ومن مجلس الآداب تارة أخرى ، وكلها تدعو إلى الاهتمام بأدب العوام وأغانيهم وعاداتهم والاستعانة على تسجيل ذلك بكل ما أخرج العلم الحديث من وسائل وأدوات ، كما تدعو إلى تكريم من عرفوا بتصوير هذه النزعة من الفنانين الذين سايروا هذه الدعوة حين طغى مدها بعد الحرب العالمية الأولى ، عن وعي منهم أو عن غير وعي ، مثل حافظ إبراهيم الشامي ، ومختار المثال ، وسيد درويش المغني .

ولهذه الدعوة بعد ذلك جانب آخر هدام هو الجانب اللغوي . فأصحاب هذه الدعوة من غلاة الشعوبية الموكلين بالتفريق والتشتيت ، يدعون دائما إلى اعتماد اللهجات السوقية(1) التي يطلق عليها العامية ، لأنها بزعمهم أصدق تعبيرا عن روح الشعب – وكأن الفصحى عندهم مرادف الجهل – ولأن (تراث الأدب العربي) كما يقول أحدهم : « ليس ولا يمكن أن يكون تراث لهجة بعينها من اللهجات ، وأن الفن الأدبي لا شأن له إطلاقا بالقواعد النحوية المصطلح عليها ، وأن الإعراب ليس شرطا أساسيا لازما للفن الأدبي . فليدرسوا شعرهم ونثرهم الذي يصدر عنهم عفو الخاطر ، والذي يفهمونه بعضهم عن بعض ، والعوام في أغاني شعرهم ونثرهم الذي يتداولون هم وغيرهم ولا يتفاهمون هم وغيره – العدد الأول تحت عنوان « الملحمة المصرية » ص ٥٥ » .

ومن الواضح أن هذا الكلام وأمثاله فاسد من الناحية الفنية الخالصة التي يزعمها الداعون بهذه الدعوة أوزار دعوتهم في أغلب الأحيان . فالفن في صورته الكاملة وسيلة من وسائل السمو فوق الواقع المسف . والفن الذي يستحق أن يجهد النقاد أنفسهم في تذوقه ونقده هو الأثر الذي أجهد الفنان نفسه في إنتاجه . فالنقاد غير مكلفين بعفو خواطر البدو

---

(1) نسبة هذه اللهجات بالسوقية نسبة إلى « السوق » لا إلى « السوقة » لأنها في الحقيقة لا تصلح إلا أن يكون لغة للتفاهم في الأسواق ، ووجودها طبيعي في كل الأمم واللغات ولكن في داخل هذا النطاق . فهي لغة عملية تتوازن مع المرحلة التي تصل إلى مايقرب من الرمز في بعض الأحيان بينما تتوافر في لغة الأدب الفصيحة الأناقة والتوسيع وأدواته ، وكل منها صالح في ميدانه فلا تنافس ولا ازدواج كما يزعم الزاعمون .

والعوام ، لأن صور خواطر العوام لا يصلح إلا لهم أمثالهم من العوام . أما عقول المثقفين فهي لا تجد في مثل هذا الانتاج لذة ولا متاعا . فالفن الراقي دائما — في كل عصر وفي كل مكان وفي كل لغة — مقصور على الخواص ، لأن الأثر الذي يستحق الاعتبار والبقاء لا يصدر إلا عن ملكة موهوبة . ومن المسلم به أن الموهبة والاستعداد الحسن لا تنمو وتنضج وتخصب إلا على المران والتثقيف والعكوف على الدرس والتجويد .

أما الجانب الأشد خطورة في هذه الدعوة فهو أن ضررها لا يقف عند تمييز كل جماعة بطابع خاص تتعصب له مما لا يعين على تدعيم الوحدة العربية المرجوة ، ولكنه يتجاوز ذلك إلى أن يقطع ما بينهم من الوشائج تغيب فيصبحون ولا يفهم بعضهم عن بعض . ومن المؤكد أن العرب في مختلف البلدان لا يجتمعون على فهم شيء من الإذاعة المصرية إلا فيما يذيعه « صوت العرب » بالفصحى . ومن المؤكد أيضا أنهم لا يفهمون من بعض حديثنا ما نحرص على تسجيله بالعامية مما يدور في مجلس الأمة أو في قاعات المحاكم .

والعجيب من الأمر أن جرأة الإذاعة وجرأة الصحف على الإلقاء بالسوقية والكتابة بها شيء جديد لم يجرؤ عليه أحد حين كانت القومية العربية حلما يتغناه المخلصون ويعارضه كثير من المفسدين والمخدوعين ، ولكنهم تجرءوا عليه بعد أن أصبح هذا الحلم حقيقة واقعة مسجلة في المادة الأولى من مواد الدستور . أليس ذلك مما يدعو حقا إلى العجب ؟

وأعجب منه أن البرنامج الذي استحدثته الإذاعة حديثا وسمته « البرنامج الثاني » ووصفت أنه برنامج الخاصة من هواة الفكر الرفيع يخاطب مستمعيه بهذه السوقية التي تسمى بالعامية . فإذا كانت العربية الفصحى لا تصلح لخطاب عامة الناس في البرامج العامة ولا تصلح لخطاب خاصتهم في البرامج الخاصة فأين ومتى تستعمل الشعوب العربية الصحيحة التي هي عنوان قوميتها ، ووعاء أمجادها ، والتي هي وسيلتها الوحيدة للتفاهم ؟

يبدو أن القائمين على هذا البرنامج مشغولون عن ترويج اللغة العربية بترويج (السيمفونيات) الغربية التي يكرهون المصريين على سماعها ، ويتهمون الزاهدين فيها بالتخلف وبلادة الذوق ، لاهون عن تدعيم عروبتنا وثقافتنا القومية بأدباء العرب ومغنيه وبما يثيرون من غبار حول مقومات فنوننا وآدابنا . فهل نسي هؤلاء أنهم يعملون في وزارة الإرشاد القومي في بلد عربي ما

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية

اليهود فى بلادنا العربية

بدأ اليهود غزوهم لفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ ، وفى ذلك الوقت كانت فلسطين متأخرة جدا من الناحية الاقتصادية لأن الصناعة كانت بدائية فيها ، وكانت الطرق المتبعة فيها قديمة غير مجدية والعرب كانوا غير ملمين بالمعرفة والطرق الفنية اللازمة للصناعات الحديثة ، كما أن نظام الحكم فى فلسطين لم يكن يعين على خلق صناعات جديدة أو على تطور اقتصادى بوجه عام ، أما الزراعة فلم يكن حالها أفضل من حال الصناعة ، فقد كانت تقوم على الطرق الساذجة القديمة ونظام الأعشار والضرائب ونظام توزيع الأراضى مما جعل معظمها فى أيدى قلة من الإقطاعيين .

وقد سبب نظام توزيع الأراضى فيها بعد كارثة سياسية بالإضافة إلى الأضرار الاقتصادية . وقد كان تفوق اليهود ساحقا فى أول الأمر بعد أن نص الانتداب البريطانى على وضع البلاد فى أحوال اقتصادية وسياسية تساعد على إنشاء الوطن القومى اليهودى ، واستغل اليهود هذا النص استغلالا تاما فأصبح جهاز الحكم أداة طيعة تسهل لهم تحقيق مشاريعهم الاقتصادية المختلفة ، وبذلك استطاعوا أن يستثمروا الأموال الكثيرة التى جمعوها من أثرياء اليهود فى مختلف أنحاء العالم ، وأنشأوا أيضا مؤسسات مالية تمدى مشاريعهم الاقتصادية على أساس تجارى ، وأخرى تمدها على سبيل التبرع والهبة كلما نشأت الصعوبات والعقبات والمهاجرون اليهود لم تكن تعوزهم المعرفة الفنية ، فقد جاء معظمهم من بلاد صناعية متقدمة ووضعوا خبرتهم ومعرفتهم للقيام بالمشاريع المختلفة فى هذا البلد العربى الذى سرقوه على أعين البريطانيين وبعونهم . وهكذا استطاع اليهود بكل هذه الوسائل إنشاء نظام اقتصادى لهم فى فلسطين كلفهم مالا يقل عن المائة وعشرين مليونا من الجنيهات وأنشأوا أيضا عددا كبيرا من الصناعات المختلفة كلفهم حوالى خمسة وعشرين مليونا ، وأنفقوا حوالى عشرة ملايين من الجنيهات على زراعة الحمضيات ، أما الباقى فقد وزع على أنواع الزراعة الأخرى وتكاليف البناء والعمران والمشاريع الإنشائية والتجارية المختلفة .

والآن نرجع إلى أهدافهم وإلى كل ما كانوا يرمون إليه فى بلاد العرب ، فأهدافهم واضحة جلية وضوح الشمس فى كبد السماء ، فالهدف الأول دعم الحياة اليهودية فى فلسطين وجعل الطائفة اليهودية فيها قادرة على النمو واستقبال اليهود المهاجرين من جميع أنحاء

العالم . والهدف الثانى إنشاء صناعات قوية تقضى على الصناعات الأهلية فى البلاد العربية وبذلك يستطيعون إضعاف العرب اقتصاديا وجعلهم فريسة سهلة للعدوان السياسى من جهة ، وفتح أسواق البلاد العربية للصناعة اليهودية من جهة أخرى . والهدف الثالث إجلاء المزارعين العرب عن أراضيهم وتحويل طبقة الفلاحين العرب فى فلسطين إلى طبقة عمالية حتى يسهل طردهم من بلادهم بوسائل الضغط الاقتصادية إذا تم تأسيس الدولة اليهودية الصهيونية المشئومة .

ونظرة واحدة إلى الأهداف السابقة تظهر لنا بوضوح أنها أهداف سياسية محضة ، وقد جعل اليهود الاقتصاد أداة لتحقيقها . والدليل على ذلك أن اليهود لم يتقيدوا فى سبيل تحقيقها بما تتقيد به المشاريع الاقتصادية عادة من جهة الربح والخسارة ، بل طرحوا الخسائر جانبا تاركين للمستقبل أمر إعادة النظر فى تلك المشاريع لوضعها على أسس اقتصادية سليمة ، فكل ما صبوا إليه نياتهم السيئة ومآربهم الحقيرة هو إنشاء وطن قومى يهودى فى بلد عربى وطرد أهله العرب منه مستعينين بالأموال التى كانوا يجمعونها من يهود العالم كما استعانوا أيضا بالحماية الحربية العالية التى استطاعوا أن يحصلوا عليها من حكومة الانتداب البريطانى فى فلسطين ، والآن لنا أن نقول . هل نجحوا فى تحقيق هذه الأهداف ؟ والجواب على ذلك أن الهدف الأول وهو تثبيت أقدام اليهود فى فلسطين قد نجحوا فيه إلى حد غير قليل ، إلا أن هذا النجاح لم يكن سهلا ، فقد مرت بهم فترات من الضيق الاقتصادى أظهرت فساد الأساس الذى بنى عليه نظامهم الاقتصادى أما أشد فترات الضيق التى مرت بهم فهى المدة بين سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٩ وهى فترة ثورة العرب فى فلسطين مما قلل دخول المهاجرين اليهود فلسطين بسبب الثورة العربية أدى ذلك إلى تناقص حركة البناء ، وقد كان أكثر من ٥٠ ٪ من اليهود معتمدا على حركة البناء ، والسبب الثانى هو هبوط أسعار الموالح فى الأسواق العالمية علما بأن هذه التجارة كانت أحد الأركان المهمة فى الاقتصاد اليهودى . لكن هذه الفترة انتهت بإعلان الحرب العالمية الثانية التى فصلت فلسطين وكثيرا من البلاد العربية المجاورة عن مصادر الإنتاج الصناعى فى العالم . فانتهز اليهود هذه الفرصة وأنشأوا صناعات جديدة وأحيوا الصناعات الدارسة فكسبوا فى هذه الحرب أموالا طائلة وبذلوا الجهود فى تصريف بضائعهم فى البلاد العربية متوسلين بوسائل كثيرة ، فمثلا أغرقوا الأسواق العربية ببضائع صهيونية رخيصة حتى باعوها بأرخص من أثمانها فى فلسطين نفسها . والدعاية والإعلان

كانتا من تلك الوسائل . وساعدهم أيضاً أن كبار التجار في البلاد العربية كانوا من اليهود ، إلا أن العرب وقفوا صفاً واحداً لمقاطعة هذه البضائع . وهدفهم الثاني وهو استيلاؤهم على أرض فلسطين العربية الزراعية وإجلاء أصحابها عنها وخلق طبقة الفلاحين الفلسطينيين الذين لا يملكون أرضاً قد نجحوا فيه أيضاً .

فاليهود في وقتنا الراهن يمتلكون ثلث الأراضي الزراعية في فلسطين وهو تقريباً الثلث الجيد المتوفرة فيه المياه إما بواسطة الآبار الارتوازية أو الأنهار أو الجداول أو مياه المطر . وتقع أكثر أراضي اليهود في فلسطين في السهل الساحلي ومرج ابن عامر وسهل الأردن والحولة ، وهذه هي سهول فلسطين الرئيسية . فالحقيقة المجردة إذن أن اليهود يملكون نصف الأراضي الزراعية في فلسطين وقد أدت مشكلة الأراضي إلى الاضطراب والثورات المتلاحقة وقام بتحقيقها عدة لجان بريطانية وأهم تقريرين كتبا عن فلسطين كتبهما خبيران ، فالأول كتبه الخبير البريطاني جون هوب سنة ١٩٣٠ وفيه يقول :

إن الأراضي التي يملكها الفلاحون الفلسطينيون العرب قليلة عن حاجتهم الزراعية بكثير ، وإن أكثر من ثلاثين في المائة من العرب لا يملكون أرضاً على الإطلاق ، وهؤلاء الذين لا يملكون يعتمدون على الأعمال الزراعية الموسمية أو على مساعدة الأقارب أو على النزوح إلى المدن المزدحمة بالسكان فلا يجدون الأعمال التي يبحثون عنها . أما الذين يملكون أرضاً فليس لديهم ما يكفيهم ، والدليل على ذلك أنهم غارقون في الديون ، ولذلك يضطرون إلى بيع أراضيهم .

أما التقرير الثاني الذي كتبه الخبير جونسون كروسبي الذي يقول فيه :

إن معدل دين العربي يزيد عن محصول سنة كاملة ، ومعدل ما يملك من الأرض نصف ما يحتاج إليه ، وكثيراً ما وجهنا اللوم إلى عرب فلسطين المساكين واعتبرناهم مسئولين عن بيع أراضيهم ، ولكن الحقيقة السافرة التي لا تدع قولاً لقائل ولا صولاً لصائل أن الفلسطينيين لم يبيعوا من أراضيهم إلا جزءاً قليلاً ، والدليل على ذلك أن اليهود كانوا يملكون جزءاً بسيطاً من أراضي فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى وقبل أن تظهر الصهيونية بشكلها القبيح ، أما بعد الحرب فاشتروا أكثر مما كانوا يملكون ومن ؟! من إقطاعيين لم يسكنوا فلسطين يوماً من الأيام ، وكان أكثرهم من العائلات التي لم تعرف الوطنية ولم يكن يعنيها في الحياة سوى الملذات والتشبه بالأجانب . هذا بأن ملكيات الأراضي الكبيرة كانت إحدى العوامل الفعالة التي مكنت اليهود من شراء قدر كبير من أراضي الفلاحين العرب بإغراء عدد قليل جداً من الإقطاعيين .

فكذاب أشر ذلك الذي يحاول إيهامك أن الفلاح الفلسطيني باع أرضه ، ولعلك تذكر أن حكومة فلسطين كانت مرغمة على إنشاء الوطن القومي اليهودي تحت لواء الانتداب البريطاني فلم تعمل الحكومة القائمة وقتئذ أي شيء لحماية الفلاح العربي من الآفات الثلاث التي كانت مسلطة عليه وهي :

١ — السمسار : وعمله ينحصر في إغراء الإقطاعي ببيع أرضه إليه ثم يبيعها السمسار بدوره إلى اليهود .

٢ — المرابي : وهو الذي كان يقوم بدور الحبس على القلة القليلة من صغار الفلاحين ليدينهم ليأخذ أرضهم ولكنه لم ينجح .

٣ — الجهل : وهذا يكفي لتدمير أكبر أمة في العالم .

وأخيراً في سنة ١٩٤٠ تقريباً بعد أن استفحل الداء وشح الدواء أصدرت الحكومة البريطانية قانوناً لحماية الفلاح العربي وأرضه وهو :

١ — منطقة يمنع فيها بيع الأراضي إلا لعربي فلسطيني .

٢ — منطقة يسمح فيها لليهود شراء الأراضي الفلسطينية .

٣ — منطقة يسمح فيها للأجانب بالشراء بعد موافقة المندوب البريطاني .

أما اليهود فقد وجدوا طرقاً عديدة للاحتيال على هذا القانون ، فاستمر تسرب الأراضي إليهم .

والسؤال الذي كثيراً ما دار في خلد كل رجل يفكر في المستقبل بإمعان وحذر هو :

هل رابطة الاستعمار رست على قدميها واستطاعت أن تخطو خطوات إلى الأمام ؟

والجواب على ذلك : أنها ما زالت في حضانته ولكن أيغتصب الذهب كله ؟

كلا ، سيتركها في أول فترة من فترات الضيق الاقتصادي أو السياسي ، والدول الاستعمارية اليوم تمر بكثير من الفترات السيئة أو على الأقل تقف على أبوابها ، وعندئذ تصبح المنطقة كسمك صغير جف الماء حوله وتركه للشمس والهواء ما

عباس طه

المحامي

لغويات

ركب في السفينة ، ركب الجواد

هذا من محاسن العربية وفروقها الدقيقة ، فيقال : ركب الجواد لأن الراكب يعلو الجواد ، ويقال في المجاز : ركبه الدين ، كأن الدين يعلو صاحبه ويكون ثقلا عليه ، ويقال : ركب في السفينة لأن الراكب يحل فيها ، كما يحل في المسكن والدار ، في حالة أمن وقرار .

وقد جاء هذا في الكتاب العزيز ، ففي الآية ٦٥ من سورة العنكبوت : (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) ، وفي الآية ٨ من سورة النحل : (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) .

وعلى ذلك نقول : ركبت في المركب الكهربي (الترمواي) أو مركب سكة الحديد (القطار) ، وجاء قوله تعالى في الآية ١٢ من سورة الزخرف : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) وتقدير الكلام : تركبونه ، فعدّى الركوب للفلك بنفسه من غير صلة ، مع ركوب الأنعام ، وهذا لتغليب التعدي ، وفي هذا يقول الزمخشري : « فإن قلت : يقال : ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك ، وقد ذكر الجنسين ، فكيف قال : تركبونه ؟ قلت : غلب المتعدي بغير واسطة ـ لقوته ـ على المتعدي بواسطة ، فقيل : تركبونه » .

فأما قوله تعالى في الآية ٧٩ من سورة غافر : (الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) فإن المراد : لتركبوا بعضها ، والمراد : الإبل ، فإنها التي تركب في العادة من الأنعام ، وهي الإبل والبقر والغنم ، وهذا في معنى التعدية بغير واسطة ، والأحسن يجعل (من) في مثل هذا مزيدة في الإعراب والمجرور مفعولا به ، ومعنى التبعيض مراد على كل حال .

شقط الكرة

يقول العامة: شقط الكرة أي لقفها، وشقط الثمرة: أخذها بيديه، والذي في دواوين اللغة من هذه المادة: الشقيط، وهو الجرار من الخزف يجعل فيها الماء، وقال الفراء: الشقيط: الفخار عامة، وهذا لا يناسب ما تعنيه العامة.

وقد بدا لي أن أصل ذلك اللفظ، وقد ورد عن العرب: التقطت النوى واشتقطته واصتقطته، في معنى واحد، فاشتقاط النوى التقاطه. وإذا كان هذا لم يرد في المعاجم فقد جاء به ابن جني، وحسبك به حجة في اللغة، فهو يقول في الخصائص ٢ / ٣٤٩: «وأما ما حكاه خلف — فيما أخبرنا به أبو علي — من قول بعضهم: التقطت النوى واشتقطته واصتقطته فقد يجوز أن تكون الصاد بدلا من الشين في اشتقطته. ثم يجوز أن تكون بدلا من اللام في التقطته، فيترك إبدال التاء طاء مع الصاد ليكون ذلك إيذانا بأنها بدل من اللام أو الشين، فتصح التاء مع الصاد، كما صحت مع ما الصاد بدل منه». ويرى القارئ أن ابن جني عني ببيان الإبدال في اصتقط، ولم يعرض لأصل اشتقط، وعندي أن الشين مبدلة من لام التقط، فاشتقط في الأصل التقط، وقد جرأ العامة على صوغ شقط وجود اشتقط، والخطب في هذا سهل يسير.

السلك

السلك عند الناس: حبل من الحديد، وفي اللغة، السلك: الخيط الذي يخاط به الثياب، وكأن الأصل في إطلاق الناس السلك على الرقيق من الحديد هو المشابهة لخيط الثياب.

ومما جاء فيه السلك بمعنى الخيط قول الراجز من رجز ورد في معجم البلدان في ترجمة (يمليك):

إذ لبست ثوبا دقيق السلك   وعقد در ونظام مك

(والمك: عقد من الطيب). وترى في هذا ضربا من تصرف العامة في مفردات اللغة، فقد هجروا المعنى الأصلي للكلمة واستعملوه في معنى جديد له علاقة بالقديم المطروح.

على محمود عشرون فدانا

يجرى هذا فى أسلوب الناس ، وكنت أرى أن الوجه فى العبارة أن يقال : له عشرون فدانا أو عنده عشرون فدانا ، وما جرى هذا المجرى . ولكنى وجدت فى كلام العرب ما يوافق استعمال الناس . ففى ديوان الهذليين ١ / ١٢٦ : « يقال : هو آل علان كور عظيم أى قطيع من الإبل والبقر والظباء ، وعليهم أكوار من الإبل » . والإبل والبقر والظباء مال العرب فى البادية ، ومال غيرهم الأرض المزدرعة .

قنط ، قناطة

ويقول العامة لمن يعاف من الطعام ما لا يعافه سائر الناس : قنط ، وعنده قناطة . ويتوسعون فى هذا فيقولون لمن يتقذر ويتقزز : قنط . وقد يقال للمتكبر : عنده قناطة .

ومن العسير أخذها من القنوط الذى هو اليأس .

ويبدو لى أن أصل القنط : القنيت ، وهو الذى يصيب من الطعام قليلا ، وليس بالرغيب الأكول . ويقال : قنين أيضا فى هذا المعنى . فحرفت العامة القنيت إلى القنط بالحذف وإبدال التاء طاء .

محمد على النجار

التعليم الميكانيكى

قال الدكتور (جون بادو) المدير السابق للجامعة الأمريكية بالقاهرة فى تقريره الذى نشره فى مايو سنة ١٩٥١ :

« من المعلوم أنه بتقدم العلوم والتكنولوجيا فى عالمنا الحديث أصبحت العناية بالتربية الميكانيكية المحضة تزداد يوما بعد يوم ، حتى أصبحت تعم الآداب والفنون الثقافية الحرة فى الأهمية . وفضلا عن هذا قد بلغ التخصص فى كل ميدان من ميادين الدراسة الجامعية أقصى حد ، حتى ضاق أفق الطالب بضيق الدائرة التى تخصص فيها ، ونتج عن ذلك أننا أصبحنا نخرج علماء ومهندسين وكيماويين وصحفيين وأطباء ، على درجة كبيرة من التبحر فى مهنهم ، ولكن على درجة ضئيلة فيما يتعلق بمعنى الحياة المتكاملة والقيم الروحية السامية التى بها يستطيعون مزاولة هذه المهن على أحسن وجه » .

القمر الصناعى

كرم الله الإنسان بالعقل ، وأمره بالنظر والتفكر والفهم ليستطيع تسخير ما في السموات وما في الأرض تحقيقاً لحكمة خالقه وإظهاراً لأسرار نشأتها وصنعها لتظهر صلاحية البشر للخلافة والعمران ، ويستوفوا حظهم من منافع الجماد والنبات والحيوان ، وكل ذلك بتقدير الحكيم العلام .

قال تعالى في محكم القرآن : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، وقال تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

كلما ظهر في المخترعات جديد تسكبر وتجبر عنيد ، وخاف ودهش وروع عديد ، لأن السرائر خبيثة ، والنيات السيئة عن الخير بعيدة ، ومن الشر والغدر والخيانة والانتقام قريبة ، وقد كان أولى لها ثم أولى أن تجعل الخير رائدها ، ونفع البشرية مقصدها ، ليرتفع عن الإنسان البلاء ، ويتحقق له الرخاء ، ويخرج من الأرض وينزل من السماء من الخير ما هو الرجاء ، ولكن وا أسفاه غلبت على الإنسان الضراوة وحلته الشقاوة فأخذ من الصفات الحيوانية أخسها من لؤم وغدر وخيانة ، فلا يبالي بعد ذلك بما عليه من واجب البشرية من الصيانة وما يلزمه من تبعات الأمانة . وما درى المخترعون للمهلكات والمبيدات والمفنيات أنها أسلحة ذات حدين تقتلهم وتقتل أعداءهم على سواء إن لم يجعلوا مخترعاتهم وسائل لتحصيل الخير ودفع الشر .

أيها المعسكران الشرقي السوفييتي ، والغربي الأمريكي لا يأخذنكما الغرور بتصريح زعيم أحدكما المجنون ، فنفخ الحرب الثالثة المقبلة ستنزل بالبشرية قارعة ليس لها من دون الله كاشفة . لا تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، ويصبح الناس في جحيم وأي جحيم ! أعاذنا الله من عذاب حميم — وصدق أحكم الحاكمين إذ يقول : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » .

أيها المعسكران ما لكم في السلطان والجاه والجبروت والاستعمار تختصمون ، وكان أجدر بكم أن تتعاونوا على بر بأممكم ، وخير لأوطانكم ، ونفع لأقوامكم ، فتصبحوا

مغاليق الشر ، مفاتيح الخير يعيش الجميع في اطمئنان يجني كل مجتهد ثمرات جده وعمله وتعبه ونصبه ، فيرتفع مستوى المعيشة العالمية ، وتسعد البشرية وترتفع عن كاهلها عبء الحروب الطاحنة التي تيتم الأطفال ، وتشرد العائلات وتكثر من الأرامل بفقد الأزواج وهلاك الأكباد وفناء العباد .

أيها المكتشفون ! كتاب الكون ملئ بالصفحات مليء العظات ، فاقرءوا منه بقدر ما شئتم من الحكم والأسرار فلن تستطيعوا أن تصلوا إلى القمم إلا بمقدار ، وصدق الكبير المتعال : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فمحال عليكم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض إلا بما منحكم الله من إدراك وما يفيضه عليكم من فهم واستنباط حتى ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا ، ولصاحبه مسعدا ومقويا ، ومظهرا ونصيرا ، أما كل الأفلاك التي عرفتموها من : القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري إلى آخر ما تعلمون ، وسواء عليكم أوصلتم إلى بعضها أو لم تصلوا ، فلن تكونوا لله في الإيجاد شركاء ولا أندادا ، ولن تماثلوه في أي صفة من صفات الربوبية ، ولا في أي منزلة من منازل الإيجادية والخلقية ، قال الله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ولقد أمر فرعون قبلكم وزيره هامان بإعداد المعارج إلى السماء ليطلع على مبدع الكون وإله موسى ورسله ، فكانت عاقبته أن ابتلعه اليم ، وما دفع عنه القضاء من كان حوله من الجند والحراس والأولياء قال تعالى : « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا ، وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب » . وقال تعالى : « هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب إلى فرعون إنه طغى ، فقل : هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال : أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى » .

أيها المخترعون ! عجزكم عن درجة الألوهية محقق ، لأنكم عن إدراك سر حياة الإنسان عاجزون ، وعن الوصول إلى تحديد انتهاء الأجل قاصرون ، وعن معرفة الصنعة الخالقة وغير الخالقة ، ومعرفة الذكورة والأنوثة فيهما عاجزون . فإذا غمركم العجز واستولى عليكم الضعف وأحاط بكم الجهل عما في الأرض من أسرار وعلم ، فما بالكم بما في السماء من مكنونات ، وما أودع الله فيها من مخلوقات ، ومبدع الكون يقول : وقوله الحق : « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

أيها المكتشفون ، هل عليكم أن تمنعوا الزلازل المروعة وتصدوا الصواعق المحرقة وتريحوا من السماء البروق اللامعة ، فما أنتم إلا في أوليات العلم الكوني من الباحثين ، وما أنتم لنهايته وغايته من الواصلين . قال أحكم الحاكمين : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » . فلا تسحروا بأوهامكم ولا تصوروا لنا حدودكم فلن تخرقوا الأرض غرورا ، ولن تبلغوا الجبال طولا ، ولن تعلموا إلا ظاهرا من الحياة ، وما هي بعضها مبدؤه ومنتهيه « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . ونحن رجال الدين إلى عقائدنا مطمئنون ، وبها معتزون ، فلا تخيفنا مخترعاتكم ولا ترهبنا مكتشفاتكم بل تزيدنا تمسكا بما نحن عليه من يقين ومبادئ دينية وقواعد روحية ما دمنا — ولا شك — نقطع بأنا وإياكم إلى فناء ، وأن حياتنا هباء ، وأن أحدا منكم لن يصل إلى الخلود ، ولن يخرج عما يملك من سلطان الواحد المعبود ، فرض عين عما توجدون ، فما أنتم أشد خلقا أم خلق السماء ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها .

حقا لقد شكرتم الله على نعمة العقل فاستعملتموه فيما خلق لأجله ، وما خلق إلا لاستخراج كنوز السموات والأرض ، وما خلق الله من جماد وحيوان . وقد ذم الله أقواما عطلوا عقولهم وأعموا قلوبهم بجهلهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

ونحن المسلمين أمام هذا الواقع في عالم المخترعات والمكتشفات ، تأخذنا الحسرة وتدمينا اللوعة على ما غمرنا من نوم وسبات أجيالا طوالا ، فقطعنا حبل الجهاد العلمي المتواصل في هذا الشأن وفي تلك النواحي العلمية ، فما ازدهار العلوم الكونية ببغداد أيام العباسيين عنا ببعيد ، وما أمره بخاف على العدو والصديق ، ولكن لو تفتح أبواب الشيطان ، وتدخل اليأس والقنوط على بني الإنسان ، فما علينا بعد الآن إلا أن نزج بأنفسنا في هذا الميدان ، ميدان المخترعات والمكتشفات فنأخذ منه بأوفر نصيب . فنحن أحوج ما نكون إلى رفع مستوانا المعيشي ، وما سبيله الآن إلا قطف ثمار المخترعات ، واستخدامها فيما يحقق للأمة نصيبا وافرا من المسكن والكساء والغذاء ، ويرفع عن قلوبها وأعينها غشاوة الجهل ، ويزيل عن أجسامها العلل والأدواء والأمراض ، فالعاقل من يأخذ الفرصة عند اقتبالها ويقتنصها في أوانها ، فلا تفلت من يده ثم يعض عليها بنان الندم ، ويعيب زمانه والعيب فيه . فالعمل سبيل تحقيق الأمل . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

عبد الله المراغي

كلمات إسلامية خالدة

إن سلفنا الصالح وفي مقدمتهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قلوبهم مشرقة ، ونفوسهم صافية ، وسرائرهم طاهرة ، وبصائرهم نافذة ، لمعاصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لقرب زمنهم من زمنه عليه الصلاة والسلام ، زمن الهدى والنور والحكمة . ولذلك كانت لهم كلمات إسلامية خالدة ، يجدها الناس من بعدهم نبراسا لهم تضيء لهم الطريق وتهديهم إلى صراط الله الذي له ما في السموات والأرض . وقد اخترت كلمة قصيرة لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه ، وأخرى لسيدنا عمر رضي الله عنه ، وثالثة لسيدنا علي كرم الله وجهه . فأما التي لأبي بكر رضي الله عنه فقوله في بعض خطبه : « أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به ، وإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم ، فإنه من يطع الله وأولي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق » .

وهي حكمة من حكمه رضي الله عنه وإرشاد حكيم من قلب طاهر سليم ، فإنها كلمة جامعة لأنواع الخير ومنظمة للسلوك الشخصي ، والسلوك في المجتمع .

فأما السلوك الشخصي فيظهر أثره في تقوى الله سبحانه والاعتصام بأمر الله الذي شرعه وبينه للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن تقوى الله خشيته في السر والعلن ، وطاعته فيما نهى عنه أو أمر ، حتى يصون نفسه عما يؤذيها ويرديها ويحفظها من كل شر يحيق بها والاعتصام بأمر الله التمسك به والحرص على تنفيذه والاهتداء بهديه « ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم » .

وأما السلوك في المجتمع فيظهر أثره في طاعة ولي الأمر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر كما قال رضي الله عنه ، فإن ولي الأمر إنما يعمل لصالح الأمة ورعاية حقوقها ويسهر على إعزازها جماعات وأفرادا ، وتيسير الخير لها ، واتحادها وجمع كلمتها ، والذود عن حرماتها ، والدفاع عن استقلالها وحياتها حياة العزة والكرامة . فإذا خولف أمره كثر النزاع بين أفراد الأمة وتفرقوا شيعا وأحزابا ، وطمع فيهم عدوهم وتربص بهم الدوائر — إن طاعة ولي الأمر الصالح المخلص في عمله الناصح لأمته العامل لرقيها المدافع عنها واجبة لا يجوز إهمالها ولا التفريط فيها ، والخروج عليه حرام مادام يعمل للصالح العام .

وأما التي لعمر رضي الله عنه فقوله لعبد الله بن قيس الأشعري أحد قضاة الأمة وهم عمر وعلي وزيد بن ثابت وأبو موسى : «آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا».

لله درك يا ابن الخطاب فاصرت عهد النبوة وشهدته وامتلأت نفسك هدى ونورا، فنطقت بالحكمة وفصل الخطاب في كلمات قليلات خلدها الزمن وتناقلتها الأجيال، لما فيها من الهدى والرشاد. فقد بين بها أمير المؤمنين ما يجب على القاضي أن يتمسك به في قضائه وفتيه في الفصل في الخصومات، حتى يكون قضاؤه حقا مقبولا. ألا تراه يقول لقاضيه: «آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك» أي إذا جلست للقضاء بين الناس وفصل خصوماتهم فسو بينهم في ثلاثة أمور: في وجهك فلا تقبل على أحدهما حتى لا تكاد تفارقه عيناك ولا تحول عنه وجهك، وتعرض عن الآخر إعراضا تاما حتى يسيء الظن بك، وسو بينهم في عدلك، فلا تحكم في بعض القضايا بالعدل والإنصاف وفي بعضها الآخر بالهوى والاعتساف، وسو بينهم في مجلسك، فإذا قربت أحد المتخاصمين فقرب الآخر وإذا أبعدته فأبعد الآخر. إنك إن فعلت ذلك أمنت أن يطلب منك شريف عظيم أن تحيف على الناس من أجله وظلمهم تحقيقا لرغبته، وأمنت مع ذلك أن يعتقد الضعيف فيك أنك تارك حقه يأخذه القوي منه ولا ترده عليه. روي أن المأمون كان يجلس للمظالم في يوم جعله لذلك، فبينما هو ذاهب إلى مكان حكمه لقيته امرأة في ثياب رثة فرفعت إليه شكوى ضد ولده العباس، فلما وصل إلى مكان حكمه قال لقاضيه يحيى بن أكثم: أجلسها معه وانظر بينهما. فأجلسهما ونظر بينهما بحضرة المأمون، وجعل كلامها يعلو على كلام العباس، فزجرها بعض الحجاب، فقال له المأمون: دعها، فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه، وأمر برد ضيعتها إليها. هذا هو العدل الذي أراده عمر، وهكذا يكون العدل بين الرعية، وصدق سيدنا عمرو بن العاص إذ يقول: «سلطان عادل خير من خصب الزمان».

ثم انظر إلى ابن الخطاب بعد ذلك يقول: «البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر» فإنها رشفة من معين النبوة الصافي فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم، ولكن البينة على من ادعى واليمين

على من أنكر » ، وهذا أصل من أصول القضاء استنه الرسول صلوات الله وسلامه عليه لقضاة الدنيا جميعا ، فلا يكاد يحيد عنه أحد في قضائه ، والمدعى من يزعم خلاف الأصل كأن يزعم أن فلانا مدين له ، فهذا خلاف الأصل لأن الأصل براءة الذمة من الدين وغيره فإن المرء ولد هكذا بريئة ذمته من كل شيء ، فمن جاء بخلاف الأصل فهو المدعى ، وعليه أن يأتي ببينة أي شاهدين صادقين عدلين يشهدان له بما ادعى ، فإن عجز عن البينة طلب اليمين من المدعى عليه على براءة ذمته إن كان منكرا وعلى ذلك يحكم القاضي . روى أن هشام بن عبد الملك أرسل إلى قاضيه ليفصل في أمور بينه وبين إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فلما حضر القاضي خرج إليه الوزير وقال له إن أمير المؤمنين قدمني للكلام عنه مع إبراهيم ، فقال القاضي : ائتني ببينة على ذلك فقال أتراني أقول على أمير المؤمنين ما لم يقل ؟ قال : لا ، ولكن لا يثبت الحق إلا بذلك فخرج أمير المؤمنين وجلس مع الخصم في مجلس واحد وحضرت البينة بموجب الحكم على أمير المؤمنين ، فقضى القاضي عليه . هكذا يجب أن يكون القضاء ، لا يخشون في الحق لومة لائم كما قال الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » أما الصلح فيجيء أخيرا بعد الخصومة ، فإذا تخاصم بعض الناس مع بعض واشتد النزاع بينهم حتى أفضى إلى ما أفضى إليه من شيء ثم أرادوا الصلح بعد ذلك كان لهم ما أرادوا ، فالصلح خير كما قال الله سبحانه وهو جائز ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وغيره « الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما » .

وأما التي لعلي رضي الله عنه فقوله في بعض خطبه عليه السلام : « رحم الله عبدا سمع فوعى ، ودعي إلى الرشاد فدنا ، وأخذ بحجزة هاد فنجا (أي استمسك بهاد فحصلت له النجاة) ، وراقب ربه وخاف ذنبه ، وقدم خالصا وعمل صالحا ، واكتسب مذخورا واجتنب محذورا ، وكابر هواه وكذب مناه ، وحذر أجلا ودأب عملا ، وجعل الصبر ومطية حياته والتقى عدة وفاته ، يظهر دون ما يكتم ويكتفي بأقل مما يعلم ، لزم الطريقة الغراء والمحجة البيضاء ، واغتنم المهل وبادر الأجل وتزود من العمل » . وهذا كلام لا يحتاج إلى تعليق فهو يشع نورا وهدى ويضيء علما وحكمة ، والله ولي التوفيق .

محمد الطنيخي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

أم المؤمنين حفصة بنت عمر

كانت حفصة بنت الوزير الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أعز الله به الإسلام تحقيقاً لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت عائشة من قبلها بنت الوزير الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن دعا إلى الإسلام في مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو معنى من المعاني الكريمة في صاحب الرسالة أن يتألف أصحابه وأحبابه بكل ما يحكم روابط الود ومنه الصهر . وكانت ولادة حفصة قبل الهجرة نحو خمس عشرة سنة كما يدل له ما نقل ابن الأثير الجزري في أسد الغابة وغيره من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها سنة ثلاث عند أكثر العلماء وأنها كانت في سن الثامنة عشرة تقريباً .

كانت تشبه عائشة رضي الله عنهما في جمالها وفي حسبها وفي قوة الرابطة وفي تقارب السن . وتشبه أم سلمة التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعدها في أن كلا منهما أرملة صحابي كريم وإن كانت حفصة فقدت زوجها الأول « خنيس بن حذافة السهمي » في شبابها وريعانها وهي خالية من شواغل الولد وأحوج ما تكون إلى كنف كريم يعوض عليها ما فاتها من قبيل لم يطل مداه ولم يحقق حاجته .

على أن الناظر إلى سنة الكون المطردة وطبيعة الوجود وحدها دون اعتبار آخر فإنه يرى أن حفصة إلى جانب أم سلمة أحوج من كل في البيوت النبوية الكريمة إلى تحقيق معاني الزوجية ، فهي أحق وأولى من سودة بنت زمعة التي تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد خديجة بنت خويلد جزاء لها عن زوجها (السكران) المهاجر المجاهد لتكون كلمة الله هي العليا وجزاء له عما فقد من خديجة التي كانت خير مشجع له في مهمته ، ولم تكن سودة — كما قالوا — ذات جمال ولا في شباب يحقق مطالب البشرية للأزواج ، وكانت حفصة — في حكم الطبيعة ، كما قلت — أنضج من عائشة أنوثة وأصلب عوداً وأخبر بالرجال وحقوقهم وأقوى على تحمل واجبهم ، فهي فتاة ناضجة أرملة تكبر عائشة بنحو سبع سنوات أو أكثر قليلاً أو أقل قليلاً على اختلاف الرواية والبحث .

ولما وردت بعدها زينب بنت خزيمة (أم المساكين) إلى بيوت النبي الكريم استأثرت بها رحمة الله سبحانه بعد شهرين أو ثلاثة ، فلم تكن موضع بحث ولا موازنة .

ثم وقفت بصدد السيدة أم سلمة التي سبق الحديث عنها على صفحات هذه الحياة المزدحمة مكافحات مسنة ذات عيال ، ولم تكن في جمال عائشة ولا حفصة ولا في شرخ واحدة منهما على جلال قدرها واضطلاعها بكثير من الأعباء .

ولست بصدد الإسهاب في الموازنة بين الأمهات فهو حديث يجر إليه عقد المشابهة بين حافظة المصحف الشريف [1] وبين عائشة وأم سلمة .

تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة إذا جبرا لكسرها ، وتطييبا لمصيبتها ، وتوددا إلى والدها ، وتحقيقا لرغبة ملحة فيه أن يلتمس لها بعلا كريما ، يؤنس وحشتها ، ويسكن غربتها . ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أوسع الناس سماحة وأقدرهم على تحقيق واجب الزوج ولو كثر الأزواج . وعلى تحمل أعباء المرأة بما آتاه الله من خلق وطاقة عظيمة .

ودلت الأخبار على أن حفصة كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم زوجا لصحابي جليل هو خنيس بن حذافة السهمي الذي شهد بدرا لم يشهدها غيره من بني سهم ، وشهد أحدا فخرج فيها بجرح انتهى بموته ، وكان خنيس من السابقين إلى الإسلام ومن أصحاب الهجرتين .

فلما توفي خنيس وانقضت عدة حفصة عز على أبيها أن يسلمها إلى ذلك الحزن والانقباض الذي كان يشعر به كلما دخل عليها . وما أشد انقياد المرأة إلى داعي الحزن وتلبيتها دعوته ما لم تلتمس المخرج من عقابيله الخانقة .

رأى عمر إذا أن يلتمس لها بعلا كريما ، فعرضها على أحب الناس إليه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر الصديق ، ولكن أبا بكر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها فخشي أن يفشي سره قبل أن يبت في الأمر ، وسكت ولم يحر جوابا مما أفهم عمر أنه غير راغب في ذلك الزواج ، على أن مثل حفصة ممن لا يعدل عن زواجه ولا يرد عرضه ولا سيما من صديق حبيب فاستاء عمر في نفسه .

ثم ذهب إلى عثمان يعرضها عليه لعله يقبل ما رفض صاحبه ، فقال له لا حاجة لي بالزواج اليوم . فاستاء استياء أشد من الأول ، وضاقت في وجهه الدنيا ، وعجب أن يلقى ما لم يقدره من صاحبيه في أمر كان يرى أنه موضع رغبة ومنافسة وأنه متفضل بعرضه وجدير ألا يحرج فيه . ولعل ذلك صده عن أن يلتمس لها كفئا سواهما وهما موضع الثقة وأولى الناس بالمصارحة ، فلم يكن إلا أن يرفع شكواه إلى السيد رسول الله . وهو لا يفكر في ما ادخر الله لها وله .

---

[1] سر وصف السيدة حفصة به سيجيء بعد

ذهب إلى السيد الرسول صلوات الله عليه يشكو إليه ما لقي من صاحبيه وأنهما خيبا أمله ، وكانت الشكوى الثانية من عثمان وردّه عليه ، وقد كان عثمان زوجاً لرقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفيت فحرم من أن يزوجه بنته الثانية أم كلثوم كما فكر في أن يتزوج حفصة بنت عمر فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يزف إليه البشرى بنفسه وفي أخيه عثمان في هذه الكتابة البديعة والأسلوب العطر الأنيق الجميل ، فيتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة ، ووقعت البشارة برداً وسلاماً على قلب عمر ، وخرج بها يتهلل وجهه يريد أن يبشر بها كل حبيب ليدرك فرحه ، ويعرف بهجته ، فكان أول من لقي أبا بكر ، ولما رآه كذلك فهم ما كان ، وكان في القوم ذكاء وبصيرة وفراسة صادقة وحدس عجيب يدركه الإيمان الصادق والبصيرة الصديقية — ثم مد يده إلى عمر مهنئاً واعتذر إليه يقول : « لا تجد عليّ يا عمر ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر حفصة فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها لتزوجتها » ثم مضى كل من أبي بكر وعمر إلى ابنته فأما عمر فيبشر حفصة ويهنئها ، وأما أبو بكر فليخفف من ابنته عائشة من وقع الخبر ولينبئها بالحياة الجديدة .

ثم كان أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فتخذت مقرها من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم كما تزوج عثمان رضي الله عنه أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحقق الخبر بشطريه ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وفي البيت الكريم كل من سودة وعائشة فأما سودة فرحبت بالزواج وباركته ، وكان موقفها منها كموقفها مع عائشة من قبلها ، رضا وتسليم ، ومباركة وتكريم ، فإن سودة كانت سيدة مسنة لا أرب لها في زواج السيد الرسول صلوات الله عليه إلا أن تخدمه وبناته وتلتمس بركته وأن يحشرها الله سبحانه زوجاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قالت ذلك حين طلبها للزواج ، فهي إذن لا تنافس فيه النساء وأما عائشة فسكتت على مضض ، وصبرت على ألم ، فقد كانت تشتمل على غيرة شديدة وتحاول الاستئثار برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن يصيب أمر سودة تلك السيدة المسنة فتبلغ الحظ من الخيال ، فأما حفصة فقد كانت جديرة أن تستثير مكان الغيرة بعاطفتها وحدثها وقوتها وعزتها فهي جديرة أن توجه ميول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شخصها ، وأن يكون لها حظها الوفير من حبه وإقباله .

وبما كانت عائشة تزهو على سودة أو تفخر على خديجة فتغار منها وهي في ذمة التاريخ فتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم مفضلة نفسها عليها : إنها عجوز حمراء الشدقين قد أبدلك

الله خيرا منها ، فماذا عسى أن تكون فى هذه الزوجة الوسيمة القسيمة سليلة عمر بن الخطاب ؟ ومن عمر بن الخطاب ؟ كان لا بد إذن أن تجد فى نفسها جانبا من الغيرة من حفصة ، وكان جائزا .. ولعله كان واقعا أيضا .. أن تبادلها حفصة تلك الغيرة كما هو حكم الطبيعة ، وإن كانت عائشة أسبق من حفصة إلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم وإلى قلبه الطاهر الكريم .

ولعل تكاثر الزوجات من بعد ومنهن من هى موضع الغيرة والمنافسة من أمثال زينب بنت جحش ، وصفية بنت حيى ، حمل عائشة رضى الله عنها تنسى كثيرا من مظاهر الغيرة على حفصة ، بل إنه جعلها تجد فى حفصة صديقة لها تتقرب بها فى المناسبات ، وتتقوى بها فى المشاحنات .

ولا غرو فإن بينهما وجوها من المناسبات تدعو إلى حسن التفاهم ووشك المودة والإخاء ، فكل منهما بنت صديق الآخر ، وكل منهما بنت حبيب النبى صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس مودة له ، وكلتاهما مرضية . وقد كانت حفصة هى التى وفدت على عائشة من قبل كل واحدة من بعدها ، إلا أنها هى التى تليها فى الزواج ، وقد كانت تقاربها فى سنها وفى حالها فليس بدعا أن تكون أقرب زوجات النبى صلى الله عليه وسلم إليها ، وسيتجلى لك ذلك فيما يمر بك من الحديث ، ولا سيما فى موقف كل منهما مع مارية القبطية مولاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولقد قامت المودة فعلا والصداقة بين عائشة وحفصة ، يتجلى ذلك فى مناسباته ويظهر فى صور يحدث عنها التاريخ .

ومن ذلك ما يروى عن عائشة فى موقفها من زواج أم سلمة .

قالت عائشة : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما ذكر لنا من جمالها ، فتلطفت حتى رأيتها ، فرأيت والله أضعاف ما وصفت به ، فذكرت ذلك لحفصة فقالت : ما هى كما يقولون ، ولكنها لكبيرة السن . فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قالت حفصة ولكنى كنت غيرى .

ويحدثوا أن السيدة عائشة كانت تضيق ذرعا بميل النبى صلى الله عليه وسلم إلى زينب بنت جحش وإطالة المكث عندها ، فكانت تتآمر مع حفصة وسودة أيتهن دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من عند زينب فلتقل إنى أجد منك ريح مغافير

(والمغافير) ثمر حلو كريه الرائحة [١] وكان صلى الله عليه وسلم يكره الرائحة الكريهة أن يشمها أو تشم منه . على أنه ورد أن سودة لم تنفذ هذه المكايدة المتفقة .

وكان عمر بن الخطاب يكره لحفصة أن تسير عائشة في غيرتها ، فهي حب أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما كانت زلتها مغفورة عنده ، ممحوة من حسابه ، ولا سيما أنه كان يعلم أن حبا بالغا متبادلا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة ، وكان يقول لابنته حفصة « أين أنت من عائشة وأين أبوك من أبيها » وربما أنذرها فتساهل في إنذاره حتى لا تتورط في المكروه أحيانا ، وروى أنه قال لها يوما : لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحبك ولولا أنا لطلقك .

ويبدو لنا أن عمر بن الخطاب كان مبالغا في الحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يحبها ، وأن الذى دفعه إلى ذلك زيادة الحرص على ابنته والعمل على صدها عن بعض ما كان يبدو منها من مظاهر مضايقة غير مقصودة أحيانا ، وربما استشف ذلك من بعض الأخبار النبوية الكريمة .

ويظهر أن إعجابه بالسيدة عائشة وتقديره لمركزها العظيم كان يرجح عنده أحيانا أن تلجأ إليها مسترشدة أو مستنصحة وكان يحبب إليها أن ترداف إليها – وهي الصوامة القوامة – بعض الأمر كان الأولى بها أن تكتمه ، وفي قصة مارية التي نزل بها القرآن الكريم في سورة التحريم – على ما يرويه بعض علماء السير ، وما يذهب إليه كثير من المفسرين – دليل صادق على مقدار ما تكنه لعائشة من إخلاص وما تحبوها به من إيثار .

حديث مارية القبطية

ذكر كثير من علماء الأثر وروى جماعة من المفسرين وهو ما رواه النسائي والحاكم وصححه [٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل عائشة وحفصة به حتى حرمها على نفسه ، فأنزل الله هذه الآية : « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله

---

[١] وله طرقات كثيرة ذكرت في القاموس منها مغفر كمنبر ومغفار كمفتاح ومغفور ومغثار ومغثير .
[٢] راجع تفسير الألوسي في هذا المقام (سورة التحريم) .

لك » وأخرج البزار والطبراني بسند حسن صحيح عن ابن عباس قال : « نزلت (لم تحرم) في سريته » ، وكان معروفاً أن هذه السرية هي مارية القبطية .

وأنه وطئها في بيت حفصة التي كانت تغار منها غيرة عربية عصبية ، ويكمل الرواة هذه القصة فيقولون : إن حفصة غابت حتى خرجت مارية فدخلت إلى السيد الرسول صلى الله عليه وسلم منتصبة صاخبة وقالت : « والله ما كنت لتفعل ذلك لولا هواني عليك » فأسر النبي صلى الله عليه وسلم إليها حديثاً في شأن مارية بأنها عليه حرام ، وفي شأن أبي بكر وعمر بأنهما يليان الخلافة من بعده كما أعلمه الله . وقد عهد إليها ألا تطلع أحداً على ذلك السر .

ولم تستطع حفصة أن تكتم ما أسرها الرسول صلى الله عليه وسلم بكتمانه ، فأخبرت السيدة عائشة وهذه الأم أيضاً قد ساءها مايختص النبي صلى الله عليه وسلم به هذه الأمة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاملها معاملة يظهر أنها لم تكن تخصيصاً لولا الغيرة . وقالوا : إنهما جمعت سائر الزوجات الكريمات فأبرمن العمل على إخراج مولاة النبي صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ، واشتعلت النار في بيوت النبي الكريم وظهر الغضب على السيد الرسول صلى الله عليه وسلم يومئذ فكان الصواب الحازم أن اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً واشتغل عنهن في أمور رسالته وشئونها والتزم المبيت في مشربة معزولة عن الحجرات يتصل به خادمه ومولاه بلال ابن أبي رباح . فما انقضى الشهر وكان تسعة وعشرين يوماً عاد إليهن وقد صفت نفسه ، وتابت كل من حفصة وعائشة ، وتابتا عن العودة إلى مثل ما كان ومعهما بقية الأمهات الطاهرات ، ولكن هل طلق النبي صلى الله عليه وسلم حفصة في هذه المناسبة ؟

اختلفت الروايات في ذلك فبعضها يرى أنه صلى الله عليه وسلم طلقها وأنه راجعها بعد ذلك رحمة بعمر وراحته بعدها ، وأن جبريل هو الذي نزل عليه بذلك من عند الله .

وفي رواية أنه قال له : « أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة ، وإنها زوجتك في الجنة » ، والأصح عندنا في الرواية أنه صلى الله عليه وسلم لم يطلقها ولا واحدة من الأمهات الكريمات ، وربما أنزل الله سبحانه ما فيه الكفاية من تعريفهن بقدر النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته في سورة التحريم ، وإن كان بعض المفسرين يذهب إلى

أنها نزلت في قصة العسل والمغافير . على أن كلا من الروايتين صحيح ثابت لا مغمز فيه ، ولكن سياق القرآن الكريم يؤيد أن السورة نزلت في حادث مارية ، وليس هناك ما يمنع أن تكون السورة نزلت بعد الواقعتين معا وهي مناسبة لكل منهما ، رادعة عن كل ما فيه إساءة للرسول صلى الله عليه وسلم ومنطبقة على ما صدر في كل منهما ، وليس ذلك مجال البحث في ذلك .

وإنما الذي يعنينا صحة القصة والدلالة على شدة الغيرة وتحقيق معنى التظاهر والمعاونة بين كل من عائشة وحفصة .

على أنه لا يعرف عن حفصة ولا عائشة ولا غيرهما من الأمهات تظاهر بعد ذلك الدرس ، وإنما هو التفرغ للدرس النبوي والقنوت لله سبحانه وذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة حتى اللحاق بالله عز وجل .

وقد سجل التاريخ لحفصة أنه وقع الاختيار عليها من بين الزوجات الطاهرات لحفظ المصحف الشريف الذي جمعه أبو بكر بمشورة عمر ، وأنه بقي عندها حتى سلمته إلى عثمان رضي الله عنه فنسخ منه النسخ الأربع التي وزعت على الأمصار .

كما سجل لها أنها بعد أن فكرت في الخروج مع السيدة عائشة للمطالبة بدم عثمان عدلت عن ذلك تقية وخوفا من الله ، أن تتعرض لما لا تدري عقباه ، وأعانها على ذلك شقيقها عبد الله بن عمر رضي الله عن الجميع .

ثم بقيت كما وصفها التاريخ صوامة قوامة تروي ما أخذت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويأخذه عنها عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة والتابعين حتى صعدت روحها الطاهرة إلى ربها في جمادى الأولى سنة ٤١ في عهد معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه .

محمود الشرقاوي

المفتش بالأزهر

محنة اللغة العربية في الجزائر

ليس في وسع رجل ذي ضمير حي في العالم أن ينكر على الجزائريين حق الثورة في سبيل تحرير بلادهم من السيطرة الأجنبية ، وما أظن هؤلاء الذين يكابرون ويجحدون حق هذا الشعب الحر المناضل إلا مصابين بعمى في أبصارهم أو بصائرهم أو انحراف في إنسانيتهم مما يجعلهم يميلون إلى التمسك بشريعة الغاب ، ويتجاهلون تجاهلا تاما قوانين الأخلاق والأديان والمبادئ السامية ، ولم يعد أحد ينخدع بتضليلاتهم ، ومحاولاتهم طمس الحقائق ، فقد وضح وضوحا لا يدع مجالا للشك — بعد المجزرة البشرية الهائلة التي ترتكبها فرنسا في الجزائر ، والتي يصمون عنها آذانهم — وضح لكل ذي عينين أن مبادئ الحرية والعدل والإخاء والمساواة وما إليها إنما هي ألفاظ جوفاء تلمع في قواميس الدول المستعمرة ، وتجرى حبرا على أوراقهم بقصد التمويه والتضليل ، أما حقائقها فلا وجود لها على سطح هذه الكرة ، ولا في قلوبهم .

فنحن من أي زاوية نظرنا إلى سلوك الفرنسيين في الجزائر ، وجدنا غرائب تفوق حد الخيال ، وأي خيال يمكن أن يصل إلى أن يعيش شعب في أرض آبائه وأجداده غريبا عنها ، يتمتع غيره بخيراتها ، ويعيش هو فقيرا محروما ؟ وهذه الحال قد حملت كاتبا فرنسيا هو جان ميلي على أن يصيح في وجه فرنسا على أن تعامل مسلمي الجزائر كما تعامل الفرنسيين واليهود والأجانب المتفرنسين في هذا القطر ، ويذكر في صراحة وشجاعة أن الجزائريين يعيشون غرباء في بلادهم ، أي أنهم من أتباع فرنسا لا من رعاياها ، فهم محرومون من الحقوق السياسية فلا يتمتعون بالجنس الفرنسي ولا يتجنسون ، ولا يرقى المسلم الجزائري في الجيش الفرنسي رتبة تفوق الملازم الأول ، والذين بلغوا رتبة رئيس قليلون جدا ، ولا يتساوى المسلم والفرنسي حتى في رواتب التقاعد العسكرية ، وكان المسلمون ممنوعين من وظائف الحكومة في الجزائر ما لم يتجنسوا بالجنسية الفرنسية ، ثم يقول بعد أن يصف حالة الفقر المدقع التي يعيش فيها الجزائريون . « لا يستغرب بعد هذا أن تكون الجزائر الإسلامية نموذجا لأرض المجاعات » .

ومع أنهم يدرسون في مدارس فرنسية ، ويتخلقون – كما يقول المؤلف – بأخلاق فرنسية ، ويكتسبون عادات فرنسية ، ومع أنهم فرنسيون بموجب دستور سنة ١٨٤٨ م مع كل هذا – كما يقـــول المؤلف أيضا – لا تسرى عليهم قوانين فرنسا كلها ، لأنهم لا يحسبون فرنسيين ولا أجانب ولا بشرا [١] .

وأما اللغة العربية في الجزائر فأمر يدعو إلى أشـــد العجب ، فنحن نعرف أن المستعمرين في كل الأقطار يحرصون كل الحرص على أن ينشروا لغتهم وثقافتهم ، وأن يقضوا على لغة الدولة المستعمرة ، لأن اللغة روح الأمة ، ولا تزال الأمة بخير ما بقيت محافظة على لغتها ، أما حين تتهاون في شأن لغتها فتهملها أو تتركها جانبا ، حينئذ تستبيح من كيانها ، وتصير أمة أخرى ، لذلك يحرص المستعمرون أول نزولهم أي قطر على وأد لغته ، ومع هذا فلا نعرف دولة بلغ بها الحمق وحب التسلط ، والعمل على القضاء على الأمة التي اغتصبوا أرضها كالدولة الإفرنسية .

وتاريخ فرنسا الحديث شاهد صدق على أن الفرنسيين يعملون جادين في كل قطر يدخلونه على أن يسلخوه من قوميته ، ولولا أنهم في حاجة إلى الأيدي العاملة في تلك الأقطار لأبادوا سكانها كي تخلو لهم الأرض ، وهم يتذرعون بشتى الدعايات ، وبالأعمال المجرمة لتحقيق أغراضهم .

فهم في سوريا كانوا يدعون – حين كانوا معتدين عليها من قبل عصبة الأمم – أن السوريين ليسوا بعرب ، ولو كانت لغتهم عربية ، وأن اللبنانيين يختلفون عن العرب وعن السوريين في وقت واحـــد . إنهم فينيقيون ، ولا سيما المسيحيون منهم ، فهم من أبعد الناس عن العروبة والعرب ، لأنهم من أحفاد الصليبيين الذين كانوا قد أتوا إلى سوريا ولبنان من مختلف البلاد الأوربية ولا سيما من فرنسا .

لقد سعى الفرنسيون – طوال مدة انتدابهم على سوريا ولبنان لبث هـــذه الأفكار والآراء بواسطة الصحافة والمـــدارس والوعظ واستطاعوا أن يؤثروا في بعض النفوس ويجعلوهم دعاة للإقليمية وأعداء للقومية العربية [٢] .

---

[١] هذه الفقرات منقولة بتصرف من كتاب الاستعمار ج ١ ص ١٢٠ للأمير مصطفى الشهابي .

[٢] نشوء الفكرة القومية ص ٢١٣ للأستاذ ساطع الحصري .

وكذلك شنوا حربهم في الجزائر ، فالجزائر في عرفهم يجب أن تكون فرنسية ، بل هي فرنسية بالفعل ، لأن موقعها الجغرافي يجعلها أقرب إلى فرنسا منها إلى جزيرة العرب ، واللغة العربية لغة أجنبية عن الجزائريين يجب أن يتناسوها . وبذلك صدر مرسوم في عام ١٩٣٨ م أصدره الوزير الفرنسي شوتان ، يحرم فيه تدريس اللغة العربية باعتبارها — كما زعم — لغة أجنبية .

ولم يقف الأمر عند حد إصدار المراسيم ، وسن القوانين بل تعداه إلى الناحية العملية ، فجعلت السلطات التدريس من رياض الأطفال إلى الفرق العالية باللغة الفرنسية وحدها ، وجعلت كل مدرسة تدرس باللغة العربية في عداد المدارس الأجنبية التي تخضع لقانون خاص .

وكذلك الشأن في الصحف التي تصدر باللغة العربية ، فهي تعامل معاملة المدارس الأجنبية . ولعل الأدهى والأمر من كل ذلك أن تحتم مصلحة البريد على الجمهور أن يعنونوا رسائلهم بالفرنسية وإذا تعمد كاتب أو خطأ فعنون الرسالة باللغة العربية كان مصير رسالته الإهمال ، ولا يجوز في كثير من الأحيان من العقوبة على هذا الجرم العظيم الذي سول له أن يستعمل لغته في عنوان رسالته .

ولقد قرأت في بعض الكتب أن فرنسا تعتبر المدرسة العربية في الجزائر أشد خطرا من مصنع للذخيرة ، وهي تحارب بكل الوسائل معلم اللغة العربية ، وتعتبره أفظع جرما من اللصوص وقطاع الطرق !

وكما حاربت المدارس العربية ، حاربت كذلك الكتاتيب القرآنية ، والجمعيات التي تعنى بتدريس الدين ، بل هي تعتبر كل جمعية تدرس الدين خصما مباشرا للدولة ، ولذلك اضطرت جمعيات إسلامية إلى الاختفاء .

ولقد حكمت السلطات الفرنسية مدرسا جزائريا لأنه درس لتلاميذه تاريخ الجزائر العربية الإسلامية ، إذ يرى الفرنسيون أن تاريخ الجزائر يجب أن يبدأ من سنة ١٨٣٠ م وهي سنة احتلالهم لها .

ولقد يذكرنا عمل فرنسا هذا بما عملته تركيا مع العرب أيام خضوعهم لحكمها ، فقد حارب هؤلاء اللغة العربية ، فعملوا التعليم باللغة التركية ، حتى قال الشاعر سليمان الباني الفاروق :

بضع وعشرون مليونا لهم لغة تضيع ما بينهم بأشد ما غلبوا

وردد كثير من شعراء العرب هذا المعنى ، ولكن البون شاسع بين شعور العرب في ذلك العهد نحو الأتراك وبين شعور الجزائريين نحو فرنسا ، ومع هذا فقد تقلص الحكم التركي ، وبقيت اللغة العربية مرفوعة الرأس ، منيعة الجانب .

والعجب من قادة فرنسا وساستها كيف يغيب عن أذهانهم أن القضاء على لغة من اللغات لا سيما اللغة التي لها ماض وتاريخ ، وهي مرتبطة بدين سماوي ، ليس من الأمور الميسورة . وتغلب لغة على لغة يخضع لنواميس طبيعية ليس منها على أي حال من الأحوال ، القوة والتسلط ، وأول شرائط التغلب — وهو اتحاد اللغتين في الأصل — مفقود بين الفرنسية والعربية ، فالعربية من اللغات السامية ، والفرنسية ترجع إلى أصلها اللاتيني .

(وبعد) فليجهد الفرنسيون جهدهم ، وليبذلوا كل ما في وسعهم ، فلن يقضوا على لغة العرب في بلاد العرب ، بل إننا على يقين من أنه سيقضى على نفوذ فرنسا في بلاد العرب طال الطريق أم قصر .

علي العماري
مكة المكرمة

حصوننا المهددة من داخلها

كما يسر الله التعاون بين مصر والشام في مواقفهما العسكرية للدفاع عن حصوننا المهددة من الخارج ، فقد بدت بوادر تدل على أنه سبحانه يسر لنا التعاون كذلك في مواقفنا الثقافية للدفاع عن حصوننا المهددة من الداخل . وقد تلقينا عدد ١٣ ربيع الأول (٨ أكتوبر) من جريدة (الأخبار) اليومية التي تصدر في دمشق وفي صفحتها الأولى ترديد كريم لصدى الأفكار النيرة والإيقاظ المخلص الصادرين من قلم الدكتور محمد محمد حسين في مقاله العظيم (حصوننا مهددة من داخلها) المنشور في جزء صفر من مجلة الأزهر ولا سيما ما يتعلق منه بالمكتب الأمريكية بالقاهرة التي تحرض على تمزيق حجاب الحياء والعفة بين البنات والبنين في مصر والأوطان العربية ، وقد طلبت الجريدة اليومية الدمشقية أن يجازى المشرف المسئول عن هذه الدعوة الشيطانية بما يقي أبناء الجيل من عواقبها .

مصادر الشريعة الاسلامية

المصالح المرسلة « تعريفها »

— ١١ —

وعلى هذا لا يكون هذا الرأى مخالفا لرأى المالكيين بل هو موافق لرأيهم . وبذلك تكون آراء العلماء فى المصالح المرسلة منحصرة فى رأيين فقط : أحدهما رأى القائلين بحجيتها ، وثانيهما رأى المنكرين لهذه الحجية . ولكل من الفريقين أدلة على ما ذهب إليه نوردها فيما يلى :

وقد استدل القائلون بحجية المصالح المرسلة بما يأتى :

١ — ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ . قال : أقضى بكتاب الله . قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ (قال . أجتهد رأيى لا آلو . أى لا أقصر فى الاجتهاد) . قال . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ثم قال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » (١) فان الرسول صلى الله عليه وسلم أقر معاذا على الاجتهاد بالرأى إذا لم يجد فى الكتاب أو السنة ما يقضى به . والاجتهاد بالرأى كما يكون بقياس النظير على نظيره يكون بتحقيق مبادئ الشريعة والاسترشاد بمقاصدها العامة . والعمل بالمصالح المرسلة لا يخرج عن هذا .

٢ — ان من يتتبع تشريع الصحابة الذين هم عماد الاجتهاد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر له أنهم كانوا يبنون الكثير من الأحكام على المصالح المرسلة من غير إنكار من أحد منهم على ذلك فكان ذلك إجماعا منهم على العمل بالمصالح المرسلة والاعتداد بها فى تشريع الأحكام .

---

(١) صحيح الترمذى ج ٦ ص ٦٨ و ٦٩ . وسنن أبى داود ج ٣ ص ١١٦ .

وقد نقل العلماء عنهم كثيرا من الأحكام التي بنوها على ما رأوه من المصالح . ونورد هنا طائفة منها :

(أ) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جمع الصحف المفرقة التي كتب فيها القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر بإشارة عمر بن الخطاب . وليس هناك ما يدل على جمعه وكتابته من الكتاب أو السنة . ولكنه عمل مبني على المصلحة كما يدل على ذلك قول أبي بكر عندما أشار عليه عمر بذلك : « كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » وقول عمر : « إنه والله خير ومصلحة للإسلام » [١].

(ب) أن أبا بكر استخلف عمر بن الخطاب وهو عمل مبني على المصلحة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا بعده . ولم يرد عنه شيء في ذلك . [٢]

(ج) أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : أبقى الأراضي المفتوحة في أيدي أهلها ولم يوزعها على الغانمين . ووضع الخراج على أهلها ليكون موردا للمسلمين . وينتفع به أول المسلمين وآخرهم . وقد وافقه على ذلك سائر الصحابة بعد أن بين لهم ما يترتب على ذلك من المصلحة للمسلمين . ومما قاله في ذلك ردا على المعترضين له في أول الأمر : « إنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى . وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم . فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله . وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه . وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها ، وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها . فتكون فيئا للمسلمين المقاتلة والذرية ، ولمن يأتي بعدهم . أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها . أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج ؟ فقالوا جميعا : الرأي رأيك ! فنعم ما قلت وما رأيت ! إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ويجرى عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم . فقال : قد بان لي الأمر » وقرر إبقاء الأرض بأيدي أهلها وضرب عليهم الخراج . وسلم الجميع بذلك [٣].

---

[١] الاعتصام للشاطبي ج ٢ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ .

[٢] الفكر السامي لمحمد بن الحسن الحجوي ج ٢ ص ١٣ .

[٣] راجع كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٢٨ — ٣٢ والأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٦٢ — ٦٣ .

(د) أن المسلمين لما كثروا في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه زاد الأذان الثاني لصلاة الجمعة ، وجعله على دار في سوق المدينة تسمى بالزوراء . وهو الأذان الذي يعمل الآن فوق المآذن عند دخول وقت الصلاة . وهذا الأذان لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أبي بكر وعمر ، فرأى عثمان رضي الله تعالى عنه أن الأذان إنما شرع لإعلام الناس بالصلاة ، ولو اقتصر على ما كان قبله من الأذان بين يدي الخطيب أو على باب المسجد لما أدى الأذان المقصود منه ولفاتت الصلاة على كثير من المسلمين البعيدين عن المسجد . وقد وافق الصحابة عثمان على ذلك . وليس له مستند فيه إلا المصلحة ودفع المفسدة التي كانت تترتب على بقاء الأمر على ما كان عليه قبل ذلك .

(هـ) أن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع ما كان في أيديهم من أمتعة الناس محافظة على الأموال من الضياع . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « لا يصلح الناس إلا ذلك » يعني الحكم بالضمان ، ووجه المصلحة في هذا الحكم ، كما يقول الشاطبي في « الاعتصام » : أن الناس لهم حاجة إلى الصناع ، وهم يغيبون عن الأمتعة في غالب الأحوال . والأغلب عليهم التفريط وترك الحفظ فلو لم يثبت تضمينهم مع مسيس الحاجة إلى استعمالهم لأفضى ذلك إلى أحد أمرين : إما ترك الاستصناع بالكلية ، وذلك شاق على الخلق ، وإما أن يعملوا ولا يضمنوا ذلك بدعواهم الهلاك والضياع فتضيع الأموال ، ويقل الاحتراز ، وتتطرق الخيانة ، فكانت المصلحة التضمين .

زكي الدين شعبان

الأستاذ المساعد بكلية حقوق عين شمس

اللغة العربية في كلياتنا العلمية

تقدم المجلس الأعلى للعلوم بمشروع إلى الجهات المختصة لتدريس مواد الكليات العلمية في جامعات مصر باللغة العربية بدلا من اللغة الإنجليزية ، ويقترح المجلس أن يبدأ بذلك في المراحل الأولى للكليات الجامعية .

أضواء على التاريخ الاسلامى

قرأت مغتبطا تلك الخطوة الموفقة التى خطاها المجلس الأعلى للفنون والآداب ، إذ قرر مشكورا أن يسلط بعض الأضواء على تاريخ الإسلام .

هذا الاتجاه الصحيح ينبغى أن يزكيه كل مشتغل بالدراسات الإسلامية عامة وبالتاريخ الإسلامى خاصة ، وليست تزكيته أن يساق المديح للمجلس وأعضائه ، بل أن يقدم كل دارس إسلامى خبرته ورأيه فى تعزيز هذا الاتجاه ، حتى تستفيد الثقافة الإسلامية حق الفائدة ، وتنتفع من الفرصة المتاحة – قبل أن تضيع – أقصى انتفاع .

لقد دعوت وألححت فى حرارة منذ عام تقريبا ، وكان مجلس الفنون والآداب فى باكورة حياته : « إننا نريد تاريخنا حيا ، ونريد تاريخ حضارة ودين ، ولقد وجدنا مجلس الفنون والآداب خيرا فى تاريخنا القومى فعليه ألا ينسى تاريخنا الإسلامى ، حقق الله الآمال » ، وأشرت فى التعريف بالكتاب – الذى ضمنته هذه الآمال – إلى الرسالة القومية التى يؤديها التاريخ الإسلامى : « بين القومية العربية والتاريخ الإسلامى رباط وثيق ... عن طريق هذا التاريخ برزت القومية العربية كشخصية عالمية ، وأصبح مكانها أكبر من مجرد قبيلة أو شبه جزيرة . وعن طريق هذا التاريخ لو تمتعت القومية العربية بمنهج ورسالة ولم تعد مقصورة على نعرة دم أو تعدد جنس ... » .

واليوم يطيب لى أن أرى آمالى فى « أضواء على التاريخ الإسلامى » قد صارت حقائق ، وأصبحت أكبر هيئة رسمية فى مصر لرعاية الفنون والآداب تتجه إلى تسليط الأضواء على هذا التاريخ .

• • •

<u>الفرحة وحدها ... لا تكفى :</u>

لكنى اليوم لا أكتفى بالثناء على المجلس ، بل أناقش الخطوات العملية للتنفيذ ، وأضع تحت النور المحاولات الممكنة لتدعيم هذا الاتجاه .

وأول ما أحب أن يستقر في الذهن أن الاعتماد على الترجمة فقط – ولا سيما في تاريخنا – سبيل لا يجدي ... وهو من قبل ومن بعد جهد لا ينتظر أن تقنع به أمة عربية حيّ جزء من هذا التاريخ الذي تترجم فيه عن الغرباء . فليس يجدي الاتجاه إلى تسليط الأضواء على التاريخ الإسلامي أن تترجم بعض كتب المستشرقين في سلسلة الألف كتاب مثلا ، بل الأمر أعمق من ذلك بكثير .

وليس معنى هذا أنني أغض من قدر دراسات المستشرقين ، فأنا أقدر جهودهم ومناهجهم وقد قلت عنهم بالنص في (الأضواء) : « ومزايا المستشرقين في منهج البحث وأساليب العرض وطرائق التحليل والنقد مذكورة مشكورة ، وإنما أتى المستشرقون من ناحيتين : اللغة ، والدين . فهم يدرسون لغة غريبة عليهم ، ويدرسون حقبة من الزمن لغتها غير يسيرة حتى على أبنائها في هذا الجيل ، وهم يدرسون تراثا وحضارة لدين كانت له دولة في أسبانيا وإيطاليا ، وكانت له جولة في فرنسا ، واستقرت له ركائز في البلقان . هذا الدين بذل الأوربيون كل جهودهم ليخرجوه من الأندلس ، وتكاتفوا ليحرروا من حكمه اليونان ، ويحطموا خلافة آل عثمان . هذا الدين حاصروا القفار والبحار من أجل أن يحاربوه في عقر داره حاملين الصليب تارة ، وحاملين لواء التجارة والاستغلال والقروض والاستعمار أخرى ... فهل ينسى المستشرقون هذا كله ... هكذا يرتفع أمام بصيرة المؤرخين الأجانب حجاب من العقل ، فهم لا يتجاوبون مع الفكر العربي ، وحجاب من النفس ، فأوربا عندهم هي مركز العالم ، ومن أجل هذا وذاك يجب أن نحتفظ مع المستشرقين وإن كنا نحترم ما بذلوا من جهود وأدوا من خدمات » .

والتحفظ ليس معناه الإهمال ، ولكن معناه أن نترجم لهم ، ثم نمحص دراساتهم بالنور ، ونضيف إليها من التعليقات والحواشي مما تقتضيه الأمانة العلمية .

فأنا إذن أقدر جهود المستشرقين ، لكنني أراها وحدها لا تكفي .

لابد أن يعكف أبناء هذه الأمة على تاريخهم ، فهم أقدر الناس على فهمه وأجلدهم على خدمته ، وأحلصهم في نشره صحيحا سليما أمينا ، بغير تحيز ولا تحامل .

لابد أن يقبلوا على المادة الأصيلة الخام ، التي تخطف منها المستشرقون عبارة هنا وعبارة هناك ، وفهموها بمناهجهم وتقاليدهم : « والتاريخ الإسلامي مبسوط في مصادره

ينتهج في التأليف ساد الثقافة الإسلامية في ذلك الوقت ، ولن يتسنى لنا الإفادة من تلك المصادر على الوجه السليم دون أن نعرف أصولها وظروفها » .

فكيف يصبر المستشرقون على عنت (التعديل والتجريح) و (الرواية والإسناد) ؟
وأنى لهم الجهد الصادق في التعمق في علم الرجال ، وفي (تقويم) المؤرخين وإنزالهم منازلهم ؟ ؟ .

كل الذي رواه الطبرى ينسب إليه لا إلى من روى عنهم ! ؟ والطبرى والمسعودى ، وابن الأثير واليعقوبى ، وابن كثير والمبرد سواء في الاحتجاج ! ! !

ومن فطن من المستشرقين إلى مراعاة سند الروايات التاريخية ، لم يدأب على التمحيص والتحقيق ليستفيد من هذه الملاحظة في كل ما يكتب ، فضلا عن أن من فطن إليها واتجه إلى مراعاتها قليل .

الترجمة من لغة واحدة . . . لا تكفى :

ويزيد الاعتماد على الترجمة قصورا أن تتجه كلها أو أغلبها إلى لسان واحد تنقل عنه فكثير من تراجم مصر مأخوذة عن الإنجليزية ، في الوقت الذي تسود فيه الترجمة في الشام عن الفرنسية . . . . . . والتراجم اليسيرة التي ظهرت عن الألمانية مثلا كشفت عن دراسات إسلامية جليلة لا نعرف عنها شيئا ، والذين يعرفون الألمانية قليلون ، والذين يريدون أن يستغلوا معرفتهم في ترجمة الأصول الألمانية أقل ، لأن أكثر من أتقن لغة يفضل أن (ينثر) عبارات من كتاب في عشر كتب من تأليفه وإنتاج قلمه ، كل جهده فيها أن يقدم إطارا لمنقولاته ليس فيه أصالة ولا طرافة يفضل هذا عن أن (ينشر) كتابا كاملا مترجما عن لغته الأصلية ! !

وعلاج هذا يسير . . . فلو أجزل العطاء ، وخاصة في هذه اللغات التي لا يكثر متعلموها الذين يستطيعون الترجمة عنها ، لانقطعت الحاجة إلى إخراج تلك المؤلفات (مسخة) أو (بالقطاعي) . ولأغنى الكتاب المترجم صاحبه وأغنى الناس عن هذا العناء !

وفي اللغة الروسية دراسات نافعة لمستشرقين روس ، نذكر منهم (فازيليف) الذي نشرت له أخيرا إدارة الترجمة شيئا من دراسات في العلاقات العربية البيزنطية . فإن

تعذر النقل في مثل هذه الحالة من الأصل الروسي فلا مناص من الاعتماد على ترجمة إنجليزية أو فرنسية ، على أن تستشار المجامع العلمية في الدولة صاحبة الأصل عن أكثر الترجمات وثوقاً في نظرها وتقديرها .

الأمهات العربية :

وإذا كانت الترجمات المتعددة ولو كانت من ألسنة كل أمم الأرض لا تكفي وحدها ، فلا بد إذن من أن نوضح أن المنتظر من أمة عربية مسلمة أن تكون هي المصدر الأمين الأصيل للمادة التاريخية ، وإذا كان أجدادها هم الذين صنعوا هذا التاريخ ، فلا أقل من أن نكون نحن رواة أخبارهم على وجهها الصحيح .

« إن من أعظم المفارقات في ديننا أن نكون أغنى الأمم بالنصوص السليمة التي نستطيع أن نصحح بها تاريخنا ونبنيه على أساس قويم من الحقائق العلمية التي لا يتطرق إليها الشك ، وأن نكون — مع ذلك — أشد أمم الأرض إهمالاً للإفادة من تلك النصوص حتى بقي تاريخنا مضطرباً كما أراده له الذين دسوا فيه ما ليس منه ، وشوهوا من حاله ما جعل المسلمين يسيئون الظن بأمجد صفحات ماضيهم . . . إن تاريخ مصر الإسلامية في حاجة إلى التمحيص والتنقيح والتصحيح ، وإن تاريخ العرب قبل الإسلام وعند ظهور الإسلام في حاجة إلى البحث والكتابة من جديد ، وإن تاريخ المسلمين والإسلام أجدر تاريخ في الإنسانية بأن يرجع به إلى نصوصه السليمة التي عرف رواتها بالصدق والدين والمعرفة وعرفت بهم الوثيقة . ولا يقوم بهذه المهمة لتاريخ مصر والعرب والإسلام إلا المحققون وأهل الأهلية من أولياء المصريين والعرب والمسلمين لمصريتهم وإسلامهم »

هذا الكلام الدقيق قرره رجل عالم بالتاريخ الإسلامي ، ولا أستطيع أن أصفه بأكثر من هذا في المجلة التي يرأس هو تحريرها . فالسيد محب الدين الخطيب قد كتب هذا الكلام في مجلة الأزهر نفسها (جزء رجب ١٣٧٣ هـ) ، وما فتئ يردده من قبل ومن بعد طول حياته — بارك الله في عمره ونفع بعلمه ، وقد نقلته عنه في خاتمة (الأضواء) تحت عنوان « ماذا نريد » ، وها أنا ذا أردده وسأكرره لأني لا أجد أصدق منه تحديداً لما نريد ، ولا ينبئك مثل خبير .

وأنا أضيف إلى هذه المفارقات التي ذكرها أستاذنا الكبير ، أننا مع كوننا أضعف

الناس نشاطا فى تحقيق تاريخنا ، فنحن أقوام جرآء على التأليف فيه . . . نؤلف ونحن لا نعرف المادة الخام التى نستمد منها ، وتمتلىء السوق بكتابات فى التاريخ الإسلامى قد يختلف حظ أسماء أصحابها من الصدق ، لكن لا يختلف حظها هى فى التحقيق العلمى ».

« إن تاريخنا كثيرا ما يبدو من بين الكتب التى نتداولها (تاما وهزيلا) بالنسبة إلى التواريخ الغربية (الناصعة الجيدة) ، ولكن السبب فى ذلك لم يكن تفاهة تاريخنا نفسه بل هو رداءة الكتب التى تعرض لنا ذلك التاريخ ، فإن الكتب التى نقرؤها عادة من تواريخ الغربيين مكتوبة بنظرة علمية وخطة تربوية ونزعة قومية فى وقت واحد . . . فى الواقع قد صدرت فى بعض الكتب وبعض المجلات عدة أبحاث تاريخية لا تخلو من مظاهر الدقة ، ولكنها لا تزال بعيدة كل البعد عن المناحى العلمية الحقيقية ، ومجردة تجردا تاما من النظرات الاجتماعية الشاملة ، وبينها ما ينم عن نزعة شعوبية جديدة تميل إلى استصغار شأن الأمة العربية فى كل شىء ، وبينها ما يدل على روح تشاؤمية تلون كل شىء بألوان سوداء ، وبينها ما ينم عن التفكير اليائس الذى يعتبر كل النقائص متأصلة فى نفوس العرب ، ويزعم أنه لا سبيل إلى التخلص منها بوجه من الوجوه » هـذا تقويم لأبحاثنا التاريخية التى تخرجها المطابع بأسماء أصحابها ، من رجل خبير هو الأستاذ ساطع الحصرى مؤسس معهد الدراسات العربية العالية ، ولا يحسبن القارئ أن هذا تقرير ماض اندثر فى تاريخنا الثقافى فهو فى كتاب حديث طبعته الأولى ظهرت فى بيروت ١٩٥٦ بعنوان « دفاع عن العروبة » .

أليس من الأولى والأحق أن نولى جهودنا شطر تحقيق تراثنا ، والعمل على نشره نشرا علميا ، حتى تتوفر لنا ولغيرنا من طلاب البحث المادة العلمية الصحيحة بدلا من تبديد الجهود فى إخراج المقالات ، معتمدين على ما تحت أيدينا من المطبوع غير المحقق ، متجاهلين قدر هـذا المطبوع ومؤلفه فى منازل مؤرخينا ، ومتجاهلين مدى صحة هـذا المطبوع وهو غير منشور بطريقة علمية ، ومتجاهلين ما لم يصلنا من مطبوعات لم نسمع بها ولم نعث عليها ، ومن مخطوطات لم تر النور بعد ؟ ؟

من من دارسى التاريخ الإسلامى والكاتبين فيه يتجه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ويعرف أن له مرجعا فى التاريخ هو (منهاج السنة) ؟ ومن يتجه إلى القاضى ابن العربى ويعرف أن له مرجعا فى التاريخ هو « العواصم من القواصم » ؟ ومن يتجه إلى الحافظ الذهبى ليقرأ

مختصره لمنهاج الاعتدال إن تصدر عليه المطول وهو « منهاج السنة » ؟ . القائع الطائر بين الباحثين أن لابن تيمية مؤلف في العقائد والفقه ، وأن لابن العربي كتابات في التفسير والحديث ، وأن الذهبي صاحب حديث ... أما بضاعة هؤلاء في التاريخ فقليل من يعرفها. وعلى دارسي التاريخ الإسلامي أن يعرفوا الحق ، فحب الدين الخطيب الذي نشر جزءاً من (العواصم) عن مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول ، وفي تعليقاته عليه وحواشيه أخرج الكتاب بالنور ، وعمل مثل ذلك أخيراً في (منهاج الاعتدال) ... كل هذا جهد فرد واحد علاوة على نشره لكتب ودراسات في نواح إسلامية أخرى .

ثم من من دارسي التاريخ الإسلامي يعرف للمؤرخين الذين اشتغلوا بعلوم إسلامية أكثرهم أمانة الطبري وخبرة بعلوم الرواة - من يعرف لهؤلاء فضلهم على غيرهم ، ولو على الأقل في مواقف الغش والريب حين تزيغ الأبصار وتزل الأقدام ؟ من ينظر للطبري وابن الأثير وابن كثير النظرة الجديرة بهم ، وينزل المسعودي والمبرد واليعقوبي منازلهم - ؟ وهم دون صاحبيهم في التحقيق بغير جدال . من يبصر بالروايات المنحولة كذباً لابن قتيبة المسماة (الإمامة والسياسة) ويحكم في دعوى نسبتها إلى صاحبها ؟ ؟

نحن في حاجة إذن قبل كل شيء إلى نشر الأمهات من كتب تاريخنا نشراً علمياً محققاً مفهرساً مضموراً بالنور ...

ولا يمنع النظر من مصر وهي داعية القومية العربية ، ومقر الأزهر والمؤتمر الإسلامي أن يخرج علماؤها الأعلى للفنون والآداب بطائفة من المترجمات عن أعلام الاستشراق ، على ما في هذه المترجمات من غبن ، خاصة إن صدرت المتن .

التآليف الجديدة :

وليس معنى هذا أن نصادر اتجاه التأليف أو نزهد فيه أو ننصرف عنه ... كل ما في الأمر أن نرتفع بمستوى تآليفنا ، وأن نحترم عقولنا وأقلامنا ، وأن نقدر أمانة التاريخ. فقد يكون من الممكن أن تظهر مؤلفات في موضوعات جزئية مدروسة مفحوصة من مصادرها الأصلية مطبوعة ومخطوطة ، مستعان فيها بالترجمات الأجنبية المتعددة ... لكن قد يكون من المتعذر أن نصدر كتباً شاملة ، أو موسوعة كاملة في التاريخ الإسلامي كله ، ونحن على هذا النقص في النشر والتحقيق .

ولست أترك بعد ، هذا الكلام عن علاته ، حتى أضع النقط فوق الحروف ، فقد تكون صياغة المبادئ أسهل من تخطيط تنفيذها .

من هنا نبـــدأ طريقنا :

كتاب الطليعة . إن الكتاب الذي أرشحه للبداية هو تاريخ الطبري ... وهو كتاب منزلته التاريخية يشهد بها الجميع ، ولدينا منه طبعتان : طبعة ليدن وطبعة الحسينية ، ولا جـدال في أفضلية الأولى من ناحية التصحيح ، ولكن تبقت مهام أخرى جليلة الخطر أشرت إليها في كتاب « أضواء على التاريخ الإسلامي » إذ قلت في مقدمته ما نصه :

« فكتاب كتاريخ الطبري يحتاج إلى لجنة علمية تمحص إسناده وتعلق على رواته ، وتقارن رواياته بروايات غيره من المؤرخين المتقدمين كالبلاذري وابن عبد الحكم مثلا ، ثم تذيله بفهارس دقيقة للأعلام والمعالم والموضوعات تجمع بها ما تناثر على مر السنين في الحوليات . كل ذلك فضلا عن إجهاد الأصيل الذي ينبغي أن يبذل في مقابلة النسخ الخطية الموجودة في المكتبات العالمية دون القنوع بطبعة ليدن أو القاهرة ، ولا يستطيع ناشر أن ينفق على هذا كله ، ولو أنفق فمن يستطيع أن يودع سريعا ما أنفق عليه كل هذا المال ، ودار الكتب نفسها ـ وهي مؤسسة حكومية ـ تمتاز مطبوعاتها بالعرض الجميل لكن الهوامش والتعليقات تحتاج إلى المزيد من العناية والإحاطة ... لقد صار لدينا مجلس أعلى للفنون والآداب ننتظر منه جهودنا في شأن ثقافتنا الإسلامية .. ولدينا من العلماء المتخصصين من يبعث عليه الشوق لتلبي دعوة ليبذل مثل هذا الجهد العلمي قبل أن يموت ، ترى من هو (المنصور) الذي يدعو هنا (الموطأ) ؟ ؟ » .

هذا ما قلناه ، وهو ما نعيده ونكرره ونلح فيه ، وإن كان قد وصل أسماعنا في مضمون الشام الذي مر بعد ما كتبناه ، أن دارا للنشر أعدت العـدة لإخراج كتاب الطبري في التاريخ .

وأنا لا أعتقـد أن دار نشر مهما كانت إمكانياتهـا العلمية والفنيـة والمادية تحقق إنتاج هذا العمل العلمي الضخم في صورته المبتغاة ، لكن تستطيع أن تتعاون مع الدولة في هذا السبيل بأسلوب قريب مما كان يحدث في تنظيم مشروع الألف كتاب بين إدارة الثقافة والناشرين .

آمال المستقبل :

وبعد : فإن اتجاه المجلس الأعلى للفنون والآداب بداية متواضعة لجهود كثيرة منشودة ولطريق طويل :

« نحن نحتاج إلى أكاديميات معرفية لثقافتنا الإسلامية تقوم بنشر معالم إسلامية (انسيكلوبيديات) ومجلات علمية متخصصة لهذه الثقافة ، فلا يليق أن يكون لدى الغرب مجامع ومعالم ومجلات للدراسات الإسلامية أو الشرقية أو الإسلامية وفقا لما يختار من أسماء في حين تخلو مصر من هذه الدراسات » .

نحن نريد مجلسا عاما للثقافة الإسلامية ، فإن تعذر فعلى الأقل لجنة خاصة في المجلس العام .

« ثم نحتاج إلى فهارس مضبوطة للمخطوط والمطبوع في العالم من تراثنا القديم ولما نشر من الدراسات الحديثة في الثقافة الإسلامية ... وندعو مع الدكتور ماجد . « إننا في الشرق لم نتم بطبع الأصول التاريخية العربية إلا على نطاق ضيق جدا مع أهمية هذه الأصول في أنها تضع تحت أعيننا مجموعة هائلة من الحقائق التاريخية التي هي أساس البحث التاريخي . وإننا نلح على حكومتنا بالإسراع إلى تصوير المخطوطات العربية التي في حوزة الدول الأخرى . هذا وإن دور المكتبات عندنا غير منظمة وتفتقر إلى فهارس وقوائم للمخطوطات ، كذلك تنقصنا حتى الآن في مصر المجلات التاريخية الصرفة » .

ونحن نتابع في بعض هذا جهود الإدارة الثقافية في الجامعة العربية بإشراف الدكتور صلاح الدين المنجد في تصوير المخطوطات العربية في المكتبات الأوربية ، على (الميكروفيلم) ، ونرجو ألا تحول مشكلات ميزانية الجامعة دون استمرار هذه الجهود .

هذه آمال سبق لنا ترديدها في « الأضواء » . . نأمل أن تأخذ طريقها إلى التحقق بهذه البداية الموفقة لمجلس الفنون والآداب فتشع في عالم المعرفة منها الأضواء .

فتحي عثمان

من تاريخ المسلمين في الهند :

ثورة الهند الدامية على الانجليز

سنة ١٨٥٧ م

— ٢ —

تحدثت في المقال السابق [1] عن بدء زحف الغرب على الهند باسم التجارة ، وكيف اختفى الغرب وراء هذا الستار للوصول إلى أغراضه في السيطرة على الهند والبلاد الشرقية .

ولقد كانت هذه الشركات التجارية ومنها شركة الهند الشرقية الانجليزية تعتمد على أساليب الحيلة والهدايا للوصول إلى ما تريد إبان قوة الحكام في الهند ولا سيما المغول . وكانوا كلما حدثتهم نفسهم بالاعتداء على القوة ردعهم المغول وأدبوهم . . ولكن حينما بدأت قوة الحكام المسلمين في الضعف ، ولا سيما بعد موت الإمبراطور « أورنجزيب » أخذت رءوس الحيات تطل من أجحارها ، وظهرت للناس نيات الغربيين الحقيقية حين أسسوا لهم المستعمرات الصغيرة على الشاطئ وكونوا الجيوش من بني جنسهم ومن المرتزقة الهنود وسلحوهم بالأسلحة الحديثة ، وزجوا بهم الحروب مساعدين بعض الأمراء على بعض ، مستغلين الخلافات التي بينهم لفرض نفوذهم ، معتمدين على بعض الخونة لتمهيد الطريق أمامهم . .

وكانت موقعة « بلاسي » سنة ١٧٥٧ م بين الانجليز وبين « سراج الدولة » حاكم البنغال صورة مكبرة من غدر الانجليز وخيانة بعض أمراء المسلمين الذين تواطئوا معهم على إخوانهم في الوطن والدين : فقد كان سراج الدولة يعمل دائما على وقف تدخل الشركة الانجليزية والحد من طغيانها ، ولو أنه كان يتجنب ما أمكن الدخول معها في حرب ، حتى عقد معها معاهدة عدم اعتداء . .

---

[1] في عدد المحرم ١٣٧٧ ص ٦٦ .

لكن قائد الشركة أو مديرها « مستر كلايف » لم يقف عند هذا ، بل أخذ يستعين بالخونة لقتل سراج الدولة ، وكان كبير هؤلاء الخونة « مير جعفر » أحد القواد المسلمين في جيش سراج الدولة حيث اتفق مع الانجليز على أن يتخلى عن أميره حين يهاجمونه . . ولما وثقوا من ذلك نقضوا المعاهدة وهاجموا سراج الدولة في ٤ فبراير سنة ١٧٥٧ بجيش صغير ولكنه مسلح بالأسلحة الحديثة ، وثبت لهم الحاكم المسلم مع قواده المخلصين حتى انتصر أولا ، ولكن خيانة القائد « جعفر » قلبت النصر إلى هزيمة شنيعة كان من نتيجتها أن نصبوا الخائن حاكما اسميا على البنغال بينما كانت السلطة كلها في أيديهم ، ثم قبضوا على سراج الدولة وقتلوه في بلدة « مرشد آباد » ومنذ هذا التاريخ وبعد هذه الموقعة سيطروا على البنغال وتركزوا فيها وأصبح لهم مستعمرة كبيرة في الهند بالإضافة إلى المستعمرات الصغيرة على الساحل في مدراس وغيرها . . فكانت هذه الموقعة مفتاح سيطرة الانجليز على الهند كلها فيما بعد . . وكان الشعب لذلك يحتفل في ألم وحزن بذكرى هذه الموقعة كل سنة . .

وقد قال الشاعر الهندي المسلم « إقبال » عن سراج الدولة وجهاده ضد المستعمرين « ومن عرف الناس سراج الدولة على حقيقته ، وإلا لصارت « مرشد آباد » مثل « أجمير » كعبة للزوار » و « مرشد آباد » هي المدينة التي دفن فيها المجاهد الشهيد أما « أجمير » فهي المدينة التي دفن فيها مبلغ الأولياء في الهند « الشيخ معين الدين الجشتي » ويزورها مئات الآلاف من الزوار كل عام ، والعوام في الهند يعتبرونها المدينة الثالثة بعد مكة والمدينة . .

ولم يترك الشاعر « إقبال » هذا الخائن « جعفر » حتى ذمه بهذا البيت الذي يحفظه عامة المسلمين في الهند عن جعفر ومن زميل له خان سلطانه « الصادق » سلطان تيبو » حاكم ميسور وانضم للانجليز . فقال باللغة الأوردية :

جعفر أز بنگال صادق أز دكن   ننگ ملت ننگ دين ننگ وطن
أي جعفر من بنغال وصادق من دكن   عار الملة وعار الدين وعار الوطن

• • •

بعد هذه الواقعة علا نجم الانجليز وأخذت الأنظار تتجه إليهم لا سيما أنظار الحكام

الذين يحرصون على مراكزهم والذين رأوا فى الانجليز قوة يحسب حسابها ، وكانت الهند فى ذلك الوقت قد تمزقت السلطة فيها بعد ضعف السلطة المركزية فى « دهلى » فأصبح فيها مئات الولايات والحكام ، وكثير من هؤلاء وجدوا فى الانجليز عونا لهم على منافسيهم فتعاهدوا معهم ضد إخوانهم فى الدين والوطن ، ومن خلال ذلك نفذت أصابع الشيطان الانجليزى إلى كل جانب فى الهند ، وقوى أمره وبدأ يحاشى مخالفيه ويحاربهم ويقضى عليهم ويفرض نظامه وأحكامه على البلاد التى تخضع له ، حتى لم يبق فى الهند كلها قوة تستطيع أن تصمد لهم ، حتى السلطان المغولى القابع فى قلعته الحمراء فى دهلى أصبح خاضعا هو الآخر للسيطرة الانجليزية فى أخص شئونه ، وأصبح كثير من حاشيته يرنون بأبصارهم وقلوبهم إلى السادة الجدد الأقوياء غير مهتمين بسيدهم المقهور الضعيف الشأن .

وبذلك خضعت الهند كلها خضوعا فعليا لسيطرة الانجليز ونظامهم ... وكان هذا هو الذى دعا العلماء وعلى رأسهم العالم المجدد الشاه ولى الله الدهلوى ومن بعده أبناؤه وتلامذته إلى القيام ضد الشركة وإعلان الجهاد العام لتخليص البلاد من سيطرتها . فقد أصدر الشاه عبد العزيز الدهلوى ابن الشاه ولى الله فتوى سنة ١٨٠٣ م : « بأن الهند صارت دار حرب بعد سيطرة الانجليز على شئون الملك فيها وأن الجهاد أصبح فرض عين على المسلمين » .

وقد كان لهذا الموقف من العلماء أثره القوى فى تحميس النفوس بالكراهية للانجليز وتغليبها للجهاد ضدهم حيث أخذ العلماء والمتصوفة يجوبون البلاد والقرى ويدعون الناس إلى الخطر المحدق بهم ، وكانوا قد أحذروا من عاقبتهم إفساد البلاد والحكم الإسلامى فيها بعد أن رأوا ما آل إليه أمر سلاطين المسلمين من الضعف والتخاذل والتفرق حتى طمع فى المسلمين أعداؤهم من سكان الهند فأخذوا ينكلون بهم شر تنكيل ... وكان هذا هو الذى دعا العالم الصوفى الكبير « سيد أحمد بريلوى » إلى أن يدعو أتباعه لتأليف جيش قاده بنفسه مع الشاه إسماعيل الدهلوى حفيد الشاه ولى الله ليكسر شوكة « السيك » الذين أخذوا ينكلون بالمسلمين فى البنجاب ، فتم له ما أراد أولا لكن خيانة بعض مرافقيه مكنت أعداءه منه فقتلوه مع الشاه إسماعيل وكثير من أصحابه وعرفا فى التاريخ باسم السيد الشهيد ، وإسماعيل الشهيد وكان ذلك سنة ١٢٤٦ هـ (سنة ١٨٣١ م) . ولم تنطفىء جذوة الجهاد بعدهما ، بل اشتعلت أكثر مما كانت لا سيما ضد الانجليز وتابع العلماء رسالتهم حتى اشتعلت الثورة .

وهناك أسباب جوهرية أشعلت النار وساعدت على التحمس لدعوة العلماء كان منها :

١ — أن عامة الشعب وجدوا من الشركة معاملة لم يألفوها من قبل فقد كانت تمعن في فرض الضرائب المرهقة بجوار ما وجدوه من كساد مصنوعاتهم المحلية نتيجة للسياسة التي رسمتها الشركة للقضاء على الصناعة في البلاد حتى يتسع المجال للتجارة والصناعة الانكليزية ، فدق الإفلاس بالزراع والصناع ، بينما أخذت أموال الهند وخيراتها تتحول إلى انجلترا فكان الأمر كما قال الأديب الانجليزي الكبير الذي عاش في الهند في هذه الفترة وهو لورد ماكولي : « إن أنهار الثروة في الهند كانت تنساب إلى انجلترا » فأصبحت الهند كما قال سير جون لورنس سنة ١٨٤٤ م : « إن الهند أصبحت مجاعة حتى إن أكثر أهلها قد هاموا على وجوههم » .

ولقد كان العمال الذين يشتغلون في أعمال الشركة يستغلون أسوأ استغلال فالعمل كثير مرهق والأجر قليل وتافه ، والسوط مسلط على من يبدي أقل تذمر ، وهذا شيء لم يكن مألوفا في الهند من قبل .

جاء في مذكرة مصلحة التجارة البريطانية ١٧٦٦ — ١٨١١ م : « كان الصناع والمحترفون يكرهون على العمل للشركة ، ويؤخذ منهم ميثاق غليظ لا يريهم إلا خسارا ، ولا يجدون بجانبهم وليا ولا نصيرا ، إنهم يستغيثون ولا مغيث ، وكانوا يجبرون على عمل لا تستسيغه نفوسهم وطالما سيقوا إلى دفع غرامات باهظة لامتناعهم عن العمل ، وكان النساجون تفرض عليهم غرامات باهظة تضطرهم إلى ترك العمل » .

ويقول مؤرخ آخر : — كان يصب على أبدان العاملين البائسين من ألوان الظلم والعقوبة ما لا يتصوره عقل كأنهم عبيد للشركة ، فإن الغرامة والحبس والضرب بالعصا كل ذلك أبادهم وقطع حبلهم وأتى من حرثهم ونسلهم .

وجاء في كتاب « بنغال في عهد الشركة سنة ١٧٨١ » : — قد أهلكت المجاعة بعد أن شد على أهلها الخناق بكل ما يمكن من الأنواع ، واجتمع نحو نصف أملاك الأعيان الأباة العامرة في زمن أقل من سبعة أعوام ، ودمرت أخصب الأراضي وغرب خمسة ملايين من الرجال الحادين الأبرياء وأودى بهم .

ويقول جيمس تيلر « كان من نتائج كساد سوق التجارة والصناعة أن انحطت (دهاكه) عاصمة البنغال عمرانا، وأن عددها الذي كان يضم مائتي ألف قد صار إلى ثمانية وستين ألفا فقط ... » (١)

وهذه أقوال صادرة عن كتاب انجليز عن شذوذ بها مؤلف أمريكي اهتم بنشر ما حاول الانجليز إخفاءه، وسمى كتابه « الصورة الخلفية للثورة » The other side of medal وهي أقوال في غير حاجة إلى تعليق، وتنطق بما حاق بالأهالي من الإفلاس والظلم .

وقد كان المسلمون أشد الناس تعرضا للفقر والإفلاس، فالحكم كان بأيديهم وكان من الطبيعي أن يكون الأمراء والوزراء وغالبية الحاشية وكبار الموظفين والحكام منهم في الأقاليم، وكانوا متمتعين بكثير من الأراضي والعطايا الملكية، وقد سلب ذلك كله من أيديهم في كل مكان حل فيه الانجليز، كما أن كبار الموظفين قد عزلوا من أعمالهم وسد هذا الباب في وجوههم نهائيا وبدأ الحرمان يمتد إلى الموظفين الصغار منهم فحل البؤس والفقر مكان الغنى والنعمة بينما كانت الأغلبية من الهندوس تعتمد على العمل والتجارة، وهؤلاء وإن كانوا قد أصابهم الضرر كذلك إلا أن حدته كانت على كل حال أقل بكثير عما كانت بين المسلمين .. فقد كان الانجليز يتعقبون مع المسلمين خاصة لما يشعرون به من أنهم قد نزعوا السلطان من أيديهم وهم لا يفترون عن السعي لإعادة هذا السلطان متى وجدوا لذلك سبيلا، ولذلك اجتهد الانجليز في تقليم أظفارهم والعمل على إفقارهم بشتى الوسائل حتى يسدوا كل باب يمكن أن يلجوه لإعادة سيطرتهم من جديد، من أجل هذا كله كانت النكبة على المسلمين أشد، وكانت خطواتهم للثورة أسبق، وفي مقال آخر نكمل الحديث عن المظالم التي أثارت هذا الشعب وأجبرته على أن يخوض هذه الثورة الدموية عائدا إلى الحرية والحياة الكريمة .

عبد المنعم النمر

ديوبند مبعوث الأزهر والمؤتمر الإسلامي في الهند

---

(١) الأقوال السابقة نقلا عن كتاب الوجه الثاني للثورة تأليف ادوارد تومس الأمريكي ونشرتها مجلة الضياء العربية التي كانت تصدر في دار العلوم بلكهنو شوال ١٣٥٠ .

أثر التراث الإسلامي

في حضارة الغرب

أجمع المؤرخون على أن الأمة الإسلامية قامت في نحو قرنين من الزمان بأعظم نهضة أدبية وعلمية عرفها البشر ، وقد أعدد رواتها على أكثر الأمم التي كانت معروفة حين حدوثها . فاعتبرت عالمية ، وأفادت منها كل أمة حتى التي قاومتها بالحديد والنار ، فإنها بسبب الاتصالات العادية بين الشعوب استفادت من آثار كيانها وظهرت ثمراته فيها بعد حين .

لسنا نحب أن نلقى بمثل هذه الأقوال على عواهنها ، فلا بد لنا من دعمها بالأدلة ، وليس من أدلة أعظم دعما في النفوس والعقول من الاستشهاد بأقوال الفرنجة في هذا الموضوع وهم الذين جنوا أعظم الفوائد من احتكاكهم بالمسلمين .

من أوثق مصادر التاريخ الإسلامي في هذا العصر كتاب العلامة الكبير (الكسندردريبر) المدرس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية (المنازعات بين العلم والدين) Les conflits entre la science et la religion قال : « إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الإسكندرية سنة ٦٣٨ ميلادية أي بعد وفاة محمد (صلى الله عليه وسلم) بست سنين . ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح » .

إلى أن قال : « ولما تولى الخلافة أبو جعفر المنصور (سنة ٧٥٣ إلى سنة ٧٧٥ م) نقل عاصمة الملك إلى بغداد ، وجعلها عاصمة فخمة . ولم يأل جهدا في بذل الوسع في نشر العلوم الفلكية ، وتأسيس مدارس الطب والشريعة . ولما تولى حفيده هرون الرشيد (٧٨٦ م) اتبع أثر جده في هذه الفتوحات العلمية وأمر بإضافة مدرسة إلى كل مسجد في جميع أرجاء مملكته . ولكن عصر العلم الزاهر في القارة الأسيوية لم يشرق إلا في خلافة المأمون الذي تولى الخلافة (من سنة ٨١٣ إلى سنة ٨٣٢ م) فإنه جعل من بغداد

الباحثة العلمية العظمى وجمع إليها كتبا لا تحصى ، وقرب إليه العلماء وبالغ فى الحفاوة بهم . وفاق العرب فى الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن . وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأمم كلها مجتمعة . أما فى العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئا من الأسلوب الذى توخوه فى المباحث . وهو أسلوب أخذوه من فلاسفة اليونان الأوروبيين . لأنهم كانوا تحققوا أن الأسلوب النظرى العقلى لا يؤدى إلى التقدم ، وأن الأمل فى وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها . من هنا كان شعار أبحاثهم الأسلوب التجريبى والدستور العلمى الحسى .

هذا هو الذى قاد العرب إلى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصعيد والإسالة (إسالة الجوامد) والتصفية الخ الخ . . . وهذا فيه أيضا هو الذى جعلهم يستعملون فى أبحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة .

والاسطرلابات (آلات لقياس أبعاد الكواكب) وهو أيضا الذى دعاهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيميائية . وكانوا على علم عميق بنظريته . وهو الذى هداهم لعمل الجداول للأوزان النوعية للأجسام ، والأزياج الفلكية (من جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند . وهو أيضا الذى أوجد لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات ، وهو أيضا الذى هم بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندية .

ولقد دأبوا على جمع الكتب بطريقة منتظمة لأجل أن يتوصلوا إلى تكوين المكتبات التى تكلمت عنها آنفا » إلى أن قال : « ولقد اشتملت مكتبة خلفاء الأندلس على ستمائة ألف مجلد . وغير هذه فقد كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة ، وكثير من المكتبات الخاصة .

ولقد كتبوا فى كل فن وفى كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والإبل . كل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولا حجر . وما يعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية فقد حدث بعد هذا التاريخ .

وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لأن تتخذ مادة كثيرة جدا فى

الجغرافيا والإحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة ، وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد بن عبدالله ، وكان للعرب ذوق دقيق في صنع الورق النظيف الناصع البياض وفي إعطاء المجلد الألوان المختلفة ، وفي زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الألوان المختلفة من المداد ، والإبداع في تنسيقها وتذهيبها على صور شتى .

وكان الملك الإسلامي حافلا بالمدارس والمكتبات ، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والأندلس حافلة على عدد عديد منها ، وكان في طرف من أطراف تلك المملكة الواسعة التي فاقت المملكة الرومانية كثيرا مرصد في سمرقند لرصد الكواكب ، وكان يقابله من الطرف الآخر مرصد جيرالد في الأندلس .

ولو أردنا أن نستقصي كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فإنهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » ، ثم قال الأستاذ دريبر :

« اهتم الفلكيون من العرب أيضا بتحسين آلات الإرصاد وتهذيبها ، وبحساب الأزمنة بالساعات المختلفة الأشكال والساعات المائية ، والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض .

أما في العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء وبعض عملياتها المهمة كحمض الكبريتيك وحمض النتريك والكحول » .

واستخدم العرب علم الكيمياء في الطب ، لأنهم أول من أوجدوا علم تحضير العلاجات ، والأقرباذينات ، واستخراج الجواهر المعدنية .

أما في علم الميكانيكا فإنهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام ، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة .

أما في الإيدروستاتيك (وهو علم توازن السوائل والضغط الذي تحدثه على أوعيتها) فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لضروب الأوزان النوعية ، وكتبوا أبحاثا عن الأجسام السابحة والغائصة تحت الماء .

أما في نظريات الضوء والإبصار فقد غيروا الرأي اليوناني الذي كان مؤداه أن الإبصار يحصل بوصول شعاع من البصر إلى الجسم المرئي وقالوا عكس ذلك - أي أن

الإبصار يحصل بوصول شعاع من المرئى إلى العين ، وكانوا يعرفون نظريات انعكاس الأشعة وانكسارها ، وقد اكتشف الحسن الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع في سيره في الجو ، وأثبت بذلك أننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرا حقيقة في الأفق ، وكذلك نراهما في الغروب بعد أن يغيبا بقليل .

إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا للتقدم الباهر الذى نالته الصنائع في عصرهم فقد أفادت منها فنون الزراعة في أساليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات وسن النظم الزراعية الحكيمة ، وإدخال زراعة الأرز والسكر والبن إلى بلادهم ، وقد انتشرت لديهم المعامل والمصانع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن ويجرون في عملها على ما هذبوه وحسنوه في صنعها وسبكها ، وإننا لنندهش حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم في هذا العصر » .

ثم بين الأستاذ (دريبر) كيف دخل علم المسلمين إلى أوروبا ، وكان سببا في نهضتها ومدنيتها الراهنة . فقال

« سلك العرب إلى أوروبا المسلك نفسه الذى سلكته أديانهم إليها ، وذلك أنه انهمر عليها من طريقين : جنوب فرنسا من جهة الأندلس ، وطريق جزيرة صقلية (سيسليا) ، ومما ساعد على انتشاره في أوروبا اعتزال البابوات (في مدينة أفينيون) والخرق العظيم الذى كان موجودا في المسيحية إذ ذاك . فلهذا السبب تمكن العلم العربى من ترسيخ قدميه في جنوب إيطاليا » .

ثم قال :

« ورسوخ قدمى العلم في جنوب إيطاليا أمده ووثق ساعده على جميع البلاد الإيطالية ، وساعد على انتشاره وتكثير أنصاره هنالك زيادة عدد الجمعيات العلمية ، وكان ذلك على مثال ما وجد في غرناطة وقرطبة تحت سلطان العرب » ـ انتهى ما نقلناه عن العلامة (دريبر) .

بعد إيراد هذه الشهادة التاريخية عن مؤلف كبير من علماء الفرنجة ، نقول . إن هذه الحركة العلمية العالمية اضطلع بها رجال بذلوا حياتهم في سبيل إبلاغها إلى ما بلغت إليه ، حتى أصبحت الأمة الإسلامية فذة من هذه الناحية بين جميع الأمم .

ثم إنها تناولت العلم ممن سبقها فى الوجود كاليونانيين والرومانيين والكلدانيين والهنود ولكنها هى أول من جمع بين جميع هذه المعارف على تنوع بلاد أهلها ، وقامت بتوحيدها ، والتأليف بينها . ولم تكتف بذلك بل زادت مادتها من ثمرات جهاد أبنائها ، بعد أن جردتها من طوابعها الخاصة المبنية على الظنون والخيالات . وجعلتها معارف تطبيقية على حاجات الحياة . كما عمل العلم الغربى اليوم بعد تجرده منذ القرن السادس عشر من بقايا الآراء الغيبية تحت ضوء الدستور العلمى ، فكان أثره فى ترقية الحياة ظاهرا ، وتغلبه على الخيالات المذهبية باهرا .

أليس الرجال الذين اضطلعوا بإحداث هذه النهضة العلمية العالمية يستحقون منا — وقد بنوا لنا هذا الصرح الباذخ من المجد — أن نتدارس حقيقة حياتهم وأن نحلل ضروب مؤلفاتهم لنكشف عن عوامل النهوض فى ثنايا آرائهم وأبحاثهم ومناهجهم ؟

إن الرجال الذين يعتبرهم العلم الرسمى اليوم — كما تبين مما نقلناه عن العلامة (دربير) — أول الواضعين لعلم الكيمياء ، وأنهم المخترعون لعدد كبير من أدواتها ، والمستعملو الميزان فى أعمالها ، والمحدثو التركيبات البعيدة المدى فى تقدير الأوزان النوعية للأجسام وعمل الأزياج الفلكية ، وفى الهندسة وحساب المثلثات ، والمؤسسون لعلم تحضير العلاجات الخ ... قلنا إن الرجال الذين يعتبرهم العلم الرسمى اليوم الموجدين لكل هذه المعارف والوسائل ، معناه أنهم قد أحدثوا ثورة علمية عالمية عم بها العالم الإنسانى فى مشارق الأرض ومغاربها ولم يتسن مثلها لأمة قبلها .

ثم إن اليونانيين الذين نقلوا العلم عن المصريين قد قاموا بنصيب كبير فى بناء أسس صرحه العظيم ، ولكنهم بعد فتح الإسكندر المقدونى لبلادهم وإضاعتهم استقلالهم وقفوا منه عند حد محدود . ولما وقعوا تحت نير الرومانيين أصاب أمتهم العقم فلم تنجب ما كانت تنجبه من العلماء العباقرة . وقويت شوكة رجال الدين فأودت بأمهات المؤلفات العلمية والفلسفية إلى ظلمات المكتبات ترعى فيها الحشرات وتستعمل صحفها للتغليف والحريق ، حتى جاء العرب الفاتحون فجعلوا همتهم استخراج تلك المؤلفات وترجمتها ، واقتباس أحسن ما فيها ، وتدريسه ونشره فى مدارسهم . ولولاهم لقضى الإهمال على أثر البقية الباقية من تلك المؤلفات ، ولما وجد الأوروبيون من يأخذ بيدهم إلى الترقى حين جاء دور بعثهم من أول القرن الخامس عشر .

عبد الحميد سامى بيومى

الأمير فهد الصباح
فى زيارة شيخ الأزهر

استقبل صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر سمو الأمير فهد السالم الصباح وزير الصحة والمواصلات والأشغال بالكويت وضيف مصر الكبير ويرفقته السيد صلاح الشاهد كبير الأمناء برياسة الجمهورية .

وكان فى استقبال سموه أصحاب الفضيلة السكرتير العام للأزهر وشيخ الكليات ومديرو الوعظ والتفتيش والامتحانات وأعضاء هيئة كبار العلماء وأساتذة الكليات والمعاهد وكبار موظفى الإدارة العامة للجامع الأزهر .

وقد عانق سمو الأمير فضيلة شيخ الأزهر عند وصوله إلى مكتبه ورحب به فضيلته وحياه وجرى الحديث بينهما حول العلاقات الكريمة التى تربط الكويت ومصر برباط الدين والعروبة والأخوة والمحبة ، ثم ألقى فضيلة مدير التفتيش كلمة ترحيب كما ألقى فضيلة مدير الوعظ كلمة مناسبة فى هذا المقام باسم علماء الأزهر .

وقد رد سمو الأمير فهد بكلمة طيبة وقال : « إنى أحيى الأزهر وأشكر له جهوده فى العلم والدين وفضله على العروبة والأمة فهو منار الدين وقبلة الأنظار وإليه تتجه الملايين فى أنحاء العالم ليتزودوا من علمه وينهلوا من ثقافته ، وطلب من السادة العلماء ألا يدخروا وسعا فى نصح المسلمين والعمل على ما من شأنه أن يقوى الروابط بينهم » .

كما شكر سمو الأمير باسم الكويت للأزهر جهوده وخدماته للكويت بإرسال العلماء والأساتذة وقبول أبناء الكويت فى معاهده وكلياته .

واختتم الأمير كلمته بأنه يحمد الله أن يكون هو وأمراء الكويت وشعبها فى خدمة مصر والعروبة ، وأنهى سموه كلمته بأن يحفظ الله الرئيس جمال عبد الناصر ويبقيه ذخرا لمصر والعروبة ، وعاملا قويا فى سبيل توحيد كلمة العرب فى شتى البقاع .

وفى نهاية الزيارة أهدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى الضيف الكريم المصحف الشريف ، فقبله سمو الأمير بامتنان ثم ودع سموه بمثل ما استقبل به من الحفاوة والتكريم .

في ذكرى العدوان الثلاثي :

رسالة الى شهيد ... !

في فترة من الهدوء النسبي الذي يتخلل المعارك أحيانا ، شاهدت مؤخرة بندقية تعود لأسلحتنا ، وقد انطبعت عليها بالدماء القانية صورة كف لشهيد مجيد ، فأحدث بي هذا المشهد وأوحى إلي أن أسطر رسالة إلى صاحبها النائم بجوار ربه في جنات الخلود ... !
ولا عجب في التحدث إلى شهيد ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله » .
ورسالتي في مضمونها ليست قاصرة على هذا الشهيد ، فما هو إلا رمز لأبطالنا ، الذين ضربوا أجل المثل في الشجاعة والتضحية ، حين التقوا بعدو غادر في معركة غير متكافئة ، فلم يهنوا ولم يتخاذلوا ، بل قاتلوا بصدق ، فمنهم من قضى نحبه ... ! ومنهم من عاد وعلى رأسه إكليل الغار ، ليكشف عن قصص مثيرة تشهد لجيشنا الباسل بالمجد والفداء ، وشاهدة بالجبن والخسة على الأعداء . فحق علي في ذكرى النصر العظيم الذي هو ثمرة كفاح الأبرار من أبناء مصر أن أذكر أحدهم ... !

سلام عليك أيها الشهيد ، في يوم النصر على الأعداء .. ؟
ويوم فرض علينا القتال ، فأبليت أحسن البلاء ... !
ويوم جدت بالروح على الأرض التي باركها الله من سمائه .. !
سلام عليك يوم تبعث في الخالدين ... !

لقد دلتني عليك رسالتك الخالدة ، التي هي على تضحيتك شاهدة ، ووقفت أنا ومن رآها معي حيالها حيارى ، وأمام عظمتها مشدوهين ... ! كيف لا ؟ وقد كتبتها للوطن بدمائك ، فأتت عظيمة هائلة كرفاتك ، تملأ النفس رهبة وجلالا ، وتؤكد الثقة في عنصر شعبنا الأمين ... !

ظلت كلماتها ناطقة في سلاحك ، الذي تمثلك وقد احتضنته لترود به العدو الغادر عن أرض أجدادك ، وجبن عدوك لم يجرؤ على مواجهتك ، بل استعان عليك بشياطينه فاسرعوا يحومون حولك ، وهم يرتعدون ... ؟

وكأنهم لم تمت في جسدك بل وقفت ثابتا شامخا ، تقاتل بعزم وبأس ، معتزا بسلاحك ولا تمكن أبدا في التخلي عنه ، وكنتما حقا في صدق الود سواء فلم تتفرقا إلا وأنتما أشلاء ... ! وبقيت مذكرته تحكي قصة تدينك في الكفاح وقد سجل عليها بذكي دمائك رسم ليدك ، وكأنك تشد بها على يد السلاح الحبيب قبل الرحيل مودعا .. !

وتأملت مليا تلك الصورة المؤثرة ، فرأيتها من أسمى آيات الجهاد معبرة ، فأيقنت بنصر الله لنا على القوى الغاشمة القاهرة ... !

فسلام عليك يا من جدت بالروح على أرض الصحراء ، في بقعة ما ، يباركها الله من سيناء ، سلام عليك مع النبيين والصديقين والصالحين ما

ابراهيم محمد الأصيل

ذكرى الاعتداء الثلاثي

أرسل السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية بمناسبة ذكرى الاعتداء الثلاثي على مصر :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر

حق على كل محب للحرية مخلص لدعوة السلام أن يحيد مواقفكم مواقف الحزم والبطولة والتضحية وأن يحيي مصر التي انتصرت في مثل هذه الأيام على قوى البغي والعدوان .

وإنه ليطيب لي أن أهنئكم وأهنئ مصر متمسكة بقيادتكم ، وأسأل الله أن يحفظكم ويديم لكم جميل رعايته وتوفيقه ، وأن يحفظ بلادنا وسائر بلاد العروبة والإسلام من شرور الفتن والمؤامرات وأن يؤلف بين قلوب القادة والزعماء ويجمع كلمتهم على الحق والعمل لإقرار الأمن والسلام .

القاهرة في { ٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٧ / ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٧ }

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

القمر الصناعي

صيد الكواكب في السماء ... طاف حولها واغز الفضاء
واذكر لنا ماذا رأيت ... من الطلاوة والنقاء
وابعث إشارات تنم ... عن أنبا في الهواء
في كل آن قدرة ... لله تظهر ما يشاء

• • •

أوصلت تخبر عن هوا ... ء في الفضا بين الفضاء
حارت عقول الخلق فيها ... ذلك .. لغز أم خفاء ؟
ومراصد الأجواء تاهت ... وانثنت نحو الوراء
وتوقف الرادار عجزا ... عن تحركه ، ورناء
يا من وصلت الأرض بالنجم ... المعلق في السماء
أنذير حرب جئت تشعل ... نارها دون انطفاء ؟
أم أنت نور للسلا ... م طلعت فوق الأرجاء

• • •

حير هذا الكون أن ... يحيا وليس به اعتداء
والأمن يرفرف فوقه ... ونأى عن الكون البلاء
يا رب أنت بنا الرحيم ... فمن سواك لنا التجاء
علمت بالقلم الرفيع ... الكائنات ، فلا مراء
سبحان خالق كل شيء ... من تفرد بالبقاء
إن الصواريخ التي انطلقت ... تؤذن بالفناء
هي في الحقيقة قدرة ... والله يخلق ما يشاء

حسنى محمود عبد العال
سكرتير معهد الزقازيق الديني



تفسير الطبرى

الجزء العاشر — ٦٣٤ ص — دار المعارف بمصر (مؤسسة المطبوعات الحديثة)

يبدأ هذا الجزء بالقول فى تفسير الآية السادسة من سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة » ، وينتهى بالآية الرابعة والتسعين من تلك السورة « ليعلم الله من يخافه بالغيب » . وفى هذا الجزء من الآثار ١٢٤٣ أثرا من رقم ١١٣٠٠ إلى ١٢٥٤٣ ، وقد نبه الفاضل المحقق الضليع الأستاذ محمود محمد شاكر فى تصدير هذا الجزء إلى ما كان أشار إليه فى تصدير الجزء الرابع من أنه شارك أخاه العلامة الأستاذ أحمد شاكر فى بيان حال رجال الآثار ، وتخريج ما اتفق منه ، ثم كثر ذلك حتى صار يوقع باسمه فى ذيل بعض التعليق ، ولكنه منذ الجزء التاسع قد انفرد بالعمل كله ، فخرج عامة أحاديث التاسع والعاشر، لأن الأعباء العلمية الكثيرة التى يقوم بها أخوه الأكبر شغلته عن مواصلة المراجعة وتخريج الأحاديث فى تفسير الطبرى . وقد بلغ عدد الأعلام الذين ترجم لهم فى التعليق على هذا الجزء قريبا من أربعمائة ، وفيها من التحقيق والنقد ما يجعلها فى قيمة كتاب مستقل . ومثل ذلك التحقيقات اللغوية ، والمصطلحات ، ومباحث العربية والنحو ، ومسائل الرد على الفرق ، ولكل من هذه الأنواع فهرس وافٍ محيط بها ، وذلك غير فهرس الآيات التى استدل بها فى غير مواضعها من التفسير ، وغير فهرس التفسير نفسه وما اشتمل عليه من نصوص وتحقيقات ومسائل رئيسية هى المقصود الأول من هذا الكتاب الذى لم يخدم كتاب الله بمثل ما خدمه به الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ولم يخدم كتاب الطبرى بمثل ما خدمه به الأستاذ محمود محمد شاكر .

كتاب التمهيد — للقاضى أبى بكر بن الطيب الباقلانى

نشره الأب رتشرد مكارثى — ٤٤٠ ص — المكتبة الشرقية ببيروت

كان الأستاذان الفاضلان محمود محمد الخضيرى ومحمد عبد الهادى أبو ريدة قد نشرا قبل

عشر سنوات كتاب (التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) للإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، واعتمدا في نشره على مخطوطة دار الكتب الأهلية بباريس (مجموعة شفر رقم ٦٠٩٠ عربي) وكانا يعلمان أن للكتاب مخطوطتين أخريين في القسطنطينية إحداهما في مكتبة جامع أياصوفيا ٢٢٠١ والأخرى بمكتبة مصطفى عاطف أفندي لكن تعذر عليهما الاستعانة بهما في ذلك الحين . ولما كانت نسخة باريس ناقصة ، فقد تمكن الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي من تصوير مخطوطتي القسطنطينية وأكمل منهما الفصول الناقصة في مخطوطة باريس وعارض هذه الفصول الثلاثة في إخراج مطبوعته الجديدة لهذا الكتاب النفيس من مؤلفات القاضي الباقلاني ، وهو في أربعين بابا أولها في العلم وأقسامه وطرقه ، والثاني في المعلومات والموجودات ، والثالث في وجود الله وصفاته ، والرابع في القائلين بفعل الطبائع ، والخامس في المنجمين ، والسادس في الثنوية ، والسابع في المجوس ، والثامن في النصارى ، والتاسع في البراهمة ، والعاشر في إثبات النبوة المحمدية والرد على من أنكرها ، والحادي عشر في إعجاز القرآن ، والثاني عشر إلى الخامس عشر في توابع الكلام على اليهود والنصارى ، والسادس عشر في العصمة ، ثم أبواب الصفات والأسماء وفي خلق القرآن ، ووجوب رؤية الله في الآخرة ، وأبواب أخرى في نقض مذاهب المعتزلة والقدرية والكلام في التعديل والتجوير ، والباب السادس والثلاثون في معنى الدين ، والسابع والثلاثون في الإيمان والإسلام والأسماء والأحكام ، والثامن والثلاثون في الوعد والوعيد ، والتاسع والثلاثون في الخصوص والعموم ، والأربعون في الشفاعة ، يليه ملحق في الإمامة وأقسام الخبر وإثبات التواتر ومعنى خبر الواحد .

وقد قام الناشر بتحقيق المعارضة بين المخطوطات بجهود عظيم يشكر عليه ، وصدر الكتاب بمقدمة وفهرس للأبواب وما يتفرع عنها ، وألحق به فهرسا للآيات القرآنية المستشهد بها ، وفهرسا للأحاديث ، وثالثا للشعر ، ورابعا للأعلام ، وخامسا للفرق والمذاهب ، وسادسا للاصطلاحات والكلمات (وهو أطول الفهارس) ، وقد ذكر في عنوان الكتاب أنه من منشورات جامعة الحكمة في بغداد .

جواب أهل العلم والإيمان

لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ ١٢٧ ص ـ المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة

الاسم الكامل لهذا الكتاب (جواب أهل العلم والإيمان ، بتحقيق ما أخبر به

وسول الرحمن ، من أن « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن) وهو من أنفس مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأشرفها ، بين فيه حكمة الله في تفاضل بعض السور والآيات ، مع أنها كلها من كلام الله عز وجل ، واستطرد فيه إلى دقائق من علوم الأئمة وأسرار العربية ، وبيان مذاهب العلماء في اختلفوا فيه من مسائل أصول الدين ، والانتصار لمذهب السلف رضي الله عنهم وذم صنعة الكلام ، وفيه من حقائق التفسير ولطائف البحث ما لا يجده القارئ في كتاب غيره . ويرجع الفضل الأول في نشر هذا الكتاب لعلامة العراق السيد محمود شكرى الألوسى رحمه الله ، فقد عثر قبل نحو نصف قرن على مخطوطة منه ببغداد فنقلها بخطه وطبعت في القاهرة سنة ١٣٢٢ ثم أعيد طبعها سنة ١٣٤٥ . وقام الآن بتجديد طبعها السيد محمد الصالح وكيل وزارة الدفاع والطيران السعودى ، وتولى تصحيحها رئيس تحرير هذه المجلة ، مع الدلالة على مواضع ما ورد فيها من الآيات بتسمية سورها وتبيين أرقام آياتها . وألحق بها فهرس مفصل لجميع المطالب التي اشتمل عليها الكتاب .

حياة الشيخ عيسى منون

للأستاذين يوسف عبد الرزاق ومحمد عيسى منون — ١٢٢ ص

كان الشيخ عيسى منون رحمه الله (١٣٠٩ — ١٣٧٦) ركناً من أركان جماعة كبار العلماء ولجنة الفتوى بالأزهر وعميداً لكليتى الشريعة وأصول الدين ومن أعلام الفقهاء في هذا العصر ، بدأ دراسته في الأزهر سنة ١٣٢٢ هـ ، وبعد انتمائه للأزهر بخمس سنوات دخلت الأنظمة الحديثة هذا المعهد الإسلامى القديم وجعلت مدة الدراسة فيه اثنى عشر عاماً ، واستطاع هذا الطالب النجيب أن يتخطى السنين بكفاءته وتحصيله وقبل بالامتحان في التاسعة الدراسية ثم حصل على درجة العالمية من الدرجة الأولى في وقت قصير سنة ١٣٢٩ هـ (سنة ١٩١٢ م) واختير في تلك السنة مدرساً في الأزهر ، وما زال يتدرج في مناصب التدريس إلى أن نال سنة ١٩٣٩ عضوية جماعة كبار العلماء بكتابه النفيس (نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الأصول) وحياته كلها حافلة بخدمة العلم الإسلامى من بداية السلم إلى أعلى درجاته .

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا عن حياته ألفه صاحب الفضيلة الشيخ يوسف عبد الرزاق الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين ، ونجل الفقيد فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عيسى منون المدرس بالأزهر . وفيه عن حياة الفقيد وما قيل فيه لمناسبة وفاته كل ما يهم القراء الاطلاع عليه .

الأدب والعلوم

التعليم الابتدائي بمصر

قال وزير التربية والتعليم في جلسة ٣ أكتوبر لمجلس الأمة : إن المدارس الابتدائية قبلت منذ عام ١٩٥٣ إلى الآن ٨٠٠ ألف تلميذ ، أي بزيادة ٦٠٪ عمن كانوا يقبلون في المدارس قبل الثورة ، وأصبح عدد تلاميذ الابتدائي الآن مليونين ومائة ألف تلميذ ، وتبذل الحكومة جهدها في حدود الميزانية لإنشاء أكبر عدد من المدارس لتتيح فرصة التعليم لأكبر عدد من المواطنين تدريجيا » وقال : « إن ما وصلنا إليه اليوم وصلت إليه دول أخرى في مئات السنين ، مع أنها كانت متمتعة باستقلالها » .

القمر الصناعي

أطلقت روسيا قمرا صناعيا في مساء ٤ أكتوبر فأخذ يدور حول الأرض بسرعة ١٨ ألف ميل في الساعة وارتفاع قدره ٥٦٠ ميلا ، وهو بحجم كرة قطرها ٢٢ بوصة ، ووزنه ١٨٤ رطلا ، وفيه جهاز لإرسال قوى الإشارات يمكن لهواة اللاسلكي التقاطها ، وهو يدور حول الأرض مرة كل ساعة و ٣٥ دقيقة ، ويمكن سماع الإشارات الصادرة منه على موجتين قصيرتين طول إحداهما ١٥ مترا وقوتها ٢٠٫٠٠٥ ميجاسيكل وطول الأخرى ٧ أمتار ونصف وقوتها ٤٠٫٠٠٢ ميجاسيكل ، ويمكن سماع الإشارة كل ثلاثة أعشار الثانية على كل من الموجتين وتشتد قوة هذه الإشارات بعد كل ٩٥ دقيقة أي بعد المدة التي يستغرقها الكوكب في إتمام دورته حول الكرة الأرضية ، وصوت إشاراته يشبه الصوت الذي يصدر من نطق كلمات « بيب . . بيب . . بيب » وسكتت هذه بعد نحو ثلاثة أسابيع من انطلاقه ، وهو لا يزال يدور حول الأرض يتقدمه على مسافة بعيدة الصاروخ الذي استخدم في إطلاقه ، وقد أتم حوالي ثلاثمائة دورة .

وقد قدر العلماء البريطانيون ما أنفقه الروس في البحوث الخاصة بإطلاق القمر الصناعي بحوالي خمسة آلاف مليون جنيه أنفقت في خمس سنوات ، أما نفقات صنع القمر نفسه فتتراوح بين ٦ ملايين و ١٠ ملايين من الجنيهات .

هدية لمرصد حلوان

صرح الأستاذ دجاري وكيل البعثة الملكية

التي زارت مصر أخيرا بأن البعثة أحضرت جميع الأجهزة التي أحضرتها معها لرصد حلوان ، وقال : إن هذه الأجهزة ليس لها مثيل إلا في روسيا وأمريكا وانجلترا .

العربية في جامعة بلغراد

تقرر تدريس اللغة العربية في جامعة بلغراد عاصمة يوغوسلافيا ، وقد اتفقت مصر ويوغوسلافيا على تبادل أساتذة الجامعات والطلبة والوفود العلمية والفنية .

ومن المعلوم أن العربية — في ظل الإسلام — وطنا واسع الأرجاء في يوغوسلافيا وذلك في مناطق البوسنة والهرسك العامرتين بمئات الألوف من الإخوان المسلمين ، وكذلك بعض البلاد الألبانية الداخلة في حدود يوغوسلافيا . وفي البوسنة والهرسك عشرات من العلماء المسلمين الذين تلقوا ثقافتهم وعلومهم في البلاد الإسلامية ولاسيما مصر وأزهرها المعمور ، بل إن في بعض معاهد الأزهر من يلي كراسي التدريس فيه من إخواننا مسلمي يوغوسلافيا .

المترددون على دار الكتب

قيل للأستاذ محمد حسين مدير دار الكتب المصرية : تدل إحصائيات الدار أن عدد المترددين عليها في ازدياد مستمر ، فهل تعتبر ذلك نجاحا للدار ؟

فأجاب المدير : أنا لا يعنيني إقبال آلاف القراء .. إن بعض الناس يحسب أن كثرة المترددين دليل النجاح . ولكني أرى العكس .. وما الفائدة إذا كانت ثلاثة أرباع القراء من هواة الروايات البوليسية ، وقلة يبحثون عن السندباد والقراءة الرشيدة ؟

تشجيع البحوث التطبيقية

قرر المجلس الأعلى للعلوم برياسة وزير التربية والتعليم منح مكافآت مالية لكل باحث مصري يتقدم ببحث على يثبت نجاحه في التطبيق العمل في مجال الصناعة والإنتاج ، والهدف من هذه المكافآت تشجيع البحوث التطبيقية التي تخدم الأهداف الحيوية .

ووضع المجلس خطة لمراقبة الصبية والشباب الذين توجد عندهم ملكات علمية في مراحلهم التعليمية الأولى ، فيتعهدهم الأساتذة المتخصصون بالرعاية والتوجيه .

وأقيم المعرض الأول للعلوم في مصر ليكون نواة لإنشاء متحف دائم للعلوم الغرض منه تكوين الروح العلمية الأصيلة منذ الطفولة وخلال فترة الشباب ، وسيضم المتحف نماذج حية عاملة لكل صناعة وكل جهاز ، ويلحق به ورش عملية وهيئات علمية لمراقبة الصغار وتسجيل اتجاهاتهم العلمي الذي يبدو منهم في أثناء اتصالهم بهذا الوسط العلمي في مظاهره التطبيقية .

أنباء العالم الإسلامي

العرب يمثلون العالم الكبير

قال شكري القوتلي صباح يوم ١٠ ربيع الأول عند افتتاحه مهرجان القطن في حلب : « إننا نعيد أمجادنا حول العالم الكبير في ظروف دولية حرجة يحكم فيها الاستعمار حصاره الاقتصادي السياسي ضد سمعتنا وقوميتنا ومصالحنا الاقتصادية ، لأننا أحدنا نتحرر من قيوده . وفي الوقت نفسه يبقى لنا أن نواجه الخطر الآني من إسرائيل صنيعة الاستعمار . ولتعلموا حق العلم أننا في هذه المعركة التي شاءها المستعمرون لخوضها في شتى الجهات لن نحيد عما عزمنا عليه وحددنا جهودنا نحوه . وإننا نأبى أن نعيش على الصدقات وتعاملنا مع أية دولة ، ولن نسعى للحصول على المعونات الرخيصة والمساعدات المشبوهة . ومهما تكن الصعاب التي تواجهنا ، ومهما يكن الحصار الذي يضرب حولنا من آثار في توجيه الحياة العامة ، فإننا نعلم أيضا أن أعظم منابع الثروة في هذا الوطن الحر هو سيادته » .

خروشتشيف يتحدث عن العرب

قال الزعيم الروسي خروشتشيف في حديث له مع جيمس رستون نائب رئيس تحرير جريدة (نيويورك تيمس) : ليس في سوريا جندي روسي واحد . والعرب عامة أبعد ما يكونون عن الشيوعية . وأن لديه الأدلة القاطعة على أن دالاس بعث هندرسون يحرض العراق والأردن على مهاجمة سوريا ، ثم جعل هندرسون يركز جهوده على تحريض تركيا ، وأن تركيا كانت على استعداد لتستجيب . إنني أطلب من دالاس أن يقسم بالله أنه لم يفعل ذلك . وعلى تركيا أن تعلم أنها إذا صوبت مدافعها إلى سوريا فسوف تنهال على رأسها الصواريخ الروسية . إننا نستطيع أن نسحق تركيا تماما في أقل من يوم واحد . وقال خروشتشيف : إنه والرئيس جمال عبد الناصر يتعاونان بكل بساطة ضد كل أنواع الاستعمار ، بما في ذلك الاستعمار الأمريكي ، وإن هذا التعاون هو الماثلة البناءة عند تطبيقها من الناحية العملية .

وقال في معرض الدلالة على أن العرب أبعد الأمم عن الشيوعية : إن الرئيس جمال عبد الناصر نفسه يودع الشيوعيين المصريين السجون .

وقال أيضا : إن تركيا جعلها معظم قواتها قرب الحدود السورية تترك جزءا من

حدودها معنا بلا قوات ، والواجب يقضى بأن لا تفعل ذلك لأنها دولة صغيرة ، ولن تحتمل أكثر من يوم واحد إذا نشبت حرب .

وقال : إن المشكلة فى الشرق الأوسط هى أن أمريكا تعطى نفسها دور رجل البوليس الدولى فى تلك المنطقة ، فى الوقت الذى بدأ الاستعمار القديم ينهار . فعندما يحصل شعب من شعوب الشرق الأوسط على حريته تبادر أمريكا إلى محاولة سلب ذلك الشعب تلك الحرية .. وهذا عمل معيب !

وقال : إن روسيا أرسلت حقيقة شحنات من الأسلحة إلى سوريا ، ولكنها لم تقم بأية أعمال استفزازية فى سوريا . على أنه إذا كانت سوريا تريد أن تساعدها روسيا فى الحرب ، فإن روسيا على استعداد لتقديم هذه المساعدة .

أسرار تسليح سوريا

قالت الدوائر الدبلوماسية فى لندن : إن صفقة الأسلحة التى عقدتها سوريا مع روسيا تقدر بحوالى ٢٤٠ مليون دولار . والمعتقد أن ثلثى هذه الكمية قد سلم فعلا إلى سوريا على شكل أسلحة من مختلف الأنواع من المدافع إلى الطائرات . ومن المنتظر أن يشحن الباقى إلى سوريا خلال الأشهر القادمة وقد تسلمت سوريا حتى الآن ١٢٠ دبابة من طراز (ت ٣٤) و ٢٥٠ قطعة من المدفعية منها حوالى ١٠٠ مدفع أوتوماتيكى ومئات من قطع الأسلحة المضادة للدبابات وحوالى ٦٠ أو ٧٠ نفاثة من طراز ميج ، ومقادير كبيرة من مدافع المورتر والذخيرة وغيرها من أنواع العتاد الحربى ، و ٦ من زوارق الطوربيد ، وغواصتين . وتتضمن الشحنات المستقبلة حوالى ٥٠ طائرة ميج النفاثة وبعض السفن الحربية الصغيرة والدبابات وسيارات النقل الحربى .

ويعتقد الخبراء العسكريون أن هذه الشحنات من الأسلحة المتعددة الأنواع والتى ينتظر أن يتم تسليمها قبل الربيع القادم لهى ضخمة جدا بالنسبة لمستوى التسلح فى الشرق الأوسط .

تبرع أمير كويتى لبورسعيد

كان فى زيارة مصر فى هذا الشهر الأمير فهد السالم الصباح شقيق حاكم الكويت ، وقد كان موضع الاجلال والإكرام فى جميع الأوساط المصرية ، وعند زيارته بورسعيد أعلن تبرعه بمبلغ مائة ألف جنيه باسم شقيقه الأمير عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت وباسمه وباسم حرمه التى كانت معه فى هذه الزيارة لمصر ، وقد اختار أن يكون هذا المبلغ لمشروع إسكان الصيادين فى بورسعيد .

وتقديرا من بورسعيد لهذه الأريحية العربية الكريمة قرر مجلسها البلدى اعتبار الأمير فهد والأميرة قرينته مواطنين فخريين فى بورسعيد

شكوى سوريا للأمم المتحدة

عقدت اللجنة التوجيهية التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة اجتماعا في قاعة مجلس الأمن مساء ١٨ أكتوبر للبحث في إدراج الشكوى المقدمة من سوريا عن الخطر الذي يهدد سلامتها والسلام العالمي بمنطقة الحدود السورية التركية، وكان صلاح البيطار وزير خارجية سوريا أول المتكلمين فقال: إن تركيا وحدها قامت بنشاط ضد سوريا من تصريحات ودعاية إلى أعمال استفزازية بحشود عسكرية على الحدود، ويبدو أن ذلك جزء من خطة عامة موضوعة لتعريض سلامة سوريا واستقلالها السياسي للخطر مما ينذر باشتعال نيران حرب عالمية، وقد لجأت سوريا إلى الأمم المتحدة بعد أن استنفدت جميع الوسائل الدبلوماسية في محاولة تسوية مشكلة الحدود مع تركيا، وبعد أن استمعت لجنة الأمم المتحدة إلى شكوى وزير خارجية سوريا ووزير خارجية روسيا ومندوب تركيا قررت بإجماع الآراء تحويل الأزمة إلى جلسة سريعة للجمعية العامة للأمم المتحدة.

قوات مصرية في سوريا

استنادا لاتفاقية الدفاع المشترك بين جمهوريتي سوريا ومصر، وتنفيذا للخطة المشتركة التي تقررت في المؤتمرات التي عقدت في القاهرة في ١١ سبتمبر سنة ١٩٥٧ بين القائد العام للقوات المسلحة والمشتركة والقائد العام للجيش والقوى المسلحة السورية باشرت القوات المسلحة المصرية إيفاد عناصر أساسية إلى سوريا منذ منتصف سبتمبر من أجل تدعيم قوات سوريا وتعزيز إمكانياتها الدفاعية. وفي الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم ١٣ أكتوبر وصلت إلى ميناء اللاذقية القوات المصرية في حراسة القطع البحرية المصرية والقوات الجوية للدولتين، وقامت قطع الأسطول المصري بزيارة رسمية للميناء السوري كان لها دوي عظيم في سوريا كلها حكومة وشعبا. وستتخذ سوريا ذلك اليوم عيدا قوميا لأنه الحادث العملي الأول في وضع الأساس للاتحاد القومي العربي المرجو قيامه كاملا في أقرب فرصة إن شاء الله.

في المؤتمر الآسيوي الأفريقي

استقبلت القاهرة حتى الآن ممثلي إحدى وعشرين دولة من إفريقية وآسيا، ألفت منهم مؤتمرا تمثلت فيه حركة التحرير التي ينشدها ويجاهد في سبيلها شعوب صممت على مكافحة الاستعمار وتغيير مجرى التاريخ بعد أن كان يرسمه له طواغيت الغرب من ثلاثمائة سنة إلى الآن.

وقد اختير السيد أنور السادات لرئاسة اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر.

الفهرس







الجزء الخامس – القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٧ – ٢٣ نوفمبر ١٩٥٧ – المجلد التاسع والعشرون



إيمانـــــنا

قال جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه :

« كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة (أي في إبان شبابنا وقوتنا) ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا » .

سنن ابن ماجه

الباب ٩ من المقدمة (الحديث ٦١)

وعى لما طغى على قلب الغرب ثقافاته وأساليب تعليمه ، وقعت في يدي – وأنا في مرحلة التعليم الابتدائي – رسالة باللغة التركية ، أصلها من تأليف الحكيم الفرنسي فولني C. F. Volney (١٧٥٧ – ١٨٢٠) في شريعة الفطرة Loi naturelle ومبادئ الأخلاق الإنسانية العامة التي ينبغي لجميع أمم الأرض أن تشترك في احترام أصلها وأن تتنافس في العمل بها . فوقعت تلك الرسالة من نفسي وأنا في تلك السن موقع الاستحسان . ثم كنت كلما تقدمت في السن ، وازددت معرفة بالإيمان الإسلامي ، ازددت يقينا بأنه هو شريعة الفطرة وقانونها الذي ينبغي لأبناء الإنسانية جميعا أن يؤمنوا به ، وأن يحترموا

من يؤمن به ، وأن يروا أن من يؤمن به لا شك أنه على الحق في إيمانه ، وفيما يوجهه إليه هذا الإيمان .

ما هو الإيمان الفطري الذي يطالبنا الإسلام بأن نؤمن به ؟

الإسلام يطالب الواحد منا بأن يعتقد أن الله حق ، وأن هذه الكائنات في عظمتها ودقة أنظمتها ، وبدائع صنعها ، وما فيها من سر الحياة والحركة والجاذبية ، إنما هي من صنع الله وحده لا شريك له . وأن محمدا (صلوات الله وسلامه عليه) كان صادقا في الرسالة التي حملها من ربه إلى الإنسانية كلها ، والتي وافق بها رسالات الله السابقة وأيدها في أصولها المشتركة ، ودعا إلى الإيمان بأصحابها توحيدا للإنسانية حول أتم رسالات الله وأكملها . ثم نصير إلى يوم يجازى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

ويترتب على الإيمان بالله وبصدق الرسالة المحمدية ، أن نؤمن بصحة كل ما يطالبنا الإسلام بالإيمان بصحته من الأوامر والتوجيهات التي وردت في كتاب الله ، والأوامر والتوجيهات التي صح صدورها عن حامل أكمل رسالاته ، فإذا اعتقدنا صحتها وسرنا في طريقها نحو أهدافها كنا مؤمنين .

وهنا نتساءل : ما هي هذه الأوامر والتوجيهات التي طالبنا القرآن بأن نؤمن بها ، وصح عن رسول الله أنه دعا إليها ووجه أمته إلى إقامتها والعمل بها وانطواء العزائم على تحقيقها ؟

في حديث عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة من صحيحي البخاري ومسلم وأمهات كتب الحديث (واللفظ لمسلم في كتاب الإيمان ، الباب ١٢ ، الحديث ٥٨) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان بضع وسبعون — أو بضع وستون — شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

فالإيمان بوحدانية الله أعلى شعب الإيمان ، والحياء شعبة من شعب الإيمان الإسلامي ، وأدنى شعب الإيمان إماطة الأذى — كل أذى — عن طريق الناس ، والناس الذين من أدنى شعب إيمان المسلم أن يميط الأذى عن طريقهم هم كل الناس بلا استثناء .

والحياء الذى عده رسول الله صلوات الله عليه شعبة من شعب الإيمان فى الحديث السابق ، قد تكررت الأحاديث المحمدية فى كونه من الإيمان ، منها حديث سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه (فى صحيح البخارى ، الباب ١٦ من كتاب الإيمان) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعه ، فإن الحياء من الإيمان » .

وهذا الحياء المضروب به المثل فى الحديث ، شعبة من ستين أو سبعين شعبة من أمثاله ، وكلها من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، ولذلك كانت من شعب الإيمان به ، فالصدق من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، والإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، والتعاون على الخير من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، فالإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة أخرى من شعب الإيمان الإسلامى . والعدل من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، فالإيمان به ، والعمل بهذا الإيمان شعبة ثالثة من شعب الإيمان الإسلامى . والإحسان ، أعنى الإحسان فى المواساة ، والإحسان فيما يتولاه الإنسان من شئونه وشئون الناس ، والإحسان فى اختيار أفضل ما يسوى أحسن ما الخروج إليه من أمور ، هذا الإحسان فى كل شىء هو من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، وخطباء المنابر الإسلامية يذكرون المسلمين فى كل جمعة بأن الله يأمر بالعدل والإحسان ، فالإيمان بالإحسان والعمل بهذا الإيمان شعبة مهمة من شعب الإيمان الإسلامى . وبر الوالدين ، والتراحم بين الناس ولا سيما بين ذوى القربى ، والتناصح فيما بين الأمة والحكومة ثم فيما بين أفراد الأمة خاصتهم وعامتهم ، كل هذا من صميم أوامر الإسلام وتوجيهاته ، ولذلك كان من صميم الإيمان الإسلامى . والأمانة ، هذه الشعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، لو شاء المسلم أن يكتب فى موقف الإسلام منها مجلدات لضاق به مجال القول ، وليست الأمانة قاصرة على ما يكون للناس تحت يدك من مال أو غيره ، بل أخلاقك أنت أمانة لله تحت يدك ، والإسلام يطالبك بأن تحفظ هذه الأمانة بما يوافق إيمانك الذى يعنى أن يكون أعز شىء عليك . ونقودك الزائدة عن نفقاتك المعتدلة هى كذلك أمانة لله تحت يدك . وصحتك من أمانات الله عندك فى نظامك الإسلامى . وأولادك ، وأهل بيتك ، من أعظم أمانات الله التى ستحاسب عليها باعتبار أنها شعبة من شعب هذا الإيمان الإسلامى . والوظيفة التى تتولاها للدولة ، والعمل الذى تتقاضى أجره ممن يستعين بك فى مؤسسته أو أعماله ، كل هذا من أمانات الله الداخلة فى إيمانك الإسلامى . ولعلك تذكر قول الله

سبحانه من الأمانة وخطورة أمرها أن الله عرضها على السموات والأرض والجبال فأبينها وحملها الإنسان ، ولو عاش الإنسان عمره كله وهو يفكر في كل دقيقة من دقائقه بما يجب عليه لأمانات الله التي تحت يده لفاته من ذلك شيء كثير . والاقتصاد في كل الأمور – ولا سيما فيما يمكن الاستغناء عنه من كماليات وزينة وزخرف – يعد من صميم أوامر الله وتوجيهاته ، حتى إن الرجل وهو يتوضأ للصلاة من ماء النيل في مجراه الأعظم ينبغي له أن لا يسرف في الماء ، لا خوفا على ماء النيل الأعظم من أن ينقص إذا أسرف المتوضئ فيما يستعمله من مائه ، بل خوفا على أخلاق المسلم أن تنزلق في الإسراف والتبذير المنهى عنهما في توجيهات الإسلام فهذا الاقتصاد من صميم أوامر الإسلام ، والإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة مهمة من شعب الإيمان الإسلامي . والقناعة بنظام الحكم في الأوطان الإسلامية من أوامر الإسلام وتوجيهاته فيما لا معصية فيه لله ، والإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة كبرى من شعب الإيمان الإسلامي . وتبادل المحبة والرحمة والمواساة بين أفراد الأمة – ولا سيما بين المتناسبين والمتجاورين – من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، وفي الباب السابع من كتاب الإيمان في صحيح البخاري والباب السابع عشر من كتاب الإيمان في صحيح مسلم (الحديث ٧٢) والباب التاسع من مقدمة سنن ابن ماجه (الحديث ٦٦) عن قتادة بن دعامة السدوسي يحدث عن أنس بن مالك خادم رسول الله أنه صلوات الله عليه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه – أو قال : لجاره – ما يحب لنفسه » . وفي كتاب الإيمان من صحيح مسلم (الباب ٢٢ الحديث ٩٣) ومقدمة سنن ابن ماجه (الحديث ٦٨) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » . وفي كتاب الإيمان من صحيح مسلم (الباب ١٩ ، الحديث ٧٥) عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » . وفي الباب الحادي عشر من كتاب الإيمان في صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت الخزرجي رضي الله عنه – وكان شهد بدرا ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، ثم هو أمير ربع المدد في الجيش الذي حمل دعوة الإسلام إلى مصر وكان من أسباب نصرتها ودخولها في الإسلام – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب

من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله : إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » . قال عبادة بن الصامت : فبايعناه على ذلك .

وقد استقصى أئمة الإسلام وأعلامه هذه الأوامر والتوجيهات التي تتألف من مجموعها شعب الإيمان الإسلامي ، وألفوا فيها وفي نصوصها الكتب الجليلة ، ومنها كتاب (شعب الإيمان) للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨) . ومن تتبع هذا الموضوع وأحاط بنظرياته وعني بدراسته يتبين له أن الإيمان الإسلامي كما يتناول الإيمان بالغيب (ومنه أسماء الله وصفاته والإيمان بها وإمرارها كما وردت بلا تمثيل ولا تعطيل ، والإيمان باليوم الآخر ، والملائكة بلا زيادة ولا نقص) ، فإنه يتناول كذلك العبادات وما يلزم لها ، ونظام الدولة والمجتمع الإسلامي وما تتوفر له به أسباب القوة والطمأنينة والسعادة ، ويتناول بعد ذلك وقبل ذلك نفس المسلم وما يكون به تطهيرها وتزكيتها والسمو بها إلى أعلى مراتب النزاهة والنبل والعفة والنشاط والإقدام والعمل النافع .

وقد تتبعت جميع شعب الإيمان الإسلامي فوجدتها كلها ترجع إلى أصلين أصيلين : الحق ، والخير . بل إن الإسلام نفسه (دين الحق) ما كان منه وما يكون ، وبذلك سماه الله في سورة التوبة (الآية ٣٣) وسورة الفتح (٢٨) وسورة الصف (٩) ، وستظل الإنسانية محتاجة إلى هذا الدين ما احترمت الحق والتزمته وأقامت على أساسه عقودها ومعاملاتها وأحكامها وعلومها وتفكيرها .

إيماننا الإسلامي كالشجرة العظمى التي تتشعب من فروعها وأغصانها عشرات وعشرات إلى ستين أو سبعين ، والمسلم الكامل هو الذي يحرص على التحلي بجميع شعب الإيمان ما استطاع ، وكان الرعيل الأول من أعلام الإسلام الذين تشهدوا لرسول الله وتشرفوا بمبايعته على الحق والخير يقول (صلوات الله عليه) لكل واحد منهم ، إذا بايعه على السمع والطاعة لأوامر الإسلام وتوجيهاته كلها : « فيما استطعت ، والنصح لكل مسلم » كما صح عنه في كتاب الإيمان من صحيح مسلم (الباب ٢٣ ، الحديث ٩٩) من التمهي من حديث جرير .

وقد وصف الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الإيمان الإسلامي في صدر كتاب الإيمان من صحيحه بأنه « قول وعمل ، ويزيد وينقص » ، وإنما كان يريد

وينقص بمقدار ما يخل به المسلم من شعب الإيمان قلة أو كثرة وقوة أو ضعفا ، وقد استدل البخاري على زيادة الإيمان ونقصه بآيات كثيرة منها الآية ١٧ من سورة محمد « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم » ؛ والآية ٢ من سورة الأنفال « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » والآية ٢٢ من سورة الأحزاب « وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي : إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان . فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص . ثم عاد البخاري في الباب ٣٣ من كتاب الإيمان في صحيحه فقال « باب زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى « وزدناهم هدى » ؛ « ويزداد الذين آمنوا إيمانا » وقال « اليوم أكملت لكم دينكم » فإذا ترك شيئا من الكمال فهو ناقص » . وعن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين ، آية في كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا ، قال عمر : أي آية ؟ قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » . قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة (أي فاتفق أن اليوم التالي لنزولها هو يوم العيد الأكبر للمسلمين إلى يوم القيامة)

واستدل البخاري في الباب ١٨ من كتاب الإيمان على أن العمل به من شرط الإيمان به فقال : « باب من قال : إن الإيمان هو العمل ، لقول الله تعالى : وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون » .

وكما أن للإيمان شعبا فإن للكفر شعبا كذلك ، وكما أن رأس الإيمان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فإن الكفر بها رأس الكفر . فهذه الخمسة هي مناط الدخول في الملة والخروج منها ، ثم الإخلال بشعبة من شعب الإيمان الأخرى ينشأ عنه شعبة من شعب الكفر ، وإن كان ذلك لا يبلغ أن يخرج به المؤمن من الملة . مثال ذلك ما رواه البخاري في الباب ٢١ من كتاب الإيمان عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « أريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن ، قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان . لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيرا قط » . فهذا من النساء كفر بالإحسان والإحسان شعبة من شعب الإيمان ، فالكفر به كفر بشعبة من شعب الإيمان ،

لكنها ليست من أركانه التي هي مناط الدخول في الملة والخروج منها . وهكذا سائر شعب الإيمان التي أحصاها أعلام الأئمة ، وهي كلها داخلة في مدلول الحق والخير .

إن الإسلام رسالة السعادة والسيادة للإنسانية ، لكن المسلمين في مظهرهم العام وتطور مجتمعهم عطلوا العمل بشعب إيمانهم فخفيت عن الناس ، ولو عرفتها الإنسانية لعرفت أنها هي ضالتها التي تنشدها ، وكم من حكيم من حكماء الغرب مثل جيته وغيره تساءلوا حين عرفوا شيئاً من الإسلام : أليس هذا هو الذي ننشده ولا نجده ؟ لكن إهمال الدول الإسلامية في مئات السنين الأخيرة تربية شعوبها بآداب هذا الدين ، وإحياء عناصر الإيمان الإسلامي ، قد جعل المسلمين حجاباً بين الدنيا والإسلام وجماله . ولو عرف فولني Volney الإيمان الإسلامي كما عرفته أنا بعد قراءتي رسالته عن شريعة الفطرة Loi naturelle لعرف أن الإيمان الإسلامي فوق كل ما كان يأمل ، وأجمل من كل ما كان يتصور . فهل آن لنا أن نرجع إلى إيماننا ! ؟

محب الدين الخطيب

الحكام ومسئولية التعليم في الأوطان الإسلامية

كتب صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله الثاني حاكم قطر ، إلى مدير المعارف في بلاده الرسالة الآتية .

يا مدير المعارف .

إن اختيار المعلمين في دمتك ، وأنا أريد أن أخبرك بما عندي — أنت ورئيس المعارف — حتى أتخلص من المسئولية وأحاججكم عليها بين يدي الله تعالى .

نحن لا نريد معلماً يحضر إلى هذه البلاد ومعه زيغ في العقيدة ، أو استهتار في الأخلاق ، أو إهمال في فرائض الدين .

إن أبناءنا هم أغلى شيء عندنا ، فاستوصوا بهم ، واجتهدوا غاية الاجتهاد لمصلحتهم . وإن بقاءهم على الفطرة أفضل من تعليم يجرهم للفساد والإلحاد . وحسبي الله ونعم الوكيل .

علي بن عبد الله الثاني
حاكم قطر

نفحات القرآن

— ٥٥ —

الاعراض عن الحق من أسباب المحن الشديدة والدعاء إلى الله وسيلة لدفع البلاء

> « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء ، لعلهم يتضرعون » .

١ — من مفهوم الإيمان ، ومما تتم به العقيدة أن دعوة الأنبياء في كل عصر من عصورها كانت حقا وخيرا للأفراد وللأمم .

ومن عادة البشرية أن عقولا سابقة مسّتها نفحة من هداية الله ، فاستجابت للدعوة ، وأسلمت وجهها إلى الله ، واطمأنت معه القلوب ، وعاشت في ظلال الحق ، حتى لقيت ربها على وفاء بعهده ، وفوز برضوانه .

وكذلك من عادة البشرية أن عقولا أخرى — وهي الكثرة — تمكن منها الغباء والخبث ، وجنحت إلى كفر لو طلب منها أن تخرج منه لكان ثقلها فيه دون النشاط الذي دفعها إليه جهلها ، وجمودها على تقاليد أسلافها ، واتباعها لنزغات الشياطين .

وقد نفذ الله سنته في الظالمين فأخذهم — بعد الإمهال — بأنواع من عذابه يكون جزاء لهم وعبرة لمن بعدهم .

٢ — والآية التي معنا تفيد أن بعض المكذبين لرسلهم نزلت بهم الشدائد القاسية قبل أن يأخذهم الله بعذابه الماحق إذ ابتلاهم بالبأساء ، والضراء ، تبصيرا لهم بسوء حالهم ، وتوجيها لهم نحو الله في مسلك سوى مسلكهم الخاطئ الذي هم عليه — والبأساء : ضيق العيش ، وقلق الخاطر ، والحروب ، والمكاره التي لا يستطيعون العيش معها .

والضراء : علل وأمراض تحد نشاطهم الدنيوي ، وتزيدهم عنتا جسمانيا فوق تعبهم المعيشي الذي أصبحوا فيه .

٣ — وكان مفروضا فيهم وقد نزلت بهم الشدائد ، أن يلوذوا بالرجاء إلى الله ليكشف عنهم ما هم فيه ، إذ الجدير بالعاقل أن يزدجر بالبلاء السيئ ، وأن يتجه بالضراعة نحو من أنزله ، فهو القادر على تفريجه ، وتغيير الحال إلى خير منه .

كان مفروضا أن ينبثق في مداركهم وعي، وأن ينبعث في أنفسهم أمل، وأن يتداركوا أمرهم بالتقرب إلى الله، ويطمعوا في تجاوزه عنهم، ورعايته لهم.

والله تعالى يحب من عبده أن يكون دائما في رحابه، وتحت فيضه ورحماته، وفي ملتمس هدايته.. ومن أجل ذلك كان من سنته تعالى أن يبين لنا الرشد من الغي، ودعانا إلى ناحية، ونهانا عن أخرى وما جهلت أمة من الأمم أن هذه توجيهات الرسل، ومقصد التشريع، ولكن: لم يكن من تلك الأمم امتثال، ولم تأخذ بالرجاء، بل أساءت أولا وأخيرا، ولم تأخذ من شدائدها عبرة لحاضرها، ومستقبلها... والله تعالى يلومهم على ذلك أيضا، كما يلومهم على ما في تخاصمهم ويقول فيهم: (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا!) يعني لم يتضرعوا إليه حين جاءهم بأسه، وفي ذلك تنديد وتأسيف لهم على ما فوتوا: من فرصة الرجوع إليه.

وفي هذا إشعار لهم بأن الله لم يغلق في وجوههم بابه لو عادوا إلى جانبه سبحانه ولكنهم أعرضوا عن جانبه ولم يتجهوا إليه كما هو الشأن فيمن استبدت به الغفلة، وفيهم يقول تعالى: (ولكن قست قلوبهم، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) ومع ما في هذا من تشنيع عليهم، وتنديد بهم، تنبيه العبرة بسيرهم، وفيه تمهيد لسبيل الاهتداء وفيه تشخيص للعاقبة السيئة التي انحدر إليها أولئك، بسبب تقصيرهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، حتى يجتنبها ذو العقل من بعدهم.

٤ — وبعد هذا الموقف منهم، ونسيانهم العظة مما حاق بهم، رفه الله عنهم ثانيا، وغمرهم بما كانوا يتمنون، وليس هذا تكريما لهم، ولكنه استدراج، ومكر بهم، وإقامة للحجة عليهم وكشف عن خباياهم، ليتبين لهم ما انطوت عليه طباعهم، وليتبين للناس من بعد: أن الله لم يظلمهم فيما نزل بهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم، فأخذهم بذنوبهم تحقيقا لعدله فيهم.

وفي هذا يقول عز شأنه:

(فلما نسوا ما ذكروا به — من البأساء والضراء — فتحنا عليهم أبواب كل شيء — من الخير — حتى إذا فرحوا بما أوتوا، أخذناهم بغتة، فإذا هم مبلسون) أخذهم فجأة وهم في أمن، وأهلكهم وهم في بسطة وسعة وطغيان «فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين» وهكذا انتهى أمرهم لإعراضهم عن الحق بعد أن تبين لهم.

٥ — فلم يكن في شأن هذه الأمم شيء من عجب ، حيث لم يستقيموا على النعمة — أولاً — ولا على المحنة بالبأساء والضراء — ثانياً — ولا على تجـدد النعمة والترف لهم ثالثاً ، ولم تكن فيهم صلاحية الحياة الطيبة ، حتى طهر الله منهم أرضه ، وقطع دابرهم منها ؛ فإن العجب لا يزال عالقاً بالنفس حتى اليوم ، لأن الشبه قائم فينا إذ لا نقبل على الخير إلا في تكلف ، ولا نكف عن الشر إلا مجاملة الناس ، ورياء لهم .

وكأننا لا نثق في توجيه الله ، فنحن نهدف إلى المعصية ، نتغافل عن الصـاعقة ، حتى إذا أصابنا المكروه وجدت فينا شبها ممن لم يردعهم المكروه ، وشبها ممن يدعون ربهم عندما يمسهم الضر ، فإذا كشف الضر عنهم نسوا ما كانوا فيه ؛ واستمروا يحـاربون الله من جديد ... فتجد الواحد منا أنه مسلم حقاً ، فإذا استوضحت حاله وجدته في غير ناحية الإسلام ، وبعيداً عنها بعيداً يكاد يقطع صلته بدينه ، والناس متجهون اتجاها مريعاً إلى المـادية وإن كانت مموهة بالمظاهر ، والناس — إلا قليلا منهم — مقاطعـون لربهم ، لا يسجدون له ، ولا يدعونه ، ولا يخشون بأسه في سر ، ولا جهر ، وأصبحت ترى نفسك في مجتمع غير مطبوع بطابع الإسلام اللائق بالمسلمين وبمجدهم الأول ، وقد أنسي المسلمون أنفسهم كثيراً في الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ، كريمة في تقاليدها ، ومظاهرها وحياتها من كل ناحية .

ولكن الموجات الزاحفة تجد أنصاراً كثيرين ممن لم تتمكن لهم نشأة في أحضان الإسلام ، أو قريباً من ظلاله .

وهذه الموجات تعترض الغيورين ، وتكلفهم جهوداً مضنية وتطيل عليهم السبيل .

ولولا أن الله — سبحانه — تفضل على محمد خاتم رسله — صلى الله عليه وسلم — بإمهال الأمة التي بعث إلى دعوتها — وهم الناس جميعاً منذ رسالته — لكان نصيبها من عدل الله في معاملتها أشبه بنصيب من حدثنا عنهم القرآن الكريم ، وإن لله قدراً لا يتخلف موعده ، وقضاء لا مرد له ، وهو ذو رحمة واسعة وذو عذاب أليم .

ونرجو أن يكون عملنا في الدنيا مبروراً ، وعفو الله عنا شاملاً ، حتى لا نتعثر بعد فيما نخشى من حزن ما

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السُّنَّة

الوصاة بكتاب الله عز وجل

— ٢ —

الوصية في صدر الإسلام — ميراث الأنبياء — خصومة الزهراء للصديق — أجمع الوصايا خيرا وبرا — الوصاة بالصحابة حق على الأئمة والعامة — أين مكاننا من القرآن ؟ ! إنذار ! !

عن طلحة بن مصرف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى : هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا ، فقلت : فلم كتب على المسلمين الوصية ؟ أو فلم أمروا بالوصية ؟ قال : أوصى بكتاب الله عز وجل .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم [*])

كانت الوصية حقا مفروضا للوالدين والأقربين في صدر الإسلام ، على كل من ترك مالا ، وذلك قوله جل سلطانه : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين » . فلما نزلت آيات الفرائض نسخت الوصية للوارثين ، وأصبحت المواريث المقدرة فريضة من الله يأخذها أهلها من غير وصية ولا منة ، وخطب صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال : « إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » .

وصارت الوصية بشيء من المال لغير الوارثين قربة من القرب المندوبة لمن كان ذا فضل وسعة ، وأعظم النبي صلى الله عليه وسلم شأنها حتى كاد يلحقها بالحقوق الواجبة ، فقال فيما رواه

(*) في كتاب الوصية ، وقد اخترنا في العدد الماضي لفظ البخاري في كتاب الوصايا ، وجاء أنه رواه في موضعين آخرين : في مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ، وفي فضائل القرآن ... والمناسبات في المواطن الثلاثة واحدة .

الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما : « ما حق امرئٍ مسلم له شيء يوصي فيه ، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » .

* * *

لا جرم أن الوصية إنما تكون فيما يصح أن يورث ، والأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم لم يورثوا مالا ، وكل ما تركوه فإنما هو صدقة محبوسة على الأمة ، شأنها شأن الوقف الخيري ، وإنما أورثوا النبوة والعلم والهدى والحكمة ، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : « وورث سليمان داود » ، وقوله سبحانه حكاية عن نبيه زكريا عليه السلام : « فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب » . وجاءت فاطمة إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقالت : من يرثك ؟ قال : أهلي وولدي . قالت : فما لي لا أرث أبي ؟ قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله ، وأنفق على من كان ينفق عليه ؛ وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطلبان أرضيهما من فدك (1) وسهمهما من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه إلا صنعته ؛ فهجرته فاطمة رضوان الله عليها فلم تكلمه حتى ماتت . وهذا أحد الأدلة التي لا تحصى على صلابة أبي بكر رضي الله عنه وشدته في دين الله عز وجل ، مع طواعيته الغاية التي لا مطمع وراءها في حب النبي صلى الله عليه وسلم وابنته وآل بيته ، واتخاذه إياهم عياله ونفسه ؛ وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشيء » ؛ وروى البخاري عنها قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني (2) .

(1) بفتحتين : قرية بخيبر ، على ثلاث مراحل من المدينة ، وكانت سهما لأبناء السبيل ، وأما خيبر فكانت ثلاثة أجزاء : جزأين بين المسلمين ، وجزءا نفقة لأهله ، فما فضل منهم جعله بين فقراء المهاجرين .

(2) روى الإمام أحمد والطبراني عن أبي الدرداء ، مرفوعا « كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه » . فلعلها رضي الله عنها نسيت التسمية عند الكيل فنزعت بركة الطعام ، والتسمية سر عظيم على رغم أنف الجاحدين ، أو لعلها كالته لمجرد الاختبار داخلة من فصيلة الامتثال ، والعلم عند الله تعالى .

لعل هذه الأدلة الواضحة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يترك مالا يوصي فيه – وهي قليل من كثير – ترجح ما اقتصرنا عليه في الحديث السابق من أن طلحة سأل عن الوصية المزعومة: وصيته صلى الله عليه وسلم بالخلافة ... ولا مانع أن يريد الوصية بالمال، ويؤيد ذلك تعجبه من عدم وصيته به صلى الله عليه وسلم مع أمر الله ورسوله بها! وأيا ما كان المسئول عنه من خلافة أو مال، فقد نفاه ابن أبي أوفى رضي الله عنه نفيا باتا من غير تردد، و«أو» التي بين الاستفهامين، للشك من الراوي عن طلحة. هل قال: كيف كتب على المسلمين الوصية؟ أو قال: كيف أمروا بالوصية؟ وهي من الأدلة القائمة على أمانة الرواة وتحريهم في نقل الحديث، مما لم يعهد في غير الأمة المحمدية.

• • •

ولما عجب طلحة من عدم وصيته صلى الله عليه وسلم بمال أو خلافة، مع أنه أولى الناس بالوصية، أجابه ابن أبي أوفى بأن الوصية لم تفته صلى الله عليه وسلم فهو أولى الناس بالخير، وأسبقهم إليه، وأحرصهم عليه، فيطيب نفسا، ويطمئن فؤادا، وليعلم أن هناك وصية أوصى بها، هي أجمع الوصايا خيرا، وأعظمها ذخرا وبرا، هي الوصاة بكتاب الله عز وجل: تعلما وتعليما، وفهما وتفهيما، ودرسا ونشرا، ومهما تكن من وصية في غيرها فهي منتهية منه أو متصلة به نصا أو استنباطا، وهذا هو سر اقتصاره على الإجابة بهذه الوصية الجامعة الشاملة، وإلا فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة وما ملكت أيمانكم، وأوصى بالمهاجرين والأنصار وأوصى بأصحابه خيرا، وقال: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». ولم يعرف تاريخ الخليقة – ولن يعرف – من يداني رسول الله صلى الله عليه وسلم في كرم صحبته، ومحافظته على أصحابه ووصيته بهم.

وأوصى بسنته والمحافظة عليها فقال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه». والأريكة: السرير، وفي هذا الأسلوب أبلغ رد على هؤلاء الغواة الحمقى الذين يزعمون أنهم استغنوا بكتاب الله عن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما هو إلا الضلال والخبث، والكتاب العزيز نفسه يرد عليهم حمقهم وضلالهم إذ يقول: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» والحق أن هؤلاء يكيدون

للإسلام بطرح شطره الثاني، طمعاً في أن يسهل عليهم طرح شطره الأول «ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون».

• • •

لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه – وكان ذلك يوم الخميس [1] – أوصى أصحابه بثلاث: أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزهم به. قال الراوي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو سعيد بن جبير: ونسيت الثالثة [2] فقيل هي الوصية بالقرآن، وقيل هي تجهيز جيش أسامة، وقيل هي نهيه أن يتخذ قبره وثناً. وكل هذه الوصايا في جملتها وتفصيلها منصوص في كتاب الله تعالى.

• • •

وأحاديث الوصاة بالكتاب العزيز والعناية به، من الشهرة والمعرفة بمكان عظيم، ومن أشهرها – ولعل ابن أبي أوفى رضي الله عنهما يشير إليه في إجابته – ما رواه مالك في موطئه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم».

• • •

ألا إن حقاً مفروضاً على كل من يؤمن بالله وكتابه أن يكون له سهم – بقدر وسعه – في المحافظة على القرآن الكريم والعناية به والدعوة إليه، ونشره في بقاع الأرض، فإن لم يكن ذلك لإيمانه بالكتاب وحق الكتاب العزيز عليه، فليكن لفضل القرآن ورحمته وبقائه، فإن حياة العالم رهن بهذا الكتاب الذي لولاه لذهب الإسلام والمسلمون إلى غير رجعة كما قلنا في الجزء الماضي، ولذهب على أثرهم من في الأرض جميعاً.

فلينظر المسلمون أئمة وعامة أين مكانهم من القرآن؟ وأين مكان القرآن منهم؟ قبل أن يشكوهم الصادق المصدوق إلى ربه، كما شكا المشركين إليه من قبل فقال: «يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً».

طه محمد الساكت

---

(1) الثامن والعشرين من شهر صفر، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين الذي يليه، ثاني ربيع الأول لتمام عشر سنين من الهجرة.

(2) نرجو أن نشرح هذا الحديث بتوفيق الله تعالى في فرصة قريبة.

من مشكلات المجتمع

بين الأستاذ والتلميذ

هذه الحياة كالنهر الجاري المتدفق الموصول التيار، كل موجة من موجاته تمهد الطريق لموجة تليها وتقبل بعدها، والناس فيهم السابق واللاحق، ومنهم الأسلاف والأخلاف، ولقد جرت سنة الحياة بأن يأخذ المتقدم بيد المتأخر، وأن يعلم الكبير الصغير، ويرشد الأستاذ التلميذ، ولولا أن العالم يعلم الجاهل، وأن المهتدي يرشد الضال لما استقام أمر هذه الحياة !! ...

ومن هنا كان التعليم بمعناه العام الواسع أشرف عمل في هذا الوجود، فالله عز وجل هو «المعلم الأول» للخلائق، وهو القائل في كتابه: «الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان»، وهو الذي يقول لنبيه: «وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما» فذكر الله التعليم منسوبا إليه في معرض الامتنان بالفضل العظيم، والتعليم هو وظيفة الأنبياء السامية، ومحمد إمامهم وخاتمهم يقول: «إنما بعثت معلما»، ويروى أنه صلوات الله عليه دخل المسجد وفيه مجلسان: مجلس تعليم، ومجلس دعاء، فقال: «كلا المجلسين إلى خير، أما هؤلاء فيدعون الله، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، هؤلاء أفضل، بالتعليم أرسلت»!.. ثم قعد معهم !!.

وأتباع المسيح عليه السلام يجعلون من أوائل ألقابه التي ينعتونه بها لقب «المعلم».

وأفضل المراتب في الإسلام أن يعلم المرء علما، ويعمل به، ويعلمه غيره، «ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»! وشوقي يشير إلى هذه المنزلة السامية التي يحتلها المعلم والمتعلم فيقول:

سبحانك اللهم خير معلم ... علمت بالقلم القرون الأولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته ... وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم، تارة ... صدئ الحديد، وتارة مصقولا

أرسلت بالتوراة موسى مرشدا ... وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا ... فسقى الحديث، وناول التنزيلا

ولقد كانت العلاقة بين المعلم والمتعلم قائمة على الحب والوفاء، والتكريم والتوقير، فالمعلم والد يؤدب بالحسنى ويهذب بالحكمة ويقسو حينما تجب القسوة، ولكنها قسوة من يريد الخير لابنه وتلميذه:

فقسا ليزدجروا، ومن يك حازما ... فليقس أحيانا على من يرحم

والمتعلم ابن مطيع خاضع بار، يرى في إجلاله لأستاذه مظهرا من مظاهر الأدب وحسن الخلق، وكان التلميذ يعتبر نفسه عجينة في يد أستاذه المحب له الحريص عليه البصير به، فهو يشكلها ويصوغها حسبما يرى فيه الخير ويعتقد فيه الصلاح، وعلى التلميذ أن يسمع ويستجيب.

وكان الطالب يحافظ على وفائه لأستاذه حتى بعد تخرجه، أو انقطاعه عن حلقة الدرس أو بلوغه مرتبة ملحوظة في الحياة، فهو يظل يذكر مدرسه بالخير، وهو يحتفل لقدومه ولقائه، ويجل قدره وعلمه، ولا ينسى سابق فضله، وهو يتأدب أمامه ويستحيي منه وهو يزوره ويتودد إليه، والمدرس من جهته يظل على صلته بتلميذه، ولو ولج معترك الحياة، وهو يواصل توجيهه وإرشاده حسب طاقته وإمكانه، وهو يتتبع خطواته في المجتمع، ويفرح لتوفيقه ونجاحه...

هذه العلاقة كانت إلى عهد قريب، ولو رجعنا إلى عهد أبعد، وذهبنا نستقرئ تاريخنا الإسلامي لوجدناه عاطرا بقصص الوفاء والحب المتبادل بين المعلمين والمتعلمين، مبينا مواقف التمجيد من التلاميذ للأساتذة والمربين..

فهذا هو الخليفة المأمون يحضر المعلم النحوي الشيخ «الفراء» ليعلم ولديه علوم العربية وذات يوم أراد الفراء أن يقوم من درسه، فتسابق الولدان الأميران إلى حذائه، ليقدماه إليه، وتنازعا على ذلك لحظة، ثم اتفقا على أن يحمل كل منهما من الحذاء واحدة * !...

وعلم الخليفة الوالد بالقصة، فتأثر منها وأعجب بها، والتقى بالفراء فسأله: من أعز الناس؟ فأجاب الفراء: لا أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين. فقال المأمون: بل أعز الناس من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله إليه وليا عهد المسلمين، حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فردا *. فقال الفراء: يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما من ذلك، ولكني خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، أو أكسر نفوسهما عن شريعة حرصا عليها

وعبد الله بن المبارك ، كان عالم أهل خراسان وواعظها – والعالم والواعظ والمدرس والمعلم والأستاذ كلها ألفاظ متقاربة المفهوم متدانية المعنى ، إذ يراد بها ذلك الذي يعلم الناس من جهل ، ويخرجهم من حرج ، ويهديهم من عمى – وقد نزل ابن المبارك مدينة الرقة على شاطئ الفرات ، وكان إذا خرج التف الناس حوله ، وعظموه من أجل علمه ، وكان بالرقة حينئذ الخليفة هارون الرشيد ، ورأت أم ولد الخليفة هارون الرشيد موكب ابن المبارك ، فسألت : من هذا ؟ قالوا : هذا عالم أهل خراسان ، قدم الرقة ، يقال له عبد الله بن المبارك ! ... فقالت : هذا والله هو الملك ، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان ! ! ..

وعندنا من العالمة المصرية الفاضلة تقية بنت غيث بن علي ، كانت تلميذة للحافظ المحدث أبي طاهر السلفي ، وذات يوم عند أستاذها جرحت قدمه ، فشقت فتاة في داره قطعة من خمارها ، وربطت بها الجرح ، ومدحت تقية بالحادث بعد ذلك ، فارتجلت تقول :

لو وجدت السبيل جدت بخدي ... عوضا عن خمار تلك الوليدة
كيف لي أن أقبل اليوم رجلا ... سلكت دهرها الطريق الحميدة

ولو امتد حبل الاستشهاد في هذا المجال لذكرنا عشرات الأمثلة من هذا القبيل من تاريخنا الإسلامي الجليل !

هكذا كانت العلاقة بين التلاميذ والمعلمين ، وبين الطلاب والأساتذة ! ! ..

أما اليوم فوا أسفاه .. أما اليوم فلا محبة ولا وفاء بين التلميذ والأستاذ في كثير من الأحيان .. إن الطالب قلما يرعى حق أستاذه وهو بين يديه يغترف من علمه وفضله ، فكيف إذا بعد عنه ؟ .. وإن من المدرسين من لا يؤدي حق تلميذه وهو مكلف بهذا الحق « رسميا » كما يقولون ، فكيف إذا تخلص من قيود هذا التكليف « الرسمي » ! ! ..

لقد انفصمت الرابطة الكريمة بين التلميذ ومدرسه ، وفسدت العلاقة بينهما فسادا ينذر بأخطر العواقب ، إذ بدأ التلميذ يسرف في الاعتزاز بشخصيته ، وأخذ يعلو صوته على مدرسه ، ويحتد في تعبيره معه ، ويدخن في حضرته ، ويضع ساقا على ساق في وجهه ، ويصرح أمامه في جرأة بما لا يليق التصريح به – ولو من تلميذ في حضرة أستاذه على أقل

تقدير .. وأخذ الطالب يتمادى فيعصى أمر أستاذه ، ثم تمادى التلميذ فشتم الأستاذ ، ثم زاد جرأة فضربه ، ثم زاد حماقة فأسال دمه ، ثم بلغ قمة الإسراف فأزهق حياته بيده !!

« أريد حياته ويريد قتلى » ! ! ..

أعلمه الرماية كل يوم	فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى	فلما قال قافية هجانى !!

ووصل هذا التطاول إلى محيط أبناء الإسلام ، وظهر فى البيئة الدينية الدينية ، بين الذين ينتظر أن يكونوا غدا مصابيح الظلام وهداة الأنام ، فيا ضيعة الرجاء ويا خيبة المسعى إن كانت النتيجة للتربية والتعليم هى أن تمتد اليد الناشئة إلى الذى رباها وعلمها لتعتدى عليه أو تنال منه !! ..

فأين إذن قول القرآن الكريم : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » ؟.. وأين قول الحكيم : « من علمنى حرفا صرت له عبدا » ؟.. وأين قول الناصح اللبيب : « لا ترم فى البئر التى تشرب منها حجرا » ؟.. وأين قول شوقى :

قم للمعلم وفه التبجيلا	كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أعظم أو أجل من الذى	يبنى وينشئ أنفسا وعقولا ؟

وأين تطبيق ذلك المبدأ السليم الحكيم الذى نردده أو نتذكره ، ولكننا لا نجد موضعه فى القلوب ، أو تأثيره فى النفوس ، وهو قول القائل :

إن المعلم والطبيب كلاهما	لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه	واصبر لجهلك إن جفوت معلما

والعجيب أن هذه الجرأة الزائفة من التلميذ لم يصحبها قوة فى العلم عنده ، ولا اتساع فى المعرفة لديه ، بل نرى أن الذين يسرفون فى الجرأة من التلاميذ هم فى الغالب أقل التلاميذ علما وثقافة ، وكلما اتسع علم التلميذ حسن خلقه ، وتهذبت نفسه ، وحفظ حق أستاذه...

وقد وصل الأمر فى بعض الأحوال أو فى بعض الحالات التعليمية أن الطالب -

بجرأته على أستاذه وقلة احترامه له ـ قد حمل هذا المدرس حملا على عدم الإخلاص في تعليم هذا التلميذ ، وعلى عدم التعب الموصول في سبيل إعداده وتخريجه ، ما كفى المدرس بأداء واجبه إليه أداء آليا « روتينيا » ، وقال المدرس لنفسه : إذا كانت التربة غير خصبة ، وكان الصدر غير رحب ، فليس علي إلا أن أؤدي واجبي في نطاقه الضيق ، ثم ردد قول الأول : « دعوا دار صبية أهله » ، وقول الآخر

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها ... هوانا بها كانت على الناس أهون !

ولا نستطيع أن ننكر أن بعض المعلمين يسرف في القسوة ، أو في الاعتزاز بمكانته كمعلم ، وقد يقضي على شخصية التلميذ ، أو يتحكم فيه تحكما عنيفا ، وهذا خطأ مبين ، فالتلميذ يحتاج إلى الشعور بحنانه وكيانه . والمعلم الناجح هو من يخلط اللين بالشدة ، والرفق بالحزم ، ويكون في تلاميذه صورا من شخصيته ، بدل أن يلغي شخصيات تلاميذه فلا تبقى سوى شخصيته ! ! . .

ونحن لا نضع تبعة هذا الفساد على كواهل التلاميذ وحدهم ، ولا على كواهل المعلمين وحدهم ، وإن كان التلاميذ يبوءون بجانب عظيم من التبعة في هذا المجال ـ فهناك الأوضاع الاجتماعية التي زاد التحرر فيها ، وهناك الانحلال الخلقي في الأسرة ، وهناك انعدام التعاون بين البيت والمدرسة ، وهناك شعور المدرس بأنه لم يأخذ حقه المادي والأدبي ، وهناك انصراف أغلب العناية في التعليم إلى حشد المعلومات وتنمية المعارف دون رعاية كافية للتربية والتهذيب الروحي وغرس الأخلاق الفاضلة ، وهناك ضياع سلطة الوالدين وانعدام هيبة الولد لهما وقلة خوفه منهما ، وما دام الولد مدللا عند أبيه وأمه ، « دلوعة » في بيته وأسرته ، فكيف ننتظر منه أن يحفظ حق معلمه في مدرسته ؟ ! . .

إن موضوع العلاقة بين الأستاذ والتلميذ من موضوعات الساعة التي يجب أن تأخذ حظها من بحثنا وعلاجنا ، ولا شك أن هذا العلاج يشترك في تقديمه ولاة الأمور بسلطتهم ، والآباء بإشرافهم وعنايتهم ، والمدرسون بتوجيههم وحكمتهم ، والتلاميذ بأدبهم وأخلاقهم ، ولعلي بهذه السطور أكون قد فتحت الباب لتقديم هذا العلاج ! ! . . .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

من الهدى المحمدى

روى الإمام البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا».

هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ومن رائع تمثيلاته وصادق توجيهاته وإرشاداته، ضرب لنا فيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مثلا واضحا بليغا يعتبر مدعا فى بابه لم يتفق من مثله ـ فيما أعلم ـ بيان إنسان قط، اللهم إلا صاحب الرسالة العظمى الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى.

وهذا الحديث الشريف يقرر سنة من سنن الله سبحانه فى الكون وأصلا من أصول الاجتماع، وهو تكامل أفراد الأمة وتضامنهم وتعاونهم فى سبيل تثبيت دعائم الحق والخير والفضائل، والقيام على حراسة هذه الأصول والقضاء على أهل الباطل والشرور والرذائل وإلا فلا قيام لحق ولا استقرار لفضيلة ولا دوام لعزة وسلطان.

والمراد بحدود الله: ما نهى الله عنه من المعاصى والمحرمات، والمراد بالقائم على الحدود: الناهى عن المنكرات.

والمراد بالواقع فيها: العصاة وأهل الباطل والإفساد فى الأرض. ومعنى استهموا: اقترعوا. فمثل أهل الحق القائمين عليه وأهل الباطل الواقعين فيه كمثل جماعة ركبوا سفينة توصلهم إلى مقصدهم وغايتهم، وقد اقترعوا على اقتسامها، فأصاب بعضهم ـ وهم أهل الحق ـ أعلاها، وأصاب بعضهم ـ وهم أهل الباطل ـ أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا أحبوا أن يشربوا مروا على من فوقهم فبدا لهم أن يخرقوا السفينة فى نصيبهم كى يستقوا من غير أن يمروا على من فوقهم، فإن تركهم من هم فى أعلاها يخرقون السفينة لم يلبث الماء أن يدخل جوفها فيغرق الجميع، وإن منعوهم وحالوا بينهم وبين ما يريدون نجا من فى أعلاها ونجا من فى أسفلها.

كذلك أهل الحق مع أهل الباطل ، فإن ترك أهل الحق والإصلاح أهل الباطل والمعاصي يفسدون و يملئون الأرض جورا ومنكرات لا يلبثون أن يهلكوا جميعا هلاكا معنويا وحسيا ، هلاكا معنويا بالقضاء على معنوياتهم ومقوماتهم الإنسانية وتدويس فطرهم و إضعاف دواعي الخير والحق في نفوسهم ، وهلاكا حسيا بتقويض بنيان أمتهم وذهاب دولتهم وعزتهم وسلطانهم بين الأمم والشعوب ؛ وإن وقف أهل الحق لأهل الباطل بالمرصاد وقطعوا عليهم سبل الشر والفساد وضربوا على أيديهم بإقامة الحدود أو التعزير والتأديب فقد نجوا جميعا : نجا المفسدون لأنهم لم يجدوا بيئة صالحة لإفسادهم وشرورهم ، ونجا الصالحون لأنهم لم يفرطوا في الأمانة التي ائتمنوا عليها وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحراسة الشريعة والقيام على ذلك ، وبذلك يحفظون على الأمة دينها واستقامتها ، فتبقى قوية البنيان عزيزة المنال ظاهرة السلطان ، وكانت جديرة بنصر الله الذي تكفل بنصر من ينصره وهم أهل الحق والإيمان .

والأمة التي يكون لها من أصفيائها وعلمائها وصالحيها رقابة صادقة على أفرادها ، وهيمنة زاجرة رادعة لأهل المعاصي والشرور والفجور والتحلل من الشرائع والفضائل واستهجان ما يعملون ، والضرب على أيديهم الآثمة ؛ أمة جديرة بالبقاء . أما الأمة التي تنعدم أو تضعف فيها روح المراقبة والسيطرة على سلوك أفرادها ويفشو فيها النفاق ومداهنة أهل الباطل والفسوق والسكوت على مآثمهم ومفاسدهم ، بل ومجاوزة هذا إلى الثناء عليهم واستحسان منكراتهم ؛ فهي — ولا ريب — أمة متداعية ومنهارة ولا محالة إلى الفناء ، سواء في هذا صالحهم وطالحهم وتقيهم وفاسقهم .

وقد أكد المشرع صلوات الله وسلامه عليه هذا الأصل الثابت وعضده السنة الإلهية في غير ما حديث ، روى أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال : يا أيها الناس ، إنكم تقرءون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » . ورضي الله عن الصديق حينا بين لنا أن الآية ليست على ظاهرها كما يلهج بها المغرضون المتربصون ، وإنما هي في أمر بمعروف ونهي عن منكر فلم يسمع له فحينئذ عليه نفسه .

وروى الإمام أحمد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده . فقلت : يا رسول الله ، أما فيهم أناس صالحون ؟ قال : بلى . قالت : فكيف يصنع أولئك ؟ قال : يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان » .

وروى أيضا مرفوعا « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعملون ثم لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب » ومصداق هذا من كتاب الله سبحانه « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة [١] » قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية : « أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب » .

ولو أن الأمة الإسلامية جعلت رقباء من نفسها على نفسها ومن بعضها على بعضها لقلت المفاسد والشرور ، واستقامت الأمور وصلحت الأحوال ولكان المسلمون بحق خير أمة أخرجت للناس لإيمانهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ولكن مما يؤسف له غاية الأسف أن المفسدين وأهل الباطل وجدوا من معظم أفراد المجتمع مداهنة ومجاملة في القيام على حدود الله ، فمن ثم استشرى الفساد واستفحل الداء وضاعت صيحات المصلحين والغيورين سدى وصارت هباء ، ولا عجب إذا كان الله سبحانه ضرب القلوب بعضها ببعض وعمت النقمة والبلاء .

خلق المداهنة والمجاملة في الحق خلق قديم ابتليت به بعض الشعوب في القديم فكان سبب هلاكها وغضب الله عليها ، وهو خلق يهودى متأصل فيهم ، وبسببه أذلهم الله ولعنهم . روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي

---

[١] سورة الأنفال الآية : ٢٥ .

العذاب هم خالدون » . ثم قال : « كلا والله ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا [1] ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم » وهكذا يتبين لك أن خلق المداهنة في الحق أمر لعنته الأديان عامة على لسان موسى وداود وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وأنه سبب الهلاك والدمار واستحقاق اللعنة وسوء العذاب .

وبعد فهل نحن متمسكون بهذا الهدى المحمدي ، وهذا المبدأ الإسلامي العتيد الخالد ؟ الحق أن لا . إن في المجتمعات الإسلامية اليوم انحرافا عن سنن الإسلام وطريقه اللاحب المستقيم : في العقائد ، والفضائل ، والأحكام ، والمعاملات . وفيه حركات ظاهرة وخفية وتيارات فكرية وعقدية ، وهي معاول هدم لصرح الإسلام الشامخ ، وصرح الفضائل الثابتة التي تدعو إليها جميع الأديان . فما موقفنا منها ؟ وما الذي صنعناه حيالها نحن المسئولين عن الإسلام والمسلمين ، حكاما وعلماء وشعوبا ؟ وما مبلغ تطبيق هذا المبدأ الخالد في مصر عصب الإسلام وقلبه النابض وبلد الأزهر الشريف ؟

بالأمس القريب قام رجل كريم من أعضاء مجلس الأمة يدعو دعوة الحق ، يدعو إلى الفضيلة والكرامة والاحتشام والحد من تبرج النساء الذي وصل إلى حد العري الصريح ، ومن الإباحية في الأزياء التي وصلت إلى درجة الابتذال واستعمال المساحيق ونحوها من وسائل الإغراء ، فما مبلغ التجاوب معه من الشعب ؟ وماذا قام به العلماء والمصلحون في تأييد صاحب هذه الدعوة الحقة الكريمة ؟ وما هي الخطوة العملية التي خطوناها في هذا السبيل ؟ وهذه دعوة حقة من عشرات الدعوات الكريمات .

يا قوم ، العمل العمل ، والنجاء النجاء ، قبل أن تغرق السفينة فنكون جميعا ـ والعياذ بالله ـ من الهالكين !!

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[1] أطره على الحق أطرا : عطفه عليه ، وقصره على الحق : حبسه عليه .

المجتمع المختلط

كثر كلام الناس في هذه الأيام – في الصحف وفي دور العلم ، وأقسام الفلسفة ومعاهد تخريج المدرسين والإخصائيين الاجتماعيين منها خاصة – عن الكبت الجنسي ومضاره . وشاع بين كثير ممن يتعاطون الدراسات النفسية – والفرويدية منها خاصة – أن السبيل إلى تلافي الأضرار المتولدة عن هذا الكبت هو اختلاط الذكور بالإناث وتخفف النساء من الحجاب ومن الثياب ، وهو تخفف لا يعرف الداعون إليه مدى ينتهي عنده . ولعله ينتهي إلى ما انتهى إليه الأمر في مدن المرأة التي سكنت فيها المدنية فارتكست إلى الهمجية الأولى . ذلك هو « المجتمع المختلط » الذي يدعون إلى تعميمه في المدارس وفي الإدارات الحكومية وفي المصانع وفي الشركات وفي الأندية والجمعيات . وقد أحدثت هذه الدعوة صداها في التطبيق في بعض هذه الميادين .

والواقع أن هذا الاتجاه هو جزء من اتجاه أكبر وأعم يراد به فرنجة المرأة الشرقية وحملها على أساليب الغرب في شتى شئونها . في الزواج وفي الطلاق وفي المشاركة في العمل والإنتاج في شتى الميادين وفي الزي وفي الحفلات والمراقص ، إلى آخر ما هنالك . وهذا الاتجاه هو بدوره جزء من اتجاه أكبر يراد به سلخنا من أدب إسلامنا وتشريعه ، وإلحاقنا بالغرب في التشريع والأدب والموسيقى والرسم وفي سائر فنون الحياة من جد وهزل والموضوع ذو جوانب متعددة . ولكن أبرز جوانبه ناحيتان : اختلاط النساء بالرجال ، واشتغال النساء بأعمال الرجال . وسأعالج الناحية الأولى منه في هذا المقال ، مرجئا الشق الثاني إلى مقال تال إن شاء الله .

وأخطر ما في هذه الدعوات الجديدة أن أصحابها يلجئون إلى تدعيمها وتثبيت جذورها الغربية في أرضنا بسند من الدين بعد أن يحرفوا الكلم عن مواضعه في نصوصه الشريفة من قرآن أو حديث أو خبر . لذلك رأيت أن أبدأ هذه الكلمة بتقديم طائفة من الآيات القرآنية تبين بشكل قاطع حكم الإسلام الصريح في هذه الأمور .

١ – يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين

يدنين عليهن من جلابيبهن . ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين . وكان الله غفورا رحيما ــ الأحزاب ٥٩ » .

تأمر هذه الآية النساء بإطالة الثياب وإدناء بعض أطرافها من البعض الآخر ، حتى تستر الصدور والظهور والأذرع والسوق . وتصرح بالحكمة في ذلك ، وهو تمييز الأحرار من النساء وتركهن بمنجاة من أذى الذين يتعرضون للبغايا والقينات ، لأن التبرج والتبذل بما يكون في مثل ذلك الريب ويطمع الفساق في التعرض لهن وإيذائهن في أعراضهن بالأقوال أو الأفعال .

٢ ــ ويقول تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم . إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ــ النور ٣٠ ، ٣١ » .

تأمر هاتان الآيتان الرجل والمرأة كليهما بغض البصر عن رؤية أحدهما الآخر ، وتردف الأمر بالمحافظة على العفاف مع الأمر بغض البصر ، كأن النظر هو سبيل التفريط في العفة . ثم هي تأمر المرأة بأن تحرص على ستر مواضع الفتنة والأنوثة منها وعدم إثارتها بأدوات الزينة والتجميل المختلفة أو الثياب الضيقة أو الشفافة أو الحركات الخليعة التي تدفع صوب ما تخفى به من حلي ، كما تأمرها أن تغطي رأسها بخمار وأن تضرب بفضوله على صدرها لتستر فتحة ثوبها . ولا تبيح الآيتان للمرأة أن تتخلى عن هذا الحجاب إلا في حضرة الذين لا تثيرهم مفاتنها من المحارم أو الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أو ناقصي الذكورة من الرجال الذين لا أرب لهم في النساء . وتكشف الآية الأولى عن الحكمة فيما تطلب إلى المؤمنين من غض الأبصار ، فتقول إنه أدعى إلى تزكية النفس وتطهيرها ، والسمو بها عن مواطن الدنس . وتقول المرتابين في صدق هذا الأمر وحكمته : إن الله خبير بطبائع خلقه وبما يصنعون من أنفسهم . وتختم الآيتان هذه الحدود المرسومة بدعوة

المؤمنين جميعا إلى أن يعودوا إلى طريق الله بعد أن تاهت بهم عصف الشهوات ودعوات المضلين ، لأن التزام طريق الله هو سبيل الفلاح والنجاح .

٣ — يقول تعالى : (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن ، والله سميع عليم — النور ٦٠) .

أما هذه الآية فهي لا تبيح التخفف من بعض الثياب (كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار) إلا للطاعنات في السن ممن ذهب رونقهن وزهدن في الزواج ، ولم يعد مثل هذا الصنيع منهن يثير الخواطر ، ومع ذلك فهن مأمورات بأن يلزمن جانب الحشمة فلا يبدين ما يتكشف من زينة ، وتحض الآية على التزام القصد فيما أبيح لهن ، وتصف الاحتشام أمام الغرباء بالعفة حيث تقول (وأن يستعففن خير لهن) .

٤ — يقول تعالى : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا — الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣) .

الحديث في هاتين الآيتين موجه إلى نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يتضمن أمرهن بأن يلزمن بيوتهن ، ولا يصنعن صنيع الجاهليات في التبرج ، وبأن يقتصدن في محادثة الرجال إذا دعت إليه ضرورة فيأخذن به مذهب الجد والحزم والإيجاز ، وبأن يقمن شعائر الدين من صلاة وزكاة ويرعين حدود الله ، وتعلل الآية ذلك كله بأنه سبيل الطهارة والبعد عن مظان الريبة وإطماع مرضى القلوب .

وقد يظن بعض الناس أن توجيه الحديث في هاتين الآيتين إلى نساء الرسول صلى الله عليه وسلم يعني أنهن قد خصصن به دون سائر المسلمات ، وأن حكمه لا يتعداهن إلى غيرهن ، وهو خطأ ظاهر ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو قدوة المسلمين ومثلهم الأعلى ، ونساؤه قدوة المسلمات ومثلهن الأعلى ، والله سبحانه وتعالى يقول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا — الأحزاب : ٢١) . فإذا كان هذا هو الأحوط وهو الأطهر وهو الأدعى إلى إذهاب الرجس عن بيت

سيدنا رسول الله وهن نساؤه الطاهرات رضوان الله عليهن ، فلا شك أن عامة المسلمات – وهن أبعد عن العصمة جداً – أحوج إلى الأخذ به والتزامه ، وإذا كانت إلانة القول وإطالته في غير موجب من جانب نساء الرسول – وهن أمهات المؤمنين – مظنة إطماع مرضى القلوب فكيف يكون الحال بالقياس إلى سائر المسلمات اللاتي لا يعصمهن من أسباب العصمة وورود الشر ودفع الإطماع والإغراء ما كان يحيط نساء الرسول صلى الله عليه وسلم .

٥ – يقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم ، والله لا يستحيي من الحق ، وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا . إن ذلكم كان عند الله عظيما – الأحزاب ٥٣) .

هذه الآية خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم أيضا ، وهي تنبه المسلمين إلى أن يخففوا عنه زيارته والإلمام بيته ، وأن لا يثقلوا بمدة الحديث بعد قضاء حاجاتهم أو تناول ما دعوا إليه من طعام . كما تأمرهم إذا احتاجوا إلى طلب شيء من نساء الرسول أن يكون حديثهم إليهن من خلف ستار يحجب كلا منهم عن الآخر ، وتعلل الآية الكريمة ذلك بأنه أدعى إلى طهارة الطرفين وأحوط في تجنب أسباب الفتنة . وليت شعري إذا كان نساء النبي – وهن من هن – وصحابة رسول الله – وهم من هم – مأمورين بذلك ، فكيف لا نكون نحن مأمورين به ؟

٦ – يقول تعالى : (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، والله أعلم بإيمانكم ، بعضكم من بعض ، فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان . فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب . ذلك لمن خشي العنت منكم ، وأن تصبروا خير لكم . والله غفور رحيم . يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفا – النساء : ٢٥ إلى ٢٨) .

المخاطبون بهذه الآيات هم الذين لا تساعدهم ظروفهم المالية على الزواج ودفع مهور الحرائر من النساء . والآيات تبيح لمن لا يستطيع الصبر من هؤلاء أن يتزوج من الإماء بعد أن يدفع مهورهن إلى مواليهن . وتنهى عن أن يكون سبيل التنفيس عن شهوات الذين لا يجدون إلى صيانتها سبيلا هو الزنا بهؤلاء الإماء أو عقد الصلات معهن في السر واتخاذهن عشيقات أو صديقات - على ما يحلو لبعض الناس في هذه الأيام أن يسميهن تقليدا لمذهب الفرنجة في تسميتهن (girl friends) . ولكنها تنصح لهم بالصبر حتى لا يجنوا على أولادهم من هؤلاء الإماء بجعلهم أرقاء . ويقول الله تبارك وتعالى إن (الصبر خير) ، فيما يسمى الضر ويعيبون الصبر وضبط النفس والتحكم في الرغائب والشهوات كلها . ويرتبون على هذا السلوك ما شاءت لهم شياطينهم من الأمراض النفسية . فليختر المسلمون لأنفسهم بين الكفر والإيمان، وبين ما أوحى الله إلى نبيه وما أوحت شياطين الجن إلى شياطين الإنس .

وتختم الآيات هذا الحديث بأن الله سبحانه وتعالى عليم يعرف حقائق شئونكم ودقائقها حكيم يضع الأشياء في مواضعها . فهو - سبحانه وتعالى - يرشدكم إلى سبيل الطهارة والعزة ويبين لكم طريق الرشاد والصلاح، ويعفو عن الصغائر منكم وييسر لهم ما يحتملون ولا يكلفهم ما لا يطيقون . يريد الله سبحانه وتعالى أن يعود بكم إلى طريقه الواضحة الخيرة والمنقذة من الضلال ، بينما يريد الذين يتبعون الشهوات أن يميلوا بكم عن طريق الهداية والنجاة ميلا عظيما .

هذه جملة من الآيات صريحة الدلالة فيما تأخذ به المسلمين والمسلمات فهي تأمرهم :

(١) بستر جسم المرأة كله - ومنه شعر الرأس - وتجنب إبداء المفاتن والتبرج أمام الغرباء من غير المحارم .

(٢) تجنب التسكع في الطرقات والتبرج فيها في غير حاجة، وبالاستقرار والاكتنان في البيوت .

(٣) تجنب التحدث إلى الرجال ، فإذا دعت إلى ذلك ضرورة فليكن بين الرجل والمرأة ستار ، وليكن الحديث أميل إلى القصد ، وعلى قدر ما تقضي به الضرورة .

(٤) بغض البصر عند التقائه بالرجال (والرجال مأمورون بمثل ذلك عند التقاء نظرهم بالنساء) .

(٥) بالزواج لمن استطاعه ، وبالصبر وضبط النفس لمن أطاقه ، وبالزواج من الإماء لمن لا يطيق الصبر ولا يجد مهر الحرائر . أما اتخاذ الخليلات ومقارفة البغايا فهو محرم يحظر منه الدين .

ولا أظنني محتاجا بعد ذلك كله إلى إطالة القول في أن التزام هذه القواعد التي يأمر بها الشرع أمر قاطع لا يدع مجالا للتوفيق بين إسلام المسلمين ، وبين مذاهب دعاة المجتمعات المختلطة في شتى صورها وأشكالها .

هذا هو حكم الدين لمن أراد أن يتبعه ، وتلك هي حدود الله لمن أراد أن يلتزمها . وذلك هو الخير كل الخير لمن أسلم وجهه لله وآمن بالكتاب كله ، لا يحكم هواه أو أهواء الذين يضلون بغير علم ممن يتبعون الظن ، فيأخذ ببعض ويدع بعضا ، ولا يطلب دليلا على ما أمر به ولكنه ينقاد ويلبيه سواء ظهر له وجه الخير فيه أو خفي عنه . لأن الدين يقوم على مجموعة من المسلمات يلتقي عندها الناس على اختلاف أفكارهم وأمزجتهم وبيئاتهم ، فيصبحون في اتحادهم أمة واحدة ، ويصبحون مع تعددهم كالفرد الواحد وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ويصبحون في توادهم وتراحمهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وذلك هو أقصى ما يطمح إليه التفكير السياسي من التماسك والتآلف والاستقرار والاطمئنان .

أما الذين لا يلزمون أنفسهم حدود الله ، ولا ينقادون لما أمر به فلنا معهم حديث آخر . وإلى هؤلاء نقول :

قد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون جميع خلقه من ذكر وأنثى . نجد ذلك في الحيوان وفي النبات وفي الظواهر الطبيعية كالكهرباء والمغناطيس ، ونجده في الكرة الأرضية نفسها ، فأحد قطبيها سالب والآخر موجب ، ونجده في أدق دقائق الخلق وأضعف وحداته ، وهي الذرة . « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون – يس ٣٦ » ومن طبيعة الأزواج في كل هذا الخلق أن تتجاذب ، فالذكر والأنثى في النوع الواحد يتجاذبان حتما حسب ما بنى الله عليه طبيعة كل منهما وحسب ما هدى إليه من فطرة ، وسبحان الذي « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى – طه : ٥٠ » . فميل الرجل للمرأة وميل المرأة للرجل إذن هو جزء من قانون عام اقتضته حكمة الله سبحانه ، لا سبيل إلى تجنبه أو إنكاره . وليس من المطلوب ولا هو مما يرغب فيه ويسعى إليه أن يضعف هذا الميل أو يعمل على إضعاف حدته .

ثم إن إطلاق الأمر في تجاور الرجل والمرأة واختلاطهما لا يخلو من أحد أمرين :
فهو إما أن يؤدي إلى إثارة الشهوة الجنسية وزيادة حدتها، أو يؤدي إلى إضعافها وكسر حدتها. فإذا كان الاختلاط مؤديا إلى تجاذب الذكر والأنثى عن مركب في طبيعة كل منهما ولم تكن هناك حدود لهذا الاختلاط أو نظام مرسوم تحول الأمر إلى فوضى لا ضابط لها ومن ذلك يشيع الأذى بين الناس فشيوع الأمراض التي قدر الله سبحانه أن يضرب بها الذين يقربون الفاحشة من الزناة، ويفسد المجتمع ويضطرب نظامه وتتمزق شمل جماعته ويموج بعض الناس في بعض، فتكثر الأحقاد والضغائن بين الآباء الذين أوذوا في بناتهم، والأزواج الذين أوذوا في نسائهم، والأولاد الذين أوذوا في أمهاتهم، وبين المتنازعين والمتنازعات والمتنافسين والمتنافسات عن العشيق الواحد والعشيقة الواحدة. وذلك كله مما لا خير فيه، ومما لا تسعى إليه جماعة من الناس تنشد الوحدة والطمأنينة والسلام، ولا تسلك سبيلا تظن أنه يؤدي إليه. ذلك هو أحد الفرضين.

أما الفرض الآخر فهو أن التجاور بين الرجال والنساء وكثرة اللقاء بينهم وبينهن أفرادا وجماعات موجب لإضعاف التجاذب بخفوت صوت الشهوة الجنسية وإضعاف حدتها أو تحويلها عن وجهها وإعلائها، على ما يزعمه الزاعمون من بعض الباحثين في علم النفس، الداعين إلى تهذيب الغريزة الجنسية أو التنفيس عنها، ومعنى هذا أن يجد كل من الذكور والإناث لذتهم في مجرد الاستمتاع بالحديث والنظر، وأن طول التجاور والتقارب يولد في نفوسهم ونفوسهن شيئا من الإلف لا تثور معه الرغبة في استمتاع جسد الواحد منهم بجسد الجنس الآخر عند رؤيته، بل مع قربه منه وملاصقته له، وذلك كله أمر معقول ومحسوس يؤيده المنطق والتجربة، لأن إلف النفس الشيء وتكرار اعتيادها إياه يضعف أثره فيها، فالذي يطيل المكث في مكان عفن نتن يفقد الإحساس بعفنه ونتنه على مر الزمان، والذي يدمن شم رائحة زكية يفقد الإحساس بطيبها بعد وقت قصير أو طويل، والذي يتعود لمس الأجسام الساخنة أو الشديدة البرودة يفقد الإحساس بحرارتها أو برودتها مما لا يطيقه غيره من الذين لم يتعودوا ممارسة ذلك.

وكذلك الشأن في الرجال والنساء. فالذين يسكنون المدن من الرجال لا يثير غرائزهم الجنسية رؤية أنواع النساء وسفورهن وصورهن، بل إن بعضهم قد لا يثيره رؤية الجسد عاريا معروضا في أكثر الأوضاع إغراء على شواطئ البحر في الصيف أو في مراسم

الرسامين من هواة رسم الأجساد البشرية العارية ، وفي هؤلاء الرجال من كان يعيش في الريف من قبل ، وكان مثير شهوته مجرد الاستماع إلى صوت المرأة أو مجرد النظر إلى وجهها أو يدها أو رجلها ، فضلاً عن محادثتها أو مصافحتها . تلك أمور صحيح تثبته التجربة ويؤكده الواقع ، والذي يذهب إليه دعاة تهذيب الشهوة صحيح من بعض نواحيه ، وإن كان كثير من الشهوات الجامحة الجارفة يستعصي على الترويض وينطلق إلى العنف والافتراس ويفلت زمامه من المروضين ، والغالب الظن أن إدمان الخضوع للتجربة على تعاقب الأيام قد ينتهي إلى ما يريده المروضون من دعاة التهذيب ، ولكن أي شيء يمكن أن يسمى هذا الذي يسعون إليه ويبذلون الجهود لتحقيقه ؟ أليس هذا هو البرود الجنسي عينه ؟ إذا رأى الرجل المرأة فلم يثر به هذا اللقاء ما يثور عادة في الرجال عند رؤية المرأة ، وإذا رآها بعد ذلك عارية الأذرع والسوق والصدور والظهور بارزة النهود والأوراك فكان قصارى ما يلتذ به هو الحديث والنظر ، ولم يستتبع هذا الحديث والنظر أي اندفاع أو رغبة في ممارسة الصلة الجسدية ، وإذا تشابكت الأذرع بالأذرع والتصقت السوق بالسوق ولامست الأجساد الأجساد صدراً لصدر وبطناً لبطن ثم لم يطرأ على الرجل أي تغير جنسي جسدي ، وكان قصارى ما يستتبعه ذلك كله هو أن تسري في جسده نشوة لا تدفع به إلى الحالة الإيجابية العضوية ، أليس يكون قد بلغ عند ذلك ما يسمى بالبرود الجنسي ؟ وهو عند ذلك برود مزدوج يشمل الطرفين كليهما الرجل والمرأة ، ثم ، أليس البرود الجنسي مرضاً يسعى المصابون به إلى الأطباء يلتمسون عندهم الطب والشفاء من أعراضه ؟ ، كيف إذن نجعل هذا المرض غاية من الغايات نسعى إليها باسم التنفيس عن الكبت أو تهذيب الغريزة الجنسية ؟ وكيف يكون الحال لو تصورنا هذا الناموس ـ ناموس تجاذب الذكور والإناث ـ وقد « تهذب » في سائر خلق الله ، فبطل تجاذب السالب الموجب ، أو فتر ، فأصبح من غير المؤكد أن يترتب على التقائهما الحرق الشديد والميل العنيف الذي لا يقاوم إلى الاندماج الكامل ؟ أليس يفسد الكون كله ؟ (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن . بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ـ المؤمنون : ٧١) .

ثم إن هذا البرود الجنسي متفاوت الدرجات ، يختلف قوة وضعفاً باختلاف درجات التحصنات في الأخذ بمبدأ المجتمع المختلط ورفع الحواجز بين الذكران والإناث ، ولكنه ـ في غير الحالات المرضية الشديدة التي تعرض النوع البشري لخطر انقطاع النسل ـ

يستتبع نتيجتين خطيرتين : ضعف النسل وتخلفه وانحطاط خصائصه ، وانتشار الشذوذ الجنسي واستفحال دائه .

أما النتيجة الأولى فهي ترجع إلى أن حدة الشهوة وقوتها تميل إلى ضعف النسل ودافعيه إلى تدهور خصائصه وانحطاط صفاته ، ومما يتفق مع هذا المذهب في النتيجة – وإن اختلف معه في التعليل – ما يذهب إليه علماء من التنبيه إلى خطر زواج الأقارب ومضاره (١) . ويؤيده تأييدا قويا تحريم الشريعة الإسلامية زواج أخوات الرضاعة ، فإن الواضح أنه مبني على اعتبار الغرباء الذين لا تربطهم قرابة الدم متى تجاوروا حتى ازداد إلف أحدهما للآخر في حكم أقرباء الدم ، هذه حقيقة معروفة تقنع بها المشاهدة وتجارب الأجيال المتعاقبة ، وتؤيدها الشرائع السماوية ، وهي تشمل الإنسان والحيوان على السواء . ومن مظاهر تطبيقها على الحيوان إبعاد الذكور عن الإناث وعدم السماح باختلاطها إلا عند التلقيح . ومن علامات تحققنا فيما أوجبه انحطاط خصائص الجنس البشرى في المتوحشين من العراة الذين لا يزالون يعيشون في الغابات والأدغال على حال تقرب من البهيمية ، فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا ، ويستطيع المراقب لحالهم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت

---

(١) علماء الوراثة لا يعترفون أن قوة الشهوة أو ضعفها هي العلة في قوة النسل وضعفه ، لأنهم يردون قوانين الوراثة إلى عوامل مادية خالصة ، ويزعمون أن ما يسمونه الكروموسومات بما تحتوي عليه من الجينات التي تصور الخصائص الخلقية هي وحدها التي تتحكم في الوراثة ، بما تحمله النباتات والحيوانات المنوية منها ، فتنتقل بعض هذه الصفات والخصائص من الأسلاف إلى الأبناء والأحفاد حسب قوانين معينة رسموها . ولكن علماء الوراثة مع ذلك يعترفون بأن الجينات لا تزال تكون شيئا افتراضيا لم يره أحد ، ولا يمكن تحديد عددها في الكروموسوم الواحد أو وصفها أو بيان خصائصها . هذا بل أن مزعمهم هذا لا يستقيم مع كثير من الظواهر التي لا يمكن حلها على أساسه ، مثل ظواهر الوراثة المتصلة بالأرحام ، ومثل ظواهر الوراثة بالتأثير ، ومثل وراثة الحالات العارضة وقت التلقيح ، ومثل قانون وراثة الصفات الخارجة عن المعتاد . على أن بعض علماء الوراثة من أنكر نظرية الكروموسومات التي يترتب عليها عدم قابلية الصفات المكتسبة للوراثة ، مثل ليسنكو Lysenko . على أن علماء الوراثة جميعا يعترفون بما يسمونه (الطفرة) ، كما يعترفون بعجزهم عن تعليلها ، وبقصور قاعدة (الكروموسومات) المادية عن تعليلها ، بل ومناقضتها لها ، وموضع الضعف في كل النظريات التي يكتشفها الباحثون أن أصحابها يظنون حين يطلعون على بعض الحقائق والأسباب أنهم قد أحاطوا بكل الحقائق والأسباب ، وذلك ما لا يحيط به إلا الله وحده سبحانه وتعالى ، ثم إنهم لا يقرون إلا بما يخضع للحس والتجربة .

مساحة الأعضاء التكاملية من أجسادهم . كما يستطيع أن يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقرى درجة درجة حتى تنتهي إلى العرى الكامل في مدن الغرب ، التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة .

وقد أدرك قدماء العرب ذلك بالتجربة والملاحظة ، فوصف أبو كبير الهذلي فارسا عربيا مشهورا من صعاليك العرب – وهو تأبط شرا – بأن أمه قد حملت به وهي أشهى ما تكون إلى زوجها ، حين لم تكن مرضعا ولم تكن في أعقاب حيض ، حتى لقد صور إياه في هياج شهوته وكأنه قد اغتصب أمه اغتصابا وأخذها غلابا ، وذلك حيث يقول (١) :

ممن حملن به وهن عواقد ... حبك النطاق فشب غير مهبل
ومبرأ من كل غبر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل
حملت به في ليلة مزءودة ... كرها وعقد نطاقها لم يحلل
فأتت به حوش الفؤاد مبطنا ... سهدا إذا ما نام ليل الهوجل

وأدرك ذلك أيضا الإمام الجليل أبو حامد الغزالي ، فجاء في كتابه «إحياء علوم الدين» من بين ما سرده في الخصال المطلوبة لعيش الزوجين قوله :

«ثامنا : أن لا تكون من القرابة القريبة ، فإن ذلك يقلل الشهوة . قال صلى الله عليه وسلم (لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا) . وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة ، فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس ، وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد . فأما المعهود الذي دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ، ولا تنبعث به الشهوة » .

أما النتيجة الثانية الخطيرة لشيوع البرود الجنسي وهي انتشار الشذوذ واستفحال دائه فهي راجعة إلى أن الرجل الذي ألف أن يقع نظره على مفاتن المرأة بلا ستور ، يحتاج

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١ : ٨٤ – ٨٦ ط مصطفى محمد ١٣٥٧

(٢) ج ٢ ص ١٣٢ – ١٣٣ ط لجنة نشر الثقافة الإسلامية ١٣٥٦ .

لكي ينزو إلى مناظر وأوضاع تخالف ما ألف . ثم إن إصابته بالبرود تحرمه لذة من أكبر اللذائذ ، ومتعة من أعظم ما ينطوى عليه الحرص من المتع ، وهي متعة تسكن عندها النفس ويطمئن القلب ويستقر الاضطراب . ومصيبته هذه بالبرود الجنسي تحرمه من الإحساس بذكورته فيعانى أشد الألم مما يحسه فى أعماق نفسه من الذلة والمهانة . ويدفعه ذلك كله إلى أن يحاول تحقيق متعة الاتصال الجنسي ويتذوقها من كل الوجوه ، عن طريق التنقل بين الخليلات وبالتماس الهوى والتماس الشاذ الغريب من الأساليب والأوضاع ، رجاء استحثاث ما ركد من ذكورته . وقد تدفعه مع ذلك إلى إغراق نفسه فى المخدرات تعويضا لما فقده من لذة ، أو إلى الإجرام أو المقامرة إثباتا لذكورته من وجه آخر . ومثل هذا الشذوذ يشمل المرأة والرجل على السواء ، لأن البرود الجنسي الذي يؤدي إليه هذا الاختلاط - بل الذي يسعى إليه دعاة الاختلاط - برود ذو شقين ، لا يحقق ما يزعمونه من أهداف إلا إذا شمل الذكر والأنثى ، فانعدمت الرغبة الجنسية الحادة فى الطرفين كليهما عند اللقاء وعند اللعب وعند المداعبة والمراقصة . ويستطيع القارئ أن يتتبع هذه الظاهرة فى المجتمع الغربي ليتبين آثارها المدمرة فيه ، وهي آثار لا مفر منها من مثل مصير الذين خلوا من الباغين « ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

وأنا أعلم أن كثيرا من الناس لا يقع منهم الدليل موقع الإقناع إلا إذا نسب إلى الغرب . وإلى هؤلاء أسوق بعض ما نقلته صحف لا تتهم عندهم بالرجعية عن علماء الغرب وهيئاته . فمن ذلك ما نقله المصور (العدد ١٦٨٩ ص٤) عن الأستاذ بيتيريم ساروكين مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفارد فى كتاب له صدر أخيرا بعنوان (الثورة الجنسية) ، حيث يقرر أن أمريكا سائرة بسرعة إلى كارثة فى الفوضوية الجنسية . كما يقرر أنها متجهة إلى الاتجاه نفسه الذي أدى إلى سقوط الإمبراطورية الإغريقية ثم الإمبراطورية الرومانية فى الزمان القديم . ويقول فى ذلك الصدد : (إننا محاصرون من جميع الجهات بتيار مطرد من الجنس يغرق كل غرفة من بناء ثقافتنا وكل قطاع من حياتنا العامة . وهذه الثورة التي تمر بنا آخذة فى تغيير حياة كل رجل وكل امرأة فى أمريكا أكثر من أي ثورة أخرى فى هذا العصر .

ومن ذلك ما جاء فى صحيفة « الأخبار » (عدد ٢٦ محرم ١٣٧٧ ص ٣ تحت عنوان : عالم أمريكي يقول : إن المرأة الأمريكية باردة) حيث نقلت ما صرح به الدكتور جون كينلر أحد علماء النفس الأمريكيين فى شيكاغو ، حيث قال : إن (٩٠ فى المائة من

الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي ، وأن ٤٠ في المائة من الرجال مصابون بالعقم . وقال الدكتور : إن الإعلانات التجارية التي تعتمد على صور الفتيات العارية هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الأمريكي) .

ومن شاء المزيد فليرجع إلى تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية لتحقيق جرائم الأحداث في أمريكا ، والذي نقلته مجلة « التحرير » (العدد ٢٢٤ تحت عنوان : أخلاق المجتمع الأمريكي منهارة) . وهو يشير إلى ارتفاع نسبة تعاطي المخدرات بين الأحداث ، وانتشار الحانات التي تقدم الخمور وكتب الجنس وقصص الجنس وأفلام الجنس ، وانتشار نوادي العراة بكثرة عجيبة على الشواطئ الشرقية خاصة) ومن شاء فليرجع كذلك إلى تقرير اللجنة التي شكلها مجلس العموم البريطاني للتحقيق في مشكلة الشذوذ الجنسي ، فانتهت من بحثها إلى اقتراح إباحته بعد الواحدة والعشرين ، وقد نشرته صحيفة « الأخبار » منذ شهرين تقريبا .

ثم أحببت في آخر الأمر أن أضع بين يدي القارئ مقتطفات من خطة الصهيونية الكبرى للسيطرة على العالم عن طريق هدم كل ما به من قوى ، التي اكتشفت مخطوطتها وذاع سرها للمرة الأولى في أواخر القرن التاسع عشر ، وهي الخطة المشهورة باسم « بروتوكولات حكماء صهيون » فقد تعين على تدبر بعض ما ذكرته .

جاء في البروتوكول الأول : (يجب أن ننظر إلى أولئك السكارى الذين قد تبلدت أذهانهم بفعل الخمر . إن الحرية أتاحت لهم هذا الإفراط والإدمان . . إن الشعب الذي للمسيحيين أصبح متبلد الذهن تحت تأثير الخمر ، كما أن الشباب قد انتابه العته لانهماكه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللائي يعملن في بيوت الأثرياء ، والموظفين والنساء اللائي يعملن في أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف) .

وجاء فيه أيضا : (لقد كنا أول من صاح في الشعب فيما مضى « بالحرية والإخاء والمساواة » تلك الكلمات التي راح الجهلة في أنحاء المعمورة يرددونها بعد ذلك دون تفكير أو وعي . . . إن نداءنا « بالحرية والمساواة والإخاء » اجتذب إلى صفوفنا من كافة أركان العالم ، وبفضل أعواننا ، أفواجا بأكملها لم تلبث أن حملت لواءنا في حماسة وغيرة . وكانت هذه الكلمات - في ذلك الوقت - تسيء إلى الرخاء السائد لدى المسيحيين وتحطم

سلمهم وحريتهم ووحدتهم ، عاملة بذلك على تقويض دعائم الدولة . وأدى ذلك العمل إلى انتصارنا) .

وجاء في البروتوكول الثاني : (.. أما غير اليهود فإنهم لا يستفيدون من تجارب التاريخ التي تمر بهم ، ولكنهم يتمسكون بنظريات روتينية دون تفكير في النتائج التي قد يسفر عنها هذا المسلك . لذلك فنحن لا نعير غير اليهود أية عناية . فليلهوا ما طاب لهم اللهو حتى ينقضي الوقت . وليعيشوا على أمل ملذات جديدة أو في ذكرى متع سالفة . وليعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا بها إليهم ذات أهمية قصوى . فبهذا الاعتقاد الذي تؤكده صحافتنا نزيد من ثقتهم العمياء في هذه القوانين .. يجب أن لا يكون هناك اعتقاد في أن مناهجنا كلمات جوفاء . فنحن الذين هيأنا لنجاح داروين وماركس ونيتشه [١] ، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التي تركتها هذه النظريات في أذهان غير اليهود) .

وجاء في البروتوكول الرابع : (إن لفظة الحرية تجعل المجتمع في صراع مع جميع القوى ، بل مع قوة الطبيعة وقوة الله نفسها .. على أن الحرية قد لا تنطوي على أي ضرر ، وقد توجد في الحكومات وفي البلاد دون أن تسيء إلى رخاء الشعب ، وذلك إذا قامت على الدين والخوف من الله والإخاء بين الناس المجرد من فكرة المساواة التي تتعارض تماما مع قوانين الخليقة ، تلك القوانين التي نصت على الخضوع ، والشعب باعتناقه هذه العقيدة سوف يخضع لوصاية رجال الدين ويعيش في سلام ويسلم للعناية الإلهية القائمة على الأرض ، ومن ثم يحتم علينا أن ننتزع من أذهان المسيحيين فكرة الله والاستعاضة عنها بالأرقام الحسابية والمطالب المادية) .

وجاء في البروتوكول الخامس : (ولكي نصل إلى الرأي العام يجب بادئ ذي بدء أن نربكه تماما بسماعه من كل جانب وشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق في تيههم ، فيدركون حينئذ أن أقوم سبيل هو أن لا يكون لهم أي رأي في الشئون السياسية . والسر الثاني اللازم لنجاح حكومتنا يقوم على مضاعفة الأخطاء

[١] من المعروف أن فرويد رأس الزعامة النفسية الحديثة التي أدت إلى ما سماه العقل الباطن ، والتي تجعل الغريزة الجنسية محور الشخصية الإنسانية يهودي ، بل إنه كان صورة متعصبة للعنصر اليهودي لم يكن يختار مساعديه وأعوانه إلا منهم .

التي ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية في البلاد لدرجة يتعذر معها التفكير تفكيراً عقلياً وسط تلك الفوضى . وسوف تساعدنا تلك السياسة كذلك على بث الفرقة بين جميع الأحزاب وعلى حل الجماعات القوية وعلى تثبيط عزيمة كل عمل فردي يمكن أن يعرقل مشروعاتنا) .

وجاء في البروتوكول الثامن : (لا يتيسر إسناد المناصب الرئيسية في الحكومة إلى إخواننا اليهود ، فإننا سنسند المناصب المهمة إلى أناس من ذوي السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة ، أو إلى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم في السجون إذا ما حاولوا دون تنفيذ أوامرنا ، والغرض من هذا هو إرغامهم على الدفاع عن مصالحنا حتى النفس الأخير) .

وجاء في البروتوكول التاسع : (ولكن معظم التنظيمات التي أقامها غير اليهود جاهلاً ، فإننا قد وضعناها تحت رقابتنا وأمسكنا بأطراف أجهزتها ، فقد كانت الأجهزة تسير في الماضي بنظام صارم ولكنه عادل ، فأحللنا محله نظاماً متحرراً غير منتظم ، ووضعنا يدنا على التشريع ، وعلى المناورات الانتخابية ، وتحكمنا في إدارة الصحافة وفي نمو الحرية الفردية ، والأهم من ذلك كله إشرافنا على التعليم وهو المعول الرئيسي للحياة الحرة) .

وبعد ، فإني أسوق هذا الحديث إلى دعاة المجتمع المختلط في المدارس وفي الجامعات وفي الأندية والمجتمعات ، وفي المصانع والمتاجر ، وفي إدارات الحكومة ومصالحها ، وفي المعسكرات والمهرجانات ، حيث تعرض أجساد الغانيات وأفخاذهن وأذرعهن ومفاتن أجسادهن في ثيابهن وتتيه باسم الرياضة والفن ، والتي انتهت أخيراً إلى إجراء مسابقات للسباحة في الجامعات تظهر فيها الطالبات عاريات إلا من زي الشاطئ الذي لا يستر من العورات إلا ما يضاعف فتنته وإغراءه ، وذلك على مشهد من الأساتذة والطلاب في منشآت الجامعات الرياضية ، إلى هؤلاء جميعاً أسوق الحديث ، ثم إني أرجئ الشطر الآخر من الموضوع ، وهو الخاص باشتغال المرأة بأعمال الرجال مما جرى عرف بعض الناس في هذه الأيام على تسميته « حقوق المرأة » إلى حديث تال إن شاء الله .

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

عروة بن الزبير

٢٢ — ٩٣

ما أشد حرصي لك أن تنظر في تاريخ رجالات الإسلام ، وعلمائه الأعلام ، ولا سيما مثل هذا التابعي الجليل الذي احتاط العلم والإيمان بجنبه ، وهو مثل في التمسك بالرجولة وصفاء النفس . فلطالما تقطعت دونه أعناق المدعين المستكبرين من قادة الغربيين وكبار الموجهين فيهم ، فلم يلحقوا قليلا منه . وما أكثر نظرائه من رجالات الإسلام أمثال سعيد بن المسيب والحسن البصري وابن سيرين وعلي زين العابدين ومحمد بن الحنفية ومن قبلهم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وما أكثرهم من أمثال ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وكثير غيرهم ممن وقفنا بهم على صفحات هذه المجلة أو بأمثالهم ثم أفردنا لهم كتابا تسجل فيه مفاخرهم ، وما كان لهم من مزايا وصفات فهيهات أن يظفر بها إلا من أخذ هذا الدين بأخذه وهداه الله لفضل ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .

هذا ليعلم الشرق والغرب وكل عاقل منصف أن الإسلام بشريعته الرفيعة ، وتوجيهاته السامية فتح على الإنسانية ثروة ثرة للبشرية لن ينضب معينها حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وأنه دين جدير أن يسمو بالنفوس عن الشر والحسد وأن يخرج النفوس من بؤر الشهوات ، وأوجار الحيوانات ، وأعشاش الظلمات ، إلى حيث النور الساطع ، والضياء الثاقب ، والأحصاب السماوية في تلك النفوس الكريمة الملكية ، وإلى حيث الربانية الحق ، قد انسلخت من استعباد المادة ، وقيودها العقيمة الحنظل ، إلى حيث الروح الذي وسع كل شيء ، وقدر على كل شيء ، وأتى بالمعجزات ، وحير الكائنات .

وعروة بن الزبير تابعي من أئمة التابعين وكبارهم ، وابن صحابي من خيرة الصحابة وأمجادهم وأفرادهم ، وصحابية من أعرق الصحابة وأفقههم وصلاحهم ، فهو في شرف النسب في الغاية التي قل أن تدركها إلا متصلا من الله سبحانه : أبوه الزبير بن العوام الذي كان من أسبق السابقين إلى الإسلام ، فكان رابع أربعة فيه واشتهر بأنه لم يعبد الحجر ولم يقارف الشرك كابن خاله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وبأنه أول من سل سيفا في الإسلام

دفاعا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبأنه حواري النبي صلى الله عليه وسلم وناصره ، وبأنه أحد العشرة المبشرين ، وبأن النبي صلى الله عليه وسلم فداه بأبويه يوم قريظة فقال : بأبي أنت وأمي ، وبأنه وبأنه ...

وأمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين العابدة الذاكرة العالمة الراوية ، وجده أبو بكر من جهة أمه ، وجده العوام بن خويلد أخو خديجة بنت خويلد من قبل أبيه ، وخالته عائشة بنت أبي بكر ، وأخوه عبد الله بن الزبير ، وأخوه مصعب بن الزبير . وكل هؤلاء تكتب فيهم الأسفار فما تحصي حقهم ، ولا تفي بمآثرهم .

فلو لم يكن لعروة بن الزبير مناقب لكانت هذه مناقبه ، لأن غصنا ينبت من هذه الشجرة جدير ألا يكون إلا طيبا مؤتيا أطيب الثمرات ، والغصن ينبت حوله الغصن .

فما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

فكيف إذا تحقق له أنه كان من مفاخر آل الزبير بن العوام ؛ فإذا ذكر الفقهاء فقد كان واحدا من سبعة يعدون على الأصابع . وإذا ذكر العلماء الربانيون فقد كان غرة في جبينهم ، ما حملته رجله عن فاحشة ، ولا نام عن ورده ليلة . وإذا ذكر الكرماء والأجواد فقد كان من عيونهم ومفاخرهم . وكان يملك بستانا من النخيل فكان يثلمه أيام الرطب ليدخل الناس فلا حاجب ولا حارس . فمنهم من يدخل فيأكل . ومنهم من يجمع فيحمل والكل آمن قرير العين رضي بملك الإحسان .

• • •

ولد عروة رضي الله عنه في السنة الحادية والعشرين للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتوفي سنة ٩٣ هـ في عهد الوليد بن عبد الملك .

فقد نشأ في عهد خليفتين من الخلفاء الراشدين تكون فيهما وصلب عوده على علم النبوة الموروث بالمدينة التي من حولها يتقلب بين الصحابة ويأخذ العلم عن أبيه وغيره من علمائهم وأحبارهم وأئمتهم . واستوى في عهد بني أمية الأول وفي الأمة بقية من الخير برغم ما كان يهب من عواصف السياسة التي لا يعرف لعروة مشاركة فيها كما عرف لأخويه ، ولكنه كان للعلم ينشره ، وللخير من كل وجوهه ، يؤثر السلامة ، ويمضي على السنة بنواجذه . وهذا العهد مبارك بمن فيه من الرعيل الأول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هداة الأنام

وبحبوحة الوصاية وقد شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم خير القرون ، فمن لزم جادتهم فقد هدى واصاب ، ومن ... مثالا من صدورهم من أمثال عروة بن الزبير فقد هدى إلى صراط المستقيم .

أخذ العلم عن أبيه الزبير بن العوام وعن زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وسعيد بن زيد [١] وحكيم بن حزام [٢] وأبي هريرة ، وتفقه كما قال الذهبي على خالته عائشة فلا غرو في تفقهه بتلك السيدة العظيمة أم المؤمنين .

ثم أخذ عنه بنوه محمد ويحيى وعثمان وهشام وعبد الله ، وحفيده عمر بن عبد الله ، وأخذ عنه الإمام الزهري [٣] وابن المنكدر [٤] وأبو الأسود وغيرهم ، وقالوا : إنه كان بحرا لا ينزف ، عالما بالأنساب ، حافظا متقنا ، وكان من الصلاح والنسك بحيث يصوم الدهر كله ، ومات صائما ، وكان يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف ويقوم به فما تركه إلا ليلة قطعت رجله بالمنشار حين وقعت فيها الأكلة فأمر بقطعها . ومن الناس من يقول إنه لم يترك ورده في تلك الليلة ، وحديث قطع رجله وما حف به من أعجب الأحاديث ومن أدلها على أن الروح إذا تغلبت على البدن وتخلصت من رعونات النفس فعلت العجب ، وجعلت بما يعجز عن مثله البدن ، واستغنت عن كثير مما تتقاضاه من السكون والطمأنينة كما وقع لعمر من رؤية سارية وندائه له ، وكما وقع لجعفر وقد قطعت رجله فأخذها يخترق بها الصفوف ويقاتل بها .

حديث قطع رجله

نقل ابن خلكان عن أبي إسحاق المبرد في كتاب المدري عن إسحق بن أيوب وعامر ابن حفص ومسلمة بن محارب قالوا : قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه

[١] صهر عمر بن الخطاب وابن عمه ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

[٢] هو ابن أخي خديجة ، حزام بن خويلد ، وابن عم الزبير ، ولد في الكعبة وكان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام عاش ١٢٠ سنة ٦٠ في الجاهلية و ٦٠ في الإسلام .

[٣] كان الزهري أحد الحفاظ ، وهو من التابعين ، سمع من ابن عمر ، وقال إمام مصر الليث ابن سعد : إنه ما رأى عالما قط أجمع منه ، وحدث عن نفسه فقال : ما رأيت أحدا أصبر على العلم ولا أنشر له مني .

[٤] شيخ الإسلام القرشي التيمي تابعي سمع من أبي هريرة وابن عباس وغيرهم من كبار الصحابة ، قال مالك : إنه سيد القراء توفي سنة ١٣٠

وابنه محمد بن عروة فدخل محمد دار الدواب فضربته دابة فخر ميتاً ووقعت في رجل عروة الأكلة، ولم يترك ورده في تلك الليلة. فقال له الوليد: اقطعها وإلا أفسدت جسدك، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير ولم يمسكه أحد وقال: «لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً»، ولم يزد على ذلك.

ثم عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة فكان أحسن من عزاه، قال له: والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أرب في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة والكل تبع للبعض إن شاء الله، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، وعنه غير أغنياء من علمك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك.

وقال ابن قتيبة وغيره: إنه لما دعي الجزار ليقطعها قال له: نسقيك الخمر حتى لا تجد لها ألماً؟ قال: لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافية. قالوا: فنسقيك المرقد؟ قال: ما أحب أن يقطع عضو من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه. قال: ودخل عليه قوم أنكرهم فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يمسكونك، فإن الألم ربما عزب معه الصبر. قال: أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسي، فقطعت كعبه بالسكين حتى إذا بلغ العظم وضع عليه المنشار فقطعت وهو يهلل ويكبر، ثم إنه أغلي الزيت في مغارف الحديد فحسم به فغشي عليه فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه، ولما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها في يده ثم قال: أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام، ثم قدم المدينة فقال:

اللهم إنه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وايم الله لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لطالما عافيت.

وفي بعض الروايات أن الوليد بن عبد الملك كان في مجلس ساعة القطع وكان مشغولاً بالحديث مع بعض جلسائه فلم يشعر إلا حين شم رائحتها عند الكي، ومهما يكن فقد كان في هذه الحادثة كثير من العبر التي تصور ما يصنع الإسلام بأبنائه من قوة وجلد وتماسك وصبر، هيهات أن يكون إلا في نفس آمنت بالله فاختلط الإيمان بها، وقويت روحيتها بتعليم الإسلام فلم تبال ما يصيب جسدها.

فهذا رجل مثل الإسلام الأول في سلامته ، مصيبتين جليلتين :

إحداهما في ولده الذي استصحبه معه يستعين به على ضعف الشيخوخة وهو في دار غربة لا عضد له سواه بعد الله .

والثانية في قدمه التي لم يقطعها كما يقطع الشيء المنفصل الذي قد يشترى بنقده ويستغنى عنه ، ولكنها قطعت بالسكين والمنشار ، والشأن في مثل ذلك أنه بلاء لا يحتمل ، وألم لا يطاق في طبيعة البشر ، ولقد عرض عليه أن يشرب الخمر ثم عرض عليه أن يشرب المرقد ثم أحضر له قوم يمسكونه حتى لا يتفلت من الوضع إذا طاش به الحلم عن مقتضى الطبع البشري ، ولكنه أبى شيئا من ذلك فلم يقبل واحدا منه ، ثم أمسك برجله وأقبل عليها يخاطبها ، وأشهد الله أنه لم يمش بها في غير طاعة الله . وذلك قرة عينه وغاية مطلبه ، ثم هو بعد ذلك يناجي ربه بأنه أحسن في المصيبة ، وأبقى له أكثر من الموهوب ، فلله هذه النفوس العظيمة الكريمة ، لقد هداها الله في دينه كيف تواجه كل شيء في الحياة وكيف تصبر على كل نازلة وبلاء وترضى في حالي السراء والضراء ، وهذا هو الإسلام الذي يريدون أن يصرفوا الناس عنه ويصدوهم عن سبيله ليكبلوهم في قيود الشهوات التي تغل الناس وتفكك من تماسكهم وتجعلهم أقل وضعا من الحيوان الأعجم : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

أيها المسلمون : هذا دينكم وهذه بعض صور بعض من سلكوا في مدارسه الصحيحة ، عرضته عليكم لتزدادوا إيمانا به ، وتمسكا بمبادئه : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » . اللهم بصرنا بالحق وأعنا عليه . آمين

محمود النواوي

صفة العالم

كان أسلافنا يقولون : « لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ ثمنا على العلم » .

الاصلاح الديني

«مقاصده وأطواره»

قامت دعوة الأنبياء والرسل في أحدافها وأغراضها ، على تحقيق ثلاثة مقاصد ، وهي إصلاح العقائد ، وإصلاح الأخلاق ، وإصلاح الأعمال .

هذه هي المقاصد الإصلاحية ، التي اتفقت عليها جميع الشرائع السماوية ، والتي لم تختلف باختلاف الشعوب والأمم ، ولا تتعدد الأنبياء والرسل .

أما المقصد الأول : وهو إصلاح العقائد ، فيرجع في جملته إلى تنمية الدين الفطري ، والانتقال به من حيز الإجمال والكمون ، إلى حيز التفصيل والظهور ، والتدرج به من الشعور الوجداني إلى الاعتقاد اليقيني ، وذلك بالإرشاد إلى دلائل التوحيد والتنزيه ، التي لا تتعاصى على عقول المخاطبين ، ولا تنبو عن مداركهم وأفهامهم ، كتوجيه عقولهم إلى مسارح النظر في ظواهر العوالم الكونية ، وما فيها من الدلائل على وجود الله وتفرده بالألوهية والربوبية ، وتفرده بصفات الجلال والجمال والكمال ، التي تجلت مظاهرها في بدائع الموجودات وروعة الكائنات ، فإن أقصى ما تستطيع العقول إدراكه من شئون الله جل جلاله ، إنما هو أسماؤه الحسنى وصفاته العليا ، وبذلك استطاع الإنسان أن ينتقل بإيمانه من طور الشعور الوجداني ، إلى طور العلم الاستدلالي ، وأن يجمع بين الدين الفطري والدين التشريعي ، الذي بعث الله به الأنبياء والرسل .

وهذا المقصد هو الذي يحقق صلة الإنسان بربه ، وهي صلة العبودية لله وحده ، والاعتصام به والإسلام له ، كما قال تعالى : « ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم » ٣ : ١٠١ ، « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وإلى الله عاقبة الأمور » ٣١ : ٢٢ ، فالعبودية لله وحده ، والاعتصام به والاستسلام له ، والفزع إليه في الشدائد والملمات ، والإقبال على طاعته ، والفرار من معصيته ، والخوف من عقابه وبطشه ، والرجاء في عفوه وكرمه هي مظاهر الإيمان

بالله واليوم الآخر ، وآثاره الدالة على وجوده فى أعماق القلوب ، و بدون هذه الآثار لا يتحقق له وجود واستقرار فى القلوب ، فإن وجود العقيدة يستلزم وجود آثارها ومظاهرها ، فلا تنبعث عنها إلا بمقدار ضعفها أو فقدانها ، فالعمل هو الميزان الصحيح لقوة العقيدة أو ضعفها .

وأما المقصد الثانى : وهو إصلاح الأخلاق ، فيرجع فى جملته إلى تنمية غرائز الخير وأصول الفضائل فى النفوس ، وترويضها على مكارم الأخلاق ومحامد الصفات ، وذلك بالترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، والتوجيه والإرشاد ، وشرع بعض العبادات التى تزكى النفوس وتهذب الأخلاق ، وتملأ القلوب بمحبة الله وخشيته ، ومراقبة جلاله وعظمته ، والخوف من بطشه وانتقامه ، والرجاء فى فضله وإحسانه ، وقد روعى فى شرع هذه العبادات ، أن تكون بالكيفيات التى تتمشى فى تأثيرها وانفعال النفوس بها ، مع الصفات النفسية والخلقية للأمم التى شرعت لها ، وهذا المقصد من مقاصد الإصلاح الدينى ، هو الذى يحقق فى الإنسان معنى الإنسانية الكاملة ، ويعده للقيام بأعباء الخلافة التى خلق لأجلها ، فإن الأخلاق القوية الكريمة ، هى الأساس الأول فى بناء المجتمعات الصالحة ، التى تتمثل فى مظاهرها الحياة الكريمة الفاضلة .

وأما المقصد الثالث : وهو إصلاح الأعمال ، فيرجع فى جملته إلى تنظيم الحياة العملية للأفراد والجماعات ، والسير بها على النهج الذى يجلب الخير والسعادة للسائرين ، وذلك بوضع أصول السير وقواعد السلوك ، التى يستطيع المخاطبون بها ، أن يقيموا عليها حياتهم الدينية والاجتماعية ، وتفصيل ما يختص من مناهج السلوك عن عقولهم ، ولا يستطيعون الاهتداء إليه عن سبيل الاستدلال والابتكار ، وأما الشئون الدنيوية التى لا تتعاصى عن عقولهم وأفهامهم ، فقد وكلها الله إليهم بعد أن أرشدهم إلى أبواب الوصول إليها ، وحثهم على طلبها والبحث عنها ، والتعرف على مقدار الحاجة إليها ، وكيفية الانتفاع بها ، وطالبهم فى ذلك كله بالتزام القصد والاعتدال ، وحسن النية وسلامة الاعتقاد ، وهذا المقصد من مقاصد الإصلاح الدينى ، هو المحقق لمعنى استخلاف الإنسان فى الأرض ، فإن العمل للدين والدنيا هو سر الخلافة الأرضية ، وهو الثمرة العملية لإصلاح العقائد والأخلاق ، وهو سبيل السعادة فى الدنيا والآخرة .

هذه هى المقاصد الإصلاحية التى قامت عليها دعوة الأنبياء والرسل ، واتفقت عليها

جميع الشرائع والأديان، وهو الدين القيم الذي رضيه الله دينا لعباده في كل زمان ومكان، وربط به السعادة في المعاش وفي المعاد، كما قال جل شأنه: «والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» «١٠٣ : ١ – ٣» فدين الله في الأولين والآخرين، وعلى ألسنة جميع النبيين والمرسلين، دين واحد لا تختلف أصوله ومقاصده، وإنما تختلف شرائعه ومناهجه، تبعا لاختلاف الأمم في أطوارها وأحوالها، ولقد قرر القرآن هاتين الحقيقتين في آيات كثيرة، فقال تعالى في بيان الحقيقة الأولى: «إن الدين عند الله الإسلام» «٣ : ١٩» «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين» «٣ : ٨٥» «قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم، دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا» «٦ : ١٦١» فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما في معناها، تدل دلالة واضحة جلية، على أن دين الله في الأولين والآخرين واحد في أصوله ومقاصده.

وقال تعالى في بيان الحقيقة الثانية: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم» «٥ : ٤٨» أي لكل أمة منكم جعلنا شريعة أوجبنا عليهم أن يقيموا أحكامها، وطريقا واضح المعالم فرضنا عليهم أن يسلكوا معالمه، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، أي ذات شريعة واحدة ومنهاج واحد، ولكنه لم يشأ ذلك، بل جعلكم أمما مختلفة، وجعل لكل أمة شرعة ومنهاجا ليختبركم فيما أعطاكم من الشرائع والمناهج، فهذه الشرائع والمناهج العملية المختلفة، هي مظاهر التفاوت بين شرائع الأنبياء والرسل، وهذا التفاوت راجع كما قلنا، إلى اختلاف أطوار الأمم في حياتها الفكرية والاجتماعية، وتفاوت أحوال البشرين في مراحل العمر المختلفة، فكان لكل مرحلة من هذه المراحل منهج تشريعي خاص، يتمشى مع مطالب البشرين واستعدادهم، وتطور عقولهم وأفكارهم، لأن الإنسان بمقتضى سنة التدرج التي فطر عليها، لم يكن مستعدا للعمل بشريعة واحدة في جميع أجياله وأطواره، فاقتضت حكمة التشريع السماوي، أن يكون جاريا مع الإنسان على سنة التدرج في تكاليفه، ومسايرا لأطوار حياته الفكرية والاجتماعية في مناهجه، وهكذا تمشت الشرائع السماوية في أحكامها ومناهجها، مع أطوار الأمم في تعقلها وتفكيرها وبداوتها وحضارتها.

فكان التشريع في أول نشأة الإنسان ووجوده، قاصرا على بعض إرشادات

وتوجيهات تلائم حالة المخاطبين ، وتتقرر في أذهانهم لقلتها وسهولتها ، ولا تحتاج لتدوين ولا إلى إنزال كتب سماوية ، فكان رسول في بداية التشريع السماوي ، يباشر بنفسه تبليغ هذه التوجيهات إلى قومه ، ويتعهدهم بالموعظة الحسنة والتربية العملية ، ويرعاهم كما يرعى الوالد شئون أبنائه وحفدته ، وهم على كثب منه لقلة عددهم وتقارب مساكنهم ، فلما كثر العدد واتسع نطاق العمران في الأرض ، وتعددت الشعوب والأمم ، وتباعدت الأقطار والأمصار ، واختلفت الأنظار والاتجاهات .

اقتضى التشريع الإلهي الحكيم ، أن تدون الشرائع في صحف وكتب منزلة ، يقوم بتبليغها وتبيينها النبيون ، ويتدارسها الحواريون والربانيون ، ويتوارثها الأحبار والعلماء فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل عليهم الصحف والكتب ، على النهج الذي يتمشى مع استعداد الأمم ، ويفي بإصلاح أحوالهم وعلاج أدوائهم ، وتنظيم شئون دينهم ودنياهم ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » ٢ : ٢١٣ .

وجاءت توجيهات العقول إلى دلائل التوحيد والتنزيه ، واستظهار آيات الله الكونية والتشريعية ، على قدر استعداد العقل البشري لإدراكها وفهمها ، وتمشت مع أطوار رقيه في بساطتها ودقتها ، فإن النوع الإنساني ، لم يخلق على درجة واحدة من الفكر النظر ، والعلم والفهم ، من أول نشأته وعهده بالوجود ، إلى أن يبلغ منتهى ما قدر له في الأرض من بقاء ووجود ، وإنما جرى في كماله العقلي والفكري ، على سنة التدرج والترقي ، وإلى هذه الحقيقة التي قررناها ، يشير قوله صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء ، أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » .

ووضعت مناهج الأخلاق وتربية الملكات الفاضلة ، على قدر استعداد المخاطبين لمراتب الكمال البشري ، وحاجتهم إلى الإصلاح الخلقي ، فإن هذا الكمال الذي قدر للنوع الإنساني أن يبلغه ، لا يمكن أن يتحقق له في طور واحد من أطوار حياته ، وإنما يتحقق له على سبيل التدرج والترقي ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، والأمراض الخلقية التي تحتاج إلى وقاية أو علاج ، لم تحدث

كلها في محيط المجتمع البشري في وقت واحد ، وإنما كانت تحدث شيئاً فشيئاً ، تبعاً لحدوث أسبابها وعللها المتجددة ، فإن الإنسان وإن كان بمقتضى فطرته جامعاً لأصول الغرائز والأخلاق ، إلا أن عوامل الحياة وأحداثها المتجددة ، هي التي تظهر كوامن الغرائز وخبايا الأخلاق ، وتكشف عن مكنون الميول والأهواء ، والشرائع السماوية إنما جاءت للإصلاح والإرشاد ، والوقاية والعلاج .

والعلاج إنما يكون للأمراض الخلقية التي حدثت ، أو التي يتوقع حدوثها لوجود أسبابها وعللها ، فلم يكن من المعقول وهذه طبيعة العلاج والوقاية ، أن تعنى الشرائع السماوية ، بوضع القوانين العلاجية والوقائية ، لأمراض خلقية لم تحدث في محيط المخاطبين بها ، ولا ظهرت جميع أسبابها وعللها ، ولهذا وضعت مناهج الأخلاق في كل شريعة من الشرائع ، على قدر حاجة المخاطبين إلى الإصلاح والعلاج كما قلنا .

ووضعت مناهج العبادات على صور تختلف باختلاف الأمم التي شرعت لها ، وتمشي في يسرها وشدتها ، مع رقة عواطفها أو شدة طبعها ، وإن كانت أصول هذه العبادات متحدة في الشرائع السابقة واللاحقة ، كما يدل لذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، ٢ : ١٨٣ » « واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ، ١٩ : ٥٤ – ٥٥ » « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ٢٢ : ٢٦ – ٢٧ » فالصلاة والصوم والزكاة والحج ، كانت مشروعة في الشرائع السابقة ، كما هي مشروعة في شريعة الإسلام ، وإنما تختلف في صورها وكيفياتها ، ومقاديرها وأوقات أدائها ، تبعاً لاختلاف الأمم في استعدادها ونفسياتها ، ومدى انفعالها وتأثرها بهذه الصور والكيفيات لأن العوامل الروحية التي تحرك أوتار القلوب ، وتثير كوامن الأحاسيس والمشاعر ، تختلف في تأثيرها باختلاف الصور والكيفيات ، والأمزجة والنفسيات .

ولهذا تمشت التكاليف الشرعية في صورها وكيفياتها ، وفي يسرها وشدتها ، مع تفاوت الأمم في أمزجتها ونفسياتها ، ورقة عواطفها وشدة طبعها ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ، الذي يجدونه مكتوبا عندهم في

التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » ٧ : ١٥٧ » أي الأحكام الشديدة التي كانت مفروضة عليهم في شرائعهم ، والتي تلائم شدة طباعهم وتمردهم على تعاليم أنبيائهم .

ووضعت أنظمة المعاملات بين الأفراد والجماعات ، على المناهج التي تتمشى مع تطور المجتمع الإنساني ، في حياته الفكرية والاجتماعية وتفي بحاجاته في بداوته وحضارته ، فإن هذا التطور كان في كل مرحلة من مراحله ، يحدث أنواعا من المعاملات والصلات ، لم تكن موجودة في المرحلة التي قبلها ، فكل طور من أطوار حياة الشعوب والأمم ، كان له طابع خاص في المعاملات والصلات ، والميول والاتجاهات ، فاقتضت سنة التدرج في التشريع السماوي ، أن تكون هذه الأنظمة متمشية في أصولها ومناهجها ، مع الأطوار المختلفة لحياة الشعوب والأمم ، ومن هنا يتضح لنا جليا أن التشريع السماوي ، سار مع النوع الإنساني ، على سنة التدرج والتطور ، وأن هذا التطور لم يكن في العقائد والأصول والمقاصد ، لأنها حقائق ثابتة ، لا تتغير ولا تتبدل ، ولا تجرى عليها سنن التدرج والتطور ، وإنما كان التدرج والتطور ، في طريقة تبليغ هذه الأصول والعقائد ، وفي كيفية الاستدلال عليها وتقريرها في الأذهان ، وفي التكاليف العملية والمناهج الإصلاحية ، على النحو الذي يفي بحاجة المخاطبين إلى الإصلاح وتزكية النفوس ، وتربية روح العبودية لله في القلوب ، وأن الشرائع السماوية وإن اتفقت كلها في المبدأ والغاية ، وفي كونها هدى ونورا للسائرين ، إلا أنها تختلف في مناهج الهداية والإرشاد ، وطرائق الإصلاح والعلاج ، تبعا لاختلاف الأمم في الاستعداد الفطري ، والاتجاه النفسي والفكري ، والسلوك الخلقي والاجتماعي .

وهكذا تدرج التشريع السماوي مع النوع الإنساني ، وسايره في أطواره حتى بلغ طور الكمال والرشد ، واستعد لمرحلة تشريعية عامة ، وقيادة دينية واحدة ، يتولى زمامها رسول واحد ، وقد شاءت إرادة الله جل جلاله وعظمت آلاؤه ، أن يعقد لواء هذه القيادة السامية والرسالة الخالدة ، لبشير الرحمة ونبي الإسلام ورسول السلام ، محمد بن عبد الله سيد المرسلين وخاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

« وإلى الحديث التالي إن شاء الله »

حسنين محمد مخلوف
المفتش بالأزهر

مصادر الشريعة الاسلامية

المصالح المرسلة — « تعريفها »

— ١٢ —

٣ — ان المقصود من التشريع جلب المصالح ودفع المفاسد والمضار عن الخلق ، ولاريب في أن مصالح الناس تتجدد بتجدد الزمان ، وتختلف باختلاف البيئات ، ولاسبيل إلى حصرها في عدد معين . فاذا لم تعتبر المصالح المتجددة ، ولم تشرع لها الأحكام المناسبة ، ووقفنا عند المصالح التي قام الدليل على رعايتها لضاع على الناس كثير من مصالحهم ووقف التشريع عن مسايرة تطورات الحياة ، وهذا لا يتفق وما قصد بالتشريع من تحقيق مصالح الناس ، ودرء المفاسد عنهم ، ولا يتلاءم مع ما هو مقرر من أن هذه الشريعة شريعة الخلود والبقاء .

واستدل المنكرون لحجية المصالح المرسلة بما يأتي :

اولا : أن الشارع الحكيم ألغى بعض المصالح ، واعتبر بعضها ، والمصالح المرسلة مترددة بين ما ألغاه الشارع منها وبين ما اعتبره ، تحتمل أن تكون من المصالح التي ألغاها الشارع ، وتحتمل أن تكون من المصالح التي اعتبرها ، ومع هذا الاحتمال لا يصح الجزم ولا الظن باعتبارها وبناء الأحكام عليها ، وإلا كان ترجيحا بلا مرجح ، وهو لا يجوز والجواب عن هذه الشبهة . أن القائلين بحجية المصالح المرسلة لا يدعون الجزم باعتبارها بل يقولون . إن الظاهر اعتبارها ، والظهور كاف في الأحكام العملية .

وليس في التمسك بهذا الظهور ترجيح من غير مرجح لأن ما ألغاه الشارع من المصالح قليل بالنسبة لما اعتبره منها . فاذا كان هناك مصلحة لم يقم الدليل على اعتبارها أو الغائها كان الظاهر إلحاقها بالكثير الغالب دون القليل النادر .

على أن ما ألغاه الشارع من المصالح لم يلغه لأنه مصلحة ، بل لما يترتب على اعتبارها

من المقاصد التي تساويها أو ترجح عليها ، وهـذا غير متحقق في المصالح الشارع فيها ، لأن جانب المصلحة فيها راجح عن جانب المفسدة ، كما هو فرض الكلام فلا يصح إلحاقها بالمصالح التي ألغاها الشارع .

ثانيا : أن الاعتداد بالمصالح المرسلة في تشريع الأحكام طريق لذوي الأهواء ، ومن ليس أهلا للاجتهاد يتخذون منه وسيلة للتصرف في أحكام الشريعة وبنائها على ما يوافق أهواءهم ومصالحهم الخاصة ، وفي هذا إهدار للشريعة وخروج عن قيودها ، وهو لا يجوز .

والجواب عن هذه الشبهة سهل إذا عرفنا أن شرط الأخذ بالمصالح ألا يرد فيها دليل شرعي معين يدل على اعتبارها أو إلغائها . فإن هـذا الشرط يخرجها عن أن تكون في متناول العلماء الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد . فضلا عن غيرهم من العوام أو ذوي الأهواء ، إذ لا يدرى أن هذه المصلحة لم يرد في اعتبارها أو إلغائها دليل شرعي إلا من كان أهلا للاستنباط . فليس كل ما يبدو للعقل أنه مصلحة يدخل في قبيل المصالح المرسلة ، وتبنى عليه الأحكام ، وإنما هي المصالح التي يدركها من هو أهل لتعرف الأحكام الشرعية من مصادرها . حتى يمكن الوثوق بأنه لم يرد في الشريعة دليل يدل على اعتبارها أو إلغائها .

ثالثا : أن العمل بالمصالح المرسلة يؤدي إلى اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان والبيئات ، فإن المصالح ـ كما هو مشاهد ـ تتغير بتغير الأزمان وتتجدد بتجدد الأحوال ، وهذا ينافي عموم الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

وهذه شبهة أضعف مما سبقها لأن اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان وتبدلها بتبدل المصالح معدود من محاسن الشريعة . وهو من الطرق التي تجعلها صالحة لكل زمان ومكان .

وليس اختلاف الأحكام الناشيء عن مراعاة المصالح المرسلة اختلافا في أصل الخطاب حتى يكون منافيا لعموم الشريعة بل هو اختلاف ناشئ عن التطبيق لأصل عام دائم ، وهو أن المصلحة التي لم يرد دليل على اعتبارها أو إلغائها يقضى فيها المجتهد على قدر ما يراه فيها من صلاح ، فكأن الشارع يقول لمن أوتي العلم : إذا عرض لكم

أمر فيه مصلحة ، ولم يجدوا في الأدلة ما يدل على اعتبارها أو إلغائها قرروا تلك المصلحة بعقولكم الراجحة في فهم المقصود من التشريع ، ووضعوا لها حكما يوافقها .

هذه أدلة الفريقين وما يرد عليها من مناقشة ومنها يتبين بجلاء أن القول بحجية المصالح المرسلة هو القول الراجح الذي تشهد له الأدلة ، والذي جرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الاجتهاد في العصور المختلفة ، وأن إنكار هذا الأصل مخالفة للأدلة القائمة على حجيته ، وفيه فتح باب الطعن على الشريعة ورميها بالجمود وعدم مسايرتها لتطورات الحياة .

وكيف يسوغ إنكار هذا الأصل وهو من أهم الأصول الشرعية ، والذي يمكن أن يأتي بثمر طيب إذا تناوله الراجح في علوم الشريعة البصير بتطبيق أصولها .

فعن طريق هذا الأصل يمكن لولاة الأمور في الأمة البصيرين بروح الشريعة ومبادئها العامة وقواعدها الأساسية أن يشرعوا لها الأحكام والقوانين التي تحقق مصلحتها وتفي حاجاتها العارضة ومصالحها المتجددة إذا لم يجدوا لها دليلا خاصا من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس .

موازنة بين المصالح المرسلة والقياس

من يمعن النظر في المصالح المرسلة والقياس يجد أنهما يتفقان في أمرين :

أحدهما : أن العمل بهما إنما يكون في الوقائع التي لا يوجد لها حكم خاص في الكتاب أو السنة أو الإجماع .

وثانيهما : أن الحكم الثابت بهما مبني على رعاية المصلحة التي يغلب على الظن أنها تصلح أن تكون مناطا وعلة لتشريع الحكم .

وأنهما يختلفان في أمرين أيضا :

أحدهما : أن الوقائع التي يحكم فيها بالقياس لها نظير في الكتاب أو السنة أو الإجماع يمكن أن تقاس عليه بواسطة المصلحة التي لأجلها شرع الحكم في المنصوص أو المجمع عليه ، أما الوقائع التي يحكم فيها بالمصالح المرسلة فليس لها نظير تقاس عليه بل

يثبت الحكم فيها ابتداء بناء على ما يكون فيها من المعنى المناسب الذي يترتب على تشريع الحكم عليه تحقيق مصلحة أو دفع مفسدة

وثانيهما : أن المصلحة التي بني الحكم عليه في القياس قام الدليل المعين على اعتبارها ، أما المصلحة التي بني الحكم عليها في المصالح المرسلة لم يقم الدليل على اعتبارها أو إلغائها بل سكت الشارع عنه .

الفرق بين المصالح المرسلة والاستحسان :

يمكن أن يفرق بين المصالح المرسلة والاستحسان بأن الاستحسان يقتضي أن يكون المسألة التي يحكم به فيها نظائر قد حكم فيها على خلاف ذلك ، أما المصالح المرسلة فليس لمحلها نظائر ثبت لها حكم على خلاف ما تقتضيه المصلحة في ذلك المحل ، بل الحكم فيه ثابت بالمصلحة ابتداء .

وإلى هنا ينتهي الكلام على المصالح المرسلة وتتكلم بعدها بمشيئة الله ، على المصدر الرابع وهو الاستصحاب .

زكي الدين شعبان
الأستاذ المساعد بحقوق عين شمس

الوقف على مصالح المسلمين

في كتاب (السياسة الشرعية) لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ص ١٤٨ :

« من اجتهادات عمر السياسية أنه كان يجعل غنائم الأرض وقفا على مصالح المسلمين ، ينتفع بخراجها أولهم ، ولا يحرم منها من يجيء بعدهم . ومن ذلك ما أخرجه البخاري (في كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر) ، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه قال : « لولا آخر المسلمين ما فتحت عليهم قرية إلا قسمتها كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر » . وهكذا فعل عمر بسواد العراق : « أبقاه وقفا على المصالح العامة ، وفرض فيه وظيفة الخراج » .

الفتح الإسلامي للمغرب العربي

يجب في هذه اللمحة أن نحيط قراء مجلة الأزهر ببعض ما كان عليه الفتح الإسلامي في بداية أمره للبلاد المغربية لمناسبة ما يجري على الألسنة بشأن الأحداث الجسام التي عمرت بلاد المغرب وأحدثت عليها المسارب وجعلتها للغاصبين نهبا مقسما .

ولمناسبة تلك النهضات والثورات التي يقوم بها إخواننا المغاربة في مناجزة الدولتين الغاصبتين فرنسا وإسبانيا ، وذلك الذي خلق شعورا عاما عدائيا نحو الغربيين الذين استباحوا جرما غير قليل من بلاد العرب في أقطار المغرب العربي . والحق أن فتح العرب المغرب قد حقق في بدايته ما لم يستطعه خلال قرون طويلة الفينيقيون ولا القرطاجيون ولا حتى الرومانيون لأن العرب تمكنوا من إدخال المغاربة بسرعة في حظيرة المسلمين ، وإدماجهم رويدا رويدا ، إلى حد امتزاج السلالتين واتحاد العنصرين . حتى أصبح من العسير تحقيق أصول القبائل في كثير من المناحي .

حوالي سنة ٦٣ هـ (٦٨٢ م) أي بعد مرور نصف قرن على وفاة الرسول الأعظم توغل عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان بالجيوش الإسلامية داخل الأراضي المغربية وقضى على ما بقي من آثار دولة « بيزانس » التي استقرت فترة ثابتة في المغرب ، كما قضى على « كسيلة » و « الكاهنة » اللذين انبريا للمقاومة . ولكن نجاح الفتح العربي لم يبلغ أشده إلا في أوائل القرن الثامن الميلادي . بفضل حملة موسى بن نصير الذي يعتبر بحق الفاتح العربي المظفر للمغرب وفي سنة ٩١ هـ (٧٠٩م) كان المغرب قد ألحق سياسيا بإمبراطورية الخلفاء الأمويين ، وبعد ذلك بأقل من عامين اجتاز جيش عرمرم كثيف تحت قيادة بربري مسلم هو طارق بن زياد الذائع الصيت في عالم الفتوحات المضيق ونزل أسفل الجبل الذي ما يزال إلى اليوم وبعده يحمل اسم هذا الفاتح العظيم وهو جبل طارق ، وكان البرابرة يؤلفون معظم الجيوش التي حاربت في أسبانيا ووصلت إلى جنوب فرنسا سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) وهكذا أسهم المغرب العربي في المعارك طول مدة فتح أسبانيا أكثر من أي قطر إسلامي آخر .

وليس في طوقنا أن ندرك سر هذه السرعة الخارقة التي تم بها الفتح واعتناق المغاربة للإسلام إلا في مزايا هذا الدين الجديد ، وهو رمز الوحدة والتحرير والإخاء والمساواة والحرية في أوسع معانيها المشروعة . وبقدر ما كان أثر روما بالمغرب أنانيا واهيا حيث

لم تكن تعني إلا باستغلال خيرات البلاد والاستئثار بمواردها وصادراتها بقدر ما كان الإسلام كما يقول « المؤرخ تيرس » يتواءم توازناً دقيقاً مع مطامح شعب يهيم بالحرية ويهتف بها في أعماق نفسه ، وذلك لما يتسم به هذا الدين السمح الحنيف من طهارة في روحه وبساطة في معتقداته مع صداقة في مبادئه وديمقراطية في مرماه ومغزاه ، بل يمكن القول بأن هناك تجانساً إلى حد ما بين النفسية البربرية وجوهر الإسلام، نابع من العمق مبدءاً وحد البربر بفضله في المسجد الأفارقة حماة هذا الدين لا تلين لهم قناة ولا تقرع لهم صفاة ، ويجب أن نضيف لهذه العوامل المختلفة أن سلطة الخلفاء الذين كانوا يشرفون من دمشق على المغرب لم تكن لتضايق المغاربة على « بظهير » فإن الخلفاء لم يكونوا يطالبون بغير اعتناق الإسلام بحيث يصبح المغاربة بعد ذلك مساوين للعرب في جميع الميادين ، وفي هذا تفسير لذلك الانقلاب العجيب الذي جعل مصير المغرب يرتبط بمصير الإسلام ارتباطاً لا يقبل الانفصام فغدا المغرب والإسلام خلال التاريخ أخوين في السراء والضراء ، وإن رسوخ قدم المغرب لم يصحبه أي اضطهاد لأقليات تدين بالمسيحية واليهودية بكامل الحرية .

وهكذا فإن المغرب بعد أن دخل في حظيرة الإسلام تعاقبت عليه دول إسلامية عظمى ، ومنها دولة الأدارسة ، فبينما كان صرح الإمبراطورية العربية يتقوض باستيلاء العباسيين على الخلافة إذا بدول أخرى تشيد لها بناء وترفع لها صرحاً ، ففي أسبانيا انفصل المسلمون عن سلطة خليفة بغداد واجتمعوا حول الخليفة الأموي في قرطبة ، وفي المغرب ازدوجت هذه الحركة الاستقلالية بحركة الخوارج الآتين من الشرق ، غير أن هذه الحركات حوربت بصلابة رغم تمكنها من تأسيس دولة « سجلماسة » وراء جبال الأطلس فلم تلبث دولة الأدارسة أن رفعت لواء السنة وأعادت للبلاد وحدتها .

نزل المولى إدريس — الذي نجا من اضطهاد الخليفة العباسي — في طنجة عام ١٧٢هـ (٧٨٨م) ، واستقر قرب أطلال مدينة وليلي الرومانية ، وما لبث أن ضم لأنصاره ميادين جديدة للتوسع وراء نهر أبي رقراق في نواح لم تستطع قط التوغل فيها جيوش الرومان . وكان بها جماعات مسيحية ويهودية ووثنية اكتسحها بسهولة فدخلت في حظيرة الإسلام .

فقلق الخليفة هارون الرشيد ووجم من هذا الانتصار الذي أحرزه المولى إدريس ، فدس له من يقتله عام ١٨٠هـ (٨٩٣م) وخلفه نجله المولى إدريس الثاني الذي ولدته له من بربرية فأصبح أميراً غير منازع على المغرب أجمع وناحية تلمسان ، وكان أول ما اهتم به

وهو في شبابه تأسيس عاصمة لمملكته وهكذا أسست مدينة فاس . التي استمدت حضارتها من قرطبة والقيروان وهي محط رحال المدنية الإسلامية في المغرب . وقد وفد من هاتين العاصمتين مهاجرون للاستيطان بالمدينة المغربية الجديدة وعندما بني جامع « القرويين » أضحت مدينة فاس في ذلك العهد أم القرى في المغرب يؤمها العلماء والأدباء فيستقبلون فيها بكل حفاوة وإكرام وظلت هذه الجامعة التي كانت يومئذ أقدم جامعة في العالم خلال القرون التالية مركزا من أهم المراكز الدينية والفكرية في العالم الإسلامي .

وهكذا فإن الأدارسة هم أول من أدخل الحضارة الإسلامية إلى المغرب بتأسيسهم مدينة فاس .

وبتأسيسهم هذه المدينة أضحت لهم المكانة السامية في مختلف عصور التاريخ في بلاد المغرب .

ومن مدينة فاس أشع على البلاد قبس من نور الفكر الإسلامي مقرونا باللغة العربية وآدابها وعلومها وما يحيط بها من ثقافات ومذاهب . وقد احتفظ الأولون من خلفاء المولى إدريس الثاني للمغرب بعظمته وجلاله إلى منتصف القرن الحادي عشر . لكن ما لبثت قوائم أن تداعت ووهت فيما لما نشب بعد ذلك من حروب داخلية أهلية طاحنة . كانت أهل الأسباب في انهيار قوائم وضياع تماسكهم ووحدتهم حتى أصبحوا مثلا في الأولين وعبرة للآخرين .

« والدهر ذو دول بالناس ينتقل » .

غير أن المسلمين كانوا مستمسكين بالعروة الوثقى ، وكانوا على أشدهم من التعلق في دينهم والإحاطة بشعائرهم والغيرة المتأججة على قوميتهم ، ولم يكونوا يقدرون في حسابهم أن الأيام ستقف لهم عقبة كأداء ، فيتحالف عليهم الأجنبي وتجتمع عليهم دولتا البغي والعدوان والسكسون والجرمان ، فرنسا وأسبانيا تظاهرهما الدول المسيحية الأخرى ، واتفاقية سراكس سنة ١٩٠٤م شاهد عدل على أن دول الاستعمار تتحين كل فرصة للإيقاع بالمسلمين وصدق شوقي حين يقول :

كأن النحس حين جرى عليهم ... أطار بكل مملكة غرابا

غير أن يوم الخلاص قريب إن شاء الله . « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » وصدق الله ، ومن أصدق من الله قيلا ؟ ... »

عباس طه

المحامي

من تاريخ المسلمين في الهند :

ثورة الهند الدامية على الانجليز

سنة ١٨٥٧ م

– ٣ –

تحدثت في المقال الماضي عن بعض أسباب الثورة وعن سياسة الانجليز في إفقار الشعب حتى يضعفوا اقتداره ، وهم وإن كانوا قد نجحوا في سياستهم هذه إلا أن نجاحهم كان من الأسباب التي دفعت بالشعب إلى الثورة عليهم .

وبجانب هذا البؤس الذي كان الناس يعانونه – وربما أمكن لهم أحيانا الصبر عليه – كانوا يحسون شيئا آخر يوجعهم ويغص في نفوسهم أمر شيء لديهم ، وهو دينهم وعقيدتهم فقد تلفتوا حولهم فوجدوا الشركة الانجليزية تجلب معها المبشرين المسيحيين ، وتعينهم بشتى الوسائل على أهدافهم ، وتوفر لهم كل الإمكانيات التي تساعدهم على تغيير عقيدة الشعب مسلمين وغير مسلمين .

ونحن نعرف من تاريخ الاستعمار – أو الاستخراب كما يجب أن نسميه نحن – أن هذه البعثات التبشيرية كانت دائما طلائع تمهد له طريقه ، وتوطد أقدامه وسكناته في نفوس الشعب بالوسائل الظاهرية التي تتخذها ، لابسة مسوح الإنسانية والشفقة والرحمة لتخدع الناس وتجتذب عواطفهم نحوها ونحو الغرب بصفة عامة ...

وقد ربط الناس بين سياسة الحكومة في إفقارهم وبين سياستها في جذب الناس إلى المسيحية ، ففهموا أن سياسة الإفقار لها هدف آخر كذلك غير تقييد أطماعهم وتجويعهم ، وهو تنصيرهم وإخراجهم عن دينهم . وكان تصرف موظفي حكومة الشركة لا يدع في نفوس الناس مجالا لحسن الظن بهم ، بل كان يحمل الناس حملا على الارتياب في مقاصد الأجنبي السيئة نحو أديانهم ...؟

ونحن نضع أمامك ما قرره سير سيد أحمد خان في كتابه « أسباب الثورة » والسير سيد أحمد معروف في التاريخ بميوله الانكليزية الصرفة فلا يمكن أن يكون متعصبا أو متحاملا على أصدقائه الانجليز حتى يفتري عليهم فيقول [١] —

ولقد تيقن أهل الهند أن الانجليز سينصرونهم بعد إفلاسهم كما نصروا اليتامى الذين فقدوا آباءهم في مجاعة عام ١٨٣٧ . وكان القسيسون يتقاضون مرتباتهم من الشركة كما أن كبار الموظفين الانجليز كانوا يستغلون مراكزهم لتحسين المسيحية لصغار موظفيهم الهنود ، ويجمعونهم في بيوتهم بالقسس محاولين التأثير عليهم وجذبهم للدين المسيحي ، ويأتون بالشبهات والشكوك ليزلزلوا عقائدهم ، وكان المبشرون يوزعون الكتب مجانا وهي محشوة بالطعن من أديان أهل الهند وزعمائهم الدينيين ، كما كانوا يذهبون إلى اجتماعات المسلمين والهندوس في حماية البوليس ويأخذون في تحقير عقائدهم دون مبالاة . والناس يسمعون هذا وتثور نفوسهم لكنهم يخشون سطوة البوليس .

وبجوار ذلك نشط المبشرون في فتح المدارس بمعاونة حكومة الشركة في مختلف البلاد ، وكانوا يدرسون فيها الإنجيل ويسألون الطلاب في الاختبارات : من ربكم ؟ ومن ينجيكم ويهديكم ؟ ولا ينجح إلا الطالب الذي يجيب حسب عقائدهم ويعطونه الجوائز . وكان هذا التصرف مما أثار ثائرة الشعب والمسلمين على الخصوص وعلى رأسهم حكمهم المعزول » .

ويقول مولانا فضل حق جبرآبادي وهو أحد العلماء المجاهدين الذين تزعموا هذه الثورة وذلك بأسلوبه العربي المسجوع من أسباب « هذه الواقعة الفارضة الفاقرة التي جعلت الأمراء فقراء صعاليك ، والملوك أسراء مماليك » . [٢]

[١] كتاب ماضي العلماء للقرية لمولانا محمد ميان ص ٤١٢ ، ١٨ ملخص من كتاب « ثورة الهند » لسير سيد أحمد

[٢] في كتابه « الثورة الهندية » ص ٣٥٥ . وقد تزعم مولانا فضل حق ثورة الشعب مع شيوخه وأصدر فتوى بوجوب الجهاد وأعلن في المسجد الجامع في دهلي ، بعد أن أخذ عليها توقيعات كبار العلماء والمشايخ ، وبعد انهزام الثورة في دهلي خرج مع أهله إلى موطنه وظل هناك حتى قبضوا عليه سنة ١٨٥٩ وحاكموه في « لكهنؤ » بتهمة مشاركته الملك وإصداره فتوى بقتال الانجليز وجاهر بالفتوى وقال لازلت متمسكا بها . وكان القاضي يعرفه ويحبه ويحاول أن يلقنه إنكار التهمة الموجهة إليه ولكنه أبى ، فصدر الحكم عليه بالنفي المؤبد في جزر « أندمان » في جنوب خليج بنغال وذاق مر العذاب هناك حتى توفي في ١٢ صفر ١٢٧٨هـ ١٨٦١م وكانت وفاته في اليوم الذي وصل فيه ابنه يحمل كتاب تسريحه بالافراج عنه فلم يقدر له أن يراه حيا وإن كان قد اشترك في تشييع جنازته ودفنه هناك ، عليه رحمة الله . اهـ من كتاب « تاريخ حياة » لمولانا مدني شيخ الاسلام أمده الله في حياته . »

«من قصتها أن النصارى البراطنة شحنوا صدورهم بالشحناء الباطنة، بعد ما تسلطوا على ممالك الهند وأقطارها، وقراها وأمصارها، هموا بأن ينصروا كلا من سكانها وقطانها تنصيرا، ظنا بأن هؤلاء الضعفاء لا يجدون وليا ولا نصيرا، ليصير الناس كلهم كنائهم لتخيلهم أن اختلاف الأديان والملل، من أقوى العلل. فجدوا لتعليم الأطفال والأغفال وتلقينهم كتب لسانهم ودينهم في القرى والبلاد مدارس، وصيروا معالم العلوم والمدارس التي بنيت في العهود السوالف دوارس ... الخ».

ويقول في ذلك الموضوع أيضا من قصيدته الطويلة التي نظمها أيضا في معناه يصور بها حال الهند قبيل الثورة، متحدثا عن مسلكة أعدائها: —

همت بتنصيرهم قبلا وهم شيع / من مسلمين ومن عباد أبداد

«والأبداد» جمع بد ويطلق على الأصنام التي يعبدها الهندوس.

* * *

ولقد كان عمل الإنجليز في هذا تابعا لخطة مرسومة وربما لفوها في ستائر مختلفة الألوان لتأتي بثمرتها المرجوة — وقد رأينا مثل هذا قريبا في جنوب السودان حين سيطرة الإنجليز عليه — وإذا كنا قد تعودنا من الإنجليز وغيرهم من المستعمرين أن يحاولوا ستر هذه الأعمال لخداع الشعوب، فإن الشعوب دائما كذلك تتفطن سريعا وتدرك النيات المستورة لهؤلاء وتقطع عليهم الطريق .. ومع ذلك نجد من أقوال الرسميين الإنجليز ما ينم عليهم خبثهم ونيتهم السيئة نحو أديان الهند وتصميمهم الخبيث للقضاء عليها. فلقد وقف أحد أعضاء البرلمان الإنجليزي سنة ١٨٥٧ بعد الانتصار على الثوار وقال في صراحة مكشوفة: «الحمد لله الذي أرانا هذا اليوم الذي أصبحت فيه الهند تحت سيطرة انجلترا وأمكن أن يرفرف علم المسيح عليها، وعلينا أن نجمع قوانا ونبذل جهدنا في تنصير شعب الهند ولا نترك المشكل يستولي علينا» [١].

وهذا كلام صريح يعبر عن روح الشركة الإنجليزية في الهند وعملها تجاه الأديان، أما أثر ذلك في النفوس فيحسه كل قارئ من نفسه حين يتصور أن عدوه الذي سلبه قوته وأمته تمتد يده كذلك لتجرده من أعز شيء لديه وهو دينه وعقيدته، وذلك

[١] من تاريخ الشعر الفني للقضاء في الهند ص ٢٦ نقلا عن كتاب «الحكومة الاختيارية» ١٩٦٠.

بأساليب لا تمت إلى الشرف والإنسانية بسبب ... إن الحل الرادع ليتطلب في هذه الحالة أسلوبا حصورا .

• • •

ويمكن أن نضيف لما سبق من الأسباب هذا الحدث الذي قابله الأهالي بفزع وخوف من المستقبل الذي تبدو فيه الشركة مسيطرة على كل شيء، وذلك حين قبض « اللورد دلهوزي » على « واجد علي شاه » ملك مملكة « أوده » التي كانت عاصمتها « لكهنو » وضم مملكته إلى حكم الشركة سنة ١٨٥٦ ، وكذلك إلغاؤه لكثير من الألقاب والمرتبات التي كان يتمتع بها أبناء ملوك الولايات التي ضمت الشركة من قبل ، وأكثر من هذا أثرا في نفوس الناس حين وجه « اللورد كيننج » إنذارا إلى « بهادر شاه » الملك المغولي المسلم القابع في قلعته مجردا من السلطان ، بأنه سيكون آخر من يتمتع باللقب والمزايا وسكنى القلعة ، وأن أي القلعة ستتحول إلى ثكنة عسكرية للجنود الإنجليزية .

وقد كانت مهوى الأفئدة ومحط الرحال ، وطالما حفلت بأمجاد الملوك وشرفت بسكناهم . ولا تسل عن هذا الخبر في النفوس ولا سيما في نفوس المسلمين الذين سيطروا على الهند أكثر من ثمانية قرون . لقد أحسوا أن الشمس التي أشرقت على الهند حين دخلها محمود الغزنوي سنة ١٠٠١ م والتي شهدها آباؤهم عدة قرون كتب عليهم حظهم التعس أن يشاهدوا مغيبها .. وهو مغيب لا يؤملون معه شروقا .. فأي هم وحزن أصاب النفوس؟! وأية شرارة ستبقى لتهب من رمادها وتحمي دمارها ؟ .. إنه ملك إسلامي مجيد يهوي .. وكان المسلمون – على أي حال ومهما ضعف ملكهم – يرون فيه رمزا لعزهم وحكمهم ويؤملون أن يأتي ملك يبعث الروح إلى الجسد الهامد ويسترد عظمة آبائه وأجداده .. ولكن – وقد جاء الإنذار بإزالة آخر لافتة من حكم المسلمين وهي التي كانت باقية لهم يتعلقون بأهدابها – فما أفدح الخطب ... !

ولئن كانت هذه روحا تساور المسلمين وتشتعل بها نفوسهم لقد كان أبناء الهند من أهل الأديان الأخرى يرون في الملك المغولي المسلم ملكا وطنيا شعبيا يحكم الشعب للشعب حتى رأيناهم بمختلف طبقاتهم يلتفون حول الملك ، حتى « المراهتا » الذين طالما حاربوا ملك دهلي وحاربهم أحسوا بأن الشعار الوطني للهند كلها تمتد إليه يد أجنبية من الخارج جاءت من بعيد – من الجزر البريطانية – لتزيله ، وتقبض على أعناقهم ، فالتفوا حوله وأعلنوا خضوعهم له ، ومقاومتهم للإنجليز تحت رايته .

وهكذا تحت الجهود المبثرة في ساحة القلعة تشخص بأبصارها نحو الملك على رغم ضعفه وشيخوخته . واجتمعت كبار الشخصيات المتحمسة ضد الثورة وتهيئ لها ، لكن الأمور سارت بسرعة ، والحوادث تدافعت في عجل ، وبلغ استهتار الانجليز حدا فقد الناس معه الصبر ، فأحدث الثورة تندلع هنا وهناك بدون ترتيب .

اندلعت الثورة في « سنال » بقيادة أحمد الصدوس في مارس سنة ١٨٥٧ ، قبل أن تتهيأ الأماكن الأخرى فتمكن الانجليز من إخمادها في سرعة وقوة ، وفي الأيام التي نفذوا فيها حكم الإعدام على قائد ثورة الشمال كانت الشرارة قد انبعثت من مكان آخر ، فكانت إيذانا بفتح كتاب ضخم في تاريخ الهند والمسلمين على الأخص سجل فيه الشعب الهندي ولا سيما المسلمون منهم صفحات بيضاء من آيات البطولة والكفاح والتضحية ، وسجل الانجليز في الجانب الآخر منه صفحات سوداء من الخزى والعار ، مما سنتحدث عنه في المقالات الآتية إن شاء الله .

عبد المنعم النمر

ديوبند — مبعوث الأزهر والمؤتمر الإسلامي في الهند

الرافعي أديب الاسلام

في مساء الإثنين ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٧ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م) أقيم بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة حفل كبير عنى « أحاديث الإثنين » بالحديث عن شخصية أديب العصر السيد مصطفى صادق الرافعي رحمه الله ، وقد افتتح الحفل الأستاذ أحمد الشرباصي بكلمة عن « الرافعي أديب الإسلام » أبان فيها كيف عاش الرافعي مدافعا عن الإسلام كاشفا لأسراره ، ثم تحدث الأستاذ محمد سعيد العريان عن كيفية معرفته للرافعي ، وكيف كان يسيج وحده في لغته وبيانه ، ثم تحدث الأستاذ محمود أبو رية عن الرافعي في رسائله ، وكيف تضمنت هذه الرسائل كثيرا من شئون الإسلام والأدب واللغة ، ثم ألقى الدكتور حامد العواني كلمة عن مطالعاته في أدب الرافعي ، مستشهدا بنماذج من كتابات الرافعي ذات وقع بليغ ، ثم تحدث الأستاذ طاهر الطناحي عن ذكريات الرافعي ، فأطلع السامعين على كثير من هذه الذكريات الرافعية التي لم تنشر ولم تعرف من قبل ، وكان لهذه الذكريات تأثير عميق في نفوس الحاضرين ، ثم ختم الحفل بقصيدة للأستاذ هاشم الرفاعي حيا بها شخصية الرافعي وأدبه الإسلامي الرفيع ، وقد أعلن رائد الجمعية أنهم سيحتفلون بالرافعي في كل عام بمشيئة الله .

انتصرنا على الخوف ... !

بين وساوس الهلع ، وهواجس الفزع عاش العرب أحقاباً تهصرهم عوادي الأحداث وتعصرهم طوارئ الشدائد ، وتستبد بهم نوازع الوجل كلما هتف غاصب ، أو كشر طالب ، أو عقب دخيل ، أو تغطرس ذليل ، حتى صاحت الصيحة فانطلقوا مع أنفاسها مجلجلة كأنما تصرع رءوسهم مدارات الكواكب ، وتهز أبراج الشهب الثواقب ، وصرخوا في طواويس البشرية صرخة شوى خيلاءهم لظاها وأطار صوابهم صداها : تحررنا من الخنوع وانتصرنا على الخوف ... !

لقد صنعت سياسة الاستعمار من بعض الملوك أشباه أرباب ، وسيقت إليهم نفوس المستذلين قرابين تستحل دماؤها وتستباح أرواحها ، وصنعت سياسة الاستعمار حول هؤلاء الملوك سياجاً يستمد قوته من سلطان المستعمر ، ويحمي سيادته الموهومة حديد المستعمر وناره ، وجعلت سياسة الاستعمار تصور هؤلاء الملوك معابد صيغت لها من الرهبة الزائفة قدسية ، وساقت إليها الشعوب تمسح بالأعتاب ، وطالما تمسح بأعتاب المستعمر صاحب الأعتاب حتى دوى النفير وصاح النذير : لا استعمار ، ولا صنيعة يبثها للاستعمار . تحررنا من التضليل ، وانتصرنا على الخوف .. !

وأراد المستعمر أن تكون جيوشنا أشبه ما تكون ببيادق (الشطرنج) ، حركتها وسكونها رهن بإرادة اللاعبين .

وأراد كذلك أن تكون أسلحتها مما تقذفه مصانعه لا مما تحدث مصانعه ، أسلحة تخيف الضارب وتضحك المضروب بل تهلك الرامي قبل أن تحمل الموت إلى المرمى ، أسلحة ليست من الخشب ولكن الخشب في يد المحارب المستميت أشد منها فتكاً ، وفي أنياب الضراغم أمضى منها وأنكى .

ثم أردنا أن تكون لنا جيوش تريد وتعمل ما تريد بل تعصف بمن يكيد إرادتها أو يكيل يوم الزحف عرشها فجمجموا ولووا رءوسهم .

وأردنا أن يكون لنا سلاح يحمي حمى العرب ويخيف الغاصب ويمنع المطالب ، فغلقوا في وجوهنا أبواب المصانع ، وحسبوا أننا لن نجرؤ على طلب السلاح ممن نريد ومن حيث نريد ، وحسبوا أنهم ضربوا حولنا سورا من الرهبة فلا نستطيع أن نمد إلى غيرهم يدا ، بل إليهم وحدهم نمد اليد ، بل اليد المصروعة ، ولكن أسقط في يدهم حين رأوا السلاح الروسي يتدفق من البحر والجو فتمتلئ أرض العرب وصحراء العرب وأجواء العرب وسماء العرب بما يدرون وبما لا يدرون من السلاح ، وانطلقت الثورات العربية في سلاحها الجديد من قطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد وهي تهتف حطمنا الأسوار ، وانتصرنا على الخوف .. !

وجن جنون المستعمر حين اصطدم بالعزائم العربية وحيدا ، وثار أمام هذه التهديدات فألقى بجحافله من الجو والبحر ليرد إلى حظيرته المنطلقين ، ويعيد إلى قيوده المتحررين . ولكن هزمته الحقائق الرهيبة ، حقائق العروبة المؤمنة التي تحرر إيمانها من القيود ، حقائق النفوس المنبعثة من أعماق الماضي المجيد ، لتكتب أنصع الصفحات لحاضرها الجديد .. !

حقائق الوعي المتجاوب الذي ربط آفاق العروبة فجعلها جميعا شواظا يلتهم السفلة حماة المعتدين . حقائق البعث الجبار الذي يسخر من الحديد والنار .

لقد اصطدم المستعمر بكل هذه الحقائق الزاحفة ، فضيع ما بقي له من جنود وعاد وهو كسير ، ولم تزل ترن في أذنه صيحة الأحرار حققنا للعروبة وحدتنا وانتصرنا على الخوف .. !

ثم أعلن المستعمر الحرب الاقتصادية ليصبح العرب نهبا للجوع والحرمان أو ليذهبوا ضحايا الموقف من الجوع والحرمان ، أعلنها في إصرار ، ثم لوح بالدولار ، ليذل به أنفة العرب وليجرح به عزة العرب ، ولكن العرب الذين نبضت عروقهم بدماء الحرية لن يخدعهم لين العيش فيذلوا له ، ولن يبيعوا حريتهم وكرامتهم بمظهر كله زيف ، أو بجاه كله زور ... !

وهكذا علم المستعمر ما كان ينكر ، علم أنه أمام أمة عربية لا يخيفها الجوع ولا يذلها الحرمان .

وعلم أن الذهب الذي داسته أقدام الأجداد في إيوان كسرى وفي قصور قرطبة ، لن يستذل بريقه الأحفاد في القاهرة ودمشق والرياض وصنعاء والجزائر وتونس وغيرها

من بلاد العرب . وعلم أن هزيمته فى الحرب الاقتصادية جنى هو شرها قبل أن يجنى العرب شرها .

وعلم أخيراً أن النفوس الكبيرة أكبر من أن تستسلم للفزع أو تدين للخوف .

إن الخوف الذى جنا المستعمر الوانه لحرب العرب لم يبق له على الأحرار سلطان .

وإن الرعب الذى طالما سيطر على أرض العرب وأجوائهم وأمواههم قد جر أذيال الفشل أمام وثبات الغرائم فى كل بلد عربى ومن كل جو عربى وفى كل مياه عربية .

فليفق الغرب من غروره ، وليعلم الرجعيون أن سياسة استعباد الشعوب واستغلال مواردها تحت ضغط الإرهاب والخوف سياسة لم يعد يؤمن بها أحرار العالم ، ولم يعد يستسلم لها الضعفاء .

وسيعلم الغرب أن صوت الحرية الذى دوى فى أرجاء العالم سيديل قواعد الظلم وسيقوض عروش الظالمين ويطيح بتيجان المستهترين .

وسيعلم الغرب كذلك أن بلاد العرب التى عاث فيها واستغل كل ما فيها ستنفض عن ماثها صراعق تدمر كل ماله ، فلم يعد العرب يحسبون مواطئ أقدامهم منذ انتصروا على الخوف ها

محمد محمد خليفة

المدرس بمعهد القاهرة

فلسطين هى سوريا الجنوبية

بعث الحاج أمين الحسينى ـ بصفته رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين ـ ببرقية إلى المسئولين فى مصر وسوريا قال فيها : إن الشعب الفلسطينى يؤيد بحرارة وحماسة القرار البرلمانى المشترك بشأن الاتحاد الفيدرالى بين مصر وسوريا . وإن الفلسطينيين يعتبرون بلادهم (سوريا الجنوبية) وأنها جزء لا يتجزأ من سوريا . وهم يطالبون باعتبار فلسطين بحدودها الطبيعية والسياسية طرفاً فى هذا الاتحاد الفيدرالى ، كما يطالبون بالعمل لتقرير مستقبلها السياسى على هذا الأساس .

الإسلام والمسلمون في صحف العالم :

وعى العـــــالم الإسلامى

أمام الاستعمار الغربى

كتبت جريدة « الكوريرا دلاسيرا » الإيطالية مقالا قالت فيه : لا جدال فى أن وعى العالم الإسلامى هو أحد مظاهر العصر الذى نعيش فيه ومن الواجب أن نحسب حساب هذا الوعى فى خلق توازن عالمى جديد ، يقوم على التعاون والسلام .

ثم قالت الجريدة الإيطالية : إن العالم الإسلامى يضم حوالى ٣٦٠ مليون نسمة يؤمنون بتآخيهم وتراحمهم رغم اختلاف الجنسيات بينهم ، ويقول الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه (فلسفة الثورة) : إنه عند ما يفكر فى هذه الملايين المتحدة فى عقيدة واحدة يقوى إيمانه بالإمكانيات الضخمة التى يمكن أن تتولد عن تعاون كافة المسلمين ، ثم انتهت الجريدة إلى إعلان الحقيقة التى لا بد منها ، والتى يجب أن تقدرها دول الغرب فقالت . ولهذه القوى فى الشرق الأوسط آيات ومظاهر تشهد بأن الدول الغربية يجب عليها أن تقتنع آجلا أو عاجلا بأن عهد الاستعمار قد انقضى وأن التعاون السياسى والاقتصادى يستطيع أن يخلق توازنا جديدا ، يقوم على السلام بين العالم الإسلامى والعالم الغربى ، وهذا هو السبيل الوحيد لكبت الدعاية الشيوعية الماكرة ، التى ترسم استعمارا لا حدود له خلال الوهم الشيوعى .

وهذا الذى قالته الجريدة الإيطالية صحيح إلا أنها نقصت من تعداد المسلمين حوالى مائة مليون معتمدة فى ذلك على تعداد قديم ، إذ أن تعداد المسلمين اليوم يزيد على ٥٠٠ مليون مسلم فى الموقع الأرض [1] ، وثانيا فإن الصحيفة الإيطالية قد قرنت وعى العالم الإسلامى

---

(1) الحقيقة أن يزيد عدد المسلمين الآن عن خمسمائة مليون .

بما ترسمه الدعاية الشيوعية ، وهذا شأن جميع الصحف الأوروبية والأمريكية التي تتحدث عن أحوال المسلمين ، فهي لا تسوق الحديث في هذا المجال دائماً إلا من خلال الدعايات الغربية والشيوعية ، وأنصبة المصالح المشتركة التي تتنازعها الدول القوية على حساب المسلمين ، وكل منها تريد أن يكون له أكبر نصيب من هذه المصالح على حساب المسلمين وإنما الحقيقة التي يجب أن يدركها الغربيون والشيوعيون على السواء هي : أن الوعي الإسلامي يسير في طريقه مستقلاً معتمداً على قواه الذاتية ، فلا تحركه دعاية غربية ولا دعاية شيوعية ، ولا يرضى لنفسه أن يكون أداة طيعة تمشي على أهواء أولئك المتنازعين على المصالح ، والمتصارعين على مناطق النفوذ .

يجب أن يعلم الغرب والشرق أن يقظة العالم الإسلامي يقظة نبعت من وجدانه وضميره ، وأن هذا الوعي الذي يسود الشعوب الإسلامية ، إنما هو وعي ذاتي لا يستهدف إلا الخير للجميع ، وإلا السلام لجميع أبناء الأرض ، وإلا إقامة الصداقة بين جميع الأمم والشعوب .

أما دعوة الإسلام التي تقوم على التآخي والتراحم والتعاون ، فإذا ما أراد الغرب أو الشرق أن يتعاون مع المسلمين على أساس هذه المبادئ ، فإن يد المسلمين لا شك مبسوطة بهذا العمل في مختلف النواحي وشتى الميادين .

الإسلام والشيوعية :

في مقال عن الشيوعية والإسلام قالت جريدة « الأمة » السودانية : « إن الشرق العربي يتعرض اليوم لأكبر حملة شيوعية ، فالشرق العربي دينه الإسلام ، والإسلام وضع من الأسس الاجتماعية خير ما يمكن أن يصل إليه عقل بشري ، وليس ثمة حاجة إلى جلب أية مبادئ أخرى لتحل مشكلاته ، بل إن المذهب الشيوعي أخطر المذاهب على الإسلام والمسلمين » .

وخلصت الجريدة من هذه المقدمة إلى الحديث عن الوضع في السودان ، بالنسبة الشيوعية فقالت : « السودان بلد عربي مسلم ، له من التقاليد الإسلامية ما يزيده زهدا في الشيوعية ، وليس في السودان طبقات بين الشعب ، ولكن الشيوعيين على قلتهم في السودان يحاولون إيجاد الفوارق ، وإثارة الطوائف بعضها ضد بعض » ، ثم ناشدت الجريدة حكومة السودان أن تعمل على حماية الشعب وتقاليده من عبث أولئك الشيوعيين .

وقـــد تناقلت إذاعة « أنقرة » هذه الكلمة فأذاعتها عن العالم الإسلامى مناشدة المسلمين أن يفطنوا لوسائل الدعاية الشيوعية ، ولخطر الشيوعية على الإسـلام قائلة : إن الشيوعية أكبر خطر فى التاريخ على الإسلام والمسلمين .

ويبدو أن الصحيفة السودانية هى الأخرى قد تناولت هذا الموضوع بدافع على حرى وأنها قصدت من تناول الموضوع أن تلق على الحكومة تبعة من التبعات . . وعلى أية حال فإن ما قالته الصحيفة السودانية صحيح ، فإن المسلمين يجدون من مبادئ دينهم الاجتماعية والإنسانية ما يغنيهم عن الاتجاه إلى أية مبادئ خارجية ، وإن فى الإسلام من المبادئ ما يحقق العدالة والمساواة على خير ما تكون العدالة والمساواة ، ولكن يجب أن نحذر فإن الدعايات المغرضة تحاول أن تجد لها مجالا ، لا تحقيقا لعدالة أو قصدا إلى مساواة كما يزعمون ، ولكن قصدا إلى غاية معروفة هى : تحقيق مبادئها ومطامعها ، ووسيلتها فى ذلك : إما متعصب يطلب العيش أو جاهل لا يدرى عن الإسلام أى شىء ، والفقر والجهل لا شك سبب كل علة ، ومصدر كل آفة .

المسلمون فى آسيا الوسطى :

عقد المسلمون فى آسيا الوسطى ، وقازاقستان مؤتمرهم الثالث فى طاشقند وقد استغرق أربعة أيام ، واشترك فيه مائة وخمسون وفدا يمثلون المسلمين فى هذه المناطق . وحضره السيد عبد الحميد عبد الله رئيس الجالية الإسلامية فى باكو ، والسيد فخر الدين سالبكوف إمام مسجد موسكو والسيد عبد الباري إسماعيل إمام مسجد لينينجراد .

وقـد أذاعت وكالة الأنباء أن المؤتمر استمع إلى تقرير عن نشاط المسلمين فى آسيا الوسطى ، وضعه السيد ضياء الدين بابا خانوف نائب رئيس المؤتمر قال فيه : إن خمسين مسجدا قد تم إنشاؤها فى الفترة الأخيرة بأوزبكستان .

وأن مدرسة إسلامية قـد افتتحت فى باركان لتخريج العلماء ، وقال : إن جماعات كثيرة من مسلمى آسيا الوسطى قد أدت فريضة الحج فى الأعوام الماضية ، كما ازدادت الروابط بين المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، وبين المسلمين فى جميع أنحاء العالم ، وتم تبادل الوفود فيما بينهم ، وزارت وفود من المسلمين السوفييت لبنان وسوريا والهند واشتركوا فى مؤتمر الشعوب الآسيوية والإفريقية الذى عقد فى باندونج ، ونحن يهمنا

أن يكون كل ما قاله السيد ضياء الدين صحيحا ، وأن تكون حال المسلمين فى آسيا الوسطى على خير ما يجب أن تكون من التواد والتراحم والتعاطف بين المسلمين ، ويهمنا ألا يكون ما أعلن فى هذا المؤتمر من قبيل المظاهر التى ستغلها الدعايات المغرضة فى هذه الأيام ، وألا تكون هذه المؤتمرات التى سقعد فى بعض نواحى العالم الإسلامى ، كتلك المؤتمرات التى عقدت وتكررت بين المسلمين بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم ذهبت تلك المؤتمرات بذهاب الأعراض التى كانت وراءها الأيدى الخفية التى كانت تحركها .

إننا نحبذ هذه المؤتمرات بين أبناء العالم الإسلامى للتعرف والتعاون وتبادل الآراء ، ونحبذ أن تكون هذه المؤتمرات عامة شاملة يتمثل فيها صوت المسلمين فى جميع الأرض .

أما هـذه المؤتمرات الحزبية المحلية فلن يكون لها جدوى طائلة ، ولماذا لم يوجه القائمون بأمر المؤتمر الإسلامى فى آسيا الوسطى الدعوة إلى الهيئات الإسلامية ، وإلى ممثلى المسلمين فى الأقطار الأخرى ، لحضور مؤتمرهم ، وللتعرف على شئون إخوانهم ؟

فعليهم أن يتداركوا هذا فى مؤتمرهم القابل . . . ! .

محمد فهمى عبد اللطيف

نجاح سياسة الحياد

أعلنت الدوائر الدبلوماسية والرسمية فى باريس أن مصر قد برهنت على نجاح سياسة « الحياد » فى الحرب الباردة الناشبة بين الشرق والغرب ، ولقد تصبح مصر « مثالا خطرا » تحذو حذوه دول الشرق الأوسط .

وقالت صحيفة « لوموند » الفرنسية فى مقال افتتاحى نشر فى الصفحة الأولى : « إذا كان هناك مصرى واحد يساوره أدنى شك فى المفعول السحرى للحياد الإيجابى ، فإن الأنباء الأخيرة — عن المعونة الاقتصادية الروسية لمصر — قد أزالت كل تردد » .

الثقافة الماجنـــــة

وأثرها في المجتمع

يتعرض شبابنا لمحنة قاسية سيكون لها أثرها في المجتمع المصري ولقد بدا خطرها يتماثل أمام أعين بعض الناس وسيتعاظم ويشتد حتى نحس به جميعا وحتى يستعصي على العلاج ، ومن الخير أن يبادر المصلحون بالتنبيه إلى الوقاية منه وحماية المجتمع من شره .

فقد انصرف بعض الكتاب إلى الكتابة في الموضوعات التي تمس مسائل الجنس والغريزة دون تحوط واحتشام ودون تقدير لعواقب هذه الكتابات على أخلاق الشباب وبناء المجتمع ، وأخذت المطابع تصدر كثيرا من هذه الكتب بعنوانات مختلفة ترمز إلى ما فيها من موضوعات تستهوي نفوس الشبان وتسترعي أنظارهم ، وقد استغل أولئك الكتاب عواطف الشباب وميولهم وإقبالهم على هذا النوع من الكتب فأخذوا يكثرون منها ويتفننون في عرضها وجذب الأنظار إليها ، ولم يكتفوا بالعبارات العاطفية الملتهبة بل استعانوا بالصور الخليعة يرسمونها في معارض مختلفة عارية تنقبض لها نفوس الأحرار وتندى لها جباه الآباء والأمهات .

وقد راجت سوق هذه الكتب لما أسلفنا ، وساعد رواجها وكثرة ما يطبع منها على رخص أثمانها وجعلها ممكنا لأكثر الطبقات من قراءتها بعد انتشارها انتشارا شاملا لا يخص طائفة دون أخرى ، وقد يهون الخطب لو اقتصر الأمر على هذه الكتب المستقلة ، ولكن المؤسف والمزعج أن هذه الكتب زودت من الشر مددها ونظائرها من كثير من المجلات التي نعدها راقية وتقبل على قراءتها أسر كريمة ، أبواب خاصة تضج بالموضوعات الغريزية وتفوح منها رائحة الحسيات صارخة كريهة ، تأنف لها الأخلاق الكريمة والتقاليد الفاضلة ، وفي هذه الأبواب استفتاءات في حكايات جنسية انزلق فيها السائلون ووقعوا منها في محرجات خلقية وعاطفية ، وهم يتجهون إلى المجيبين في هذه المجلات فتوى في هذه النوازل يرجون بها خلاصهم مما يرجون ، ويتخلصون من آثامهم وأوزارهم ، ويتولى هؤلاء المفتون الإجابة عليها في أساليب يعف القلم عن اقتباس أمثلة منها ، ويأبى الحياء والإشفاق على

القارئين تلخيصها ، بما تأبى الاعتبارات الكتابية التصريح بأسماء هذه المجلات ، ومن العجيب في بعض هذه الأبواب أن يكون المستفتى والمفتى من هذا الجنس الذى يحمد الله والناس منه خلق الحياء والاحتشام .

وثالثة الأثافى أن تعرض محطة الإذاعة في بعض أركانها لنواح خلقية ما كان أغناها عنها وما أليقها بالا تحوم حولها . وفي هذه الأركان يعرض ذكاء الأشخاص بسؤالهم عن كيفية التخلص من بعض المآزق ، وأحيانا ما تكون مآزق خلقية مريبة فيجيب الممتحن بما يسعفه به ذكاؤه فإن لم يفلح في حل تلك المشكلات ، والخلاص من هذه المآزق ، تولى الممتحن إرشاده إلى ما يحسن عمله للخلاص من هذه الأزمات . ولقد أثارت هذه الأركان بعض المستمعين إليها فاحتجوا على إذاعتها لسوء أثرها الخلقى ، ففى إرشاد إلى التخلص من الجرائم أشبه ما يكون بتدريب اللصوص على الفرار من المسئوليات القانونية والأدبية ، وقد عدل عنها حينا ثم أعيدت دون ضرورات ملحة إليها في علم .

سيقول بعض أنصار الحرية الفكرية في الدفاع عن معالجة مثل هذه الموضوعات : إننا لم نتجاوز حدودنا فيما نكتب ، ولم تكن مصر بدعا بين الأمم في هذا الشأن ، وفي معالجة مثل هذه الموضوعات التى تزعمون في الخطر منها لون من الثقافة لا بد منه للشباب ، ويدعى بعض رجال التربية الحديثة ضرورة الإلمام به ليكونوا على بصيرة بمستقبلهم فيها ، إلى مغالطات أخرى لا يخفى على كثير من الناس وجه الخطأ فيها . فالحرية لها حدود لا بد من الوقوف عندها ، فإذا جاوزتها كانت فوضى لا تؤمن عاقبتها ، وحد الحرية ألا تضر بمصلحة المجتمع ، ولا تؤذى شعور الناس ، ولا تخدش الآداب العامة والتقاليد الكريمة ، وما من شك في أن هذه الكتب التى أشرنا إليها تجمع هذه المساوئ ، وفوق ذلك فإنها تغرى الشباب بالاستهتار والتحلل وتصرفهم عن الثقافة الراقية المفيدة التى تغذى أرواحهم وعقولهم ، إلى هذه الثقافة التافهة التى تثير غرائزهم وتلهب عواطفهم وتوقعهم في الحيرة والحرج وقد تجنى على مستقبلهم بما تجلب من أمراض عصبية وعضوية نتيجة التعلق بها .

وليس الاحتجاج ببعض الشعوب بمبرر لنشرها ولا مخل من المسئولية فيها ولا مانع عما نتوقعه من الخطر منها ، والاعتذار بشيوع الجريمة عن الجريمة لا يعفى من العقاب عليها ، وما آمن كثير من الناس بسلامة الأخلاق في الشعوب التى صادفتها الثقافة الجنسية المزعومة ، وإن كثيرا من عقلاء تلك الشعوب يألمون منها ويجزعون من نتائجها ويشيرون إليها

الإخفاق في المواقف الوطنية الحاسمة ، ولئن سلمنا بما يزعمه أولئك من سلامة الأخلاق في هذه الشعوب ، إلا أنه ينبغي لنا ألا ننسى ما بيننا وبينها من فروق في التقاليد ، وفي المستوى الاجتماعي والثقافي ، ومن فروق في الأجواء الطبيعية ، وفي النظر إلى المسائل الجنسية ، ودعوى تعميم الثقافة الجنسية بدعة أجنبية ، ينظر إليها العقلاء في كثير من الشك والارتياب والاستنكار ، وستكشف التجارب عما في هذه الفكرة من الخطأ والخطر (1) ، وقد أحاطت الأديان والأخلاق أمور الجنس بما ينبغي لها من حدود وأسوار ، وإن من الآداب الدينية أن نوري ولا نصرح ، ونشير ولا نوضح ، وأن نختار لها العبارات المهذبة ، والأساليب الراقية ، لأن ذلك مما يساير الفطر السليمة ، والأخلاق الكريمة ، ويحمي مصلحة الحياة في أفراد المجتمع ، ويلائم بناءه الخلقي .

إن من واجب المسئولين عن سلامة المجتمع وسلامة الشباب بوجه خاص ، أن يضعوا تحت أنظارهم هذه المطبوعات ، ويدرسوها بعناية تامة ليتبينوا مدى ما أشرنا إليه من أخطار تهدد مستقبل أبنائنا ، وكفى ما منينا به من عبث خلقية ، يستنفد علاجها كثيرا من مجهودات الهيئات المختصة بهذه الشئون ، وفي يقيننا أن دعوتنا هذه ستجد طريقها إلى أسماع المسئولين ، وستلقى نصيبها من القبول ، فهي ناحية من النواحي جديرة بأن يكون لها حظ من الإصلاح في هذا العهد الزاهي الميمون .

أبو الوفا المراغي

مصر والقومية العربية

أعلن اللواء عبد الحكيم عامر قائد القوات المسلحة ، وهو يدلي ببيانه في مجلس الأمة عن رحلته إلى روسيا ، أنه قال في الكرملين مساء ١٩ نوفمبر في حضور قادة الاتحاد السوفيتي : « إن القومية العربية ليست رغبة في بناء امبراطورية ، وإنما هي بناء عاطفي ، وتاريخي ، وطبيعي ، وهي أمن مشترك ، وسلامة جماعية . بل هي ضرورة استراتيجية لشعوب متحدة الأماني تنشد لها مكانا تحت الشمس (تصفيق) .

---

(1) المجلة — في مقال الدكتور محمد محمد حسين المنشور في هذا الجزء من مجلة الأزهر دراسة علمية وافية ببيان ما في هذه الفكرة من الخطأ والخطر ، ولعل أهل الحل والعقد في الدولة والأمة يولون هذه الناحية ما تستحقه من تفكير حكيم وتدبير حازم يليق بعهد الثورة في الحل والنظر

بين مادية العلم وروحانية الدين . . . !

تنبهت البشرية الوسنانة على صوت العلم المجلجل ، وهو يعلن بداية الانتقال إلى مرحلة الدراسة العملية لعلاقة الأرض بالكواكب الأخرى ، بقصد الإفادة من هذه الدراسة في محاولة الوصول إلى ما يمكن بلوغه من تلك الكواكب ، والتعرف على مدى صلاحيته لحياة الإنسان عليه .

وأثار هذا النبأ وساوس وأحاديث ، حتى ارتابت نفوس فيما قر لديها من مبادئ ، وما تعورف عليه بينها من معتقدات ، بعد أن دعا قوم إلى السير مع الركب المتقدم نحو المادة ، والتخفف مما ظن أنه سلاسل وأغلال تربط الإنسان — في زعمهم الباطل — بوهم الروح ، وتمسكه عن اللحاق بعجلة التقدم . وفي الحق لم تكن النتائج التي وصل إليها العلم غريبة على سمع الخاصة ، المعنيين بمسائله ، وإن فوجئ بها غيرهم — شأنها في ذلك — شأن ما سبقها من الاكتشافات التي اهتزت لها النفوس كتحطيم الذرة ، والتحكم في قوة الهيدروجين ، والكوبالت ، وتوجيه الصواريخ إلى غير ذلك .

والإنسانية ترحب بكل ما يفتحه العلم من آفاق جديدة ، شريطة أن يكون القصد من وراء ذلك خيرها ورفاهيتها ، كما أن الدين الحق لا يحد من النشاط العلمي إذا توافر الشرط السالف ، ولا يصد تياره المتدفق عن أن يبلغ نهايته . . . !

فقد مضى إلى — غير رجعة — ذلك الزمن الذي اصطدم فيه العلماء الباحثون برجال في البلاد الأوربية نسبوا إلى الدين ، فلاقى العلماء منهم عنتا وعسفا بلغا حد تقديمهم لهم كمتهمين أمام محاكم التفتيش ، فقضت بسجنهم ، والتنكيل بهم ، وتوعدتهم بالتعذيب ، وفرضت عليهم الكفارة حتى يظفروا بالغفران . . . !

والدين الإسلامي خاصة ، قدس العلم ، ونعى على الجاهلين والناعسين جهلهم وغفلتهم فمن ذلك قول الله تعالى : «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» ، وقوله تعالى : «أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها» ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» .

وحسبي أنه لولا البحث والدرس ، وحل المشكلات في سبيلهما ، بل وسقوط بعض العلماء صرعى تجاربهم وأبحاثهم أحيانا — لولا ذلك — لما بلغ العالم هذا الحظ من المدنية والتقدم ، ولما نعمت الإنسانية بما تنعم به الآن من أسباب الرفاهية ، التي جعلت حياتها سهلة ميسرة ، فتقاربت الأصقاع المتنائية ، وطويت المسافات حتى صار سكان المعمورة وكأنهم مجتمع واحد . . . ! وإذا كانت الإنسانية مدينة للعلم بهذا بل وبأكثر من هذا . . . ! فحاجتها إلى الدين أيضا ماسة وضرورية إذ هو النور الذي يهديها ، ويسمو بها القيم الروحية التي ترتفع بها من حضيض البهيمية ودرك المادية ، إلى سماء الروحانية . . . ! كما أن طلب العلم في ذاته كما يقول فقيد العلم والفلسفة الدكتور علي مشرفة : مبني على قيمة روحية هي : حب الحق .

فطالب العلم طالب حقيقة ، ومن هنا كان الدين داعيا إلى طلب العلم ودافعا إليه ؛ وكان العلماء أعرف الناس بالحق ، وأكثرهم إذعانا له ، وأشدهم إحساسا بقدرة الله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وأذكر بهذه المناسبة قصة رواها لنا في قاعة الدرس بالأزهر الشريف أحد أساتذتنا الذين درسوا لنا العلوم الحديثة ، وهي لا تزال عالقة بذهني على طول العهد بها ، وتبين بجلاء مدى الارتباط الوثيق بين العلم والدين . والقصة عن مبعوث أوفدته مصر إلى بلاد الأجانب للتخصص في دراسة علم الفلك ، فأقبل في دراسته على النجوم والكواكب يراقبها بالمناظير المكبرة وهي تسير في أفلاكها ، بنظام محكم ، ودقة متناهية — على كثرة عددها وتقاربها — فرأى فيها الدلالة الحقة ، على قدرة الله العلي المبدع ، وما زال يتأمل فيها ويتدبر حتى أفضى به التأمل والتدبر ، إلى الاتجاه كلية إلى الله الخالق الأعظم ، والتهج بذكره صباحا ومساء والغفلة عن سواه ، وصدق جل وعلا حيث يقول : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولي الألباب .. ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » .

فلا يظنن ظان أن العلم يسير في طريق مواز لطريق الدين مما يستحيل معه أن يتلاقيا ، ولا يظن أيضا أن العلم يطبع قلوب العلماء بقسوة المادة ويجردها من رحمة الروح ، وإلا فكيف نفسر ما يذكره التاريخ بفخر لبيير كوري ومدام كوري من عزوف عن المآرب الفردية ، وبعد عن الأنانية ، ذلك البعد الذي دفعهما لأن يرفضا إباء

الانتفاع ماديا من ثمرة كشفهم ، ويهباه خالصا لوجه الإنسانية ، كما يؤيد تلك الحقيقة الناصعة ما روج بعض العلماء الأمريكيين القدامى من شئون القنبلة ، ونقل أسرارها للمعسكر الشرقي — كما رجح ذلك من التحقيقات التي أجريت في هذا الشأن — إيمانا منهم بأن احتكار طرف واحد لها يغريه بالتسلط والطغيان ، وقد يدفعه التفوق إلى إشعال نار الحرب في محاولة لفرض الرأي ، والانفراد بالسلطان ، ولا يبقى لما قدروا سوى توجيه ما وصل إليه العلم إلى الأغراض السلمية ، إذ يبدو أن هناك منهم من يعاني من تأنيب الضمير على التعذيب الوحشي الذي لاقته الإنسانية من أمريكا في هيروشيما ونجازاكي ، وظهر ذلك جليا في كتاباتهم بين الحين والحين مما دعا الحكومة الأمريكية نفسها إلى محاولة إخفاء آثار الجريمة بإسدال الستار عليها وعدم التحدث عنها ، وما ظهر من آثارها حتى اليوم هو نتيجة مجهودات غيرها .

إذن فالعلم طريق من طرق الإيمان ، وإذن فالعلماء المخلصون قلوبهم عامرة بالخير نتيجة علمهم ومعرفتهم ، وهذا حق وإن لم يصل إليه بعض المرتابين .

على أن الأشواط الجبارة التي قطعها العلم المادي في تقدمه ، تفرض علينا نحن أبناء الإسلام عامة والأزهر خاصة مضاعفة جهودنا في رعاية تراثنا الإسلامي ، الذي حمل أمانته وذاد عنه أزمانا معهدنا العتيد ، ويقع على أبنائه وحدهم اليوم عبء الدعوة إلى المثل الروحية العليا ، التي يزخر بها هذا التراث ، والتي هي سبيل الخلاص الحق للعالم الذي أضناه التصارع على المادة من جهة الروح ، مع أنه لا حظ له من كليهما ، ونحمد الله على أن هيأ لنا حكومة تؤمن بالمثل العليا ، وتعتنقها عملا في سياستها ومن أجل هذا تحيط الأزهر الشريف بالرعاية ، ليتمكن من تحقيق رسالته السامية المنشودة .

وأخيرا أدعوا قوى العرب والمسلمين إلى مسايرة ركب الحضارة العلمية ، وعدم التخلف عنها ، مكررا ألا تعارض مطلقا بين البحث العلمي الهادف لخير الإنسانية ، وبين مثلنا الدينية التي تفرض علينا ، حتى نعيد بذلك سيرة أجدادنا أعلام العلم ، أمثال الخوارزمي أول من وضع علم الجبر ، والرازي صاحب مؤلفات الطب القيمة ، وجابر بن حيان المكتشف في التقطير ، والفرغاني والصوفي والبتاني علماء الفلك المبرزين ، والفارابي وابن سينا وابن خلدون وغيرهم كثيرون ، هؤلاء الذين نفخر بهم كمؤسسين للحركة العلمية ، والتي منهم انتقلت إلى أوربا في منتصف القرن الثاني عشر ، ثم تابع الغربيون السير على أضوائها حتى وصلوا إلى ما وصلوا

إليه ، وتخلفنا عن ضيم المعوقات التي ابتلينا بها ، وها قد بدأت تزول هذه المعوقات من وطننا العربي بفضل النهضة التحريرية الداعية لاستقلال الشعب العربي ووحدته والتي حملت لواءها الشقيقتان مصر وسوريا ، فأطربت سمت الشعوب العربية التواقة للحرية والوحدة ، وبعثت فيها روح الكفاح الصادق الرامي إلى التخلص من المستعمر وأذنابه . . ! فإلى غد قريب تشرق فيه شمس الحرية على بقية أجزاء الوطن العربي ، ومن بعده إن شاء الله يعم بورها الوطن الإسلامي الكبير ، وسبيلنا إلى تحقيق هذا الهدف الحبيب نهضة علمية مادية صاعدة ، تحوطها مثلنا الروحية الكريمة الماجدة . . . ! ، ا هـ

إبراهيم محمد الأصيل

من الرئيس إلى الأستاذ الأكبر

أبرق السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية إلى السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر البرقية التالية ردا على برقية فضيلته المنشورة في ص ٣٧٤ من الجزء الماضي بمناسبة الاعتداء الثلاثي الغاشم على مصر :

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر تلقيت بخالص التقدير برقيتكم الرقيقة التي بعثتم بها بمناسبة ذكرى الاعتداء الآثم على الوطن العزيز ، وإني إذ أبعث إليكم بأخلص الشكر مقرونا بأطيب الأماني ، أدعو الله تعالت قدرته أن يصون العروبة جميعا ، من كيد الكائدين ، ويحقق لشعبها ما يصبو إليه من وحدة وعزة ومجد .

(جمال عبد الناصر)

لغويات

عريان . عرايا . عراة

يشيع اليوم على الألسنة جمع عريان على عرايا ، وهذا الجمع للعريان غير صحيح ، وإنما العرايا جمع العرية ، وهى النخلة يمنحها الغنى الفقير ليتمتع بثمرها ، ولها معان أخر تذكر فى باب الربا فى الفقه . فأما عريان فيجمع فى التصحيح إذا كان للعقلاء على عريانين ، وفى التكسير على عراة ، وقد جاء الخطأ فى جمع عريان على عرايا من قبل شبهه بخزيان وندمان ، وهما يجمعان على خزايا وندامى .

وإنى أسوق إليك نصا لسيبويه . قال فى الكتاب ٢ / ٢١٢ : « وإن شئت قلت فى عريان : عريانون ، فصار بمنزلة قولك : ظريفون وظريفات ، لأن الهاء ألحقت بناء التذكير حين أردت بناء التأنيث فلم يغيروا ، ولم يقولوا فى عريان : عرياء ولا عرايا ، استغنوا بعراة ، لأنهم مما يستغنون بالشىء عن الشىء حتى لا يدخلوه فى كلامهم » .

وقوله : « ولم يقولوا : عرياء » أى كما قالوا خمصان وخماص ، فكان هذا مما كان لهم فى القياس أن يقولوا : عرياء ، ولكنهم اطرحوه استغناء عنه بعراة ، وقوله : « ولا عرايا » أى كما قالوا خزيان وخزايا ، وسكران وسكارى ، لأن عريانا ليس من باب خزيان .

وقد بان من كلام سيبويه أن عراة ليس فى القياس جمعا لعريان ، وإنما هو قائم مقام جمعه ، وهو عرياء كخماص . ذلك أن عراة جمع لعار كقضاة جمع لقاض ، غير أنه لما كان عريان فى معنى عار جعل عراة جمعا لعريان فى الاستعمال واستغنى به عن عرياء ، وهذا كما استغنوا بكماة فى جمع كمى عن أكمياء لما كان كمى فى معنى كام ، وفى اللسان : « والكمى : الشجاع المتكمى فى سلاحه ، لأنه كمى نفسه أى سترها بالدرع والبيضة . والجمع الكماة ، كأنهم جمعوا كاميا مثل قاض وقضاة » . ومن هذا جمعهم شاعرا على شعراء لما كان فى معنى شعير الذى كان حقه أن يكون وصفا من شعر بضم العين ، ولكنهم أهملوا هذا الوصف (وهو شعير) استغناء عنه بشاعر الوصف من شعر بفتح العين ، وهو باب أفاض فيه ابن جنى فى الخصائص ، ويعرف فى فقه اللغة بتداخل اللغات .

شرار الناس

هـذا استعمال مشهور بين الناس . وشرار جمع شرّ . يقال : رجل شرّ أى ذو شرّ ، وقد وصف الرجل بالشر المبالغة ، كما يقال : رجل عدل ، غير أن الجمع الوارد فى المعاجم لشرّ أشرار . ففى المصباح : « ورجـل شرّ أى ذو شرّ وقوم أشرار » وفى اللسان : « وقوم أشرار : ضد الأخيار » وفيه : « وقوم أشرار وأشرّاء » . وقال يونس : واحـد الأشرار رجل شر مثل زند وأزناد . قال الأخفش : واحدها شرير وهو الرجل ذو الشر، مثل يتيم وأيتام » .

غير أنى وجدت فى البخارى فى كتاب الصلاة (باب الصلاة فى البيعة : « عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية ، فذكرت ما رأت فيها من الصور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجـل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » . وبورودها فى الحـديث يصحح الاستعمال المشهور بين النـاس .

السهوة : الطفيسى : الصدرة

يطلق أهل القاهرة الطفيسى على ما يعلو الحمام فى البيت إذا كان الحمام لا يبلغ سقفه سقف البيت . وقد يسميه بعضهم الصدرة . ويوضع فيه بعض المتاع وخرثىّ المنزل .

وقد وجدت فى العربية كلمة يقرب معناها من معنى الطفيسى وهى السهوة . فقد جاء فى شرح التبريزى للحماسة ٤ / ٨ (طبعة المكتبة التجارية) : « والسهوة : بيت صغير فى البيت الكبير ، وقيل : هو الصفة بين يديه ، وقيل : حائط يبنى بينه ، وقيل : هو أن يحفر بيت فى الأرض ، وقال قوم : يبنى حائط فى البيت لا يبلغ به أقصاه ، ثم يوضع عليه الخشب ، فما كان بين الحائطين فهو سهوة ، وما كان تحت الخشب فهو مخدع » . والذى يدخل فيما تحدث عنه هو التفسير الأخير .

جرصه ، روصه

١ - يقول النـاس : جرصه أى نصحه وأطلق نصيحته . وقد يقولون : جرصه

بالعصى ، والاسم الجرسة . والأصل في هذا الجرس الذي يضرب به ويقال له : الجلجل . فكأن تجريس المرء أن يضرب الجرس إيذانا بعيبه وما أتى من مأثم . ولم ترد هذه الصيغة صيغة التفعيل من الجرس في اللغة ، والذي فيها : أجرس الجرس : ضرب به .

وترى التجريس في شعر لشرف الدين البوصيري صاحب البـــردة والهمزية المتوفى بالإسكندرية في سنة ٦٩٦ هـ . وهذا الشعر قاله في حمار له كان استعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته وحبسها ، وبعث إليه بغل ، ومنه قوله :

لـــو جرسوه على من معه لقلت غيظا عليـــه : يستاهل

وقد ورد هكذا في مطالع البدور ٢ / ١٩٢ ، ووروده بالسين في فوات الوفيات . وورد التجريس في حاشية الباجوري المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ على شرح ابن قاسم الغزي في فقه الشافعية في كتاب الحدود ، فقد كتب على قول المصنف (عزر) : « أي عزره الإمام من ضرب أو صفع ـ بالفاء والعين المهملة ، وهو الضرب بجمع الكف أو ببسطها ـ أو حبس أو نفي أو تجريس أو تسويد وجه أو قيام من مجلس أو توبيخ بكلام »

٢ — ويقولون : رقصه ، وضربتها ، رمسه بالعصى .

الشادوف : المنزفة

يطلق الشادوف في مصر على أداة لرفع الماء من القناة وري الزرع . وهو عند العراقيين الخادوف، ففي المعيار : « والخادوف ـ كجاموس : شيء يرمى به الماء في المزارع ، عراقية » وهذا لا يعرف في العربية ، وإنما يقال لهذه الأداة الدالية أو المنزفة . جاء في المصباح « الدالية . دلو ونحوها وخشب يصنع كهيئة الصليب ويشد برأس الدلو ثم يؤخذ حبل يربط طرفه بذلك وطرفه بجذع قائم على رأس البئر ويسقى بها » . وفي اللسان : « والمنزفة ما ينزف به الماء . وقيل : هي دلية تشد في رأس عود طويل وينصب عود ويعرض ذلك العود الذي في طرفه الدلو على العود المنصوب ويستقى به الماء » .

ويبدو لي أن الشادوف أو الخادوف أصله الحادوف وهو الحذاف، وفي الدالية عودها وهو يشبه الحذاف . ويقرب من هـــذا الجادف وهو الملاح ، وهو سبب من الدالية لاتصالها بالماء .

محمد علي النجار

عاشق النـــــور

علّمـــوه في صباه الغزلا ورموه لليالي مثقلا ...!
كلما فاض به الوجد مضى يخدع الشوق ويدني الأملا
ويذيب الحب دمعا ناحلا طـاهر النبع ـ حنينا مسبلا
رب بحـــر رائع عينه والدجى مازال سترا مسدلا
كلما ألم نور ظله .. من ربا نجد ضنى هزلا
عاشق النـــور على آفاقه يهب الليـــل هناك الطللا
وشذيا في كل ومض مشهد من خيالات حبيب يجتلى
إيه يا روح طيري واطمئني أوشك الشـــوق يتيح الأملا

• • •

هذه « يثرب » .. هذا ربعها قد أثار الدمع حبا مجملا
فانطلق يا دمع ... خدي ظامئ ودموع القرب تشـــفي الغللا
ودموع في لقـــاه أمل ... فانهـــلي يا روح منها منهلا
وانظري حولك في إشراقـــة والمحي المجد جليلا مقبلا
واسمعي « يثرب » تحـــكي قصة كيـــف صارت للمعالي معقلا
أنصتي ياروح هـــذا صحبها ينشـــد الروح زمانا قد خلا
ونبيـــا لم يزل في أفقـــه حين يزهى الناس أعلام علا
هل ترين النور .. هذا نوره ثابت الشمس ولا ... لن يأفلا
في جبين الأفق يبدو غرة تجـــذب الروح وتهدي المقبلا
هـــذه طيبة ... هـــذي داره فاخفضي الهام ... وامشي خجلا
واسبحي كالطير في نشوانها جانب الدمع تغنت وجلا

• • •

ها هنا صلّى وناجى وبكى — وجثا عبداً وأحيا ميلا

هذه الأرض أحبت حلمه — ولدى الحرب رأته مشعلا

هذه الأسماء من أعطاره — مست الركب فأمسى ثملا

هذه الروضة في بهجتها — وحبيب الله فيها يجتلى

كلما ثارت بقلبي نشوة — تلهب الوجد وتنسى الوجلا

نهنهتني رهبة لا تنثني — كلما كدت . . . نثنى خجلا

وأراني في جلال غامر — يلهم الشوق ويجرى المقلا

لا أناجيه وإن ناجى دمي — وحنيني فاض دمعاً مسبلا

يصعب الشوق فؤادي ذاهلا — كلما زرت مددت الأجلا

ووددت العيش في أكنافه — لا أريد العمر عنه حولا

• • •

يا حبيبا كل روح ترتجى — أن تلاقي في لقاه الأملا

أنا لم أهجر ولكن راعني — دينك الحر يعاني العللا

بعثت العرب أن لا أنثني — أرفع الحق وأحمي المثلا

وأرى الأرض في ظلماتها — بالذي أهديت عنه الأولا

محمد بدر الدين

نظام مصر الاجتماعى

صفق النواب المصريون حينما عند ما قال لهم القائد العام عبد الحكيم عامر وهو يلقى بيانه فى المجلس عن المهمة التى قام بها فى روسيا : إنه قال فى الكرملين — أمام قادة الاتحاد السوفيتى — : إن نظام مصر الاجتماعى يختلف عن نظام روسيا . كما صفق المجلس مرة أخرى عند ما شكر القائد العام روسيا لموقفها من العدوان على مصر والتهديد لسوريا .

سلطان العلم

علم الإنسان ما لم يعلم ... بارئ الكون ورب القلم

أول التنزيل من آياته ... قوله «اقرأ» للرسول الملهم

دعوة للعلم ما أروعها ... من عليم مقسم بالقلم

يدرك المجد على قدر النهى ... قسمة الرزاق منذ القدم

آدم الخلد بأسماء سما ... فوق أملاك بها لم تعلم

أذعنوا لله حيث اختاره ... ثم خروا سجدا للأعلم

ذاك فضل العلم يروى سره ... آدم من عهده لآدم

• • •

سرح الطرف تنقل هل ترى ... صرحا يعلو سوى ذا العلم

كل ملك عز أو يشده ... فإلى العلم انتمى أو يحتمي

قوة خرساء ما أنطقها ... بلسان معرب أو أعجم

تسمع الصم إذا نادتهم ... ويرى مقعدوها كل عم

إن يكن قالوا سحر فاعجب ... تلقف السحر بصنع العالم

• • •

مصر إنا قد جرينا قدما ... وصحونا بعد ليل مظلم

وذكرنا ماضيا مزدهرا ... فأردناه بعزم صارم

ثورة تبني وتعلي إنما ... تنشد العلياء بين الأمم

بوأت مصر مكانا عاليا ... ثم صانته بمبذول الدم

يا عرين الأسد لا ديس الحمى ... دونه كل فتى ضيغم

عز أرضا بمن أجرى به ... نيله أعظم به من نعم

يا جمالا قد دعا العلم إلى ... منهج الفعل ونبذ الكلم

تدعم الأخلاق بالعلم ولا ... خير في العلم إذا لم يدعم

قل لمن قاموا عليه أعلموا ... أملا يرجى بجيل قادم

يعثر العلم بهم في سلمهم ... وبهم في الحرب مصر تحتمي

سيد عبد الرءوف سيد
المدرس بمدرسة أسيوط الثانوية للبنات

تعليقات

النشاط الجديد في المحيط النسوي

---

(١) حينما نقرر أن رسالة الرجل في الحياة غير رسالة المرأة فإننا لا ندعي للرجل انفراده بالمهام كلها ، بل نرى حقا أن للمرأة فراغا لا يسده غيرها ، ولا يكاد الرجل يغني فيها شيئا في سد هذا الفراغ . . . ذلك أن في المحيط النسوي جوانب لا يسري فيها صوت كصوت المرأة ، ولا تستجاب فيها دعوة كدعوتها فإذا اتجهت رغبات المصلحين يوما إلى تنظيم الأمومة ، أو نشر التعاليم الصحية بين الأسر المتواضعة ، أو بث روح التشجيع النسوي في الأوساط الكادحة ، أو الترويج لمعونة الشتاء بين القادرين . فإن نجاح الرجل في هذا لا يبلغ نجاح المرأة .

ووجه ذلك فيما أرجح أن خطاب المرأة لأختها خطاب عاطفي أكثر مما هو منطقي ، والعاطفة أنجع في الاجتذاب إلى المطاوعة .

ولقد عشنا زمنا لا نرى في الميدان غير الرجل ، حتى علقت بالرجل تهمة الاستبداد بالمرأة وعلقت بالمرأة تهمة الضعف عن مجاراة الرجل ، والتخلف عن سد فراغها ، ثم كانت نهضة سياسية عمت منها يقظة في محيطنا النسوي ، وتطلعت فتاتنا إلى موقعها في مشارف الحياة الجديدة .

غير أن نشاط النساء في كثير من ضروبه تجاوز الصواب وانحرف عن مسالكه الرشيدة ، وأصبحت ملاعبه مثارا للمآخذ ، والنقد ، وغلب على الأفهام أن النساء مدفوعات بشيء من الغرور — لحداثة عهدهن بهذا النشاط — وشيء من تشجيع المتهورين المتهمين بسوء القصد ، ولم نجد من واقع الحال ، ولا من مظاهر النهضة النسائية ما يدفع عن النساء ذلك النقد .

ومازلنا في سبيل التفاهم مع كثير من الجماعات النسوية التي برزت في الميدان ، حتى صادف ما يرتجى من المساس بجهودها .

(ب) وليس من الإنصاف أن نطلق هذا الحديث جزافا ونتغاضى عن جمعيات نسوية نشأت من أول أمرها على صراط مستقيم ، إذ اعتدلت في تحديد غايتها ، ونظمت جهودها ، ونجحت في سبيلها محفوفة بالإعجاب ، وحسن التقدير ، وتعلق بها في الإصلاح أمل يطرد مع اطراد نشاطها المحمود ، وإذا لم أستوعب ذكر السيدات الفضليات ، وما هنالك من جماعات تسير تحت إشرافهن إلى الغايات النبيلة ، فإنا أسمي جمعية نساء الإسلام التي ترأسها السيدة إحسان القوصي ، تعرفت هذه السيدة من عملها في رياسة المعهد العالي للخدمات الاجتماعية لا للتسريح ، ولا للعكوف على المتع التي يتلهى بها أهل البطالة ، بل لتبذل من راحتها ، ومالها ، ومجهودها ما يضن به بل ببعضه أكثر الناس .

دعيت إلى كلمة في مركز جمعية نساء الإسلام يوم ١١ ربيع الآخر (٣ / ١١ / ٥٧) بعمارة الأوقاف خلف مسجد عمر مكرم بجوار الجامع في ميدان التحرير فأجبت ، وخرجت من دار الجمعية مقتنعا بأن المرأة إذا نشطت إلى واجبها ، وأدركت رسالتها ، وأخلصت نيتها فيها لتجد ميدانا فسيحا ينتظرها ، كما وجدت السيدة إحسان في عملها برياسة الجمعية التي أنشأتها ... والسيدة إحسان بعد أن بذلت ومع ما تبذل من جهد ومال تحاول أن يزاورها كل مصلح من ذوي الرأي والجاه ، وتدعو كل سيدة نبيلة ، وكل راغبة في النشاط المجدي إلى الاتصال بجمعيتها ، وليس في ذلك مزاحمة في الوقت ، ولا تكليف بما يرهق من مال ، وأحسب أن الاشتراك الشهري في الجمعية لا يجاوز تذكرة سينما وهذا أمر تافه .

ويعجبني كثيرا من جمعية نساء الإسلام أنها جمعت نخبة من البيوتات المحترمة مع الاحتشام والتمسك بأدب الإسلام مما ينبئ عن أصدق الآمال في هذه الجماعة ... وإني لأود أن تصادف هذه الجمعية مؤازرة مالية من وزارة الإرشاد أو الأوقاف أو غيرهما من جهات الخير لتستطيع أن تواصل رسالتها المشكورة .. كما أود أن تتصل بها كل سيدة تحب أن تظهر في أكرم مجتمع يتمثل به نشاط المسلمة المصرية كجمعية نساء الإسلام ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر



تفسير الطبري

الجزء الحادي عشر – ٦٤٣ ص – دار المعارف بمصر (مؤسسة المطبوعات الحديثة)

انطوى هذا الجزء الحادي عشر من جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري على تفسير بقية سورة المائدة من الآية ٥٥ إلى الآية ١٢٠ وعلى تفسير ٩٩ آية من أول سورة الأنعام . وكنا أشرنا في وصف الجزء العاشر في جزء المجلة الماضي إلى ما ذكره الأستاذ محمود شاكر من أنه انفرد بتحقيق هذا التفسير والتعليق عليه وتخريج أحاديثه بعد أن كثرت أعمال أخيه الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، ثم رأينا الآن كلمة نشرها الأستاذ الشيخ أحمد شاكر في فاتحة هذا الجزء ذكر فيها سابق عمله المجيد في هذا التفسير وقال : ثم تفضل أخي السيد محمود فشاركني في التخريج ، فخرج الكثير من الأحاديث في كثير من الأجزاء ، وهو أهل لذلك والحمد لله ، بما أوتيه من دقة النظر والدأب على البحث ، والثقة فيما ينقل عن الدواوين والمراجع ، وكنت ولا أزال مطمئناً إلى عمله واثقاً به عن خبرة وبينة ، حتى إذا شغلتني شواغل جمة من أول الجزء التاسع تفرد هو بالتخريج . وقد رأى ورأيت معه منذ هذا الجزء أن تكون مراجعتي الأحاديث في أعقاب طبع كراريسه ، ثم أفرد ما بدا لي من زيادة في التخريج وما أراه من رأي في بعض الأحاديث – وخاصة المرفوع منها – في قسم مستقل يطبع في آخر كل جزء ليكون « تتمة التخريج » . وبالفعل ألحقت بهذا الجزء تتمة من ص ٥٨٧ إلى ص ٥٩١ فيها ١٤ تعليقاً لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، وهذا الجزء كسائر أجزاء الكتاب توفرت فيه جميع أسباب الكمال والإتقان ، من تحقيقات وتعليقات وفهارس . أعان الله عز وجل على إتمامه .

ديوان العرجي

شرح خضر الطائي ورشيد العبيدي – ٢١٣ ص + ٤٦ – الشركة الإسلامية للطباعة ببغداد

العرجي هو عبد الله بن عمرو – أو عبد الله بن عمر بن عمرو – الأموي ، حفيد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان يسمى « المطرف » لحسنه ، توفي سنة ١٢٠ ، والعرجي نسبة إلى ماء يقال له العرج في جهة الطائف كان له فيه ضياع ومزارع . وله جهاد بأرض الروم تحت راية مسلمة بن عبد الملك ، وشارك بماله فأنفق الكثير منه في أشد السنين جدبا . وكان شاعرا بليغا يأخذ مأخذ عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، وملأ الفراغ الذي خلفه ابن أبي ربيعة عند موته ، وهو قائل البيت المشهور :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلما لم يجد ميادين لفتوته في يوم الكريهة والدفاع عن الثغور سلك مسالك عمر ابن أبي ربيعة ووصف ذلك من نفسه يوم قال

بعثت أمنتي على هول أجشمه تجشم المرء هولا في الهوى كرم

على أنه يعد في الأجواد الذين – كما قال ناشرا ديوانه – لا يعرفون في الاقتصاد إلا معنى البخل ، ولا من البخل إلا معنى اللؤم ، ولا من اللؤم إلا ما لا يجتمع معه مجد أو شرف . ودراسة شعر العرجي وبلاغته التي كان مطبوعا عليها قد وضعها الناشران خلفها في مقدمة بلغت قريبا من خمسين صفحة .

وديوان هذا الشاعر الأموي كان عزيزا نادرا ، وهو الآن يطبع للمرة الأولى في عاصمة بني العباس عن مخطوط ذكر فيه أنه منقول عن نسخة إمام العربية أبي الفتح عثمان بن جني ، وهنالك نص بأن أحمد بن خفيف قرأ ديوان العرجي على ابن جني سنة ٣٢٨ . والمخطوط الذي اعتمد عليه في الطبع في مجموعة كانت للأب أنستاس الكرملي وهي الآن في مكتبة الآثار ببغداد برقم ١٢٤٢ وقد عثر الناشران على جملة من شعر العرجي في المراجع الأدبية واللغوية والتاريخية فذيلا بها آخر الديوان . ووضعا بين دراستهما لشعر العرجي وديوانه صورا شمسية من الأصل ومن نسختين منقولتين عنه ، وإن نشرهما لهذا الديوان وعنايتهما بضبطه وشرحه وتحقيقه وتذييله يستحقان عليه كل شكر وثناء .

المغرب العربي

في طريق التطور والاتحاد الاقتصادي

للأستاذ يوسف صالح الحريري — ١٨٣ ص — دار الأندلس للطباعة في بيروت

إنما طرأ الضعف على العالم الإسلامي بسبب ما طرأ من الضعف والانقسام في الأمة العربية ، ولا تعود إلى المسلمين قوتهم ونهضتهم إلا باستعادة الكيان العربي قوته ونهضته ولاستعادة الكيان العربي قوته ونهضته أسباب كثيرة منها الجانب الاقتصادي وهو ما يعنى به مؤلف هذا الكتاب ، وقد سبق لنا التعريف بكتابين له في جزء ربيع الأول من هذه السنة أحدهما عن طريق الوحدة الاقتصادية في البلاد العربية والآخر عن تطور اقتصاديات الشرق العربي . وهذا الكتاب الثالث الذي نحاول التعريف به اليوم مكمل لهما لأنه يتناول دراسة الاتحاد الاقتصادي في المغرب العربي أحد جناحي الكيان العربي ، ولا ينهض الكيان العربي إلا بنهوض جناحيه الاثنين . ولذلك يتصدى هذا المؤلف الاقتصادي العراقي لاستقصاء أسباب نهوض المغرب الاقتصادي بعد دراسته موارده الطبيعية والبشرية وتعرفه على تحول زراعته وقابليتها الإنتاجية وإمكانياتها الزراعية وما يتعلق بمعادنها وخاماتها وموارد الطاقة الكهربائية وغير ذلك من عناصر الحياة الاقتصادية. وفي الكتاب نظرة إلى اختيارات فرنسا في هذه الأوطان العربية المغربية وسوء معاملتها لها والوضع الاقتصادي الذي صارت إليه البلاد بما قيدت به من اتفاقيات اقتصادية ومالية . ثم تكلم المؤلف عن إمكانيات التنمية الاقتصادية وإمكانيات الوحدة من هذا الجانب مع الوطن العربي الأكبر . وهو بحث قيم جدير بالمشتغلين بالبحوث الاقتصادية من الوطن العربي أن يطلعوا عليه .

الثائر الاسلامي جمال الدين الأفغاني

لفضيلة الأستاذ الشرباصي — ٤٨ ص — دار المعهد الحديث بالقاهرة

تقوم في المركز العام للشبان المسلمين بالقاهرة ندوات ثقافية في أيام الاثنين تسمى بها « أحاديث الاثنين » ويشترك في كل ندوة منها رجال الفكر والثقافة الذين لهم اضطلاع بالموضوع الذي يدور حوله الحديث ، ويشرف على هذه الأحاديث في كل أسبوع فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر ورائد جمعيات الشبان المسلمين ، وله في ذلك

مواقف فى بيان ضعفه مصارع ما يتراءاه له قراء هذه المجلة من بحوث قيمة . وأمامنا الآن رسالة جعلت فيها حلقة من حلقات سلسلة « أحاديث الاثنين » حول حياة الثائر الإسلامى جمال الدين الأفغانى ، جاء فيها بعد كلمة مستفيضة للأستاذ الشرباصى بحث قيم للسيد صلاح الدين سلجوق سفير أفغانستان فى مصر ، ثم تحية كريمة لروح الثائر وجهها إليه السيد محمد البشير الإبراهيمى رئيس جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ، ثم كلمة عن تجلى جمال الدين لفضيلة الأستاذ عبد المعز عبد الستار الواعظ العام ، وكلمات أخرى منثورة ومنظومة جدير بمتتبعى تاريخ النهضة الإسلامية أن لا يفوتهم الإلمام بها .

مساهمة الهند

فى قضاء مآرب الإنسان الاقتصادية

بحث طريف كتبه الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسينى ، وتناول فيه فوائد ومعلومات عن الهند وما امتازت به وما ساهمت فيه من شئون الحياة ومبتكرات الصناعة وثمرات الأفكار وبدائع الطبيعة إلى غير ذلك من المكارم والمفاخر الهندية مما لا يوجد مجتمعا بالعربية فى كتاب آخر ، فناست إليه الأنظار .

الدين والنهضة القومية

لفضيلة شيخ معهد دمياط — ٣٩ ص — مطبعة السرورى بالقاهرة

هذه محاضرة مستفيضة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن جلال شيخ معهد دمياط الدينى بدعوة من الجامعة الشعبية تكلم فيها عن تعاليم الدين الإسلامى وما تدعو إليه من التآلف ، وأن الدفاع عن الأوطان واجب دينى ، وبين حكم الجهاد وفضل المجاهد ، وجهاد المجاهد الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وشجاعة أصحابه رضوان الله عليهم . ثم تكلم عن جهاد النساء المسلمات فى الصدر الأول ، وختم المحاضرة بكلمة عنوانها « صيحتى إلى قومى » وقصيدة لامية تناسب المقام .

التأميم

يكشف عن المؤامرات الاستعمارية الصهيونية

هذا عنوان كتيب لطيف بقلم الأستاذ أحمد عز الدين عبد الله خلف الله مدرس الآداب

بعهد طويل الثاوى تكلم فيه عن الاستعمار وخطط الصهيونية وتهديدها السلام العالمى ، وعن أحلاف الصهيونية واتفاقها مع الاستعمار ، وخطط الاستعمار والصهيونية ضد العرب . وكيف أن مصر حققت الاستقلال بتحقيقها الواجب الفورى فى تأميم قناة السويس ، وأساليب الضغط الاستعمارى على مصر بعد التأميم ، والهجوم الإسرائيلى الغادر ، والعدوان الوحشى على مصر ومعركة بور سعيد ، ونتائج ذلك بعد فشل ذلك العدوان ، وما كسبته مصر من المعركة .

مشروع السنوات الخمس فى الهند

كانت الحجة الكبرى للاستعمار فى تبرير بقائه جاثما على بلاد الناس ، أنه جاء ليصلحها ويعمرها ! ومن هنا جاء عنوان « الاستعمار » الذى أطلقوه على هذا النظام المضلل الجائر . فاللورد كرومر ، والذين كانوا مأجورين له ويرددون مزاعمه ، كان من أبرز حججه وحججهم فى تبرير الاحتلال البريطانى فى مصر دعوى التعمير والإصلاح ، وهو يتجاهل جريمة الاحتلال فى مناصرته للإقطاع ، وتجريده التعليم من روح التربية ، وتضييقه دائرته بشتى الأساليب .

وما كاد الاستعمار يتداعى بل ينهار فى آسيا وإفريقية ، وأخذت أيدى المخلصين من أبناء البلاد التى جلا عنها الاستعمار تتولى مهمة الإصلاح والتعمير ، حتى ظهر الفرق للناس بين الغش الذى كان يمثل الاستعمار أدواره فى التعمير والإصلاح المزعوم ، وبين الحق الذى ظهر للناس من مباشرة أبناء الوطن الحقيقيين لمهمة الإصلاح الصادق ، والتعمير الأصيل . وإن هذه المعانى هى التى كانت تتردد فى خاطرنا ونحن نقلب صفحات كتابين نشرتهما سفارة الهند بالقاهرة أولاهما عن تقدم مشروع السنوات الخمس فى الهند ، والثانية عن مدارج التقدم فى تنفيذ هذا المشروع فى سنواته الثلاث الأولى . إن الإصلاح والتعمير اللذين تقوم بهما الهند فى بلادها ، وسائر الأمم الآسيوية والإفريقية فى أوطانها ، بعد جلاء الاستعمار ، إنما يراد بهما إغناء الوطنيين عن الحاجة إلى صناعات الغرب ، وما كان يعمله الاستعمار هو تكبيل الوطنيين بالقيود ، وتحويل المواد الخام من بلادهم إلى أوربا لتعود مصنوعة بعشرات أضعاف أثمانها فتبتز بها أموال الوطنيين ليبقوا فقراء وجهلاء .

الأدب والعلوم

سموم الاستعمار

في ثقافات البلاد العربية

انعقد في بغداد المؤتمر الثقافي العربي الثالث ، واشتركت فيه مع العراق مصر وسوريا والسعودية والسودان ولبنان وتونس والأردن والكويت . ومما أبرزته الوفود من أماني الشعوب العربية عزم الشعوب العربية على تطهير ثقافاتها من « السموم الاستعمارية » . وقال الأستاذ صديق المهدي رئيس وفد السودان : « إن المؤتمر يرمي إلى توجيه الجيل العربي الصاعد وجهة عربية قومية » . وقال الأستاذ نسيب مندوب سوريا : « علينا أن نعد أنفسنا والأجيال القادمة لثقافة عربية قومية خالصة ، ثقافة عربية لا شرقية ولا غربية » . وقال الدكتور عادل إسماعيل ممثل لبنان . « إن المؤتمر يهدف إلى تنمية الوعي القومي العربي والثقافة العربية الأصيلة » . واعترف الدكتور القوصي ممثل مصر أن كتبنا ومناهجنا مليئة بالألغام والسموم الثقافية ، فضجت قاعة المؤتمر بالتصفيق .

الفساد في حركة التأليف

لوحظ على دار الكتب المصرية أنها متخمة الآن بالمؤلفات المصرية التافهة ، في حين أنها قلما تضاف إليها المؤلفات القيمة والمراجع النافعة . وعلل الأستاذ محمد حسن مدير دار الكتب جواباً على ذلك : « إن أهم دور النشر أساس السوق الشعبية والفكرية في مصر . إن دور النشر تجري وراء الربح ، وتعرض على المؤلفين ما تراه أكثر رواجاً . بينما لا تشجع الكتب والمراجع المهمة إذ كانت أقل حظاً في الرواج . والفوضى الموجودة في السوق تنعكس في دار الكتب ، لأن القانون يلزم كل مؤلف بإيداع خمس نسخ من كتابه ، وهكذا ينهال على الدار سيل من كتب الأدب الرخيص ، وقطرات من كتب الفكر العميق . وهذه المشكلة تبحث الآن مع إدارة الصحافة والطبع والنشر » .

التربية العسكرية

في الأزهر

أصدر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بأن

تكون التربية العسكرية مادة أساسية في الكليات الأزهرية وأقسام الإجازات والأقسام الثانوية بالمعاهد الدينية ، ويخصص لها حصتان أسبوعيا داخل الجدول ، ويحرم من امتحان آخر العام كل طالب لا يحصل على ٧٥ ٪ على الأقل من مجموع الحصص المخصصة للتربية العسكرية . أما الطلبة غير اللائقين لتلك التدريبات العسكرية فيحضرون حصصها ولا يؤدون حركاتها . وقد أرفق بهذا القرار نظام يوضح المشروع في تنفيذ التربية العسكرية .

ميزانية دار الكتب

قال مدير دار الكتب المصرية إن ميزانية الدار ارتفعت من ٨٣ ألف جنيه مصري في السنة إلى ١٢١ ألف جنيه ، ويجري البحث لتدريب إخصائيين في شئون المكتبات ، وإدخال الدراسة العلمية في قسم المكتبات بالجامعة . ويعمل على تنسيق التعاون مع الهيئات الأخرى فيما يتعلق بالمخطوطات .

جامعة الرياض

في منتصف شهر ربيع الآخر (٧ نوفمبر) افتتح الملك سعود في مدينة الرياض أول جامعة سعودية تقام في قلب جزيرة العرب ، وفيها كلية للحقوق وأخرى للتجارة ، وقد تعين مديرا لها الدكتور عبد الوهاب عزام ، وتبرع الأمير منصور بن سعود بنصف نفقات هذه الجامعة العربية .

عيد العلم

تحدد يوم ٢١ ديسمبر للاحتفال بعيد العلم ، وقد تأجل من ١٢ نوفمبر إلى ١٢ ديسمبر ليتاح للطلبة العرب في الأقطار الشقيقة فرصة الاشتراك في هذا العيد .

الدراسات الإسلامية والمصرية

في معهد الألمان للآثار بالقاهرة

كان للألمان قبل الحرب العالمية الأولى معهد للآثار تعطل عن العمل بقيام الحربين الأولى والثانية بين الألمان والإنجليز . وقد استأنف الألمان إنشاءه في هذا الشهر وافتتحه وزير التربية والتعليم . وخطب والتريكر سفير ألمانيا في حفل الافتتاح فأعرب عن رجائه أن يكون هذا المعهد وقفا على الجهود التي تبذل للبحث عن كنوز الحضارات المصرية من قديم الزمن حتى عهدنا هذا .

وقد جهز المعهد عشرة آلاف كتاب أكثرها عن مصر قديما وحديثا ، وثلاثة آلاف صورة تمثل مراحل التاريخ المصري القديم وعصور الإغريق والرومان والبطالسة والعصور الإسلامية .

وقد خصص المعهد قسما للدراسات الإسلامية والبحوث الأثرية والثقافية

المصرية والتاريخ المصري في دول الإسلام وحضاراته .

بعثة الثقافة المصرية إلى الصين

وصلت إلى بكين بعثة الثقافة المصرية التي يرأسها الدكتور السيد مصطفى السيد مدير جامعة الإسكندرية . وقد زارت البعثة أكاديمية العلوم الصينية ، ومعاهد العلوم والثقافة في بكين وغيرها . وكانت البعثة موضع ترحيب من الهيئات الثقافية والعلمية في الصين . وأقام لها (سن . يان . بنج) وزير الثقافة حفلة استقبال دعا إليها عددا كبيرا من المشتغلين بالثقافة والعلوم والآداب والفنون .

القمر الصناعي الثاني

أطلقت روسيا يوم ٣ نوفمبر قمرا صناعيا ثانيا مزودا بأجهزة علمية أدق وأكثر مما كان مزودا به القمر الأول ، وهي تذيع ما تسجله من معلومات على ذبذبة طولها ٤٠٠٠٢ كيلوسيكل ، ٢٠٠٠٥ كيلوسيكل وفيه محطة إرسال لاسلكية تذيع على موجتين طول الأولى ٧٫٥ مترا والثانية ١٥ مترا ، ويتم دورته حول الكرة الأرضية في ساعة واحدة و ٤٢ دقيقة ، بينما القمر الأول يكمل هذه الدورة في ساعة و٣٦ دقيقة لصغره وضيق منطقة دورانه . ومما يحمله القمر الثاني أجهزة خاصة لدراسة الإشعاع الشمسي والأشعة الكونية وأجهزة لقياس درجات الحرارة والضغط الجوي . وكان ارتفاع القمر الأول في الجو ٥٦٠ ميلا بينما وصل الثاني إلى ١٠٥٦ ميلا ، وكان وزن القمر الأول ٨٢ كيلوجرام ، ووزن الثاني ٥٠٨ ، وسرعة انطلاق القمر الأول ١٨ ألف ميل في الساعة والثاني ١٧٨٤٠ ميلا ، والقمر الأول كروي الشكل والثاني كشكل الصاروخ له مقدمة مدببة ، ويعتبر القمر الثاني بأنه يحمل كلبة وضعت في غرفة مكيفة للهواء ومزودة بالطعام اللازم لها ، واسم هذه الكلبة « لايكا » أي النابحة ، وقد أريد من إطلاقها في القمر الثاني تجربة مبلغ تحمل الأحياء الإشعاع الشمسي وغيره من الإشعاعات التي تخترق غلاف القمر ، فإذا كان مما يتحمله الأحياء أمكن قيام الإنسان بمثل هذه التجربة فيما بعد ، وفي القمر الثاني أجهزة لتسجيل نبض الكلبة وتنفسها وضغط دمها ، وهذه التسجيلات تنقل إلى الأرض عن طريق صمام من صمامات التليفزيون . وبعد أسبوع من إطلاق القمر الثاني انقطعت الإشارات اللاسلكية عن الكلبة ، ففهم من ذلك أنها ماتت . وبعد أسبوعين من إطلاق القمر الثاني أي في صباح ١٧ نوفمبر كان قد أتم ٢٠٨ دورات حول الأرض قطع بذلك ٩ ملايين و٥٢٥ ألف كيلومتر ، بينما القمر الأول كان إلى ١٧ نوفمبر قد أتم ٦٦٧ دورة حول الأرض .

أنباء العالم الإسلامي

سوريا ومصر في طريق الاتحاد

في صباح يوم السبت ٢٤ ربيع الآخر (١٦ نوفمبر) طار إلى سوريا وفد مؤلف من أربعين نائبا يمثلون مجلس الأمة المصري برئاسة السيد أنور السادات، فاستقبل في دمشق وفي أمهات المدن السورية استقبالا رسميا وشعبيا منقطع النظير، وأصدرت المقاومة الشعبية نداء إلى المتطوعين لاستقبال الوفد المصري بكامل أسلحتهم، وتصدر مديرية البريد مجموعة من الطوابع تذكارا لهذه الزيارة.

ووصف راديو دمشق استقبال النواب المصريين بأن ٢٤٠ سيارة نقلت المستقبلين إلى مطار دمشق منها ٩٠ سيارة كبيرة، وأطلقت أسراب كثيرة من الحمام، ولشدة الازدحام الشعبي في المطار لم يتمكن النواب المصريون من مصافحة المستقبلين أو استعراض حرس الشرف. وقدر عدد المستقبلين بثلاثين ألفا.

وأقام لهم السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية مأدبة غداء قال فيها: « إنكم في بيتكم، وبين أهلكم وذويكم، وأنتم إذ تحضرون من مجلس الأمة في القاهرة إلى المجلس النيابي في دمشق إنما تنتقلون إلى مجلس هو مجلسكم وأعضاؤه هم إخوانكم، لهم نفس المشاعر والأهداف التي تسمون من أجلها، وهي الوحدة العربية التي سنحققها بإذن الله وبعمل من الأمة العربية كلها ».

وقال النائب المصري السيد كمال الحناوي: إننا سنعمل معا لتحطيم الحدود المصطنعة بين البلاد العربية وبذلك يستطيع كل عربي أن ينتقل من بلد عربي إلى أي بلد عربي كأنه ينتقل داخل قطر واحد.

وفي جلسة عقدها مجلس سوريا النيابي بعد ظهر يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر (١٨ نوفمبر) واشترك فيه نواب الأمتين، أعلن نواب المجلسين النيابيين السوري والمصري رغبة شعبي البلدين في إقامة اتحاد فيدرالي بين مصر وسوريا، ودعا المجلسان حكومتي البلدين للدخول فورا في مباحثات مشتركة لاستكمال تنفيذ هذا الاتحاد، وقد وافق النواب بالإجماع على القرار الآتي:

« إن نواب المجلسين المجتمعين في جلسة مشتركة إذ يعلنون رغبة الشعب العربي في مصر وسوريا في إقامة اتحاد فيدرالي بين القطرين، يباركون الخطوات العملية التي

اتخذتها الحكومتان السورية والمصرية فى سبيل تحقيق هذا الاتحاد، ويدعو حكومتى مصر وسوريا للتعجيل فورا فى مباحثات مشتركة بغية استكمال أسباب تحقيق هذا الاتحاد » .

وتكلم السيد أنور السادات عن المجلس باسم رئيس مصر ومجلس مصر وشعب مصر وقال : إن المعركة التى تخوضها سوريا اليوم ليست معركة سوريا وحدها ، بل تخوضها سوريا باسم القومية العربية وباسم كل الشعوب العربية من أجل كل الشعوب ومن أجل القيم البشرية .

وقال : إن مصر وسوريا منذ قديم الأزل وطن واحد وشعب واحد ، وما من فترة انعزلت فيها سوريا عن مصر أو انعزلت فيها مصر عن سوريا إلا وحاقت بالعرب الكوارث والنكبات ، وما من مرة اجتمع فيها شمل الوطن الواحد لسوريا ومصر إلا وانتصر العرب وطردوا كل من جاء إلى أرضهم يفرض عليهم استعمارا أو سيطرة ، فاذا ما دعونا اليوم للاتحاد بين سوريا ومصر فانما نصحح الوقائع ونصل الماضى بالحاضر ، إننا لا نريد اتحادا من أجل الاعتداء ، ولا من أجل الاستيلاء على أرض غيرنا ، ولكننا نبنى الاتحاد من أجل حرية العرب أجمعين .

وكان من مظاهر الاتحاد تناوب السيد أكرم الحورانى والسيد أنور السادات رئاسة الجلسة ، كما تناوب السكرتارية السيد فاروق جلاب عضو مجلس الأمة المصرى والسيد راتب الحسامى النائب السورى ، وكان العلمان السورى والمصرى يرفعان فوق منصة رئيس المجلس .

وحضر هذه الجلسة التاريخية جميع الدبلوماسيين العرب وبعض ممثلى الدول الأجنبية . وعلى أثر إعلان قرار الاتحاد قامت مظاهرة ضخمة تهتف بالوحدة بين البلدين وبحياة رئيسيهما .

مجلس الأمة المصرى

يوافق بالإجماع على الاتحاد

لما كان مجلس سوريا النيابى يتخذ القرار التاريخى العظيم بالاتحاد بين مصر وسوريا ، كان مجلس الأمة المصرى مجتمعا ينتظر صدور ذلك القرار من دمشق ، إلى أن تلقى هذا النبأ العظيم فعرض السيد عبد اللطيف البغدادى على المجلس اقتراحا مقدما من عشرين عضوا بتأييد قرار المجلس السورى . وأن القرار وافق عليه مجلس الأمة المصرى بالإجماع وسط دوى التصفيق الشديد .

تعليق أنور السادات

قال السيد أنور السادات فى مؤتمر صحفى

عقد بدمشق مساء ٢١ نوفمبر « إن اتحاد مصر وسوريا هو الخطوة الأساسية لتحقيق (الاتحاد العربى الشامل) » و إن وفد مجلس الأمة المصرى وأعضاء البرلمان السورى قد اتفقوا فى اجتماع عقد فى الليلة السابقة على إعلان قرار الاتحاد ، وسيحولون مناقشة هذا القرار أمام المجلسين السورى والمصرى لوضعه فى حيز التنفيذ ، على أن يتاح لخبراء الحكومتين المصرية والسورية فرصة دراسة التفاصيل القانونية لهذا القرار ، لإعلانه بصفة رسمية ، إنكم تحسون أن هذا الاتحاد جاء وليد إرادة الشعبين السورى والمصرى ، وإننا نرحب بأى شعب عربى يريد أن يضم إرادته إلى الشعب السورى المصرى ، وإننا جميعا متفقون على أن أهدافنا كشعوب واحدة ، ولكن بعض الظروف بالنسبة لبعض منا هى التى تؤخر هذا الاتحاد .

وبمناسبة ما أعلنه الحاج أمين الحسينى من أن فلسطين هى سوريا الجنوبية ويجب لا تغير اسمها وكذلك هى عضو فى الاتحاد المنشود قال السيد أنور السادات تعقيبا على ذلك : إننا مدينون لفلسطين بما تم من خطوات نحو جمع الكلمة ، فلو لم تكن إسرائيل قد زرعت زرعا فى قلب وطننا العربى فى فلسطين لما استيقظنا من سباتنا العميق ، إن فلسطين طرف أصيل فى هذا الاتحاد .

نائب سورى

فى مجلس الأمة بمصر

فى جلسة مجلس الأمة التى ألقى فيها القائد العام عبد الحكيم عامر بيان عن مهمته فى روسيا ، لاحظ السيد عبد اللطيف البغدادى رئيس المجلس أن فى شرفة الزائرين النائب السورى عبد الحميد رستم ، فقال الرئيس والجلسة لا تزال فى مستهلها - يشرفنا أن يكون من بين الحاضرين فى شرفة الزائرين النائب السورى عبد الحميد رستم ، وأظن أن المجلس يشاطرنى الرأى فى أن أدعوه لينضم إلينا ... وقوبلت هذه الكلمة بتصفيق شديد من أعضاء المجلس ، وانضم النائب السورى بعدها إلى زملائه بدعوة خاصة من أعضاء المجلس .

أقوى أمة فى العالم الاسلامى

علقت جريدة (ديلى ميرور) الأمريكية

على الحالة فى الشرق الأوسط فقالت : إن فكرة الاتحاد بين سوريا ومصر قد تؤدى إلى تكوين أقوى أمة فى العالم الإسلامى فى تلك المنطقة .

٦٢ مليون جنيه

قيمة مصانع من روسيا لمصر

وصل اللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية المصرية فى خلال رحلته فى موسكو إلى اتفاق مع قادة الاتحاد السوفيتى بمنحن

أن يقدم الاتحاد السوفيتى لمصر مصانع قيمتها ٧٠٠ مليون روبل ، أى ما يساوى ٢٠٠ مليون دولار (٩٢ مليون جنيه) تقدم كلها على شكل تعاون اقتصادى تستعمله مصر فى برنامج السنوات الخمس للتصنيع ، على أن تبدأ مصر فى سداد هذا المبلغ بعد خمس سنوات من تاريخ عقد الاتفاق ، ويكون تسديده على أقساط تمتد إلى ١٢ سنة بعد السنوات الخمس الأولى (يتم التسديد من إنتاج هذه المصانع فى سنة ١٩٧٤) .

برنامج السنوات الخمس لمصر

قال الدكتور القيسونى : هناك مشكلتان تواجهانا فى سياسة التنمية الاقتصادية : أولاهما ضعف الجهاز الفنى ، وهى تحتاج لعلاج يأتى عن طريق التربية والتعليم والتقاليد الصناعية . وثانيتهما زيادة السكان بمقدار ٢,٤ ٪ سنويا ، ولكى نستطيع المحافظة على مستوى المعيشة الحالى يجب أن يستثمر الدخل القومى الذى يبلغ ألف مليون جنيه على أساس ٨ ٪ ، أى يكون للدخل استثمار ٨٠ مليون جنيه سنويا ، كما أننا نحتاج للمحافظة على المنشآت وصيانتها إلى ٥٠ مليون جنيه أخرى على أساس ٥ ٪ .

وهناك دخل قناة السويس ، فلو فرضنا أن الإيراد السنوى ٣٧ مليون جنيه ، والمصاريف الخارجية مابين ٧ و ١٠ ملايين فسيظل حوالى ٢٧ مليون جنيه من النقد الأجنبى فى مصر ، وهذا ماحققه تأميم قناة السويس من نتائج مالية ونقد أجنبى .

وبرنامج السنوات الخمس مقدر له مبلغ ٢٢٠ مليون جنيه ، منه ٧٠ أو ٨٠ مليونا نفقات داخلية والباقى نفقات خارجية ، فالمعدات التى سنتسلمها من الخارج وقيمتها ٩٢ مليون جنيه نتيجة القرض الروسى ستساعد على تنفيذ جزء كبير من برنامج التصنيع .

وقال عن تمصير البنوك : إنه موضوع كان ينبغى أن يتم من مدة طويلة ، ونحن الآن نفخر بالإدارة المصرية فى البنك الأهلى ولقد مصرت البنوك وهى الآن تقوم بمهمتها أحسن مما كان قبل التمصير .

وإن اللجنة الشاملة للتخطيط ستكون لمدة سنتين وستعرض على مجلس الأمة ثم تنفذ بعد إقرارها من المجلس .

إكمال التحرر بأندونيسيا

إن الاستعمار الهولندى الذى أزاله الله من أندونيسيا بعد ثلاثمائة سنة من رسوخه واستقراره لا تزال له بقايا فى إيريان الغربية (غينيا الجديدة) . وأندونيسيا مصممة على قطع الذنب بعد أن سحقت الرأس . وستجرب الاستعانة بالضمير العالمى فى الأمم المتحدة ، فإن فشلت جهودها فى هذا الميدان

مصوجه هذا نحو تنفيذ قرار المؤتمر الشعبي الذي انعقد الأندونيسيون في جاكرتا يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر (١٨ نوفمبر) وهو يقضى بتأميم المؤسسات الهولندية الكبرى في جميع بلاد أندونيسيا .

سرطان إسرائيل

جاء في الخطاب الذي أذاعه الملك سعود بمناسبة العام الخامس لارتقائه العرش : « إن الصهيونية حشدت الدول الاستعمارية كلها وتآمرت معها على العرب لتحقيق أطماعها الخصوصية في الدول العربية . فعلى المسلمين أن يضاعفوا جهودهم لمكافحة الصهيونية واستئصال سرطان إسرائيل ، وأن يتحدوا للدفاع عن حقوق اللاجئين العرب وإعادتهم إلى وطنهم وإعادة ممتلكاتهم إليهم . إننا نعتبر أنفسنا مع الدول العربية الشقيقة في صد أي عدوان يقع على أية دولة عربية ، ونحن مصممون على المضي في العمل وفقا لميثاق الجامعة وقرارات مؤتمر باندونج . ولن يستقر لنا قرار حتى تعود واحة البريمي إلى أحضان الوطن السعودي » .

اللاجئون من فلسطين

بعثت جريدة (فرانس سوار) صحفيا اسمه (مارسيل بيدر جانم) ليزور البلاد العربية ويوافيها بسلسلة من الرسائل ، فكان مما رآه البيئات التي يعيش فيها اللاجئون الفلسطينيون العرب ، ودخل مدرسة متواضعة يديرها شيخ في الخمسين من عمره وزوجته ، فسأل المراسل زوجة مدير المدرسة عن الإسرائيليين ، فحمها تجيبه بعنف وهي تضرب المكتب بقبضتها : « إن الإسرائيليين فاشيون مغرورون » . وكررت كلامها بغضب متزايد : « إن الإسرائيليين أسوأ من الجستابو ، إنهم سفاحون » .

وسألها عن غارات الإرهابيين العرب على إسرائيل ، فانطلقت قائلة « هذا بهتان ، وهم يكذبون . هم الذين يحضرون إلى هنا للنهب وهتك الأعراض » . ثم قالت : « يجب أن تزول دولة إسرائيل ، وليس هناك حل آخر » . قال المراسل الفرنسي : وكنت أقرأ على وجوه القوم هذه الكلمات : « هل ترون هذا السرطان ، هذا الجذام ؟ إنكم أنتم أيها الغربيون خلقتموه عندما خلقتم دولة إسرائيل » .

الاستعمار الاسباني في المغرب

كانت الحكومة الإسبانية قد وعدت بتسليم المنطقة التي تسيطر عليها في الجنوب إلى الحكومة المغربية في خلال أيام من الاحتفال بعيد جلوس ملك المغرب ، ولما تأخرت في الوفاء بما وعدت قامت ثورة على السلطات الإسبانية في منطقة سيدي افني ، والمنتظر أن يتسع نطاق الثورة إذا لم تحسن اسبانيا تقدير الموقف .

الفهرس



فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الأزهر

قرار جمهوري

رقم ٤٩ لسنة ١٩٥٧

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له .

قرر

المادة الأولى عين السيد الأستاذ الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء وكيلا للجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

المادة الثانية على وزير الدولة لشئون رياسة الجمهورية تنفيذ هذا القرار .

صدر برياسة الجمهورية في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٧ (٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧)

رئيس الجمهورية

جمال عبد الناصر

تحيـــة الأزهر
لوكيل الأزهر

تحية الأزهر لوكيل الأزهر

تزفها مجلة الأزهر

حنى الأزهر بتربيتك طفلا إذ كانت مخايل ذكائك واضحة جلية ، ومنحك بصفاء مناهله العذبة حتى رويت منها نهلا وعلا وأنت في مدة شبابك ، وما زال يرعاك حتى آنس فيك القدرة على أن تكون في الصف الأول من صفوف رجال الدين ، فحملك الأمانة وأخذ منك العهد ورشحك ، لا لأن تحمل قبسا أو مشعلا ، ولكن تحمل منارة تهدي السالك في أحلك المسالك ، ويستضيء بنورها القريب والبعيد ، فكنت عند حسن ظن الأزهر فيك ، ولم يقف عملك عند بابه بل ولج كل المجتمعات ، واهتدى بنوره كل الطبقات ، وبلغ صوتك بالهدى والرشاد المسمع في جميع الجهات ، حتى صار رأيك الناس في الدين من أكبر عوامل اليقين .

والأزهر إذ يهنئك بمنصب وكيله يحيي فيك غزارة العلم ، والشجاعة في الحق ، والقوة الجبارة في الذود عن الدين .

يا فضيلة الوكيل :

شغلت هذا المنصب بعد أن جد الأزهر وضرب بسهمه من دنيا ودين ، ونظمت كل الطوائف صفوفها للعمل في كل الميادين ، ووضعت خطط النهضة لجميع مراحل التعليم ، ووقف الأزهر مذهولا وقد خفت صوته أو كاد ، وجلجل صوت الضلال والإلحاد ، ولم يتقدم لحمل راية الأزهر أحد ، فهيا تقدم يا فضيلة الوكيل بما عهدناه فيك من شجاعة واحمل الراية ، وضع يدك في يد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وسيرا جنبا في سبيل إصلاح الأزهر في جميع المراحل من كل نواحيه ، واعملا على أن يخرج الأزهر للناس رجلا للدنيا والدين ، ومثلا يحتذى في الفضيلة والخلق المتين .

يا فضيلة الوكيل :

لقد جد للناس في دنياهم التي عاشت أمور ، ونزلت بهم أحداث وظهرت لهم مشكلات ، وقد أكمل الله الدين فما من مستجد إلا له حكم ، ولكن الناس لا يدرون ذلك

حكمه من الدين ، بل ربما لا يدري به بعض الأزهريين ، إذ هو لا يزال يحتاج إلى البحث والاجتهاد ، فقد تعين عليكم أن تبينوه للناس ، إما بأنفسكم وإما عن تختارون من ذوي العلم والقدرة على الاستنباط ، حتى يكون الناس على بينة من الأمر ويتبين الرشد من الغي.

يا صاحب الفضيلة الوكيل :

لأبناء الأزهر حقوق مهضومة ، ودنيا ضاقت عليهم ورحمت غيرهم ، وعلى بعضهم وقعت مظالم ونزلت مساءات ، فاعملوا على أن تردوا من الحقوق المهضومة ، وتجلوا الفسحة لمن ضيق عليهم ، وتدفعوا الظلم عمن ظلم منهم ، وتردوا إلى كل ذي حق حقه .

اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، كتب الله لكم التوفيق ، ومنحكم المعونة ؟

مدير المجلة

عبد الرحمن عيسى

فجر جديد

كان الأحرار من علماء الأزهر ، والغيورون من شبابه ، والأيقاظ الصادقون ذوو الرسالة فيه ، يحسون بالحسرة على ماضيهم ، وبالحيرة في حاضرهم ، وبالتهمة على مستقبلهم ، ومصير هذه الجامعة كيف يكون ؟ .

خواطر تضمر هؤلاء ، وأمس يغدون ويروحون بين صبحه ومسائه ، وهم ما بين يائس ارتاح بيأسه ، ومناضل لم يلق صبرا ، وبينما هم كذلك : في ثورة نفس ، أو ظلمة يأس ، أو حيرة حس ، إذ وقع إليهم البشير بنبأ الرائد الجديد ليكون وكيلا للأزهر .

وأشهد أن الأعباء الملقاة على كاهل الوكيل الجديد أعباء جسام ، لا ينهض بها غير أولى العزم الذين أوتوا الإيمان الراسخ ، والعزم المصمم ، والعقل الواعي ، والغيرة اليقظى الساهرة على مجد الأزهر وصالح المسلمين .

وأشهد كذلك أن نفوس الأحرار من أبناء الأزهر قد استقبلت الأستاذ الوكيل، وهي غير حريصة على سوق ما عهد من أساليب التحية ، وإزجاء ما ألف من عاطر الثناء، في مثل هذه المناسبات مترفعين بأنفسهم وبه أولا عن التحيات التي هي أقرب ما يكون إلى الشعر، وأبعد ما يكون عن الجد، فإن الأستاذ جاء هدف يقصد مواطن الإصلاح ويغار على مجد الأزهر ، ويهمس بأمانيهم وخواطر في سبيل هذه الجامعة يجب أن يمضي إلى أبنائه بها ، وأن يستهدي رأيهم فيها ، وأن يستبين موقفهم منها، شأن صاحب الرسالة الذي يعول على سكب أهدافها ومثلها وغاياتها في نفوس الناس .

لذلك رأيت إخواننا الذين سعوا إليه يقفون منه مواقف مخلصة لا ديباجة لها ولا فضول معها ، ورأيتهم ينثرون على عاتقه أعباء وتبعات غير متحرجين ولا متمهلين ، ورأيتهم تضم أساليبهم الصراحة والصرامة ، ورأيت الأستاذ في ذلك عجبا ! !

رأيته ـ والله يعلم صدق ما أقول ـ يطرب لهذا الأسلوب ويرتاح له، ورأيته يحدث بمثله قويا جريئا مستهدفا من رغبات وأمجادا .

رأيت الشيخ قد اتجه في لقائي به إلى فكرة عبر عنها وهو مؤمن أشد الإيمان حين قال : « إني لا أقنع بهذا اللقاء الخاطف العابر الذي يجرى من بعضكم في مناسبات ، لا بد أن نلتقي جميعاً في اجتماعات أسرية تقوم في الأزهر أو في الكليات أو في قاعة المحاضرات، لنتدارس شئوننا وشئون المسلمين، ونتبادل الرأي فيما يشغلنا ويشغل المسلمين »

هذه كلمات جرت على لسانه ، ونبعت من جنانه ، وأكدتها قسماته ، ونبراته ، وإشاراته ، ويعلم الله أني لم أسمعها بأذني فحسب ، بل سمعتها بعقلي وقلبي وبجوارحي .

الأحرار من أبناء الأزهر لا يتحرجون من صراحة القول، بل يحشدون العبارات الجادة القاسية المفصحة عن الإصرار على نهضة الأزهر وتدارك مجده ، وتغيير وجه الأمر فيه ، والرائد الجديد يناديهم . أن تعالوا إلى اجتماعات أسرية نتشاور فيها ونتعاون ونتناصح ، فهو مؤمن بالشعب الأزهري ، لا يخشاه بل يأنس إليه ويطلب لقاءه ويعول على رأيه واتجاهه .

والشعب الأزهري مؤمن بضرورة الإصلاح ، زاحف إلى العمل والحياة الماجدة ، معول على رأي الشيخ ويقظته وأفكاره واتجاهه .

إذن فهذه بوادر موفقة ، ومطالع مشرقة تفرض أمل حي وصفحة ناضرة في تاريخ الأزهر إن شاء الله ..

ومتى كان في ذروة الأزهر مثل هذا الجريء الحي الذي لا يقنع باجتماعنا بل يدعو إليه ، ويسعده تناصحنا ويحرص عليه ، كان ذلك هو الفرصة السانحة لتعاضد أولي الأمر في الأزهر على ما من شأنه أن يعز الأزهر ، ويفسح له مواضع السيادة ، ويرد عنه العاديات والأعداء .

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

محمد كامل الفقي
المدرس في كلية اللغة العربية

وكيل الجامع الأزهر

فى معسكر الأزهريين

توجه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر إلى معسكر التربية العسكرية بميدان الكليات الأزهرية، بدعوة من حضرات ضباط المعسكر الأزهرى.

وقد سره ما شاهده فى المعسكر من نظام ونظافة تامين أعجب بهما فضيلته كثيرا، فأثنى على القائمين بأمر هذا المعسكر، وذكر لهم أن النظافة مظهر يجب أن تتوافر حول دور المعرفة، وأهمية التعليم، فذلك يدعو إلى الفهم ويدفع إلى حب المعرفة، ويكسب العقل حدته، والذهن نشاطه، ثم شاهد بعد ذلك أبناء الكليات والمعهد فى أرض الطابور، وهم فى غاية الدقة، وتمام الأهبة لتلبية أى نداء يصدر إليهم من قادتهم، وما هى إلا دقائق حتى صدرت إليهم الأوامر، فكانوا أسرع من البرق فى العدو واختراق الخنادق وتسلق المرتفعات وتخطى الحواجز، نارية كانت أو مائية أو غير ذلك، بشكل يبعث على الدهشة، ويدعو إلى الغرابة، حتى فى طلقاتهم المصوبة التى أطاحت بالهدف، وأصابت الغرض بشكل حمل فضيلة الشيخ محمود شلتوت يسر كثيرا فدعاهم وتحدث إليهم بالآتى :

موجز كلمة فضيلته

أبنائى أبناء الأزهر : أبنائى أبناء الأزهر : وإذا قلت أبناء الأزهر فإنما أقصد ذلك الأزهر ذا المجد التليد، والماضى الخالد، والشخصية الفذة، التى ينظر إليها العالم، وتكبرها الدنيا، ويمجدها التاريخ. وأنتم أساتذة تحملون رسالته، رسالة النور والمعرفة التى قام بها شيوخنا وشيوخكم فى الماضى، وتقومون أنتم بها الآن، وتزيدون عليها هذه الثقافة العسكرية، فبهذا تجمعون بين الناحيتين النظرية والعملية، فأنتم أرباب سيف وقلم، ولقد كان يسعدنا أن نكون مثلكم نجمع بين الأمرين، ونحوز الحسنيين، ولكن ما فات الآباء يعوضه الأبناء، ولو بعث شيوخنا من قبورهم، أو أعيدت أرواحهم إلى أجسادهم لكانوا معكم، وبين صفوفكم، يفخرون بذلك ويعتزون به.

وكيل الجامع الأزهر في معسكر الأزهريين

وقد كان الأزهري في الماضي يعفى من الجندية، ويظن ذلك مزية، وحين حرمنا منها طالبنا بها مع أن الإعفاء شر، وكنا نطالب به لأننا كنا مغرورين مخدوعين بأساليب الاستعمار بالنسبة لنا، حيث عرف العدو أن القوة أصلها الدين وسببها معرفة أسراره، فحال بين رجاله وبين الخدمة العسكرية بحجة التكريم لهم والرفع من شأنهم، فما أمرّه من تكريم !!.

ولو رجعتم إلى الوراء، ونظرتم في التاريخ الإسلامي، لأدركتم أن القرآن لم يوص بكتابته إلا حين استحر القتل بين حفاظه في موقعة اليمامة، وخيف على القرآن من الضياع بموت حفظته. ففي هذا ترون أن حملة القرآن والقائمين عليه كانوا في الصف الأول من صفوف المجاهدين في سبيل الله، وأكبر شاهد على ذلك رسولكم محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان يتقدم الصفوف ويقتدي به المسلمون، فضرب لهم المثل الأعلى في الشجاعة والإقدام.

فسيروا على بركة الله في طريق العلم تتلقون به نفوسكم وتحيون شعبكم، وفي طريق القوة تحفظون بها كيانكم، وتردون بها قوى البغي عنكم وعن دينكم وعن أوطانكم.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنوه بأن ما أحرزتموه من تفوق في هذه الفترة الوجيزة يرجع إلى إخلاص قادتكم وحسن توجيههم لكم، فلهم ولكم عظيم تقديري وشكري، وفقكم الله جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله ،،

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٢٦٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٦٠ في وادي النيل
٤٠ للطلبة في وادي النيل
[illegible]
[illegible] في الخارج
[illegible] للطلبة في الخارج
[illegible]

الجزء السادس — القاهرة في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٧ — ٢٢ ديسمبر ١٩٥٧ — المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

ثورتنا الاجتماعية

لم يكن الغزو الاستعماري من الغرب لهذا الشرق الإسلامي والوطن العربي مقتصرا — في المائة السنة الماضية وماقبلها — على مظاهره العسكرية وأساليبه السياسية ، كما يلوح لمن ينظر إليه في أول وهلة ، وإنما كان غزوا فكريا وثقافيا ، واحتلالا اجتماعيا واقتصاديا ، ثم هو بعد ذلك غزو عسكري واحتلال سياسي ، لمواصلة الغزو العسكري والاحتلال الاجتماعي والاقتصادي .

ومن طبيعة الغزو العسكري والاحتلال السياسي للقطر من الأقطار أن تنفرد به دولة واحدة من دول الغرب الاستعمارية ، وتحتكره — أو ترضى به وتشاركه — زميلاتها ومنافساتها من دول الاستعمار الأخرى . أما الغزو الفكري والاحتلال الثقافي والاجتماعي — وربما انضم إليها الغزو الاقتصادي أيضا — فمشترك في ذلك كله جهود أبناء الدول الأخرى وتتسابق عليه ، ويتبارى العناصر في ميادينه الغربيون جميعا وطوائفهم وأموالهم من كل ملة .

فالغزو العسكري والثقافي ، والاحتلال الاجتماعي والاقتصادي ، هما المرض الأول من الاستعمار . والغزو السياسي والعسكري وسيلة لهما في بعض الظروف ، أو نتيجة من نتائجهما في ظروف أخرى .

كان غزو الإنجليز العسكري في أيام الخديو توفيق (سنة ١٢٩٩ هـ ، ١٨٨٢ م) . أما الغزو العسكري والثقافي ، والاحتلال الاقتصادي والاجتماعي ، فقد سبقه إلى مصر من أيام الخديو إسماعيل (١٢٧٩ هـ ، ١٨٦٣ م) ، أي قبل الاحتلال العسكري بنحو عشرين سنة .

غزو الإنجليز العسكري لمصر انفرد به الإنجليز ، وأما الغزو العسكري والاجتماعي والاقتصادي ، من عهد إسماعيل إلى زمن ابنه توفيق ثم في مدة اللورد كرومر ، فكان غارة شعواء ، وغنيمة سائغة لكل مفلس ، ومائدة تهافت عليها الجياع كلهم بلا استثناء ، حتى كادت تكون مصر وطنا عالميا ، بل كان النظام القائم في زمن اللورد كرومر يشجع الأجنبي على الوطني ، واستغلوا ما يسمونه « الامتيازات الأجنبية » استغلالا معيبا . ومع أن نظام الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة والمحاكم القنصلية قد انتهى قبل نحو عشرين سنة ، إلا أن آثاره وسننه ورواسبه في أذهان الناس جعلت هذا الشر الاجتماعي والاقتصادي هو المألوف ، وهو القاعدة ، وكل دعوة إلى عكسه هي المستغربة ، لأن الجيل كان يجيء بعد الجيل في عشرات السنين الماضية فلا تقع أبصاره فيه إلا على هذا الشر المألوف . والصحف بدعوتها إلى التفرنج ، والتنفير من مقوماتنا القومية الأصيلة واعتبارها ذلك رجعية وتخلفا ، قد عملت على ترسيخ هذا الإلف في النفوس والعقول والقلوب حتى كدنا ننكر أنفسنا ، وحتى انقلب معسكر الغزو العسكري والاجتماعي فصار جنوده من صميم أبنائنا وبناتنا ومن داخل قلاعنا .

كنا من عهد الخديو إسماعيل - أي قبل أكثر من تسعين عاما - هدفا لهذا الغزو الاجتماعي اللئيم الذي اجتاح كياننا القومي ، وقلاعنا العسكرية والاقتصادية ، وتغلغل في أوضاعنا المالية والتجارية والمنزلية ، وما زال حتى استولى بيد من حديد على قيادتنا الثقافية والتوجيهية . ولقد أتيت على لمحة خاطفة من وصف بدايات هذا الغزو في مقال بعنوان « دروس » في جزء جمادى الأولى من السنة الماضية ، وتحريت أن يكون مدعما بالوثائق الرسمية مقيدة بتواريخها ، وبالنصوص المحترمة معزوة إلى مصادرها ، مما لا يزال القراء على ذكر منه . ومن عهد الخديو إسماعيل توالى هذا الغزو بحملات

متواصلة ، وبأيد مختلفة ، حتى صرنا إلى كياننا الاجتماعى الغريب عنا والمفروض علينا ، وهو كيان تعقدت فيه المشاكل ، وعميت الأشياء بغير أسمائها ووصفت بعكس أوصافها .

لقد أفضى الضغط الاجتماعى الأجنبية على مصر منذ أوهموا إسماعيل ورجال حكومته بل أقنعوهم حتى آمنوا ، بأن التقدم لا يأتى إلا من ناحية أوربا ، كما اعترف بذلك نوبار وزير إسماعيل فى مذكرته التى رفعها إليه فى ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٧ ، فصارت حكومة إسماعيل « تتطلع إلى إشراك هذا العنصر معها فى أعمالها » كما جاء فى تلك المذكرة التى اضطر فيها نوبار إلى إعلان أن هذه السياسة لم تنتج إلا مشروع قناة السويس المشئوم ، وأن كل ما وضع فيه الأوربيون أيديهم من مشروعات مصر الأخرى لم يتم ، وكان مدعاة لتعويضات ، دفعت الحكومة المصرية فى السنوات الأربع الأولى من حكم إسماعيل سبعين مليونا من الجنيهات تعويضا للأوربيين عن مشروعات لم يتموها ولم تنتفع بها مصر ، وتكبدت مصر — مع ذلك — كل الخسائر التى كبلت ماليتها بأغلال من الديون والربا الحرام وضعت فيها دهرا طويلا ، وسقط إسماعيل بعد عشرين سنة من بداية حكمه وأرهاقها أثقال من انخداعه بالغرب ، وإيمانه بحضارته الكاذبة ونظامه المبير ، ثم مات مخدوعا ذليلا . وجاء ابنه توفيق فاستعان على أمته بالغرب العسكرى والاحتلال السياسى الذى واصل به الإنجليز غزو أوربا الفكرى لمصر واحتلالها الاجتماعى والاقتصادى .

هذه نتيجة تعاون الحمل مع الذئب ، ولقد اعترف نوبار بأن الحكومة التى كان يمثلها فى ظل إسماعيل تورطت فى اصطناع التقدم المطلوب من الخارج ، ومع أن هذا الاعتراف جاء فى السنة الرابعة من حكم إسماعيل — وكانوا لا يزالون فى بداية الشوط — فإنهم عجزوا عن تدارك الخطأ والعدول عن طريقهم الملتوى ، لأن الأغلال التى تمسكى الغرب من تكبيل مصر بها حالت بين الحمل وبين الافتراق عن الذئب ، إلى أن جاء الاحتلال العسكرى والسياسى فى زمن توفيق فسحب حوافى الظلم ، وربى رجالا مؤمنين به ، ومكن للأجانب وأذنابهم من ناصية التجارة والحركة الاقتصادية وبيوت المال وكفل للإقطاعيين مصالحهم باحتزاز جهود الكادحين فى الزراعة ، وتم بذلك للإنجليز ما أرادوه لا كمال الاحتلال المالى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

إن قصة الاحتلال البريطانى لمصر هى قصة إفساد المجتمع المصرى ، وتوجيه الأمة توجيها تؤمن معه بالغرب ، لتكون أداة لمصالحه وأغراضه القريبة والبعيدة فى السلم والحرب ، فتضيع كل أمل لها فى استرداد سيادتها الحقة ، والعود بوطنها إلى نظام الاستقلال .

قصة الاحتلال البريطاني لمصر هي قصة تجريد المصريين من ينابيع ثروتهم الأدبية والمادية ، ووضع مفاتيح هذه الثروة في أيدي الأجانب ، أو في أيدي وطنيين يؤمنون بالغرب وبحضارته كإيمان الغربيين .

قصة الاحتلال البريطاني لمصر هي قصة التواطؤ بين الاستعمار الأجنبي وبين الذين رباهم على عينه ، فآمنوا كإيمان إسماعيل ونوبار بأن التقدم والترقي والحضارة هي في الانسلاخ من حجابنا وعاداتنا وأحكامنا وأخلاقنا والكفر بها ، والاندماج بالغرب وعاداته وما يحتويه من تحلل في أخلاقه وتمدنه ، والإيمان بها ، بل تقديسها ...

هي قصة طويلة ألف فيها المؤرخون من مصريين وأجانب ، لكن هؤلاء المؤلفين وجهوا عنايتهم في مؤلفاتهم إلى جانب الغزو العسكري والاحتلال السياسي ، وتكلموا فيها بإيجاز أو تفصيل عن الجانب الاقتصادي ، أما الجانب الاجتماعي والفكري والثقافي ، وما يتنافى منه مع روح مصر ومصلحة مصر والنصح لمصر ، وما انطوى عليه من مكايد الاستعمار وخبثه ولؤمه ، فقد بقي الناس يجهلون الكثير من هذه الحقائق والدخائل ، وإن في حملة الأقلام من تلاميذ الاستعمار الأجنبي من يغالط قراءه حتى يومنا هذا ويتبجح بتصوير هذا الغزو تصويرا خلابا مزينا بمختلف الألوان الزاهية ، زاعما أن انسلاخ مصر من مقوماتها القومية هو انسلاخ من الرجعية ومن التخلف ، وأن الخير كل الخير لمصر أن تتمرغ بأردانها وثقافتها وعقليتها وعناصر إيمانها ، لأن حضارة الغرب بزعمهم كل لا يتجزأ ، وقد سبق لنا دراسة هذا الموضوع غير مرة ، وأقمنا الحجج على ما ينبغي لنا أن نأخذه من غيرنا وما ندع .

وقامت ثورة جمال عبد الناصر والأمة معه

هي ثورة على كل ما تراكم في المجتمع المصري من شرور ألمعنا إليها ووضعنا طغيانها على هذا البلد من أيام إسماعيل والذين جاءوا بعده .

إنها شرور معقدة ، ومهمة صعبة ، وكان فاروق ذكيا لما صرح في ساعة إخراجه من مصر بصعوبتها ، لأنه يعرف ما أصابه هو وأبوه وجده ومن تولى مهمة التعاون مع الاحتلال من أسرتهم ، إلى أن تم على أيديهم جميع هذا الشر المتراكم ، وهذا الطغيان المعقد ، فانفجرت الثورة ، وكانت ثورة على هذه الشرور كلها .

وأول ما تناولته الثورة هذا الطاغوت الذي كان يمثل التعاون مع الغزو الأجنبي على كل ما وصفناه من خبث ، فيسر الله خلاص مصر من طاغوتها ، وكان الناس يرون هذا الحادث التاريخي الكبير أمامهم ويكادون لا يصدقون أعينهم .

وجاء دور إنقاذ مصر من الاحتلال العسكري لقاعدة السويس الحربية ، مقرونا بإنقاذ السودان من قبضة الإنجليز الحديدية . إن الخلاص من هذا الاحتلال العسكري المزدوج في وادي النيل من أعماق السودان إلى قناة السويس كان كرامة من الله لهذا العهد ، وأنا أعترف عن نفسي — وقد تجاوزت السبعين من عمري — بأني لم أكن أحدث نفسي ولا بالأحلام بأن ذلك سيتم وسأراه بعيني قبل أن أموت . إن نعم الله السابغة متوالية على الناس ، وعلي أكثر من كل الناس ، ولكن هذه النعمة كانت من أعظم النعم ، ومن يوم حدوثها إلى الآن وأنا أفكر كيف أستطيع أن أقوم شكر الله عليها .

وكان من أكبر مصائب مصر أن فيها طبقتين : أقلية تملك أرض النيل ومجاري ريه وصرفه ، وأكثرية تكدح مع المواشي في استنبات القطن والمحاصيل الزراعية بين مجاري الري والصرف . الأقلية حائرة لا تعرف كيف تبدد الأموال المنهمرة عليها من آلاف الفدادين ومئات الفدادين ، والأكثرية لا تحصل من كدحها مع المواشي على اللقمة الهنية والملبس النقي والكساء الساتر ، وتعيش هي والمواشي معا في شبه القبور . الأقلية تغرق كنوز النيل على ما يسخط الله في الليالي الحمراء بمصر ، وعلى موائد القمار والخمور وبؤر الفساد ومواخير الفجور في أوربا ، والأكثرية تنتحر بالشاي الأسود إن لم تسكن همومها وآلامها بما هو أفظع منه ، ولوازم ذلك في الأخلاق التحايل والكذب وغير ذلك مما ألجأ إليه هذا المجتمع الفاسد جيلا بعد جيل . وقد سبق لي الحديث عن الصفات ، وأن الخير كل الخير في الطبقة الوسطى ، بأكثر من مقال . فالثورة في مرحلتها الثالثة — بعد الخلاص من الطاغوت الفرد ، ومن الاحتلال العسكري — كانت ثورة على هذا التفاوت الشاسع بين طبقة الأقلية الساهرين في الليالي الحمراء ، وبين جمهور الأمة الأعظم الذين يحاولون تسكين همومهم بالشاي الأسود وبما هو أشد منه تخديرا . فالعمل على إيجاد الطبقة الوسطى هو العمل الإصلاحي العظيم الذي كلما ازداد نجاحا ، وكلما ارتفعت النسبة المئوية لعدد أهل هذه الطبقة ، كان ذلك تقدما لمصر في سبيل الصلاح والسعادة ، ولو أن عمر بن الخطاب رضوان الله وسلامه عليه كان يلي أمورنا في هذا العهد لرأى أن تكوين

الطبقة الوسطى في مصر وتصحيح عددها حتى تكون هي مصر، لا شك أنه من أفضل أعمال الحاكم المنصف الساهر على خير أمته.

والثورة في حلقتها الرابعة هي الثورة على سرقة إيراد قناة السويس، وكف يد الشركة الأجنبية عن إدارة هذا المرفق بإعلان تأميمه. إن هذه الحلقة من ثورتنا كانت عمنة مجلاة في قلوب العناصر الثلاثة التي كانت مشتركة في سرقة إيراد هذا المرفق، وهم الفرنسيون والإنجليز وحواريو اليهود. وإن الشر الواقع من رد الفعل لتأميم القناة قد حوله الله إلى خير بتمصير البنوك والمرافق المعدنية التي كانت قلاعاً منيعة للاستعمار الاقتصادي والاحتلال المالي في مصر بعد الاعتراف لها بالاستقلال، وما كان هذا الاستقلال ليكون كاملاً حقاً إلا بتمصير هذه البنوك والمرافق. ولا شك أن تمصيرها لا يقل في أهميته عن الجلاء العسكري.

وإن في كيان العالم الإسلامي عنصر العروبة العريقة الذي اختاره الله لحمل رسالة الإسلام يوم وضعت هذه الرسالة قبل أربعة عشر قرناً. وهذا العنصر هو الذي أقام دولة الإسلام في الأرض، وهو الذي نشر دعوة الحق وأدخل شعوب العالم الإسلامي في الأخوة المحمدية. ولقد كان هذا العنصر ولا يزال مظنة الخير الكثير كلما اجتمعت كلمته، ووجدت له طرق السير إلى العمل، وتمكن من حمل أعباء الحق مرة أخرى. وكانت الشعوبية قد تآمرت عليه وكفت يده عن سفينة الدولة قبل زهاء عشر قرناً، أي منذ نبي إبراهيم الإمام عروبته وقرشيته وهاشميته فكتب إلى أبي مسلم في خراسان يقول له: «اتهم ربيعة في أمرهم، وأما مضر فهم العدو القريب، واقتل من شككت فيه، وإن قدرت ألا تدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله». من ذلك الحين واليد العربية معزولة عن إدارة الدفة في السفينة الكبرى، وكان تاريخ العروبة والإسلام في حاجة إلى من يثور على هذا الظلم التاريخي فيرد الأمور إلى قرارها، إلى أن جاءت الثورة المصرية فأعلنت سياسة القومية العربية، واشتدت اليد العربية من وادي النيل فصافحتها أختها من وادي بردى، أو اصطفت من وادي بردى حلقتها أختها من وادي النيل، وإذا صدق ظني فنحن الآن في بداية دور جديد من أدوار التاريخ في العالم الإسلامي سيصبح حداً تشعوبية حذل عليها الأمد، ولا سيما إذا رعى سادتنا أساتذة التاريخ في الجامعات المصرية والمعاهد الأزهرية والمدارس الثانوية

فتطهروا مناهج التاريخ الإسلامي من الأكاذيب التقليدية عن أبطال هذا التاريخ وعظمائه ، ليحسن ظن أبنائنا في المدارس والجامعات بأسلافهم الذين نشروا دعوة الإسلام وكان تكوين كيان العالم الإسلامي من حسناتهم الخالدة إلى يوم الدين . إن الثورة المصرية التي نعيش فيها الآن ، والتي أسست قوميتنا العربية ، تقتضينا إعادة النظر في هذه الناحية من ثقافتنا الجوهرية ، ويوم يوضع ذلك على مائدة الدراسة والبحث سيكون لي فيه كلام أوسع وأعمق .

ومن حلقات الثورة التي نعدها ولا تحيط بها الأحاديث التعاون ليحقق مقصدها إلى أقصى مداه؛ إن هذه الحلقة ستقدر نتائجها ، وتطبيق هذه النتائج في أعماق الناس، فإن قصروا وقصرت حكامهم فإن المسئولية عظيمة وعواقب التقصير الاجتماعي تنطوي على خطوراتها .

وبعد فإن ثورتنا الاجتماعية التي تحدث عنها جمال عبد الناصر في افتتاح المؤتمر التعاوني الثالث صيحة من صيحات الحق التي قلما يطرق مثلها آذان البشر إلا بين كل دهر ودهر ، وأعظم ما فيها إعلان جريمة الذين استوردوا التقدم الاجتماعي لمصر من الخارج ، وأن أول ما يجب لنا أن نستوحي هذا التقدم من ظروفنا ومن وحي طبيعتنا ، فهل لنا أن نتجاوب معه في هذا المبدأ ؟ إن المهمة عظيمة وثقيلة الأعباء، إلا إذا عقدنا العزائم على أن يكون كل إنسان منا جمالا عبد الناصر إلى جانب جمال عبد الناصر ، والتاريخ واقف بإزائنا ، فأسمعوا ألسنة التاريخ يتحدث عنا بالكلام الطيب .

محب الدين الخطيب

اعتراف الأمريكيين بتعصبهم

عقب نشوب الحرب العالمية الأولى كانت أمريكا لا تزال واقفة على الحياد المزعوم بين الفريقين المتحاربين ، فطمع الألمان في أن تنضم أمريكا في هذا الجهاد ، وكتب ٩٣ عالما ألمانيا نشرة أذاعوها في أمريكا سنة ١٩١٥ بعنوان «استغاثة بالعالم المتمدن» فأجابهم الدكتور صموئيل هاردن تشرتش رئيس جامعة كرنجي في بتسبرغ جوابا نقلته مجلة المقتطف إلى العربية ونشرته في جزء يونية ١٩١٥ (م ٤٦ ص ٥٧٢) وقد جاء فيه الاعتراف الآتي من رئيس الجامعة الأمريكية :

« . . . وكذلك نميل إلى سائر العناصر البشرية ونكرمها ، عدا — يا للأسف — العناصر الآسيوية ، ولكن لا بد أن تحول عن العاطفة الروحية يوما ما فنرحب بهم إخوانا كما نرحب بسواهم » .

نفحات القرآن

— ٥٦ —

الخيرون أولى بالدعوة إلى الخير

والأوفياء لله أهل للوفاء والرعاية من جانب الله

أ — « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون » .

ب — « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من الظالمين » .

١ — علمنا القرآن الكريم أن النفوس البشرية ليست في وضع واحد أمام دعوة القرآن لها ، بل منها نفوس خيرة تستقبل الدعوة باستعداد حسن كامن فيها ، فيثير القرآن ما فيها من معاني الخير ، ويزيدها صلاحية ، ويجعلها مصداقاً لتربيته حتى يكون مثلاً في كل ما يصدر عنها من قول حسن ، أو عمل محمود .

ومنها نفوس غير خيرة ، يجد داعي القرآن منها تأبي الإصغاء إليه ، وتمادي في تأبيها وجحودها فلا يفيدها شيئاً من صلاحية ، ولا يغير ما بها من فساد .

ولقد ضرب الله للنوعين مثلاً بأرض طيبة ، وأرض خبيثة ، يخرج من الأولى نباتها بإذن ربها فيعم نفعها من ثمار ، وأغصان ، وأزهار ، ولا يخرج من الثانية إلا نبات نكد من أشواك مؤذية ، أو طحلبات عديمة الجدوى ، مع أن كلاً من النوعين من الأرض يسقى بماء واحد . غير أن تربة خصبة بارك الله فيها ، وأودع فيها الخير ، وفضل ثمارها على ثمار غيرها في الأكل ، في حين أن تربة أخرى خبثت عناصرها ، فكانت جدبة . تأكل ما يلقى فيها من بذور ، والخير منها معدوم ، لأن الله لم يأذن لها أن تكون ذات نفع للناس ، لحكمة اقتضت هذا التغاير بين بقاع الأرض .

« والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً » .

وتشبيه القرآن النفوس بأرض طيبة وأرض خبيثة تمثيل بالواقع الذي نحسه ولا نماري فيه ، وليس أصدق من الواقع المشاهد دلالة على صحة الدعوة ، وحسن التوجيه .

وكان من مقتضيات الحكمة إزاء هذا التباين الفطرى بين النفوس البشرية أن يؤثر الله أهل الخير بالدعوة دون الآخرين الذين لا تثمر فيهم الجهود ، ومن ذلك قوله سبحانه :

« وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون » . فإن هذا توجيه للرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يجعل إنذاره بالقرآن إلى من عرفوا بالاستجابة لا بالعتو ، وعرفوا بالخوف من الله يوم يحشرون إليه ، دون أن يكون لهم ولى يدفع عنهم سلطان الله ، أو شفيع من جانبهم يحميهم من عذاب ربهم ، فهؤلاء المؤمنون بالحشر ، والمعروفون بالخوف وبالإيمان أن الله وحده هو صاحب الأمر فى خلقه ، وأن شفاعة الشفعاء لا تكون إلا بإذن منه فى شأن من رضى الله عنهم ، وترتفع بهم منزلة الشفاعة فيهم : هؤلاء هم الذين تثمر فيهم الدعوة ، وتجديهم الموعظة فهم حريون ، وهم أهل وأولى بالدعوة إلى الخير دون المستكبرين الأشرار . ومن هذا أيضا قوله تعالى : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ، « فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ، ويتجنبها الأشقى – الآية » .

وليس فى هذا التوجيه صرف للنبى عن تبليغ رسالته إلى سواهم من الناس ، بل القصد من ذلك – أولا – تسلية الرسول عن صبره فى شأن هؤلاء المتعنتين – وثانيا – التشنيع على هؤلاء الجاحدين بأنهم أعرضوا عن قبول الهداية إعراضا يبعدهم عن الأمل فى صلاح شأنهم ، حيث لم يوجد عندهم تصديق باليوم الآخر وبالحشر إلى ربهم فى هذا اليوم ، وإن كان فيهم من يقول باليوم الآخر فهو تصديق مشوب بالإنكار – وثالثا – الإشادة والتمجيد لأهل الطاعة المراقبين لله بأنهم على رجاء حق فى الله لأنهم الذين يعبدونه ، ويستغفرونه ، ويثابرون على الصلة به تعالى ، وفى توجيه الإنذار بالقرآن إلى المستجيبين رسم للسلوك التدبيرى الذى ينبغى أن نسلكه ، فلا نبذل الجهود فى موضع اليأس ، بل نبذلها حيث يكون الأمل فى النجاح ، ولا نسرف على أنفسنا فى المحاولات الضائعة .

وإذا كان المنهج الدينى يتطلب بذل المجهود مع من يتوسم فيهم القبول والاهتداء ، فالمنهج الدنيوى يناسبه ويتمشى معه ، وإذا صادفت الدنيا وراء الدين فهى فى أمن من العثار ، فنكون فى دنيانا على هدى الدين إن كان للعقول حكم مطاع ، ولم تكن للأهواء والشهوات سيطرة غالبة ، أو لم تكن للأنانية استبداد بالنفس ، وتحكم فى الاتجاه كما ابتلى بذلك كثير من الناس .

هذا وقد بلغ من الأنانية عند من تمردوا على القرآن ، وتخلفوا عن مطاوعته أن زعموا أنفسهم أرفع منزلة ممن اهتدوا وآمنوا ، وزعموا أيضا أن انتظامهم فى الإسلام يحط من

شأنهم ، إذهم سراة القوم ، وأصحاب النفوذ ، فكيف يجتمعون مع أناس مقربين إلى الرسول ممن هم أرق حالا ، وأدنى منزلة منهم ؟ ؟

لذلك طلبوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يشرطهم على تخصيصهم بمجلس لا يكون فيه أولئك الفقراء ، فإذا أجيبوا إلى مطالبهم هذا فهم على استعداد للإسلام بعد ، وبدون هذا المطلب لا يتحقق منهم إسلام ، إذ لا يمكنهم أن يتساووا في مجلس الرسول مع من دونهم منزلة في قومهم .

ونسوا أن الإسلام يدعو أول ما يدعو إلى المساواة ، وإلى التخلص من حمية الجاهلية وما كادوا يعلنون هذا حتى صدمهم الوحي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله تعالى .

(ب) « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من الظالمين » .

وفي هذه الآية كانت لزعة الغرور عند أولئك المغرورين ، ولمع لجبروتهم ، وتعلية لشأنهم عند الله بسبب هؤلاء المسلمين الذين هم في موضع الحب والرعاية من الله وإن كانت دنياهم أضيق من دنيا أولئك المتصلفين .

ينهى الله نبيه عن مطاوعة الكافرين في طرد المسلمين من مجلسه حين يوجد فيه هؤلاء المتكبرون ، ويشعرهم الله بهذا أنه غني عن إسلامهم ، وأنه يفضل أولئك المتواضعين ، لأمور يرجح بها ميزانهم على كل ما يتمدح به المتكبرون ، يفضل الله السابقين إلى الإسلام المتصلين بمجلس الرسول بما يأتي

أولا : أنهم يدعون ربهم ، ويعبدونه غداة وعشيا ، وهذا عبارة عن حرصهم على صلتهم بالله دائما ، والتعبير بالغداة والعشي يراد منه المداومة بقدر ما يستطيعون على مراقبة الله في كل ما يصدر منهم .

ثانيا : أنهم في تدينهم مخلصون لله ، لا يريدون غير مرضاته ، فلا رياء ، ولا ملل ، ولا شائبة تنقص من إخلاصهم ، وهذا معنى : « يريدون وجهه » وواضح أن من يريد وجه الله هو من تمحضت سريرته لحب الله وإجلاله ، والطمع في المثوبة عنده ، وهذه خاصية لمن كانوا يجالسون الرسول ، ويزدريهم الكفار .

ثالثا : أن مرجع هؤلاء المخلصين في عملهم وإخلاصهم ، وحسابهم إلى الله وحده فلن يكون الرسول مسئولا عن مآخذهم التي يحاسبهم عليها ربهم إن كانت لهم مآخذ ، ولن يكونوا مسئولين كذلك عما يتعثر من عمل الرسول والعلاقة التي تربطهم بالرسول

علاقة دعوة من جانبه ، وطاعة وحبة وإخلاص من جانبهم ، وما داموا أولياء لله ولرسوله فهم أهل لرعاية الله وحبته ، وهم الجديرون بأن يكونوا حزب الله ، فكيف يسمع فيهم قول الكافرين ؟ ؟ وكيف يطردون من مجلس الرسول وهم السابقون إليه في محبة ، وصحبة ، ودأب ؟ ؟

إن طردهم من أجل رغبة فئة متطلبة يعتبر ظلماً ، وليس الظلم من ترعات الرسول .

وقد نبه الله رسوله — صلى الله عليه وسلم — على أن طاعة الكفار في هذا تعتبر طاعة منهم في انقياد محمد إلى الظلم الذي يأباه محمد ، ويأباه الله ، وحرمه على عباده جميعاً .

وإن سبق هؤلاء المستضعفين إلى الإسلام يعتبر ابتلاء واختباراً لمن زعموا أنفسهم خيراً منهم ، فلو كانت نظرتهم إلى دعوة محمد نظرة رشيدة لسارعوا إليها كما سارع إليها الآخرون ، ولكنها نظرة حمقاء ، جعلت هم أن الإسلام ليس خيراً ، ولو كان خيراً لما فاتهم شيء منه ، فإذا كانت لهم الثروة والسيادة فكذلك يكون لهم الإسلام دون أولئك الفقراء ، وكانوا يرددون قولهم : « لو كان خيراً ما سبقونا إليه » ويقولون : لو كان الإسلام خيراً لاختاره الله لنا ، لتفضيلنا على الناس بما فضلنا به من متاع الدنيا .

والله تعالى يكشف عن حقيقتهم فيما يزعمون ، ويقول « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا » ، بهم فتنوا بهم ، وقالوا ما قالوا ، والله يرد عليهم بقوله سبحانه : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، بهم هو أعلم بمن اهتدى ، وأعلم بمن شكروه ، وقد اهتدى أولئك الضعفاء السابقون ، وشكروا ، فالله تعالى يعزهم بعزه ويرفع شأنهم على غيرهم ، ويجعل لهم مقاماً محموداً بين خلقه ، ويعلم الرسول كيف يكرمهم ويكرم أمثالهم ، وكيف يستقبلهم حين يقدمون عليه فيقول له : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم » .

يا محمد ، تحية هؤلاء المسلمين وكل من جاءك مؤمناً بآيات القرآن ، وآيات الله في الأنفس وفي آفاق الكون أن تبلغهم تحية الله لهم ، بقولك سلام عليكم ، وفي معنى هذه التحية إخبار عن الله تعالى بسلامتهم وأمنهم من عقابه .

وبلغهم يا محمد مع التحية بشرى من الله — بأنه كتب على نفسه الرحمة بعباده ، وبأن من عمل سوءاً ثم تاب من بعده وأصلح فإن الله غفور رحيم .

وهـذا وعد كريم من جانب الله بأن التوبة ، من عمل السوء الذى يرتكبه صاحبه وهو متلبس بالجهالة ، إذا كان جاهلا حقا ، أو متلبسا بها حكما لأن الشأن فى عمل السوء أن يكون من الجاهل تقديرا ، وإن كان فى نفسه غير جاهل .

فهذا وصف لبيان الحال فيمن يرتكب السوء ، وليس وصفا مشروطا فيمن تقبل توبته بل التوبة الخالصة مقبولة عند الله تفضلا منه على عباده ، وهى تجعل المذنب التائب حقا كمن لا ذنب له ، والله واسع المغفرة لمن أناب إليه .

وبعد ـ فإن انصراف أهل اليسار وأصحاب النقود وغيرهم ممن شغلتهم حياتهم عن جانب الدين نزعة فاشية ، تراها سارية حتى اليوم فيمن يرون أنفسهم أوسع حظا من سواهم ، فلا يرون الخروج إلى الدين متمشيا مع شموخهم ، ولا يطيب لهم أن يساوى الدين بينهم وبين من هم أضيق عيشا منهم ، أو أقل جاها وصيتا بين الناس .

بل يرى أولئك المغرورون ـ حتى اليوم ـ أن تدين الفقير إنما هو للعجز عن بلوغهم مبلغ السادة ، وأنهم يتخذون من الدين متارا لضآلة شأنهم .

وأنت ترى هذه النزعة فاشية حتى فى كثرة من العامة المثقفة الواعية ، والحق : أن هؤلاء فى غفلة عن الحق ، وأنهم مع اشتيارهم بالثقافة والمدنية أشبه بالسوقة التى لا تدرك غير سعيها لتعيش فقد حجب هؤلاء عن المعرفة ، وعن جانب الدين إطلاقا تشاغلهم فى أدنى الحرف ، وقصورهم عن التطلع إلى غير هـذا ، حتى كأن الدين عندهم ليس به سوى ما يعملون ليعيشوا .

كذلك المترفون فى النعمة ، ومن صبغتهم الغفلة بنزعة ، والثقافة المدنية الناقصة .

أولئك يطرحون الدين جانبا وينسون ما فى هـذه الغفلة من مخالفة ، وإنكار لما استحقه عليهم من شكر ، وفى هذا مرض لروح التمرد عند أغلبهم ، وفى أمرهم ، وهى غرتهم النعمة ، وطال بهم الزمن ، فإن الله لا تضيره معصيتهم ولا تنفعه طاعتهم ، وإنما هم الفقراء إلى ربهم وقد جاء بوه نعمه ، وتمردوا عليه ، وهو القاهر فوق عباده ، والقادر على هلاكهم وتجريدهم من نعمهم ، وستواجههم من خلف صيرة جامعة ، وقد سبق أمر الله وأم حلت ، وسيكون الوعيد لمن خلف ، «فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون» .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

آخر الوصايا النبوية

المرض النبوي ـ أعظم الوصايا ـ مصيبة هونت كل مصاب ـ كلام الأنبياء حق وصدق في كل حال ـ اختلاف في الحضرة النبوية ـ من الاختلاف يسر ورحمة ـ رأي سديد وقول أسد .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال . يوم الخميس ! وما يوم الخميس ؟ : ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء ! فقال . اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس ! فقال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ، فتنازعوا ـ ولا ينبغي عند نبي تنازع ـ فقالوا : هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال . دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه . وأوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . ونسيت الثالثة .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري [*])

(*) في جوائز الوفد من كتاب الجهاد ؛ ورواه في إخراج اليهود من جزيرة العرب من كتاب الجهاد أيضا ؛ وفي باب كتابة العلم ... وفي مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته من كتاب المغازي ؛ وفي قول المريض . قوموا عني من كتاب المرضى ؛ وفي كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام . وأما مسلم فرواه في كتاب الوصية ... وقد أشرنا في الجزء الماضي إلى هذا الحديث ورجونا أن نشرحه ، والله المستعان .

لم تبلغ أمة من الأمم ما بلغته أمة النبي صلى الله عليه وسلم، من حرصه عليهم ، ورأفته ورحمته بهم ، وقد بلغ هذا الحرص البليغ أشده ، حينما قربت هجرته صلوات الله وسلامه عليه ، من هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى مع إخوانه النبيين ، وتابعيهم من الصديقين والشهداء والصالحين .

انتقل إلى الرفيق الأعلى في يوم الاثنين ثاني يوم من ربيع الأول لتمام السنة العاشرة من هجرته ، حوالى اليوم الثمانين من حجة وداعه ، بعد أن مرض بضعة عشر يوما ، اشتد مرضه في الأربعة الأخيرة منها

• • •

وقد أحس صلوات الله وسلامه عليه دنو أجله في حجة الوداع ، إذ أنزل الله عليه في يوم عرفتها وكان يوم جمعة : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » [1] ولهذا قال في خطبة هذه الحجة الجامعة « أيها الناس ، اسمعوا قولي فإني لا أدري ، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . . . » ثم وصاهم أعظم وصية وصى بها في أمته ، ونصحهم أصدق نصيحة نصح بها رائد أهله ، وجعل النساء وحقوقهن أرفع مكان في نصيحته ، وربما كانت خطبه ووصاياه بعد ذلك تبيانا أو تفصيلا لهذه الخطبة الشاملة .

• • •

وكان مبدأ اشتداد وجعه صلى الله عليه وسلم يوم الخميس الأخير من صفر ، ذلك اليوم الذي ذكر ترجمان القرآن ، بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، فذكر المصيبة التي هونت كل مصاب بعدها ، ثم بكى حتى سالت دموعه على خديه ، فبلت ما بين يديه من الحصى ، وذكر إلى تلك المصيبة مصيبة أخرى في ظنه ، هي الحيلولة بينه صلى الله عليه وسلم وبين كتابه الذي هم به . .

ذلك بأنه بدا له أن يملي على أصحابه كتابا هاديا لا يضلون بعده أبدا . . فاختلفوا وتنازعوا وكثر اللغط وانقسم الرأي فريق يقول : قربوا له يكتب لكم كتابكم [2] . .

(1) شرحنا حديث نزول هذه الآية الكريمة بعنوان « عيد الدستور » في ج ٨ م ٢٢ وبينا ما نزل بعدها وأنه لا يعارض إكمال الدين وإتمام النعمة .

(2) كانوا أكثر ما يكتبون على عظام الكتف ، ولذا جاء في إحدى روايات مسلم : « ائتوني بالكتف والدواة » . . .

وفريق يقول ما قال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا ؛ وثالث يقول : أهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! استفهموه ماذا يريد أن يكتب ؟ يرد مقالته هذه على عمر ومن معه ، يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جادّ في طلب الكتاب الهادي الرشيد لا يهذي ولا يهجر وحاشاه ، ومن حال بينه وبين كتابه فكأنه نطق به الهجر ، وهجر المريض هجرا (بضم الهاء) إذا هذى فقال كلاما غير متزن ولا منتظم ، وهذا محال على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ؛ لأن كلامهم حق وصدق ، وعقل وحمد ، في الصحة والمرض ، والرضا والغضب ، فما لكم تحولون بينه وبين ما يريد ؟ ! فالاستفهام بالهمز ـ ظاهرا أو مضمرا ـ إنكاري ولا ريب ..

ولا مانع أن يكون مراد الفريق الثالث هجرته صلى الله عليه وسلم واستفهامه لما رآه ويريده ما بعده . . .

فلما اختصموا دون أن يجتمعوا على رأي قال لهم صلوات الله وسلامه عليه : قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع . . . أي اتركوني وشأني فما أنا فيه من فيض الله وإلهامه ، وتأهبي للقائه وإكرامه ، أفضل وأجل مما بدا لي .

وما كان لهم أن يختلفوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، لولا رحابة صدره وصدر الحنيفية السمحة التي بعث بها ، ولولا شدة وجعه وحاجته إلى السكون والطمأنينة لاحتمل اختلافهم ، ولم يأمرهم أن يقوموا عنه . . على أنهم لم يختلفوا إلا من بعد ما علموا أن أمره الأول بأن يأتوا بكتاب يكتبه لم يكن على سبيل الفرض الحتم ، ولم يكن مما أوحي إليه صلى الله عليه وسلم ، وإلا لم يكن ثمت مندوحة منه ، وإنما كان من قبيل الاجتهاد والإرشاد والمصلحة العارضة التي استبان بعد الاختلاف أن الخيرة في تركها .

* * *

وربما كانت دعوته إلى الكتاب اختبارا لهم وامتحانا ، لينظر كيف يكون شأنهم بعده ، وكيف يكون اختلافهم في شريعته التي تركها بيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، فالعلماء يختلفون في الحق ابتغاء الوصول إليه ، ولا يختلفون في الحق بعد ما تبين ، والاختلاف ابتغاء الحق مع الاجتهاد فيه يسر ورحمة ، والاختلاف في الحق بعد ما تبين هلاك ونقمة ، وقد حمى الله أهل السنة والجماعة أن يضلوا أو يزيغوا . . . ثم إن عمر وقد اجتهد فأصاب ، وقد آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب ، وكم له رضي الله عنه في العهد النبوي وبعده من مواقف تنبئ عن قوة دينه ، وسلامة يقينه ، وعظم فقهه عن الله

ورسوله . . . فلينتقل إذاً صلوات الله وسلامه عليه ، إلى الرفيق الأعلى راضياً مطمئناً ما دام في أصحابه من جعل الله الحق في قلبه وعلى لسانه ، يهتدى به ويهدى إليه

* * *

بيد أن ترجمان القرآن رضي الله عنه غادر هذه الدنيا مهموماً حزيناً ، مؤمناً أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه ! ! لأنه كان بلا ريب يكون نصاً واضحاً لا مجال فيه لخلاف ، لا سيما إذا تناول ما اختلف فيه الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فكانت أمنيته رضي الله عنه أن يكتب هذا الكتاب ليكون حكماً فاصلا .

وكأنه غفل رضي الله عنه — على سعة علمه وبصره — عن أن الخلاف أمر لا محيص عنه ، وأن فيه خيراً وسعة ورحمة ، ما كان له وجه صحيح من السنة الهادية ، والحجة الرشيدة وأنه صلى الله عليه وسلم قد وسع بهذا الخلاف على أمته ، في حياته وبعد مماته ، وأنه لم يعنف أحداً حين قال لهم : لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة فأدركهم العصر في الطريق ، فصلى بعضهم وأخر بعضهم حتى أتى بني قريظة فصلى فيها [1]

لقد خاف الفاروق رضي الله عنه — إلى إشفاقه على النبي صلى الله عليه وسلم — أن يكتب كتاباً لا مجال للاجتهاد فيه ، فيختلفوا في الحق لا للحق ، أو يعجزوا عن إنفاذه فيستحقوا العقوبة ، ثم ذكر مع هذا كتاباً أنزله الله تبياناً لكل شيء ولم يفرط فيه من شيء ، فقال مقالته الكريمة الثابتة : حسبنا كتاب الله .

ولعله خاف رضي الله عنه أن يتخذ هذا الكتاب ذريعة لمن في قلوبهم مرض ، يدخلون منه للطعن في الدين ، فيزعمون فيه نقصاً أو زيادة ، اتباعاً لأهوائهم ، فيكون اختلاف لا اتفاق معه ، وشر لا خير فيه ، وهذه هي الفاجعة ! !

ألا إن قول الفاروق أصح ، وإن رأيه أهدى وأرشد ، ولقد وافقه المعصوم صلى الله عليه وسلم ورضي عنه .

وإذ ضاق هذا الجزء عن إتمام الشرح فلنرجئه للجزء الآتي إن شاء الله ..

طه محمد الساكت

---

(1) شرحنا هذا الحديث بعنوان « مثل من اختلاف الصحابة » في ج ٦ م ١٥

الوثيقة الدولية المظلومة
« حقوق الانسان »

ليست قيمة العقود والوثائق بحسن أسلوبها والتأنق في ألفاظها ، وحسن صياغتها ، وتفصيل موضوعاتها ، ولكن قيمتها بإخلاص المتعاقدين فيها ، وحسن نياتهم فيها وعزمهم الصادق على الوفاء بها وتنفيذها ، مهما تضمنت من أمور قد لا تتفق مع مصالح المتعاقدين ، وإذا أعوزها عنصر من هذه العناصر كانت قصاصات من الأوراق أولى بها سلال المهملات لا أضابير الوزارات . ومن المؤسف أن نجد في هذا العصر عصر النور والعرفان وعصر تقدير العدالة وحقوق الشعوب والأفراد وثائق أعوزتها العناصر المهمة في تقييمها واحترامها ، فأصبحت قصاصات من الورق لا حظ لها من التقدير والاعتبار .

ثم : هناك وثيقة دولية هامة حشدت الكفايات السياسية والقانونية لوضعها وصياغتها ، فوضعت وصادقت عليها مختلف حكومات رسمية قوية ، وربما كانت أنموذجاً في الصياغة اللفظية وفي الناحية الموضوعية من حيث شمولها واستقصاؤها ، ولكن حالفها سوء الطالع فلم تؤد الغرض منها ولم تنفذ في أي ناحية من نواحيها ، هي « وثيقة حقوق الإنسان » فقد وضعتها هيئة الأمم المتحدة واحتفل العالم بميلادها ، وأقيمت لها البنود والبيارق ، واستقبلت على أنغام الموسيقى ودقات الطبول ، وانتشت الشعوب الصغيرة سروراً بميلادها ، وراودت المنى أحلامها ، وإذا هي منها كما قيل :

فأصبحت من ليل الهداة كقابض ... على الماء خانته فروج الأصابع

سمع العالم وقرأ نصوص هذه الوثيقة ، فسمع كلاماً حلواً ، وقرأ كلاماً جميلاً ، وكان وقعه على أسماع الشعوب الصغيرة ألذ من رنات المثاني على آذان المشوقين ، قرأ فيها هذا النص الخطير : « يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا عقلاً وضميراً ، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء ، ولكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون أي تمييز ، بسبب الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر دون أي تفرقة بين الرجال والنساء » . قرأ الناس

ولا سيما الشعوب الصغيرة هذا الكلام الحلو البراق ، وانتظروا التنفيذ والتطبيق ويا لشر ما انتظروا ! انتظروا التطبيق فاذا هو يناقض النصوص مناقضة تامة !

في ظلال هذه الوثيقة اعتدى على بعض الشعوب الصغيرة ، وبالتالي اعتدى على الأفراد لأجناسها وألوانها وآرائها السياسية والاجتماعية ، وامتهنت حرياتها واعتدى على استقلالها وعلى مواردها وعلى حقوق أفرادها في التعلم والمساواة الاجتماعية .

في ظلال هذه الوثيقة اعتدى على استقلال مصر وهاجمتها ثلاث دول اثنان منها من كبريات الدول التي كان لها في وضعها نصيب كبير هما بريطانيا وفرنسا، وقد هاجمتها في وحشية لم يشهدها التاريخ من قبل ، هاجمتها من البر والبحر والجو ، واستعملت في هجومها أشنع أساليب القتال ، فقذفتها من الجو بالقنابل ولم تفرق بين مدينة وقرية ، ولا بين موقع وآخر ، وقذفت بورسعيد بمدافع الأسطول من البحر ، فأحرقت وهدمت ، وتساقط الشهداء من سكانها تساقط ورق الخريف في الصرصر العاتية ، ولولا لطف الله بمصر ومناصرة الرأي العالمي الحر ، ووقوف الدول العربية إلى جانبها مواسية ومعاونة لوقعت الكارثة ولبلغت هذه الدول الآثمة أهدافها وعادت مصر مرة أخرى فريسة لاستعمار غاشم واحتلال بغيض .

وفي ظلال هذه الوثيقة تستعر في الجزائر حرب زبون تذهب كل يوم بأرواح المئات من أهلها ، وتمارس فيها فنون من حروب وحشية لا ضابط لها ولا زمام ، وتنصب لمجاهديها المشانق بعد محاكمات صورية في محاكم دونها محاكم التفتيش في القرون الوسطى ، كل ذلك لتصبح الجزائر بالإكراه جزءا من الوطن الفرنسي ، وتستبيح فرنسا في دعواها على مرأى ومسمع من شعوب العالم أن الجزائر قطعة منها ، وكأن تطاول الزمن على الاغتصاب يجعل الباطل حقا ويجعل الجزائريين العرب أفلاذا من الرقعة الفرنسية ، ومن البلية أن تثار قضية الجزائر في الأمم المتحدة ، وفي اليوم الذي يحتفل فيه العالم بالذكرى الثامنة لإعلان وثيقة حقوق الإنسان ، فتتظاهر الدول الكبرى سرا وجهارا على اتخاذ قرار مائع لا يقر الجزائريين حقوقهم ولا يقف تلك المذابح المستمرة مجاملة لفرنسا وحرصا على رضاها ، حتى لا تنسحب من حلف الأطلنطي فينفرط عقده دون أن يحقق الأمل منه . وستظل الحرب بين فرنسا والجزائر حتى يفتح الله بينهما وينتصر حق الجزائريين على باطل الفرنسيين ، ويبوء الاستعمار في الجزائر بالخزي والعار كما باء بهما في مصر والهند وغيرهما من الشعوب التي ناضلت دون حقوقها حتى استردت حرياتها رغم أنوف الغاصبين .

وفي ظلال هذه الوثيقة منع السود في أمريكا وجنوب إفريقيا من مقاعد تعليم البيض ، ومن مطاعمهم ومقاهيهم وملاهيهم ، حتى لا يختلطوا بالبيض فيلوثوا مكانهم الرفيع ، ويعكروا أمزجتهم الرقيقة ، وكأن السود وصريحتهم هؤلاء السادة ويسمم أطعمتهم ، ويفسد أجواءهم وأهواءهم ، ويحاكم السود إلى المحاكم في قضية الاختلاط فتحكم بجوازه ، ويثور الشعب الأمريكي الراقي الحر المتحضر على هذه الأحكام وتقوم المظاهرات صاخبة ضدها ، وتحاصر المدارس حتى لا يدخلها أسود ، ويشتبك البوليس بالجماهير فتسقط بعض الضحايا نتيجة لهذه الاشتباكات ، ويعصي حاكم إحدى الولايات أمر رئيس جمهورية الولايات المتحدة بتنفيذ هذه الأحكام ويمنع دخول السود مدارس البيض ، وتسير الأمور على هذا النحو في أمريكا ويحدث في جنوب إفريقيا مثل ما يحدث في الولايات المتحدة في شأن الملونين مع فارق عجيب ، وهو أن الحكومة في جنوب إفريقيا تقف إلى جانب الشعب في اضطهادهم واحتقارهم .

وفي الجنوب وما حولها تثير بريطانيا حربا شعواء لتحتكر منابع الزيت في هذه المناطق ، بعد أن طاردتها بعض الدول في المناطق الأخرى ، وترتكب في سبيل ذلك ما لا يحله شرع ولا قانون ، دون مبالاة وتقدير ، ويحدث ذلك أو شبهه في أنحاء متفرقة من العالم ، وعلى مرأى ومسمع من الدول الكبرى التي تزعم العلم وتدعي قيادته والإشراف عليه ، وتذكر له الشرائع المثالية التي تحميه وتحمي حقوقه ، ولكن لا يسمع لهذه الدول صوت في هذه الأحداث ، ولا تتدخل في التطبيق كما تتدخل في التشريع ، ولا تحس لها استنكارا لتلك الحادثات اللهم إلا إن كان لها في الاستنكار مصلحة ، هناك تتذكر الوثائق والقوانين ، وتذكر أنها وقعت عليها ، لا غيرة عليها ، ولكن لتحقيق المصالح التي دعت إلى استنكارها والالتجاء إليها . وفي هذه الأجواء الاستعمارية القاتمة تحتفل الحكومات بذكرى هذه الوثيقة ، وترفع الرايات والبنود ، وتعقد الندوات والمحافل في مزاياها ، وما أفادته البشرية منها ، وتنظر الشعوب المضطهدة إلى هذا النفاق الدولي في سخرية واستغراب ، ويعجبون لمسافة الخلف بين القول والعمل ، ويتذكر المسلمون ما جاء به الإسلام من هذه الحقوق ، في معارض الأوامر الملزمة ، لا في صور التوصيات الخيرة ، ويستعرضون صورا من التطبيقات العملية لهذه الحقوق ، بدأت من صدر الإسلام في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وفي أعمال أصحابه وخلفائه ، ويتحلى بحقيقتها كل مسلم مخلص لدينه وإن تعارضت أحيانا مع مصلحته الخاصة ، ويقدرون الفرق بين الوثائق الصادقة التي وضعت لتحقيق الخير العام للبشرية كلها .

والوثائق الرائعة التي أملتها ظروف سياسية خاصـــة ، مخادعة الشعوب الصغيرة وإضعافا لروحها التحررية ، وتثبيت حبات السوء من مقترحيها وواضعيها .

لقد مر على تلك الوثيقة تسعة أعوام فماذا كان أثرها العمل في علاج مشكلات العالم ؟ وماذا أفادت الشعوب الصغيرة منها ؟ ...!

إن العالم ما يزال بعد تلك الأعوام حيث كان قبلها ، ولولا أنه يستذكرها حينا يحتفل بها لنسيها العالم وكأنها لم تكن .

لقد آن للساسة أن يكونوا صرحاء واقعيين ، يواجهون مشكلات العالم بروح الإنصاف والإخلاص وأن يقولوا الحق ولو على أنفسهم وأممهم ، فقد استفاقت الشعوب وأصبحت قادرة على أن تميز بين ما يقال وما يفعل .

أبو الوفا المراغي

الحياد الإيجابي هو السياسة الحكيمة

كتب البروفسور برنارد لافرنى الأستاذ بكلية الحقوق في جامعة باريس مقالا نبه فيه إلى من الخطر الذي يواجه أوربا ابتعادها عن الحياد الإيجابي فيما بين أمريكا وروسيا ، ومما قاله : « إن أمريكا تريد أن تجعل من دول أوربا الغربية (حاملات للطائرات الأمريكية) لتغير منها على الاتحاد السوفيتى . وقد تستطيع أمريكا أن تدمر بهذه الوسيلة بعض المدن الروسية ، وأن تلحق بالسوفيت أضرار جسيمة ، ولكن هذه الأضرار وهذا الدمار لن يبلغ عشر ما سوف يلحق بدول أوربا الغربية — فرنسا وبلجيكا وهولندة وألمانيا الغربية والنروج والدانمرك وبريطانيا — هذه الدول ستمحى تماما من الوجود وسوف يقتل جميع سكانها في فترة لا تزيد عن ثلاثة أسابيع . فهل هذا هو ما يسميه الأمريكيون ووزراؤنا الأعزاء بالدفاع عن أوربا ؟ ! » .

المسئولية فى الإسلام

الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله للناس كافة ، من حكم به عدل ، ومن استمسك به رشد ، ومن اهتدى به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى فى غيره فقد ضل وغوى « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

ولما كان الإسلام هو خاتم الشرائع التى أنزلها الله على أنبيائه ورسله فقد جاء وافيا متكفلا بحاجات البشر فى دينهم ودنياهم ، وقد تناول الإسلام كل أمور الدين والدنيا من عبادات ومعاملات وحدود وأخلاقيات وسياسيات ، ومن ادعى أن الإسلام دين عبادة فحسب فقد ظلم الإسلام واقتطع منه شطره الأكبر ، وليس أدل على أن الإسلام للدين والدنيا معا مما زخر به القرآن والسنة من شئون الدين وأحوال الناس وعلاقة بعضهم ببعض ، وإن ما فيهما من العبادات لشىء قليل بالنسبة لما فيهما من غير العبادات ، ولئن جاز أن يقال بالفصل بين أمور الدين والدنيا فى بعض الأديان السماوية الأخرى التى جاءت جل تشريعاتها فى المواعظ والعفو والتسامح وما شابهها من أخلاق وأدعية ، فلا يجوز أن يقال ذلك فى حق الإسلام .

وقد ناط الإسلام بكل فرد من أفراده مسئولية وتبعة نحو نفسه وأهله وأمته ، وعلى قدر منزلة الشخص وما وكل إليه من ولاية تكون مسئوليته وتبعته ، وقد أوضح لنا مصلح البشرية ومعلم الإنسانية سيدنا ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه عن هذه المسئوليات فقال فيما رواه البخارى ومسلم رحمهما الله : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

وأعظم هذه المسئوليات وأحقها بالعناية والرعاية مسئولية الراعى عن الرعية ، لأنها تتعلق بأفراد الأمة كلها وبسياسة الدولة العامة وكيانها الدينى والخلقى والاجتماعى ، وبصلاح الراعى تصلح الرعية وبفساده تفسد ، وقديما قال بعض السلف الصالح : « صنفان إن

صلحا صلح الناس وإن فسدا فسد الناس : العلماء والأمراء » فلا عجب أن كان الرسول لما شرع يفصل أنواع الرعاة بدأ بالإمام فقال : « فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته » .

ولفظ الإمام الذي جاء به الحديث لا يقصد به الخلفاء والأمراء والرؤساء الكبار فحسب ، بل هو يشملهم وغيرهم من كل من ولي أمرا من أمور المسلمين ، فالرئيس راع والوزير راع وقواد الجيش رعاة ورجال الشرطة رعاة والعالم راع والقاضي راع ورئيس الإقليم أو البلدة أو القرية راع وهكذا ، فكل هؤلاء مسئولون عمن تحت أيديهم ومحاسبون أحفظوا الأمانة أم ضيعوها ؟ وهل عملوا بدين الله ولصالح الناس أم حكموا بأهوائهم وعملوا لصالح أنفسهم ؟ وأجل هؤلاء الرعاة وأعظمهم خطرا هو الإمام الأعظم .

ورعاية الراعي للرعية ثابتة الأصول متشعبة الفروع فسيحة الجوانب ونجملها فيما يأتي :

(١) إقامة الحق والعدل وإعطاء كل ذي حق حقه من غير محاباة أو تحيف ، وأن يقيم نفسه من أموال الدولة مقام الخازن الأمين ، ويؤثر عن الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال : « إني أنزلت نفسي من أموال المسلمين منزلة ولي اليتيم ، إن استغنيت تعففت ، وإن احتجت أكلت بالمعروف ، فإذا أيسرت قضيت » .

للنبي صلى الله عليه وسلم ولخلفائه الراشدين المهديين – ومن سار على نهجهم من حكام المسلمين الصالحين – في باب محاسبة النفس عن كل قطمير وقليل من مال المسلمين تاريخ مضيء مشرق ينطق بالعفة والنزاهة وعصمة النفس والشعور بعظم الأمانة الموكولة إليهم ، وتقديم مصلحة المسلمين العامة على مصالحهم الخاصة ومنافع ذوي قراباتهم والمقربين إليهم ، مما لا نجد له مثيلا في تاريخ الدنيا .

روى البخاري في صحيحه بسنده عن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن ، فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسبي فأتته تسأله خادما ، فلم توافقه ، فذكرت لعائشة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك عائشة له ، قالت فاطمة : فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا ، فذهبنا لنقوم فقال : على مكانكما حتى وجدت برد قدميه على صدري ، فقال : ألا أدلكما على خير مما سألتماني ؟ إذا أخذتما

صاحبكما فكبرا الله أربعا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وسبحا ثلاثا وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما سألتماه » . وفي رواية الإمام أحمد « والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم من أثمانهم ».

ومما يروى عن الصديق رضي الله تعالى عنه أن زوجته اشتهت حلوا، فقال لها: ليس لنا ما نشتري به. فقالت: أنا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به. قال افعلي. ففعلت ذلك، فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير، فلما عرفته ذلك لتشتري به حلوا أخذه فرده إلى بيت المال، وقال: هذا يفضل عن قوتنا، وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم، وغرم ما حصل قبله لبيت المال من ملك كان له. وقد ذكرت آنفا مقالة عمر فيما يحل للخلفاء والأمراء من أموال المسلمين. وقد طبق هذا المبدأ على نفسه غاية التطبيق حتى صار مثلا نادرا لتقشف الخلفاء في القديم والحديث.

(٢) ومن مسئولية الإمام أن يرفق برعيته ولا يشق عليهم ولا يكلفهم من الأمر شططا ويكون بهم رءوفا رحيما، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي هذا يقول: « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ». وفي الحديث المتفق عليه عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال له: أي بني: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن شر الرعاء الحطمة[1] » فإياك أن تكون منهم.

(٣) السهر على مصالح الرعية وتأمينهم في دمائهم وأعراضهم وأموالهم وأقواتهم وتوفير الغذاء والكساء لهم ومساكنهم بتوفير المسكن الصحي لهم، وفي الحديث الصحيح أن أهل المدينة في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه سمعوا صوتا مفزعا فخرجوا يستطلعون الخبر فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إلى الصوت وقد عاد على فرس لأبي طلحة وفي عنقه السيف فقال لهم: « لن تراعوا ».

وفي عام الرمادة في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه آلى على نفسه أن لا يأكل سمنا

---

(١) الرعاء جمع راع، والحطمة القاسي الذي يظلم ولا يرفق ولا يرحم.

ولا عسلا حتى يخصب الناس ، وعكف على الائتدام بالزيت حتى قرقر بطنه وتغير لونه وآلى على نفسه أن يتنعم بلذيذ الطعام ، والناس مجدبون ، ولم يتناول السمن حتى أخصب الناس وامتلأت الأسواق بالسمن والأقط .

(٤) ومن حقوق الرعية على الراعي أن لا يحتجب دون حوائجهم ومصالحهم وأن يعين له أعوانا وعيونا يتعرفون أحوال الناس وحاجاتهم ويرفعونها إليه كي يكون على علم بأحوال الرعية ، وفي الحديث الشريف « أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإن من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر » . وروى أبو داود والترمذي عن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه أنه قال لمعاوية رضي الله عنه . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس ، ولم يكن لرسول الله ولا لخلفائه الراشدين بعده حجاب يحولون بينهم وبين الناس ومع هذا فقد روى الطبري عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا ، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني ، أما عمالهم فلا يرفعونها إلي ، وأما هم فلا يصلون إلي ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين . والله لنعم الحول هذا » .

(٥) من مسئولية الحاكم تخير أعوانه ووزرائه والمقربين إليه من أهل الدين والأخلاق والصلاح الديني والدنيوي ، فبقدر صلاح الأعوان والوزراء يكون صلاح أحوال العباد والبلاد ، وبقدر فسادهم وانحرافهم يكون الفساد والانحراف من الأمراء . وفي الحديث الذي رواه أبو داود عن عائشة قالت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه » . وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله » .

(٦) أن يسند الأمور إلى أربابها ومستحقيها وأهل العلم كي تتحقق للأمة السعادتان

الدينية والدنيوية وهذا يقتضي وضع الرجل الكفء في المكان اللائق به وإقصاء غير الكفء من المهام التي ليس أهلا لها أما تقديم الشكس الخب المداهن على الكفء القوي الصالح، أو الأقرباء والأصدقاء على من هم أحق منهم وأولى، فتضييع للأمانة وخيانة للعهد. ومن الحكم النبوية في هذا أن رجلا جاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فلما فرغ من حديثه قال: أين السائل؟ ثم قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة فقال الرجل: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.

(٧) المحافظة على كيان الدولة والعمل على عزتها وقوتها وأن يبقى سلطانها مرهوبا في الأرض والعمل على صيانة حقوقها أن يغتصبها مغتصب أو يطمع فيها طامع، وذلك يقتضي إعداد الجيوش وسد الثغور والمرابطة على الحدود وإعداد العدة والقوة وأخذ الأهبة، وبذلك تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. وقد وضع رسول الإسلام الأساس الصالح لهذا. ففي السنة التاسعة من الهجرة ترامى إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم سيغزونه في عقر داره، فندب المسلمين للخروج، وكان الوقت وقت حر شديد وجهد جهيد، وكانوا في ضيق من المال وعوز في الظهر، ومع هذا سرعان ما استعدوا وخرجوا حتى وصلوا إلى تبوك بالقرب من مشارف الشام فلم يجدوا للروم أثرا فعادوا بعد أن ثبتوا سلطان دولتهم الناشئة وأمنوا حدودهم الشمالية، فقد أسرع الأمراء المتاخمون لهم للقاء الرسول ومعاهدته وأذعنوا له بالخضوع.

وبعد: فهذه مسئوليات الحكام والأئمة في الإسلام، وهي مسئوليات عظام جسام وقد حرص على تطبيقها والعمل بها الخلفاء الأولون، فلا عجب إن كانوا قد أقاموا أمة كانت مضرب الأمثال في العدل والتراحم والتعاون والأمانة الفائقة والعفة النادرة والعزة القعساء والسلطان المرهوب، ولا تزال هذه الأسس نبراسا يهتدي به ويسير على ضوئه من يريد الخير لأمته ويحرص على أن يكون في عداد الرعيل الأول من حكام المسلمين الأخيار المقسطين.

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

حول مشكلة السينما :

مدرسة صارت للشيطان

الخير والشر في صراع موصول خلال هذه الحياة ، ومن وراء هذا الصراع يتميز الطيب من الخبيث ، لأن لكل من الخير والشر أتباعه وأعوانه ، ومن واجب الأخيار أن يتمسكوا بخيرهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وأن يحرصوا عليه ولو وجدوا في طريقه تعبا أو نصبا ، ولا يساوموا عليه أو يفرطوا فيه لعلة يعتلونها ، فإن الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وإن الباطل لن ينقلب حقا مهما كثر مشايعوه ، ولذلك قال التنزيل المجيد : « والله مع الصابرين » وقال رسول الدعوة : « فاصبر صبرا جميلا » .

وربما كان الشيء من الأشياء أصلا من أمور الخير في أصله أو بحسن استعماله ، ولكنه بسوء الاستعمال أو باطل التحريف ينقلب إلى أمر من أمور الشر والفساد ...

وكم من أشياء ظهرت للإنسان في هذه الحياة فاستخدمها على غير وجهها ، فأصبحت عذابا وشقاء ، وقد كان وجه الصواب فيها أن تعود عليه بعذب المنهل الخير .

ومن بين تلك الأشياء « السينما » ! ...

والسينما أداة خطيرة كبيرة الخطر ، مؤثرة عميقة الأثر ، ابتدعها عقل الإنسان ، وكان من الممكن — بل إنه لمن الواجب — أن تكون مدرسة للاهتداء بهدى الرحمن ، أو لتثبيت أركان العقيدة والإيمان ، أو لتدعيم قواعد الديار والأوطان ، ولكنها مع الأسف صارت بأغراضها وسوء استغلالها مدرسة للشيطان ! ...

والسينما قد انتشرت في كل مكان ، واجتذبت إليها الملايين بعد الملايين ، وزاد عدد دورها زيادة هائلة مرعبة ، وعمت المساجد والمدارس والجمعيات ، واستبدت بالأموال والأوقات ، واستحوذت على قلوب الناس واهتمامهم ، وسببت الكثير من المتاعب والمشكلات للأفراد والجماعات ...

ولقد تجد بعض نواحي القاهرة ــ مثلا ــ لا يوجد فيها مدرسة أو مسجد ، ولكنك قد تجد فيها أكثر من دار للسينما ، وفي القاهرة شوارع يوجد في كل منها عدة دور للسينما ، بل يوجد مثلا في ميدان السيدة زينب وحده أربع دور كبيرة للسينما ! ! . . .

والدراسة في مدارسنا بضع ساعات من النهار ، وأكثر المدارس الآن تأخذ بنظام « نصف اليوم المدرسي » لقلة المدارس وضيقها بالتلاميذ الكثيرين ، وأما ساعات السينما فإنها تبدأ من الساعة العاشرة صباحا وتمتد إلى منتصف الليل ، أي أنها تستمر أكثر من اثنتي عشرة ساعة ، لأنها تعرض أفلامها في كل يوم أربع مرات . . .

وناهيكم بالعرض الأول من هذه العروض ، وهو عرض الساعة العاشرة صباحا . . . إنه مكمن داء دوي ، فالتلاميذ الذين لا رقابة عليهم يهربون من المدارس ، ويتواعدون مع الفتيات أو مع غير الفتيات على الذهاب إلى السينما في هذا الوقت ، كما يذهبون إليها في غير هذه الأوقات ، وهم يفعلون هذا لأن السينما في تقديرهم ونظرهم أكثر جاذبية من المدرسة ، ونجوم السينما وممثلاتها وراقصاتها أجمل في عيون هؤلاء التلاميذ الشاردين من وجوه مدرسيهم ، وفي المدارس يتعلمون أشياء ثقيلة الظل عليهم ، ولكن السينما تعلمهم أشياء تلذهم وتشهيهم ، إنها تعلمهم الحب الرخيص ، والهوى الملوث ، والتفسخ في الأخلاق ، والتحلل من الواجبات ! . . .

ولم لا يفعلون ذلك والرقابة ضعيفة ، والتسلية البريئة قليلة ، والتربية الروحية غير متمكنة ، والتوجيه الأخلاقي والديني غير مستقر ، والمغريات على جذب الأحداث والتلاميذ إلى السينما كثيرة يتفنن فيها أصحابها تفنن الأبالسة ؟ ... حتى جعلوا هؤلاء التلاميذ يستهينون بكل حرمة في سبيل الذهاب إلى السينما ، فهم يتركون دروسهم ويهربون من مدارسهم لأجلها ، وهم يسرقون النقود من بيوتهم أو من غير بيوتهم كي يحصلوا على تذاكرها ، وقد يسلكون أقذر الوسائل وأحطها لدخولها ، والمسئولون عنهم لا يشعرون ، أو هم يشعرون ولكنهم يفرطون ويهملون .

هذا مثلا رجل سينمائي أراد أن يعلن عن فيلم من أفلامه ، فابتدع طريقة منكرة في هذا الإعلان ، هي أنه طبع هذا الإعلان على جدول من جداول حصص الدروس ، وأخذ يوزع نسخه الكثيرة على طلاب المدارس وطالباتها ، وعلى هذا الجدول المطبوع ظهر بطل الفيلم وبطلته متعانقين متلاصقين ، في قبلة عميقة فاجرة ! ..

وحول خانات الحصص المدرسية فى الجدول طبعوا أسماء الممثلين والممثلات ، وكأنهم يريدون أن يقولوا للتلاميذ والتلميذات : دعوكم من مدارسكم ودروسكم ومدرسيكم ، وتعالوا إلى مدرستنا فهى أجمل ، وإلى ممثلاتنا فهن أروع وأرشق ! ... وكتب المحلل على الجدول يقول : إنه « يجمع الطالبات الفاتنات الناجحات بالسنة الدراسية الجديدة ، ويتمنى لهن أطيب التمنيات ، وتحقيق آمالهن بمشاهدة فيلم .... » وذكر اسم الفيلم ! ..

أرأيتم وسمعتم ؟ .. إنه يحيى الطالبات « الفاتنات » ! - ومعنى الفتنة معروف - يحيى الفاتنات فقط ، أما الطالبات غير الفاتنات فلا ، وأما المتوسطات فى الجمال فلا ، فالمقياس عنده فى الطالبات هو الفتنة ، لا الدين ولا العلم ولا الأخلاق ! ... وهو يحصر تحقيق آمال هؤلاء الطالبات فى مشاهدة فيلمه المعلن عنه ! ..

ونرى فى هذا الجدول المطبوع الموزع أن البطل يحيى الطالبات ، وأن البطلة تحيى الطلاب ! ... ولست أدرى السر فى أن البطل « الرجل » يحيى الطالبات « الإناث » ، بينما نجد البطلة « المرأة » تحيى الطلاب « الذكور » ! .. ألذلك حكمة أيها الحكماء ؟ ! .

وقد وضعوا اسم الفيلم فى هذا الجدول المدرسى المطبوع تحت عنوان « الحصة الثامنة » أى أن ختام الدروس عند هؤلاء يجب أن يكون فى السينما لتهدم بأعرافها وسوء أعمالها ما بنته المدرسة ! ...

وجاء فى الإعلان أيضا أن « يوم الجمعة مخصص لمشاهدة الفيلم ما عدا أيام الزوغان » ومعنى هذا أن « أيام الزوغان » من المدرسة لها ذكر واعتبار عند هؤلاء ! ... أليس هذا تحريضا ملفوفا - بل مكشوفا - على الهروب من المدارس لأجل السينما ؟ ... أليس هذا تشجيعا على الإثم والانحراف ؟ . أليست هذه دعوة مدمرة لإفساد الطلاب والشباب ؟

هل دريت بذلك وزارة التربية والتعليم ؟ ... وهلا ضربت على أيدى هؤلاء العابثين بكرامة المدارس وأخلاق التلاميذ ؟ ...

وهل بلغ هذا وزارة الإرشاد ؟ ... وهلا سارعت فعالجت هذه المأساة الخطيرة ؟ .

أهكذا نترك هؤلاء يوزعون على طلابنا وتلاميذنا وبناتنا وطفلات أكبادنا جداول حصص تكون تحت أبصارهم باستمرار ، وفيها هذه السموم الخطيرة المثيرة ؟ ... دون هذا ويذهب حلم الحليم ! ...

ماذا أقرأ في صدر جريدة « الأهرام » بتاريخ ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م أن ثلاثين صبيا من الأحداث قد فروا هاربين من مؤسسة البنين في حي العجوزة ، وتشتتوا في أرجاء القاهرة الواسعة ، بعد أن سرقوا بعض الأشياء ، وقد تقرر تقديمهم للمحاكمة غيابيا ، لأن المسئولين عنهم لم يضبطوهم ' . . ومن يدري ، فلعلهم قد ذهبوا ليتلقوا الدروس هناك ، هناك في ظلام السينما وظلمات الأفلام ' ...

يا عالم ، يا ناس ، يا خلق ، يا بني آدم ! ... إن البلاء قد عم وطم على أيدي هذه السينما المنحرفة الضالة الشاردة عن الصواب . . فهذا والد يذكر أن زوجته قد ذهبت مع ابنته الطالبة لمشاهدة عرض سينمائي تقدمه مدرسة ثانوية للبنات ، ففوجئت الزوجة بأن الفيلم غرامي صارخ مليء بالعناق والقبلات ومشاهد الخلاعة ، وأن العامل المشرف على عرض الفيلم كان يكرر عرض بعض المناظر المثيرة التي تعجب الفتيات وكلهن في سن المراهقة ، ويقول الوالد : إن المدرسة قد قررت عرض الأفلام مرة أسبوعيا ، وهو يطالب باختيار الأفلام الصالحة للعرض بدل الأفلام الخادشة للعرض ' ...

ألا تصدقني ؟ . . إذن فلأترك التلخيص والتعليق ، ولأذكر لك المأساة كما روتها جريدة « الأهرام » بتاريخ ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م ؛ فقد جاء في باب البريد منها ما نصه :

« هذه شكوى والد طلب مني عدم ذكر اسمه حتى لا يسبب ذلك متاعب لابنته ... يقول الوالد : ذهبت زوجتي بصحبة ابنتي لمشاهدة أحد الأفلام التي عرضتها المدرسة — مدرسة شبرا الثانوية للبنات — ففوجئت زوجتي بأن الفيلم الذي تعرضه المدرسة فيلم غرامي صارخ مليء بالقبل والخلاعة ، ومن الغريب أن العامل الذي كان يشرف على عرض الفيلم كان يعيد عرض بعض اللقطات التي تنال استحسان البنات ، وجميعهن في سن المراهقة ... لقد قررت المدرسة عرض الأفلام السينمائية مرة كل أسبوع ، وحددت له يوم الاثنين ، فهل لنا نحن أولياء الأمور أن نطلب اختيار الأفلام الصالحة للعرض بدلا من الأفلام التي تعرضها المدرسة » ؟ ' . . .

وقد علق المحرر المختص بقوله : « لست أفهم أن تمنع وزارة الإرشاد دور السينما من السماح للشبان والشابات بدخول بعض الأفلام ، ثم تقوم المدرسة بعرضها على الطالبات في المدارس . إن عرض الأفلام في المدارس تقليد جميل ، ولكن لابد من اختيار الأفلام الصالحة ، ولا أعني بالصالحة الخالية كلية من الحب ، ولكن لابد من الفكرة والهدف ، والتعليم ، لا مجرد إثارة الغرائز » ' . .

وهذا هو البابا المسيحي قد جار بالشكوى من طوفان الأفلام الداعرة حول الغرائز والتحلل الخلقي ، والتي تثير أحط ما في النفس البشرية من غرائز وأحاسيس ، وتنحرف بها عن سواء السبيل ، وقد طالب « البابا » بمنع هذه الأفلام القذرة لتسلم البشرية من التردي في هاوية الرذيلة . وهذا الموقف من « البابا » يهمنا في هذا الموضوع ، لأن بعض من لا خلاق لهم يصفون محاربة الأفلام الخبيثة بأنها رجعية شرقية ، وضآلة في التفكير ، وتخلف عن الحضارة ... فها هو ذا زعيم المسيحية في روما وكبيرها في الغرب المتمدن المتحضر ينذر بالويل والثبور من جراء هذه الأفلام . وأحب مرة أخرى أن أورد ما ذكرته « الأهرام » بتاريخ ٣٠ ربيع الآخر ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٥٧ م حول هذا الموضوع حيث قالت :

« منع البابا حين غمرت موجة الأفلام الغريزية شعوب العالم ، واستباحت المراهقين بوصفهم المبكرة ، فأقبلوا على هذه الأفلام التي خاطبت أحط ما في أعماقهم ، واعترف الكثيرون بنتيجة طبيعية لمشاهدة هذه الأفلام ، والفلم السينمائي له خطورته البالغة على النفوس ، وبخاصة الأحداث والشباب ...

طالب البابا بضرورة الحد من هذه الأفلام الغريزية ، بل العمل على القضاء عليها ، حرصا على البشرية من التردي في هوى الرذائل ... أقول هذا بمناسبة عرض بعض الأفلام الأجنبية في مصر ، التي تعالج قصصها موضوع الغريزة الجنسية علاجا فيه متاجرة بإثارة الناس وبخاصة الشباب ، ضمانا للحصول على دراهم الإقبال ...

لو أن هذه الأفلام عالجت موضوع الغريزة علاجا قائما على العلم والتوجيه والإصلاح لكان ذلك رائعا وجليلا ، ولكن وجه الخطورة في النتائج المترتبة على انتشار هذه الأفلام الغريزية الصارخة ، وينتشر الشذوذ والانحراف . ومثال ذلك قصة فيلم أجنبي : امرأة متزوجة طرية ضائعة بين عشيقها وزوجها ، يقتل العشيق الزوج ليتخلص من زوجها له ، وتسير هكذا حوادث القصة .. إن هذا الاتجاه فيه تجارة رخيصة ، وفيه استغلال للناس ، وفيه خطر جسيم على البشرية ، فلننتبه إلى هذه الخطورة ونحن الآن في مصر الحديثة ، ولنعمل على حماية جيلنا من الانهيار ، ونجنبه مثل هذه الأفلام الهدامة المنحلة » .

إن هذه السطور السابقة ليست كلامي ، وليست كلام واعظ في مسجد ، وليست كلام رجل دين يحذر وينذر ، وليست كلام شخص رجعي متزمت ، وإنما هو كلام يقوله

المحرر الفني المصري في جريدة يومية معاصرة كبرى ، ومعنى هذا أنه قد شهد شاهد من أهل السينما والفن بانحراف هذه السينما وبخطورتها على الأخلاق والمجتمع ، فهلا يكفي ذلك لإشعار المسئولين عن السينما بخطورة انحرافها وأضرار اعوجاجها ؟ . . .

وفوق هذا لدينا مرشد ، فها هو ذا مدير مصلحة الفنون يصدر بيانًا عن طريق المدير لمكتبه يتعرض فيه لهذا الانحراف الخطير الذي أصيبت به السينما ، ويقرر فيه أمورًا خطيرة جدًا ، وقد نشرت جريدة « الشعب » هذا البيان بتاريخ غرة جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م ، وقد جاء فيه ما نصه .

« كثر الحديث عن الأفلام الجنسية التي ظهرت في هذا الموسم ، والمقارنة بينها وبين فيلم (شباب امرأة) وقيل : إن هذا الفيلم الأخير يعرض في جميع دور السينما للكبار والأحداث معًا ، بينما منعت الرقابة الأحداث من مشاهدة الأفلام الحديثة . وأمام هذا الوضع فأقول : إن فيلم (شباب امرأة) ظهر في عام ١٩٥٥ م ، وهو أول فيلم مصري يعالج مشكلة الجنس ، وكانت مصلحة الفنون تهدف إلى ترك هذا الباب مفتوحًا أمام المنتجين ليتسع المجال أمامهم ، وليتمكنوا من منافسة الأفلام الأجنبية من نفس اللون التي تلقى رواجًا كبيرًا ،

ولكن المسئولين في وزارة الإرشاد لاحظوا أن الكثير كله اتجه إلى هذا النوع ، وكان اتجاهه عنيفًا ، وتدرج الأمر إلى أن أصبح إسفافًا مخجلًا ! ... وأمام هذا الانحدار ، وإزاء رد الفعل الذي لوحظ على الجماهير أثناء مشاهدة هذه الأفلام رأت الوزارة أن من واجبها حماية الشعب ، فأصدرت تعليمات مشددة بوقف هذا الاتجاه الخطير نحو هذا النوع من الأفلام » .

هذا هو بيان مصلحة الفنون ، وفيه اعتراف صريح مؤلم كل الإيلام بالإسفاف السينمائي المخجل ، وبالانحدار في هذا الإسفاف ، فهل وراء ذلك برهان أو دليل ؟! ...
ولقد نشر محرر « الشعب » الفني هذا البيان ، ثم علق عليه بسؤال محرج ، إذ قال في ذيله ما نصه : « والسؤال الموجه لوزارة الإرشاد الآن هو : وما العمل في الأفلام المعروضة فعلًا على الجماهير من هذا النوع ؟ » ! ..

والواقع أننا الآن مصابون بالأفلام الغريزية الفاجرة من الخارج ، ومصابون بالأفلام

الجنسية القذرة من الداخل ، وهناك ما يقرب من خمسين فيلما لا تخرج موضوعاتها – بل لا تكاد تخرج عناوينها – عن الحب واللذة الجسدية والاتصال الآثم بين الرجل والمرأة " ... والعجيب الغريب المضحك المبكي في هذا الباب أن الفيلم إذا زادت وقاحته أو رقاعته منعوا دخوله ومشاهدته على الذين لم يبلغوا ستة عشر عاما من أعمارهم ، أي الذين لم يبلغوا سن المراهقة والتأثر والانفعال ، وأما الذين بلغوا هذه السن وأصبحوا وقودا صالحا للاشتعال بلهيب الإثارة الجنسية فهؤلاء يباح لهم أن يدخلوا هذه الأفلام الفاضحة ! ... فليعرني أحد القراء عقله لأفهم به ، فهذا منطق تصيح منه العقول " ...

صرخة أخرى تقول : يا عالم ، يا ناس ، يا خلق ، يا بني آدم .. إن البلاء قد عم وطم بسبب هذه السينما المنحرفة الضالة ... ولا بد من إصلاح ... لا بد من إلغاء عرض الساعة العاشرة لأن أغلب مشاهديه من التلاميذ الهاربين من الدروس ، ولا بد من تطهير السينما من كل ما يصادم الدين ويخالف الأخلاق والفضيلة ، ولا بد من توجيه السينما إلى النواحي السامية كالمفاخر التاريخية ، والموضوعات الاجتماعية المفيدة ، والأمجاد القومية الخالدة ، والنواحي الدينية القيمة ، والعواطف الطاهرة النبيلة ، ولا بد من إشراف دقيق حازم على جميع الأفلام الأجنبية والعربية ، وأن يشترك في هذا الإشراف رجال العلم والتاريخ والدين والأخلاق والغيرة الوطنية اشتراكا إيجابيا فعالا ، حتى تصبح السينما بعد تطهيرها وتصحيحها وسيلة من وسائل الإصلاح والتسرية ، لا معولا من معاول الهدم للفضائل والأخلاق ، والدولة التي تبني هنا وهناك يجب عليها أن تتذكر دائما أن معاول التخريب إذا ظلت تهدم لا يتم معها البناء ، والأول يقول :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه   إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟!

فلتضرب الدولة بيد الحزم والعزم على أيدي هؤلاء الهادمين ، ليسلم لنا الوطن الأمين والمجتمع السليم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ! . . .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

الجنس الثالث

أحسن ما قرأته في وصف النساء المترجلات، اللاتي يأبين إلا الخروج على فطرتهن، والزج بأنفسهن في ميادين الرجال، تسمية أحد كتاب الإنجليز لهن «الجنس الثالث».

والواقع أن هذه التسمية وصف صادق كل الصدق لهذه الطبقة الحديثة من النساء، التي برزت مشكلتها في المجتمع الأوربي منذ أواخر القرن الميلادي الماضي، بعد أن تكاثر عددها وطما سيلها. ذلك لأنهن قد فقدن أنوثتهن فلم يعدن نساء، وابتذلن أجسادهن وأرخصن مفاتنهن حتى عافها الرجال وانصرفوا عنها. ثم إن فطرتهن وخلقتهن تأبى عليهن من بعد أن يدخلن في الرجال. من أجل ذلك سماهن ذلك الكاتب الإنجليزي الحصيف «الجنس الثالث»، بعد أن أخرجن أنفسهن من عداد النساء، واستحال عليهن أن يدخلن في عداد الرجال. فهن يخالفن الرجال طبيعة وتركيبا، ويخالفن النساء وظائف وأعمالا.

«وقد درس هذا الأستاذ أحوالهن درسا مدققا فوجد أنهن يتركن الزواج. وبانتزاعهن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية كالأمومة وما يتبعها قد غيرن إحساساتهن عن إحساسات بنات جنسهن، وصرن في حالة من الكآبة تشبه أمراض المالنخوليا» (١).

أساءت المرأة إلى نفسها وأساء إليها الذين ظاهروها وأغروها ممن يزعمون أنهم أنصارها. فقد كانت ريحانة تشم، فأصبحت مشكلا يتطلب الحل. وكانت عرضا يصان وأمانة تحفظ، فأصبحت حملا ثقيلا يضيق به الأب والأخ ويحتم معه على المرأة أن تعمل لتعيش. نشأ الجيل السابق على أن يكفلها ويكفيها حاجتها، وكان هذا التقليد عقيدة مركوزة في أعماق كل نفس، يحرسها الإجماع عليها، ولا يخطر لأب أو ابن أو أخ أو زوج أن يتخلى عنه ويخرج من عهدته. فلما حملت المرأة نفسها وشاع ذلك في المجتمع ماتت هذه العادة، وماتت معها المروءة التي كانت تدفع إليها، والغيرة التي كانت سببا في المحافظة عليها. وأصبحت المرأة إذا لم تبحث عن العمل من نفسها دفعها وليها إليه دفعا وألزمها به إلزاما. بل لقد أصبح القانون يلزمها بالعمل في النظام الشيوعي، وأصبح الواقع يلزمها به في النظام الرأسمالي. وأصبحت التي لا تعمل في أيامنا لا تجد اللقمة

---

(١) «تربية المرأة» للاقتصادي المشهور محمد طلعت حرب ص ٤٤ ط. مصر ١٣١٧ [١٨٩٩م].

ولا تجد الزوج ، لأن الرجال إن عدموا ذوات المال من الزوجات عثروا على الكادحات الكاسبات . وكاد ذلك يصبح قانونا من قوانين حياتنا يقضى على المجتمعات بالبوار والهلاك . فهل هـذا هو ما يسميه المخادعون والمخدوعون والمخادعات والمخدوعات « حقوق المرأة » ؟ .

وفى الوقت الذى يضرع فيه الغرب آثار خروج المرأة عن فطرتها ووظيفتها ، كان بعض كتابنا ومفكرينا ينادون بأن نأخذ فى ذلك الطريق الذى انتهى بالغرب إلى ما هو فيه من مشاكل اجتماعية واقتصادية هزت دعائم مجتمعه هزا عنيفا أفقده استقراره واتزانه وعرض سلامته وكيانه لأشد الأخطار . ولقد يبدو للدارس المتأمل أن المرأة لا توضع الآن حيث تدعو الحاجة ـ صحيحة كانت أو موهومة ـ إلى أن توضع . ولكنها توضع لإثبات وجودها فى كل مكان ، ولإقحامها على كل ما كان العقل والعرف ينادى بعدم صلاحيتها له . فليس المقصود توظيفها فى هـذه الأيام لسد حاجة موجودة ، ولكن المقصود هو مخالفة عرف راسخ ، وتحطيم قاعدة ثابتة مطردة ، وإقامة عرف جديد فى الدين وفى الأخلاق وفى الذوق ، وخلق المبررات والمقومات التى تجعل انسلاخنا من إسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا أمرا واقعا ، كما تجعل دخولنا فى دين الغرب ومذاهب الغرب وذوق الغرب أمرا واقعا كذلك .

وأخطر ما فى هذه الدعوة وأمثالها مما يراد به صرفنا عن كل قاصد من مذاهب الغرب أن أصحابها يريدون إلحاقها على إسلامنا زاعمين أنها لا تعارضه . وقد كان قاسم أمين هو أول من جرأ الناس على تحريف النصوص حين طلع علينا بطائفة من المزاعم التى تقوم على المغالطة ، وعلى النصوص المحرفة عن مواضعها والمنزوعة من سياقها حذفا يخرجها عن مدلولها ، وحين أصابه من كتب التاريخ ورواياته ـ على اختلاف درجاتها ودرجات مؤلفيها ـ كل شاذ غريب فحشدها فى حيز واحد وضم بعض أشتاتها إلى بعض ، حتى خيل إلى قارئها أنها ـ على شذوذها وقلتها ـ شىء مألوف كثير الوقوع . ومع أن هذا الذى جمعه هو خلاصة ما فى الكتب ـ صحيحها وسقيمها ـ من غرائب الأخبار والآراء التى تصور حالات شاذة نادرة لا تنهض بها حجة ولا يبطل بها عرف ، ومع أن كثيرا من النصوص التاريخية أو الفقهية التى اقتطفها ناقصة الدلالة غامضة العبارة ، فقد استطاع أن يروج ذلك كله بين الناس بمرور الأيام ، بفضل قوة حزبه الذى كان ينوه به الورد

كرومر في تقريره وكتبه [١] حتى أصبحت هذه النصوص من بعد ـ على فساد الاستدلال بها ـ هي البضاعة المشتركة لتلاميذ دعوته ومطوريها . وذلك كله هو الذي دعا الشاعر شوقي ـ رحمه الله ـ إلى أن يتساءل عن حقيقة صنيع قاسم أمين : أهو غيرة المدافع عن النصوص الإسلامية ، أم هو إغارة تحرف لها عن مواضعها ؟ . وذلك من قصيدة له ألقاها سنة ١٩٢٨ م ، وعرض فيها لمزلقه في الاستدلال ، ومراغته في الجدال ، فقال :

وأتى البيان الحر في أثنائه العلم الغزير
في مطلب حشد الكثير من المسائل والشذور
ما بالكتاب ولا الحديث إذا ذكرتهما نكير
حتى لنسأل : هل تغار على العقائد أم تغير ؟

• • •

وقد لا تكون هناك نصوص صريحة في القرآن أو في الحديث تمنع المرأة من العمل في خارج البيت لتكسب قوتها حين تدعو إلى ذلك ضرورة . ولكن من المؤكد أن اتخاذ هذه السنة أصلا من أصول التنظيم الاجتماعي يخالف روح الشريعة ويناقض كثيرا من نصوصها ويتعارض مع كثير من شرائعها وحدودها تعارضا واضحا

١ ـ قال تعالى في كتابه العزيز : (الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ـ النساء ٣٤) . تشير هذه الآية إلى ناموس من نواميس الله الثابتة وهي قوامة الرجال على النساء ، وقد ناط سبحانه وتعالى حكمته في ذلك بسببين ظاهرين . أولهما أن فطرة الرجل تخالف فطرة المرأة . فهي بفضله في تدبير شئون البيت وتربية الولد والقيام عليه ، بما حبتها عليه من الحنان والرقة ومن التركيب العضوي الذي يعينها على وظيفتها مثل ضعف جهازها العصبي الذي يقلل إحساسها بآلام الحمل والوضع ، وإن كان يجعلها في الوقت نفسه أكثر استهدافا لأنواع الأمراض وأسرع

---

[١] راجع نص تقارير كرومر المرفوعة إلى البرلمان الإنجليزي [ط لندن] في تقريره سنة ١٩٠٥ المقدم إلى البرلمان الإنجليزي في أبريل ١٩٠٦ [الفقرة ٢ ص ١٥ ـ ١٦] وراجع كذلك تقريره سنة ١٩٠٦ [المقدم إلى البرلمان في أبريل ١٩٠٧] في الفقرة ٣ ـ ٨ . وقد أوصى كرومر في هذه التقارير وفي كتابه Modern Egypt بدفع الحزب خيرا وعلق عليه رجاء الأمل في رعاية المصالح الإنجليزية عن طريق إنشاء علاقات من الود والتفاهم بين الإنجليز وبين المسلمين في مصر .

Reports by His Majesty's Agent and Consul General on the Finances, Administration, and Condition of Egypt and the Sudan

تهيجا وأقوى انفعالا ، مما يؤثر في سلامة التقدير وصحة الإدراك ويجعلها أقل قدرة من الرجل على مجابهة الأزمات والتماسك أمام الشدائد والملمات . أما الرجل فهو بفضلها — لما سلف من الأسباب — في القوة البدنية وفي قوة التفكير وصحة التقدير وفي رباطة الجأش ، مهيأ بطبعه للكفاح ومغالبة المشاق ، والكدح وراء معاش الأسرة ، وفي سبيل الحفاظ على كيانها ودفع ما يتهددها من أخطار . والسبب الثاني الذي انبنت عليه هذه القوامة هو أن الرجل يتولى الإنفاق ، لأنه هو الذي يكسب المال حسب ما جرى عليه ، فليس من العدل أن يكلف فرد بالإنفاق على هيئة أو جماعة ثم لا يكون له رأي في الإشراف على مصارف هذه النفقة . وعلى ذلك تجرى الحكومات النيابية المعاصرة ، ويعتبر ذلك أصلا من أصول تشريعاتها .

فإذا خرجنا على اعتبار عمل المرأة في خارج المنزل وكدحها في سبيل كسب المال إلى جانب الرجل أصلا من أصول نظمنا الاجتماعي ، فقد أخرجناها عن وظيفتها من ناحية ، وقد أخللنا بما هو مقرر في الآية الكريمة من قوامة الرجل عليها من ناحية أخرى . لأن هذه القوامة مبنية على أصلين : أحدهما فضل الرجل على المرأة في الصلاحية للعمل خارج البيت ، وثانيهما أنه هو المكلف بالإنفاق على الأسرة .

ومن المظاهر التشريعية لتطبيق الأصل الأول — وهو فضل الرجل على المرأة في الصلاحية للعمل خارج البيت — أن شهادة المرأة لا تغني عن شهادة الرجل . ولا بد من انضمام امرأتين اثنتين إلى الشاهد الأول لكي تكون شهادتهما معادلة لشهادة رجل واحد وذلك بنص كتاب الله الحكيم في قوله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى — البقرة ٢٨٢) . فالآية الكريمة تدل على أن المرأة التي ليس من شأنها أن تخالط الرجال في شئون العمل والحياة ، والتي تحفظ في هذا الاختلاط إذا دعتها إلى ذلك الحاجة أو ساقتها إليه المصادفة ، من مظنة أن لا تعي تفاصيل الواقعة التي تنقل شهادتها فيها كما يعيها الرجل . لذلك كانت في حاجة إلى أن تظاهرها امرأة أخرى في هذه الشهادة حتى يقوم اتفاقهما مقام شهادة رجل واحد . (١)

---

(١) الحقيقة — وقد اعترفت بهذا التفاوت بين الرجال والنساء في الشهادة وأثبتها كثير من محاكم الغرب ولا سيما في إيطاليا ، كما يحدثنا الأستاذ كامل أحمد ثابت من رجال القانون والقضاء في كتابه [علم النفس القضائي] ص ٢٣ ، ٢٤ ، ١٢٢ .

ومن المظاهر التشريعية لتطبيق الأصل الثانى – وهو تكليف الرجل بالإنفاق على الأسرة – أن نصيبه المقرر فى الميراث ضعف نصيب المرأة . وذلك بنص قوله تعالى : (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين – النساء ١١) .

فإذا قررنا أن تعمل المرأة إلى جانب الرجل فى مختلف ميادين العمل والإنتاج والوظائف ، وجعلنا ذلك – ابتداء ، لا لضرورة – أصلا من أصول التنظيم الاجتماعى ، فقد أبطلنا كل هذه التشريعات القرآنية – أصولها وفروعها – لمغايرتها حسب ذلك للظروف الحالية الجديدة الطارئة .

ومع ذلك كله فقوامة الرجل على المرأة لا تقتضى تفضيله عليها فى الدين أو فى الدنيا . فالله سبحانه وتعالى يقول . (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض – آل عمران ١٩٥) – ولكن هذه القوامة قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع واستقرار الأوضاع فى الحياة الدنيا ، ولا تسلم الحياة فى مجموعها إلا بالتزامها . فهى تشبه قوامة الرؤساء وأولى الأمر ، التى لا تستلزم أن يكون الرؤساء أفضل من كل المحكومين ، ولكنها مع ذلك ضرورة يستلزمها المجتمع الإنسانى ، ويأثم المسلم بالخروج عليها مهما يكن من فضله على ولى الأمر فى العلم أو فى الدين .

٢ – يقول تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة – البقرة ٢٢٨) . ويقول سبحانه : (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح – البقرة ٢٣٧) .

والآيتان كلتاهما تؤكدان ما قررته الآية الأولى من قوامة الرجال على النساء . ومن مظاهرها فى الآية الثانية جعل عقدة النكاح فى يد الرجل . وهى قوامة تسقط من تلقاء نفسها وتصبح فاضحة بوضع المرأة مع الرجل على قدم المساواة فى ميادين العمل والكسب .

٣ – أثبتت قوامة الرجل – كما سبق – على أصلين ، أحدهما أنه هو المكلف بالإنفاق على الأسرة . وفى الآية الأخيرة إشارة إلى هذا الواجب المقرر . فالرجل هو الذى يسوق المهر إلى زوجته . – على عكس ما هو مقرر عند الغربيين الذين يزعمون أنهم أكثر

إصداقًا المرأة – ويسقط نصف حقه في هذا المهر إن طلق زوجه قبل أن يدخل بها .
وهناك آيات أخرى كثيرة تؤكد هذا الواجب الملقى على عاتق الرجل ، واجب الإنفاق على الأسرة وكمالياتها في ذلك قوله تعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف – البقرة ٢٣٣) . ومن ذلك أيضا قوله تعالى (لاجناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن ، على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، متاعا بالمعروف حقا على المحسنين – البقرة ٢٣٦) . ومنه قوله تعالى : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج . . . وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين – البقرة ، ٢٤٠ ، ٢٤١) .

في هذه الآيات تأكيد لما هو مقرر من تكليف الرجل بالإنفاق ، وهو تكليف يقوم على أن المرأة لا تعمل لكسب المال لأنها مصروفة عنه إلى غيره من الأعمال التي أعدتها له فطرة الله التي فطر الناس عليها . فإذا أخذ المجتمع بأن تعمل المرأة مثل الرجال لزم تغيير هذه التشريعات ، وتغيير هذه التشريعات يخرج المسلمين من إسلامهم ، لأنهم مكلفون بالرجوع إلى كتاب الله في شئون دينهم ودنياهم والإذعان له والتسليم بما جاء فيه ، لا يحيدون عنه ولا يبدلونه ، ولأن ما قرره القرآن من القوانين وما وضعه من الحدود منسوب إلى الله سبحانه وتعالى ، محكوم على من يتجاوزه بالظلم والفسق بنص كتاب الله العزيز ، فالله سبحانه وتعالى يقول في أحد المنافقين ، وكان قد احتكم إلى النبي عليه الصلاة والسلام ثم لم يرض حكمه فأعاد الاحتكام إلى كعب بن الأشرف اليهودي (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا . ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما – النساء : ٥٩ – ٦٥) . ويقول تعالى بعد تبيين بعض أحكام الطلاق : (تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون البقرة – ٢٢٩) ، (وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه – الطلاق ١) .
ويقول تعالى بعد تبيين أحكام الميراث . (تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين – النساء : ١٣ ، ١٤) .

ومع ذلك كله فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما﴾ ـ النساء ـ ٣٢). نزلت هذه الآية حين قالت أم سلمة ونسوة معها: ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال، فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم. فالآية تأمر الرجل والمرأة كليهما أن يلزم كل منهما وظيفته التي هيأه الله لها، وتبين لهما أن الله سبحانه وتعالى يثيب المرأة على إخلاصها لوظيفتها مثل ثواب الرجل على إخلاصه لوظيفته.

ثم إني أحب أن أسأل الذين يحاولون أن ينصروا باطلهم الذي يقحمونه على إسلامنا إرغاما ويتحايلون على إلصاقها بالدين ونصوصه. أحب أن أسأل هؤلاء سؤالا حاسما يفرق بين الحق والباطل: هل تعلمون أن أحدا من المسلمين قد دعا قبل اليوم بدعوتكم؟ فإذا كان ذلك لم يحدث من قبل فهل تستطيعون أن تزعموا أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقهاء المسلمين قد عموا جميعا عن فهم نصوص دينهم، حتى جاء هؤلاء الذين أوحى إليهم شياطين الجن والإنس في بلاد أوربة من أمثال قاسم أمين فاستكشف عبقريتهم عن معاقدها ومبادئها، حين لم يعتصموا من دين الله بحبل متين، ولم يأووا بهديه إلى ركن شديد، يذود عنهم كل شيطان مريد، وذلك حين بعثوا إلى تلك البلاد ليحملوا إلينا الصالح النافع من علومها وصناعاتها فحملوا العفن الغربي، وعادوا إلينا بغير الوجه الذي بعثوا به. جاء هؤلاء بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن ليخرجوا للناس حقائق التنزيل التي غاب علمها عن الأولين والآخرين من الفقهاء والمفسرين، وليضربوا بإجماع المسلمين في الأجيال السابقة والقرون المتطاولة عرض الحائط. أليس ابتداع هذه الدعوة في ظل الاحتلال الإنجليزي وزعم فريق من المتفرنجين الذين عرفوا بموالاة ذلك الأجنبي المحتل لها، هو وحده دليلا كافيا على أنها طارئة علينا من الغرب تقليدا لمذاهب أهله المبتدعين في دينهم بأهوائهم وأهواء رؤسائهم، والخارجين على تعاليمهم وكتبها؟

• • •

ولو تدبر الناس الأمور وعقلوها ولم ينقادوا في ذلك وراء شهواتهم ولم يسلموا أزمتهم لما يزوره المضللون وأصحاب الأهواء من زخرف القول لأدركوا وجه الحق، ولقادهم المنطق السليم النزيه إلى الاهتداء بشرع الله، واكتشاف ما تنطوي عليه أقوال الذين يتصدرون للدفاع عما يزعمونه (حقوق المرأة) من أخطاء.

وأول أخطاء هؤلاء أنهم يجعلون أكبر همهم مصروفاً إلى إثبات أن المرأة تستطيع القيام بأعمال الرجل ، وأنها إنسان مثله لا فرق بين جسمها وعقله ، ويجهدون أنفسهم في حصر الأمثلة التي تؤيد زعمهم ممن نبغ من النساء في مختلف العصور ، وليس هذا هو لب المشكل وصميمه ، ولا هو بالمقياس الصحيح في تقدير المسألة ، ولكن لب المشكل وصميمه هو : هل يؤثر اشتغال المرأة بأعمال الرجال على إتقانها لعملها السوي الأصيل ؟ ثم ، ماذا يحدث لو انصرف كل النساء إلى أعمال الرجال ؟ هل يتحتم على الرجال عند ذلك أن يقوموا هم بأعمال النساء ؟ وإذا قبلوا ذلك فهل يصلحون له وهل يتقنونه ؟

من الواضح أن عمل الأنثى الأول الذي لا يصلح له غيرها هو النسل وحفظ النوع ؛ لأن تركيب الذكر العضوي لا يسمح له بحمل الجنين ولا بإرضاعه ، ومن الثابت أن إرهاق المرأة بالعمل يترك أثراً في مزاجها وفي أعصابها ، ومن الثابت أيضاً أن ذلك الأثر ينتقل إلى جنينها في حالة الحمل ، كما ينتقل إلى طفلها في حالة الرضاعة . بل إن بعض علماء الوراثة يتحدثون عن وراثة الصفات والأمراض الطارئة على الأب والأم كليهما في أثناء العلوق والحمل . فالمرأة التي يناط بها حمل الجنين ، والسهر على أمنه وسلامته في بطنها ومن بعد أن يخرج إلى الدنيا ، محتاجة لأن تكفى مئونة التعرض للهزات العصبية والإجهاد العصبي أو العقلي ، الذي تصل آثاره إلى ربيبها جنيناً ورضيعاً ، وتترك فيه أسوأ الآثار . وذلك شيء يقضي به أوجب الواجبات وأهمها ، وهو المحافظة على سلامة النوع البشري . ثم إنها محتاجة بعد ذلك إلى أن توفر لها الفرصة الكاملة لملازمة طفلها ملازمة كاملة تسمح بأن يصنع على عينها جسماً وعقلاً وخلقاً ، لكي تغرس فيه العادات الفاضلة ، وتجنبه ما قد يعرض له أو يطرأ عليه من عادات قبيحة . ومثل ذلك لا يتأتى بالأمر أو النهي مرة أو مرات ، ولكن لا بد فيه من المراقبة الدائمة ، والإشراف على تكرار الفعل حتى يرسخ في نفسه ، والملاحظة من الزجر مرة بعد مرات عن بعض الأفعال الأخرى حتى يحال بينها وبين الرسوخ في نفسه . وهذه المراقبة التي لا تغفل ، التي تتسم بالصبر الذي لا يمل ، هي وحدها التي تسمح باكتشاف أمراض الداء في البنين والبنات قبل أن يستفحل ويتعسر علاجه . والقول بأن كل صلة الأم بولدها تنحصر في الحمل والوضع هو نزول بالإنسان إلى مرتبة الحيوان . فالإنسان يمتاز بطول حضانته لأطفاله . وهي حضانة ليست غذائية فحسب كما هي في سائر الحيوان ، ولكنها خلقية وعقلية أيضاً في الإنسان ، وذلك من أهم الأسباب في تقدم البشرية ، لأنه يورث الجيل التالي تجارب

الأجيال السابقة ، مما يمكنه من متابعة الشوط وتوفير الوقت والجهد الذي يضيع في تكرار التجارب .

واعتماد المرأة العاملة على الخدم وعلى دور الحضانة في رعاية وليدها لا يؤدي إلى كمال تنشئته ، لأن الإخلاص له والحرص على استيفاء الكمال من كل وجه لا يتوافر في أحد توافره في الأم ، لأن من وراء إخلاصها وحرصها غريزة الأمومة . والحرص على الواجب ، في الخدم وفي دور الحضانة لا يمكن أن يرتفع إلى مرتبة الغريزة مهما افترضنا فيه من السمو ، ومهما عملنا على ترقيته إلى أقصى درجات الكمال ، ومهما تجاهلنا جنايات الخيانة والإهمال والإفساد التي لا تحصى شواهدها في واقع الحياة .

ولجوء الأم العاملة إلى الوسائل الصناعية في إرضاع طفلها خيانة للأمانة وتفريط فيها وتعطيل لسنة الله ، لأن الله سبحانه لم يخلق ثدي الأنثى لتبرزه في السهرات وتكشف عن جماله وتنصبه شركا في الطرقات ، ولكنه أوجده أصلا للإرضاع . والرضاعة مع ذلك ليست عملية عضوية آلية فحسب ، ولكنها حنان متبادل وميثاق غليظ . وليس لنا أن نتوقع بعد شيوع الرضاعة الصناعية إلا السعي لاختراع وسيلة للحمل الصناعي بعيدا عن بطن الأم - إن أمكن - توفيرا لجهدها وصيانة لجمالها !

ولقد كان أنصار تعليم المرأة في أول هذا القرن يحتجون لدعوتهم بأن تعليم المرأة أعون لها في حسن القيام على تربية أولادها ، فلما تعلمت المرأة نسوا ما كانوا يدعون إليه أو تناسوه ، وراحوا يعملون على أن تكون المرأة صورة مكررة من الرجل . وصنيعهم هذا دليل على أنهم غير مخلصين فيما يدعون إليه ، وأن لهم من وراء دعواتهم أهدافا وغايات تخالف ظاهر أقوالهم .

ولو شئنا لقلنا بعد ذلك كله لأعداء المرأة وأعداء أنفسهم ممن يجري عرف الصحف والكتاب في هذه الأيام على تسميتهم (أنصار المرأة) : إن المرأة لا تصلح لتكد ومزاولة الأعمال العامة صلاحية الرجل . لأنها بحكم تكوينها تحيض أسبوعا ، في كل شهر ، وهي حالة تكاد تكون مرضا يخرجها عن مألوف عاداتها . وهي بعد ذلك إن حملت ظلت تعاني في الشهور الأولى من حالات (الوحم) وما يلازمه من أسقام . ثم إنها تعاني في الشهور الأخيرة من ثقل الحمل الذي يقيد حركاتها حتى يكاد يشلها . فإذا لم تكن المرأة العاملة متزوجة كانت مشغولة بالبحث عن الزوج ، معرضة للزلل والسقوط عند كل

بارقة من الأمل في الظفر به ، ومن لاتعدل عن ذلك ولا تنصرف عنه إلا سنة قد تكون شرا من البحث عن الزوج وأخطر .

وقد زعم أعداء المرأة المتسمين بأنصارها أن تزوجها للغزل انتقاص لحقوقها وقتل لشخصيتها واعتداء على كيانها . ومن قلب للأوضاع أن تسمى المصون المخدوم المكفي أحاجيه سجنا حسب ما توهم صاحب (تحرير المرأة) كما يبدو من عنوان كتابه ، وقد عاشت المرأة ما عاشت مكرمة معززة مدللة حاكمة على زوجها من خلف ستار ، ولم تحس يوما أنها مهضومة الحق أو أنها مضطهدة أو محجبة أو مهددة الكرامة والشخصية ، حتى ظهر ذلك النفر من الكتاب فأحل الصراع والتنازع بين الجنسين محل التواد والتراحم ، ومن عجب أن الذين حملوا اللواء في الدعوة إلى ما يسمونه (حقوق المرأة) كانوا من الرجال ولم يكونوا من النساء ، ولم يكن من وراء صنيعهم إلا إفساد الحياة على المرأة والرجل كليهما ، ذلك لأن الحياة تحتاج إلى طمأنينة توفر للناس السعادة والاستقرار ، وثورة النساء والرجال كل منهما على الآخر تحل القلق والبغضاء محل الطمأنينة والحب بين الجنسين اللذين أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل بينهما مودة ورحمة يبني عليهما عمران الكون وحفظ النوع البشري ، والمجتمع السليم يقوم على التواد والتراحم وعلى إخلاص كل عضو فيه لوظيفته وقيامه بها راضيا لا يمل ولا يتذمر ، فهو كالجسم الذي ينصرف كل عضو فيه إلى أداء عمله ووظيفته ، لو توقف أحد أعضائه عن أدائها أو تمرد عليها لاختل . فالله سبحانه وتعالى قد (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ، وهيأ كل فرد ، بل كل ذرة ، من نبات أو حيوان أو جماد ، لوظيفة معينة ، وركب فيه من الصفات ما يناسبه ، ويصرفه لأدائها ، وعلى ذلك تقوم حياتنا الحديثة في كل شئونها وفي كل نواحي الصناعة والمعارف ، فهي تقوم على التخصص الدقيق الذي يتيح دقة المعرفة وحذق المزاولة لكل عاكف على فرع معين ، والتربية الحديثة تحاول أن تكتشف مواهب الأطفال والصبية لتوجه كلا منهم إلى ما يلائم استعداده وتكوينه ، فلماذا نطبق هذين المبدأين — التخصص والعمل المناسب — في كل شيء ، ونأبى أن نطبقهما في الرجل والمرأة ؟

والرجل الذي يكد ويجهد نفسه ويرهقها في العمل خارج البيت محتاج إلى زوجة مقيمة منتظرة ناعمة البال يأنس بها ويسكن إليها مما يجده من عناء ، وتسري عنه بعض ما يعتريه من السأم والإجهاد ، وما يتركه عنف التعامل مع الناس في نفسه من آثار

الضيق والملل ، وكدح المرأة في ميادين الأعمال العامة يصرفها عن رعاية الزوج والولد كليهما لاشك في ذلك ، لأنها تعود إلى البيت مكدودة مرهقة كالرجل ، فأيهما هو الذي يسري عن الآخر ؟ وأيهما هو الذي سيتسع صدره لمداعبة البنين واحتمال ما لابد أن يحتمل من تربيتهم وتصحيح سلوكهم ؟ وهل تصبح الحياة عند ذلك إلا عناء وشقاء للمرأة والرجل كليهما ؟ وهل يصبح الفرد — رجلا كان أم امرأة أو طفلا — إلا ترسا من تروس آلة صماء في حياة لا سكن فيها ولا قرار ؟

ويستطيع كل ذي لب وبصيرة أن يدرك آثار الفشل الذي حاق بتجارب المجتمع الأوربي والأمريكي في هذه الناحية . مع أن هذه الآثار لم تبلغ بعد منتهى مداها ، ولا تزال سائرة عقابيلها في الطريق . فهذا الجيل الغربي من التائهين والمضطربين المحطمي الأعصاب المبلبلي الأفكار القلقي النفوس ، وهذه النسبة الآخذة في الارتفاع — حسب إحصاءاتهم أنفسهم — للانحراف والشذوذ بكل صوره وألوانه ، هذه الظواهر والآثار كلها هي من آثار التجربة التي خاضها الغرب في المرأة ، لأن هؤلاء جميعا هم أبناء العاملات والموظفات الذين عانوا من إرهاق أمهاتهم وهم في بطونهن ، ثم عرضوا للإهمال بعد أن وضعتهم . وماذا يجني الناس من تجربة فاشلة كهذه ؟ ألا يتدبرون ؟ !

وللمفسدين والمخدوعين ممن يسمون (أنصار المرأة) حجج وشبهات أكثرها مبني على المغالطة . وأشهر مغالطاتهم في ذلك ما يزعمونه من أن عكوف المرأة في منزلها فيه تعطيل لنصف المجتمع . وقولهم هذا مبني على أن المرأة ليس لها عمل في المنزل . والواقع أن وظيفتها في تدبير شئون البيت ورعاية الزوج والولد وقضاء حاجاتهم المتنوعة تستغرق كل وقتها لو أديت على وجهها ، بل إن وقتها يضيق بها في بعض الأحيان . والدليل الذي يخرس كل لسان على صدق ما نقول هو أن العاملات يضطررن دائما إلى توظيف الخدم من النساء والرجال لسد النقص الناشئ عن تخليهن عن وظيفتهن . فأي شيء تكسبه الدولة إذا كانت المرأة تخرج للعمل وتربط بمكانها شخصا أو شخصين تعطلهما عن العمل ؟ أين هو المكسب الاقتصادي المزعوم ؟ وهل هذا إلا الخلل بعينه ؟ تشتغل المرأة خارج البيت بأعمال الرجال ، ويسقط من حساب الأيدي العاملة رجل أو رجلان يقومان بأعمالها في المنزل ، ويسقط من حساب الدارسين والمشرعين جيل مضيع لا يقام لضياعه وزن في ميزان المكسب والخسارة ؟ ! ولو صح أن الاستفادة بنصف المجتمع المعطل هي الدافع الحقيقي

إلى توظيف المرأة لوجب أن يستوعب العمل كل المتعطلين من الرجال قبل أن يسمح لامرأة واحدة بتولى عمل من الأعمال العامة .

ومن مغالطاتهم كذلك أنهم يتصيدون الأمثلة لمن نبغن من المسلمات وبعضهن في فروع العلم أو شاركن في القتال ليقيموا بين الدليل على مطابقة دعوتهم للشرع ، والواقع أن المرأة حقا غير منكور في طلب العلم إن كان فيها استعداد له ، ولم ينكر أحد أن هناك بعض الوظائف التي تلائمها كتدريس البنات وتطبيب النساء ، ولم ينكر أحد حق المرأة في السعي الشريف للرزق إن دعتها إلى ذلك ضرورة ، والإسلام سمح ، قد أباح للضرورة أشياء كثيرة ، حتى الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، ورفع الإثم فيها في المصحف في أكثر من موضع من القرآن الكريم (البقرة ١٧٣ ، المائدة ٣ ، الأنعام ١٤٥ ، النحل ١١٥) . بل لقد رفع الإثم عمن أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان (النحل ١٠٦) . واشتراك المرأة في القتال هو من باب الاستثناء الذي تدعو إليه الضرورة ، وهو في حدود الأعمال التي تلائم المرأة كالتمريض خلف صفوف القتال ، ومصدر الخطأ والخلط في ذلك كله ناشئ من وضع الاستثناء والشذوذ موضع القاعدة والأصل ، واتخاذ أعمال الأفراد حجة على الشرع نفسه .

ومن مغالطاتهم التي ابتدعها قاسم أمين وتابعه فيها كثير من الناس أنهم يقولون : إن بين النساء بائسات وبينهن عانسات وبينهن من فقدت الزوج والعائل . فلماذا لا يشترك هؤلاء في الأعمال العامة في الحياة ؟ وليس كل ما يقولونه إلا أعذارا وحيلا تتحيل لفتح الباب تمهيدا للزحف . إن الذي يسمح لقدمه أن تنزلق خطوة واحدة في أول الطريق لا يدرى إلى أين تسوقه قدماه وإلى أين ينتهي به المسير . إن مدمن الخمر قد سمح لنفسه أولا بمجالسة الشاربين ، ثم سمح لنفسه بأن يشاركهم الأكل ، ثم تدرج من ذلك إلى مشاركتهم في قليل من الشراب لا يصل به حد الخلط وفقدان الإحساس ، ولم يزل يخطو في كل مرة خطوة من بعد خطوة حتى أصبح مدمنا ، وكذلك الشأن في المرأة وفي كل أمر ، وفتح صنف من النساء حق الاشتغال بالأعمال العامة هو الانزلاق في أول الطريق الذي يجر إلى المباح لسائر النساء بهذا الحق كما أثبتت التجربة . لذلك كان علينا أن نضع للأشياء حدودا لا نسمح لأنفسنا بتخطيها . لأن المسألة في لبها وفي صميمها هي : ما هي

وظيفة المرأة ؟ ولأن التشريع دائما يوضع دائما للأعم الأغلب ، ثم يطبق على كل الناس بلا استثناء .

ومن مغالطتهم كذلك أنهم يعتذرون بأن نزول المرأة إلى ميدان الأعمال العامة قد أصبح أمرا واقعا وقاعدة مقررة . وينبغى لهم أن يعرفوا أن الحق واحد لا يتغير . ومهما يتقدم العهد على الباطل فسيظل باطلا . ومهما يجر العمل على غير الحق فسيظل الحق هو هو وإن حاد عنه كل الناس . ثم إنه لا يبقى على توالى الأزمان إلا الحق ، لأن الباطل زهوق لا تدوم له دولة . والحق هو الناموس ، هو قانون الله الذى لا يتبدل ، هو فطرة الله التى فطر عليها الخلق ، هو ما ركبه الله سبحانه فى طبائع الأشياء حين أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، وناموس الله ثابت لا يتبدل « ولن تجد لسنة الله تبديلا » . ولكن الذى يحول ويزول هو المعاند لسنة الله وفطرته . والذى يعارض الناموس ويخرج على الفطرة كالوعل الأحمق الذى وصفه الأعشى قديما حين قال :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إن الأرض لا تستطيع أن تخرج على ما رسم لها من مدار ، والليل لا يسبق النهار . وكل كوكب يدور فى فلكه ، وكل كائن يسير فيما رسم له من منهج ومن طريق . والفطرة التى فطر الله عليها كل واحد من خلقه فأعطاه خلقا خاصا وأقامه فيما أراد ، هى جزء من الناموس ، وهى بعض إرادة الله سبحانه . والأمانة التى يحملها كل واحد من خلق الله هى أن يبذل قصارى جهده فى أداء الوظيفة التى أقامه الله فيها . وليس من شىء فى خلق الله إلا هو منقاد لإرادة الله سبحانه وتعالى مسلم لها ، يسبح خالقه بأدائه للدور الذى رسم له فى استسلام لإرادته ، تجد ذلك فى النحل وفى النمل وفى الحيوان كله وفى النبات بضروبه والدواب بأنواعها ، وفى الكواكب والأجرام وفى مختلف الظواهر . ولا يشذ عن ذلك إلا الإنسان الذى ميزه الله عن سائر خلقه بالعقل ، فحمل بذلك أمانة لا يحملها أحد من سائر خلقه ، فهو إن استخدم هذا العقل فى طاعة الله بلغ به محله حدا لا يبلغه شىء من خلق الله ، وإن شرد به عقله فى غير سبيل الله ضل وهوى إلى قرار سحيق . والله سبحانه هو المسئول أن يهدينا إلى أقوم طريق .

الدكتور محمد محمد حسين

التفرقة العنصرية

يجنى على الألفاظ بالاضطهاد والعبودية فتنتزع منها خواصها وميزاتها كما يجنى على الأفراد والأمم ، فنحن نسمع فى هذه الأيام كلمة (التفرقة العنصرية) يقصد منها اختلاف الألوان من بياض وسواد وصفرة ، وما هذه إلا أسماء مخترعة ، ومدلولات مختلقة لاتمت إلى المدلولات اللغوية بسبب ولا تدخل فى عرف فى بعض اللغات . فالعنصر فى حقيقته عند الفلاسفة هو المادة التى تتكون منها جواهر الأشياء ، وقد أدرك الأقدمون بعضها ، وما زال العلم يكتشف المجهول من العناصر حتى قاربت المائتى عنصرا وآخرها عنصر الراديوم الذى اكتشفته مدام كورى . فهل اختلاف اللون اختلاف فى عنصر وجوهر أم اختلاف فى عرض ولون ؟ وأى منطق تحتكم إليه وأى قانون تستمد منه الحكم وترجع إليه الأمم المغلوبة على أمرها فى فهم مدلول التفرقة العنصرية ؟ فلا قانون يرضى عن هذه التسمية ، ولا عرف يستسيغ هذا الوضع ، اللهم إلا قانون واحد هو قانون الاستعمار والاغتصاب والسلب والنهب ، فهو الذى يحكم بما يشاء ويقضى بما يريد ، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، سلطانه نافذ واستبداده قائم ودائم ، فهو الذى يحرم على وزير دولة من الدول الملونة أن يأكل فى مطعم عام فى دولة من الدول البيضاء . فالمستعمرون يعطون الفوارق البسيطة مظهرا معنيا ليرتبوا عليه فوارق كبيرة جدا ، ليصلوا من هذا الطريق إلى حرمان الأفراد والأمم من أهم ميزاتهم ، حتى يمنعوا الملونين من اشتغال مناهل العلم والعرفان ، تكبرا من السادة البيض أن يجلسوا فى معاهد العلم بجوار مسترقيهم من السود . وليت هذا قد حصل فى القرون المظلمة والقرون الوسطى ، كلا بل حصل فى النصف الثانى من القرن العشرين قرن ازدهار الحضارة والرقى ، فسياسة الاستعمار الغاشمة قادرة على أن تجعل اختلاف اللون مانعا من تمتع الإنسان بحريته بل وبإنسانيته وكرامته وعزته ، وسياسة الاستعمار الجبارة الطاغية قادرة على قلب الحقائق وإلباس لفظة وتسمية الاسترقاق والاستعباد للأمم والشعوب استصلاحا وتعميرا ورقيا وحضارة ، فهى تمتص دماء الشعوب وتسلب أرزاقها ، وتزعم أنها ترفع مستوى معيشتها وتأخذ بيدها إلى طريق التقدم والنهوض ، تحرم عليها التعلم وتدعى أنها تقودها إلى الثقافة والمعرفة ، وتجلب لها الأمراض والأوبئة الفتاكة ، وتزعم أنها ترفع مستواها الصحى وتهيىء لها وسائل القوة

بالجماعية . فمنطق الاستعمار دائما منطق معكوس يقلب الأوضاع ويغير المعايير والمقاييس ويبدل قيم الأشياء . ولقد قضى لهذا المنطق أن تحكم به أمم متعددة ، وأمما كثيرة وبلاد شاسعة من العالم رزحت تحت نيره أحقابا طويلة ، فلقد كان فيما مضى من الزمان إمبراطورية ألمانيا ، استعمرت تنجانيقا والشمال الشرقي من غينيا الجديدة والجنوب الغربي من إفريقيا ، وكان هناك استعمار بريطاني بسط ذراعيه على المحيط الهندي وعلى كثير من بلاد الشاطئ الإفريقي ، وكان هناك استعمار هولندي جثم على جاوه وسومطرا وجميع أندونسيا ، بل كان يقال : إن أملاك بريطانيا لا تغيب الشمس عنها ، وكان هذا القول يذكرنا بخطاب أحد أمراء المؤمنين لسحابة رآها في السماء فقال لها : امطري حيث شئت فإن محصول خراجك سيصل إلينا . ولكن أين ذهب هذا كله ؟ إنه تبدد وتبعثر وأصبح هباء ، وصدق الله تعالى إذ يقول : «وتلك الأيام نداولها بين الناس» ويقول عز من قائل : «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير» ولا ينكر أحد أن دولة أمير المؤمنين دولة صدق وعدل لأن بلاده كانت تتمتع بحقوقها كاملة غير منقوصة لا ظلم فيها ولا بغي ولا عدوان ، ودولة بريطانيا دولة جور وظلم وطغيان لأنها تستعمر البلاد كرها واغتصابا وسلبا وانتهابا ، فشتان ما بين الحالتين .

إن الوعي العالمي ومصارعة الشعوب في سبيل الحصول على حقوقها الطبيعية قد قضيا الآن على الاستعمار الخانق ، وقصت أجنحة نفوذه ، وقوضت أركان جبروته وهدمت دعائمه ، فلا يستطيع بعد الآن أن يعيد سيرته الأولى من طغيان وتجبر وغطرسة وهو أنفد من وسائل المكر والخداع والمراوغة حتى في أروقة الأمم المتحدة ـ التي نصبت للمحافظة على حقوق الإنسان ـ تحاول بعض الدول فيه أن تقف حجر عثرة في طريق دعوة الحق وقولة الصدق .

فها هي مصر ومعها ثمان وعشرون دولة في اللجنة السياسية للأمم المتحدة تقدم قرارا باستنكار سياسة حكومة جنوب إفريقيا في التفرقة العنصرية ، وإهمال تنفيذ القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة ، ورأت فيها عدول السياسة الجنوبية للمساواة والحرية والإنسانية في تمسكها بالتفرقة العنصرية ، ولقد كانت المعارضة لهذا القرار من جانب الدول الضليعة في الاستعمار وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا واستراليا وبلجيكا والبرتغال ، وحجة هؤلاء أن مثل هذه

المواضيع لا تبحث في الهيئات الدولية ، لأنها مسائل داخلية تحلها الدول بنفسها داخليا ولا سلطان عليها لأحد من الخارج ، فهم يريدون أن تقف هيئة الأمم موقف المتفرج على ما يجرى في بعض الدول من انتهاك حقوق الإنسان التي أسموها الحقوق المقدسة والتي لم يمض على إعلانها غير عشر سنوات فقط ، وقد جاء في ديباجة إعلانها ما يأتي : « بما أن الاعتراف بكرامة بني الإنسان المتأصلة ، وبحقوقهم المتكافئة الثابتة هو أساس الحرية والعدالة والسلام في العالم . وبما أنه قد نجم عن إغفال حقوق الإنسان وازدرائها أعمال وحشية آذت الضمير الإنساني ، وأمل الناس أن أسمى ما يصبو إليه نفوسهم هو إيجاد عالم يتمتعون فيه بحرية القول والعقيدة ، ويتحررون فيه من الخوف والعوز ، وبما أن حماية حقوق الإنسان بحكم القانون أمر ضروري حتى لا يدفعه يأسه إلى الثورة على الظلم والطغيان ، وبما أن توثيق العلاقات الودية بين الشعوب قد أصبح أمرا بالغ الأهمية وبما أن شعوب الأمم المتحدة قد أكدت من جديد في ميثاقها إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقيمته وبحقوق الرجال والنساء المتساوية ، واعتزمت العمل على زيادة التقدم الاجتماعي ، ورفع مستوى المعيشة في ظل حرية شاملة ، وبما أن الدول الأعضاء قد أخذت على نفسها عهدا أن تتكفل بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية احتراما عالميا وفعليا ، وبما أنه من الأمور البالغة الأهمية أن يفهم الناس جميعا هذه الحقوق والحريات كي يتيسر الوفاء بهذا العهد وفاء كاملا ، لذلك تعلن الجمعية العامة هذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ليكون مثلا أعلى لجميع تسعى شعوب الأرض وأممها نحو بلوغه . وعلى هدى هذا الإعلان ويوحى منه ينبغي لكل فرد ولكل عضو في المجتمع أن يعمل — بوسائل التربية والتعليم — على زيادة احترام هذه الحقوق والحريات ، وأن يستعين بالتدابير التقدمية — القومية منها والدولية — ليكفل الاعتراف بهذه الحقوق والحريات والمحافظة عليها محافظة فعالة سواء بين شعوب الدول الأعضاء نفسها ، أو بين شعوب البلاد الواقعة تحت حكمها » .

ديباجة مشرقة واضحة تفرح كل غيور على حقوق الإنسان ، وتدخل الثقة على النفوس المروعة من طغيان الإنسان على أخيه الإنسان ، وتنزع الوحشية الضارية من نفوس من أحبوا السيطرة والتسلط ، ممن يدينون بالفروق الجنسية والإقليمية ، وتأليه بعض الشعوب لوجودها في مكان معين على وجه الأرض ، أو مجاورتها لبعض البحار أو الأنهار أو غير ذلك من الاعتبارات الوهمية التي لا قيمة لها في شرعة العدل والإنصاف .

فإلى متى هذا العدوان الصارخ على بنى البشر يا هيئة الأمم ويا مجلس الأمن، وإلى متى تروح الإنسانية تحت هذه الأثقال من العذاب والهوان، وأين توجد الحرية والإخاء والمساواة بلا تفاضل بين أفراد الإنسان ولا تمييز لأحد على أحد، اللهم إلا بمقدار ما يقدمه للبشرية من خير وما يسديه إليها من نفع فلا فضل لأحد على أحد بلون أو إقليم أو بجنسية من الجنسيات... وإن من يطالع الثلاثين مادة التى صاغت فيها هيئة الأمم حقوق الإنسان ليعجب من حسن الصياغة وجودة السبك وتمام الاستقصاء لتلك الحقوق، ولكن ويا للأسف والحسرة والندامة هو بيان بالمداد وعلى الورق فقط، فإن الواقع فى جميع أنحاء الأرض لا يشهد بوجود أثر لهذه الحقوق ونحن لا نستطيع أن نذكر انتهاك حقوق الإنسان فى كل ناحية من نواحى الأرض، بل نكتفى بذكر أمثلة صارخة من العدوان تقوم به بعض الدول الاستعمارية العريقة فى العدوان وسفك دم الإنسان، فقد حدث بعد صدور هذا الميثاق أن عرضت اقتراحات على بعض لجان هيئة الأمم تتصل بحقوق الإنسان وتدعيمها وتأكيدها، فقال مندوب أمريكا: إننا نوقع على مثل هذه المواثيق ولا نلتزم تنفيذها لأن تنفيذها مستحيل علينا فى بعض الظروف والأحوال! فهل هذه الإجابة تعد إجابة جدية صادقة من شخص يؤمن بحقوق الإنسان ويؤمن بالمساواة والحرية لبنى البشر؟ وأدهى من ذلك وأمر ما تعامل به سيدة البحار بريطانيا مستعمراتها، فهى ترفض رفضا باتا مناقشة شئون مستعمراتها فى داخل الأمم المتحدة، وتعد ما يتصل بتلك المستعمرات من الأمور الداخلية التى يكون حق بحثها من اختصاص الحكومة البريطانية دون غيرها بالرغم من توقيعها على ميثاق حقوق الإنسان! وإذا طلبت حقوق الإنسان فى الجزائر ومدى احترام فرنسا لدستور حقوق الإنسان، أجابتك عن ذلك الدماء المسفوكة والأشلاء المبعثرة والطائرات المغيرة والدبابات والمصفحات الطاغية الباغية، وكل ذلك وأمثاله وأشد منه فظاعة يجرى ويحصل على مرأى ومسمع من هيئة الأمم الحارسة لهذا الدستور والقائمة على تنفيذه. وفى أمريكا ما يقرب من أربعة آلاف مدرسة لا تزال تصر على التمييز العنصرى بين المتعلمين، وفى مقدمتها ولايات فرجينيا وجورجيا وفلوريدا وآلاباما، التى أنبأتنا عنها أخيرا بعض الصحف بأن النيران قد سرت بين الملونين والبيض، وكادت أن تقع حرب بين الفريقين بسبب المغالاة من السادة البيض فيما يعاملون من تكبر واستعلاء على مواطنيهم الملونين، وتصر هذه الولايات وغيرها من ولايات أمريكا على عزل الأطفال الزنوج وعدم اختلاطهم

بالأطفال البيض . ولو ذهبت تطالع الحال في جنوب إفريقيا لهالك الأمر واستولى عليك القهر والهلع حينما ترى الفوارق الشاسعة في مستوى المعيشة بين أصحاب البلاد وأهلها وبين الدخلاء السادة المستعمرين . فأهل البلاد مسخرون لخدمة الغاصبين لا يتمتع الواحد منهم من العيش إلا بمقدار ما يجعله أهلا لخدمة سيده، ويحقق الرفاهية ورغد العيش لمولاه . ومن فظائع ما يعامل به أهل جنوب إفريقيا أن المستعمر يخرجهم من البقاع الصالحة الخصبة ويطوح بهم في الصحارى المجدبة الصحراوية ، ليحتل مكانهم أفراد من الذين يحميهم ليشركهم في السلب والنهب وأخذ الغنائم . وكيف يسمع الناس بعد صدور حقوق الإنسان في وثيقة عالمية أن في كيب مناطق سكنية للأوربيين لا يدخلها الوطنيون إلا خداما ، ويذكرنا هذا الوضع بما كانت تفعله الإمبراطورية الرومانية القديمة فقد كانت تقسم العالم إلى قسمين : رومانيين لهم كل الحقوق والاعتبارات وليس عليهم واجب لأحد ، وبرابرة عليهم جميع الواجبات والالتزامات وليس لهم أي حق يتمتعون به أو يطالبون به ، فعليهم الفلاحة والزراعة والخدمة ليوفروا جميع أنواع النعم والملذات لأسيادهم ، حتى لقد كان الفلاحون يلحقون بالأرض عند بيعها وشرائها لا فرق بينهم وبين السوائم من الأنعام ، فأين كل هذه القوانين وأين مكانها من قانون السماء وتعاليم الشرائع ؟ أين هذا من قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وأين هذا من قول خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « ليس لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب » وقوله : « الناس سواسية كأسنان المشط » فليت حكام الأمم يرجعون إلى ضمائرهم ويحكمون عقولهم فيما يفصلون فيه من قضايا تتعلق بالشعوب المغلوبة على أمرها فلا يسيمونها سوء العذاب ، ولا يسلبونها حقها الطبيعي الذي تملكه بمقتضى الفطرة . ولقد نادى المصلحون بالتعايش السلمي بين الدول لتقوم كل منها بالواجب نحو غيرها كاملا غير منقوص بلا شطط ولا وكس ولا تحيف ، وتطالب بحقوقها وافرة دون نقصان ولا ربح . فهل لبت هذه الدعوة النفوس الشريرة المطبوعة على حب السيطرة والتي استولت عليها شهوات الحياة والنفوذ الاستعماري ؟

حقا لقد بادرت في ذلك أكثر دول الاستعمار في تلبية هذا النداء ، وتلوث تلوث الحرباء وكفت حينا من الزمن عن شرورها وآثامها وجرائمها ، ولكن لم يكن هذا الفعل منها إلا تحفزا واستعدادا لشر عظيم وبلاء كبير ، ينزل بالضعفاء في كثير من بقاع الأرض،

فتآمر بعض الدول الكبرى على الغدر والخيانة والعدوان كما حدث ذلك أثناء العدوان الثلاثي على مصر ، وكما هو حاصل الآن من تآمر بعض الدول الكبرى على العدوان سوريا .
ولقد كان الضمير العالمي ويقظة العالم الحر حاجزاً قوياً وسداً منيعاً من وقوع الكارثة المدمرة العالم وهي الحرب الثالثة التي لا تبق ولا تذر لو وقعت ، فهي الفناء بعينه وهي الطائرة التي تقصم ظهر الإنسانية وتوردها موارد الهلكة العامة الشاملة .

غير أن المبادئ القويمة لا تفتأ تستحق من عناية وتحمى لأمتنا البشرية عوامل الدمار والهلاك . وإن مما يجدد الأمل ويوجد الطمأنينة لذوي العقلاء حيناً بعد حين مبادئ العدل والسلام البشري ، وأن الحق لا بد أن ينتصر والعاقبة للمتقين ما

عبد الله مصطفى المراغي

قواتنا الجوية في ٢٥ سنة

ولدت القوة الجوية المصرية في سنة ١٩٣٢ ، وكانت تتألف من ٣ طيارين و ٤٨ جنديا بضباطهم وكل ما تملكه خمس طائرات من طراز جيبسي موث .

وفي أواخر سنة ١٩٥٢ وكانت ثورتنا في الشهر السادس من حياتها ذهب صحفي إلى مطار الماظة وطلب من قائد المطار تصوير مجموعة من الطيارين أمام طائراتهم ، فقال له القائد: لا يمكنني أن أجمع لك أكثر من عشرة طيارين وخمس طائرات ماتيور وفامبير .

والآن لمناسبة مرور ٢٥ عاما على القوات الجوية المصرية ذهب الصحفي إلى نفس المطار وطلب من قائد القوات الجوية نفس الطلب ، فقال له : كم تريد ؟ مائة طيار ، مائتي طائرة ميج ؟ إن القاعدة أمامك ، صور كما تشاء . . .

توحيد بدء الشهر القمري الشرعي

في جميع الحكومات الإسلامية

ورد إلى مشيخة الأزهر من مصلحة المساحة المصرية الرد على مذكرتي الخاصة بإمكان هذا التوحيد فلكيا وشرعيا والمنشورة في جزء ربيع الأول الماضي من مجلة الأزهر ما يأتي:

« بالإشارة إلى كتاب سيادتكم المؤرخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٧ بخصوص المذكرة الفلكية المقدمة من الأستاذ محمد أبو العلا البنا والخاصة بإثبات الأهلة بالحساب ، نتشرف بالإحاطة بأن الطريقة المتبعة في حساب أوائل الشهور العربية في النتائج والتقاويم الحكومية هي أن الشهر يبدأ في الليلة التالية لاجتماع القمر والشمس ، بشرط أن يغرب القمر بعد غروب الشمس ، نظرا لأن رؤية الهلال تتوقف على أمور كثيرة ، كمدة مكثه ومقدار نوره وحالة الجو ... فإنه يحدث أحيانا ألا تتفق الرؤية والحساب . كما يترتب على حركة القمر حول الأرض ألا تتفق أوائل الشهور العربية في العالم الإسلامي لاتساع رقعته ...

كما أن الاقتراح المقدم من الأستاذ الشيخ محمد أبو العلا البنا لتوحيد أوائل الشهور العربية في العالم الإسلامي ، وتهيئة الظروف التي تمكن من رؤية الهلال بأن يكون الحساب على أساس شروط معينة لمدة مكث الهلال ومقدار نوره وارتفاعه ..

هذا الاقتراح يؤدي إلى أن لا يوجد [illegible] رؤية استنادا إلى عدم بلوغ الهلال الشروط التي أوردها سيادته . والسلام عليكم ورحمة الله » .

المدير العام

وأقول : إن رأي المساحة في هذه الإفادة يتلخص الرد على مشروع « توحيد بدء الشهر الشرعي بأربع شبه تثبت كلها عن أمور مدنية لا تمس ما علا به المحققون من الفلكيين الشرعيين ومن فقهاء الشريعة الإسلامية في البحث المدني في هذه المسألة المشتركة . .

ومع ذلك فلا بد من تعرضنا لبيان فساد هذه الشبه وكذا بعض تعبيرات جاءت مخالفة في هذه الإفادة في تنبيهات ستة :

« التنبيه الأول » في الرد على وصف المذكرة الفلكية الشرعية المقدمة مني إلى الأزهر بأنها (خاصة بإثبات الأهلة بالحساب) . أقول : إن هذا الوصف من المساحة تشويه لهذه المذكرة وتحويل للمقصود منها الذي هو (إمكان توحيد بدء الشهر القمري شرعيا وفلكيا) مع أنه لم يرد فيها أصلا ما يدل على أن من رأيي « إثبات الشهر بالحساب كما أني في الحقيقة لست مع من يقول بأن الحساب يكون مناطا لإثبات الشهور الهلالية . وإن نص ما قلته في المذكرة بشأن الحساب الفلكي ما يأتي : « (لا كلام في أن الشارع إنما أناط إثبات الشهر بأحد أمرين لا ثالث لهما : (١) رؤية الهلال مساء يوم ٢٩ بالرؤية ، (٢) بإكمال الشهر القديم ثلاثين يوما عند عدم الرؤية مساء يوم ٢٩ ـ بالرؤية دون إناطته بالحساب .. كما أنه لا كلام في أن الشارع لم يمنع الحساب الفلكي في ذاته بل حث على تعلمه وقد ثبت بالتجربة نفعه في تنظيم الرؤية ومساعدتها) ... فهل بعد ذلك يقال إن هذه المذكرة (خاصة بإثبات الأهلة بالحساب) ؟ .

ألا تدري المساحة أن معنى كلمة (إثبات الأهلة بالحساب) في عرف الشرع جعل الحساب مناطا لإثبات الشهر بمعنى أن يكون للقاضي الشرعي أن يحكم بثبوت الشهر ويأمر بالصيام أو الإفطار بناء على الحساب دون احتياج إلى تراءي الهلال أو رؤيته ، وهذا الرأي وإن شذ بالقول به بعض الفقهاء ولكنه رأي موصوف بالضعف والجرأة على النصوص ، ولا زال الدفاع عنه غير مقبول ولا يصح الإفتاء ولا العمل به عند المحققين من الفقهاء والنصوص الشرعية في صفهم ..

« التنبيه الثاني » في فساد جعل بدء الشهر في الليلة التالية للاجتماع كما تأمر به المساحة المصرية في حساب النتيجة الحكومية ...

إذ أن أصل هذا الجعل اصطلاح عتيق قبل الإسلام كالاصطلاح المعمول ،

والاثنان يجعلان بدء الشهر « الوضع الاجتماعي التقريبي » ، ولذا قد يتقدمان أو يتأخران يوما عن « الاجتماع الحقيقي » فضلا عن أنهما قد يقدمان الشهر عن « الوضع الهلالي » يوما في الأكثر ويومين في الأقل ...

على أن تاريخ الحساب الفلكي يدل على أن بدء الشهر القمري « بالوضع الاجتماعي » أصله معتقد اليهود من قبل الإسلام ولا زالوا يعملون به إلى الآن في إثبات أشهرهم الدينية ، وقد نسخه الإسلام بالعدول إلى الوضع الهلالي . « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » ، « لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه » ..

« التنبيه الثالث » في فساد قول المساحة : « لأنه يحدث أحيانا ألا تتفق الرؤية والحساب » ..

ثم قد لا تتفق الرؤية والحساب . ولكن أي حساب لا يتفق مع الرؤية ... ؟ إنما هو الحساب الذي يجعل بدء الشهر الاجتماع الحقيقي أو التقريبي . أما الحساب لإمكان الرؤية أو وجوبها طبقا للشروط المنقولة عن السلف من علماء الرصد والهيئة على ضوء الشريعة الإسلامية فتتفق مع الرؤية من غير كلام ..

على أن تسمية الشهر المبدوء من الاجتماع « بالشهر العربي » موهمة بأنه « شهر إسلامي يجوز اعتباره في الأمور الدينية » وكثيرا ما كان سببا في تخطئة عامة المسلمين بل قضاتهم وحكوماتهم في تعيين أوائل صيامهم وفطرهم وأعيادهم - بعد ٦ من المذكرة - .

وقد قلت مرارا : إن استمرار نتيجة الحكومة المصرية في نشر الشهر المبدوء « بالاجتماع » وتسميتها له « بالشهر العربي » ومقارنته بالشهور الشمسية يوما بيوم ودعواها حينئذ أن رؤية الهلال متغيرة ومضطربة ولا يمكن اتفاقها مع الحساب وإجمال كلمة « الحساب » دون توضيح المراد منه بأنه الحساب للاجتماع دون الرؤية مع تقليد جميع أصحاب التقاويم والنتائج المصرية الأخرى لهذه النتيجة بصفتها الحكومية .

كل ذلك كاد يقضي على هذه الشعيرة الإسلامية الواجبة شرعا وهي بدء الشهر الديني « بالوضع الهلالي » دون أي وضع آخر اجتماعي أو استقبالي للشمس والقمر ...

« التنبيه الرابع » . فى فساد دفاع المناقشة عن متابعة حساب الاجتماع فى تقويم الحكومة وغيرها ، بصعوبة حساب الرؤية لتوقفها على أمور كثيرة متغيرة » . . .

إن هذا الاعتذار بهذه العبارة مأثور أيضا عن القدماء فى الجاهلية وفى أول الإسلام ممن لا يفهمون أصل الدين الإسلامى ، بل إن واضعى علماء الفلك الشرعى أيام النهضة العلمية الإسلامية « قوانين فلكية حسابية وجبرية مبرهنة من علوم الهندسة وحساب المثلثات المستوية والكروية » لمعرفة أحوال الرؤية الثلاثة وأوقات هذه الأحوال فى جميع الآفاق واستنبطوا لهذه الأحوال بواسطة مراقباتهم للرصد فى مراصدهم الخاصة أو العامة (شروطا لكل حالة) دون أن يمنعهم عن ذلك عسر الرؤية مستوعبين بهذه القوانين المبرهنة جميع أسباب التعسير حتى صار الحساب للرؤية أضبط من الحساب للاجتماع ، ويشهد بذلك جميع كتب الحساب الفلكى التى بأيدينا .

ولما حقق هؤلاء العلماء من فلكيى الإسلام بالرصد والحساب الفلكى على صورة الشريعة الإسلامية الحالات الثلاث وشروطها بحدود الرؤية بحيث لا تتعداها كما قدمنا (استحالة الرؤية وجوازها ووجوبها) استنبط عنقذ الفقهاء فى ذلك العهد أيضا لكل حالة حكما شرعيا مناسبا . وقد نشرت ذلك تفصيلا فى مجلة الأزهر عدد رمضان سنة ١٣٧٦ .

« التنبيه الخامس » فى الرد على قول المناقشة (إن يترتب على حركة القمر حول الأرض إلا تحقق أوائل الشهور العربية فى العالم الإسلامى لاتساع رقعته) . . .

ويتبين هذا الرد من وجوه . « أولا » أن الشريعة الإسلامية لا تعترف بهذه الشهور المسماة « بالشهور العربية » وقد نبذ الإسلام من أول عهده بدء الشهور القمرية « بالاجتماع » سواء كان حقيقيا أو تقريبيا ولم يعتمد غير بدئها « بالهلال » ورؤيته .

ورأيى أن الرجوع إلى بدئها « بالاجتماع » وتسميتها « بالشهور العربية » دس على الدين الإسلامى وإعادة للمسلمين إلى العمل بأعمال الجاهلية بحجة أنها عربية .

« ثانيا » أن علماء الفقه الإسلامى لم يمنع عنهم أن يتكلموا فى هذه المسألة فيما بأعمق ما يكون فى علم الفلك فأتت عندى فى كتب الفقه الإسلامى أبحاث (لاختلاف مطالع القمر) بأوسع ما يكون منها فى كتب الفلك حتى لا تمس الفقهاء أو علماء الأزهر حاجة إلى

تعيه إنما مثل هذه العبارة البدهية (يترتب على حركة القمر حول الأرض ألا تتفق أوائل الشهور العربية في العالم الإسلامي لاتساع رقعته) .

وإنما كلام فقهاء الإسلام في « اختلاف مطالع القمر » يعلو موقف المساحة البدائي هذا إلى بحث آخر هو : هل اختلاف مطالع القمر معتبر عند الشارع كاعتبار مطالع الشمس بحيث تترتب عليه أحكام شرعية كما رتبت على اختلاف مطالع الشمس أو ليس بمعتبر ؟

هذا محل الكلام وليس لرجال مصلحة المساحة مجال الكلام في هذا المقام لتغايره جدا عن معلومات قسم البحوث بالمساحة ولم يكن مقصد الأزهر أن يسأل عنه من مصلحة المساحة . . .

كما لا ينبغي لنا أن ندخل في مناقشات معا لأن محل النقاش في هذا الموضوع يتعلق بعلمي (الفقه وأصوله) وليس من اختصاص رجال المساحة .

« ثالثا » أن المراد من قوله (توحيد بدء الشهر الشرعي) توحيد اليوم الأول من الشهر في جميع الحكومات الإسلامية لا توحيد الجزء الأول من اليوم الأول من الشهر لأن الأحكام الشرعية المتعلقة بإثبات الشهور القمرية لم تتعلق بأجزاء الأيام الأسبوعية كتعلق وجوب الصلوات الخمس بأجزاء اليوم وهي حصصه الخمس ، وإنما تتعلق « باليوم الكامل » إذ يقال صام يوما أو يومين ، وأفطر يوما أو يومين ، ويوم عيد الفطر ، وأيام عيد النحر ، وأيام التشريق ، وأيام التلبية والتكبير والتهليل ، والحج يوم عرفة ، ولا يقال صام نهار اليوم أو عيد ليلة اليوم أو الحج نهار عرفة إلى غير ذلك .

« رابعا » أن من عنده أدنى دراية من علم الفلك أو الجغرافيا الفلكية لا يخفى عليه مشاركة جميع العالم فضلا عن العالم الإسلامي في كل يوم أسبوعي كيوم السبت مثلا الذي هو مقدار دورة فلكية يومية (٢٤ ساعة) وسبب كون العالم كله لا يفوتها أن تتشارك في هذه الدورة الفلكية ، حتى أن البلاد القطبية لا يفوتها أن تشارك سائر بلاد العالم في يوم السبت هذا لوجود هذه الدورة الفلكية عندهم أيضا وإن تغيرت عندهم علامات الليل والنهار أو عدمت .

وبيان هذا الكلام يجلى عند ما نتصور أنه إذا دخل بغروب يوم السبت هذا في شرق آسيا مثلا أعني في أندونسيا والفلبين كانتا في اللحظة الأولى من يوم السبت شرعا

بينما جميع العالم لا يزال فى يوم الجمعة ، فإذا زحف هذا المغرب إلى بلاد الهند كانت هى الأخرى فى اللحظة الأولى أو الساعة الأولى من يوم السبت بينما تصير أندونسيا والفلبين فى الثالثة منه .

فإذا زحف هذا المغرب إلى مصر ابتدأت فى الساعة الأولى من السبت بينما صارت أندونسيا فى الساعة السادسة ، والهند فى الرابعة وباكستان فى الثالثة ، وإذا وصل هذا المغرب إلى مراكش كانت فى الساعة الأولى من السبت وصارت أندونسيا والفلبين فى الساعة التاسعة منه والهند فى السابعة ومصر فى أول الثالثة ، فإذا زحف إلى أمريكا صارت فى السبت هى الأخرى ومتى وصل إلى أندونسيا ثانيا ابتدأ بها يوم الأحد بينما صار كل العالم لم ينته حينئذ من السبت ، وهكذا نجد مشاركة العالم كله فى كل يوم من أيام الأسبوع وفى كل دورة يومية فلكية لليوم الواحد . . .

وإلى هنا قد علم كيف تتحقق أوائل الشهور القمرية الهلالية دون أى اختلاف فى الأيام الأسبوعية ، وأنه ليس بالمسلمين أى حاجة إلى اختلاف البدء بشهورهم بالاجتماع كما تقول المساحة فى النتيجة الحكومية . . .

والتنبيه السادس فى الرد على ما سبق من إفادة المساحة . وهو قولها : (كما أن الاقتراح المقدم من الأستاذ الشيخ محمد أبو العلا البنا لتوحيد أوائل الشهور العربية فى العالم الإسلامى وتهيئة الظروف التى تمكن من رؤية الهلال بأن يكون الحساب على أساس شروط معينة لمدة مكث الهلال ومقدار نوره وارتفاعه . هذا الاقتراح يؤدى إلى أن لا يؤخذ بالرؤية استنادا إلى عدم بلوغ الهلال الشروط التى أوردها سيادته) . . .

وأقول : إن هذه العبارة الطويلة تتلخص فى الجملة الآتية « إن مراعاة هذه الشروط فى نتيجة الحكومة تمنع من الأخذ بالرؤية » . . .

ومعناها أنه : « قد توجد رؤية الهلال قبل تحقق شروط الإمكان هذه فلا يؤخذ بها لعدم تحقق هذه الشروط » وتوضيحه : « أن الناس قد يرون الهلال ويتقدمون إلى القاضى بالشهادة فيرفضها القاضى بحجة عدم تحقق شروط إمكان الرؤية » . . .

وأقول : من أين علمت المساحة أنه « قد يرى الهلال عند عدم تحقق هذه الشروط » مع أن القائل بها فلكيون شرعيون ثقات فى الحساب والرصد والهيئة . وهل يجوز لرجال

المساحة أن يفرضوا هذه الخاتمة دون أن يكلفوا أنفسهم تجربة رصد الهلال للتحقق من حساب نتيجتهم وموافقته للرؤية ولو مرة واحدة ...

غالب ظني أن منشأ هذا الاعتقاد لرجال المساحة ما كان يقع في بعض السنين الماضية من الشهادة بالرؤية ، وإثبات الشهر بناء عليها حالة أن حساب النتيجة لم يصل إلى ما ذكره المتقدمون الأولون بل كانت توجد شهادة في بعض الأحيان والمكث في الحساب لا يصل خمس دقائق .

ولا أنكر أني كنت كذلك لا أعترض إلا على شهادة الشهود عندما يبين الحساب أن المكث أقل من (١٧ دقيقة) في القاهرة استنادا على ما كنت أتلقاه عن الشيخ الزرقاوى وصاحب كتاب الهداية الحسابية وغيرهم من فلكى قرننا هذا ..

ولكني لما اكتشفت وتحققت أن هؤلاء الشهود قد يشهدون متحوزين في شهادتهم لا بناء على رؤيتهم الهلال حقيقة ، بل بناء على حساب نتيجة الحكومة وموافقة جميع النتائج المصرية لها وإجماعهم على أن أول الشهر هذا . . .

لذلك قمت عدة رحلات مع حاملة تخصص القضاء الشرعي وبعض العلماء الثقات إلى مرصد حلوان في ليالي الثلاثين من الشهر ، لنحضر عملية التماس الهلال وتراءى مع المراقبين المندوبين من المحكمة العليا أو دار الإفتاء ، وقد كان ولم ير الهلال عند عدم الشروط المأثورة عن المتقدمين ، بل وقد نبه القضاة من حيث هؤلاء الشهود الزور لم يحصل بعد ذلك أن شهدت شهود حين انعدام هذه الشروط . .

وإذا خطأ رجال المساحة في اعتقاد أن الرؤية قد تحصل قبل تحقق هذه الشروط سببه إثبات القاضي للشهر بناء على الشهادة الخطأ ، وسبب خطأ الشهود في شهادتهم قول رجال المساحة في نتيجة الحكومة : إن أول الشهر هذا مثلا بناء على حسابهم الخطأ ، فسبب خطأ المساحة في هذا الاعتقاد خطؤهم في الحساب وعدم مراعاتهم الشروط المأثورة عن ثقات الفلكيين ، وكان خطؤهم المزدوج سببا في خطأ الشهود والقضاة وعامة المسلمين .

وبجميع ما تقدم اقترح ما يأتي :

« أولا » إنشاء جهاز حسابي فلكي يعمل على ضوء الشريعة الإسلامية ، أعني إيجاد جماعة من الموظفين في الدولة للحسابات الفلكية بحيث ومن تواطؤهم على الخطأ كشرط

عليّ الفقهاء الوثوق بالحساب الفلكى ، وأن يعملوا تحت رعاية « هيئة شرعية » كإدارة الأزهر أو إدارة المؤتمر الإسلامى ليكون عملهم دائماً فى هذه الحسابات الشرعيـة مطابقاً للقواعد الشرعية ...

بحيث تكون مهمة هذه الجماعة « حساب جداول عامة لجميع المسلمين وبقاع الأرض لأوقات الصلوات الخمس وضبط أحوال رؤية الهلال فى جميع عواصم الدول الإسلامية وكذا البلاد المهمة التى يمكن بها رؤيته لمساعدة المواسم وعمل جداول أيضاً لتعيين القبلة » .

« ثانياً » حظر نشر النتائج التى لم يوجد حسبها من هذه الجداول العامة والتى تجعل أول الشهر القمرى « الليلة التالية للاجتماع » دون تحرى الوضع الهلالى كما سبق ...

« ثالثاً » أن يراعى فى حساب الجداول العامة لأحوال رؤية الهلال الشروط الواردة عند الفلكيين الشرعيين علماء الرصد والحساب والهيئة ، واجتناب ما ورد عن الفلكيين المحدثين علماء الحساب الفلكى فقط دون أن يتحروا فيما يبدونه من الرأى فى هذه المسألة الشائكة بواسطة تكرار الرصد بأنفسهم . وخلاصة شروط المتقدمين كما يأتى :

(١) شروط إمكان الرؤية بمعنى جواز وقوعها وعدم وقوعها — أن يبلغ كل من الأقواس (مكث الهلال ومقدار نوره وارتفاعه سبع درج) أو أن يبلغ المتوسط الحسابى لهذه الأقواس (٨ درج) بشرط ألا يقل الارتفاع عن (٦ درج) فإذا نقص أحد هذه الأقواس ولو درجة واحدة تكون الحالة حينئذ حالة استحالة الرؤية .

(٢) شروط وجوب الرؤية بمعنى أن يكون الهلال واضحاً وضاء يرى ولا بد أن يبلغ المكث (١٢ درج) والنور (١٠ درج) والارتفاع (٨ درج) وإذا نقص أحدها عن هذه الحدود ولو درجة واحدة كانت حالة إمكان .

هذا ولما كانت الحكومات الإسلامية كلها واقعة فى قارتى آسيا وإفريقيا بحيث يمر عليها مبدأ اليوم الشرعى فى نحو تسع ساعات وهو مقدار لا يؤثر فى توحيد الصيـام والفطر والأعياد وسائر المواسم الدينية كما تقدم .

لذلك أقترح أيضاً أن تراعى هذه الشروط فى أبعد حكومة إسلامية نحو الغرب وهى مراكش فى النتائج التى تنشر لتكون هلالية عالمية هادية للمسلمين لا مضللة لهم .

بحيث إذا بين الحساب حالة وجوب الرؤية في مراكش ليلة الاثنين مثلاً يوضع في النتيجة أن أول الشهر يوم الاثنين وإذا بين الحساب استحالة الرؤية في مراكش ليلة الاثنين يجعل يوم الاثنين من الشهر القديم ويوضع أن يوم الثلاثاء هو أول الشهر الجديد، وإذا بين الحساب حالة إمكان الرؤية بمعنى جواز وقوع الرؤية وعدم وقوعها يرجأ تعيين أول الشهر بيوم الاثنين أو الثلاثاء ونترك الأمر لما تبينه الرؤية الفعلية وينبه على ذلك في أول الصفحة الموافقة لأول الشهر من النتيجة .

وبذلك تكون النتيجة هادية إلى تحري وقت التماس رؤية الهلال ومنظمة له لأنه في حالة تبين الوجوب في مراكش تكون الرؤية في غير مراكش من بلاد الحكومات الأخرى ممكنة ، بمعنى الجواز وقريبة من الوجوب في هذه الليلة ويصح للكل أن يلتمسوها في بلادهم قبل وصول المغرب إلى مراكش ، ومن رأى من هذه البلاد وحكم قاضيها - أبلغت الحكومة إلى الجميع حكم القضاء . . .

وأما في حالة مبدأ إمكان الرؤية في مراكش فبالطبع تكون مستحيلة في غيرها مما تختلف مطالعه عنه ويلحق بهذه الحالة ما يكون في مراكش قريباً من الوجوب إذ في هذه الحالة تتسع رقعة الإمكان وربما عمت جميع الحكومات في بعض الأحيان وهذا كله مبينه الحساب .

« الأمر الثالث مما أقترحه » :

أن يسمح لجماعة من هواة علم الفلك من خريجي الأزهر أن يتخصصوا في مادتي الهيئة والميقات ضمن أقسام تخصص المادة في الأزهر لينالوا شهادة في هذه المادة ويكونوا بعد التخرج مرجع الفتوى في الأمور الشرعية الفلكية وأساتذة التدريس فيها وليسدوا حاجة الدول الإسلامية في الوظائف المناسبة لعلم الفلك وما لها من حاجة في هذا العهد . نسأل الله التوفيق لجميع المسلمين !

محمد أبو العلا البنا
أستاذ الفلك في تخصص القضاء
بكلية الشريعة

(المجلة) جاءتنا هذه المقالة في الشهر الماضي ، ولطولها وكثرة المواد المعدة للنشر في الجزء الماضي اضطررنا إلى تأخيرها لهذا الشهر ، فنرجو المعذرة .

مصادر الشريعة الاسلامية

الاستصحاب

تعريفه : الاستصحاب في اللغة استفعال من المصاحبة وهي الملازمة وعدم المفارقة ، يقول صاحب المصباح « وكل شيء لازم شيئا فقد استصحبه . قال ابن فارس وغيره : واستصحبت الكتاب وغيره حملته صحبتي » ومن هنا قيل : استصحبت الحال إذا تمسكت بما كان سابقا كأنك جعلت تلك الحالة مصاحبة غير مفارقة » وعند أهل الاصطلاح من الأصوليين . الحكم ببقاء أمر في الزمن الحاضر بناء على ثبوته في الزمن الماضي حتى يقوم الدليل على تغييره .

فكل أمر علم وجوده ، ثم حصل الشك في عدمه فانه يحكم ببقائه بطريق الاستصحاب لذلك الوجود .

وكل أمر علم عدمه ، ثم حصل الشك في وجوده فانه يحكم باستمرار عدمه بطريق الاستصحاب لذلك العدم .

فاذا تزوج شخص فتاة على أنها بكر ، ثم ادعى بعد الدخول بها أنه وجدها ثيبا لم تقبل دعواه إلا ببينة . لأن حال البكارة ثابت من حين نشأتها فيستصحب إلى حين الدخول حتى تقوم البينة على عدمه .

وإذا اشترى إنسان طائرا على أنه يحسن الصيادة ، ثم ادعى أنه وجده غير متعلم فلا تقبل دعواه هذه إلا إذا قدمت البينة على خلافها ، لأن الأصل في الحيوان عدم معرفة الصيد حتى يدرب عليه . فاذا حصل النزاع فيها استصحب الأصل حتى يقوم الدليل على ثبوتها .

جاء في شرح مجلة الأحكام الشرعية لمحمد خالد الأتاسي ما يأتي : لو اشترى شيئا بشرط وصف مرغوب فيه ، فاختلفا في وجود الوصف وعدمه فعلى التفصيل : إن كان

من الصفات العارضة كالخبز والكتابة ، فقال المشترى ـ ليرده ـ ليس كاتبا ، وقال البائع كاتب ، فالقول قول المشترى بيمينه تمسكا بالأصل ، وعلى البائع الإثبات ، ولو اشتراه بشرط أنه سليم من العيب ثم أراد أن يرده واختلفا فى وجود العيب وعدمه فالقول قول البائع تمسكا بالصفة الأصلية ، وهى السلامة ، وعلى المشترى الإثبات » [١] .

حجية الاستصحاب :

من يقرأ كتب الأصول الحنفية فى هذا الموضوع يجد أكثر المؤلفين يحكى أقوالا كثيرة للعلماء فى حجية الاستصحاب بدون تفرقة بين نوع ونوع ، وأهمها ثلاثة أقوال وهى :

القول الأول : أن الاستصحاب حجة فى الدفع والإثبات ، وهو مذهب الحنابلة والمالكية وأكثر الشافعية وطائفة من الحنفية منهم الإمام أبو منصور الماتريدى .

القول الثانى : أنه ليس حجة فى الدفع والإثبات ، وهو مذهب المتكلمين وكثير من الحنفية وبعض الشافعية ، واختاره الكمال بن الهمام فى تحريره .

القول الثالث : أنه حجة فى الدفع وليس حجة فى الإثبات والاحتجاج به على الغير . وهو مذهب أبى زيد الدبوسى وشمس الأئمة السرخسى وفخر الإسلام من الحنفية .

ويذكرون الأدلة لهذه الأقوال ومناقشات المخالفين لها ، وبعض الفروع الفقهية التى اختلف الفقهاء فيها بناء على اختلافهم فى حجية الاستصحاب كمسألة المفقود التى سبق الكلام عليها [٢] .

وتجد القليل منهم يوردون أولا ضروب الاستصحاب وأنواعه ، ويحكى اتفاق العلماء على حجية بعضها واختلافهم فى حجية بعضها ، [٣] وهذا المسلك فى نظرنا هو الصحيح

---

[١] شرح المجلة للأتاسى ج ١ ص ٣٨ ، وانظر أيضا فتح القدير ج ٥ ص ١٣٦ ، والبحر الرائق ج ٦ ص ٣٦ والأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٢٥

[٢] راجع أصول السرخسى ج ٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٦ ، والأحكام للآمدى ج ٣ ص ١٢٣ ونهاية السول مع سلم الوصول ج ٤ ص ٣٥٨ وما بعدها وإرشاد الفحول للشوكانى ص ٢٠٨ .

[٣] انظر المستصفى للغزالى ج ٢ ص ٢١٢ ـ ٢٢٣ ، وجمع الجوامع بشرح الجلال المحلى وحاشية العطار وتقرير الشربينى ج ٢ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٧ ، وإرشاد الفحول للشوكانى ص ٢٠٨ ، وأعلام الموقعين لابن القيم ج ٢ ص ٢٢ ـ ٢٤ .

في هذا الموضوع . لأن الاستصحاب من الأصول المتفق على حجيته والعمل به في الجملة . والخلاف الحاصل بين العلماء في ذلك إنما هو اختلاف في بعض أنواعه . أو في تسمية بعضها استصحابا وعدم تسميته . كما يدل على ذلك المبادئ الفقهية التي بنى عليها الفقهاء في المذاهب المختلفة على هذا الأصل والفروع الفقهية المأخوذة منها . والتي سيأتي الكلام على بعضها .

وسنسير هنا على طريقة هؤلاء العلماء فنورد أهم أنواع الاستصحاب . ونبين ما اتفق العلماء على العمل به منها . وما اختلفوا فيه فيما يأتي :

أنواع الاستصحاب :

الاستصحاب - كما يؤخذ من تعريفه - لا يكون إلا في حكم قد دل على ثبوته في الزمن الماضي دليل من الأدلة المعتبرة . ولم يوجد بعد البحث والاجتهاد مايدل على تغييره عما كان ، وباعتبار هذا الحكم ودليله الذي دل على ثبوته يتنوع الاستصحاب إلى الأنواع الآتية :

النوع الأول : استصحاب الحكم الأصلي للأشياء ، وهو الإباحة ، عند عدم الدليل على خلافه .

وذلك لأن المقرر عند جمهور العلماء ، أن الحكم الثابت للأشياء النافعة للإنسان التي لم يرد من الشارع فيها حكم معين هو الإباحة والإذن . لقيام الأدلة العديدة على ذلك منها قوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا [١] » وقوله جل شأنه « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه [٢] » فإن خلق ما في الأرض وتسخير ما يوجد فيها وما يوجد في السموات للناس لا يكون إلا إذا كان مباحا لهم إذ لو كان محظورا عليهم لم يكن مخلوقا ولا مسخرا لهم . وقوله سبحانه : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق [٣] » فإنه سبحانه أنكر على من حرم ومنع زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به التي خلقها لمنفعة عباده ، من النبات : كالقطن والكتان ومن الحيوان : كالحرير والصوف والأوبار ، ومن المعادن : كالخواتم والدروع . والطيبات من الرزق أي المستلذات من المآكل

[١] آية ٢٩ من سورة البقرة

[٢] آية ١٣ من سورة الجاثية

[٣] آية ٣٢ من سورة الأعراف .

والمشارب ومن لحوم الحيوانات وشحومها وألبانها . وهو يدل دلالة واضحة على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة والإذن [١] .

فإذا عرض أمر بحث المجتهد في معرفة حكمه من الأدلة السمعية أو القياس أو المصلحة فإن لم يظفر به هنالك حكم عليه بالحكم الأصلي الثابت للأشياء ، وهو الإباحة .

ومقتضى هذا الأصل أن كل ما يوجد في الكون من حيوان أو جماد أو نبات ولم يرد في الشرع ما يدل على المنع من تناوله واستعماله فإنه يكون مأذونا فيه . فإذا سئل الفقيه عن حكم حيوان أو جماد أو نبت أو أي عمل من الأعمال ولم يجد دليلا شرعيا يدل على حكمه حكم بإباحته ، بناء على أن الأصل في الأشياء الإباحة ، ولم يقم الدليل على خلافه .

وهذا النوع من الاستصحاب لم يخالف أحد من العلماء في العمل به ، وإن خالف بعضهم في تسميته استصحابا .

النوع الثاني : استصحاب العدم الأصلي أو البراءة الأصلية كالحكم ببراءة الذمة من التكاليف الشرعية ، والحقوق حتى يوجد الدليل على شغلها ، كإتلاف مال ، أو التزام . فإذا ادعى شخص دينا له على آخر ، ولم يقم دليلا على إثباته اعتبرت ذمة المدعى عليه بريئة من ذلك الدين ، لأن الأصل براءة الذمة حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك [٢] وإذا أتلف رجل مالا لغيره واختلفا في مقداره أو قيمته كان المعتبر في ذلك هو قول المتلف إلا إذا أقام صاحب المال البينة على ما يدعيه ، لأن الأصل هو البراءة عن الزيادة فيتوقف ثبوتها على قيام الدليل [٣] .

وإذا اختلف الشريك مع شريكه في حصول الربح وعدمه ، فادعى صاحب المال حصول الربح وأنكر الآخر حصول الربح كان القول له استصحابا للأصل الذي هو عدم الربح إلا أن يثبت الربح بالبينة (٤) .

[١] راجع هذا الموضوع في نهاية السول مع سلم الوصول ج ٤ ص ٣٥٢ — ٣٥٨ .

[٢] الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٣٣ ومحاضرات العربية للشيخ يوسف رابح ص ٦١ .

[٣] الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٢٣ . ومجلة الأحكام بشرح محمد خالد الأتاسي ج ١ ص ٢٥ و ٢٦ .

[٤] المرجعين السابقين ص ٢٥ ، ٢٦ و ٢٨ ومحاضرات العربية ص ٦٨ .

وإذا اشترى العامل صنفاً من البضائع فادعى صاحب المال أنه نهاه عن شراء هذا الصنف والتجارة فيه ، وأنكر العامل ذلك كان قوله هو المعتبر في ذلك استصحاباً للأصل الذي هو عدم النهي [١] .

وهذا النوع أيضاً لم يخالف أحد من أهل العلم في العمل به .

النوع الثالث : استصحاب مادل الشرع على ثبوته ودوامه . كثبوت الملك عند حصول السبب الذي يفيده ، وثبوت الحل بين الزوجين عند جريان العقد الذي يفيده ، وشغل الذمة عند حصول الإتلاف أو الالتزام [٢] .

فإذا ثبت الملك لشخص بسبب من أسباب الملك كالبيع أو الإرث اعتبر الملك قائماً — مهما طال الزمن — حتى يقوم الدليل على زواله بسبب طارئ .

وإذا تزوج شخص حكمنا ببقاء الزوجية إلى أن يقوم الدليل على حصول الفرقة .

وإذا استدان شخص مالاً حكمنا بشغل ذمته ، واعتبرنا هذا الشغل ثابتاً حتى يقوم الدليل على براءتها .

وإذا توضأ شخص اعتبر وضوءه باقياً استصحاباً للحكم الشرعي وهو الطهارة الثابتة بفعل الوضوء بيقين . ويبقى هذا الحكم ثابتاً حتى يوجد ما يدل على زواله بيقين .

وهكذا كل حكم دل الشرع على ثبوته عند وجود سببه الذي يترتب عليه ، فإنه يعتبر باقياً حتى يقوم الدليل على زواله .

وهذا النوع أيضاً لا خلاف بين العلماء في العمل به . وعليه بنيت المادة (١٨٠) من من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية السابقة ونصها « تكفي الشهادة بالدين ، وإن لم يصرح ببقائه في ذمة المدين ، وكذا الشهادة بالعين » والمادة (١٨١) ونصها « تكفي الشهادة بالوصية أو الإيصاء ، وإن لم يصرح باستمرار الموصي إلى وقت الوفاة »

زكي الدين شعبان
الأستاذ المساعد بحقوق عين شمس

[١] الأشباه والنظائر ص ٣٥ .

[٢] شرح المجلة لمحمد خالد ج ١ ص ٣١ .

عيد العلم

النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتعلم اللغة الأجنبية

احتفلت وزارة التربية والتعليم سنة حميدة باحتفائها بالعلم، وإشادتها به، وتقديرها له، وتمجيدها يوما جعلته له عيدا. وهي بهذا تربط حاضرها الزاهر بماضي الإسلام المجيد، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد الخير كله لأمته، ويوجهها إلى ما ينفعها في حاضرها ومستقبلها، ويعدها في كل مناحي الحياة حتى تكون «خير أمة أخرجت للناس».

كان من أهم الأمور التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم عقب انتشار دعوته، العلم والمعرفة، فلعظم أثره الذي لا يجحد في تهذيب النفوس، وتثقيف العقول، لم يدخر وسعا في أن تكون أمته أمة متعلمة مثقفة، وأن تمسك بيدها مشعل النور والعرفان ليهتدي العالم بهديها وتضيء له سبل الحياة المختلفة.

فلما كانت موقعة بدر ووقع كثير من الأسرى في أيدي المسلمين، سعى من كان معهم ذا مال أو كان أهله ذوي يسار إلى فك إساره بالمال والفداء. ولكن كان هناك شيء لا يقل أهمية عند النبي صلى الله عليه وسلم عن المال على الرغم من حاجته الشديدة إليه، كان هناك العلم، كان هناك العرفان الذي يريده محمد صلوات الله عليه لأمته، ويريده للناس أجمعين، لما له من خير للبشرية كافة، وفائدة للإنسانية عامة، فأعلن أن من يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة فك إساره وأصبح حرا طليقا، فكان ذلك العمل الجليل والصنيع العظيم من محمد عليه الصلاة والسلام مبدأ لنشر التعليم في أمته وأساسا لمحو الأمية في جماعته.

وكان من بين أولئك الذين تعلموا القراءة والكتابة على يد أسرى بدر فتى ألمعي من أهل المدينة هو زيد بن ثابت الذي صار له فيما بعد شأن من الشأن [١].

---

[١] صار كاتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ومن أئمة الصحابة وأعلمهم بعلم الفرائض، وهو الذي تولى كتابة المصحف في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه، ونرجو أن نوفق في نشر مؤلفات في تاريخه.

حث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على طلب العلم ، وحببه إليهم بما كان يتلوه عليهم من آي الذكر الحكيم التي كانت تحث على العلم وتظهر أثره وبركته من مثل قوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقوله سبحانه : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ إنما يتذكر أولو الألباب » . وقوله عز من قائل : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وقوله جل شأنه : « وقل رب زدني علما » . وقوله جلت حكمته : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

كان يقول لهم : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (متفق عليه) . ويقول : ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة . رواه مسلم .

ورغبهم في العلم وفي تحمل المشاق والمتاعب في سبيله وفي سبيل الاستزادة منه مثل قوله « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

أراد النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أن تكون على بينة من معارف الحياة الدنيا ، وعلى علم من علوم الأمم الأخرى ، لما لذلك من أثر في نشر دعوته وفي الدفاع عنها وإحباط ما يدبر لها من مكايد ومؤامرات وما في ذلك كله من عون له في دعوته .

وكانت هجرته إلى المدينة داعية لاتصاله باليهود واختلاط أصحابه بهم ، وكانت علاقتهم به على غير ما كان ينتظر من أهل الديانات السماوية ، ومن قوم بينه وبينهم ميثاق وعهد وحسن الجوار ، فقد ساءهم أن رأوا الإسلام ينتشر ويسمو ويعلو وأن يدخل فيه الناس أفواجا ، فعملوا على الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم بالمكر والخديعة تارة وبالحرب ومناصرة خصومه أخرى .

وما وافت السنة الرابعة من الهجرة حتى ظهرت الحاجة واضحة لتعلم لغة اليهود حتى يأمن شرهم ويعرف كيدهم ، ولا يمكن أن يتم له ذلك إلا إذا كان من بين يديه ومن أصحابه من يجيد لغة الغير ويحسنها ، فندب لذلك رجلا من أصحابه عرف بالذكاء النادر وقوة الحافظة والذاكرة ، وهو إلى جانب ذلك شاب عرف عنه الجد والرغبة الملحة في طلب العلم وهو زيد بن ثابت الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم كاتم السر وكاتب الوحي .

ندب النبي صلى الله عليه وسلم زيدا لتعلم اللغة العبرية لسد حاجة الدولة الإسلامية

الناشئة ، ويكفى النبي مغبة الاعتماد على غير ثقة في اتصالاته مع هؤلاء الذين صار لهم مخالطة ، وبينه وبينهم عهود ومواثيق ، وهم كما قلنا أهل كتاب سماوى وعلى أثارة من علم بديانات الأنبياء السابقين وشرائعهم ، فهم لذلك لهم شأن وخطر خطيران بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ولدعوته .

بين النبي عليه السلام بعض جوانب المصلحة التي تعود عليه وعلى أمته من تعلم لسان العبرية بقوله لزيد . « إنه يأتيني كتب من ناس لا أحب أن يقرأها أحد ، فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو السريانية ؟ فقلت نعم . فتعلمتها » .

وفي رواية ثانية لابن سعد في طبقاته عن زيد بن ثابت قال : « لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لي : تعلم كتاب اليهود فإني والله ما آمن اليهود على كتابي »[1] .

وهكذا أوضح لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن من تعلم لغة قوم أمن من شرهم .

وقد روى هذه الحادثة كثير من المحدثين والمؤرخين بطرق كثيرة مما لا يدع مجالا للشك فيها ، وممن رواها البخارى في الأحكام وأبو داود في العلم والترمذى في الاستئذان وابن عساكر وابن الأثير وابن عبد البر في ترجمة زيد بن ثابت .

إن ندب زيد ليتعلم العبرية حادث قد يقرؤه بعض الناس فيمر عليه مر الكرام على الشيء ، ولا يعيره اهتماما ولكن الواقع أن له آثارا بعيدة المدى لا يمكن كنهها ولا يكشف سرها إلا بالتأمل والتدبر .

وقد كشف لنا الرسول صلوات الله عليه وهو صاحب دين ومؤسس دولة عن بعض السر في ذلك وبين أنه لابد أن يكون من بين أصحابه من يعتمد عليه في قراءة الكتب التي ترد عليه والتي لا يجوز أن يقرأها كل أحد .

وفي قراءة لغة الديانة السابقة وأخذها من مصادرها ، قطع السبيل على أرباب هذه الديانات إن أرادوا تحريفا أو تغييرا في ذلك الدين السماوى .

إذن فتعلم لغة أجنبية من الدين وللدين .

هذا بالنسبة لجانب الدين ، أما بالنسبة لجانب الدنيا فيكفي أن نذكر أن من تعلم لغة

---

(١) الطبقات ج ٢ ص ١١٥ ط ليدن .

قوم أمن من شرهم ، واستفاد من علمهم وثمرة أذهانهم وعرفانهم وثقافتهم ، فتعلم لغة أجنبية يضيف إلى ثقافة الإنسان ومعارفه ثقافة ثانية ، ومعارف قيمة تعينه على حياته وتفيده في كشف أسرارها ومعالمها .

وها نحن نرى اليوم كيف يفيد علماء العالم بعضهم من بعض، ولولا تعلم اللغة الأجنبية لما أمكنهم ذلك .

وليس يضيرنا أن تكون هذه اللغة لغة قوم بيننا وبينهم مودة وسلم ، أو لغة قوم بيننا وبينهم حقد وحرب ، بل كان تعلم لغة العدو أجدى على الأمة وأكثر نفعا كما يرشح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لزيد : « تعلم كتاب اليهود ، فإني والله ما آمن اليهود على كتابي » .

أبو زيد مكي
المفتش بالأزهر

« تصويبات »

في الجزء السابق

السطر الثالث من صفحة ٤١٦ (الصواب) : « وفورتها سبيل إلى تحسين النسل ، وداعية إلى إبراز أحسن خصائصه ، وأفضل صفاته ، كما أن فتور الشهوة وبرودها داعية إلى ضعف النسل » ـ بدلا من : وفورتها سبيل إلى ضعف النسل .

في هذا الجزء

السطر ١٣ من صفحة ٤٩٠ (الصواب) : دنيا أولئك المتصلفين ـ بدلا من : دنيا أولئك المتصفين .

السطر ١٣ من صفحة ٤٩٨ (الصواب) : عادت مصر ـ بدلا من : عادة مصر .

السطر ١٢ من صفحة ٥٠٠ (الصواب) : نقل حرف الجر « من » لما قبل كلمة ابتعادها لتصير العبارة : إلى الخطر الذي يواجه أوربا من ابتعادها .

تحديد النسل

فكرة صهيونية استعمارية

ضد مصر وشعوب الشرق الأوسط

وسيقضى عليها مشروع السنوات الخمس

كثر الكلام وخاصة في هذه الأيام في مشروع تحديد النسل وانزعاج الأمة من ارتفاع نسبة الزيادة سنويا في تعداد المواليد، ويقولون: إن هذه الزيادة لا تتناسب مع إمكانيات الدولة ولا مع مواردها الطبيعية. ودخلت هذه الفكرة دخولا جديا في أخص الطبقات المثقفة وانحصر النسل على أعداد وسائل منع الحمل، وانتشرت كلمة فلانة حايشة نفسها وفلان حايش نفسه أى أنهم منعوا أنفسهم باتخاذهم ما يمنع الحمل حتى أدى ذلك إلى حوادث إجهاض ووفيات ترتبت عليها قضايا جنائية، كل هذا من مفعول نشر هذه العقيدة السيئة بين الأوساط والنظر إلى كثرة التناسل على أنه حالة جاهلية وعمل رجعى، وكم يستعملون كلمة «رجعى» هذا السلاح الفاسد بغير حساب كاستعمال الأسلحة الفاسدة التى كانوا يغشون الأمم العربية بها في حرب فلسطين؛ ونشروا تقريرا صرح السيد المدير العام لصحة بلدية الإسكندرية قال فيه: «من الواجب الآن النظر جديا في مسألة تحديد النسل، لأن الزيادة في المواليد بلغت ٢,٥ . في مصر». أى وعلى ذلك سيزداد تعداد القطر المصرى بعد ثلاثين سنة – إن لاحظنا نسبة الأرباح المركبة في الحساب – إلى ضعف تعداده، أى سيكون مصر أربعين مليونا أو خمسين مليونا.

يا للهول لكثرة تعداد مصر حينما تبلغ أربعين مليونا !! هذا أمر مزعج جدا يجب أخذ الوسائل الفعالة ضد الأمة المصرية أن تزداد، سيما كل عنصر منهم معا، ستضيق بهم الرقعة الزراعية بمصر، ستقع مجاعة، ستسد في وجوههم الهجرة إلى بلاد الله، ستضيق بهم أرض الله على ما رحبت. واشتد التهويل حتى دخل مجالس الأمة! حتى لقد رمى الدكتور أبو حبيب مدير صحة البلدية بالإسكندرية الذى اهتال من نسبة الزيادة في تعداد القطر المصرى أن لا يذيعوا تقريره خوفا من «البعبع الموجود في البلد» وهم رجال الدين. يا لهول الأفكار..! ويا لهول الأوهام..! ويا لهول النظر إلى رجال الدين في مصر...! الذين هم صمام الأمن والآداب والأخلاق والذين لا تهمهم الحروب العائلية في قرى الصعيد

وغيره إلا بوعظهم وكتاباتهم الرهيبة التي تبدل الخوف أمنا، والذين أمثالهم في الأمم الأخرى لا يقول فيهم قائل مثل ما قال الدكتور أبو هيف ... فهل وصلتكم أيها الكتاب الداعون من هذه المغالطة التي لا أعرف لكم فيها عذرا إلا هذه المقارنة التي تجدونها في نسبة الزيادة عندنا أكثر من نسبة الزيادة في البلاد الأخرى حينما تقرؤون الإحصائية . . . !

وأنتم تعلمون أن الشعوب الأوربية والأمريكية لا يكاد الرجل منهم يتزوج إلا عند سن الكهولة ، والمرأة كذلك ، والزواج الشرعي والنسل الحلال لا يوجد عندهم بمثل ما يوجد في البلاد الشرقية ، ونسبة العوانس عندهم هائلة ، وكما تقول تقاريرهم ٩٠ ٪ من نسائهم فيهم برود جنسي و ٤٠ ٪ من رجالهم عندهم عقم ، وهم فوق ذلك يتخذون أسباب منع الحمل بدرجة هائلة فلا يصح مقارنة الإحصائيات بيننا وبينهم حتى نجد سببا للفرق الكبير بين حالتهم الاجتماعية والأخلاقية وحالتنا ، وكما ينادي السيد رئيس الجمهورية دائما أنه يجب أن ينبثق الإصلاح عندنا من نفس بيئتنا ومن صميم أحوالنا ، لا نجعل الغرب إماما لنا في ذلك يجب أن نبطل هذه الخرافة وأن ننظر من جديد إلى حالتنا الاجتماعية التي تخالف الغرب في الأخلاق والعادات والآداب ، ونبني عليها إصلاحنا الداخلي ونقضي على آثار الاستعمار الذي لا يريدنا أمة قوية كبيرة كثيرة .

ولو أن الأمة الإنجليزية فكرت في تحديد النسل من أربعين سنة وهولت فيه هذا التهويل الذي نجده الآن في مصر يملأ صحفها، ويثيرون به النقاش بينهم وبين رجال الدين ليوسعوا هوة الخلف بين أبناء الأمة الواحدة ، الأمر الذي لا نجده في أمة أخرى ، أقول لهؤلاء الشعوبيين مقلدي الغرب : لو أن الإنجليز فكروا هذا التفكير من أربعين سنة لما كان لهم الآن نسب وصهر في أمريكا، وأمة كبرى تناصرهم في الاستعمار وتناصرهم في العدوان على الشرق وعلى مصر ، فلماذا لا تكون مصر أمة كبرى وحينما تضيق بها بلادها يهاجر أبناؤها إلى البلاد الأخرى وتكون قوة لمصر في سائر بلاد الله .

إن القوة الدولية الآن إنما هي بالكثرة « وإنما العزة للكاثر » كما يقول الشاعر العربي ، وما هو الوعي انتشر والعلم ذاع ، وسيكون المستقبل للأمة الأكثر عددا لأنها ستكون أكثر عددا أيضا، والغرب في انقراض لسوء الحالة الأخلاقية فيه وقلة الاهتمام بالزواج الشرعي والنسل الحلال ، فهم يعرفون من أمم الشرق الأوسط في تكاثرها فهم يبثون عندنا هذه الأفكار ويتلقفها الضعفاء من الصحفيين والكتاب في بلادنا باعتبارها أفكارا تقدمية .

فاذا باب الهجرة مفتوح على مصراعيه يا دعاة تحديد النسل ... أهو الذى يتسع الى شعب لم تسعهم رقعة مصر، ولا رقعة المزروع فيها، كما وسع هذا الباب — باب الهجرة — الفائض من أمم أوربا الضيقة الرقعة فهاجروا حتى عمروا قارة أمريكا، ولم تضق بهم أرض الله. وها هو مشروع السنوات الخمس يا دعاة تحديد النسل قد أقبل، وسيحتاج لملايين الأيدى العاملة، وسيصير مشروع السد العالى ملايين الأفدنة، فهل مشروع يصنعها هذه الملايين أم يزرعها أمة مصرية ترددون القضاء عليها الآن وهم فى أصلاب آبائهم.

إن العلم الآن يوجب على مصر أن تصنع صحراويها الغربية والشرقية، وتستخرج ما فيهما من كنوز، فهل تنتظر مصر أن تأتى البعثات من الغرب وتكتشف هذه الكنوز وتكتسب التصدير لحكوماتها لتستعمر مصر مرة أخرى، كما هو الحال فى الجزائر وتتشبث بها لأجل صحرائها وما فيها؟ إن الغرب لا يطيق وجود الوعى ولا العلم فى الشرق ولا كثرة التناسل فيه وكثرة أممه، لأن ذلك ليس من مصلحة الاستعمار، لأن الاستعمار يريد أن يكون الشرق مستغلا له، والأمم التى فيه على قدر ما يحتاجه من عمال لهذا المستغل. هذه حقيقة صارخة يعمل لها الاستعمار، وأنتم يا دعاة تحديد النسل فى مصر والأمم الشقيقة تساعدونه بكل قوتكم من حيث لا تريدون، فيجب أن تحولوا جهودكم أيها الدعاة إلى تحديد النسل إلى تكثير النسل فى الأمة المصرية حتى تكون مائة مليون، وتفتح مجاهيل إفريقيا كلها وتسير عمائرها وعمرانها لشقيقها السودان الذى تفتح فيه الوعى وأخذ طريقه إلى الحضارة وأرضه تسع أضعاف أهله ألف مرة، فلماذا لا يكون مهجرا للأمة المصرية حينما تزيد كما كانت أمريكا مهجرا للانجليز؟

وهذه سيناء وقطر الحجاز وسائر جزيرة العرب تحتاج للاصلاح وتحتاج للأيدى العاملة، ومصر ستصبح بلدا صناعيا أكثر منها بلدا زراعيا وستحتاج جميع أبنائها سواعد للاستعارة منها.

وسيكون ذلك قوة لمصر كما أن العنصر الانجليزى فى أمريكا هو قوة لها، وللتقدم له شأن كما يقولون، فدعوا أيها الدعاة إلى تحديد النسل هذه الدعوة التى لبست عليكم، وهى فى الأصل فكرة صهيونية استعمارية لأجل بقاء مصر أمة صغيرة ضعيفة، لأن فى قوة مصر قوة للشرق الأوسط جميعه، وهذا هو القضاء على الاستعمار فى الشرق وحرمانه من هذه الحياة التى يعيش عليها الغرب، من شرول الشرق الذى ذاق البؤس والفقر لما انقطع عنه حين العدوان على مصر، ففكرة تحديد النسل فى مصر فكرة استعمارية قبل كل شىء ا ه

محمد عبد الموجود الشافعى

حديث «تزوجوا تكثروا»

حديث نبوي صحيح

قرأت في عدد الجمهورية ١٥٥٥ / بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ و ١٤ / ١٢ سنة ١٩٥٧ كلمة في الدفاع عن تحديد النسل ، واسترعى نظري فيها القول : بأن حديث « تزوجوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم » مطعون فيه أو مدسوس على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يرد في الكلمة دليل علمي ولا نص شرعي مقبول في رد هذا الحديث الثابت لدى أئمة الحديث والفقه الذين رووه في كتبهم ومسانيدهم ومصنفاتهم الموثوقة ، والحقيقة أنه حديث مشهور ومعروف ورد في عدة روايات ثابتة في كتب الحديث النبوي الشريف ، بأسانيد صحيحة وحسنة فقد رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ١٠ ص ١٣٧ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انكحوا أمهات الأولاد فإني أباهي بهم يوم القيامة » . الحديث رقم ٦٥٩٨ قال شارح المسند : إسناده صحيح وفي معناه حديث أنس مرفوعاً « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة قال : الهيثمي في مجمع الزوائد ٤ : ٢٥٨ رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن : وأخرجه ابن تيمية في المنتقى ٣٤١٦ .

ورواه أبو داود في السنن ولفظه : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم » اهـ ج ١ ص ٣٢٠ .

وعن معقل بن يسار الصحابي الجليل رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال له : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم » قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٧٠ – ٧١ : رواه أبو داود والنسائي والحاكم واللفظ له وقال : صحيح الإسناد .

وأخرجه ابن قدامة المقدسي في كتاب المحرر في أحاديث الأحكام ص ١٧٠ ولفظه

عن أنس رضي الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر « بالباءة » « الزواج » وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول : « تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة » رواه أحمد وسمويه وابن حبان اه .

ورواه البيهقي في السنن بلفظ « تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى » .

ورواه الطبراني في المعجم الكبير عن معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وإني مكاثر بكم الأمم » أخرجهما السيوطي في الجامع الصغير ج ١ ص ٤٣٣ ؛ وج ٢ ص ٢٧ .

وروايته بلفظ « تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة » أخرجها عبد الرزاق والبيهقي عن سعيد بن أبي هلال مرسلا . قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام ص ٢٠١ وله شاهد عند أبي داود والنسائي وابن حبان من حديث معقل اه .

وقد أخرجه السيوطي في الجامع الصغير رقم ٢٧٤٨ و ٢٧٥٠ وعزاه إلى ابن ماجه ومسند أحمد ورمز له بعلامة الحديث الحسن .

وأخرجه العجلوني في كشف الخفاء ج ١ ص ٣١١ باللفظ المشهور على الألسنة .

ومما سبق يتضح أن هذا الحديث ثابت بالأسانيد الصحيحة والحسنة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ينصح رجال الأمة بالإسراع بالزواج، وترك التبتل والعزوبة، وأن يتزوجوا المرأة الودود الولود ليكثر أتباع دينه الحنيف فيباهي بهم الأنبياء والأمم يوم القيامة .

والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

محمد عابدين

من علماء الأزهر الشريف

تحية وتهنئة وأمل ... !

« بمناسبة تعيين فضيلة الشيخ محمود شلتوت وكيلا للأزهر »

صادف اختيار فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت لمنصبه الجديد رضا من علماء الأزهر وطلابه ، وشاركهم في ذلك عارفو فضله في شتى أنحاء العالم الإسلامي .

وفضيلته غني عن التقديم ، فقد طبقت شهرته الآفاق ، ووصل حديثه إلى كل بيت ، وانتفع بعلمه العديد من تلاميذه وأذاعوه بدورهم على الناس ، وانتفع أيضا بفقهه المسلمون عامة ؛ وجدوا فيه داعية ، أهلا لما يعرض لهم من شئون دينهم ، يسوقه في غير مواربة ، ولا التواء ، ولا مجاملة .

ومصر الناهضة لم يصبح من شأنها سوى السياسة الواضحة الحازمة ، التي اختطها لها الرئيس جمال عبد الناصر ، ومن طريقها تحررت سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وأصبحت ذات إيجابية فعالة في المحيط الدولي .

وبقي لها بعد ذلك ، أن تسلم ومن ورائها العالم الإسلامي من الشرور المتطايرة ، التي يقذف به قوم أفسدت ضمائرهم وعقولهم وأصحبتهم الثقافة المنحرفة ، فهم ينظرون إلى الإسلام بعيون أعدائه ، ويطعنون على الناس بين الحين والحين ، بما يثير شكوكهم في مبادئه السمحة ، ويستغلون سذاجة المرأة وبراءتها ليخرجوها من كناسها العفيف ، لتكون لهم شيئا آخر غير الزوجة والأم لأولادهم ، باسم الحرية والحقوق المشروعة ... !

ويتكلم منهم في أحكام الشريعة — في معرض الاستدلال السقيم — من لا يدري من أحكام الشريعة شيئا ، فيشرع ويحرج ، وينفي ويثبت ، ويختار من لدنه ما اختار ، ويرفض ما رفض ، ويفرق بين الشريعة وأقوال الفقهاء في أمور متفق عليها ، الحق فيها ظاهر ، والسنة واضحة ، وهم في كل ذلك يضمنون أحاديثهم — حين يحلو لهم ، أو حين يرتفع صوت معارضيهم — تهجما على رجال الدين ، وتهكما على ما يقولون ، ويبلغ السخف بأحدهم أن عقد — في حديث نشر له — مقارنة بين رجال الدين والعلماء المخترعين ، وطالب الأزهريين بما لم يصل هو ومن على شاكلته إليه ، في أسلوب ينبئ عن نفس أقفرت من القيم الروحية ، فبعث عاصفة لا يصدرها إلا كل تافه ، وقد تصدى للرد عليه علم من أعلام الأزهر ، وفي رده الحر نلخص قوله أيها الكتاب الدجالون ، أيها المؤلفون المضللون ، إن الأزهر لم يخترع الذرة ، ولا الصاروخ ، ولا القمر الصناعي ، فهل اخترعتموه أنتم ، أو اشتركتم في اختراعه ، أو انتفعتم بنظريات المخترعين ، فاخترعتم

أشياء أخرى تخدم الإنسانية وتفيد العالم ؟ . . . . إلى آخر ما جاء في حديثه المفعم بحرارة الإيمان وقوة الدين ، وصدق اليقين . . !

وليست من رسالة الأزهريين مهاجمة أحد ، جهلا بعلومهم الدينية ، وحرصا على اتحاد الصفوف ، ولكن – في الوقت نفسه – من الخيانة للأمانة ، وكولة الإثم ، أن يسكتوا على تلك السموم التي يريد لها بعض المارقين أن تسرى في بدن الأمة لتقضى عليها ، عن جهل تارة ، وعن سوء قصد تارة أخرى ، وشأنهم في حالتهم الأولى كمن يحطم المصابيح ، ويطفئ الأنوار ، من حيث يظن أنه ينير الطريق ، ويصبح من حوامله المشاعل . . . !

أقول : لم يبق بعد تحرر مصر هذا التحرر التام ، سوى القضاء على ما يحتويها من أفكار هدامة ، تلك الأفكار التي تهددها في دينها ومثلها ، الأمر الذي يحتاج إلى حزم وعزم يصدران عن دين وخلق وعلم ، والذي قدرت حكومة الثورة خطورته وأثره على سلامة الجبهة الداخلية ، فأصدرت القرار الجمهوري بتعيين فضيلة الشيخ شلتوت وكيلا للجامع الأزهر ، فإذا استبشر الأزهريون وغير الأزهريين جميعا بهذا الاختيار الموفق ، فلأنه يعنى عندهم الكثير . . . ! إذ هو إيذان بأن يحتل الأزهر مكانه اللائق به ، ويمكن من أداء رسالته الهادية الباعثة ، التي لا يجدل فيها إلا خاسر ، والتي يرتقب دورها المسلمون في الآفاق القريبة والبعيدة . . . !

وباختيار فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ شلتوت ، لهذا المنصب الخطير ، يكون قد توافر على توجيه الأزهر وقيادته شخصيتان عظيمتان ، لكل منهما ثقافتها الدينية الشاملة ، وأفقها الفسيح بمختلف الآراء والنظريات والاتجاهات التي تنبعث من هنا أو تأتي من هناك . . !

وفي هذا الأمل كله في تجلية الشريعة الإسلامية بالوسائل المختلفة ، لتجد القبول الحسن لدى الغرباء عنها ، فضلا عن أبنائها ، مما يدفعهم إلى التمسك بآدابها والغيرة على أحكامها . وأحب ما نرجوه ويتمناه معنا كل مخلص أن يصبح الفقه الإسلامي بديلا لنا عما يذكرنا بالمستعمر من آثار قانونية ، لا تزال تحكمنا – رغم تحررنا من كافة قيوده الأخرى – وفي شريعتنا التي هي عنوان قوميتنا كل الغنى عنها . . . !

وبعد – فأسرة مجلة الأزهر يسعدها أن تقدم التهنئة خالصة للأزهر بوكيله الجديد ، كما يسعدها أن تعلن ، أن الترتيبات الكاملة بشأنها قد وضعت على يد فضيلته ، لتواصل جهادها على الوجه الأكمل ، وبالطريقة التي ترضى كل مسلم ، فتصبح المنار الهادي إلى أقوم سبيل ، والعنوان الناجح لحكومتنا الرشيدة ، التي ترحب بالآراء الصائبة السديدة ، وتتبنى وتحقق المشاريع النافعة المجيدة ما

إبراهيم أحمد الوصيل
مدير التحرير

الأزهر المنشود . . . !

لم يزل يرن في سمعي من أصداء الماضي دوي الأمم الذي كانت تهتز وتهب به جوانب الأزهر الرحيبة، فلا ينقطع إلا حين تقف هذه الحشود خاشعة في صلاتها، ترتبط أرواحها ساعة من الزمن بالجلال الأكبر، أو بصاحب الجلال الأكبر، فيطوي السكون هذا الرحاب الكبير وكأنما هذه الألوف المؤمنة قد تحللت إلى روحانية لا تسكن أجسادا، وكأنما هي معاني الإيمان والخشوع والتقوى تضمها تلك المحاريب . . . !

ولم تزل تمر وتستمر أمام خيالي صور الماضي، صور هذه الألوف المتباينة الألوان والألسنة واللهجات، الممتزجة الأرواح والعقول، المتحدة المنهل والهدف، التي طوت الأقطار والبحار، واستعذبت مرارة الأسفار، زاحفة بإيمانها لتتزود من معين الأزهر الصافي، ثم ليعود كل إلى أهله رسولا لمبادئ الإسلام السامية (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وهو لا يبغي من وراء ذلك أجرا ولا جزاء ولا شكورا . . . !

ولم تزل تتوالى أمام عيني تلك الثورات التي كانت تهتز بها أبواب الأزهر، فتنبعث فيها الأمواج الصاخبة متقحمة أسباب الموت ونذره، جارفة أمامها سلطان الغاصبين، ساخرة من نيران الظالمين، فلا تسكن حتى يستسلم عتو العتاة، وتخر أمامها جباه الطغاة . . . !

إنها صور وذكريات .. ! إنها صور مشرقة يترجم إشراقها عن العزة الشامخة، والجلال السامق، وإنها ذكريات تفور معها المشاعر، وتضطرم الأحاسيس، ويدمى الأسلوب أو تكاد. فأين نحن اليوم من كل هذا؟ شغلتنا أموالنا وأهلونا، وألهانا التكاثر، وغرتنا السيادة حينا لما حتى غدرت بنا دنيانا. اللهم ربنا جنينا على أنفسنا وجنينا على أزهرنا، ولن تعود لنا أمجادنا أو تستقر في قلوب الناس مكانة حتى يعود إلى الوجود الأزهر ينتظره المسلمون والذي يريده الإسلام ... !

يريد الإسلام الأزهر الذي تنبعث منابعه من صميم الدعوة إلى الله، ومما تحتاجه تلك الدعوة من طاقات ومن إمكانات، تأخذ بها الدعوة طريقها إلى الأسماع، ومن قلوب مؤمنة

بهذه الثقافة ، ومؤمنة قبل كل هذا بالرسالة التي تحملها ، وبخطر هذه الرسالة ، وهذه القلوب أحوج ما تكون إلى تربية دينية صادقة ، تمنحها خلقا جديدا ، وتجعلها تحيا لله وتعمل في سبيل الله ... !

ومؤسفي أن أقول : إن ثقافة الأزهر اليوم في أعظم صورها تتجه إلى تثقيف العقول ، ولا أثر لها لتهذيب الأرواح . فنحن ندرس كتاب الله ونهتم بكل ما فيه ولا نتأثر بشيء مما فيه ، ندرسه لدنيا نصيبها لا لهدى ننشده ، ندرسه دون أن نتعمق في آياته لنهذب نفوسنا بما تنطوي عليه من سمو وما تدعو إليه من خير . . !

وندرس حديث رسول الله عليه السلام ، فلا تحلق بنا هذه الدراسات إلى الآفاق التي كانت تحلق فيها نفوس الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا تولد أرواحا مثل أرواحهم ، تلك الأرواح التي جددت حياتها للدعوة ، وعاشت آمالها مع الدعوة ، وجعلت دنياها لسانا صادقا للدعوة ، وإيمانا خالصا بالدعوة ، فثقافتنا عقلية تنبعث من العقول فتتلقفها العقول ولا تأخذ سبيلها إلى الأرواح فتصنع منها ما صنعت من أرواح السابقين الأولين ... !

يريد الإسلام الأزهر الذي يؤمن علماؤه بجلالهم ثم بوجودهم وبكرامتهم وبرسالتهم ، ويؤمنون كذلك أنهم مجندون بأرواحهم وعلمهم وألسنتهم وأقلامهم لخير الإسلام والأزهر ، فلا تنحصر جهودهم في زمان ولا في مكان ، بل تنطلق من حدود زمن المستأجر إلى عمره حتى تملأ زمنهم كله تهذيبا وتعليما وتثقيفا ، كما يجب أن تنطلق هذه الجهود من مكان الرقعة الضيقة إلى رقعة الله والضمير . !

ويريد الإسلام الأزهر الذي يخلص طلابه في طلب العلم ، يبحثون مسائله ويناقشون مشاكله ويعملون في دراستهم ، ثم يفتحون قلوبهم وأرواحهم لما وعته عقولهم من علوم الدين وسيرة سيد المرسلين وكفاح المجاهدين السابقين . ولعل الأزهر بعد ذلك كله يرى جيلا جديدا قد استمد من هذه الإشعاعات كلها فينطلق في الدنيا هدى لمن طوتهم ظلمات الشكوك ، ولمن احتبست نفوسهم بين أسوار التقاليد ولمن عاشوا في مجاهل الدنيا لم يصلهم نور الإسلام ، ولم تسطع عليهم شريعة الإسلام . !

ولعل الأزهر كذلك يرى في المستقبل بعوثا جديدة ، تتغلغل في البلاد شرقها ومغربها وغير

متحصرها ، ولم يكن المال هدفها الأول الذي تطمح إليه ، ولم تكن وفرة الطعام والعيش والراح هي أمنيتها في مهجرها ... !

وإن الأزهر يوم يلمس إيمان مبعوثيه برسالتهم ، ويرى تفانيهم في أداء هذه الرسالة ، ويراهم مهاجرين من دنيا الخمول والجمود إلى الكفاح والجهاد ، ويراهم رسل سلام وإصلاح حيثما حلوا ، ويراهم يتسابقون إلى رضوان الله ويتنافسون على الإسلام ، ويوم يراهم ينكرون أنفسهم ، ولا يعنون بمصالحهم ، ولا يراءون في كفاحهم ولا تطمعهم دنيا المظاهر ، يوم يرى الأزهر مبعوثيه وعلماءه حيثما يجب أن يراهم فسيكون يوم وجوده ويوم خلوده .

أيها الأزهريون :

لقد تركتكم اليوم دنياكم جامدين ، وتركتكم قاعدين مترفين . تركتكم أرواحا ، وتركتكم أشباحا ، تركت في نفوسكم ما تدعون إليه ، وصرعت في قلوبكم ما تتهالكون عليه . فهلا هزت صيحة البعث متبلدي الإحساس لينظروا حولهم الدنيا الثائرة ، الدنيا التي لم يعد فيها عيش لخامل ولا مكان لهازل ... !

وهلا حركت إشراقة الفجر تلك النفوس الطامحة إلى البناء لتنطلق إلى بناء سلطانها قبل أن تغلب على مكانتها .. !

إن الأزهر المنشود يريد بناء جديدا على أسس وطيدة من الإيمان .

ويريد أن يفسح المجال للكفايات لتعمل وتكافح وتبني ، ويريد ألا يرى في صفوفه الأولى هزيلا ولا متطفلا ، ويريد ألا يرى في طريقه تلك الأشواك التي تعوق انطلاقه .

ويريد أن يفتح علماؤه صفحات جديدة من الكفاح الحر والرأي الحر والعمل الحر ...

ويوم يطل الأزهر المنشود على هذه الدنيا فيغمرها بنور دعوته فسيعرفه من نكره ، ويؤمن به من أنكره !

محمد محمد خليفة
المدرس في معهد القاهرة

سلاح الطيران

« في عيده الفضي »

يا فتية من بروج الخير مطلعهم ... قد حققوا المجد لم يعنوا على أحد
شبوا عن الطوق عشاقا لموطنهم ... كالعابدين طواهم خير معتقد
كانوا قليلا ورب العرش كثرهم ... حتى غدوا كنجوم الليل في العدد
جابوا الفضاء نسورا غير عابثة ... بالعاديات وما في الكون من عدد
ودمروا الخصم جل الله آمرهم ... وأقحموا البحر من حادوا عن الرشد
ليسوا من الجن لكن فعلهم عجب ... كلا بل السحر لم أنقص ولم أزد

* * *

يا ناشرين لواء النصر أجنحة ... تحمي حمى الأهل والأوطان والولد
هاتوا الكواكب نعلوها فقد ماقت ... أنفاس غدر بماق الصوت كالبد

* * *

يا صاحب النور أسطولا تجهزه ... لا تتعب النفس فالأفلاك من مددي
إنا بنو النور لا خوف ولا هرب ... ولا طلاء يغر الناس كالزبد
نحيا على الحق عدونا ملائكة ... والحرب في عينه أفعى بلا سند

* * *

يا فتية قدموا لله أنفسهم ... ولم يبالوا بعيش ناعم رغد
سيروا إلى المجد فالدنيا لكم تبع ... والله يمنحكم نصرا إلى الأبد

محمد كامل شكش
مراقب المعهد الديني شبين الكوم

عيد النصر

فى ذكرى العدوان الثلاثى

هو العيد عيد النصر هلت بشائره ... وطابت مجانيه وعمت مآثره

وباتت له الأيام وهى قريرة ... تزف به البشرى وقد فاح عاطره

وودت به الأعوام لو ظل ماثلا ... فلا شمسه تنأى ولا الليل دائره

تزهو له الدنيا ويبقى مخلدا ... وتنسى له الأزمان وهى تعاصره

ويشدو به التاريخ من شرفاته ... ويملى على الأكوان ما هو ذاكره

فما هو عيد بالقريات عمره ... ولكنه بالنصر حرت معاطره

• • •

يذكرنا العيد السعيد بساعة ... تنكر فيها الغرب واشتد ماكره

وسلح إسرائيل وفرق عصبة ... وأسكر مغرورا تجلت أواصره

ولم يكفه عاما وسبعين حجة ... قضاها على الشماء وهى توازره

فأطبق بغى وغدر وخدعة ... يريد احتلالا كى تطاع أوامره

ولكن هم الأحرار ردوا نحورهم ... ونادوا : لنا مجد هنا لا تقاصره

• • •

فأصبح عدوان الثلاثة صاغرا ... على مصر كى ينقض والشرق ناصره

أغاروا بآلاف من الأرض والسما ... كأن نذير البعث دوت مزامره

وفى طائرات البحر ما ساق بالعلا ... من الجند حتى قيل : بالشرق كاسره

هنا طائرات كالعصافير تغتدى ... فتحجب نورا من سنا الشمس باهره

ومنهـا مظلات تدلت وأزلت — على مهج فاشتد بالحر ثائره

تنـادي حبـال الشرق إن بلاده — حرام على رجس وإني لقاهره

* * *

وقاوم شعب في اعتزاز وقوة — من الحق والدنيـا تطل تناصره

ونادى غناء الأسد زأر الحمى — وقام فلاها لا تلين كواسره

وقال: هنا مصر، هنا الطهر والسنا — هنـا مصرع الباغي وفيه مقابره

فلا النيل يسقينا رحيقا ونضرة — إذا لم نزد الصـدر فيه خناجره

يهدي قنـاه في الحيـاة مذاقها — تريد جلاء الرجس فاضت كبائره

فقامت عليه دور رصيده وأطبقت — فصار عشيا خلفـه وأظافره

ومن يك ذا حق وقوتل عنده — فلا شك أن الله بالحق ناصره

* * *

لقد لقن الأعداء درسا وما رعوا — حقيقة درس طال بالشرح آخره

وغرتهم الآمال لكن غرورهم — سراب به الظمآن تكوى سرائره

ألم يحسبوا أن العروبة أوثقت — وأن بهـا شعبا من النور خاطره

ومن سيفه نار إذا الحرب أوقدت — ومن كفه نبع إذا السلم خاطره

فلم يثنه وعـد ومكر وخـدعة — ومن دأبه أن السلام مثابره

رعى الله أحرارا بنوا مجد أمة — كفاها جمالا قد سامت مفاخره

أقام لنـا فضلا تسامى على تل — وأصدى جيلا لا تحد أوامره

فأني بحمـد الله أذكر فضله — وإني عن الوطن العزيز لشاكره

حسن مهدي ...

سكرتير معهد الزقازيق الديني

لغويات

بلوغ محمد العقد الثاني من حياته

يطلق الناس (العقد) بكسر العين ، وهم يذهبون إلى تشبيه العشرة والعشرين وما بعدها بالقلادة تنتظم حبات الجوهر ، إذ كانت العشرة تنتظم آحادها ، وهكذا أخواتها . وقد يرشح بعض الكتاب هذه الاستعارة فيقول : إن فلانا لم يستوف حبات العقد الثاني من حياته .

وكنت أرتاب في هذا الشكل ، وأجنح إلى فتح العين في هذا الحرف . وكنت أرى أن العشرة – مثلا – أطلق عليها العقد إذ كان العاد يقف عندها ويعقد الحساب عليها ، وأيضا فإن هذا أتى من قبل طريقة الحساب عند العرب ، وهي الحساب بضم الأصابع ونصبها ، وكانت العشرة وأخواتها بعقد الإبهام مع غيره في أوضاع مختلفة . وورد في البخاري في قصة يأجوج ومأجوج في كتاب بدء الخلق : « عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وعقد بيده تسعين » . وعقد التسعين أن يجعل السبابة في باطن الإبهام ثم يضمهما حتى لا يبقى بينهما إلا خلل يسير . والسبابة الإصبع التي تلي الإبهام ، والمراد أن الذي فتح من سد يأجوج ومأجوج في وقت إخبار الصادق صلوات الله وسلامه عليه مثل هذا القدر اليسير . وجاء على هذه الطريقة قول الخليل [1] في انقباض كف البخيل :

كفاك لم تخلقا للندى ... ولم يك بخلهما بدعه
فكف عن الخير مقبوضة ... كما نقصت مائة سبعه
وكف ثلاثة آلافها ... وتسع مئيها لها منعه

وقد عن لي أن أجد في دواوين اللغة بيانا شافيا ، ثم أظفر بنص صريح .

ورجعت إلى المظان التي ترد فيها هذه الكلمة ، وهاك ما وقفت عليه :

---

[1] أنظر أسرار البلاغة ص ١٢٣ وانظر في الحساب بعقد الأصابع رسائل ابن عابدين ١ / ١٢٩ وما بعدها .

جاء في كتاب سيبويه ١ / ١٠٦ : « فإذا ضاعفت أدنى العقود كان له اسم من لفظه، ولا يثنى العقد » . ويقول أيضا في هذه الصفحة « فإذا بلغت العقد الذي يليه تركت التنوين والنون » ، « وكذلك العقد الذي بعده ، واحدا كان أو مثنى » . وقد ضبط (العقد) في هذه المواضع بفتح العين بضبط القلم .

وجاء في اللسان (نيف) : « وكل ما زاد على العقد فهو نيف بالتشديد، وقد يخفف حتى يبلغ العقد الثاني . . . ولا يقال : نيف إلا بعد عقد . قال : وإنما قيل : نيف لأنه زائد على العقد الذي حواه ذلك العقد . . . » وضبط أيضا العقد بفتح العين بضبط القلم .

وجاء في القاموس في مادة (نيف) أيضا . « وكل ما زاد على العقد فنيف إلى أن يبلغ العقد الثاني . . » وقد ضبط (العقد) بكسر العين في النسخة المطبوعة بالمطبعة الحسينية المصرية في سنة ١٣٣٠ هـ ، وهذا بضبط القلم ، كما لا يخفى . وقد ارتبت في هذا الشكل فرجعت إلى مطبوعة بولاق سنة ١٢٧٢ هـ التي قام على تصحيحها الشيخان قطة العدوي ونصر الهوريني ، فإذا (العقد) فيها بفتح العين ، وكذلك رجعت إلى مطبوعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ فوجدت الضبط بفتح العين ، كسابقتها . ورغبة في زيادة التحرى رجعت إلى نسخة من القاموس مخطوطة سنة ٨٩٩ هـ مقروءة على نسخة المؤلف، فوجدت الضبط بفتح العين وهذه النسخة محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٣٤ لغة) .

وفي المخصص ١٣ / ٦٦ « والنيف : ما بين العقدين منه » وفي ص ١٢٦ من الجزء السابع عشر منه . « فاجتمع في المائة ما افترق في عشر وتسعين من حيث كان عشر عشرات ، وكان العقد الذي بعد التسعين » . وضبط في الموضعين بفتح العين .

وبعد هذا أذكر أنه جاء في محيط المحيط : « العقود من الأعداد أولها العشرة وآخرها التسعون ، واحدها عقد » ، وضبط (عقد) بفتح العين ، ونقل عنه هذه العبارة بحروفها صاحب أقرب الموارد .

المشاعر : الحواس

أنكر بعض الباحثين استعمال (المشاعر) في الحواس الخمس ، وذكر أنها معالم العبادة ومواضع النسك في الحج ، ومنه المشعر الحرام ، وقد اعتمد في إنكاره على أن القاموس اقتصر على المعنى الثاني للمشاعر . فكان هذا حاديا لي على أن أنقل ما وقفت عليه .

جاء في الأساس : « وهو ذكي المشاعر ، وهي الحواس » . وفي اللسان : « والمشاعر : الحواس ، قال بلعاء بن قيس :

والرأس مرتفع فيه مشاعره يهدي السبيل له سمع وعينان »

وفي تفسير البيضاوي عند قوله تعالى في سورة البقرة : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » : « والشعور الإحساس ، ومشاعر الإنسان حواسه ، وأصله الشعر ، ومنه الشعار » ، وفسر الشهاب الإحساس بالإدراك بالحواس الخمس الظاهرة ، وذكر أن الشعور قد يأتي في معنى العلم ، وفسر الشعر الذي جعله البيضاوي أصل الشعور بالعلم الدقيق ، كما في قولهم ليت شعري . وفي حاشية الجمل على تفسير الجلالين في هذا الموضع : « والشعور : إدراك الشيء من وجه يدق ويخفى ، مشتق من الشعر لدقته . وقيل : هو الإدراك بالحاسة ، مشتق من الشعار ، وهو ثوب يلي الجسد ، ومنه مشاعر الإنسان أي حواسه الخمس التي يشعر بها » .

ويؤخذ مما أوردته أن الشعور يرد للعلم وللإحساس ، وأن المشاعر : الحواس ، ولا يقال لوسائل العلم غير الحواس مشاعر .

وهنا يعن للباحث أن يعرف مفرد المشاعر . فهل هو مشعر بفتح الميم ، أو مشعر بكسرها على لفظ اسم الآلة ؟ لم أقف على نص في هذا . والأقرب أن يكون بكسر الميم ، إذ الحاسة وسيلة الشعور والإحساس .

ويسوقني البحث في المشاعر - والشيء بالشيء يذكر - إلى ذكر شيء يتعلق بالشعور فالشعور - وإن كان يطلق على العلم - فهو أظهر ما يكون في الإحساس ، والإحساس قد يكون من غير العقلاء .

وأورد هنا شيئا من كلام لأبي علي الفارسي نقله ابن سيده في المخصص ٣/٢٢ « فقولهم شعرت ضرب من العلم مخصوص . فكل مشعور به معلوم ، وليس كل معلوم مشعورا به ولهذا لم يجر في وصف الله تعالى ، كما لم يجر في وصفه درى ، وكان قول الله تعالى في وصف الكفار (ولكن لا يشعرون) أبلغ في الذم (بالبعد) عن الفهم من وصفهم بأنهم لا يعلمون فإن البهيمة قد تشعر من حيث كانت تحس فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم . وعلى هذا قال الله تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » فقال : ولكن لا تشعرون) ولم يقل : (ولكن لا تعلمون) لأن المؤمنين إذا أخبرهم

الله تعالى أنهم أحياء علموا بأنهم أحياء ، فلا يجوز أن ينفي الله الشعور عنهم بحياتهم ، إذ كانوا قد علموا ذلك بإخباره إياهم وتيقنوه . ولكن يجوز أن يقال : ولكن لا تشعرون ، لأنهم ليس كل ما علموه يشعرونه ، كما أنهم ليس كل ما علموه يحسونه فلما كانوا لا يعلمون بحواسهم حياتهم - وإن كانوا قد علموا بإخبار الله تعالى إياهم - وجب أن يقال : لا تشعرون ولم يجز أن يقال : ولكن لا تعلمون ، على هذا الحد » .

استدراك على « التجريس »

ذكرت في لغويات الجزء السابق أن التجريس لم يرد في اللغة ، وهذا سهو ، ففي القاموس (جرس) « والتجريس : التحكيم والتجربة ، وبالقوم : التسميع بهم » . ونرى أن الوارد أن يقال : جرس بفلان (أي سمع به وندد) . وقد انحرف الناس عندما اتصل بنفسه ، فقالوا ، جرس فلانا .

محمد علي النجار

« استدراك »

في هذا الجزء

السطر ١١ من صفحة ٤٩٣ (الصواب) : الثالثة - بدلا من : الثلاثة .

السطر ٢٤ من صفحة ٤٩٥ (الصواب) : أو ربطوا بدلا من : أو زجوا .

السطر ١٢ من صفحة ٥٥٣ (الصواب) : وأخرجه ابن تيمية في المنتقى - بدلا من : وأخرجه بن تيمية في المنتق .

السطر ٩ من صفحة ٥٥٤ (الصواب) : أخرجها عبد الرزاق - بدلا من : اخرجها عبد الرازق .

السطر ٣ من صفحة ٥٦٠ (الصواب) : الطرق - بدلا من : الطرق .

مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية

عند مثول هذا الجزء من مجلة الأزهر للطبع التقت في القاهرة وفود ٤٦ شعبا تمثل ١٦٠٠ مليون من سكان آسيا وإفريقية ، وقد جاءوا إلى مصر ليواصلوا - في أعظم مؤتمر شعبي عرفه التاريخ - ما قام به مؤتمر باندونج قبل سنتين من تأييد حق الشعوب في الحرية والاستقلال وتقرير المصير . وقد خصص لاجتماعه قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة ، واختير لرئاسته السيد أنور السادات ، وسننشر في الجزء الآتي - إن شاء الله - أهم قراراته وتوصياته .

تعليقات

مسابقة الرقص

في كلية الآداب بجامعة القاهرة

في الصفحة الأخيرة من الأهرام ٣ / ١٢ / ١٩٥٧ نبأ عن مسابقة في الرقص والغناء تقيمها كلية الآداب بجامعة القاهرة بين الشبان والفتيات من طلابها .... على أن تكون الجائزة للمتفوقين منحهم المجانية في التعليم .

وهذا النبأ يحمل في طيه ما لا يحتاج إلى تعليق على خروج كلية الآداب عن رعايتها للآداب ، وأحسب أن الأمة حينما أنشأت جامعتها ، وأنشأت فيها كلية الآداب لم يكن يخطر ببالها أن تصبح الكلية حربا على الآداب ، ومهبطا للغواية ، وشرعة للإباحية في ألوان متعددة .

كانت الأمة وثيقة الأمل في أن الجامعة من أول أمرها ستغنى أبناءها عن جامعات الغرب ، وستحميهم من مفاتن الغرب ، وتحفظ عليهم شرقيتهم ، وتقاليدهم الكريمة ، وما قدرت الأمة لأبنائها في الجامعة صور تثقيف يشد من عزائمهم نحو المجد ، ويخلق فيهم العزة القومية ويغرس في نفوسهم الوطنية الجادة ، ويعلمهم وهم في مرحلة التكوين كيف يكون الخلق الكريم وكيف تتوافر المبادئ الكفيلة بإنشاء مجتمع صالح تحتل به الأمة المصرية في أكرم وضع دولي .

وفي سبيل هذه الأهداف رضيت الأمة عن طيب خاطرها بالإغداق في عطائها على الجامعة ، وإفساح المجال لها في كل ناحية تتصل بالثقافة والإنتاج ، ومن بينها كلية الآداب .

وها نحن أولاء في مرتقب عزتنا القومية ، وفي أعقاب ثورة رشيدة قامت في وجه الفساد . وأقامت نهضتنا الحديثة على أنقاض العهد الماضي ، نرى مثالب التربية الاستعمارية ، ومفاتن الغرب التي مقتناها ونبذناها تعود فتستفحل بيننا في غير حياء ،

وتبجح في غير تريث ، ولا اكتراث بالمبادئ التي يصدح بها الدستور ، وينادى بها في مسامع الأفراد والجماعات ، ويحقق بها علم النهضة على مشارف الوطن .

وفي كلية الآداب من حين إلى حين تطالعنا بما لم يكن نرضاه يوم كانت الفساد متغلغلا دون أن يكفها عن ذلك توجيه من ذوي السلطة ، ودون أن تقيم وزنا للأوضاع التي ترتضيها الأمة ، وتنأى عما لا ترتضيه .

في العام الماضي جهر نفر من أساتذة الآداب بفكرة الوجودية ، وإنكار الإله والتنصل من الإيمان بوجوده ، وتبلبلت أفكار الشباب البسطاء فترة من الزمن ، ثم كانت مسابقة الجمال في السيقان بين أساتذة الآداب مما أثار امتعاض الجمهور لهذه المهزلة ولهذا التعنت الذي يبدو بين الأساتذة ويذاع بين أبنائنا في الجامعة .

وفي هذا العام بل في هذا الشهر (ديسمبر سنة ١٩٥٧) تعلن كلية الآداب عن مسابقة في الرقص والغناء بين أبنائنا وبناتنا في الحرم الجامعي ، وهذه طامة لا تحتمل ، ويزيدها وبالا على وبال أن تكون الجائزة للفائزين في هذه المهزلة منحهم المجانية على حساب الأمة .

وقد يكون في الجامعة من هم أولى بمجانية لنبوغهم في العلم، وحاجتهم إلى المال ومهما يكن ، فإن إنفاق المال في سبيل الغواية عمل لا تستسيغه مصلحة الشعب، ولا يعد عملا جديا مسموحا به في ربوع العلم، ولا يجوز مطلقا أن تحول ربوع العلم إلى كباريهات للرقص

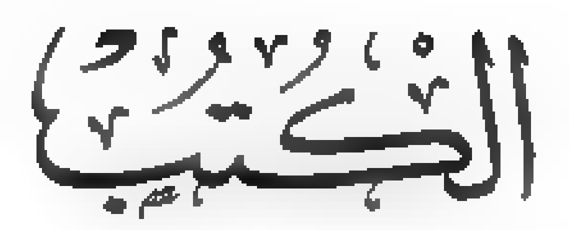
نكتب هذا ونحن في لوعة من الأسى للذيوع الإباحية قديما وحديثا من كلية الآداب، فما عسى أن يكون شأنها في توجيه الجيل الجديد إذا ترك لها أن تخترع كل يوم ما تراه تجديدا ، وتزعمه ثقافة ، وهي تحارب به الآداب وتخرج به عن كل مسلك رشيد ؟ ؟

سيقولون عنا ما يرضيهم من عقلية ، ويزعمون أننا في عزلة عن الحياة ، وفي جهالة بمسالك التربية الحديثة .

ونحن لا نرى في تعاملهم شيئا من الرشد ، ولا في نواياهم أمنا على الناشئة من أبنائنا ولا أمانة في التربية والتعليم .

وجريرة هذا كله تقع على من يقدمه ، وعلى من لا يكفه بسلطانه ، وعلى من لا ينكره بيده وقلبه ولسانه ، وقد علمنا فهل من مجيب ؟ ؟ .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير

اختصار وتعليق العلامة الشيخ أحمد شاكر - الجزء الرابع - ٢٧٠ ص - دار المعارف بمصر

تقدم لنا التعريف بثلاثة أجزاء من هذا الكتاب . وقد صدر في هذا الشهر الجزء الرابع منه ، وأوله الآية ١٢٧ من سورة النساء « ويستفتونك في النساء ، قل الله يفتيكم فيهن » وينتهي الجزء بالآية ١٢٠ من سورة المائدة « لله ملك السموات والأرض وما فيهن »

وفي هذا الجزء (ص ٢٢٥) من نفس التعليقات تصحيح فقرة منسوبة لمالك في قتل المحرم الغراب ونحوه، وصلتها بما صح عن مالك في الموطأ . وفي ص ٢٣٨ — ٢٤٠ تفسير لثلاث آيات من سورة المائدة (٩٧ — ٩٩) سها الحافظ ابن كثير عن كتابة تفسيرها . وفي ص ٢٥٩ التنبيه على كلام دسه أحد أعداء الإسلام وقع في حديث له أبو الهذيل الأودي إذ زعم ذلك الدساس أن نبي الله عيسى بن مريم كان يقرأ سورة تبارك وسورة تنزيل السجدة ، ليوهم أن في القرآن ما لم ينزل ابتداء على خاتم النبيين صلوات الله عليه . وفي ص ٢٦٢ تحقيق في خبر المائدة ونزولها على بني إسرائيل وإن لم تذكر في كتبهم ، وأن عدم ذكرها في كتبهم لا ينفي تاريخها كما ظن بعض المفسرين . وفي ص ٣١ تحقيق في توهين قصة رواها المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في آية « وما قتلوه وما صلبوه » ويرى الشيخ أحمد شاكر أنها من أوهام المنهال لأنه ليس عليها ضوء كلام ذلك العصر الزاهر بل لا تكاد ترتفع إلى مرتبة الإسرائيليات . وفي ص ٨٦ بيان أن المسمين الآن بالكتابيين من ملاحدة اليهود والنصارى في أوربا وأمريكا قد خرجوا من كل دين فلا يجوز أن يسموا بأهل الكتاب . وفي ص ٨٧ كلام على الإحصان والمحصنات وما ينزع إليه أهل الفجور من حملة الأقلام بتسمية

الإحصان «كبتا» وتسمية المحصن عليه تحققا ووجوبية . وفي ص ١٤٦ – ١٤٧ بيان أن أحكام الحدود هي من صميم العقيدة ، وأن تعطيل الاستمرار العمل بها قد أشاع الإجرام في الأوطان الإسلامية حتى غصت السجون بالناس . ولو أعلن العمل بها لكانت ناهية عنها رادعة عن ارتكاب الجرائم كما هو واقع في البلاد الإسلامية التي تقام فيها الحدود . وفي ص ١٥٥ – ١٥٨ مناظرة بين أبي مجلز السدوسي التابعي وبين جماعة من قومه يدعون مذهب الإباضية عن بعض الحكام الذين كانوا يخالفون أحكام الشرع ولا يحكمون بها مذهب ابن مجلز إلى أنهم عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا ، ولا يعدون كافرين أو فاسقين . وقد احتج بعضهم بقول أبي مجلز للذين يعطلون العمل بالشرع ويعملون بشيء آخر يخالفه كشريعة الياسق التي سنها جنكيزخان للمغول . وقد رد الأستاذ محمود شاكر على ذلك وقال إن هذا لا ينطبق على ما ذكره أبو مجلز . وفي ص ١٧٣ – ١٧٤ بيان لحكم العمل بنظام الياسق وما هو في حكمه ، وكلام عن الياسق القديم والياسق العصري . وفي ص ١٦٥ – ١٦٨ كلام على آية «وأن احكم بينهم بما أنزل الله» وأنها قد نسخت التخيير في آية «فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم» وقد نقل النص بذلك عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله . والكتاب ملىء بأمثال هذه التحقيقات العميقة .

آداب الزفاف في السنة المطهرة

للأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – ٢٠٨ ص – مطبعة دار الفكر الإسلامي بدمشق

مؤلف هذا الكتاب من أفذاذ المشتغلين بعلم السنة في العالم الإسلامي ، وله فيها مؤلفات هي في موضع التقدير من علماء هذا الشأن . وقد سبق لنا التنويه بفضله ، والتعريف ببعض كتبه . ورسالة «آداب الزفاف في السنة المطهرة» طبعت الآن للمرة الثانية بزيادات كثيرة عن الطبعة الأولى ، وقد كتب مقدمتها رئيس تحرير هذه المجلة ، وقد جمعت الرسالة أهم ما ورد في السنة المحمدية عن الزفاف والزواج وآدابها وأحكامها والتنبيه على البدع التي وقع فيها المسلمون في هذه الناحية من حياة مجتمعهم ، وفيه من الوصايا للزوجين ما يحسن بجميع البيوت الإسلامية أن تنتفع به وترجع به إلى آداب دينها وسنة نبيها لتعود رحمة الله إلى بيوتنا وتتمتع برضاه عز وجل عنا في الدنيا والآخرة .

العمل والعمال فى نظر الاسلام

الأستاذ عطية صقر بمراقبة الثقافة بالأزهر ــ الطبعة الثانية ــ ص ١٠٣

العمل مكانة عظمى فى التشريع الإسلامى ، بل هو الطريق إلى مرضاة الله لمن حسن عمله ، وإلى سخط الله على من ساء عمله . والعمل الحسن مع النية السليمة لون من ألوان العبادة فى الإسلام ، والعمل السيء فى كل ما يتصل به صاحبه بالخلق والخالق هو مدرجة الانزلاق إلى النار ، وكما أن الإحسان فى العمل ــ فى أى نوع من أنواع العمل ــ مما يرفع من مستوى الأوطان ، فإنه يرفع كذلك منزلة الإنسان عند الرب الديان . والإساءة فى العمل ــ أى نوع من أنواع العمل ــ يحط من قدر المجتمع فى الدنيا ويزيد فى عدد أهل النار فى الآخرة . وهذه الرسالة من أنفس ما كتب عن العمل والعمال فى نظر الإسلام ، وهى حافلة بالنصوص والشواهد والمثل من سيرة العاملين والعاملات فى تاريخ الإسلام . وحبذا لو اتخذ رجال الوعظ من هذه النصوص وسيلة للتوسع فى موضوعات الوعظ وإشاعتها فى طبقات العمال ؛ فإن هذه الناحية إحدى نواحى الضعف فى حياتنا وربما حيننا لو تعاونا على معالجتها بما نستطيع .

قبس من الايمان

الأستاذ كمال أحمد عون — ٧٦ ص — مطبعة الشعراوى طنطا

مؤلف هذه الرسالة من أفاضل العلماء المدرسين بمعهد طنطا الثانوى ، وقد سبق له التأليف فى موضوع المرأة فى الإسلام فأحسن فيه الإحسان كله . ورسالته هذه يحاسب فيها الملاحدة والوجوديين ، ويحاول فيها أن يزيل حيرة الشباب فيما هم معرضون له فى المحنة الفكرية الواقعة الآن بعد أن أفسد عليه الاستعمار مناهج التثقيف فى العالم الإسلامى ، وسنحتاج إلى كثير من جهود أمثال المؤلف لإزالة الحيرة عمن يريد الله لهم الخير من شباب الأمة . وقد سلك المؤلف فى رسالته مسلكين . أحدهما قبس من الإيمان ببيان ما تدل عليه الآية : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ، لعلهم يرشدون » . ثم سلك المسلك الآخر بمناقشة علمية لآراء الخاطئين وشبهات الملحدين فى القديم والحديث . وكان موفقا فيهما ولله الحمد . فنرجو الله أن يحسن ثوابه ، وأن ينفع أبناءنا الشباب بما أراده لهم من خير .

الأدب والعلوم

عيد العلم

احتفل يوم ٢٠ جمادى الأولى (١٢ ديسمبر) بعيد العلم في جميع أنحاء الجمهورية المصرية ، وانتهزت مصر هذه الفرصة لإحياء ذكرى الصلاة على مبارك أول وزير مصرى للتربية والتعليم . ووزعت الجوائز على الفائزين بها من أصحاب الإنتاج العلمى والأدبى ، كما وزعت الجوائز على أوائل الشهادات العامة والمتفوقين في الامتحانات . وفى المساء وزعت جوائز الفائزين في برنامج أوائل الطلبة . وبلغ عدد الجوائز التى وزعت على الطلبة والأساتذة وأولياء الأمور ١١٢٥١ جائزة ، منها ٣٠٠٠ تشجيعية نقدية ، و ٧٠٠ من الميداليات ، و ٢٥٠٠ جائزة من الكتب الثقافية ، و ١٢٠٠ جائزة من الشارات ، وجوائز أخرى عينية .

فائزو الأقطار الشقيقة في عيد العلم

استقبل وزير التربية والتعليم ٢٣ طالبا من مختلف المراحل التعليمية في مدارس غزة وفلسطين والمغرب وسوريا ولبنان والسودان والبحرين ، ولقد حضروا إلى مصر لتسلم جوائز الامتياز في عيد العلم وقد رحب بهم الوزير وقال لهم : إنكم في بلدكم مصر ، وبين أهلكم وعشيرتكم ، وإننا كلنا واحداً واحدا ، وأرجو لكم اطراد النمو والتفوق وأن تكونوا قدوة لإخوانكم .

مؤتمر الأدباء الثالث

انعقد مؤتمر الأدباء الثالث في القاهرة ، واشتركت فيه وفود الأوطان العربية ، واتخذ المؤتمر توصيات أهمها :

حماية الملكية الأدبية .

رعاية حركة الترجمة .

تعميم العربية الفصحى في مراحل التدريس العناية بالتراث الشعرى ، ونشر مجموعات مختارة منه .

تأليف جمعيات أدبية في كل وطن عربى تخصيص جائزة للإنتاج الأدبى الذى يهدف إلى خدمة القومية العربية .

ومما يذكر أن بعض المبشرين نزعات غريبة مما يبثه الاستعمار في مدارسه ومعاهده

تعرض للدين عما استنكره جميع العقلاء من أعضاء المؤتمر ، فانبرى الأستاذ السيد سعيد العريان الفرصة المناسبة وتكلم في هذا الموضوع بكلام حكيم كان له أجمل الوقع في نفوس الوفود الأدبية من مختلف الأقطار .

وقد دعا الأمير عبد الله السالم الصباح المؤتمر لعقد دورته الرابعة في الكويت .

التدريب المهنى
فى التعليم الثانوى والإعدادى

تقرر تعديل مناهج التعليم الثانوى والإعدادى العام ابتداء من العام الدراسى القادم ، وستعد مناهج دراسية جديدة يدخل فيها التدريب المهنى لجميع الطلبة ، فيتدربون على الأعمال الفنية العملية : التجارية ، والزراعية ، والصناعية ، وعلى الأعمال النسوية فى مدارس البنات . وستعد هذه المواد أساسيا فى تدريسها للطلبة فى المرحلتين ، وسيختار كل طالب المادة التى تناسبه للتدريب عليها حتى يمكن مواجهة الحياة العملية الفنية بعد الانتهاء من المرحلة الثانوية العامة ، لئلا يعلق آماله بالالتحاق بوظائف الحكومة التى ضاقت طاقتها بقدر ما اتسع نطاق التعليم العام .

كوكب شمسى جديد

اكتشف الفلكيون فى مرصد (زوشين شان) القريب من نانكين كوكبا شمسيا صغيرا خارج نطاق مدار الأرض ، ويدور هذا الكوكب حول الشمس فى مدار يبلغ معدل نصف قطره نحو ضعف المسافة بين الأرض والشمس .

متحف القضايا الكبرى

يتجه التفكير إلى إنشاء متحف فى دار القضاء العالى يضم القضايا المهمة ، والقضايا السياسية القديمة التى كان لها تأثير كبير فى الرأى العام ، لأن المتبع حتى الآن أن تتلف ملفات القضايا المنتهية بعد مرور خمس عشرة سنة عليها ، لا لشىء إلا لتعذر حفظ مئات الألوف من الملفات التى تضيق بها الأمكنة ولا ينتفع بها فى شىء . أما القضايا ذات الشأن كقضية مقتل بطرس غالى ، والاعتداء على سعد زغلول ، وإسماعيل صدقى ، ومقتل أمين عثمان ، والنقراشى ، وأحمد ماهر ، وقضية الأسلحة الفاسدة ، وبعض القضايا الشيوعية ، فيجب أن تظل محفوظة للتاريخ والرجوع إليها عند اللزوم .

ومما يذكر أنه لم يعثر على ملفات قضية دنشواى ، وقضية الاعتداء على السلطان حسين ، فلا بد أن تكون هناك يد قوية أمرت بنقل هذه الملفات من مظان وجودها .

أنباء العالم الإسلامي

العيد الفضي
لقوات مصر الجوية

احتفلت مصر يوم ٢٨ جمادى الأولى (٢٠ ديسمبر) بمرور ٢٥ عاما على بداية إنشاء القوات الجوية المصرية ، وقد وصفنا في ص ٥٣١ من هذا الجزء ما كانت عليه نواة القوة الجوية المصرية عند إنشائها ، وما صارت إليه عند قيام الثورة ، إلى أن أصبحت الآن في القمة العليا بين القوات الجوية في الشرق الأوسط . وفي يوم الاحتفال بهذه الذكرى خرجت أسراب عديدة من طائرات القتال (الميج) وقاذفات القنابل (الأليوشن) من قواعدها وأخذت تحلق في سماء مصر كلها . كانت المجموعات تطير في تشكيلات جميلة منتظمة ، ولا تكاد تمرق إحداها بسرعة خاطفة في السماء حتى تعقبها مجموعة أخرى ، وظل أزيز الطائرات وهدير محركاتها النفاثة مسموعا ساعات طويلة من يوم الاحتفال ، وكانت تلقي أعلاما تذكارية في أمهات المدن ، القاهرة والإسكندرية وبور سعيد والإسماعيلية والسويس وبنها وطنطا والمحلة الكبرى والمنصورة وكفر الزيات ودمياط وميت غمر والزقازيق ودمنهور وكفر الدوار والواسطى وبني سويف والمنيا وأسيوط .

الأزهر
يدعو إلى وقف التجارب الذرية

أصدرت مشيخة الأزهر بيانا باللغتين العربية والإنجليزية حذرت فيه حكام الشعوب ، والهيئات العالمية ، والمنظمات الدولية ، من التسابق — في الصراع القائم — إلى تفجير القنابل الذرية والهيدروجينية وإطلاق الصواريخ وغزو الفضاء ، ودعت العلماء والباحثين إلى التنقيب والكشف عما خلق الله في الآفاق وما أودعه باطن الأرض وأعماق البحار وتوجيهه لنفع الناس وإسعاد معيشتهم . وطالب بإنقاذ البشرية مما يساورها في هذه الأيام من قلق ، وما يحيط بها من ذعر وحيرة ، وتأمين الإنسانية من المهالك وتوفير الاستقرار والأمن والسلام للشعوب جميعا .

ملك المغرب
يتكلم في الأمم المتحدة عن الجزائر

ألقى الملك محمد الخامس ملك المغرب

خطابا في جلسة خاصة عقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٧ جمادى الأولى (٩ ديسمبر) دعا فيها لإجراء مفاوضات بين فرنسا والجزائر لحسم النزاع القائم بينهما على أساس الاعتراف بحرية الجزائريين وحقهم في تقرير المصير، وقال: إن الأهداف التي يتوخاها المغرب هي نفس الأهداف التي تعمل الأمم المتحدة لتحقيقها والتي تقوم على أساس الدعوة لإجراء المفاوضات بنية حل المشكلات بروح عصرية على قدم المساواة، فإن العالم يعيش في عصر لا تستطيع فيه دولة أن تبقى بمعزل عن الدول الأخرى، فينبغي للجميع أن يتعاونوا.

المؤتمر التعاوني الثالث

عقد المؤتمر التعاوني العام للجمهورية المصرية دورته الثالثة في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة، وبلغ عدد الحاضرين خمسة عشر ألف مواطن، وبعد أن ألقى السيد وزير الشئون الاجتماعية كلمة الافتتاح بصفته رئيسا للمؤتمر نهض الرئيس جمال عبد الناصر فارتجل خطابه التاريخي الذي وضع في افتتاحية هذا الجزء من المجلة بكثير من نواحي التوجيه التي اشتمل عليها والتي كانت موضع اهتمام الأوطان العربية والبلاد الأجنبية.

الطلاق في مجلس الأمة

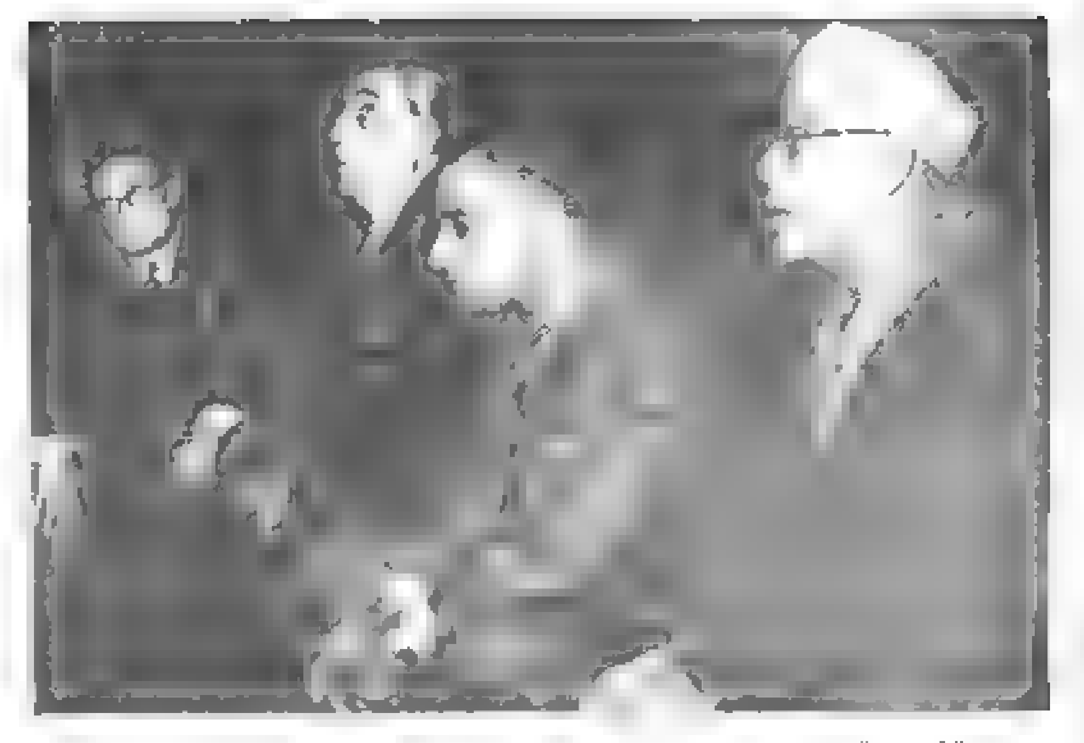
تقدم النائب حسين الحمراني إلى مجلس الأمة باقتراح مشروع قانون يقضي بتقييد الطلاق وتعويض المطلقة الفقيرة، وقرأت لجنة الاقتراحات والعرائض رفض هذا الاقتراح بالإجماع. ولما أخذ رأى المجلس في ذلك وافق على الرفض برفع الأيدي ثم بالتصفيق.

والنائب الحمراني هو صاحب الاقتراح بإعادة البغاء الرسمي، الذي فضحت إحدى الصحف مصدرها لتشجيعه قبل عرضه على مجلس الأمة، فاستنكر المجلس ذلك. وقد سبق لنا الإشارة إلى الاقتراح الأول في جزء صفر من هذه السنة ص ١٨٨.

الملاحق المصرية

يواصل الدكتور منصور المدير السابق لمرصد حلوان عمله لإنجاز خرائط توزيع الجاذبية الأرضية في شتى أنحاء الجمهورية المصرية، وبمعونة هذه الخرائط التي تحدد الجاذبية الأرضية في كل بقعة يتيسر الكشف عن مواطن الثروة المخبوءة في جوف الأرض بواسطة الأجهزة الحديثة الشديدة الحساسية للمعادن والزيوت وغيرها. وعند إنجاز هذه الخرائط ومقارنتها بالبحوث الفنية الخاصة بمسح الأراضي بأجهزة مخصوصة ينتظر أن نعرف الكثير مما تحويه أرض مصر من المعادن.

الفهرس



الرئيسان العظيمان بطلا الوحدة العربية السيد شكري القوتلي والسيد جمال عبد الناصر ومعهما السيد صبري العسلي وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر أثناء أدائهم صلاة الجمعة بالجامع الأزهر.

(بمناسبة اعلان ميلاد الجمهورية العربية المتحدة)

حكم الصور العارية

فى الشريعة الاسلامية

حكم الصور العارية
في الشريعة الإسلامية

كثر الحديث في هذه الأيام عن الصور العارية، والشكايات الصارخة بسبب عرضها للبيع، وما تثيره بعض الناس من عدم اعتبار بيعها مخلا بالآداب، وأن فيها سموا بالذوق وتنمية للوعي الفني للجيل.

وهذه الحادثة ليست بنت اليوم ولها ماض سابق، وليس أمر الصور الفاتنة مقصورا على ما يعرضه الباعة المتجولون، فهناك أشباه ونظائر في الإعلانات، واللوحات، وفي الأفلام المليئة بالمواقف الغرامية، والأوضاع المثيرة، وفي الشوارع والحدائق العامة والمصايف التي تعج في كثير من فصول السنة بالفضيحة الحية التي يضج منها كل ذي غيرة على الشرف والفضيلة، بل إن المراقص ودور اللهو في مهرجاناتها وحفلاتها، والاستعراضات التي تقام لمناسبات متعددة، تشهد ما هو أشد وأقبح وأشنع من مجرد عرض المفاتن أمام الأنظار، من صور عارية وغير عارية.

وأمثال هذه المخازي قال فيها الدين قوله، وجمهور العلماء والمصلحين برأيهم فيها، بما يذيعون من خطب ومحاضرات، وما ينشرون من كتب ومقالات. وحذروا الناس من مغبتها وأثرها السيئ في الأخلاق، وضررها على الفرد والأسرة والمجتمع كله، وأهابوا بالجميع أن يتعاونوا على صد هذا التيار الجارف العنيف.

لقد بين الدين ما يجب التزامه على كل من الرجل والمرأة حيال الآخر فيما يرجع إلى المعاني التي من شأنها إثارة الغرائز الجنسية بين الرجال والنساء من الرذائل، وأوجب كمال الاحتياط في هذا الأمر بتجنب كل ما يؤدي إلى إثارة هذه الغرائز، صيانة للشرف وحماية للأخلاق، حتى لا يتردى الناس في مهاوي الفجور والفاحشة، وحتى تحفظ الأعراض والأنساب.

أمر الإسلام بستر العورات والغض من الأبصار، وحذر من الخلوة المريبة والخضوع بالقول اللين ومن كل ما يثير الفتنة، ويوقع في شرك المعصية، والنصوص والآثار في ذلك

حكم الصور العارية في الشريعة الإسلامية

كثيرة يكفي منها قول الله سبحانه : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن ، أو بني إخوانهن ، أو بني أخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

ونقصد من هذه الآيات إلى قوله سبحانه : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » فإنه نهى المرأة أن تضرب برجلها في مشيتها مثلا حتى يسمع الرجال الأجانب صوت خلاخيلها ، ورنين زينتها ولو كانت خلف ستار بحيث لا يراها أحد من الرجال ، فإن ذلك يحرك في قلب الرجل دواعي الشر ويجره إلى الفتنة .

حرام على المرأة أن تصنع هذا الصنيع ، وحرام على من يلي أمرها من أب أو زوج أو غيرهما أن يهمل أمرها في ذلك ، وألا يوجهها فيه الوجهة الصالحة التي تطلبها الشريعة المحافظة على الآداب وشرف الأخلاق .

وإذا كان حراما أن يضرب النساء بأرجلهن ليسمع صوت خلاخيلهن ، ورنين زينتهن ولو في غير مرأى من الرجال ، لما في ذلك من إثارة أسباب الفتنة وتحريك دواعي الفجور ، فكيف يكون الحال في نشر صور النساء العاريات ، وبيعها علانية في الشوارع والأسواق .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عن محاسن المرأة إلى رجل أجنبي عنها ، حتى لا يفتن بها ، وحتى لا يكون في ذلك إفشاء الأسرار التي يحرص ذوو الشمم والمروءة على كتمانها ، وحتى يحافظ على مراعاة الذوق العام الذي يأبى التحدث في هذه الأمور ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها » . متفق عليه من حديث ابن مسعود ، ويقول « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها » ، « مسلم عن أبي سعيد الخدري » . فإذا كان مجرد التحدث عن صفات المرأة منهيا عنه ، فما بالك بالصور العارية التي هي أقوى من القول ، وأشد تأثيرا وأشبه بالمرئيات ، وامتهانا للمروءة وآداب الإسلام .

حكم الصور العارية فى الشريعة الإسلامية

إن المصلحين يضجون بالشكوى، ويبادرون بالعمل والتكاتف على صد تيارات هذا الفساد والتحلل الخلقى، الذى جره علينا الاستعمار والتقليد الأعمى لعادات الغربيين، حين يحرصون على هدم صرح الخلق والدين .

ومن المؤسف المخجل أن نعارض دعوة الإصلاح دعوة أخرى هدامة، يحمل لواءها من كان يظن فيهم أن يكونوا عونا للمصلحين على القضاء على هذا الوباء، فهؤلاء يزعمون أن فى الصور العارية ترقية للوعى الفنى وتقوية لأحاسيس الجمال، وانطلاقا من القيود الثقيلة التى كان يفرضها علينا الماضى بعقليته وتقاليده الرجعية القديمة، ويقول هؤلاء : إن الإسلام بتعاليمه وآدابه، يسمو بالذوق ويكبر أمر الجمال، ويفسح المجال للفنون والآداب الرفيعة، كى تؤدى رسالتها فى خدمة المجتمع .

ولكن ليس معنى هذا أن تطلق الغرائز والشهوات، تضرب فى كل واد وتتخطى كل حد، فإن كل حرية فى العالم محدودة ومقيدة بما لا يضر الغير، ويؤثر على المصلحة العامة، وإذا كانت هذه الصور تخدم الفن من ناحية، فإن آثارها السيئة على الأخلاق لا تدع مجالا للشك فى خطورتها، ووجوب العمل على منعها، ومما اتفق عليه المفكرون والمصلحون، أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأن ما زاد ضرره على نفعه يجب منعه، سدا للذريعة وإبقاء على مصلحة المجموع .







الجزء السابع – القاهرة في غرة رجب ١٣٧٧ – ٢١ يناير ١٩٥٨ – المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

نقطة تحول في تاريخنا

كنا تحت النظام الذي عشنا فيه على عهد فاروق وأسلافه – نزعم لأنفسنا أننا أمة، وكنا في الواقع أشتاتاً ...

كنا نحاول أن نظهر للناس بمظهر الجماعة، ونحن في الحقيقة أفراد ..

كان الواحد منا يعيش لنفسه ولو على حساب الجماعة، وينشد الكسب والمصلحة لكيانه الفردي، في عزلة عن كيان الأمة التي هو منها ..

كنا مجموعة أفراد تعد في جداول الإحصاء بالملايين، لكنها تتعامل فيما بينها مجردة من روح الجماعة، وتكافل الجماعة، وتعاون الجماعة، والتجاوب الخلقي بين عواطف الجماعة ...

كان الفرد منا أمة وحده، وإنما يعيش في الأمة ليأخذ منها، لا ليتعاون معها ...

كان الفرد منا يلقى الآخر في الطريق، فيقف ليحييه، وكلاهما يتساءل في نفسه: أي كسب يمكنني أن أصيبه من صاحبي هذا؟!.

بل كنا إذا رأينا القائمين – بمقتضى وظائفهم – على شيء من مصالح الجماعة يطاردون الخارج عليها ، أو يعنون من الهارب من الجندية – مثلا – نشعر بالعطف على هذا الخارج أو الهارب ونتمنى له السلامة رحمة به ، وربما كنا نظر إلى الرفق بالفرد الخارج عن الجماعة لفقدان روح الجماعة من بيننا ، ولأننا كنا نعيش أفرادا منفصلين عن كيان الجماعة ..

كان الموظف يدير المصابيح في غرفة مكتبه نهارا وأشعة الشمس مالئة غرفته ، وكان عداد النور ساهر يسجل ما تستهلكه تلك الغرفة من النور لحساب شركة ليبون الفرنسية يومئذ فتقتاضاه في آخر الشهر من خزينة الدولة . ولولا فقدان روح الجماعة من مجتمعنا ما كان إيراد شركة ليبون يزيد في كل شهر من مال الخزانة العامة بقدر ما كانت تسجله عدادات النور نهارا في مئات المصالح التابعة لوزارات الدولة .

وكان القائمون على مصلحة الجماعة يزينون الشوارع والطرق بالأشجار اليانعة ، عاملين بمقتضى وظائفهم ، فتمتد إليها أيدي الشباب الناشئ بالتكسير والقلع والأذى .

وكانت المظاهرات تقوم باسم الوطنية ، ويكون من مظاهر نشاطها تحطيم مصابيح الشوارع ، والاعتداء على ما تصل إليه الأيدي من المرافق العامة . . .

ومرد ذلك كله إلى أن النظام القائم في ذلك الحين كان يمكن لأفراد من أهل الثروة والملك وذوي السلطان الأعلى أن يكون لهم كل شيء ، ويحول بين الملايين من الناس وبين أن يكون لهم أي شيء .. فكانت حياتنا الفردية في جماهير الأمة رد فعل لحياة الأثرة الفردية التي كان يقوم عليها نظامنا الاجتماعي – بل الاقتصادي – تحت سلطان أسرة محمد علي .

وكان الأذكياء من المتعلمين والأميين ، ومن الموظفين والتجار والمزارعين وأرباب الصناعات وسائر الناس ، يرون بأعينهم مظاهر الأثرة الفردية في الكبراء وذوي السلطان ، فيكون لهم من ذلك أسوة سيئة في يقظة روح الجشع وحب الاستئثار ، ويتسابقون ذكاءهم في أن يعيش الواحد منهم لنفسه ، وأن يكون أمة وحده . ولذلك كان في تجار المحاصيل والأغذية والأكسية وسائر الحاجيات من يجتهد في أن يكون محتكرا لما يستطيع أن يحتكره ، أو في الأقل متعاونا مع المحتكرين . والذي لا يستطيع أن يصيب الثراء الفاحش من طريق الحلال لا يتورع عن أن ينشده من غير الحلال ، وهكذا كنا مجموعة ملايين من الأفراد الفاقدين روح الجماعة ، ونزعم لأنفسنا أننا أمة ، وكنا في الواقع أشتاتا ...

ثم قامت الثورة ...

وكانت ثورة على رواسب الشرور كلها ، ومن شر هذه الرواسب أننا كنا كالجيش لا قيادة له ، فكل فرد في الجيش يقاتل لحساب نفسه ، وكان روح الجماعة ، وهدف الجماعة ، ونظام الجماعة ، مفقودا من مجتمعنا . وكان ينبغي لنا أن نضع حدا لذلك لتتناسق جهودنا في الحياة مجتمعين ، متعاونين ، نضع لنا هدفا واحدا تحت قيادة موحدة ، لنكون أمة في الواقع ، ولتكون جهود هذه الأمة منسجمة يعم خيرها كل من ينتظم في سلكها . وهذا أول ما حاولته الثورة ، وكان عملا عظيما حقا .

ولأجل أن تعالج مرضا ينبغي لك أن تشخص أعراضه ، وأن تحصر أسبابه ، وأن تستأصل تلك الأسباب . وكان مما لا يختلف فيه طبيبان من أطباء المجتمع أن السبب الأول لحياتنا الفردية استئثار الأقوياء من ذوي السلطان بينابيع الثروة والرزق في البلد ، وأول ما يعالج به مرض الفردية بتر جذور المستأثرين ، وإباحة أسباب الرزق الحلال لكل من يطلب الرزق الحلال ، فيكثر سواد العاملين منهم ، وتضمحل أسباب الحياة الفردية ولو بالتدريج ، ثم يدرك الناس لذة التعاون ، ويرتد إليهم روح الجماعة ونظام حياتها .

هذا هو معنى الإصلاح الزراعي .

هذا هو معنى المادة السادسة عشرة من الدستور : « تشجع الدولة التعاون ، وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها » .

هذا هو معنى سياسة التصنيع ، والعزم على إنشاء الصناعات الكبرى لتستوعب الأيدي العاملة وتجندها في ميادين العمل والكسب لأفرادها وللكيان الاجتماعي .

ولتحقيق هذا المعنى تعمل الدولة في مجال العمل الوطني والدولي لإقامة السد العالي بين يدي النيل الأعظم ، لتعود لمصر مكانتها تحت الشمس .

هذه أعمال اقتصادية في الظاهر ، وأنا أراها أعمالا للأخلاق والفضائل في الحقيقة ، والأخلاق والفضائل من روح الدين .

الغنى من طريق الأثرة طغيان ، وكاد الفقر أن يكون كفرا .

فإذا تكافأت الفرص للكسب الحلال ، وكانت الطرق إليه ممهدة ومباحة لكل عامل على قدر جهوده وإخلاصه وكفايته ، شعر الناس حينئذ بلذة الحلال ، وشعروا

كذلك ثمرات التعاون ، وعلموا أن لكل عمل ثمنا على قدره ، وأن للإخلاص في العمل وتحري الإحسان فيه ثمنا على قدر هذا الإخلاص وهذا الإحسان ، وتحولوا بذلك — ولو بالتدريج — من الحياة الفردية إلى الحياة الاجتماعية .

بذلك يكون الناس في نشاطهم الاقتصادي كجيش له هدف وقيادة موحدة ، وكل فرد فيه يعمل متضامنا مع المجموع لغرض مشترك في نظام محترم من الجميع .

إن الأنظمة الاقتصادية التي تفيد منها الطبقات كلها هي التي يتحول بها أفراد الأمة من حياة الذئاب إلى حياة الجماعة الإنسانية المتعاونة . وهي — في الوقت نفسه — مدرجة إلى التحلق بفضيلة التعاون ، وفضيلة التعاون ذروة عالية في نظام الإسلام .

هذه النتيجة الخلقية لهذا التحول الاقتصادي ستأتي بالتدريج ، وسيكون تحقيقها أسرع وأنجح بقدر ما يتعاون على ذلك الدعاة الهداة من وعاظ الأزهر ، مع المصلحين من رجال الاجتماع والاقتصاد ، والمربين في فصول المدارس ، وولاة أمور الجيل الجديد في المنازل من آباء وأمهات .

إن أبناء الجيل القائم ينبغي لهم أن يعلموا أن الزمان قد استدار ، وأن الطغاة الذين كانوا قدوة سيئة لغيرهم في الأنانية والحياة الفردية قد زالوا إلى غير رجعة ، وأنما يجب علينا لأبنائنا من رجال الغد ونسائه أن نكون قدوة حسنة لهم في بث روح الجماعة والتعامل بفضائل التعاون ، لينشأ النشء الجديد مؤمنا بأمته ، مندمجا معها ، متعاونا مع كل من يتصل به ويتعامل معه على كل ما ييسر للجميع أسباب الحياة الهنيئة .

سنكون إن شاء الله أمة عاملة صالحة في وقت قريب أو بعيد ، شئنا أو أبينا ، وسيكون موعد ذلك أقرب كلما كثر فينا مشخصو مرضنا الوبيل ، مرض الأنانية والحياة الفردية ، وكلما كثر الدعاة إلى معالجته والشفاء منه ، والمؤمنون بأن روح الجماعة أعون للفرد على السلامة والفوز والنجاة من الأنانية التي يقاتل صاحبها في ميدان الحياة منفردا بلا معين .

سنكون أمة عاملة صالحة شئنا أو أبينا ، لأن الزمان استدار ، ونحن في نقطة تحول من تاريخنا ، وكان ذلك رأس مقاصد الثورة منذ قامت ، فلنتعاون على التعجيل بتحقيق هذا المقصد لننتقل منه إلى مقاصدنا النبيلة الأخرى .

ومن أعظم مقاصدنا النبيلة الأخرى بعث قوميتنا العربية في المجتمع الإنساني ، لتستأنف رسالتها العظمى في التاريخ .

إن القومية العربية رسالة عظمى ما زالت معطلة منذ أكثر من ألف عام ، ورسالة القومية العربية أقدم من تاريخها المكتوب . إن أكثر هذه الكتب المؤلفة في التاريخ العربي والإسلامي ألفت بعد تعطيل رسالة القومية العربية ، وبعد أن كفت يد العروبة عن مواصلة القيام برسالتها . لقد قامت القومية العربية برسالتها مدة قرن وبعض قرن ، فأوجدت هذا العالم الإسلامي الذي نعتز به والذي يملأ أنحاء الأرض ، ونشرت لغة الضاد والآداب العربية والفضائل الإسلامية تحت كل نجم ، ويعترف لها أعداؤها بأنها قامت في التاريخ بمعجزة عجزت عن مثلها دولة الرومان وكل دولة أخرى عرفها الناس ، والذين كتبوا التاريخ الإسلامي بعد أن كفت يد العروبة عن مواصلة القيام برسالتها كان بعضهم مخلصا عبث في تصانيف ما ألفه نظرات وخصوصا عن سر تلك المعجزة وعظمة أبطالها ، وكان بعضهم الآخر شعوبيا حينما تصور لنا أبطال تلك المعجزة بغير صورهم الحقيقية ، ودس في سيرهم ما لم يكن منها ، فنشأنا مقصرين في معرفة أقدار أولئك الأبطال ، ولم نعرف لهم فضل إدخالهم أسلافنا في الإسلام، وفضل تكوينهم كيان العروبة في أوطانها الحاضرة . ومن حسن الحظ أن الفقرات والنصوص التي نجدها في كتب المؤرخين المنصفين منسجمة مع سيرة أولئك الأبطال وبأمر أعمالهم، بل النصوص التي دونها عنهم الصادقون من رجال الحديث كالبخاري ومسلم ومن في منزلتهما، ستصحح تلك الأخطاء في تاريخنا ، وستعين على تجريده مما دسه فيه الشعوبيون والمغرضون .

يجب علينا — لإقامة كيان القومية العربية — أن نعيد النظر في كتب التاريخ العربي والإسلامي التي نعلمها لأبنائنا ، فإن الأخطاء المدسوسة فيها حالت بين أمتنا وبين اعتزازهم بالذين خاطبهم الله سبحانه في كلامه وهو أصدق القائلين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، ومن أوكد الإصلاح الواجب علينا أن نبادر إلى تجريد التاريخ العربي والإسلامي مما يعارض هذا الخطاب الإلهي ، ولا ينسجم مع المعجزة التي قام بها المخاطبون به ، وأن نعرف أبناءنا بأقدار أسلافهم العظام الذين كونوا هذا الكيان العربي وأوجدوا هذا العالم الإسلامي .

والآن فإن القومية العربية تستأنف كيانها من جديد ، إنها في أيام مولدها الثاني . إن السنة التي نحن فيها سيتم فيها إن شاء الله اتحاد مصر وسوريا تحت لواء العروبة توطئة لاتساع دائرة هذا الاتحاد ، حتى يحتضن بذراعيه القويتين كل ناطق بالضاد . إنها خطوة مباركة سيكون لها ما بعدها ، وكلما خطونا خطواتنا الأخرى بعدها بسداد وحكمة وبصيرة نيرة فسيكون ذلك لخير الإنسانية كلها بعون الله وقوته . غير أن هذا العبء جسيم ، وأول ما يجب علينا لتحقيقه أن نكون من أهل العزائم الماضية الذين يربأون بكيانهم القومي أن يختنق بهذه الخطوط التي أقامها الاستعمار لحدود مصطنعة في داخل الوطن العربي الأكبر لم يصنعها الله ولم يصنعها عباده من أبناء لغة القرآن ، وإنما صنعها لهم أعداؤهم لتكون القصعة الكبيرة مجزأة إلى أجزاء صغيرة يسهل على العدو ازدرادها . إن دعوة الحق هذه موجهة إلى شباب العروبة في كل مكان ليبصروا أنهم على مفترق الطرق ، وفي نقطة التحول من تاريخهم . إن تاريخ العروبة يواجه الآن حدثا عظيما سيصحح فيه خطأ وقعت فيه الإنسانية قبل أكثر من ألف سنة ، يوم كفت يد العروبة عن إكمال الرسالة التي هيأها الله لها . ويوم كانت للعروبة رايات ظافرة تخفق في آفاق الدنيا البعيدة لم يكن للوطن العربي الأكبر حدود مصطنعة في داخل أرجائه . كان العرب أمة واحدة يوم كانت ترفرف عليهم روح الجماعة ، ويوم كانوا يزحفون من جميع أنحاء أوطانهم لحماية حدود وطنهم الأكبر ، وليتعاونوا مع دولتهم على البر والتقوى . ثم فقدت الشعوب العربية روح الجماعة بين أوطانها كما فقدت مصر روح الجماعة بين أفرادها ، فكان ذلك فرصة للشعوبية ثم للاستعمار في أن يبيض فساده عليهما ويفرخ في خير البلاد وأمصاره .

وكما قامت الثورة المصرية أول ما قامت لإنقاذ مصر من رواسب الحياة الفردية بما يشاهده الناس وبما أثبتنا في وصف نماذج منه ، فإن ثورة العروبة قائمة الآن كذلك لإنقاذ الكيان العربي من رواسب الحياة الفردية بين الأوطان العربية التي مزقها الاستعمار بالحدود المصطنعة لئلا تتجاوب قلوب العرب النابضة بالشوق الشديد إلى استئناف كيان العروبة من جديد . ومن سعادتنا نحن أبناء هذا الجيل أن يكون مولدها الثاني بمشهد منا ، وأن يتم الاتحاد بين مصر وسوريا في عامنا هذا ، إرغاما للشيطان الصريح وحزبه ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا .

وبعد فإننا لسنا وحدنا، إن الله معنا، وما تم لنا حتى الآن من خير فإنه من صنع الله، وكلما توخينا الإصلاح ، وبذلنا ما في وسعنا ليكون أقرب إليه ، فإن الله يقيض لنا من عباده من يؤيدنا ويعيننا وييسر لنا مهمتنا .

أنا أراقب هذا الكيان العربي منذ كنت أيام دراستي الثانوية ، وأترقب يقظته ونهضته للقيام برسالة الإسلام التي أعده الله لها من الأزل . إن نهضة العالم الإسلامي كله في انتظار يقظة العروبة لتعود إلى المهمة الإنسانية الكبرى التي قادها إليها أبو بكر وعمر وإخوانهما على الحق والخير . ومسئولية انحراف العالم الإسلامي سيسألنا الله عنها معاشر الناطقين بالضاد قبل أن يسأل عنها أي شعب آخر من شعوب المسلمين . وسيستقيم العالم الإسلامي كله في طريق الحق يوم يعرف العرب طريقهم إلى الحق وتسير قافلتهم إلى أهدافها . وأغلب ظني أن أعداءنا يعرفون ذلك ، وهم يقيمون في طريقنا من العوائق ما لم يقيموه للذين تنكروا للإسلام من قادة الحكم في بلاد إسلامية أخرى . ولكنهم إن تنكروا لنا ليمنعونا من حمل رسالاتنا إلى الإنسانية فإن الله أرحم وأكرم من أن يخذلنا في مواقف الحق والخير .

وأنا أكتب هذا بعد انتهاء مؤتمر عظيم عقد في القاهرة ، واشتركت فيه ست وأربعون دولة ، وكانت الوفود فيه تمثل ألفا وخمسمائة مليون من سكان آسيا وإفريقية ، وهم أكثر من نصف سكان الأرض . إن اجتماع كلمة هذا العدد من البشر على ما يخالف الظلم وأهله ، وإعلانهم التعاون على وضع حد لطغيان الاستعمار في فلسطين والجزائر ، وفي كل مكان ، لهو حادث عظيم في تاريخ الإنسانية ، وكلما ازداد تنظيم التعاون بين البشر على مثل ما قرره مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوي ، فإنه سييسر لنا وللشعوب العربية المهمة التي نحن ماضون في سبيلها . ولن يحول بيننا وبين القيام برسالتنا إلا التقصير في الاستعداد لها بما يتناسب مع خطورتها من أخلاق وعزائم واضطلاع بأسباب القوة ، فإن القوة لتأييد الحق رأس الفضائل ، وقوة السلاح لا تعد قوة كاملة ما لم يكن لها عون من قوة الأخلاق والروح الدينية ، وهذا ما يجب على رجال الدين ورجال التعليم ورجال الإصلاح أن يوجهوا إليه كل عنايتهم ، لنتخلص سريعا من جميع أسباب الضعف الخلقي والمادي ، ولنعلم جميعا أن الضعف جريمة لا يغتفرها التاريخ لأصحابها .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٥٧ —

الناس في دينهم طبقات متفاوتة
والقرآن يخاطب كل طبقة بما يلائمها

> « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » .

١ — سياسة القرآن تتجه إلى الناس اتجاها واحدا في دعوتهم جميعا إلى الخير ، وصرفهم جميعا عن ملابسة الشر ، وتتجه إليهم اتجاها متفاوتا في تقدير منازلهم ، وتخاطب كل طبقة بما يلائمها . فأهل الإيمان والامتثال لهم حظوة عند الله ، ولهم من القرآن خطاب كريم ، وأسلوب رحيم .. وأهل العصيان عليهم سخط من الله ، ولهم من القرآن خطاب غير كريم ، وأسلوب غير رحيم .

٢ — وإذ كانت غاية الإسلام تهذيب أخلاق الناس ، وإصلاح شأنهم عامة ، وجب في حكمة الله أن تكون دعوتهم إلى الخير على غرار واحد .

وإذ كان الناس في إقبالهم على دعوة الإسلام أتباعا لميولهم ، وشيعا في اختيارهم وجب كذلك في حكمة الله أن يتلطف القرآن في قصصه وبيانه عن الفريق الإيجابي ، وأن يقسو في هجوه ورواياته بشأن الفريق السلبي .

وهذا وضع حكيم ، وتمييز عادل بين من جنحوا إلى اليمين ، ومن انحازوا إلى الشمال .

٣ — وإنها لسنة الله لنا في المجتمع ، نقتدى بها في معاملة من يسالمنا في صفاء ، ويصادقنا على الحق ، ومع من يخاصمنا في عنت ، ويرفض الحق بالباطل ، فما ينبغي أن يسوى بين المحسن والمسيء .

٤ — هذا قبس نستمده من حديث القرآن مع محمد — صلى الله عليه وسلم — مرة في جانب المستجيبين للدعوة ، ومرة أخرى في شأن المناوئين لها .

ففي جانب الأولين يعلم الله نبيه كيف يتلقاهم إذا وفدوا عليه ، وكيف يبشرهم بما أحرزوا عند ربهم ، ويقول له في ذلك : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم » .

فهؤلاء نخبة من القوم هداهم الله إلى صراطه المستقيم ، فتحامل عليهم كفار قومهم وحاولوا أن يبعدهم النبي من مجلسه ، ولكن الله انتصر لهم ، وعلم نبيه أن يستقبلهم بتبليغهم سلام الله إليهم ، وأن يبشرهم بأن الله كتب على نفسه الرحمة ، وأن يفسر لهم هذه الرحمة بأن من عمل منهم سوءا — بجهالة — ثم تاب من بعد عمله ، وأصلح فيما بقي من حياته ، فإن الله غفور رحيم ، وبهذه البشرى يطمئنون على أنفسهم مما كانوا يخافونه ، ويتقبلون الوعد الكريم ، ويفرحون بأن لهم عند ربهم تلك المكانة المرموقة التي لم يظفر بها من يعاديهم .

وهذا وعد الله لكل تائب من ذنبه إذا أصلح عمله بعد توبته ولم يكن متلاعبا فيها .

وعمل الذنب تمحوه التوبة مطلقا ، سواء أكان عن جهالة بالحكم ، أم عن علم به ، ما دام المذنب لا يأتيه مستحلا له ، ومستبيحا لمحارم الله وداثبا على ذلك ، فإن هذا كفر لا يمحوه غير الإيمان من جديد .

وذكر الجهالة — في قوله تعالى : « من عمل منكم سوءا بجهالة » — ليس شرطا في قبول التوبة بل ذكر لبيان الشأن في المذنب ، أعني أن القصد من ذكر التنبيه على أن عمل السوء من شأنه ألا يكون إلا عن جهالة ناشئة ، أو جهالة اختيارية عن لا يحوده علمه عن مقارفة الذنب ، فيكون جاهلا حكما ، والعلم الذي لا يكف صاحبه عن التورط في عمل السوء هو والجهل سواء .

وهذا توجيه حميد إلى أنه لا ينبغي لعالم بالحكم الديني أن يتشبه بالجاهل في عمل السوء ، فإن ذلك التشبه نزول عن مكانة كريمة يستحقها ذو العلم ، إلى مكانة وضيعة يهبط إليها الجاهل بسبب جهله .

وإلى هنا يتضح تكريم الله سبحانه للمستجيبين، ورعايته لهم بتمييزهم على من عداهم.

٥ — أما الفريق السلبي فإن القرآن يقسو عليهم، ويحط من شأنهم، ويلقن النبي – صلى الله عليه وسلم – كيف يشعرهم بهوان مراتبهم، ويسخر من تخيلهم، ويتبرأ من مطاوعتهم فيما يقترحون عليه.

وهنا أربعة أوامر صريحة، يتلقاها النبي – صلى الله عليه وسلم – في نسق واحد، وفي كل أمر منها تقريع، وتهكم، ومهانة لأولئك الراغبين عن هداية الله.

الأمر الأول: «قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله»، وهذا قطع لأطماعهم في مطاوعة النبي لهم وعبادته لآلهتهم التي أشركوا بها مع الله.

الأمر الثاني: «قل لا أتبع أهواءكم»، وفي هذا ترفع من النبي عليه السلام عن متابعة هواهم، وفيه تسجيل عليهم أنهم على غير بصيرة، وإنما هم يخوضون في باطل.

ثم زيدهم تجريحا بقوله: «قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين» يعني أن مطاوعتكم ضلال، فلا أحد بأحدكم حتى لا أكون مثلكم من غير المهتدين.

الأمر الثالث: «قل إني على بينة من ربي، وكذبتم به» يعني قل يا محمد: لست صاحب فكرة أدعوكم إليها كما تزعمون، ولست مخترع دين كما تفترون، بل أنا على حجة بينة من عند ربي، وهي القرآن الذي أنزله الله ولم يجعل له عوجا وأنتم مكذبون به.

وما دمت أنا وأنتم على طرفي نقيض من الأمر فلكم دينكم ولي دين.

الأمر الرابع: «قل: لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم» يعني: تطلبون مني أن آتيكم بعذاب عاجل، أثبت به صدق دعوتي، وتستعجلون الوعيد الذي أعدكم به من عند الله كما تحقق وعيد الرسل من قبل لأمم سابقة، ولكن الله الذي أمهل كلا منهم بذنبه لم يشأ أن يعاجلهم بهلاك، ولم يجعل الأمر إلى اختياري، ولا من تصرفي، ولو كان في مقدوري لأنفذته فيكم تصديقا لوعيد الله، وتخلصا من معارضتكم لدينه، وبهذا كان يقضى الأمر بيني وبينكم، ولكن الإمهال لا يغركم، ولا يخلف الوعيد فيكم، فذلك هذا إلى أجل مسمى عند الله «والله أعلم بالظالمين» فلن يفلت واحد من وعيده، وإن هذا القول فصل، وما هو بالهزل، «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

وبعد : فهذا موطن من مواطن العبرة، يساق فيه القصص الحق ، ويتناول جانب العقيدة ، والعمل ، والخلق ، وهو منهج القرآن في تهذيب البشر ، والاتجاه بهم إلى أكرم وضع إنساني يحمل الناس على مودة مع ربهم ، وعلى إخاء فيما بينهم ، ويكفل لكل فرد أن يكون في نعمه راضيا ، وأن يكون آخذا نصيبه في حدود العدل ، وقائما بواجبه في ظل الوفاء والإخلاص .

ولو أن الناس أرهفوا أسماعهم للقرآن كما ينبغي لطربت له نفوسهم ، ولوجدوا الخير كله في آياته ، ولأدركوا أن للقرآن خير نغمة تبتهج لها القلوب ، ولأصبحت دعوة النصحاء محببة إلى كل ذي وعي .

ولكن الناس انشغلوا بلهو الحياة ، وتهافتوا على مباهجها في غير اتزان ، فثقلت عليهم كلمة التقوى ، ونبذوا كل موعظة ، حتى أصبح من العسير على ذوي الألباب أن يميزوا بين المسلم وغير المسلم من رجال ونساء ، إذ أصبحت المجاهرة بالمجون شيئا مألوفا ، ولم تعد الغيرة ذات سلطان على الرجل ، ولا الاحتشام حلية للمرأة في أوساط الشباب ، وخيل إلى كثير من الغافلين وذوي الميوعة أن الدين والتدين من خصائص قوم دون آخرين وهؤلاء يعيشون في جو خاص ، ولا صلة لهم بدين ينتسبون إليه ، وهكذا وهى خلق ، ورباء خلق نشئ في موجة التقاليد الزائفة التي ابتلينا بها ، وروجت لها الدعاية الإلحادية من أناس حملوا الأقلام الطائشة ، واستخدمتهم بالنقود جهات معادية للإسلام .

ومهما يكن من تصدع الجانب الديني عند أناس ، أو في هيئات : فستظل دعوة القرآن في قوتها ، ومثابرتها على قرع الأسماع ، ومقاومة الباطل ، وهداية الناس إلى باب التوبة ، وباب التوبة مفتوح أمام ابن آدم ما دامت به روح ... والله يهدينا ويجعلنا من التوابين اهـ

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

آخر الوصايا النبوية

— ٢ —

> من الأدب النبوي — باب أبي بكر — مدى الطاعة لأولي الأمر — حماية ووقاية — باب عظيم من أبواب الفضل — أجمع الوصايا — آخر الكلام النبوي .

عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : يوم الخميس ! وما يوم الخميس ؟ ثم بكى حتى بل دمعه الحصى ! فقلت : يا ابن عباس ، وما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال : ائتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي ، فتنازعوا — وما ينبغي عند نبي تنازع — وقالوا : ما شأنه ؟ أهجر ؟ استفهموه ؟ قال : دعوني فالذي أنا فيه خير ، أوصيكم بثلاث . أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . قال : وسكت عن الثالثة ، أو قالها فأنسيتها .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم [*])

(*) في كتاب الوصية كما قدمنا في الجزء الماضي ، وقدمنا فيه أيضا مواطن رواياته في صحيح البخاري حيث اخترنا روايته في جوائز الوفد من كتاب الجهاد . وآخرها « ونسيت الثالثة » من غير شك .

لما قفل النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، أخذ يضاعف اهتمامه بشئون أمته ، علاوة على شغله الشاغل بلقاء ربه ؛ وقد أراد أن يشعرهم بقرب هذا اللقاء تمهيدا له ، وتأدبا بأدب الله عز وجل لعباده ، في إعلامهم بالبلاء قبل نزوله ، رأفة بهم ورحمة ، فجلس على المنبر يوما فقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ، فبكى أبو بكر رضي الله عنه ! وكان أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريد ! فقال يا أبا بكر لا تبك ! إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر .

• • •

لم تكن هذه الخطبة النبوية الحكيمة مهادا للمصاب الأعظم فحسب ، بل كانت إلى ذلك مهادا لاختيار أبي بكر ، كي يضطلع بالأمر من بعده ! فإنه بما جمع الله له من المزايا التي لم يجمعها لغيره ـ أقدر أصحابه على احتمال هذا العبء الجسيم وأولاهم به .

ولقد هم ذات يوم صلوات الله وسلامه عليه ، أن يعهد للصديق عهدا صريحا لا مجال للجدال فيه ، ولكنه عدل عما هم به اكتفاء بالإشارة الواضحة في خطبته ، ولئلا يكون العهد أو الاستخلاف سنة متبعة ، تغلق باب الاجتهاد والشورى والنصح للأمة ، وتفتح عليها من أبواب الهوى والشر ما لا طاقة لها به .

• • •

فهل كان يريد صلوات الله وسلامه عليه ، أن يسجل في الكتاب الذي دعا إليه ، ما هم به قبل ثم عدل عنه ، من خلافة أبي بكر ليس غير ، أو يضم إليه من بعده من الخلفاء على الترتيب ، إلى عهد بعيد أو قريب ، أو يجمع إلى ذلك من مهمات الدين وأصول السياسة ما لا يقبل اختلافا ولا تأويلا ؟ ! فقد كان يخاف على أمته شر الاختلاف وضلال التأويل ، كما كان يخاف عليهم أشد الخوف فساد ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة ! !

ومن هنا كان لا يفتأ يأمرهم بتقوى الله والسمع والطاعة لمن يتولى أمرهم ويقودهم بكتاب الله تعالى ، ولو كان عبدا حبشيا كأن رأسه زبيبة ، ما أقام الصلاة ولم يأمر بمعصية ، فإن ترك الصلاة أو أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، كما كان يوصي الولاة بالعدل

والرفق ، ويبشر من رفق منهم بأمته أن يرفق الله به ، وينذر من شق منهم على أمته أن يشق الله عليه ، ومن غش أمته ولم ينصح لها أن يحرم الله عليه الجنة ! ! !

• • •

وأياما كان الذي يريد كتابته صلوات الله عليه ، فقد كفانا مئونته بما ترك فينا ، مما لو تمسكنا به لن نضل أبدا : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

على أنه استبدل بالكتاب الذي عدل عنه ، ثلاث وصايا تعتمد عليهن الأمة في سلامة بنائها ، وحفظ كيانها ، ودعم قوتها ، واجتماع كلمتها :

إخراج المشركين من جزيرة العرب :

والمراد بالمشركين كل من لم يرتض الإسلام دينا ، والمراد من جزيرة العرب الحجاز خاصة ، مكة والمدينة واليمامة وما وليها .

لا جرم أن الفتنة مع المشركين أينما حلوا ، وبقاؤهم في مهد الإسلام ، وموطنه الأول ، مما يثير عواصف الفتن ، ويهيج كوامن الإحن ، ويرجع بالوبال على المشركين أنفسهم ؛ فإخراجهم من الحجاز إذا حسبة لهم ورحمة بهم ، ذلك إلى الوقاية من شر فتنتهم ، وسوء طويتهم .

ولقد شغل الصديق عن إنفاذ هذه الوصية بقتال المرتدين ومانعي الزكاة حتى أنفذها الفاروق رضي الله عنه كما أشرنا إلى ذلك في حديث جلاء اليهود أوائل العام السابق .

وإجازة الوفد .

والإجازة العطية . وكانت جائزة الفرد في عهده صلى الله عليه وسلم أوقية من فضة ، وهي أربعون درهما . والمقصود إكرام الوافدين على البلاد الإسلامية ، وإعانتهم من بيت المال ، مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، كل على حسب مكانته ومنزلته ، في غير إسراف ولا معصية . وذلك باب عظيم من أبواب الفضل والبر الذي يدعو إليه الإسلام ويحض عليه ، وفيه من تأليف القلوب وبشاشة النفوس ورعاية المصالح العامة ما الإسلام أحق به وأهله .

• • •

قال راوي الحديث ، وسكت عن الثالثة أو قالها فنسيتها .

وقد روى الحديث سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فجائز أن يكون كل من هؤلاء الرواة هو القائل ، والذى روى عنه هو الساكت ، وفى سنن أبى داود : قال ابن عباس : « وسكت عن الثالثة » إلخ ...
إلا أن صاحب الصحيح لم يذكر هذا الوجه ، ورجح أن القائل هو سليمان ، فالساكت إنما هو سعيد ... ولا يعنينا من هذا الخلاف إلا صبغة الشك التى تنبئ بتحرى الرواة وبلوغهم للغاية القصوى فى أمانة النقل .

• • •

وبعد فماذا عسى أن تكون هذه الوصية الثالثة ؟ .

أهى إنفاذ جيش أسامة بن زيد لغزو الروم ؟ .

ويؤيده أن الصحابة لما اختلفوا فى إنفاذه على أبى بكر رضى الله عنه ، أخبرهم أنه صلى الله عليه وسلم عهد إليه بإنفاذه عند موته [1] ا .

أم هى وصاته بكتاب الله عز وجل ؟ .

ولا ريب أنها أجمع الوصايا وأعظمها ، ويدل لذلك ما قدمناه قريبا فى الجزأين : الرابع والخامس .

أم هى قوله : لا تتخذوا قبرى وثنا ؟

ويؤيده أن هذا النهى جاء فى موطأ مالك مقرونا بالنهى عن بقاء دينين بأرض العرب .

أم هى الصلاة وما ملكت أيمانكم ؟

ويؤيدها أنها آخر ما تكلم به النبى صلى الله عليه وسلم ، كما فى سنن أبى داود والنسائى ومسند الإمام أحمد .

• • •

لقد ثبت أن هذه الوصايا كلها كانت أواخر كلامه صلوات الله وسلامه عليه وهو يودع هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى ، لكن خاتمتها الحقيقية لا النسبية ، هى الصلاة وما ملكت أيمانكم ، لا جرم أن فى هذه الخاتمة من الحكم النبوية والنفحات الربانية ، ما نرجو قريبا أن نقبس بتوفيق الله ومشيئته قبسا مشرقا منها

طه الساكت

---

(1) شرحنا حديثه فى ج ٤ م ٢٤ .

الأجيال الحديثة

مسئولية المربين عنها

مساكين هذه الأجيال . استقبلوا الدنيا في ظروف حربية، أكثر ما فيها مزعج مقلق يزهد فيها ويرغب عنها ، استقبلوها لا على أغاني الحب ، وأناشيد السلام ، ولكن على أصوات القنابل ، وزئير المدافع ، وصليل السيوف ، وفي نار العلم التي تحرق ، لا في نوره الذي يضيء . فقد انصرف العلم إلى المخترعات الحربية يضاعف من قواها في الفتك والتدمير ، وجد في ذلك حتى قطع أشواطا أشبه ما تكون بالأحلام والمعجزات ، وأصبح لا وقاية للبشرية من أخطارها وإن استعصمت ببطون الكهوف أو ذرى الجبال أو أعماق البحار، وصار اسم الحرب معناه الفناء الشامل والخراب العام، كما استقبل الأجيال دنياهم في ظروف معاشية قاسية تظاهرت على قسوتها جملة من العوامل الحربية والسياسية ، وأصبحوا يعانون من ضرورياتهم المعاشية ما يرهق ويضني ، وحرم أكثرهم لذائذ العيش ولم ينعموا بما كان ينعم به السابقون من آبائهم وأجدادهم رغم مظاهر الحضارة البراقة ، وصار الحديث عن الماضي المعاشي حديثا لديهم يكادون يعدونه ضربا من الأحلام ، أو نوعا من الأساطير، ولم تستطع وسائل الترفيه الحضاري تعويضهم ما حرموا منه من رخاء وأمن واستقرار .

واستقبلوا الدنيا كذلك في جو اجتماعي خانق سادته روح المادية وأوجد التنافس عليها نوعا من القطيعة بين الناس ، وساءت علاقات بعضهم ببعض ، وفقدت الثقة بينهم وضعفت صلات التواد والتعاطف ، وانصرف كل إلى همه لا يعنيه من شئون غيره شيء ولو كان ذا قربى ، وصار للرذيلة فلسفة وفلاسفة يحللونها ويسوغونها ليدفعوا عن أنفسهم تهمة العيب والتقصير ، وليفروا من المسئوليات الدينية والخلقية التي تفرضها عليهم الأخوة الإنسانية ، وشاع في الجو الاجتماعي روح التحلل الخلقي وتغيرت نظرة الناس إلى العلاقات الجنسية ، وهانت لديهم الحرمات ، وصار للتشرف والمروءة معان غير ما تنبها الأديان وترضى عنها الأوضاع الخلقية الصحيحة ، وخلق التطور المفاجئ في بعض الأمم هوة عميقة بين هذا الجيل والأجيال السابقة واختلفت نظرات كل منهم

إلى العادات والتقاليد ، بينما ترى الأجيال السابقة جدواها إذا بهـذا الجيل ينظر إليها في كثير من الشك والارتياب ، وبين تشبث كل منهما برأيه تنشأ المشكلات ، وتشتد الأزمات .

في هذا الجو العائلي الصاخب ، وفي هذه الأجواء الخلقية المضطربة تنشأ الأجيال الحديثة حائرة قلقة تحوطها عوامل الخوف والانزعاج وتجري بها سفينة الحياة في بحر لجي مصطخب الأمواج ، ينشدون الأمن والاستقرار ليذوقوا طعم الحياة حلوا لذيذا كما ذاقها آباؤهم من قبل ولكن يخيب واقع الحياة آمالهم ويردهم أشد ما يكونون قلقا وحسرة ، يسيرون في طرق مشتبهة المعالم لا ترى غايتها ولا تجد مخرجا ، وزاد في قلق الأجيال وبلبلة خواطرهم أن ظاهرت أقلام السوء على النيل من تقاليدنا الدينية والقومية وزلزلت إيمان الشباب بها وبفائدتها في استقرار النفوس وتكوين الشخصيات ودعم الأخلاق ، ولم تستطع تلك الأقلام الهدامة أن ترشد هؤلاء إلى ما يقوم مقام هذه المقررات في نفوسهم ، فظل الشباب يعاني من الحيرة والقلق وتصدر تصرفاتهم صورة لنفوسهم غير مرضية ولا مستقيمة ، ويحاولون أن يجدوا من ظروفهم السابقة ما يبرر تصرفاتهم ويدفع عنهم اللوم والمؤاخذة .

ولقد أحس عقلاء العالم بمشكلة الأجيال المعاصرة من نواحيها المختلفة وبضرورة التفكير السريع في علاجها ليردوا إليهم إيمانهم بالحياة وبالقيم الطيبة التي تنظمهم بانسجام في سلك المجتمع الذي يعيشون فيه وينتمون له ، واختلفت الأنظار في علاج تلك المشكلات باختلاف أحوال الأمم ونسبة تفاقمها في كل شعب ، إلا أن هناك علاجا مشتركا تقع مسئوليته على رجال الدين وعلماء الاجتماع لأن هؤلاء هم المختصون بما يتعلق بالطب لهذه المشكلات ، وإن كان ذلك لا يعني أنه ليس على غيرهم من رجال المال والاقتصاد شيئا من المسئولية فيه فتأمين الشباب على مستقبلهم الاقتصادي له حظه في اطمئنانهم النفسي ، وفي انصرافهم إلى العمل ونشاطهم فيه ، وتشجيعهم الإمكانيات الاقتصادية على تكوين الأسر والعيش في ظلالها إعفاء لهم وإبعادا من حياة الضلال والاستهتار .

على رجال الأخلاق في العالم أن يتدارسوا مشاكل الشباب في الأمم المختلفة وهي متشابهة متشاكلة ، وعلى ضوء هذه الدراسات الفاحصة الناقدة يصفون العلاج ويوصون الشعوب والحكومات بأخذ الشباب به والسير على نهجه ، وعلى رجال الاجتماع مثل ما على

رجال الأخلاق ، وفي الدراسات الاجتماعية مجال واسع للدرس والتمحيص ، ورجال الاجتماع أشد إحساساً بهذه المشاكل وأقدر على تقصي الأسباب والعلل ، وقد يكونون هنا أقدر على تشخيص الداء ووصف الدواء ، ورجال الأديان أعظم مسئولية من أولئك جميعاً وأوفر حظاً من القدرة على الأخذ بيد الشباب إلى النهج السديد والطريق الرشيد ، بيدهم أن يعتمدوا على مكانة الدين في نفوس الشباب واحترامهم الفطري لتعاليمه وخشيتهم من عواقب التفريط فيه ، وأن يستثمروا هذه المعاني فيهم ، ويبنوا على هذه الأسس ، وإنها لصالحة للبناء والتكوين ، والدين عصمة من الزلل ، ومعاذ من الخطل ، ومسكن للنفوس الحائرة ، ومصحح للعقائد الزائغة ، والمنهج الواضح للعمل في الحياة في هدوء واستقرار .

وسيجد رجال الدين في محاولاتهم عناء وعنتاً وسيقطعون أشواطاً طويلة قبل أن يبلغوا القصد ويصيبوا الهدف ، فقد جفا الناس الدين وصار غريباً لديهم ، وصار المتكلمون به غرباء ، وأصبحوا في حاجة إلى كثير من الصبر وسعة الصدر ، وإلى شيء من اللباقة وحسن العرض وبراعة الأسلوب ليأنس بهم الشباب ويستجيبوا لهم ويلوذوا بهم . وعلى الحكومات قبل ذلك كله أن تضرب على أيدي السفهاء من أرباب الأقلام الضالة التي تزين إلى الشباب حياة الفوضى وتدعوهم باسم الحرية الكاذبة إلى احتقار المقررات الدينية بأنظارهم القصيرة وعقولهم الكليلة وتسوقهم إلى مهاوي الضلال ودركات الانحلال .

وإن أخذ النشء بتعاليم الدين أنجع علاج لهذه المشاكل وهي في نفوس الصغار أشد تأثيراً ، وأبقى أثراً ، وأثبت جذوراً ، وتظل مدى الحياة مهيمنة على تصرفاتهم وميزاناً لأعمالهم . وما اختلفت أحوال الشباب إلا من بعد ما غلبت الثقافات المدنية في الشعوب ثقافاتهم الدينية وضعف وازع الدين في نفوسهم ، وصارت أهواؤهم وعواطفهم بواعث أعمالهم ودوافع نشاطهم .

إن مشاكل الشباب هي مشاكل الأمم في مستقبلها القريب ، فشباب اليوم رجال الغد ، وسيكون بأيديهم زمام الأمور في الشعوب ، فإن صلحوا صلحت واستقرت ونهضت ، وإن زلوا هبطت بهم إلى دركات الفوضى ومهاوي الشقاء . وليس بكثير على الحكومات أن تبذل جهودها لتقوم من أخلاق الشباب وتصلح من شئونهم ، وكل جهد يبذل في هذا الميدان فهو جهد محمود القصد ، نبيل الغاية ، طيب الثمرات ؟!

أبو الوفا المراغي

حول تعـــــدد الزوجات

ثارت في هذه الأيام زوبعة هوجاء حول تعدد الزوجات والطلاق تهدف إلى منع التعدد وتقييد الطلاق ، وطرقت هذه الزوبعة باب مجلس الأمة ، ولكن لجنة الاقتراحات رفضت الاقتراح . وكان المنطق يقضي بأن تقف الزوبعة عند هذا الحد ولكن سيدة عضوا بمجلس الأمة أبت إلا أن تتزعم الحركة وتدافع عن الاقتراح دفاعها عن حق للمرأة مهضوم طال أمد استبداد الرجال به وقد كانت بعيدة عن الميدان فأما وقد صالت وجالت في ميدان مجلس الأمة فقد مكن لها الزمان أن تسترد حقها المهضوم وتستخلصه من أيدي الظالمين . ثم حدث بعد ذلك أن تقدم مندوب تونس إلى لجنة شئون المرأة والطفل إحدى لجان المؤتمر الأسيوي الأفريقي باقتراح يقضي بألا يجوز الزواج والطلاق إلا بأمر من القاضي ، ولا ندري أيقدر هؤلاء خطورة موقفهم بالنسبة لموضوع عشه الدين السماوي الذي أنزل على محمد بن عبد الله من جميع أطرافه وبينه أوفى بيان واهتدى بهديه المسلمون من وقت نزول هذا الدين وعلى مشهد من الرسول الأمين إلى يومنا هذا وأحاطه رجال الدين عما يصونه وبينوا للناس أن هذا سبيل المؤمنين : « ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

ونريد أن نبين أن دين الإسلام الذي شرعه الله لسعادة البشر ما كان ليهدر مصلحة المرأة في تشريع تعدد الزوجات وفي تشريع الطلاق وهو الذي عني بتكوين الأسرة الصالحة وتحديد واجبات كل فرد منها في حال الخطبة وفي حال الزواج والمعاشرة وفي الرضاع والفطام وفي المراهقة والشيخوخة وبعد الموت للذكر والأنثى ، وهو الذي منح المرأة حرية الرأي والملكية والمعاملات المالية ، وقد نادى رسول هذا الدين في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع على مشهد من المسلمين من جميع بقاع الأرض « اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله » والحق أن التشريع الإسلامي قد اشتمل النساء بما لم يرض عنه وحفظ لهن إنسانيتهن وأخذ لهن على الرجال المواثيق ، فلهن عليهم حقوق كما لهم عليهن حقوق وتساوت رؤوسهن ورؤوس الرجال حين قال : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

تلك إشارات وصور لما منح الله المرأة من العناية في التشريع الإسلامي حتى في تشريع تعدد الزوجات وسيتبين ذلك . أما أصل الزواج فقد شرعه الله ورغب فيه رسوله لأن به يحفظ النسل وتتكون الأسر ومنها تتألف الشعوب والأمم وبذلك يتم نظام الكون ويحصل العمران ، وكل من عنده مثقال ذرة من عقل يعرف ذلك وأظن أن السيدة أمينة شكري لا تعترض في أصل الزواج وإنما تعارض في تعدد الزوجات ولنا معها وقفة ، أما السيد مندوب تونس المحترم ، فماذا يريد بقوله أن عقد الزواج لا يجوز إلا بأمر القاضي ؟ أيريد أن عقد الزواج المستوفي شروطه الشرعية إذا حصل بدون أمر القاضي يكون باطلا ؟ إن كان يريد ذلك فهذا بأخف تعبير خطأ فاحش لا يقره عليه الدين وبتعبير آخر هو خروج على الدين أو خروج من الدين ، أم يريد بذلك الاستيثاق للزواج والاطمئنان على الزوجية والأنساب وحقوق الأولاد وهذا ما يظن بمثله فليطمئن سيادته إلى أن الحكومة المصرية بإرشاد رجال الدين قد احتاطت لذلك بتشريع المأذون المكلف بأن يشهد العقد ويطمئن على استيفائه شروط صحته ويحرر له ثلاث وثائق وثيقة للزوجة ووثيقة للزوج والوثيقة الثالثة للحكومة تسجل وتحفظ . فعلى مؤتمر الشعوب الآسيوية الأفريقية أن يأخذ هذا النظام الدقيق الصحيح عن حكومة مصر المسلمة .

وأما تعدد الزوجات فنريد أن نبين للناس وفي مقدمتهم السيدة عضو مجلس الأمة سرا عظيما من أسراره ربما يكون قد خفي على بعض الناس ، نحن مؤمنون بأن دين الإسلام الذي هو دين الفطرة دين عام لجميع البشر كما قدمنا قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) ولقد عمر الأرض عنصر الرجال والنساء ولكن عنصر النساء أكثر أفرادا في أقطار الأرض وإذا لاحظنا أنه يزداد كثرة بالحروب التي تفني الكثير من الرجال وتطرد الزيادة أيضا بما يقوم به الرجال من الصناعات الثقيلة والأعمال الشاقة في المناجم والمحاجر ومنابع البترول وما يتعرضون له من مخاطر فوق متون الهيجات والبحار وتحت مياهها وفي المواصلات إلى غير ذلك من أهوال قد تودي بحياة كثير من الرجال كان من حكمة الحكيم العليم أن صان عنصر النساء بتشريع تعدد الزوجات ليحصن كل رجل بالزواج من يستطيع حمايته من النساء مثنى وثلاث ورباع كل على قدر استعداده فالدين كما رغب في الزواج لحفظ النسل وتكوين الأسرة رغب في تعدد الزوجات صيانة لعنصر النساء الذي تطرد زيادة أفراده على عنصر الرجال . والمخاطب بهذا التشريع المؤمنون ، وشأنهم أن يتقوا الله في أنفسهم ،

من سائهم ويؤدوا لكل ذى حق حقه . ولعلك قد أدركت من ذلك أن أصل التشريع يدعو إلى تعدد الزوجات عند الوثوق بالعدالة بينهن وبهذا نقول وإن المتتبع لتاريخ أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم يعرف إن كبارهم ومن مقدمتهم الخلفاء الراشدون قد عددوا الزوجات إذ أن التعدد هو الأصل فى تشريع الزواج المرغب فيه ، وقد كانوا حريصين على أصل الحالات ، ولنتكلم على الآية التى تفيد ذلك وهى قول الله تعالى : (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ـ المعنى أن خفتم ألا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم منهن فخافوا الله فى النساء فانكحوا منهن العدد الذى يمكنكم الوفاء بحقه مثنى وثلاث ورباع ، وهذا هو الأصل فى تشريع الزواج المرغب فيه مع توفر العدالة بين الزوجات إذ أن قلب المؤمن مطمئن بالإيمان ومعتز بخشية الله فله ضمير من يحاسبه إذا زلت قدمه ، وقدم فى الآية هذا الحكم لأنه كما قلنا الأصل وقوله (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) بمثابة الرخصة للعدول عن الأصل وهو التعدد أى إن خفتم عدم العدل بين الزوجات لأى سبب من الأسباب فتزوجوا واحدة (ذلك أدنى ألا تعولوا) أى الاقتصار فى الزواج على واحدة أقل درجات عدم العول والقيام بمؤن الأسرة وشئونها وقد قرئ ذلك أدنى ألا تعيلوا من أعال ويرجع ذلك للمعنى الذى ذكرناه ، والدين يدعو كل رجل أن يعول أسرة أو أسرا وإن أقل أسرة يجب أن يكون فيها زوجة وذلك أدنى الحدود فى العجز عن إعالة غيره أو المعنى الاقتصار على زوجة واحدة أقرب من عدم الإعالة فهو أيضا أقل درجات الإعالة التى يدعو إليها الدين إذ ليس بعده إلا عدمها وذلك يشعر بأن الأفضل ما كان فيه إعالة أكثر وظهر أن الدين رغب فى تعدد الزوجات وقدمه فى الآية وجعله كالأصل وأخر عدم التعدد وجعله كالفرع وشرط فيه خوف عدم العدل بين الزوجات وفى كلتا الحالتين جعل الله القول فى توفر العدل والخوف من عدمه للمؤمن نفسه فرجع ذلك إلى قلبه العامر بالإيمان والله مطلع عليه وذلك قوله تعالى . (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) أى تزوجوا مثنى وثلاث ورباع عند اطمئنانكم إلى العدل بين الزوجات فإن خفتم ألا تعدلوا ولم تطمئنوا من هذه الناحية فتزوجوا واحدة وهذا الأسلوب يشعر بأن الحكم بتعدد الزوجات عند الثقة بالعدل بينهن هو الأصل والحكم بزواج الواحدة عند خوف عدم العدل هو الفرع ، ونظير ذلك قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فإن خفتم فرجالا أو ركبانا . فالصلاة مطلوب أداؤها تامة العدد والأركان والهيئات عند عدم الخوف

وهذا هو الأصل، فإن حصل خوف جار أداؤها حسبما تسمح الحال رجالا أو ركبانا وبأي كمية من كميات صلاة الخوف وهذا هو الفرج والرخصة ، وقد أردنا من ذلك أن تبين أن الدين قد اهتم بالترغيب في تعدد الزوجات ومنع ذلك عناية لا تقل عن عنايته بالترغيب في أصل الزواج وترك تقديرها يلائم كل شخص لضميره الخاضع لدينه ولا ريب أن تشريع تعدد الزوجات إنما هو لمصلحة النساء أنفسهن بكفاية الرجل إياهن بالقدر الممكن كل رجل على قدر استطاعته وحسب ما يأنس في نفسه من العدل والحرص على حقوق الزوجات ويلاحظ أننا كررنا القول في المعنى الواحد مرارا ولكن ذلك عن قصد لمزيد الإيضاح .

بقي ما قد يعرض لبعض الناس ويحتج به لمنع التعدد إذ يقول إن تعدد الزوجات حرام وممنوع عند خوف عدم العدل بنص الكتاب فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، وقد قال الله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء » فنتيجة الحكم منع تعدد الزوجات وهذا خطأ يكفي لكشفه أن يكلف الشخص نفسه قراءة بقية الآية ليعلم أن الآية دلت للتيسير على من يريد تعدد الزوجات لا لمنعه ونص الآية : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » فهذه الآية جاءت لبيان العدل الذي يجب توفره عند تعدد الزوجات وكأنه يقول إن العدل التام في كل شيء بين الزوجات في المعاملة والمعاشرة والقسم في المبيت ومن ناحية الميول القلبية غير مستطاع ولا يدخل تحت قدرتكم والله تعالى لا يكلف العبد إلا بما يدخل تحت قدرته ، فالعدل بهذا المعنى لا يشترط توفره عند تعدد الزوجات وإنما المطلوب توفره عند التعدد هو العدل في المعاملة والمعاشرة والمبيت والنفقة والكسوة وغير ذلك من مطالب الزوجية ، أما الميل القلبي فالمطلوب منه ما يتحقق به حسن الصلة مع الزوجة بحيث تشعر منه بالميل الذي يتلائم مع نسبتها إليه وعلاقته بها بوصفه زوجه وعرضه له فلا يميل عنها كل الميل فيذرها كالمعلقة التي ليست بذات زوج ولا مطلقة ، فالآية تيسير على الزوج الراغب في تعدد الزوجات بأنه لا يلزمه التسوية بين الزوجات في الحب والميل القلبي ويلزمه التسوية في النفقة والكسوة والقسم في المبيت ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بين زوجاته في النفقة والقسم ويقول (اللهم إن هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك) .

هذا وإن أعباء الحياة ولا سيما الحياة الزوجية قد صارت في هذا الزمان حملا عسيرا يئن منه الرجال فصرفتهم إلا قليلا جدا عن تعدد الزوجات فلا يكاد يوجد في المدن إلا

نادرا وقد يوجد في الريف قليلا لتيسر أعباء الحياة هناك نوعا ما مع توفر الحاجة إلى تعدد الزوجات لتكثر الأيدي العاملة في الحقل ، ويتعاون الأبناء مع الآباء ، ولكن نسبته لا تزال في هبوط مستمر فليطمئن من كان عنده ارتياع من هذه الناحية إلى أن الأمر يسير بطبيعته إلى ما يريد من غير تشريع يعارض تشريع الحكيم العليم . وكيف يظن عاقل أن الخير في غيره ويبغي له قيودا تبطله متذرعا بأنه ربما يأخذ من تشريع الأقوياء القادرين ، مع أن القوة وحدها هي التي صيرت متعدده في الظاهر ، ولكن أدنى حركة تكشف ستره وتظهر عيوبه ، فكم بيوت للزوجية استبدلت ببيوت للأخدان والخليلات ، وكم زوجات هناك تمنى أن تشملها وزوجة أخرى معاشرة زوجية عادلة كما شرع الإسلام ، ولقد ذهب جماعة من النساء المسلمات إلى لجنة الاقتراحات بمجلس الأمة وقلن لها : لا نرضى من الرجل أن يمنع من تعدد الزوجات ويجمع مع زوجته الخليلات . فسمعت لقولهن اللجنة ورفضت الاقتراح مشكورة .

وإنا لنرجو لعضوى مجلس الأمة التوفيق والنجاح ، ولذا ننصح لهم بأن يرجعوا في كل تشريع يتصل بالدين إلى رجال الدين إذ هم أهل المعرفة والبصيرة به ، وقد أخذ الله عليهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، وسيجدون عندهم من دين الله ما يزيل الإشكال ويضئ لهم طريق التشريع القويم ويهديهم الصراط المستقيم ونسأل الله لهم دوام التوفيق والسداد ؟

عبد الرحمن عيسى
مدير مجلة الأزهر

السفور بعد الحجاب

قل لمن بعد حجاب سفرت ... أبهذا يأمر المجد الشرف
أسفورا والحيا يحظره ... وتقى الله وآداب السلف
ليست المرأة إلا درة ... أيكون الدر إلا في الصدف

أمين ناصر الدين

نحو مجتمع إسلامي :

خذوا الطريق على الرذيلة

طالعتنا الصحف أخيراً بأنباء أذاعتها أكبر شركات الأخبار في العالم ، تشير إلى تحقيقات تجري في « انجلترا » بسبب انتشار الرذيلة فيها ، وشيوع الانحراف الجنسي في نواحيها ، وتخبرنا بأن كثيراً من الفتيات والمراهقات ينتشرن في « لندن » عاصمة انجلترا ليفترس الفاحشة ، وإن أغلب النساء قد ولغن في هذه الرذيلة ! ... يحدث هذا في « انجلترا » المتحضرة المثقفة المتمصرة ، ذات الجامعات والمعاهد ، والتي يختلط فيها الرجال بالنساء ، والتي تقول إن شيوع الجنسين واختلاطهم أثناء التعليم وأثناء العمل مما يؤدي إلى تهذيب الغرائز ، وتلطيف المشاعر ، ويقضي على الشهوات الجنسية والرغبات الجسدية ! !

وها قد شقت انجلترا ما شقت ، وتمدنت ما تمدنت ، وأحدثت نظام الاختلاط ما أحدثت ، ومع ذلك انتشرت فيها الرذيلة ، وضجت بالشكوى من ذيوع الفاحشة بين نسائها ورجالها ، وتألفت اللجان لبحث المشكلة ، وجرت التحقيقات والبحوث حول ذلك ، والناس في انتظار النتيجة التي يصل إليها هؤلاء من وراء ذلك التحقيق

ولو استقام تفكير هؤلاء وشعورهم لوصلوا إلى النتيجة القديمة الباقية الدائمة ، وهي أن الرجل رجل والمرأة امرأة ، وأنهما قطبان يتجاذبان حين يقتربان ، وما بالذات لا يختلف كما يقول العلماء ، ولقد أكدت الطبائع وقررت الشرائع أن شهوة الجنس والفرج هي أغلب الشهوات على الإنسان ، وأطغاها على سلطان العقل حينما يعرف طريقها أو حينما تهيج وتثور ، ولذلك حذر الدين من دواعيها ومثيراتها ومهيجاتها كالنظر الدائم أو المحرم ، والاختلاط الواسع ، والتبرج الفاحش ، والخلوة ، وكشف العورة ، وما إلى ذلك ، وقد أشار الرسول صلوات الله وسلامه عليه — في الحديث المتفق عليه — إلى خطر هذه الناحية فقال : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » . . .

والخير للعقول والألباب أننا نسمع هذا من قديم ، ونفهمه المرة بعد المرة ، ثم نخالفه في أعمالنا وتصرفاتنا ، فهذه بعض صحفنا تطالعنا بمثل هذا العنوان : « لا جريمة ولا مؤاخذة إذا لف شاب ذراعه حول فتاة وسار معها في الطريق العام » ! وجاء تحت هذا العنوان أن العمل المذكور لم يعتبر جريمة لأن « الجمهور اعتاد مشاهدة هذه المناظر ، وأصبحت مألوفة لديه ، وليس فيها ما يخدش الحياء » !! . .

يا عجبا كل العجب ! . . إنهم يتحدثون عن الحياء عليه رحمة الله ! . وأين هو الحياء في دنيا التحلل والانحلال يا بني آدم ؟ . لقد صار الحياء بضاعة قديمة كاسدة ، يعتبرها هؤلاء المتحللون المتحلون من مخلفات الآباء والأجداد ، وصاروا يستحيون من الحياء ، ويخجلون من كلمة الحياء ، ويلومون من كان عنده حياء ، ويعيبون من يدعو إلى الحياء ، وأصبح الشخص المتمدن يغضب ويحتج إذا وصفه آخر بأنه ذو حياء ! ! . . .

وما دام الحياء قد ذهب وودع فسيرتكب الأشرار كل رذيلة وكل موبقة وهم آمنون أن سيئاتهم لن تخدش الحياء ، ولن تخل بالحياء ، لأنه غير موجود ! ! . . ولقد قال سيد الوجود محمد صلوات الله عليه : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ! . أي إنه إذا لم يكن في الشخص حياء رادع وزاجر فإنه يقدم على كل فاحشة ، ويأتي كل معصية بلا تردد ، لأنه كما يقول الناس قد خلع برقع الحياء ! .

ولو كان في الناس حياء من حياء الإسلام والمسلمين لتحرزوا من القبائح والمنكرات ، ولتباعدوا عن حماها ، ولاستحيوا حين يرون منكرا ، ولو كان يفعله من لا يستحيون ولا يخجلون ، لأن الحياة الطيبة الطاهرة ليست ملكا للأفراد وحدهم ، بل هي من حق المجتمع الإسلامي القويم ، عليه أن يحرسها ويصونها ويذود عنها ، وهذا رسول الله يقول لصحابته : استحيوا من الله حق الحياء . قالوا : يا رسول الله ، إنا نستحي والحمد لله . قال : « ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، (كالسمع والبصر واللسان) ، والبطن وما حوى (كالطعام والفرج) ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » .

وهم يقولون : إن تطويق شاب لفتاة في الطريق العام ليس فيه مؤاخذة ، لأنه صار من المناظر المألوفة عند الناس . وليت شعري عند من صار هذا مألوفا ؟ . أعند المسلمين المتقين العقلاء ، أم عند المتحللين المتفسخين الرقعاء ؟ . وليت شعري ، من هذا المسلم الذي

يقبل لنفسه أن يعمل هذا في وسط إسلامي له كرامة ؟ . أيقبل مسلم عنده بقية من دين أو حياء أن يطوق أمه أو أخته أو زوجته أو بنته على أنظار الناس ، ويسير بها في الطريق العام ؟ . إنما يفعل ذلك شخص لا يراعي شعور الناس ، ولا يحرص على كرامته ولا على كرامة الفتاة التي معه ، وهي في الغالب إما خليلة أو رفيقة ! .

وهل ألفة الشيء القذر أو المنكر تعتبر من أسباب إباحته أو السكوت عليه ؟ . هل نبيح النفاق مثلا لأنه صار مألوفا ؟ هل نبيح الكذب لأنه صار مألوفا ؟ هل نبيح شرب الخمر لأنه صار مألوفا ؟ هل نبيح الخيانة الزوجية لأنها صارت مألوفة ؟ . . أفيقوا أيها الناس فقد ضاعت معالم الطريق ! ! .

ألم يأتكم أن هذا المنطق الغريب كان حجة الضالين من القدماء في تصحيحهم وإتيانهم السيئات ؟ . يقول القرآن : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون » ؟ . فهم قد احتجوا على جواز الفاحشة بأنها كانت معروفة ومألوفة لآبائهم ، وافتروا على الله فادعوا أنه أمرهم بها ، وهذا كذب صراح ، ولذلك رد عليهم فقال : « قل إن الله لا يأمر بالفحشاء » ثم إن الله تعالى يقول في الآية التالية : « قل أمر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين ، كما بدأكم تعودون » . . .

والإسلام يحارب الفاحشة في أي مكان وبأي لون ، والفاحشة هي كل شيء جاوز قدره ، ولا تكون إلا في القبيح ، وقيل إن الفاحشة هي كل ما ينفر منه الطبع السليم ويستنكره العقل المستقيم ، وقد حمل القرآن الكريم حملة قوية على الفاحشة والفحشاء في عدة مواضع منه ، ومن ذلك قوله : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، وقوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، وقوله : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » ! .

وقصة هذا الفتى الذي طوق الفتاة بذراعه في الشارع العام تذكرنا بقصة موضوعها أن بعض الشبان الماجنين تعرضوا لفتاة في الطريق العام بألفاظ قذرة وعبارات جارحة وحركات ماجنة ، ولما عرض الموضوع قيل إنه لا جريمة ولا عقوبة ، ونشرت الصحف ذلك . . . لماذا ؟ . قالوا : لأن الفتاة لم تشتك ولم تطالب بالعقوبة ، مع أنها لم تشتك

في الغالب خوفاً على سمعتها ، أو تخلصاً من متاعب الشكوى والتحقيق والمقاضاة ، والحمد لله فقد تدارك بعض ولاة الأمور الموقف ، وأعيد النظر في الموضوع ، لأن مكافحة الجريمة من واجبات المجتمع ، وفي الحديث : « إذا خفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها ، وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة » [1] .

فنذكر هنا أن بعض الباحثين الأمريكيين يقررون أن نسبة الإقبال على الزواج في أمريكا قد انخفضت بشكل مخيف ، لأن الرجل غير مرتاح إلى حرية المرأة الواسعة وتعلقها بالمظاهر ، ونذكر أن أحد الذين اشتركوا مع قاسم أمين في دعوته للسفور قد كتب ينعى كل امرأة متبرجة لا تحتشم ولا تتفرغ لبيت الزوجية ، ويقول : إن قاسم أمين لو عاد ورأى هذا التحلل لنادى بالعودة إلى الحجاب ، ونذكر أن أخلاقنا وأخلاق فتياتنا ودعائم مجتمعنا مهددة بالويل والثبور إذا لم تأخذ الأيدي القادرة على هذه الفواحش طرقها وسبلها ، وإذا لم يتعاون كل منا ـ قدر استطاعته ـ ألا يكون شريكاً في إشاعة الفاحشة بين المسلمين : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

إلى بنت الشرق

أختاه هل حسبت من الرقيّ ... اطراحك بالصلاة وبالتقيّ

برمت بكسر بيتك وهو ربع ... سكنت به عن النهج السويّ

وألجأك عاطفة التمادي ... ضلال الزوج أو جهل الولي

أقال لك الغواة : البيت سجن ... فجاز عليك تضليل الغويّ

نجوت إن تمادى الشرق فيه ... فقد وجد الوسيلة للهويّ

إذا كان التمدن في التعري ... فما فضل الحصان على البغي

محمد النجمي

المسئولية فى الاسلام

– ٢ –

فى المقال السابق تكلمت عن المسئولية فى الإسلام والتبعات التى جعلها الله سبحانه على الرعاة فى رعيتهم حسبما جاء بها الحديث المتفق عليه « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وقد تكلمت فيما مضى عن الراعى الأكبر ، وهو الإمام ، وفى هذا المقال سأتكلم عن المسئولية الثانية ، وهى مسئولية الرجل عن أهل بيته من زوجة وولد ، وإذا كان الأئمة والولاة يسوسون المملكة الكبرى وهم مسئولون عنها ، فالرجل هو الذى يسوس المملكة الصغرى وهى الأسرة وهو مسئول عنها . ولا ريب أنه إذا صلحت الأسرة صلحت الأمة فما الأمة إلا مجموعة من حلقات هى الأسرة ، وما الأسرة إلا لبنات وهى الأفراد » .

ويمكننا إجمال مسئولية الرجل فى هذه المسئوليات الثلاث :

١ – مسئولية الرجل عن والديه وذوى قرابته بأن يحسن إليهم وينفق على من تجب عليه نفقته منهم ، ويعاملهم بالرفق ويأخذهم بالحسنى ويتعهدهم بالتعليم والتهذيب إن كانوا فى حاجة إليه ، ويرشدهم إلى الطريق الأقوم فى دينهم ودنياهم . وأعظم الحقوق الواجبة على الرجال حقوق الوالدين ولا سيما الأم ثم الأقرب فالأقرب ، وقد استفاض القرآن الكريم بالوصاة بالوالدين والإحسان إليهما وإلى ذوى القربى ، قال تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى الآية [١] » وقال « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا [٢] . وفى السنة النبوية الأحاديث المتكاثرة فى البر بالوالدين والإحسان إلى ذوى القربى وأن ذلك منسأة فى العمر مثراة فى المال والولد . وفيها الحث على مقابلة أذاهم بالصبر وإساءتهم بالإحسان وقطيعتهم بالوصل والإهداء

---

[١] سورة النساء الآية ٣٦ [٢] سورة الإسراء ٢٣

عن حقوقهم ، وما ذلك إلا للإبقاء على عروة من عرى الأسرة الوثيقة والمحافظة عليها من أن تنفصم ، ولقد كان من هدي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إذا نزل عليه أمر أو نهي أن يبدأ بذوي قرباه ينصحهم ويعظهم ويذكرهم ويبين لهم أن الناس ينظرون إليهم كما ينظر الطير إلى العلم ، فأهل الرجل هم أولى الرجل بنصحه وإرشاده . وفي الكتاب الكريم « وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون » ولما أثنى الله سبحانه على نبيه إسماعيل كان مما أثنى عليه به قوله « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » (١)

٢ — مسئولية الرجل عن زوجه فالرجال مسئولون عن أزواجهم مسئولية كبرى إذ الزوجة هي عمود البيت وعماد الأسرة ، وصلاح الأسرة أو فسادها يتوقف إلى حد كبير على صلاحها أو فسادها . ولقد جعل هذا الحديث الشريف للرجل حق الولاية والقوامة على زوجته ، وفي الكتاب الكريم « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم (٢) »

وهذه القوامة والولاية التي شرطها الإسلام للرجال قوامة إرشاد وحسن توجيه ونصح إلى ما هو الأقوم والأعدل ، لا قوامة إذلال أو إيذاء أو إنقاص للحقوق ، وهذه القوامة تحتم على الرجل أن يعلم زوجته فرائض الدين وآدابه إن كانت جاهلة ، ويرشدها إلى الطريق المستقيم إن كانت غاوية ، ويقوم اعوجاجها إن كان في لسانها أو طباعها ملاحظة أو جفاء وغلظة ، على أن يكون الرجل في ذلك حكيما رفيقا لينا ، ويجمع بين الصلب وتقويم المعوج . ولقد أشار إلى الرفق بالزوجات في التأديب والتهذيب رسول الإنسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال فيما رواه البخاري ومسلم « استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيرا » .

وطلب الكمال في الزوجات أمر قليل التحقق ، والحياة الزوجية تتطلب من الرجل الحكيم شيئا من التغاضي والتسامح فيما لا يخل بدين أو مروءة حتى تدوم العشرة الزوجية ، وفي الحديث الذي يرويه مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يفرك مؤمن

---

(١) سورة مريم الآية ٥٥ (٢) سورة النساء الآية ٣٤

مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر » والله سبحانه يقول حاثا على حسن العشرة والتغاضي عن بعض ما يكره منها وعدم الانسياق مع الهوى والرغبة « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » [1] .

ثم إن فعلت المرأة ما يخل بدين أو مروءة أو حق للزوج فقد شرع الإسلام للرجل طريق الإصلاح ، قال تعالى : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا » [2] والضرب في الآية الكريمة إنما يلجأ إليه عند الضرورة ، فهو كما يقال « آخر الدواء الكي » ، وإنما جعله الله لمن لا يفيد معها وعظ ولا هجر في المضجع ، ومثل هذه طبيعتها لا تستقيم إلا بالضرب ، على أن المراد بالضرب الإخافة والزجر أكثر من أن يراد به الإهانة والإذلال والإيلام ، وليس أدل على هذا مما جاءت به السنة شرحا للآية أن يكون ضربا غير مبرح فلا يكسر عظما ولا يقصد وجهها ولا يقبح شيئا من محاسن المرأة .

ومن مسئولية الرجل نحو امرأته أن يطعمها ويكسوها ويسكنها السكنى الحسنة ، وأن لا يضيق عليها حيث يكون هو في سعة من رزقه ، وقد سأل معاوية بن حيدة رضي الله عنه رسول الله فقال : ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال « أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت » أي المضاجعة ، ويسمو الإسلام في باب معاملة الزوجة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم « خياركم خياركم لنسائكم » رواه الترمذي وقال . حديث حسن صحيح ، وفي باب الإنفاق عليها فيقول الرسول أيضا « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك » رواه مسلم ، وفي مقدمة الأهل تكون الزوجة والأولاد .

ومن مسئولية الرجل إذا كان له أكثر من زوجة أن يقسم بينهن بالسوية ويعدل في النفقة والمبيت بل وفي بسط الوجه والبشاشة والمؤانسة أما في الميل القلبي والحب النفسي فلا ، إذ لا دخل لاختيار الإنسان فيه فلا مسئولية عليه ، وقد توعد النبي صلوات الله وسلامه عليه من لا يعدل بين نسائه بأن يأتي يوم القيامة وشقه مائل ، فتكون سمة مميزة له في هذا المشهد العظيم ، والجزاء من جنس العمل .

---

[1] النساء الآية ١٩ [2] النساء ٣٤

ونصارى القول أن فى الرجال تبعات نحو أزواجهم ، وأن الله سائلهم عن هذه التبعات أحفظوها أم ضيعوها ، وإن الإسلام لا يعفى الرجل من المسئولية إذا كان صالحا وأهله صالحون ، وصدق الله حيث يقول : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى [١] » . ويقول : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة [٢] » .

٣ — مسئولية الآباء عن الأبناء : وأعظم مسئوليات الرجل نحو أهله مسئوليته عن ولده ، والأبناء أشد قبولا للتطبع والتعلم من الأهل والزوجة ، وهم أمل الأسرة المرجى وعدة الوطن فى المستقبل .

ومن حق الأبناء على الآباء الإنفاق عليهم وتعهدهم من الصغر وحسن اختيار المرضعات والمربيات لهم إن لم تقم الأمهات بالإرضاع والتربية ، وأن يحوطهم بالرعاية ويشملهم بالرحمة والشفقة ويحاول قدر استطاعته أن يسوى بينهم فى البر والعطاء والرأفة والرحمة ، ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقبل الحسن والحسين ويجلسهما على حجره ويقول هما ريحانتاى من الدنيا . وقد رآه أحد الأعراب وهو يقبل الحسن فقال : إن لى أولادا عشرة ما قبلت واحدا منهم ، فقال الرءوف الرحيم « أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟ من لا يرحم لا يرحم » .

ومن حق الأبناء على الآباء تعليمهم وتثقيفهم ، ويجئ فى مقدمة ما يتعلمون علم الدين والشريعة ، إذ لا صلاح للحياة الإنسانية إلا بهذا العلم ، ثم يأتى بعد علم الدين العلوم الدنيوية النافعة ، والآباء مسئولون عن تعليم أبنائهم أمام الله والله سبحانه حين قال : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » إنما أراد أول ما أراد تعليمهم أمور دينهم من الحلال والحرام والعبادات وغيرها إذ لا نجاة من وقود النار مع الجهل بالدين وأحكامه .

ومما يؤسف له غاية الأسف أن معظم المسلمين شغلوا عن علوم الدين بعلوم الدنيا ، واستهوتهم زخارف الحياة الدنيا ومناصبها فنأوا بأولادهم عن علوم الدين إلى غيرها

---

[١] سورة طه الآية ١٣٢ [٢] سورة التحريم الآية ٦

مما ترتب عليه نشوء جيل لا يفقه من تعاليم دينه إلا قشورا لا تغني ولا تسمن ، بل كثير من الشبيبة المتعلمة تعليما مدنيا لا يعلم عن دينه لا كثيرا ولا قليلا ، فنشأت بين المسلمين أمية دينية هي أخطر على الأمة من الأمية الكتابية ، والإسلام لا يعرف الفصل بين علوم الدين والدنيا ويرى أن كلا منهما مكمل للآخر ، ويحتم على كل مسلم أيا كانت حرفته ومهنته أن يفقه أمور دينه .

ومن مسئوليات الرجال عن الأبناء أن ينشئوهم على عقائد الإسلام وآدابه وفضائله من الصغر وأن يكونوا هم أنفسهم قدوة حسنة في التدين والأخلاق لأبنائهم والمعاملة الكريمة ، وأن يحرصوا كل الحرص أن لا تقع أعينهم على ما يكره ويستقبح ، وبذلك ينشأ الفتيان والفتيات في هذا البيت الإسلامي الكريم نشأة دينية أخلاقية ويشبون على تقوى من الله ورضوان فيكونون صورة صادقة للمسلم الصحيح ، ويمثلون بسلوكهم الإسلام الصحيح ، ويعصمون أنفسهم عن مزالق الفتن والشبهات ، ومن الحقائق المرة المؤلمة أن الكثرة الكاثرة من بيوتنا لا تتسم بطابع الإسلام ولم تأنس فيها البنون والبنات الجو الإسلامي ، فإذا ما كبروا ووعظوا وذكروا بالإسلام وتعاليمه لا تجد الدعوة من نفوسهم قبولا ، بل تجد نبوا ونفورا .

ومن مسئوليات الآباء العدل بين الأولاد والمساواة بينهم ، فلا يميز بينهم في معاملة أو عطية أو هبة حتى لا يكون هذا التصرف زارعا في قلوبهم الحقد والعداوة والبغضاء والشعور بالنقص ، وإن بعض الآباء يميلون إلى أنفسهم وأولادهم وإلى المجتمع مثل هذا التصرف ، ويحسب المفضلين بعض أولادهم عن بعض ما رواه الشيخان في صحيحيهما عن النعمان بن بشير قال : « أعطاني أبي عطية ، فقالت عمرة بنت رواحة — يعني أمه — لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله . قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . قال فرجع فرد عطيته » وفي بعض الروايات عند أحمد « إن لبنيك عليك أن تعدل بينهم فلا تشهدني على جور ، أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟ قال : بلى . قال : فلا إذا » وإلى ظاهر هذا الحديث الصحيح ذهب بعض العلماء وقالوا بحرمة هذا التصرف

بل وبطلانه . وبعضهم منع ذلك إلا إن كان له غرض صحيح كزمانة أو عمى أو طلب علم أو نحو ذلك . وبعضهم أجاز ذلك وجعله مكروها (١) .

ومن التصرفات التي يؤاخذ عليها الآباء ما يفعله بعضهم من حرمان البنات من الأموال وقصرها على البنين ، أو تفضيل الذكور على الإناث في العطية ونحوها مما يمت إلى عادات الجاهلية ولا يمت إلى الإسلام ، والإسلام دين تراحم وتحاب وتواصل ، فكل ما يخل بشيء منها فلا يقره الإسلام .

والواجب على المسلم أن يقف عند حدود الله فيحل ما أحل الله ، ويحرم ما حرم الله ، وحينئذ تستقيم أحوال الناس وتصفو لهم الحياة من المكدرات ، ويعيشون إخوة متحابين متصافين ، لا أعداء متنافرين متفرقين .

* * *

وبعد : فهذه هي مسئولية الرجل عن الأهل والزوجة والأبناء كما أرادها الإسلام ، وهي مسئولية تقتضي من الآباء أن يكونوا في مكان القدوة ، وأن يأخذوا أنفسهم أولا بما يحبون أن يأخذوا به أهليهم وأبناءهم ، وإلا كان كنافخ في رماد ، ولم يسمع له قول أو يسترشد له برأي ، فالرجل راع ومسئول عن نفسه أولا ثم عن أهله ثانيا .

ترى ـ أيها القارئ الكريم ـ لو أن كل رجل قام نحو نفسه ونحو أهله بهذه الرعاية ، فهل كانت المجتمعات الإسلامية تعاني ما تعانيه اليوم من ضعف في التدين ، وانحراف في السلوك ، وإسفاف في الأخلاق ، وإغراق في التحلل من المقومات الإسلامية والأخلاقية ؟؟ وهل كنت تجد في بيئات الإسلامية من يرى المنكر معروفا والمعروف منكرا ؟؟؟ وهل كانت تقع عينك على هذه المناظر المؤذية في بيوتنا وفي طرقنا وأنديتنا ؟؟؟ اللهم لا .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

(١) انظر تفصيل القول في هذا في فتح الباري شرح صحيح البخاري جزء ٥ ص ١٩٣ وما بعدها .

الملايو والإســــلام

> « إلى القـائمين على شئون الدعوة فى الأزهر والمؤتمر الإسلامى : أهدى هذا المقـال » .
>
> (شربية)

<u>تاريخ الإسلام فى الملايو</u> .

لا يزال تاريخ دخول الإسلام إلى الملايو غامضا . فالأتقياء من أهل الملايو يردونه إلى دعاة عرب قدموا من مكة ، ولكن ذلك لا يعدو أن يكون التماس أصل قديم لأمر جديد .

والمؤرخون من الغربيين ليس أمامهم إلا أن يعتمدوا على بقايا المنقول وعلى النزر اليسير من الآثار ، وإذا فالرأى السائد – وهو قائم على نظريات المستشرقين الهولنديين – ليس البتة رأيا صحيحا . ويبدو أن الوضع الصحيح لهذا الأمر هو أنه كان التجار العرب – منذ عهد مبكر – يجوبون المحيط الهندى . وحين كانت الصين قوية ، مستقرة أمورها ، منحت التجارة التى تمر من ملقا وأمنت ، فى تلك الأوقات أنشئت المراكز التجارية العربية .

ولما ظهر الإسلام كانت أسرة (تانج) تحكم الصين ، وقامت العلاقات التجارية عبر المضيق بين الجزيرة العربية والصين . وفى عهد (آل سونج) زار التجار العرب (كده) وغيرها من أجزاء الهند الشرقية .

ولكن هذه الصلات المبكرة لم تؤد إلى نشاط سياسى أو اجتماعى دينى بين أهل البلاد . ولما جاء المغوليون كثرت هجرة المسلمين إلى الصين . وبازدياد التجارة عبر البحر مع الشرق الأوسط والهند قامت صلات بين المسلمين وسومطرة كان وسيطها بعثات من مسلمى الصين . وفى ذات الوقت كان النفوذ الإسلامى فى جنوبى الهند يزداد ازديادا كبيرا ، واستطاع الدعاة التجار من أهل هذه المنطقة أن يهدوا إلى دعوتهم أهل شمال سومطرة .

وحوالى سنة ١٢٨٠ م قامت ولاية صغيرة هى ولاية (سامودرا ـ باساى) وكانت أول قطر يتخذ الإسلام دينا رسميا فى الملايو ، وهذا السبق فى اعتناق الإسلام قد هيأ لشمالى سومطرة مركزا ممتازا بين المسلمين فى الملايو لا تزال تتمتع به حتى اليوم ، وإذا كانت سامودرا باساى قد ذهبت فقد ذهبت حلمها (آچيه) التى اصطلحت مهامها واشتهرت بشيوخ الصوفية كما اشتهرت بالتعليم الدينى وبتعصب أهلها لدينهم .

وقد فتح المسلمون إقليم (كوجرات) فى غربى الهند فى سنة ١٢٩٧ م وأصبح جزءا من إمارة دهلى حتى سنة ١٤٠١ م وبدأ هذا الإقليم ـ فى القرن الرابع عشر ـ يقوم بدور هام فى التجارة مع الهند الشرقية عن طريق ميناء (كامباى) .

ومنذ سنة ١٤٠١ م حتى سنة ١٥٧٢ م صار هذا الإقليم إمارة مستقلة يعمل على أن يكون صاحب النصيب الأوفر فى تجارة الهند الشرقية وخاصة مع سوق ملقا العظيم .

ويذهب المؤرخون الهولنديون إلى أن جذور الإسلام الملايوى مجلوبة من كوجرات . وذلك يجانب الحقيقة ، لأن التجار الكوجراتيين أكثرهم من طائفة البهرة الإسماعيلية ، وليسوا سنيين شافعية كما هو حال أهل الملايو ، ثم إنه حين دخل أهل سامودرا باساى الإسلام كان إقليم كوجرات لا يزال يحكمه الهندوس ، وكان أغلب أهله من البهرة الشيعة والبوهرات وقليل من أهل السنة العرب ، فمكان التأثير الكوجراتى على التجارة والثقافة لاحق للدين فى هذا الوقت ، ورغم ذلك فإن معظمهم هى التى حملت إلى الملايو التجار والمعاصرين والدعاة ورجال العلم والصوفية من الهند وفارس ومختلف بقاع الشرق الأوسط .

والإسلام ـ فيما يبدو ـ قد وضع قدميه فى الملايو قرب نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ، كما يدل على ذلك نقش ملايوى ، هو أقدم نقش كتب بالحروف العربية بقى لنا إذ يرجع تاريخه إلى سنة ١٣٨٩ م بل لعله أقدم من ذلك ، وهو يسجل إصدار بعض القوانين فى (ترنجانو) .

على أن الانتشار الحقيقى للإسلام قد ارتبط بقيام ولاية ملقا التجارية العظيمة سنة ١٤٠٠ م تقريبا ، وكان أوج قوة ملقا (١٤٠٠ ـ ١٥١١ م) مع أوج القوة الكوجراتية وكلتاهما تعتمد على تجارة الشرق الأقصى شأنهما فى ذلك شأن سنغافورة اليوم .

وقد اطرد نجاح ملقا وكوجرات باعتمادهما على سياسة الاحتكار الإسلامية فى تجارة المحيط ، بل إن ملقا كانت أكثر حظا فى ذلك نتيجة للسياسة الخارجية المستنيرة التى

وضمنتها أسرة منج الحاكمة في الصين ، فقد شجعت التجارة الخارجية مع الأقاليم الجنوبية تحت ستار حماية هذه الولايات مقابل جزية تدفعها .

وكانت ملقا في أول نشأتها ولاية هندوسية خلفت سنغافورة الهندوسية . وهذه الأخيرة كانت بدورها فرعا من امبراطورية (سري فيجايا) في سومطرة . وقد قامت رابطة بين (بارا ميسوارا) — أول حاكم لولاية ملقا حوالي سنة ١٤٠٠ م — وبين البيت الحاكم في ساموديرا باساي ختمت بزواجه أميرة باساوية واعتناقه لدينها .

ويبدو أنه كان هناك رد فعل ظهر أثره في أيام من خلفوه مباشرة ، ولكن الإسلام كان قد ثبتت أقدامه نهائيا في سنة ١٤٤٠ م حين استطاع السلطان مظفر شاه أن يسترد عرشه بعد صراع وأن يبدأ سياسة التوسع باسم الإسلام .

واستطاع هو ومن أتوا بعده أن يبسطوا سلطانهم على الجزء الأعظم من شبه جزيرة الملايو كما استطاعوا أن يبسطوه على الولايات النهرية شرق سومطرة . وقد مكن ذلك لملقا من أن تسيطر على المضايق ، وأن تحتكر تجارة الهند الشرقية مما جلب لها الثراء العريض والنفوذ على الأقاليم المجاورة .

أما الاتصال بين الجاويين والملايويين في ملقا ، وما يقوم به أهل الملايو وأهل كوجرات من نشاط في مختلف النواحي في الأجزاء الشمالية الشرقية من جاوا ، فقد كان له أثر في نشر الإسلام في هذه المنطقة . وقد استمرت هذه الطريقة — في الملايو قائما وفي جزر الهند الشرقية — حتى بعد أن سقطت ملقا في أيدي البرتغاليين سنة ١٥١١ م .

على أن ملقا ، وإن كانت المركز الأساسي للقوة الملايوية ، إلا أنها لم تستطع فيما يبدو أن تكون منبع التعليم والثقافة الإسلامية ، فقد اعتنق أهل الملايو الإسلام ولكنهم ظلوا فترة طويلة ينتظرون من باساي الإرشاد في أمور دينهم ، ويرسلون في بعض الأحيان إلى شيوخها يستفتونهم في مشكلاتهم الدينية . وكان لشيوخ المسلمين من الهنود تأثير صوفي عليهم ، وميلهم إلى القول بوحدة الوجود كان عنصرا هاما من عناصر الإسلام في الملايو . وقد حظي هؤلاء الشيوخ برعاية الملوك كما حظوا برعاية العامة .

على أن فارس في هذا الوقت كانت قد نالت أعظم شهرة في أنها منبع العلم والثقافة الإسلامية ، وكان أهل الملايو شافعية وحكام الامبراطورية الفارسية من آل تيمور

(١٣٨٠ — ١٥٠٣م) شافعية كذلك بل إن تيمور نفسه كان أعظم سند للشافعية ، ولذلك كان لشيوخ هذا المذهب من الفرس أثر واضح في بلاد الملايو من حيث أنهم من شيوخ أهل السنة .

وقد حدث كثير من التغيرات خلال القرن السادس عشر مبتدئة ملقا التيت يفتح البرتغاليين لها سنة ١٥١١م ، وانتقلت إلى حد ما قيادة الملايو إلى (آتجيه) في سومطرة ، وإلى (جوهور) في شبه الجزيرة . وقد صاحب ذلك زوال ملك آل تيمور المغوليين من فارس وقيام نهضة وطنية تحت زعامة الأسرة الصفوية ، وكان هؤلاء الحكام الجدد شيعة وحينئذ لم يعد ينظر أهل الملايو السنيين إلى فارس على أنها مصدر للتعليم الديني . وقد سد هذا النقص السادة الأشراف من أهل حضرموت على الشاطئ الجنوبي لشبه جزيرة العرب ، وقد جاءوا إلى الملايو تجارا وعلماء وحظوا بمنزلة عظيمة .

وكانت الصلات مع الهند لا تزال قائمة وخاصة الآن مع إمارة مملكة الدكن ، وهذا التأثير الهندي يظهر أتم ما يظهر في الأدب الملايوي الذي بقي لنا من هذه الأيام .

وبمضي الأيام قامت صلات قوية بين الملايو وبين شبه جزيرة العرب ومنها مكة ، وكذلك بينها وبين مصر ، وقد جاءت الصلات مع شبه الجزيرة العربية في صور مختلفة فهناك حركة صوفية هامة هي الطريقة الشطارية ، نشأت أول ما نشأت في الهند ثم رحب بها في جزيرة العرب وخاصة في المدينة ، ومن المدينة انتقلت إلى سومطرة والملايو وجاوا ومع ازدياد تأثير الأساتذة العرب وكثرة عدد الحجاج قوي روابط الملايو بجزيرة العرب ، وبمرور الأيام بدأ الإسلام يفقد صبغته الهندية التي ترجعه إلى القائلين بوحدة الوجود[١] ، وأخذ يقترب رويدا رويدا من الصبغة السنية ، وذلك ملاحظ في اضمحلال شأن طريقة الشطارية الصوفية ، وانتشار أمر القادرية في جزء من بلاد الملايو ، وعلى كل فإن النصيب الذي تناله الطرق الصوفية في تلك النواحي نصيب ضئيل .

أما تعليم رجال الدين فقد اتبع الأنموذج الشائع في العالم الإسلامي ، فهو قائم على دراسة اللغة العربية ، والعلوم الدينية باللغة العربية ، ولكن إجادة العربية كان أمرا بعيد المنال ، ولذلك فإنه ابتداء من القرن التاسع عشر ترجم إلى الملايوية واختصر عدد من المؤلفات العربية الهامة .

---

[١] الفكرة — أي عدم التمييز بين واجب الوجود وجائز الوجود ، واعتبارهما موجودا واحدا ، ومعنى ذلك القول بأن الكائنات هي الله ، وهذا إنكار لوجود الله ، وهي عقيدة برهمية جاءت من الهند .

خصائص الإسلام فى الملايو :

استمر نشر الإسلام فى الملايو بعد فتح البرتغاليين لها ، وأهل الملايو يربطون الجنس بالدين ، والدين والعرف بالحاكم ، فاعتناق الأمراء الإسلام فى الملايو إيذان بأن الجنس كله صار للإسلام .

ولكن انتشار الإسلام كان فى بعض الأحيان ظاهريا فقط ، فقد ظلت الآراء الهندوسية والقائلين بوجود الحياة فى كل موجود ، وسر ذلك أن الملايوى تنقصه العصبية الدينية ، ولكنه مستمسك بإسلامه لأنه يرى فيه حصنا يدفع عنه مظالم الأجناس الأخرى ، والعناصر الخارجة عن النطاق الإسلامى مرجعها إما إلى أفكار ملايوية قديمة بحتة ، وإما إلى شواذ فكرية أجنبية من الهند ، فالصوفية القائلة بوحدة الوجود - وهى تتعارض أصالة مع الإسلام الصحيح - جاءت من الهند وانتشرت بين الناس وخاصة فى شمالى سومطرة وجاوا .

والعناصر الشيعية تظهر فى أدب الملايو القديم ، أو تبعث فى بعض التقاليد من مثل مواكب عاشوراء فى بعض الأماكن ، أما مراسم الزواج وكثير من التقاليد الملكية فإنها تحتفظ بعدد من الشعائر الهندوسية التى لم يدخلها تحوير تقريبا .

وأهل الملايو يتبعون مذهب الشافعى ، شأنهم فى ذلك شأن أهل جنوبى الهند وغرب حضرموت ، ولكن الشريعة الإسلامية فى كل مكان من الملايو يعدلها العرف والعادة ، ففى (نجرى سمبلان) لا تزال بعض التقاليد القديمة الخاصة بالأمومة تجد لها مجالا ، ولا تجد المرأة فى أى مكان محتجبة أو ملازمة دارها .

ومنزلة السلطان عند الملايوى - وإن تكن دون ريب متفقة مع الآراء الإسلامية - إلا أنها منتزعة من الفكرة الهندوسية عن الملك الإله ، ولا يزال تقديس الملايوى لحاكمه عاملا ذا أهمية سياسية .

وإذا كان الإسلام قد انتشر فى بلاد الملايو فى سلم ودون بذل أموال ضخمة ، وإذا كان الإسلام عبر قلعة - فى الملايو - عن أن ينشئ امبراطورية فإن ذلك يعنى أن الثقافة الإسلامية تعوزها الشخصية المحلية القوية ، فالمنشآت المعمارية ضعيفة ، والمسجد بسقفه المنحدرة المربعة يشبه إلى حد كبير مساجد (ساحل ملابار) .

وكذلك الحال في الأدب الملايوي فهو أدب اقتباس وتقليد وليس أدبا يمثل في قوة تجربة الملايوي في الحياة ، إذا استثنينا كاتبا أو اثنين .

وكذلك آثارهم في الفنون ضئيلة الأهمية ، على أن هناك ما يبعث على السرور ، ولكنه قاصر تقريبا على التطريز والدباجة وصياغة الذهب وصنع أواني الفضة والخناجر الملايوية .

<u>التطور الإسلامي الحديث في الملايو :</u>

يمكن أن نقول : إن العصر الحديث قد بدأ في الملايو مع استخدام البخار في تسيير السفن ، فذلك لم يقتصر أثره على نقل مؤثرات الحضارة من الغرب ، بل هو كذلك قد أتاح الفرص لعدد أكبر من الحجاج إلى مكة . فقد زاد عدد الحجاج من الملايو ومن أندونيسيا وخاصة حين كانت أسعار المطاط مرتفعة تمد الحجيج بنفقات الرحلة .

وفي مكة تقيم جالية أندونيسية كبيرة جعلت عملها نقل الحجاج والقيام على شئونهم ، مع اشتغالها بدراسة العلوم الإسلامية ونقلها إلى لغتهم ونشرها في الملايو ، وإن أكثر الحركات الدينية المجددة في الملايو إنما قام بها حجاج عائدون .

والطلاب الذين يدرسون علوم الدين يدرسونها إما في مكة وإما في جامعة الأزهر في القاهرة — وقد شهدت سنة ١٩٥٥ م افتتاح أول كلية لعلوم الدين الإسلامي في (كلانج) وبعض أساتذة هذه الكلية من رجال الأزهر .

وقد اختصت المحاكم الشرعية بالنظر في مسائل الأحوال الشخصية ، من زواج وطلاق وميراث ، كما اختصت بالنظر في إلزام الناس أداء الشعائر الدينية ، وإدارة الأوقاف ، وقد مد القضاة سلطانهم إلى النظر في قضايا الميراث التي تصل إلى ثلاثة آلاف جنيه ، بعد أن كانوا لا ينظرون إلا القضايا التي تقل قيمتها عن ٥٠٠ جنيه ، وهذه المحاكم من سلطتها أن تلزم الناس الصوم ومن لم يصم غرم ، وهي لا تقصر سلطتها على المسلمين من أهل البلاد وحدهم بل تمدها كذلك إلى المسلمين الأجانب الذين يقيمون بها وإن كان من المشكوك فيه أن يتم ذلك .

ومشكلة الطلاق قد أدت إلى رأيين مختلفين ، رأى المصلحين وهم يرون أن الإسلام قد ألمع إلى التزام الزواج بواحدة على أساس أن الزواج بأربع إنما أبيح بشرط التسوية والعدل بينهن ، وهو شرط لا تقوى الطبيعة البشرية على تحقيقه [1] ، ولكن هذا التفسير للنص القرآنى لا يرتضيه الجامدون المقلدون الذين يرون أن مفارقة القدامى فى تفسيرهم للقرآن أو العرف المأثور ليست إلا هجوما مقنعا على الدين ، ومع ذلك فإن الحركة النسائية تستجمع أمرها وتطالب بقسط من الطمأنينة والأمان للمرأة أكثر مما كان لها من قبل .

والتحضر فى أندونيسيا قد قطع شوطا أكثر مما قطعه فى الملايو . فقد اطرحت أندونيسيا الحروف العربية حتى فى الكتب الدينية ، بل إن الأدب الحديث يستلهم مثلا أخرى من الثقافة الهندوكية الأصيلة التى استقرت فى جاوا ، ومن آثار واستعرابات تاجور ، وما خلفته الحركة العقلية الفلسفية فى أوربا ، بل فى كتابات (ماركس) .

ولكن الكتابة فى الملايو لا تزال تستخدم الحروف العربية ، والأدب لا يزال يتمسك بإسلاميته ، ومن هنا نجد أن أندونيسيا والملايو قد اتخذت كل منهما اتجاهها ، وأن امتزاج قوى القومى فى الملايو باللغة والكتابة قد حال بينها وبين أن تكون وسيلة لوحدة قائمة على أصول سلالية .

المسلمون الأجانب فى الملايو :

جاء الإسلام إلى الملايو من الهند وقد ظلت الصلة قائمة بينهما منذ دخول الإسلام ، ولكن الجمهور الأعظم إنما هو من المهاجرين الذين وفدوا حديثا إلى الملايو والجمهور الأعظم إنما هو من المهاجرين الذين جاءوا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، والهنود يكونون أكبر جالية مسلمة فى الملايو ، وهم يشملون :

١ — المسلمين من أهل التاميل ، وأكثرهم من (تانجور) فى مقاطعة (تانجور) ويشتغل معظمهم بتجارة الثياب أو الكتب أو البقالة ... الخ .

---

[1] فى هذا الجزء مقال مبسوط فى بيان حكم الإسلام وحكمته فى هذا الموضوع

٢ — المسلمين الملاباريون ، وهم من (بوتانى) وغيرها من ساحل ملابار ، وكثير من هؤلاء أصحاب مطاعم ، والتاميليون والملاباريون شافعية كأهل الملايو .

٣ — المسلمين من كوجرات وأكثر هؤلاء بهرة (شيعة اسماعيليون) من بومباى ، ويشتغل معظمهم بالاتجار فى الثياب .

٤ — المسلمين من البنجاب ، وأكثرهم من صغار العمال ، أو ممن يقومون بإصلاح الساعات ، وقليل منهم من رجال الأعمال .

وفى سنغافورة وغيرها من البلاد قريب من أربعة آلاف من سادة حضرموت وعدن وهم كذلك شافعيو المذهب يشتغلون بالتجارة فى موانى البحار الجنوبية .

وفى هذه الأيام نجد قلة من الصينيين فى الملايو مسلمين ، وأكثرهم أسلموا بسبب زواجهم مسلمات ملايويات ، وأبناء هؤلاء يندمجون فى المجتمع الملايوى .

والهنود المسلمون أكثر إثارة للشغب والصخب من مسلمى الملايو ، إن نال الإسلام شىء ، والاضطرابات التى وقعت سنة ١٩٥٠ م . كان الهنود هم الذين حرضوا الملايويون فيها . إن مسألة الفتاة الهولندية الكاثوليكية التى ربتها على الإسلام سيدة ملايوية ثم انتزعت منها وزوجت فقد صورت على أنها هجوم من حكومة مسيحية على قوانين الإسلام فى الزواج .

نور الدين شريبة

كاتب هذا البحث الأستاذ مارسورن يقيم إلى اليوم فى سنغافورة وهذا جزء من البحث وأرجو أن أقدم الجزء الباقى منه قريبا .

الإسلام وسماحة الفكر

الحرية أحد الأصول الرئيسية التي تتحقق بها سلامة الأفراد والجماعات، بل الشعوب والحكومات، وعليها تعتمد الأمم ذات الرسالة الإنسانية في أداء رسالتها، وهي حق طبيعي للإنسان، بل هي من فطرة الله التي فطر الله الناس عليها. والإسلام – وهو التشريع العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان والدستور الجامع المنظم لشئون الأمة الدينية والدنيوية، المحقق لصالح الفرد والجماعة والأمة على السواء – قد عالج الموضوعات الحيوية الهامة – وفي طليعتها موضوع الحريات – معالجة حكيمة ناجحة.

فقرر الحرية للأفراد والجماعات، ضمن نطاق الحكمة والمصلحة العامة، وشرع من النظم والأحكام ما يكفل تحقيق ذلك ويصونه، سابقاً وبازّاً جميع النظم الدستورية الأخرى التي عرفها الإنسان.

هذا وسأقتصر في بحثي على حرية الرأي والفكر، مع بيان ما قرره الإسلام في شأنها.

جاء الإسلام والناس في كل مكان أسرى التقليد وعبيد الوراثات، فقد حرم عليهم رؤساء مللهم أن ينظروا في عقيدتهم مستقلين، وأن يجروا في شيء على غير ما رسمه لهم أئمة الدين، فتعطلت مهمة العقل، وشلت حركة التفكير واختلفت الأمم في عقائدها بقدر ما اختلفت في جماعاتها، ووقر في نفوسها بأن الدين لا يتناول بالنظر، ولكن بالوراثة، ولا يؤخذ بالدليل ولكن بالتسليم، فكانت نتيجة ذلك كله أن انتشرت الوثنية في الأمم، وفسدت القلوب بفساد العقائد وفشا التعصب، واحتلت أداة الحكم عشوة الطبقات التي تتنازع السلطان على الجماعة، ونضب معين العلم وضاعت الحرية الإنسانية، وكثرت الفتن الأدبية والدسائس السياسية، وفقدت الحياة معاني التساوي في حرية الفرد والجماعة.

جاء الإسلام والأمم على هذا الحال.

أما الذي حدث فقد أطلق الإسلام حرية الرأي والفكر، وأحاطها بسياج منيع من

القوة والمنعة ، وأشاد بشأن العقل وأحله المنزلة الرفيعة ، ومدح عباده الذين يتبعون أحسن ما يستمعون من القول بعد بحثه وفحصه وتمحيصه ـ قال تعالى : (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

أراد الله بذلك إيقاظ العقل والحث على تربية القوى الفكرية ، مع الاعتداد بالنفس والعمل على استقلال الرأى وحرية التفكير .

حث الإسلام أهله على أن يتحلوا بالشجاعة لاستعمال عقولهم وإبداء آرائهم فى كل ما يحقق مصالحهم ، ويدفع مفاسدهم ، فدعا إلى الاجتهاد ، وجعل القياس ـ وهو الرأى السديد فى إلحاق الأشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر فى الأمور التى لم يرد فيها نص صريح من كتاب أو سنة ـ أحد مصادر التشريع الأربعة وهى الكتاب والسنة والإجماع والقياس . وفى هذا مجال فسيح للرأى وتقرير لحرية التفكير .

جاء الإسلام داعيا إلى البحث والتنقيب وتمجيد الحكمة والمعرفة : (الحكمة ضالة المؤمن) . (خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت) .

وقد أجمع المؤرخون على أن المسلمين بدأوا يهتمون بالعلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بست سنين ولم يتحرجوا من أخذ الحق والخير حيث وجدوهما ، حتى إذا ما جاء العصر العباسى اشتد النهم عند المسلمين إلى المعارف الإنسانية يدرسونها فى تحقيق واستقصاء ويستوعبونها ، حتى أصبح هذا اللون من الثقافة الواسعة الشاملة . فلا غرو أن يوجد عند المسلمين كبار الأئمة الأفذاذ فى الدراسات التاريخية واللغوية والفلسفية . فى هذا الجو المشبع بالعلم ، وهذا الأفق المفتوح للسعى والعمل ، تسير الوقائع من حولهم فكان من الطبيعى أن يتغير ما بأنفسهم . وإن الدنيا بعد أن كانت تبدو لهم عبثا وباطلا تحولت فى نظرهم إلى الجهاد العملى والتأمل النظرى المجرد .

استوعب العقل العربى بدافع قوى من الإسلام كل ما كان لدى الأمم السابقة فى الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والعلوم الزراعية والبيطرية . حتى نظروا فيها النظر فى السحريات والطلسميات . فكان لهم من كل ذلك حظ وفير . والعقل الذى يستطيع استيعاب كافة نواحى التقدم العلمى السائدة فى زمانه . لا شك أنه عقل موفق خصيب . ويستدعى هذا العقل من أمثالنا الذين يريدون إظهار ما كان وراءه من نفس وثابة وهمة غلابة أن يطيل التأمل فى آثاره للوصول إلى سر عبقريته ونبوغه .

ويظهر لنا من تحليل الشخصيات الإسلامية الكبيرة ، أمثال ابن رشد والفارابي والكندي والغزالي وغيرهم من العلماء الذين خدموا العلم والفلسفة في عهد ازدهار الأمم الإسلامية . أنها مظهر رائع من دراسات عميقة وتحقيقات دقيقة . صادفتها أدوار من الاضطهادات كما حدث مثله في كل عهد من عهود التطورات الأدبية في الأمم . وقد ساعد هؤلاء الأفراد الممتازين على النبوغ أن الإسلام لم يحجر على العقول أن تخوض أي مجال من مجالات البحوث أيا كان نوعها ومن أي بيئة صدرت . ومما لا مشاحة فيه أن العلوم التي اقتبسوها من اليونانيين والفرس والكلدانيين والهنود قد ساعدتهم على توسيع دائرة سلطانهم العقلي . ولم يكتفوا بما وجدوه من التراث العلمي بين يدي أهله . فعملوا على ترجمة ما كان محظورا من المؤلفات في ثنايا المكتبات وفرض على أصحابها التعصب الديني أن لا ينظروا فيها .

وعلى الرغم من الكثافة الذهنية التي طغت على الناس في أوروبا في القرون الوسطى ، وما كان لنفوذ رجال الدين هنالك من القوة في الحد من سلطان حرية العقل ، على الرغم من هذه العوامل تجلت بواسطة المسلمين حرية البحث والتنقيب بأجلى صورها في قرون هذه العصور ، وكان لأهل أوروبا منها نصيب وافر ، فقد كانوا يرسلون شبانهم إلى بلاد المسلمين لتلقي العلوم في جامعاتها .

نعم إن نفرا من الذين كانوا يمثلون الفلسفة اليونانية في قسمها النظري ، قد مرت بهم أوقات حرجة من الاضطهادات ، ولكنها كانت أدوارا عابرة لم تلبث أن انقشعت ، وتمكن رجالات كثيرون من ممثلي تلك الفلسفة أن يعيشوا في سلام بين ظهراني إخوانهم المسلمين ، وأن يحظى كثير منهم بتعظيمهم وتبجيلهم .

ولسنا مع من يقولون بأن اختفاء مؤلفي كتاب « إخوان الصفا » عن الأنظار وتأليف كتابهم في طي السر والكتمان دلالة على جو مناسب من كانت تحدثه نفسه بالاشتغال بالفلسفة العقلية [١] . فقد كانوا يعيشون في أكمل حالات الحرية بين الناس ، ومنهم من

---

[١] المجلة — بل هم الذين آثروا التكتم لما كانوا ينطوون عليه من مقاصد الإسماعيلية الباطنيين . والإسماعيلية بنيت من أساسها على العمل في الخفاء ، وفيهما قيل

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

حظى بالألقاب الضخمة ، منهم الفارابى الذى لقبه المسلمون بالمعلم الثانى باعتبار أن أرسطو كان المعلم الأول ، وأبو على بن سينا وقد لقبه الناس بالشيخ الرئيس ، والقاضى ابن رشد ، وقد صح له أن يرد على حجة الإسلام الغزالى .

ثم إننا لا نقول : إن هؤلاء الرجال وغيرهم لم يصادموا اضطهادا ما ، ولكنا نقول : إن اضطهادهم كان لا يعتبر شيئا يذكر بجانب اضطهاد أمثالهم فى أوروبا وقد أحرقوا بالنار وصلبوا على الأعواد ، وإنه ليجب على المسلمين أن يدركوا هذا الفرق وأن لا ينساقوا مع المغالين الذين يهولون بذكر الاضطهادات ضعفا منهم عن تقدير الحقائق ، وغفلة عن أنهم بعملهم هذا يطعنون فى أسلافهم عن جهل وقلة مبالاة .

وعلى الجملة ، ففى كل ما تقدم دليل واضح على أن الإسلام أطلق حرية الرأى ، وأن عقائده وتعاليمه وأحكامه تتفق مع العقل السليم والنظر الصحيح ، وأنه دعا إلى الاجتهاد واعتبر القياس ، فلا يمكن أن يتطرق إليه الجمود أو أن يضيق عن حاجات الاجتماع ، أو يصادم الحقائق العلمية ، أو يعارض النظريات الكونية ، أو أنواع العلوم التى تحقق مصلحة الأمة ونواميس الحياة .

عبد الحميد سامى بيومى

أول مدرسة للطب
فى أوروبا

أول مدرسة أنشئت فى أوروبا للطب هى التى أنشأها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر فى قرطبة ، وقد امتلأت الأندلس بالمدارس لجميع العلوم على عهد العرب ، بل يقال إن جامعة (مونبليه) الطبية فى جنوب فرنسا كان الفضل فى تأسيسها للعرب .

سلسلة الفقه الإسلامى

الفقه الإسلامي قد وجد في جزيرة العرب وعماده كتاب الله الكريم الذى نزل منجما على وفق الحوادث والتدرج في التشريع ، وقد كان ينزل به الوحى الصادق على النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والقرآن أول مصدر من مصادر التشريع الإسلامى لا يستطيع عاقل أن ينكر علينا قطعيته ، وعدم انتسابه لأحد إلا لله رب العالمين وقد حوى هذا الكتاب الكريم جميع نواحى التشريع من عبادات ومعاملات وأحوال شخصية وعقوبات وتشريعات للسلم والحرب والمواريث ، وتلك التشريعات كانت تارة واضحة مفصلة عرفت أحكامها بيسر وسهولة ، والبعض الآخر قام الرسول الأكرم بتفصيله وتوضيحه ، فالمسلمون في فجر الإسلام ماعرفوا فقها رومانيا ولا عبريا ورمانى ، بل كانوا محصورين في الجزيرة العربية وما جاورها لايعرفون عند وقوع الحوادث التى تتطلب أحكاما إلا إلى رسولهم وكتابهم . وقد كانت للرسول أقضية كثيرة جمعت في كتب متعددة فيما بعد ، فقد كان منبع الفقه الإسلامى في ذلك العهد من كتاب الله وسنة رسوله ، وإن نظرنا إلى الطريقة التى نزل بها القرآن والتى جمع بها والتى وصل بها إلينا وجدناها أقوى طريق عرفه البشر في ثبوت الحقائق العلمية ، فلا نجدها نظرية الثبوت التى ابتكرها ديكارت أو غيره من فلاسفة الغرب والشرق ، فقد تحقق في طريق نقل القرآن التواتر الذى يحيل العقل كذب إخباره وأسانه .

ذلك هو حال التشريع زمن النبي عليه السلام ، وقد كان يرسل به هداته ودعاته إلى الجهات التى أدخل أهلها الاسلام ، ولا يطالب من مبعوثه أن يتلمس تشريعه واستنباط الأحكام إلا من الكتاب والسنة ، فإن لم يجد فيهما مايريد أمره أن يجتهد ويستنبط ، فلم يكن الفقه الإسلامى يعتمد على مدد أجنبي أو مصدر غير إسلامى ، يرشد لذلك أن الرسول عليه السلام لما أراد أن يرسل معاذا إلى اليمن استعده قبل إرساله ليرى صلاحيته واستعداده للقيام بأعباء وظيفته والاطلاع بمهامها ، فقال له : « كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله . فقال عليه السلام ؟ فإن لم تجد في كتاب الله تعالى ؟ فقال معاذ . أقضى بسنة رسوله . فقال عليه السلام : فإن لم تجد في سنة رسوله ؟ فقال معاذ : أجتهد رأيي ولا آلو فقال عليه السلام : (الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله) .

وإذا انتقلنا بعد هذا إلى عصر الخلفاء الراشدين نجدهم قد ساروا في التشريع على النهج الذي وضعه الرسول لهم ، فترى كبار الصحابة قد أشربت نفوسهم مبادئ الإسلام ، واستعدت عقولهم وقويت ملكاتهم على التشريع ، فقاموا به خير قيام ، بل قد تخصص بعضهم في بعض المباحث الفقهية كما جاء ذلك في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ قام خطيبا فقال : أيها الناس من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله جعلني له قاسما وخازنا .

وترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يرسل أبا موسى الأشعري إلى البصرة يضع له دستورا عاما ولائحة للقضاء ويحدد له مصادر التشريع ، فإذا هي كتاب الله وسنة رسوله واجتهاده واستنباطه الأحكام للحوادث التي تجد وقياسها على الحوادث الماضية المعروفة لديه ، وقد عرف عدد كبير من الصحابة والتابعين بالفقه والقدرة على التشريع كعبد الله بن عمر وأبي هريرة وسعيد بن المسيب وابن شهاب الزهري والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز وجابر بن زيد وغيرهم . هذا ما كانت عليه الحال في عهد الصحابة والتابعين إلى منتهى القرن الأول الهجري ثم لما جاء القرن الثاني وجدت فيه ظاهرة جديدة ونزوع ورغبة إلى وضع القواعد التشريعية التي تبنى عليها المسائل الجزئية ، فقد ظهر أبو حنيفة بالكوفة وتلاميذه أبو يوسف ومحمد وغيرهما وأخذوا يؤسسون المذهب الحنفي ، وفي ذلك الوقت وجد الإمام مالك بالمدينة ، وكان له أتباع وتلاميذ ، وبعد ذلك ظهر الإمام محمد بن إدريس الشافعي المولود بغزة من أعمال عسقلان سنة خمسين ومائة هجرية ، ثم أعقبه الإمام الرابع أحمد بن حنبل ، وقد أسس هؤلاء الأئمة مذاهبهم على الكتاب والسنة ، وظهر في ذلك العهد مصدر آخر من مصادر التشريع وهو الإجماع الذي أثبتوا حجته كدليل من أدلة الشرع بقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » حيث قالوا : إن اتباع غير سبيل المؤمنين هو مخالفة الإجماع ، وبأحاديث متعددة تحرم الخروج على الجماعة .

وقد اشتد الجدل وكثر حول القياس وكيفية إثبات الأحكام به ، وقد أراد كل إمام أن يضع لمذهبه الضوابط والمقاييس حتى يجمع جزئيات المسائل تحت أصل من الأصول

الثابتة ، وبذلك نشأ عند الفقهاء علم جديد سمي علم أصول الفقه وهو الذي جعل أساسا لاستنباط الأحكام الشرعية . وقد دون هؤلاء الأئمة وتلاميذهم الكتب التي جمعت أحكام كل مذهب : فدون أبو يوسف ومحمد مذهب أبي حنيفة في كتب مدونة لا تزال مطبوعة إلى اليوم ككتاب الخراج وكتاب الآثار لأبي يوسف ، وكتاب السير الكبير وغيره من الكتب التي ألفها الإمام محمد ، وقد قام بعض الفقهاء باختصار بعض مؤلفات الإمام محمد وجمعها في كتاب واحد كما فعل ذلك الحاكم الشهيد في كتابه المسمى بالكافي ، وقد صنع الإمام مالك وتلاميذه مثل ما صنع أبو حنيفة فقد ألف الإمام مالك كتاب الموطأ وجمع فيه كثيرا من الأحاديث المؤيدة لأحكام مذهبه وألف بعده عبدالله بن الحكم المصري كتاب المختصر الكبير وألف محمد بن سحنون كتابه المشهور بالجامع وغير هؤلاء ألفوا كتبا كثيرة في مذهب الإمام مالك .

وسار الإمام الشافعي في جمع مذهبه على هذا المنوال فقد ألف كتاب الأم الجامع لأغلب أحكام المذهب ، وألف كتاب الرسالة في أدلة الأحكام ، وألف بعض تلاميذ الشافعي كتاب المختصر الكبير والمختصر الصغير وكتاب الفرائض ، ولا زالت هذه الكتب معروفة في العصور الإسلامية يرجع إليها فقهاء المسلمين ولا يعرفون غيرها ، ولو تتبعنا نشأة الأئمة وكيف تعلموا العلم ومن أين أخذوه لوجدناهم نشأوا في بلاد لا علاقة لها ببلاد الرومان أو غيرهم ، فالسلسلة التشريعية الإسلامية ابتدأت أولى حلقاتها بالكتاب والسنة وما فيهما من الأحكام ، ثم امتدت الحلقات بخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الصحابة والتابعين ، ثم ظهر الأئمة المجتهدون بعد ذلك وما استنبطوه من الأحكام المبثوثة في كتبهم وكتب تلاميذهم ، وقد ظلت هذه الأحكام متناقلة إلى عصرنا الحاضر لا يستطيع أحد مهما كان شأنه أن يدعي أنها تأثرت بأي مؤثر خارجي من أي نوع من أنواع التشريعات غير الإسلامية .

عبد الله مصطفى المراغي

(يتبع)

فقيد الأزهر :

الشيخ محمد عبد الله دراز

انتقل إلى رحمة الله في رحلة في مدينة لاهور بباكستان يوم الاثنين ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٦ من يناير سنة ١٩٥٨ م علم من أعلام الأزهر الأستاذ الكبير الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز ، وصلى عليه في الجامع الأزهر المعمور ، وقد ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ كامل محمد حسن وكيل كلية اللغة العربية كلمة الرثاء الآتية في مشهد تشييع الجنازة بعد الصلاة عليها ، قال :

بسم الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد صدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ، ولكن يقبضه بموت أهله » — بموت العلماء العاملين — وأي عالم فقدناه اليوم في ميدان العلم وخدمة المجتمع الإسلامي ؟ ! إنه المثل الكامل ، العالم العامل ، الذي أمده الله بالعلم النافع ، وتوجه بخلق الكريم ، وجمله بالأدب الوافر .

إنه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد الله دراز ، كان هادياً للعالم بأحاديثه العذبة القيمة ، كان جامعا للقلوب ، بعيدا عن مواطن العيوب ، جاهد في سبيل ربه ، وأخلص لله في عمله ، عرف الناس قدره ، وشهدوا حسن عمله .

ارتقب الناس زمانه بعد أن بلغ الله به ، وتطلع المصلحون إليه بعد أن أنهض الله الخير له ، ولكن حوادث المنون ، التي تشيب وتريب ، كانت وراء آماله ماثلة ، وسهامها النافذة كانت تمتد إلى قلبه الطاهر مسرعة وعاجلة ، ولو أن موت هذا العالم العظيم يفتدى ، لرخص والله الفداء بأموالنا وأنفسنا ، ولكنها المنايا إذا نزلت ، لا يدفعها مال ولا نشب ، وقضاء الله بالموت محتوم ، وأجل الله إذا جاء لا يؤخر .

وفي الحق إننا في موقف رهيب ، لا يترك للإنسان لبا ، ولا يستبقي منه قلبا ، وما أصعب الكلام على المرء وقلبه مثقل بالأحزان ، ونفسه مأخوذة بتصاريف الزمان .

ولو كان هما واحدا لاحتملته ... ولكنه هم وثان وثالث

هم أصاب العالم الإسلامي بفقد عظيم ديني، وعالم اجتماعي، قضى نحبه وهو مشغول بخدمة المجتمع الإسلامي، في لاهور، في الآفاق البعيدة النائية، في مصر وفي غير مصر بخدم الإسلام والمسلمين ....!

وهم أصاب العلماء بفقد علم من أعلامهم، وكان العلم المرموق المحقق ...!

وهم ثالث أعظم! أصاب أهل الأزهر عامة، وأبناء كلية اللغة العربية خاصة، بانقطاع ذلك المدد العلمي الروحي الفياض، الذي كانت تستمد منه قلوبهم، وتغتبط به نفوسهم، فقد كان علم الأستاذ الراحل كالماء يسوقه الله إلى الأرض الجرز فتحيا به الأرض بعد موتها، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ...!

إن الله الذي بيده ملكوت كل شيء هو الذي عجل بجواره إلى لقائه، وهو وحده الذي يلهمنا جميل الصبر على فقده، فإليك يا الله وحدك نتوجه، وأنت علام الغيوب، المطلع على هذه القلوب الحزينة، الخاشعة الذليلة الكسيرة، ونسألك أن تشمل راحلنا الكريم بعفوك ورضاك، اللهم اجعله في ولايتك وأنت ولي المؤمنين، واشمله بواسع لطفك ورحمتك وأنت أرحم الراحمين، وألهم آله وأصحابه وأسرته الأزهرية والعالم الإسلامي جميل الصبر على ما أصابهم ...

أيها الراحل الكريم ...! إننا في هذا الموقف الرهيب نذكر قول الإمام علي كرم الله وجهه، حين وقف على قبر زوجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها، يرثيها بقوله:

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي فاطما بعد أحمد ... دليل على ألا يدوم خليل

سلام الله عليك حيا وميتا، وسبحانك ربنا، إليك أنبنا، وإليك المصير، وإنا لله وإنا إليه راجعون ....!

كامل محمد حسن

وكيل كلية اللغة العربية

رثاء المرحوم
الدكتور محمد عبد الله دراز

طيب الله ثراه

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان مدير الأستاذ بكلية أصول الدين وهى قصيدة في نحو مائة بيت ونكتفى منها بنشر ثلاثين بيتا .

الله باق والورى لفنــاء   كيف الممات لسائر الأحياء

كل يصير إلى التراب وإنما   يبقى الإله مقلب الآناء

في قبضة الله الوجود جميعه   يجرى الأمور بحكمة وقضاء

وله المشيئة في الخلائق ، حكمه   جار على السراء والضراء

ما أنت يا دنيا سوى حلم حلت   فيــه الأماني ساعة الإغفاء

فإذا أفاق المرء من إغفائه   كنت السراب يلوح في البيداء

• • •

اليوم مات « محمد » علم الهدى   في عصرنا ، ومنارة العلماء

رجل يفيض كما يفيض البحر من   علم العميم ، وحكمة الحكماء

يلقــاك في ثغر الكريم وطبعه   مستقبلا ببشاشة السمحاء

خلق أرق من النسيم لطافة   وتواضـــع في عزة وإباء

ما كان في يوم يذل العلم بالـ   ـزلفى لذي جاه ولا بثراء

يمشي على هدى الكتاب وسنة الـ   ـهادي ونهج أئمة الفقهاء

خدم الحنيفة خدمة مشـــكورة   في المشرقين فحاز خير ثناء

ولكل مؤتمر يقوم ممثلا   للأزهر المعمور في الأنحاء

بالأمس في (لاهور) أدى واجبا   لله ، والإسلام خيـــر أداء

وهناك غالته المنون كأنه ... شمس الضحى غربت من الزرقاء

لك حكمة يارب مهما حل بالـ ... إسلام من محن ومن أرزاء

• • •

يا رافعا للدين راية مجده ... خفاقة في سائر الأجواء

إن الشريعة عند موتك نكست ... يوم الحداد عليك كل لواء

والمسلمون وقد رأوك مشيعا ... للقبر ما ظفروا بحسن عزاء

يبكون فيك شمائلا ومواهبا ... جعلتك غر الملة الغراء

لو كنت تمنع يا محمد بالفدا ... لوجدت عند الموت كل فداء

ماذا أقول من الرثاء لصاحبي ... والموت يخرس ألسن الشعراء

لو يملك المحزون غير دموعه ... صاغ الرثاء اليوم كالخنساء

الدمع أصبح من لساني منطقا ... عند المصيبة إن أردت رثائي

لا شيء بعدك في الحياة يسرني ... عظم المصاب فقل فيه عزائي

ومشى الأسى في عارفيك كأنه ... وهج السعير يدب في الأحشاء

نم في جوار الله يرعاك الذي ... يضفي عليك سوابغ الآلاء

فلقد دحضت عن الحنيف خصومه ... وأرغمتهم بالحجة الغراء

سيخلد التاريخ ذكرك عاطرا ... مثل الأريج يضوع في الأرجاء

صديقك المحزون

محمد سليمان بدير

الأستاذ بكلية أصول الدين

فقيد الأزهر

قصيدة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء

صدعت لأمر الله إذ كان داعيا ... وكذبت في منعاك من قام ناعيا

تملة مصدوع تمناه فاجئ ... يرد أساه فاكر القوم ناسيا

إذا جن ليل الخطب أو طم هوله ... رأى حدثاً من كان بالعين رائيا

وما كان خطبا تألف الأذن وقعه ... ولكنه خطب يهز الرواسيا

ولم تتصدع الجبال شم تلاعها ... كما صدعه بالفجاءة خاليا

تروح على الدنيا وتغدو لموعد ... تساوى به من راح أو ظل باقيا

تشابه أهلوها دينا ودانيا ... ومن كان مرئيا ومن كان رائيا

وكيف يرى حيا رهين بيومه ... إذا كان هذا اليوم لاشك آتيا

ومن وسد الأحباب في الترب ميت ... وإن عاش دهرا بعدهم ولياليا

يقسم فيهم كل يوم فؤاده ... ويحسب في الأحياء من كان فانيا

تحث المطايا والموت يحدو ركابنا ... ونبني المنى قبرا لمن كان بانيا

ونوغل في الدنيا اغترابا وكلنا ... على مورد الموت يسقى الصواديا

وبين حياة المرء والموت زورة ... فعشها كريما شامخ الرأس عاليا

وكيف تسيغ الورد والصبر واحد ... إذا لم تكن يوما سوى الله راجيا

(وإن ابن عبد الله عز مكانه) ... وما كان خوارا ولا كان واهيا

على الأزهر المعمور ما بال أهله ... من الهول مغشيا عليه وغاشيا

تلاطم فيه الدمع حتى كأنما ... ما دونه أيد تصد الأواذيا

تلقاه محمولا مسجى وكم غدا ... إلى ساحه بالأنس جذلان ساميا

مضى باسمه من راح يرفع رأسه ... ويشمخ (باكستان) منه عواليا

وكنا نرجي فيه أوبة سالم ... على الطائر الميمون يقظان شاديا

ألله فضله الجامعين بأرحج ... فتر أوربا ناعي الحرس باكيا

كأنما جلال العلم والموت هيبة ... تبارك من نعش طوى الحوساريا

تسير الموكب والملائك حولها ... تشيع مرموق الشمائل ساميا

وكم هز أطباق الأثير بصوته ... فهذا الأثير اليوم يعلوه حانيا

وكم قد غزا الآفاق حيا بهديه ... فما زال بعد الموت للأفق غازيا

هو الأزهر المعمور نكس حظه ... وأنغر جرح به أعيا المداويا

يبجل بالسباق فيه مظفرا ... وبالبحر ياماً وبالنجم هاديا

وبالفذ لماحا وبالندب عزة ... وبالورد منضورا وبالغصن حانيا

لقد كنت تأسو يا محمد جرحه ... فأمسى وما يلقى لفقدك آسيا

فأي أمان كن أحلام خاطر ... طموح المعالي لا يرى النجم نائيا

تعجلك المقدور عنها وقالها ... وأقسى المنايا ما يميت الأمانيا

ففي ذمة الرحمن ساع لربه ... ليلقاه مرضياً عليه وراضيا

حسن جاد

الأستاذ بكلية اللغة العربية

« اعتذار »

ورد للمجلة في رثاء فضيلة الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء، عدا ما نشر كلمات نثرية وأخرى شعرية – تنم كلها عن روح التقدير والإجلال والتأثر – وقد ضاق النطاق عن نشرها، فنعتذر للسادة مرسليها، ونخص بالذكر أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ محمد كامل الفقي والشيخ أحمد شفيع والشيخ محمود جبلة، الأساتذة بكلية اللغة العربية، والمجلة إذ تقدر للجميع صادق شعورهم، تتوجه إلى المولى جل وعلا أن ينزل الفقيد منازل الأبرار، ويعوض الأزهر والمسلمين فيه خيرا.

الحكمة في تعدد الزوجات

— ١ —

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » سبيلي وسبيل الأزهريين كلهم واضحة مستقيمة ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، سهل عبورها يسير السير فيها ، « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . سبيلنا أن ندفع بكل ما أوتينا من حول وقوة « ولا حول ولا قوة إلا بالله » تلكم الأستار الكثيفة والحجب المتراكمة التي وضعتها يد الأغراض ، وأسدلتها نزعة الشهوات على وجه ديننا الحنيف ، وهو الدين الخالص السليم من كل عيب ، البعيد من كل جور وحيف حتى تطاول عليه الملحدون بحجة العصمة العصبية وهو منها براء ، ومن أوزارها خلاء .

معاذ الله : أن تحجب نور الدين حجب وأستار ، أو تحول دونه شبه وأوهام ، ولكن المتحللين شاءوا أن يجعلوها عليه حجبا لأعينهم هم غشاء ، ولقلوبهم أكنة وغطاء ، فما أبصروا الدين ولا نوره ، وهو الهابط من سموات الجلال ، ومهابط التعاليم الربانية ، والحكم الإلهية ، انتشر نوره في جميع الأرجاء ، وملأت حكمته القلوب التي لم تعمها الأغراض والأهواء . سبيلنا « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .

سأتكلم هنا عن موضوع من أهم الموضوعات الدينية الاجتماعية وألزمها للمرء في أيام حياته ، وعليه وضع أساس العمران ومبدأ الحياة الاجتماعية ، وإنه ليؤلمني جد الألم أن أسمعنا في زمن سمع فيه ممن ينتسبون إلى الدين ــ بزعمهم ــ ما لم يكن سمعه من قبل إلا من المبشرين الأمريكيين وغيرهم من الدعاة إلى غير دين الإسلام ، فكانوا يعيبون على دين الإسلام قصورا منهم عن معرفة أسراره ، وتبين حكمة ما توجد في تعاليمه كلها من خير المجتمع ونفعه ، فعلهم أولئك جاهلين أو متجاهلين ، لغاية سيئة ظالمة اختمرت في رءوسهم « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

سأحاول ما استطعت شرح آية من آيات الذكر الحكيم أثبت الله بها أصلا من أصول الحياة العمرانية التي جاء بها الدين الحنيف ، وأسأل الله من فضله أن يمدني بروح منه ،

مستعينا بها في شرحها وبيان ما انطوت عليه من حكم وأسرار ، وبيان الحكمة العظيمة في تعدد الزوجات .

تلك الآية هي قول الله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » .

سأشرحها إن شاء الله وأبين متى يجوز تعدد الزوجات ، ومتى لا يجوز ، وأبين حكمة التعدد في ذاته .

ظاهر إلى حد البداهة أن القوانين كلها ــ ومنها الدين الحنيف ــ قامت ضد الشهوات ، ووقفت حائلة بين المرء والسير في طريق شهوته ، واتباع هواه ، وعرفوا إذا سميت الدين قانونا ، فإن الدين معتبر فيه أن يكون منسوبا لله سبحانه وتعالى حيث يعرفونه : بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول إلى اختيار ما هو خير لهم الخ . وليست كذلك القوانين ، فإنها مجموعة مواد تحدد بها المصالح فعلا أو تركا ، بقدر ما تصل إليه عقول واضعيها ، من تعرف أماكن المنافع والسبل المؤدية إليها ، غير أن الدين والقوانين تشترك جميعا في أن الغرض منها جميعها بيان طرق المنافع ، والحيلولة بين الناس وبين الشرور والمضار ، وغير خاف أن متانة القانون ورفعته إنما تكون بقدر ما حدد من مصلحة ، وبين من حكمة وهدى إلى سبيل ، وأرشد إلى خير وسعادة ، وإنما يكون ذلك في القانون بمقدار سعة علم واضعه ، وإحاطته بمصالح الناس في حاضرهم ومستقبلهم ، دنياهم وأخراهم ، وبمقدار حكمته ووضعه الأشياء فيما يصلح لها من مكان ، ويليق بها من زمان ، وخبرته بما تصير إليه أحوال الناس ، وما يحتاجون إليه بحسب هذا التغير والتطور ، فأن لهم في كل حالة أحكاما تلائم معهم ، وتصلح إن اتبعوها حفظتهم ، وأعتقد أننا لا نجد في الدنيا من يخالف في أن الله سبحانه أوسع علما وأحكم إرشادا وأهدى سبيلا ، إذا فالأديان أو القوانين الإلهية هي خير القوانين وأحسنها وأجمعها لمصالح العباد ومنافعهم « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

قوى الخير والشر في الإنسان

خلق الله الإنسان وركب فيه قوى مختلفة ، وجعل له منازع ينزع إليها بحسب ما فيه

من بواعث وشهوات وصفات فطر عليها . قال علماء الأخلاق : إن الله جلت قدرته جعل في الإنسان النفس والعقل ، أما النفس فتدعوه إلى الشرور والقبائح « إن النفس لأمارة بالسوء » ، وأما العقل فيدعوه إلى الخير ومحاسن الأشياء ، وما سمى عقلا إلا لعقله صاحبه ومنعه عما يضره ويؤذيه . ومَدَد النفس الشهوات ، ومدد العقل العلم والعرفان ، فكان عدلا وإنصافا وحكمة ، أن يقف الدين أمام الشهوة ولا يرخى لأربابها العنان ، وإلا لهلكوا وفسدت أحوالهم ، وليس من الحكمة في شيء أن يصدها صدا تاما ويمنعها عما تصبو إليه وتتوق له ، وهو فطرة من الفطر التي فطر الله الناس عليها ، فشرع لها ما تأخذ منه حاجتها على قصد وعدم إفراط . ولا أتكلم عن جميع قوى المرء الشهوية وغير الشهوية فإن ذلك يحتاج إلى بحوث كثيرة طويلة ، ولكنى سأقصر الكلام على شهوة النكاح ، فإنه هو الذي تتكلم عنه الآية الكريمة ، وتشرع للناس حاجتهم منه وكفايتهم فيه .

ذكر الأطباء والشرعيون أيضا أن الشهوة أو النطفة تتولد في الشخص من أنواع الغذاء ، وأن بقاءها بالجسم باستقرار ضار به إلى حد ما ، هذا أنها مع هذا هي أصل التناسل وأساس الذرية . وكما أن الله سبحانه جعل شهوة الطعام وسيلة إلى بقاء الأشخاص إلى غاية ، فإنه جعل النكاح كذلك وسيلة لبقاء الأنواع إلى غاية ، مع ما فيه من التناسل وكثرة الأولاد التي يباهي بها النبي صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة ، كما يفيده قوله صلى الله عليه وسلم : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة » ، تلك حكمة من حكم النكاح وسره الذي أبيح لأجله ، ومن حكمه أيضا كسر الشهوة التي يضر بقاؤها في الجسم ، وقد تحمل صاحبها على الفسق والفجور إن لم يجد حلالا ، كذلك فيه الإعانة على تدبير المنزل وتنظيمه وكثرة العشيرة .

بيان الآية الكريمة

يقول الله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

لما نزلت الآية قبلها في أمر اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير والإثم العظيم ، تحرج الناس من ولاية اليتامى وخافوا أن يلحقهم ذلك العصيان الكبير بترك الإقساط

وهو العدل والإنصاف في أموال اليتامى وحقوقهم ، وكانوا مع هذا لا يتحرجون من ترك العدل بين النساء اللاتي في العصمة ، بما جبلت عليه النفوس من الظلم وارتكز في الطباع من حب التغلب وجمود الرأى .

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

فان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من النساء أو الست أو السبع - قبل تحريم الزائد على الأربع - وكان لا يبالى عدل بينهن أو جار ، قام بحقوقهن أو قصر ، فأراد الله وهو الناصح الحكيم لعباده اللطيف بهم أن ينبههم إلى أن النساء لسن أمتعة في أيديكم تعملون بهن ما تشاءون من حيف وجور ، بل هن أناسى مثلكم لهن عليكم حقوق كما لكم عليهن حقوق « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » .

وفى الحديث الشريف : « اتقوا الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم (أى أسراء) أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » ، وكما أنكم تكرهون أن يجار عليكم وأن ينزل بكم ظلم ، فكذلك النساء لا يردن ذلك ولا يرضاه الله لهن ، وإذا كنتم تتحرجون من ولاية اليتيم خشية الإثم والمعصية فتحرجوا أيضا من ذنب يساويه فى الخطورة ، فان من خشى ذنبا وخافه وهو مرتكب مثله فليس بخاش ولا خائف ، فإنما تجتنب الذنوب وتحذر لأنها يحرمها على قبحها وسوء مغبتها والقبح قائم فى كل ذنب ، فليس من الحكمة والرشد ترك ذنب والإقامة على مثله ، فان خشيتم عدم العدل فى اليتامى فخافوا مثله فى النساء اللاتى فى ولايتكم ، فإن الظلم أنى وجد شىء قبيح ، فقللوا من النساء وانكحوا ما طاب لكم منهن لتستطيعوا العدل بينهن « ولا تميلوا كل الميل » فان القلة أقرب إلى العدل وأيسر إلى المحافظة ، وفى الحديث : « من كان له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » .

وقيل - كان القوم يتحرجون من ولاية اليتيم ، ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم : إن كنتم تخشون الجور فى حق اليتامى لقبحه وضرره ، فاخشوا الزنا فانه أضر منه وأسوأ مآلا ، وانكحوا ما طاب لكم من النساء ، ولقد جرت عادة الله سبحانه فى سنيه لعباده أن يقرن لهم النظير بالنظير ، ليبين لهم ما فيه صلاحهم وحسن حالهم .

محمد الطنيخي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير الوعظ بالجمهورية المصرية

البعثة المحمدية

وحاجة العالم إليها وعموم الرسالة

(١) حاجة العالم إلى البعثة المحمدية :

أطبقت كلمة الباحثين في تاريخ الشعوب والأمم ، على أن العالم قبل البعثة المحمدية ، كان مغمورا بموجة عاتية من الفساد الاعتقادي والعملي ، أشاعت في آفاقه الأحداث والفتن ، وقوضت في أنحائه دعائم الأمن والاستقرار ، وبعثت في حكامه روح الظلم والطغيان ، وأسفت في شعوبه أوضاع السلوك والتدين ، فاضطربت في أممه أنظمة الإدارة والحكم ، وتقطعت بينها روابط الصلات والجوار ، واختلت في أعمالها موازين الحق والعدل .

فقامت فيها الحياة الاجتماعية على كبت الحريات ، واعتقال الألسنة والعقول في محابس الاضطهاد والاستبداد ، وسفك الدماء المعصومة على مذابح القسوة والاستعباد ، وقامت الحياة السياسية على سلطان القوة الغاشمة ، التي لا تعرف حقا ولا عدلا ، وروح الجبروت الحربي الذي لا يرعى ذمة ولا عهدا ، وقامت الحياة الدينية في أوضاعها وصورها ، على تحكم الأهواء والشهوات ، واختراع الشرائع والأديان ، والعكوف على عبادة الأصنام والأوثان ، هكذا كان حال الحكام في طغيانهم واستبدادهم ، وحال المحكومين في شقائهم واستعبادهم ، وهكذا كانت مظاهر الحياة في نواحيها السياسية والاجتماعية والدينية ، فإن شعوب العالم في هذه الحقبة من الزمان ، كانت تتمثل في دولة الفرس في الشرق ، ودولة الروم في الغرب ، والأمة العربية في جزيرة العرب .

أما الفرس والرومان ، فإن التاريخ وإن سجل لهم ما سجل من حضارات ومدنيات ، ونقل عنهم ما نقل من أنظمة وتشريعات ، إلا أنه سجل عليهم بجانب ذلك كله ، أنهم أقاموا هذه الحضارة بكل مقوماتها وأهدافها ، على رغبات الأهواء والشهوات ، ونزعات الظلم والطغيان ، ونزوات القسوة والاستبداد ، واغتصاب الحقوق وإهدار الكرامات ، فكانت شقاء للشعوب والأمم ، وبلاء للأفراد والجماعات ، لأن الحضارة التي لا تقوم على هدى الشرائع السماوية ، تدفع أهلها إلى التحلل من القوانين الأخلاقية والقيم الروحية ،

والتشريع الذي لا يقوم على قواعد العدل الإلهي ، يكون من أقوى البواعث على ظلم العباد واستعباد الرقاب ، وويل للأفراد والجماعات ، من ظلم تقرره التشريعات الجائرة ، وطغيان تحميه القوانين الظالمة .

وأما الأمة العربية في بداوتها ، فإنها على رغم ما كانت تمتاز به من حياة الحرية والاستقلال ، كانت غارقة في جاهلية جهلاء ، فقد كانوا في فترة من إرسال الرسل وتشريع الشرائع ، فمضوا فيها زمنا طويلا وهم أبناء الطبيعة البحتة ، تسيرهم في مناحي الحياة وألوانها ، على النهج الذي توحى به أهواؤهم وشهواتهم ، فانحرفت أخلاقهم وطباعهم ، وفسدت عقائدهم وأحكامهم ، وبعثت فيهم نزعات العصبية الجاهلية ، فاستحوذت على قلوبهم وعقولهم ، وتحكمت في تفكيرهم وسلوكهم ، وحببت إليهم العتو والنزوع إلى الشر وفرقتهم شعوبا وقبائل متعادية .

وهكذا تحكمت الأهواء والشهوات في سلوك الشعوب والجماعات ، واستشرى الفساد في كل جانب من جوانب الحياة ، واختفت معالم الشرائع السماوية في كل ناحية .

هذه صورة إجمالية لما كان عليه العالم قبيل البعث المحمدي ، وهي كما ترى تدل دلالة قاطعة ، على أنه كان في حاجة شديدة إلى صيحة من صيحات الحق الإلهي ، تقوض عروش الطغاة الجبابرة ، وتزلزل قواعد القوة الغاشمة ، وتنقذ الإنسانية من محنتها وويلاتها ، وتملأ جوانب الأرض حقا وعدلا ، وتنشر في أرجائها الأمن والسلام والاستقرار ، وهذا هو الذي أراد الله كونه فكان ، فقد تداركته رحمة الله ببعثة خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

فكانت بعثته صلى الله عليه وسلم ، استجابة لدعوة أبيه إبراهيم عليه السلام ، كما قال الله تعالى حكاية عنه في دعائه : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » ٢ : ١٢٩ » وتحقيقا لبشرى أخيه عيسى بن مريم ، كما قال عز شأنه : « وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، ٦١ : ٦ » ورحمة عامة للعالمين ، كما قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، ٢١ : ١٠٧ » ومنة كبرى على المؤمنين ، كما قال جل جلاله : « لقد من الله على

المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ٣ : ١٦٤ .

وببعثته صلى الله عليه وسلم ، اكتمل عقد النبيين والمرسلين ، وتكاملت لبنات البناء الذي أقامه النبيون السابقون ، كما قال الله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ٣٣ : ٤٠ ، وقال صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » ، وبها تمت مراحل التشريع السماوي ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ورسالته صلى الله عليه وسلم خاتمة النبوات والرسالات ، وخاتمة المراحل التشريعية السماوية ، ومكملة لبناء الإصلاح الذي أقامه النبيون من قبله ، فلا نبوة ولا شريعة بعد نبوته وشريعته ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وخلاصة القول في هذا المطلب ، أن البعثة المحمدية كانت ضرورة لإصلاح حال المجتمع الإنساني ، وقضت بها سنة التدرج في التشريع السماوي ، والسير بركب الحياة الإنسانية إلى الكمال المقدر لها ، إذ لو كانت الدعوة المحمدية غير ضرورية لإصلاح العالم في مرحلته الأخيرة ، أو كانت منقطعة عن مرحلة تشريعية لا تحتاج إلى تشريع جديد ، أو كانت آتية في تشريعها على خلاف سنة التطور في الإصلاح الديني ، أو كانت من مبتكرات العقل البشري ، أو كانت مستمدة من الوحي الباطني كما يزعم الجاحدون والمضللون ، لكانت شريعتها أضيق الشرائع أفقا وأسرعها عمرا ، ولما استطاعت الصمود أمام الأحداث العنيفة التي لاحقتها في بدايتها ، واستمرت معها في صراع عنيف وكفاح رهيب ، والتي لاتزال معها في هذا الصراع والكفاح إلى الآن ، ولكن اقتضاء حاجة العالم لمرحلتها التشريعية ، وجريها على سنة التطور التشريعي ، ووضوح دلائل صدقها وحقيتها ، وروعة تشريعها وإصلاحها ، وصلاحية هذا التشريع لكل زمان ومكان ، ومسايرته لمطالب الحياة الإنسانية في أكمل صورها وأشكالها ، كل ذلك هو الذي جعلها تثبت أمام هجمات هذه الأحداث العنيفة ، وتنتصر عليها انتصارا رائعا ، وجعل صوتها يدوي في الأمصار والأقطار ، ونورها يتألق في الأجواء والآفاق ، رغم ما قام في طريقها من عقبات وأحداث ، فقد حاربتها الأعداء في ماضيها وفي حاضرها ، بأموالها ورجالها

وطمسها ، وسلط عليها جهلة المبشرين والمستشرقين ألسنتهم وأقلامهم ، فلم ينالوا من قوتها منالا ، ولا استطاعوا الوقوف في طريقها ، ولا صرف القلوب عن دلائل صدقها ، ولا صد الشعوب عن الانضواء تحت لوائها « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » ٩ : ٣٢ – ٣٣ » .

(٢) عموم الرسالة المحمدية :

وكما أكمل الله مراحل التشريع السماوي ، ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وجعله خاتم النبيين والمرسلين ، جعل رسالته عامة باقية ، لا تختص بأمة دون أمة ، ولا بزمان دون زمان ، كما قال جل جلاله : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا » ٧ : ١٥٨ « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ٢١ : ١٠٧ » « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » ٢٥ : ١ » « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » ٣٤ : ٢٨ » فهذه الآيات القرآنية وغيرها تماثلها في معناها ، تقرر في وضوح وجلاء ، أن الله تعالى – وهو صاحب السلطان المطلق – أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، وبشيرا ونذيرا للناس أجمعين ، لا فرق بين بدوي وحضري ، ولا بين عربي وعجمي ، ولا بين زمان وزمان ، وقد نفذ الرسول ذلك التعميم تنفيذا عمليا ، حيث بعث برسله وكتبه إلى الشعوب والأمم ، على اختلاف أجناسها وعقائدها وأوطانها ، فقد أرسل رسله بكتبه ، إلى هرقل ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والمقوقس عظيم القبط بمصر ، والنجاشي ملك الحبشة ، والحارث الغساني ملك الحيرة ، والحارث الحميري ملك اليمن ، يعلمهم فيها بعثته ويدعوهم إلى الإسلام ، وعلى ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « إن الله قد بعثني رحمة للناس كافة » ، وقد سار على ذلك الخلفاء الراشدون من بعده .

وإنما كانت رسالة الإسلام رسالة عامة دون غيرها من الرسالات ، لأنها الرسالة التي نزلت من السماء ، وقد مر على النوع الإنساني أزمان وأجيال ، كان فيها بين سمو وسقوط ، وارتفاع وهبوط ، وتقلب في كثير من أطوار التشريع السماوي ، فأنضجت عقله وفكره أطوار الحياة وأحداثها ، وبلغت به سنة الترقي طور النضوج والرشد ، وتركت أكثر شعوبه في أخلاقها وعاداتها ، وأفكارها واتجاهاتها ، وتقاربت بينها طرائق الحياة والمعاملات والصلات ، وأعدته الشرائع السابقة لمرحلة التشريع العام ، فاستعد لإدراك

أدق دلائل التوحيد والتنزيه ، وإحكام النظر في ملكوت السموات والأرض ، واستجلاء آيات الله الكونية والتشريعية ، وفهم أصول التشريع العام وفروعه ، وتطبيق قواعده على ما يعرض له من أحداث وأقضية ، وبذلك أصبح العالم ماثلا للاستواء تحت قيادة دينية واحدة ، في ظل نظام تشريعي واحد ، يقوم بتبليغه وتبيينه رسول واحد ، هو رسول السلام ونبي الإسلام ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وبذلك توحدت القيادة الدينية البشرية في مرحلتها الأخيرة ، وجمعت عناصرها في يد قائد واحد بأمر إلهي ، أخذ الله به العهد والميثاق على الناس أجمعين ، وأشهد على ذلك النبيين ، وكان معهم من الشاهدين ، كما قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » ٣ : ٨١ — ٨٢ « ولا يخفى أن أمم النبيين تابعون لهم ، في أخذ هذا الميثاق ووجوب الوفاء به عليهم .

وخلاصة القول في هذا المطلب ، أن التشريع الإسلامي تشريع عام خالد ، لا يختص بأمة دون أمة ، ولا بزمان دون زمان ، ولا يعرض له نسخ ولا تبديل ، ولا يحتاج إلى تعديل أو تغيير في أصوله وقواعده ، وأقصى ما يحتاج إليه في العمل به ورد الأحداث إلى أحكامه ، إنما هو الاجتهاد في الوقوف على مصادره والإحاطة بها ، وفهم نصوصها على مقتضى قوانين اللغة العربية في أوضاعها ودلالاتها ، وكيفية تطبيق هذه النصوص على أحوال الناس وأعمالهم ، وما يعرض لهم من الأحداث والأقضية ، التي تقتضيها تطور الحياة في حضارتها ومدنيتها ، إذ ليس من شأن التشريع العام الخالد أن يبين على سبيل النص والتفصيل ، أحكام كل ما يمكن أن يحدث على مر الأيام وتجدد الزمان ، وإلا لعجزت العقول والأفهام عن إدراكها والإحاطة بها ، وإنما شأنه أنه يبين على سبيل النص والتفصيل ، الجوانب التشريعية التي لا مجال للعقل فيها كالعبادات ، وهذه الجوانب لانحصارها وانعدام صورها ، يمكن الإحاطة بجزئياتها وتفاصيلها .

وأما الجوانب التشريعية التي للعقل فيها مجال ونظر ، والتي لا يمكن الإحاطة بجزئياتها وتفاصيلها ، لتجدد صورها بتجدد ألوان الحياة والمعاملات ، فإنه يكتفي فيها بوضع الأصول العامة والقواعد الكلية ، التي يمكن البناء عليها والاستنباط منها ، مع النص على بعض الجزئيات التي توضح هذه القواعد الكلية ، والتي تصلح لإلحاق نظائرها بها ، في

أحكامها التي ثبتت لها بطريق النص الشرعي ، فإن كل ما يمكن أن يحدث في مرحلة التشريع الإسلامي ، من شئون الحياة وأحداثها وأقضيتها ، لايخرج عن كونه جزئيا من جزئيات قاعدة كلية يأخذ حكمها ، أو صورة مكررة لما حدث في عهد التشريع وتقرر له حكم شرعي ، أو نظيرا له فيكون لاحقا به في حكمه الذي تقرر له ، ولهذا كان إلحاق الأشباه والنظائر المسكوت عنها ، بأشباهها ونظائرها المنصوص عليها ، أصلا من أصول التشريع الإسلامي ، وهذا الأصل هو المعروف بالقياس الشرعي .

ومما تقدم يتضح لنا جليا ، أن ما يتقوله الجاحدون والمضللون ، من أن الرسالة المحمدية خاصة بالعرب وحدهم ، أو خاصة بمن كانوا في عهدها وخوطبوا بها شفاها ، أو أنها ليست خاتمة النبوات والرسالات ، أو أن تشريعها لا يساير الحضارة الإنسانية في عصور رقيها وتقدمها ، إنما هو كذب وافتراء ، وتضليل وتدليس ، وإسفاف في ظلمة الجهل القاتل ، وانقياد أعمى للعصبية الغاشمة ، وتمرد على قدسية الميثاق الإلهي ، الذي شهد به النبيون على أنفسهم وأممهم ، وشهد الله به على هؤلاء وهؤلاء ، وكفى بالله شهيدا ؟

يس سويلم طه

المفتش بالأزهر

« استدراك »

في الجزء السابق

السطر ١٦ من كلمة فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر في معسكر الأزهريين ، المنشورة صدر الجزء السابق (الصواب) : « فيهما تجمعون بين الناحيتين النظرية والعملية » — بدلا من : « فيهما تجمعون بين الناحيتين النظرية والعمية » .

السطر ٢ من هامش ص ٥٤٦ (الصواب) : « أبو بكر » — بدلا من : « عثمان » .

الاسلام والمسلمون فى صحف العالم .

شىء من تاريخ الاسلام
فى يوغوسلافيا

نقلت وكالات الأنباء من سراى بوسنة فى يوغوسلافيا أن احتفالا كبيرا أقيم بمناسبة تسلم الحاج سليمان كيميورا مهام منصبه الديني رئيسا على علماء المسلمين ، وقد حضر هذا الاحتفال الحاج سيلمو بيجوفيتش سكرتير المجلس التنفيذى للشئون الدينية ، وأعضاء المجلس التنفيذى لجمهورية البوسنة والهرسك ورجال الدين من الأرثوذكس والكاثوليك واليهود وأعضاء مجلس الأديان الأعلى .

وقالت الأنباء : إن الحاج سليمان ألقى خطابا فى الاحتفال قال فيه : إن من واجباته إقامة علاقة الصداقة مع رؤساء الأديان الأخرى فى يوغوسلافيا ، فعقيدة الإسلام ووطنية المسلمين تدعو لنشر مبادئ الأخوة بين الشعب باعتبارها أساسا لسعادتنا ورخائنا وتقدم بلدنا ، ثم قال : إن الإسلام يدعو للسلام فيه رخاء الجنس البشرى وصلاحه .

وأعلن باسم مسلمى يوغوسلافيا معارضته لإنتاج الأسلحة الذرية وتأييد قادة يوغوسلافيا فى مطالبهم بوقف التجارب الذرية ، ثم أعلن فى ختام خطابه تأييد مسلمى يوغوسلافيا لكفاح الشعوب المستعمرة من أجل الحصول على استقلالها القومى والاقتصادى .

وإنما عنيت بنقل هذا الكلام لعله أن يكون تذكرة بمجد غابر وتاريخ حافل وأيام سالفة للإسلام فى تلك البلاد ، ثم طوت الأحداث صفحتها ، فليس فينا من يذكرها ، أو يدرى شيئا عنها ، وكأن ما ذهب من مجد آبائنا قد ذهبت بحقيقته الأيام .

فمن هنا يذكر أن مدينة سراى بوسنة هذه إنما أسسها المسلمون عند دخولهم تلك البلاد .

ويقول الرحالة التركي « أوليا شلبي » في رحلته : إنه كان فيها على زمنه في أواسط القرن الحادي عشر مائة وسبعون مسجدا ، منها سبعون جامعا تصلى فيها الجمعات ، كما كان فيها مدارس أهلية ومدارس للصبيان خاصة ، يتعلم فيها الأولاد الحروف العربية وقراءة القرآن والعقائد وأحكام الصلاة والصيام ، وكانت هناك مدرسة خاصة يتخرج فيها قضاة ونواب الشرع ، بل لقد ذكر «أوليا شلبي» وهو يتحدث عن مدينة بلغراد عاصمة يوجوسلافيا أنه كان بها مائتان وسبعة عشر مسجدا وثمان مدارس وتسع دور للحديث وسبع عشرة تكية للذكر ومائتان وسبعون مكتبا لتعليم الصبيان .

وكان في مدينة سراي مجلس من أربعة من العلماء يسمى مجلس « الرئاسة العلمية » ، وعليهم شخص يسمى « رئيس العلماء » ، وكانت رئاسته في أول الأمر خاصة بمسلمي البوسنة والهرسك ، ثم أصبحت شاملة لجميع المسلمين في يوجوسلافيا ، وهذا المجلس هو الذي يسمى الآن مجلس علماء المسلمين ، وهو الذي تولى رئاسته الحاج سليمان كيميورا كما نقلت لنا الأنباء .

ترى من منا يذكر ذلك التاريخ ، أو بعض شيء مما كان للمسلمين من أمجاد في تلك البلاد ، وما بذلوه لخدمة الحضارة والإنسانية والعلم والأدب ، وما خلفوا وراءهم من ثروة ثقافية ضخمة استبدت بها الأحداث ، وطوتها الأيام في مطاوي النسيان ، بل من منا يعرف شيئا عن حال المسلمين في تلك البلاد اليوم ومدى ما هم عليه من صلة بالمسلمين والإسلام ؟! . .

إننا والله لا ندري ، وإني لأعود على صفحات هذه المجلة فأدعو الأزهر وأدعو المؤتمر الإسلامي وأدعو جمعية الشبان المسلمين إلى أن أول واجب عليهم هو عقد أواصر الصلة والتعارف بين المسلمين في أطراف الأرض ، فإنه لن تكون للمسلمين وحدة ونهضة إلا على أساس من التآخي والتعارف ، أليس من العار أن يكون لشراذم اليهود في أنحاء العالم رابطة واحدة تربطهم وتوجههم وترسم سياستهم ، والمسلمون في مناطقهم متفرقون متدابرون ؟! .

لعن الله السياسة .

تركيا تتحدث في هذه الأيام عن الرابطة الإسلامية ، وهي عاتبة على دول العالم

الإسلامي ودول الجامعة العربية بصفة خاصة ، لأنها لا ترعى حقوق هذه الرابطة ، ولا تمشي في اتجاهاتها السياسية الدولية مع الأخوة التي تفرضها هذه الرابطة .

فقد أذاعت إذاعة أنقرة تعليقاً تناقلته الصحف العربية قالت فيه : إن العالم الإسلامي بدأ يشعر بضرورة تبني جميع القضايا التي تهم المسلمين أينما كانوا ، لأن المؤمنين إخوة مهما تخالفوا أو تباعدوا ، ثم قالت : والرأي العام التركي يهتم كثيراً بالقضايا الإسلامية ، كقضايا الجزائر وفلسطين وكشمير وغيرها قضايانا ، وضربت مثلاً لذلك بالمساواة التي قوبل بها ممثلو هيئة تحرير الجزائر ، عند وصولهم للاتصال بالهيئات التركية في موضوع طرح القضية الجزائرية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ثم خلصت الإذاعة التركية من هذا إلى ما تريد فقالت : ولهذا استغربنا صدور قرار من جامعة الدول العربية يقضي بتأييد اليونان ضد تركيا المسلمة في قضية قبرص ، كما استغربنا سلوك بعض الدول طريقاً خاطئاً ، بتأييدها الهند التي اعترفت بإسرائيل في قضية كشمير ضد باكستان المسلمة ، التي كانت دائماً في صفوف العرب ضد إسرائيل ، بل إن مما يحز في النفوس أن لا تجد الدول الإسلامية تهتم بما يعانيه مسلمو روسيا من إهدار الحريات الدينية واضطهاد لدينهم الإسلامي الحنيف .

وناشدت إذاعة تركيا العالم الإسلامي أن لا يهمل واجب الدفاع عن مسلمي روسيا ، وقالت : إننا نود ألا تؤثر العواطف السياسية على توجيه التعاون بين المسلمين ، ونرجو أن يكون هذا التعاون خالصاً لله وفي سبيله .

وهذا كلام حسن في ذاته ، وكنا نود أن يكون خالصاً لله وفي سبيله ، ولكنا في مقام الكتابة نستطيع أن نذكر لتركيا عشرات الأمثلة التي بدرت من جانبها نحو الدول الإسلامية ولا تقرها الأخوة ولا يرضاها الإسلام .

فتركيا التي تذيع هذا الكلام هي التي تنكرت في سياستها للإسلام والمسلمين أكثر من ربع قرن ، حتى نشأ الناشئون من أبنائها في مدارسها على ذلك ، وآخر ذلك أنها حشدت قواتها على حدود سوريا المسلمة ، وأخذت تتحرش بها في عناد عجيب ، استجابة لرغبة أمريكا ، لا لشيء إلا لأن سوريا حصلت على صفقة من الأسلحة لتتقي بها اعتداءات إسرائيل ، ولتحمي نفسها من المؤامرات الاستعمارية والصهيونية ، فهل هذا مما يرضي الأخوة الإسلامية ويتفق مع رابطة الإسلام ؟ !

وتركيا التي تشيع هذا الكلام هي التي تؤيد إسرائيل ضد العرب والمسلمين ، وتتعامل معها اقتصاديا على أوسع نطاق ، وتبادلها التعاون في شتى الميادين ، فهل هذا مما يرضى الأخوة الإسلامية ، ويتفق مع رابطة الإسلام ؟!

وإذا كانت تركيا قد نسيت ، فنحن في مصر لا يمكن أن ننسى أبدا يوم أن خرج سفيرها في القاهرة مع سفراء أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، ليوجهوا إنذارا إلى مصر لأنها ألغت معاهدتها مع بريطانيا ، وأرادت أن تتخلص من ربقة ذلك الاستعمار البغيض الذي قيدها أكثر من سبعين عاما عن الحركة والنهوض ، فهل كان هذا مما يرضى الأخوة الإسلامية ويتفق مع رابطة الإسلام ؟!

إننا كنا نتمنى صادقين أن يكون حديث تركيا عن واجبات الأخوة الإسلامية عن عقيدة ويقين ، وكنا نرجو لو أنها هي ارتفعت بحقوق هذه الرابطة فوق العواطف السياسية ، والاتجاهات الحزبية الأنانية ... وأن تجعل تعاونها مع العالم الإسلامي كما تقول خالصا لله وفي سبيله ...

إننا كنا نرجو هذا ، وكنا نرجو أن تراجع تركيا موقفها ، وأن تعي هذا الدرس قبل أن تلقيه علينا ، وأن تراجع صفحتها قبل أن تنشر صفحة غيرها ، ولكن لعنة الله على السياسة فإنها كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده : ما دخلت في شيء إلا أفسدته ، وما أفسد المسلمين إلا تلك الملعونة التي اسمها السياسة ، وما دخل على المسلمين الشر إلا من يوم أن جعلوا هذه السياسة شيئا غير الدين ، واتجاها غير اتجاه الإسلام !!

محمد فهمي عبد اللطيف

مكيدة تحديد النسل

نشرت (الجمهورية) يوم ٢٢ يناير الحالي ، تلخيصا للنشرة الأمريكية الرسمية للشئون الخارجية ، من ص ٢٩١ يتبين منه أن الدعوة في مصر وسوريا لتحديد النسل في مصلحة التوسع اليهودي في دولة إسرائيل .

العلم الأزهرى المتدين المتحرر الكريم

الشيخ حسونة النواوى

١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) — ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م)

كان هذا الشيخ متدينا يكرم نفسه ويرتفع بالعلم الذى منحه الله عن كل دنية ، وكان – إلى ذلك – متحررا من كل قيد ، ومحاربا لكل تقليد يحول دون مسايرة الحياة ، ويقف حجر عثرة فى سبيل التقدم والمدنية ، إلا أن يكون ذلك القيد من قيود الدين التى لا محرج منها ، فانه كان أشد الناس تمسكا بها وأحرصهم عليها ، لا يحول دون تمسكه بها إغراء بمنصب أو مادة ، ولا إرهاب بما يخاف منه المتخوفون ، أو يتوهم الشر فيه المتوهمون ، لا يرى مع تحرره وانطلاقه خيرا إلا فى الإسلام وتعاليمه ، وهو دين التحرر والانطلاق فيما لا يسىء إلى الآخرين ، ولا يبغى على حقوق المخلوقين ، فهو دين الميزان السليم الذى يجمع الإنسانية تحت لواء الحب وتبادل المنافع والتعاون على الخير حيثما كان !

رحم الله الشيخ وأجزل مثوبته ، فوالله ما ذكرته على ما كان يمثل لى إلا ذكرت مجدا من أمجاد الأزهر والإسلام ، جديرا بكل أزهرى وبكل مسلم أن يحتذيه ، على أنى رأيته فى حياتى مرة واحدة فى جنازة أخ لى مات صغيرا ، وكان الشيخ فى أخريات عهده بالدنيا ، فشغلنى النظر إليه على ضآلة جسمه ، عن كل ما يحف بى من ألم ، وما أصابنى من مصيبة ، وقد كانت فرصة تتيح لى أن أرى ذلك العلم الشامخ الذى كان من مفاخر الأزهر وأمجاده ، وكان ذلك فى سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) وأنا طالب بالسنة الثانية الابتدائية بالأزهر .

كان الشيخ يمثل فى عزته وإبائه ورفعة نفسه مجد السلف الأولين من علماء الإسلام ، الذين كانوا يعلون على الأمراء ويستعلون على الخلفاء ، فما يبالون أسخطوا أم رضوا ، إذا كان الله هو الذى يأمرهم ودينه هو الذى يوجههم ، فهم يتجهون صوب توجيهه ولو كره ذلك الناس جميعا .

وكان يرى العز كل العز في الإيمان بالله واللجوء إلى كنفه واللياذ به، والاعتداد بالعلم الذي تفضله به على غيره من عباده، والانقياد للحق وتلبية داعيه!

ولقد طالما اختلف مع الخديوي (عباس الثاني) في كثير من المسائل كما حدثنا من عاصروه، فكان يأبى إلا أن يعتد بما يراه الحق ولو أدى إلى خروجه من مشيخة الأزهر، كما سترى تفصيل شيء من ذلك.

ولقد قامت الدعوة إلى الإصلاح وصاح بها الأستاذ الإمام محمد عبده، ليخرج الأزهر من ركوده وليجمع له خير الدين والدنيا، فكان الشيخ حسونة النواوي أكبر مناصر لهذه الدعوة وعامل على تحقيقها مع الشيخ عبد الكريم سلمان، الذي كان أبرز صديق للأستاذ الإمام، على كثرة ما اختلف الأزهريون - إلا قليلا منهم - على الأستاذ الإمام، وكتبوا في شأنه ما كتبوا، كما كتبوا في الشيخ حسونة النواوي، وحاولوا أن يحولوا دون ترشيح الخديوي إياه لمشيخة الأزهر فما أفلحوا، فقد كان عباس يريد ألا يتخلف الأزهر عن مسايرة شعبه يوم ذاك، وإن كان قد عاد مصادما في أوقافه وحقوقه. ومهما يكن من شيء فقد كان الشيخ حسونة النواوي نسخة أمثلة من خير من يعملون على تدعيم الأزهر في إدارته وفي مناهج دراسته وفي تنظيم إجازته، وكان شديد الحرص على أن تكون له الكلمة العليا في كل ما يتصل بشئون الدين، وألا ينازع الأزهر وشيخه في ذلك أحد ولو كان ملكا تحف به الجنود وتخفق من فوقه البنود.

وكان والدي - رحمه الله - ممن عاصروا الشيخ وعاشروه وتتلمذوا معه وأعجبوا بشجاعته وصرامته وحرصه على كرامة العلم والدين، فكان ينتهز فرصة وجودنا في مجلسه فيحدثنا بالكثير من أخبار الشيخ وتاريخه، ويروي لنا الكثير من ذلك، ليكون فيه المثل لنا والموجه في الأخلاق والولاية للحق والاستماتة فيه.

* * *

ولقد ولد الشيخ - رحمه الله - في قرية نواي في أسرة كان جو بيتها مجدها، وموجه أعلمها، بما كتب الله سبحانه له أن يكون ممن يسعدهم القرآن والعلم، وإنما يسعد القرآن والعلم كل نفس طاب عنصرها، وكرمت أرومتها، فكانت كأرض طيبة قبلت الماء فأنبتت العشب والكلأ، وجادت على الإنسانية بالخير العميم. «وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج».

كذلك كان الشيخ ممن باركهم الله بالعلم ورفعهم به درجات .

• • •

لم يكن الشيخ من أبناء الأغنياء المترفين الذين ينشأون فى التنعيم يأكلون من الطعام ألوانا ، ويتشدقون فى الكلام — وما أكثر ما يصرف الكبر والترف هؤلاء عن السمو الصحيح والعلم النافع والمجد المنشود — وإنما كان الشيخ من أبناء الفقراء الذين تضافر على تربيتهم وتكوينهم هذا الفقر الذى يعرف الإنسان قدر نفسه ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، ثم هذا الفقر الذى يعلم النفس التواضع لله ولعباده ، ويحضض إخوانهم على العطف عليهم وتكريم إنسانيتهم ، إلى العلم النافع الذى يزيد الإنسان بصرا بربه ، وتقربا إليه بكل ما هو رحمة للإنسان وإحسان لخلافة الآدمية فى الأرض ، حتى يصير صاحبه من ملائكة الإنسان فى الأرض ، ومن مفاتيح الخير ومغاليق الشر ، هذا كله إلى كرم العنصر الذى عرفت به الأسرة وتجلى فى شهامة أفرادها ، ونصرتهم للمظلوم وتقديرهم لذوات الكرام وتعففهم وترفعهم ، وقد تجلى ذلك فى الشيخ فى مواقف الصلابة فى الحق ، والاستهانة بكل ما يخاف منه الناس إلا الله وكفى بالله حسيبا .

الفقر والعلم والأصالة هى ثلاث ما جمعن لمخلوق إلا كونت له شخصية عتيدة ، تحسن إلى الناس وتقدر الأيادى عند الفقراء قبل الأغنياء ، وتعرف قدر العلماء وترى فى علمهم الرحمة العامة والقرابة القريبة ، وتنكر الأغنياء إلا إذا تأدبوا بأدب الإسلام ، وعرفوا الحق وتواضعوا له . ثم تكون تلك الشخصية لا ترضى الدنية أبدا ولو كانت مما يقصدهم الناس بالقرب واجتلاب صحبتهم .

وهن ثلاث ما جمعن لمخلوق إلا حصنه من مآثم الجهل ، وباعدت بينه وبين بطر الغنى وطغيانه ، وذل الجهل وخذلانه ، وضعف اللؤم واستخذائه ، واللؤم والخسة معنى يأبى على صاحبه إلا أن يكون ذيلا فى ذنب ، أو بوقا ناعقا متملقا لذوى المناصب والرتب .

رحم الله الشيخ حسونة ذلك العالم الأزهرى الذى كان مفخرة لقومه ، وكان مفخرة لمعهده .

كان مفخرة لقومه لأنه رفع شأنهم بالعلم والخلق ، وعلو الكلمة وذيوع الصيت ، ولأنه يتمثل فيه قول القائل :

أبى الله أن أسمو بغير فضائل إذا ما سما فى الناس كل مسود
وإن كرمت قبلى أوائل أسرتى فإنى بحمد الله مجدد مؤيد

لقد رفع العلم بيته وعمه على تربية أبنائه وأحفاده، فكانوا أعضاء للوطنية وشرفاً لأمتهم، فمن أبنائه الأستاذ عبد الوهاب حسونة المستشار الذي خدم العدل والقانون حيناً من الدهر مثالاً للنزاهة والشرف، ومن أحفاده الأستاذ السيد عبد الخالق محمد حسونة النواوي، أمين الجامعة العربية وممثلها في كل البلاد، عاملاً صادقاً مصحوباً براحته في أسفاره التي لا تنقطع لمجد الوطن الإسلامي، والشرق العربي لا يريد من أحد جزاء ولا شكوراً، ومنهم السيد الطبيب النطاسي المخلص الصادق ابراهيم محمد حسونة الذي عرفته أوساط الطب، فقدمته ممثلاً لها في أكرم المؤتمرات، مثلاً لخلق الفضل والإخلاص والصدق والمروءة.

وكان الشيخ مجدداً لمعهده، لأنه ولي مشيخة الأزهر فتعلق به محبوه وجدد الإصلاح عاملاً في أرجائه، بعد ما حال جمود الأزهريين دون مسايرة الأزهر لحاجات الناس وتمشيه مع روح العصر ومقتضياته. وكان الشيخ حسونة كما رأيته رجلاً كريماً أصيلاً ثابتاً على الحق، لا يبالي أن يخالف أحداً مهما كانت منزلته ما دام يعتقد أن ما رآه حق ورشد.

الشيخ حسونة وإصلاح الأزهر :

جرى الإصلاح إلى غايته الممكنة في عهد الشيخ حسونة النواوي، فتخلص من كثير من الفوضى الاقتصادية، ومن فوضى المناهج ودراسة الحواشي والتقارير، ومن فوضى إهمال العلوم الكونية والرياضية والأدبية، التي لا بد منها لكل كائن مثقف يريد أن يعيش في كرامة الثقافة والعلم، والتي لا بد منها لعلماء الدين معواناً لهم على فهم دينهم وربطه بالحياة، ونقله إلى الناس في مختلف ثقافاتهم واتجاهاتهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم»، «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟».

ومهما يكن فقد فسح مجال التحرر لكل باحث، ولكل ذي فكر ثاقب وعقل سليم، ورعى الأستاذ الإمام محمد عبده، ومدرسة الإصلاح التي غرسها السيد جمال الدين الأفغاني، ولم تجد الحكومة من يمثل المصلحين في الأزهر تحت رايته سوى الشيخ حسونة النواوي، وإلى القارئ الكريم تفصيل بعض الأطوار التي تتصل بالشيخ النواوي من إصلاح الأزهر الشريف، في إيجاز يتناسب مع ما هو الشأن في مثل هذا المقال:

أتى على الأزهريين حين من الدهر ـ ولا سيما منذ عهد الظلم والظلمات ، عهد الأتراك العثمانيين ـ كانوا على غاية ما يكون الجمود الذى يأباه دينهم وهو أوسع الأديان أفقا ، وأكثرها تمشيا مع مقتضيات الحضارة ، لا يسبقه فى ذلك شىء .

كانوا جامدين فى التزام فنون معينة من العلم لا يتعدون غيرها ، وهى مقاصد الشريعة ووسائلها أو آلتها فى كانوا يقولون ، وكانوا جامدين بالتزام كتب معينة فى تلك الفنون ، أكثرها قائم ـ مع الأسف الشديد ـ إلى اليوم يدرس بالأزهر ، فى لغة عقيمة بعيدة عما وصلت إليه اللغة اليوم من التهذيب والأدب العظيم ، وبعيدة أيضا عما تتطلبه حاجات العصر من أحكام الشريعة ، ومقاومة العقائد الجديدة الفاسدة وتيارات الإلحاد الجارفة ، وما إلى ذلك مما هو ملموس محسوس .

وكانوا جامدين بالتزام طريقة معينة فى دراسة تلك الكتب فى أسلوب الشروح والحواشى والتقارير والمماحكات التى تحلط معنا بعلم ، وتصيع مطلوب (المتون) من فقه المسائل بين خلافات فى إعراب العبارات ، وصياغة الأقيسة والاعتراضات ، وما إلى ذلك مما يأباه الحكيم ، ويأسف له كل كريم ، ولا يزال بعض ذلك متجمدا فى عهدنا الذى تطور فيه كل شىء ، وتحرك فلم يبق جمود حتى ولا فى الجماد نفسه .

وكانوا جامدين حتى فى علاقاتهم بالناس ينقبضون عنهم ، ويرون الأنس فى الوحشة منهم . وقد أسرفوا فى ذلك إسرافا لا يحتمل ، فإن الغاية من دراسة الأزهر أن يقوم على حفظ الشريعة ، وفهمها على وجهها ، وتعليمها للناس علما يتفق مع مداركهم ، ومستويات عقولهم ، وكثيرا ما نبه لذلك بعض النابهين فيهم كالشيخ العطار ، والشيخ رفاعة الطهطاوى وغيرهما ، وبعض الأجانب ، حتى من الأتراك يوم حكمهم ، ولا غرو فهو شىء يلفت النظر ويقتضى العجب .

فلما قدم الشيخ جمال الدين الأفغانى إلى مصر ـ وكانت مهمته تكوين شعب إسلامى يحرر بلاده بقوة الدين وثقافته الدافقة ، التى لا تدع مجالا لاستعمار ولا رهبة لغير كلمة الله وصوت الحق ـ عز عليه أن يكون الأزهر معقل آمال المسلمين هكذا ، كالرحى التى تدور حول نفسها ، ولا يمكن أن يمتد أمدها إلى غير محورها ، ورأى أن خسارة كبرى أن يكون الأزهر كذلك ، وأن تضيع أعمار الناس هكذا هباء ، دون جدوى يظهر أثرها للإسلام وكرامته ولعلوم الدين وثمراتها ، التى أثمرت العرب الأولين ورفعت شأنهم فى العالمين ،

مدرس نواة إصلاحه تلك المدرسة التي أنشأها في بيته نموذجا للعلم الصحيح ، ودرس لهم علوم الدين والحكمة ، والأدب العربي والإنشاء من وجهة فتح أعينهم على الطريق ، ودلهم على تقويم الاعوجاج بالتقدم والتعمير ، وهؤلاء قاموا بثورتهم على نظم الأزهر وتقاليده المتخلفة من عهود الظلم والاستبداد ، والتي يعمل المستعمر جاهدا على تقويم الأزهر بها ، حتى لا تقوم فيه نهضة الإسلام الذي ينفي كل خبث ، ويأبى إلا أن تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن أكثر المنافقين لا يعلمون .

ومنذ ذلك الحين عرف الناس ما يقصدون فيه أغراضهم الصالحة ، وأخذ الأذكياء منهم يقصدون إلى درس الشيخ محمد عبده وأنصاره ، وكان من خير من احتضنوا هذا الإصلاح الشيخ حسونة النواوي ، الذي عمل عهدا طويلا مدرسا في خارج الأزهر بين جامع القلعة ومدرسة الحقوق ودار العلوم ، وألف هؤلاء بما رأى أنه يتفق مع لغة التعليم المتغير ، وقارن بين ذلك وبين كتابات الكتب القديمة التي تجاسر عنها وشقاتها عما فتح الله له من الأبواب العملية خارج الأزهر .

وقد سبق عهد الشيخ المهدي العباسي الذي تولى مشيخة الأزهر حوالي سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) شيء من الإصلاح الشكلي يرجع إلى تشكيل لجان في منزله لمن يريد أن يكون من العلماء بالتعيين في أحد عشر علما ، وجلوس اللجنة حول الطالب بعد تحضير المواد ومناقشته ثم تقديره ، ثم ثار الأزهريون على الشيخ فلزم داره ، ولم يحدث شيء يذكر بعد ذلك في الإصلاح حتى كان عهد الشيخ الإنبابي ، وكان خصما عنيدا لكل من يدعو إلى إصلاح الأزهر .

وقد جرى في آخر عهده أن ضعف عن القيام بإدارة الأزهر وشكا الأزهريون منه ومن ضعفه ، وتعلقت نفوسهم إلى أن يخرج الأزهريون من سباتهم العميق ، ووددوا لو ظفر الأزهر برئيس مصلح مجدد ، فرأت الحكومة أن تعهد بوكالة الأزهر إلى رجل يمكنه أن يحتضن الإصلاح ويرعاه ويتعهده بالتدريج حتى لا تكون الطفرة التي قد تسيء إلى كثير من النفوس سنة الله في خلقه ، ولم تشأ أن تقيل الشيخ الإنبابي من منصبه رعاية لتقاليد التكريم للعلماء ورؤسائهم ، فعينت الشيخ حسونة النواوي وكيلا للأزهر لأنه أصلح العلماء لهذه المهمة ، بما عرف فيه من علو الهمة والشجاعة والإباء والتحرر ، وأطلقت يده في الإصلاح ومكنت الشيخ محمد عبده ومدرسة جمال الدين أن تقوم بالدعاية وأن تعمل ما تراه صالحا في

ظل الشيخ النواوى ، الذى كان ينعى على الأزهريين جمودهم ، ويتحدث فى مجالسه ومع ولاة الأمور بإنكار ما هم فيه من جمود وتكبل فى القيود . ثم لم تكتف الحكومة بتوكيل الشيخ النواوى ، بل أوعزت إلى الشيخ بحمله على الاستقالة ، وألحت عليه برغم ما كان يكتسب من الجامدين فى مناصرته وطلب إبقائه ، فاستقال سنة ١٣١٣ هـ وعين الشيخ حسونة مكانه فى مشيخة الأزهر .

وقد شكلت الحكومة مجلسا لإدارة الأزهر منذ عهد وكالة الشيخ حسونة ، وكونته من خمسة أعضاء ، اثنان من خارج الأزهر وهما الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان زميل الشيخ محمد عبده وصديقه ، وكان الشيخ حسونة رئيس المجلس .

وقد انعقد المجلس وقرر ما رأى أن يبدأ الإصلاح به ، وهو ضبط مرتبات الأزهريين وتحديدها بحسب الدرجات العلمية ، وكانت قبل ذلك لا ضابط لها لعدم الميزانية التى تنظم ذلك .

ثم نظر المجلس فى توسيع دائرة التعليم بمعاهد فى طنطا ودسوق ودمياط . ثم اتجه إلى مقصد الإصلاح وهدفه الصحيح ، وكان ذلك بعد أن أسندت مشيخة الأزهر إلى الشيخ الوكيل حسونة النواوى ، الذى ظل فى المشيخة من سنة ١٣١٣ هـ إلى سنة ١٣١٧ هـ ، وهى السنة التى اعتزل فيها منصبه ، لأنه عارض الحكومة فيما أرادته من منع الحج بسبب وباء كان فى بلاد الحجاز . هذا ما يرويه بعض المؤرخين ، ويميل إلى أنه كانت هناك علاقات أخرى ، ترجع إلى صلابة الشيخ وتمسكه بحقوق الأزهر ، وأما مسألة منع الحج للوباء فمسألة لا تستدعى خلافا ولا توجب أزمة . وقد سمعت من مصادر عدة ومنها والدى — رحمه الله — أن الشيخ قد اشتدت وطأة الخلاف بينه وبين «بطرس غالى» الذى كان رئيسا للوزارة ، وكان يتدخل فى الشئون الإسلامية ، حتى أراد أن يعين قاضيين من المستشارين بوزارة الحقانية ، ليكونا عضوين فى المحاكم الشرعية ، فلما نوه «بطرس» بذلك فى مجلس الشيخ حسونة ، قال له هذه العبارة المأثورة . « اخرس يا بطرس لكم دينكم ولى دين » . وكان ذلك من مواقف الشيخ الكريمة وما أكثرها ! وكان ذلك هو السبب فى إقالته من منصبه مكرما ، يحترمه الأزهر ويبارك جهاده العظيم .

ومهما يكن فقد أفاد الأزهر من عهد الشيخ ما لم يفده من قبل ، بفضل تضافره مع أنصار الإصلاح ، وعلى رأسهم الأستاذ الإمام محمد عبده ، وما كان يبذله مجلس الإدارة للأزهر وتقدمه وقد استطاع أن يستصدر قانونا يشتمل على ستة أبواب تحوى ٦٢ مادة :

١ — الباب الأول يختص بمجلس الإدارة وتشكيله — كما رأيت من قبل — ليضع القواعد التي يسير التدريس عليها ، وكان من قبل بلا قاعدة .

٢ — الثاني في شروط الانتساب إلى الأزهر من السن وحفظ القرآن أو نصفه .

٣ — والثالث في التدريس ، ومنع قراءة الحواشي والتقارير .

٤ — والرابع في الامتحان ، ووضع نظام شهادتين أهلية وعالمية بدرجاتها الثلاث .

٥ — الخامس في أمور الضبط والعقوبات .

٦ — والسادس في أحكام عامة .

ومما يذكر أيضا عند قسم هذا النظام العلوم إلى قسمين : مقاصد ، ووسائل . وأدخل في الوسائل الحساب والجبر . وجعل هناك علوما اختيارية يفضل من يعرفها على غيره في الوظائف والدرجات ، وهي الإنشاء وتاريخ الإسلام ومتن اللغة وآدابها وتقويم البلدان ومبادئ الهندسة . وعلى الجملة كان عهده حركة دائبة مما يطول شرحه ولا يتسع له هذا المجال . وكان هذا كل ما يمكن عمله إذ ذاك ، وبعد ذلك العهد أخذ الأزهر يتأرجح ، حتى كان العهد الأخير ، الذي طفر بالأزهر طفرة كادت تسبق الزمن لو اطرد لها النجاح ، وخلت من المعوقات والمنغصات ثم كان ما رأى الناس مما سيحكم فيه التاريخ حكمه . ونحن اليوم في عهد نتفاءل فيه للأزهر بالخير ، لما نجد فيه من عنصر كريم موفق في العالم الإسلامي كله ، وقد دبت فيه حياة طيبة كريمة نرجو أن تدوم وتطرد بفضل الله وإحسانه . فأما الشيخ حسونة النواوي فإنه خلفه ابن عمه الشيخ عبد الرحمن الخطيب ولكن المنية عاجلته في العام نفسه .

وفي سنة ١٣٢٦ هـ بعد استقالة الشيخ الشربيني ، الذي حاول أن يعود بالأزهر إلى عهود الجمود والغموض ، رؤي أن يعود الشيخ حسونة النواوي ، ولكنه عاد وقد فقد الأزهر والدين عناصر الحياة والنشاط ، واستأثرت رحمة الله بالشيخ محمد عبده وأعوان الإصلاح ، وتمكنت روح الجمود في الأزهر ، فرأى الشيخ نفسه غريبا لا نصير له ، وأنه لا يستطيع أن يقوم بإحياء الأمر وحده ، فآثر في العام نفسه أن يعود إلى عرينه مكرما معززا ، وعكف على قراءة الكتاب الكريم وتدبره ، قاصرا جهوده وإصلاحه على كل من يمت إلى صلته ، وعلى أسرته وأحفاده وعارفي فضله ، فكان بيته كعبة القاصدين ، ومورداً عذباً للمدينين والمقترين ، حتى استأثرت به رحمة الله في سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤) م بعد أن ترك المثل العليا من صفاته ، في إباء الضيم والعزة والكرامة وسعة الأفق ، والسير مع الحق حيث سار ، رحمه الله وعطر ذكراه .

محمود النواوي

لغويات

أيما أحب إليك ، آلعلم أم المال ؟

المألوف المستساغ أن يقال : أى الأمرين أحبّ إليك ؟ وذلك أن أيا الاستفهامية كسائر أضرب أى تلزم الإضافة . وجاء فى الأمالى للقالى ٢/٥٨ : « ذكروا عند عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — . أيهما أطيب ، آلعنب أم الرطب ؟ فقال عمر : أرسلوا إلى أبى حثمة . فقال : يا أبا حثمة أيهما أطيب ، آلرطب أم العنب ؟ ... » .

ويصادف القارئ الاستعمال الذى هو موضوع البحث فى عدة مواطن .

فى البيان والتبيين ٢/٢٢٠ (تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون) : « حدثنى صديق لى قال : قلت لعبادة : أيما أجنّ ، أنت أو طاق البصل ؟ فقال . أنا شىء وطاق البصل شىء آخر » .

وفى الأمالى ٢/١٨٢ . « قيل لأعرابى : أيما أحبّ إليك ، الخبز أو التمر ؟ فقال : التمر حلو وما عن الخبز مصبر » .

وفى الموشح للمرزبانى ١٣١ : « قيل لجرير : أيما أشعر ، أنت فى قولك :

حىّ الهدملة من ذات المواعس ... إلخ

حىّ الغداة برامة الأطلالا   رسما تحمل أهله فأحالا

أم الأخطل فى جوابها : « كذبتك عينك » ؟ قال : هو أشعر منى ... » .

وفى طبقات الزبيدى ٢٢٣ فى الكلام عن وفاة يعقوب بن السكيت : « كان سبب ذلك أنه حضر على الطعام للمتوكل ، فدخل عليه ابناه : المعتز والمؤيد . فقال له : يا يعقوب ، أيما خير آلحسن والحسين أم هذان ؟ فقال له يعقوب : قنبر خير منهما ، فأمر به المتوكل فديس بطنه ، وقنبر مولى لعلىّ رضى الله عنه ، وكان ابن السكيت يتشيع .

ويعنّ لى فى تخريج هذا الأسلوب وجهان .

١ — أن تكون (ما) فى (أيما) نكرة تامة واقعة على مبهم ، وتفسر على حسب المقام والسياق . ففى قولك : أيما أحبّ إليك ، آلعلم أم المال معناه : أى شىء ...

وفى قولك : أيما أفضل ، عامر أم عمرو معناه : أىّ رجل . وهكذا . وقد يقول قائل : ألم يكن الواجب فى المثال الأخير أن يقال : أى من أفضل إذا كان السؤال عن العاقل ؟ والجواب أن (ما) قد تستعمل فى موضع (من) من غير نكير ، والخطب فى هذا يسير . و (أىّ) على هذا الوجه مضافة إلى (ما) التى هى فى موضع الجر .

٢ — وأن تكون (ما) زائدة كافة لأىّ عن الإضافة ، وهى فى هذا مثل بين ، فبين ملازمة للإضافة وتلحقها (ما) فى قولك : بينما أنا جالس أقبل علىّ صديق ، فتكفها عن الإضافة ، ومثل بعد فى قول الشاعر

أعلاقة أم الوليد بعد ما أفنان رأسك كالثغام المخلس

والنحويون لم يذكروا هذا الضرب فى أقسام ما الكافة ، والأمر فيها ليس ببعيد .

وحاصل هذين الوجهين أن أيا اكتفت بما عن المضاف إليه ، ويستوى فى هذا أن تكون (ما) هى المضاف إليه أو تكون كافة عن الإضافة .

ويجرى هذا فى أىّ الشرطية . فلك أن تقول أيما تقرأ أقرأه ، أى أىّ كتاب تقرأ أقرأه ، وإذا قلت : أيما كتاب تقرأ أقرأه بجر كتاب فما زائدة وأىّ مضافة إلى كتاب ، وهذا على حد قوله تعالى . « أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علىّ » ، ولك أن تقول : أيما كتابا تقرأ أقرأه ، ويكون (كتابا) بدلا من أىّ ، وقد اكتفت أىّ فى الإضافة بما على أحد الوجهين السابقين ، وإذا قلت : أيما طالب علم اجتهد فاز ، فلك جرّ (طالب علم) بالإضافة وهو الكثير المألوف ، ولك رفعه على أن يكون بدلا من أىّ الشرطية ، وقد استشكل الإبدال من الشرط مع عدم اقتران البدل بأداة الشرط وعرض العلماء للجواب عنه ، ويقول الصبان فى حاشيته على الأشمونى فى مبحث البدل : « اجتمعت مع جماعة كثيرة من أهل العلم فى بعض المجالس ، فأورد بعضهم سؤالا فى قوله صلى الله عليه وسلم : أيما أمة ولدت من سيدها فهى حرة عن دبر منه ، حاصله أنهم جوزوا أن يكون أمة بالرفع على البدلية من أىّ مع أن بدل المتضمن معنى الشرط يجب أن يلى حرف الشرط ، كما أن بدل المتضمن حرف الاستفهام يجب أن يلى حرف الاستفهام ، فسكت جميع الحاضرين . فبعد ذلك أجبت بأن محل وجوب إيلاء بدل المتضمن معنى الشرط حرف الشرط إذا وقع البدل بعد فعل الشرط . . . » ، وهذا الحديث رواه

ابن ماجه والحاكم ، ويوجد الفقه ، في باب أمهات الأولاد في كتاب العتق ، وقد أوسع الكلام عليه البجيرمي في حاشيته على المنهج في فقه الشافعية ، ومن قوله : و (ما) من (أيما) زائدة ، و (أمة) مضاف إليه . . . . ويحتمل أن تكون (أمة) مرفوعة ، و (ما) اسم موصول حذف صدر صلته وإن كان قليلا لأن الصلة لم تطل ، ويحتمل أن تكون (أمة) بدلا من (أي) . ويشكل يرد عليه أن بدل المتضمن معنى الشرط على شرطا ، كما ذكره الأشموني عند قول ابن مالك : وبدل المضمن الهمز يلي همزا ، نحو من يقم إن زيد وإن عمرو أقم معه ، وأجيب بأن محل ذلك إذا كان البدل بعد فعل الشرط وهو هنا قبله ، وأجيب أيضا بأن هذا أغلبي بدليل قوله تعالى : يومئذ تحدث أخبارها ، فإن (يومئذ) بدل من (إذا) في قوله تعالى : (إذا زلزلت الأرض) ولم يل شرط و (تحدث أخبارها) هو جواب الشرط ، و (إذا) و (يومئذ) معمولان له » .

خمسة شهور

المعروف أن تمييز العدد من ثلاثة إلى عشرة يكون جمع قلة ، ولا يعدل إلى جمع الكثرة إلا في أحوال محدودة ، كألا يكون للمعدود جمع قلة ، نحو ثلاثة رجال وخمسة قلوب . وعلى هذا يجب أن يقال : خمسة أشهر ، كما قال عز وجل : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » . فأما خمسة شهور فهو خروج عن القاعدة وخلاف عليها . ولا يسوغ الإتيان بجمع الكثرة هنا إلا مع الجر من ، كما تقول : ثلاثة من الكلاب وخمسة من الشهور .

وقد جاء قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » فجاء فيه جمع الكثرة وهو قروء ، والواحدة قَرء وقُرء بفتح القاف وضمها ، وهذا مع ورود جمع القلة لها ، وهما أقرؤ ، وأقراء .

وقد عني النحويون بالجواب عن خروج قاعدتهم هنا في الآية الكريمة . فيقول الحريري في الدرة : « المعنى : لتتربص كل واحدة من المطلقات ثلاثة أقراء ، فلما أسند إلى جماعتهن أتى بلفظ قروء على الكثرة المرادة والمعنى الملموح » يريد أن جمع القرء تجاوز حد القلة إذا كان المراد جميع المطلقات ، ولكل مطلقة ثلاثة أقراء ، وهذا فيه من تضاعيف القرء ما لا نهاية له ، فلذلك أتى بجمع الكثرة في موضع جمع القلة إشارة إلى هذه

الطليعة . ويرى بعضهم أن القروء اشتهر في الجمع بخلاف أقرؤ وأقراء . ويرى آخرون أن هذا على تقدير من داخلة على قروء أي ثلاثة من قروء .

وملاحظة جمع القلة عسيرة على كثير من المعاصرين . فيندر أن يقول أحدهم : خمسة أحمرة وستة أكلب ، وإنما يقال في هذا حمير وكلاب .

وقد قدمت أن جمع الكثرة سائغ إذا سبقته من ، نحو خمسة من الكلاب وأربعة من الحمير . وجاء في كتاب سيبويه ٢ / ١٧٦ : « وقد تجيء خمسة كلاب يراد به : خمسة من الكلاب » . وقد أطلق سيبويه هذا التأويل ، ولم يبن هل أنه يوقف به عندما جاء عن العرب ـ وهذا هو الظاهر ـ أو يطرد في القياس . والمبرد يجيزه ، ففي شرح الرضي على الكافية في باب العدد : « وقال المبرد : يجوز قياسا ثلاثة كلاب بتأويل ثلاثة من كلاب . وليس بمشهور » . ويقول أبو حيان في البحر المحيط ٢ / ١٨٧ في الكلام على القروء في الآية : « وأجاز المبرد ثلاثة حمير وثلاثة كلاب على إرادة : من كلاب ومن حمير » .

وجاء في المصباح في مادة (قرأ) « وذهب بعضهم إلى أن مميز الثلاثة إلى العشرة يجوز أن يكون جمع كثرة من غير تأويل ، فيقال فيه : خمسة كلاب وستة عبيد ، ولا يجب عند هذا القائل أن يقال : خمسة أكلب ولا ستة أعبد » .

ويرى القارئ فيما أوردته سعة في قول الناس : خمسة شهور .

محمد علي النجار

أعظم عمل حققته الثورة

من الأسئلة التي وجهت إلى الرئيس جمال عبد الناصر من بعثة الصحافة الأمريكية المؤلفة من ٣٠ صحفيا :

ـ ما هو أعظم عمل حققته الثورة المصرية حتى الآن ؟

فأجاب الرئيس : أعتقد أن أهم ما حققته الثورة حتى الآن هو بث الشعور بكرامتنا كشعب ، وإعادة ثقتنا بأنفسنا ، وهذه أشياء معنوية وليست مادية .

كلمة تاريخية

عن تحرر العرب في الجزائر

لم يسجل التاريخ صفحة من صفحات الكفاح أنصع ولا أقوى من كفاح شعوب المغرب العربي في سبيل الدفاع عن حريتها واستقلالها، ومقاومة الاعتداءات الاستعمارية التي دبرتها ضدها أمم أجنبية، مدفوعة بتعصبها الديني وشرهها لاستعباد الغير.

وإذا كان تدخل الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو الذي مهد السبيل لتحقيق المطامع الأجنبية في الشرق العربي، فلا يمكن أن يطمئن عرب الشرق على ديارهم وأنفسهم، مادامت أمم المغرب العربي خاضعة للمستعمرين، وما دامت ديارهم مجازا يمكن أن يعبره الأجانب المستغلون ليصلوا إلى أهدافهم في هذا السد الإسلامي المشيد، الذي حكم أسلافنا العرب في مصير العالم كله.

من أجل ذلك تعتبر الحركات الاستقلالية المغربية ذات أثر بالغ، لا المغاربة وحدهم بل للعرب أجمعين، الذين ينشدون الاستقرار والطمأنينة والعدل والحرية، وحقيق بالعرب أن يعنوا بهذه الحركات، خصوصا وأن الذين بها معرضون أكثر من غيرهم لدسائس الأجنبي ومكره وحيله.

احتلت فرنسا الجزائر في وقت كانت السيادة فيه للدولة العثمانية في آخر عهدها بالحكم في هذه البلاد، وما هي إلا فترة قصيرة حتى بدأت المقاومة العربية العنيفة، وقد افتتحها الجيش المراكشي في أكتوبر سنة ١٨٣٠ م بمدينة تلمسان، ولم تخمد هذه الثورة إلا بعد أن أطلق بسمارك سراح الجيش الفرنسي الذي كان معتقلا في ألمانيا بعد حرب السبعين، وقد كان أثر هذه البربرية المتوحشة عظيما في تقوية الوعي القومي في نفوس الجزائريين، ولم تلبث إلا قليلا حتى أعقبتها ثورة استقلالية جارفة في عمالة وهران، وتأسست لذلك لجنة وطنية غايتها العمل على تحقيق الجامعة الإسلامية، ولذلك ارتبطت بالحركات التحريرية القائمة في البلاد التابعة للدولة العثمانية إذ ذاك، وقامت أثناء الحرب

الكبرى حركة ترمى إلى منع الجيش الجزائرى من الوقوف إلى جانب فرنسا ، ففر من الجندية الآلاف ، والتجأ الكثير من الشباب القادر على القتال إلى الجبال ، وكانوا زهاء المائة والعشرين ألفا ، ولقد أعلن الشعب الجزائرى أكثر من مرة ، رفضه السياسة التى ترمى إلى تجنيس الجزائر بالجنسية الفرنسية كشرط لاستقلالها ، وقاوم هذه الدعوة بشتى الوسائل .

واستمرت الحركات التحريرية بالجزائر ، فلم تضعف ولم تلن ، ووجدت أن خير وسيلة لتحرير الجزائر ، هى توحيد صفوفها مع أخواتها من الدول العربية .

ولا مراء أن حركة الجزائر القائمة اليوم ، إنما هى امتداد لحركة الجهاد السابق الذى قام به إخواننا الجزائريون من أيام الأمير عبد القادر إلى الآن ، وأبلوا فيه بلاء حسنا أكثر من مائة سنة .

عباس طه
المحامى

كلمات للإمام أحمد بن حنبل

- لا تزال بخير ما نويت الخير .
- كل شىء من الخير تهم به فبادر به قبل أن يحال بينك وبينه .
- لو أن الدنيا اجتمعت حتى تكون فى مقدار لقمة ، ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها فى فم أخيه المسلم لما كان مسرفا .
- الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى
- ما قل من الدنيا كان أقل للحساب .
- ما شبهت الشباب إلا بشىء كان فى كمى فسقط .

الأزهر

وطرق التدريس قديمها وحديثها

العناصر :

(١) طريقة التعيينات . (٢) النهج الحوارى . (٣) مراعاة الفروق الفردية .

يزعم المربون المحدثون أنهم قد وقعوا على طرق لتدريس المواد المختلفة ، في جو تربوى حديث مشبع بروح علم النفس الحديث ، ولكن نظرة سريعة إلى ما كان عليه الأزهر في طرقه القديمة ، تقنع الباحث الناقد إلى أسبقية الأزهر في هذه الطرق التي يتشدقون بها ، وأنهم لم يأتوا بجديد . وهاك بعض الأدلة :

١ — درج الأزهر منذ عهده القديم على طرق التعيينات ، وهى المعروفة فى عالم التربية الحديثة بما يسمى « التحصيل الذاتى وأثره وخطره الخ » .

وهــــذا التحصيل الذاتى هو بعينه طريقة التعيينات التى أخذ بها الأزهر طلابه ؛ فى تكليفهم إعــداد دروسهم معتمدين فى ذلك على أنفسهم ، مستقلين بتحصيلها على ضوء ما درسوا وما وجهوا إلى مراجع يجدون بهديها ، ويستعينون بها فى حرية تامة ومطلقة من كل القيود ، وبهذا يكون الأزهر قد سار فى قديمه على نهج تربوى ، مؤيد ومعزز بعلم النفس فى أحدث قواعده وأحكامه ونظرياته ، وفى رياضة عقلية مترامية الأطراف ، تفتق الذهن وتربى الملكات وتنمى القدرات ، مما جعل الأزهر وحده موئل هذه الكفايات العقلية والجدلية . ولعلنا نحس هــــذا بوضوح عندما احتاجت الدولة فى أول نهضتها بالإصلاح إلى عقول مفكرة أو ذات اقتدار خاص ، ولم تجد مصر طلبتها فى غير الأزهر ، واختارت البعثة الأولى من طلابه واستعانت برفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وغيرهما من رجالات الأزهر الذين عادوا إلى أوطانهم ، ونهضوا نهوضا ملحوظا .

٢ — وكان النهج الحوارى وسيلة الفهم والتفهيم والعلم والتعلم ، وعلى سمعت تلك المقالة المشهورة والكلمة المأثورة « إذا اعترض بكذا أجيب بكذا » ، يرددونها عند ما كانوا يحاولون نصا أيا كان لونه فقهيا أو عربيا ؟ .

أى وربى ... ! تلك طريقتهم التحصيلية وهذا منهجهم الجدلى : الفرض ، ثم الاعتراض ثم النقاش العلمى الأزهرى ، يعللون به المنطوق ، والمفهوم ، والظاهر والباطن ، والمدلول والمحتمل والمنتظر ، وما عساه يكون فى زوايا البحث من معنى خفى ، ويظلون هكذا حتى

ينتقل النص عنا كما يقال ، وفى هذا ما فيه من مزايا التركيز ، واستقرار المعرفة فى الأذهان ، وترويض العقل ، واتساع الأفق ، واكتساب قوة التصوير وملكات المهارة فى التعبير ، ومران على الفن والفصاحة والبلاغة ، والفهم المركز والتعمق فى البحوث المختلفة ، مما جعل الأزهر وحده الملجأ والملاذ للقضاء إبان نشأة وتأسيس المحاكم ، واحتياج البلاد إلى لسن مقاول ، واختيار المحامين من صفوة الأزهريين أمثال سعد زغلول ، وأبو شادى والهلباوى وغيرهم وغيرهم .

٣ — ومراعاة الفروق الفردية التى يباهى بها المربون من المحدثين ، تلك هى الأخرى من طرق الأزهر فى قديمه ، هم الآن يقولون منادين بجعل التلميذ الفعال فى تعليم نفسه بنفسه ، وأن عليه أن يكتشف الحقائق بنفسه إلى آخر ما يقولون فى هذا الباب من كتب التربية الحديثة .

ونرى أن الأزهر قد سبقهم فى هذه أيضا ، حتى لقد سبقهم فى منح التلميذ حرية اختيار الأستاذ ، واختيار الدرس ، وتحديد الوقت ، وما أشبه حلقات الدرس بقاعات البحث فى كل شيء ، وبفرق واحد هو الفرق بين النظرى والعملى على الرغم مما بينهما من صعوبات .

نقول : إن الأزهر القديم قد سبق المربين المحدثين ، فأباح لطالب الأزهر أن يدرس ما شاء وأنى شاء ، حتى إذا آنس فى نفسه القدرة على نيل العالمية تقدم إليها بدون ما شرط ، ومن غير أى قيد .

ولعلك لا تنسى أولئك الأعلام من العلماء الفطاحل الفحول ، الذين شام الأزهر بطريقته الجامعة ، هذه الجمهرة التى ملأت بمؤلفاتهم المكتبات العربية فى مختلف العلوم وشتى البحوث دينية وعربية وغيرها ، هذا ما ذاع لهم من صيت وما اكتسبوا من سمعة .

ولعلك أيضا لا تنسى طريقتهم التعبدية ، وقولهم : « ظاهر يا مولانا » ، وإن دلت هذه على شيء فلن تدل إلا على التعمق فى الفهم ، واستساغة الدرس حتى يهضم وحتى يجرى فى الأفهام مجرى الماء فى الأغصان ، وحتى لا ينسى ، وهو ــ والحمد لله ــ ما كان ينسى أبد الدهر ، لأنه أسس على قواعد ثابتة من البحث المتأمل ، والتفكير العقلى والتنقل الواعى إلى غير ذلك ، مما لا يستطيع رواد التربية أن يجحدوه ، فهيهات هيهات بين اللب والقشور ، وشتان ما بين الطريقتين فى دنيا التدريس وعالم التربية .

عبد الحكيم الجوهرى
مدرس التربية بإدارة التدريس بالأزهر
والمفتش السابق بوزارة التربية والتعليم

تعليقات

الندوة الأولى لعلاج انحراف الشباب

أصبح انحراف الشباب مشكلة من مشاكل المجتمع ، وأصبح علاج هذا الانحراف ضرورة من ضرورات الإصلاح ، ووزير التربية أجدر بالنهوض إلى ذلك ، وأعرف بالقيم الأخلاقية ، وأحرص على دعمها في الجيل الناشئ ، فما شباب اليوم إلا أمة الغد القريب ، وربما تصدع بناء الشبيبة ، وغفلت عيون المصلحين عن تدارك هذا التصدع في الأخلاق ، والتفكير ، والاتجاه ، كان هذا تقويضاً مبكراً لبناء الأمة في مستقبلها العاجل .

وإنه لعمل مبرور ، وخير مشكور أن ينهض وزير التربية والتعليم إلى بحث هذه المشكلة في جد ، وعناية ، ومحاولة موصولة لتعرف أسبابها ، ودواعيها ، ووسائل التخلص منها ، والرجوع بالشباب إلى الأوضاع المستقيمة ، والبعد بهم عما يشينهم ، أو يقصيهم عن رجاء الأمة فيهم .

كانت الندوة الأولى بدعوة الأستاذ سعيد العريان مدير الشئون العامة بوزارة التربية ، وتحت إشراف السيد الوزير .

تحدث فيها السيد الوزير عن الوجهة في عقد هذه الندوات : من تحديد المسئولية في هذا الانحراف ، وتعرف آراء المجتمع في وسائل الإصلاح ، والاستقامة ، بما يتطلبه من ضرورات مجدية .

وكان الوزير صريحاً في الحق ، غيوراً على الشبيبة المصرية مما ألم بها ، ودافع العزم على إصلاح ما فسد ، وتقوية ما وهن ، وتعزيز ما تهدم في نفوس الشباب ، وهم عماد الأمة ، ومعقد آمالها ، وهم الحصن المنيع للقومية المصرية بل للقومية العربية .

قوبلت كلمات السيد الوزير بالإعجاب ، والشكر ، والدعاء بالتوفيق .

ثم تحدث الدكتور حسين فوزى ، وهو فوق مركزه الرسمى كبير المشرفين على رعاية الشباب ، فكان فى حديثه لنا صادقاً يفيض من قلب عامر بالوطنية ، ومن إيمان بأن الشباب فى عهدة المسئولين ، وأن تقويم الشباب وصيانته من عوامل إفساده أمانة يسأل عنها كل ذى نصيب من السلطة ، وكل ذى صلة بالتوجيه .

ثم أبان فى صراحة مسئولية الفن عن انحراف الشباب ، ثم ضرب الأمثال للفن المسئول بالصور الخليعة ، والأحداث الماجنة التى تتسابق إليها الصحف والمجلات ، وفى نشرها ، ومع أنه ترك الإسهاب عن مسئولية الصحافة إلى الدكتورة سهير القلماوى ، فقد أفاض فى بيان إحساسه بما يحسه الجمهور الواعى ، وفى حرصهم على وضع الشباب موضع العناية بما يكفل إبعاده من الورطة التى انحدر إليها ، ويكفل توجيهه إلى الأهداف التى يحض فيها جامع الثورة ، ويتمشى مع النهضة التى ينشدها المجتمع من طريق الخلق الرفيع .

فإذا كان الدكتور حسين فوزى تحدث فى شبه اعتقاد بأن رجال الدين يعارضون الفن ، وأن هذه المعارضة مصدرها جمود أو تقاعس من نشاطهم فى إصلاح الفن واستخدامه فى الثقافة والنهوض بالذوق ، واستشهد على مقاومة رجال الدين بموقف أخير وقفه الشيخ عبد اللطيف السبكى من ذيوع الخلاعة والرقص فى كلية الآداب ، ولم يكن الدكتور حسين فوزى واعياً هذا الموقف وعى المنصف ، فكانت حجته بعيدة عن الواقع ، ولكن الله انتصر للحق على لسان الدكتور منصور فهمى ، إذ نهض وصحح الموضوع ، وأبان فى لهجة صادقة سمعها الوزير وكل من فى مجلس الندوة : أن رجال الدين يعارضون الفن الفاسد ، وينكرون كل محاولة تنافى الخلق الكريم ، وتنزع الحياء من وجوه الناشئة ، وحينما يحتشم دعاة الفتنة فى عملهم ، ويثوب أهل الفن إلى رشدهم ، ويحجبون الصور المتفحشة ، والأغانى المبتذلة ، والرقص العارى ، ومخالطة الجنسين من ذكور وإناث : حينئذ تصلح الوسيلة ، وتحترم الغاية ، ويحسن اختيار الفن للإصلاح ، ويكون ذلك جزءاً من رسالة رجال الدين ، لاتساقه تماماً لمنهجهم فى تهذيب النفس وإصلاح الخلق .

وهذا موقف لا نجحده للدكتور منصور فهمى ، فهو رجل الحقائق ، ورجل التوجيه الرشيد ، ورجل العلم الصحيح والرأى البرىء ، وحسبه منا شكر وعرفان ، وحسبه من الله جزاء وإحسان .

ولما جاء دور الدكتورة سهير القلماوي لم تجد في حديثها ما كنا نطمع فيه ، فلها أسلوب مشرق ، ولكنها تعمدت إغفال الحق ، أو خانتها الذاكرة ، فقررت رغم الإجماع الذي شهدته وسمعته ، أن شباب الجامعة ليس فيهم انحراف .

وكأن الوزير ورجال الوزارة يخشون الانحراف في رجال الضبط ، أو رجال الورشة ، لا في شباب الجامعة ، والمدارس . وكأنه تجاهل بعض أناس ، وإن خالفت ما يحسه الوزير ، ويحسه المجتمع ، وتشهد به الأعين وتسمع به الآذان .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

التناهي عن المنكر

جاءنا بيان موقع عليه من فضيلة رئيس جماعة التربية الإسلامية بشبرا ، وممثل اثنتى عشرة جمعية إسلامية أخرى ، عن اجتماع لهم عقدوه للنظر فيما نشر في العددين ٣١٧/٣١٦ من مجلة الجيل الجديد ، من نقاش دار بين صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي عضو هيئة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر ، والدكتور عز الدين فريد عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ، حول أمور تمس الخلق والدين نشرته الصحف عن الكلية ، فأنكرها فضيلة الأستاذ السبكي عملا بالحديث النبوي : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ... » وترى هذه الجمعيات أنه كان من الواجب على العميد أن يصدر بيانا يكذب فيه ما نسبته الصحف إلى كليته من المآخذ ، وإلا فليتحمل النقد وليجب عليه برحابة صدر ، والشكر للناقدين ، لا بالإسفاف في التعبير ، ولا سيما لعالم من أعلام الدين يجب احترامه لدينه ومنصبه وسنه ، وليكن رائدنا جميعا التواصي بالحق والتواصي بالصبر .



الإعراب في جدل الإعراب – ولمع الأدلة – لابن الأنباري

رسالتان تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني – ١٦٠ ص – مطبعة الجامعة السورية بدمشق .

الأستاذ سعيد الأفغاني من أنبه أساتذة كلية الآداب بالجامعة السورية بدمشق ، وقد قام في العام الماضي برحلة علمية إلى معاهد العلم ودور الكتب العامة في عواصم أوربا وأمهات مدنها وشمال إفريقية ومصر ، وعاد إلى كلية الآداب في الجامعة السورية بمعلومات قيمة من تراث السلف ولاسيما في اللغة والأدب . وقد سبق له نشر مخطوطات قام بتحقيقها من مؤلفات الزركشي وابن حزم والحافظ الذهبي ، وكتب أخرى من مؤلفاته لها مكانة محترمة عند رجال العلم .

والآن يقدم إلى المكتبة العربية كتابين من مؤلفات أبي البركات بن الأنباري (٥١٣ – ٥٧٧) أحدهما (الإعراب في جدل الإعراب) تكلم فيه عن السؤال ووصف السائل والمسئول به والمسئول منه والمسئول عنه ، والجواب والاستدلال والاعتراض على الاستدلال بالنقل ، والاعتراض عليه بالقياس ، والاعتراض عليه باستصحاب الحال . وختمه في ترتيب الأسئلة وترجيح الأدلة ، وهي فصول تدور حول قوانين الجدل في علم العربية ، ويقول الأنباري في خطبته انه أول ما صنف هذه الصناعة ، وانه ألفه بعد كتابه (الإنصاف) . وقد اعتمد الأستاذ الأفغاني في تحقيقه على ثلاث مخطوطات : إحداهن بخط ابن الشحنة في المكتبة الوطنية بباريس وهي حبرهن ، والثانية بمكتبة عاطف بالقسطنطينية ، والثالثة بمكتبة الأسكوريال بأسبانيا ، وقدم له مقدمات فيها ترجمة المؤلف ووصف النسخ وصور لنماذج منها وبيان خطة النشر ، وختمه بفهارس للأعلام والكتب والأبيات والموضوعات .

والرسالة الثانية للأنباري (لمع الأدلة) في أصول النحو اعتمد أولا في نشرها على مخطوطة في مكتبة عاطف بالقسطنطينية بخط ابن الشيرازي ، وابن الشيرازي هذا هو الذي كتب مخطوطة كتاب (الميسر والقداح) لابن قتيبة الذي نشره رئيس تحرير هذه

المجلة قبل نحو ثلاثين سنة . ومما أعرب الأستاذ الأفغاني أن مخطوطة (لمع الأدلة) التي بخط ابن الشيرازي ناقصة من أولها أربعة فصول وبعض الخامس ، فلما زار القاهرة في العام الماضي وزار صديقه رئيس تحرير هذه المجلة وجد في مكتبته الخاصة مخطوطة بخط مغربي جميل دقيق تحتوي على كتاب (الاقتراح) للسيوطي و (لمع الأدلة) لابن الأنباري و (الإغراب في جدل الإعراب) ، ومع أن كاتب المجموعة كان يلخص العبارات في بعض الأحيان ، فإن الأستاذ الأفغاني استطاع أن يكمل من هذه المجموعة الفصول الناقصة من كتاب (لمع الأدلة) وتمكن من نشر هاتين الرسالتين بعنايته التامة وقد قامت مطبعة الجامعة السورية بطبعهما لأنهما من مقررات المنهج في شهادة علوم اللغة العربية بكلية الآداب .

البيان في الخطابة وتصحيح الإيمان

لفضيلة الشيخ إبراهيم عبد الباقي — ٣٢٦ ص — المكتبة التجارية الكبرى

فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم عبد الباقي مدرس وخطيب مسجد أولاد عنان بالقاهرة من أفاضل الوعاظ والمرشدين الذين يحاربون البدع ويعملون على الرجوع بالمسلمين إلى فطرة الإسلام كما كان عليه في صدره الأول ، مجردا من الشوائب عليه ، وطريقته في ذلك طريقة فقيد الوعظ والإرشاد بمصر الشيخ علي محفوظ رحمه الله ، وكتابه هذا حافل بهذه المعاني الطيبة وبيان المشروع وغير المشروع مما يراه العوام دينا ، فهو يشتمل على المشروع من عقائد الإسلام وعباداته وشعائره ، وينبههم إلى غير المشروع من ذلك ومما لم يكن للسلف الأولين عهد به ، وقد عقد فصلا نافعا مفيدا عن الابتداع في الدين والتحذير منه ، وعن الأعياد الدينية ومشروعيتها وحكم الشريعة الإسلامية في الموالد وعن شبهة المبتدعين في العبادات .

وفي الكتاب نماذج من خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب الخلفاء الراشدين وعظات كبار التابعين .

وفيه بحوث عن الحياة البيتية والزوجية ، وعن الضمان الاجتماعي في دستور الإسلام وعن الحلف المشروع وغير المشروع ، وعن التاجر الصدوق ومكانته العالية عند الله . فشكرا لفضيلة الأستاذ المؤلف ونرجو المزيد من هذا الخير .

مشاعل على الطريق

للأستاذ عبد الرحيم فوده — ٣٢٨ ص — مطبعة وزارة الأوقاف

هذا كتاب يدل عليه عنوانه ، قدمه فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف ، وطبعته مطبعة الأوقاف ، وهو كما قال الأستاذ الباقوري : « كلمات يقرؤها القارئ فيجد بينه وبين كاتبها قرابة قريبة ، ونسبا جامعا ، فالكلمات التي اشتمل عليها هذا الكتاب إنما هي هدايات كبد الكاتب ودروب نفسه . إنها نسيج أفكاره ، وعصارة مشاعره ، وخفقات قلبه ، وخلجات ضميره » .

ومن عناوين هذه الكلمات : في جو المعركة ، أضواء على أخطاء ، في التعليم والتربية ، نحو أدب هادف ، لكل سيدة وفتاة ، في ذكرى مولد الرسول ، ظلال رجال ، الشورى والديمقراطية ، في معركة فلسطين الأولى ، مشروعات حققتها الثورة ، فلفتت إلى هذه المشاعل أنظار القراء .

نزعات التجديد في الأدب العربي المعاصر

للأستاذ أنور الجندي — ٢٧٩ — مكتبة الأنجلو المصرية

هذا كتاب جديد للأستاذ أنور الجندي ، يأتي في القمة من مظهر نشاطه الأدبي والصحفي ، تكلم فيه على نزعات التجديد في الأدب المعاصر من ثورة سنة ١٩١٩ إلى ثورة سنة ١٩٥٢ وهو الجزء الموضوعي من دراسة لتاريخ الأدب العربي المعاصر في مصر بالقرن العشرين ، ووعد بأن يصدر بعده قسما آخر يتضمن رأيه في الأدب المعاصر له .

وفي هذا الجزء فصل عن شخصية الأدب المصري الحديث ، وآخر عن مدارس الأدب في مصر ، وفصل عن قضايا الأدب العربي المعاصر ، وفصل عن المذاهب والاتجاهات ، ثم فصل عن تيارات النثر ، وآخر عن نزعات الشعر ، وفصل عن تطور القصة ، وبعده مساجلات أدبية وفصول تكميلية ، تتلاقى في الإحياء الإسلامي والإحياء العربي .

ومواضيع الكتاب أوسع مما تدل عليه عناوين فصوله ، ولعل من أهمها استعراض المعارك بين العامية والفصحى وأمثال ذلك مما يهم كل متأدب الوقوف عليه ، فتحث المشتغلين بالأدب والثقافة على الإفادة منه .

الأدب والعلوم

تحرير اللغة العربية

من المصطلحات الأجنبية الدخيلة

اتجهت مصر أخيراً إلى رسم خطة لتنظيم اشتراك الصحافة والإذاعة وسائر أجهزة الإرشاد فى تخليص اللغة القومية وتحريرها من الكلمات والاصطلاحات والعبارات الدخيلة .

وتشترك جامعة الدول العربية وكلية اللغة العربية بالأزهر وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وكلية آداب عين شمس مع لجنة فنية من ممثلى وزارات التربية والتعليم والشئون الاجتماعية والعمل والإرشاد القومى فى وضع الخطط المثلى للوصول إلى هذا التحرير المطلوب فى اللغة العربية من كل دخيل أجنبى .

دراسة المشاكل الاجتماعية

فى كليات الأزهر

تقرر أن تكون دراسة المشاكل الاجتماعية إحدى مواد الدراسة فى كليات الجامعة الأزهرية .

تعاون الأسرة والمدرسة

على تكوين الجيل

عقد فى القاهرة مؤتمر للتعاون بين الأسرة والمدرسة على تربية رجال الغد وأهداف التربية اللائقة بالمجتمع الذى نعمل على إنشائه وتكوينه . وافتتح هذا المؤتمر وزير التربية والتعليم بخطبة نوه فيها بقيمة التعاون وأثره فى تحقيق الأهداف ، ورأى من واجبنا رسم الطريق لمستقبل بلادنا بالتعاون ، وخاصة بين الأسرة والمدرسة ، وذلك بتكوين مجالس الآباء والمدرسين لرعاية مصالح طلابها وتأليف المجالس الاستشارية الإقليمية فى كل منطقة من المنطقة العاملة .

وتكلم الأستاذ محمد على حافظ وكيل الوزارة عن تحويل الدراسات إلى مشروعات يعمل فيها الطلاب بأنفسهم ، واجتذاب الآباء والأمهات للنهوض بالمدرسة .

القمر الروسى الأول

قالت لجنة المركز بة القومية للسنة الجغرافية الطبيعية فى الاتحاد السوفيتى : إن القمر الصناعى الأول احترق فى الطبقة الجوية الكثيفة وتحطم يوم ٤ يناير بعد ٩٢ يوما دار خلالها ١٤٠٠ مرة حول الكرة الأرضية قاطعا مسافة ستة ملايين من الكيلو مترات .

أنباء العالم الإسلامي

قيام الوحدة العربية

حلم قديم يتحقق اليوم . إن البلدين الشقيقين مصر وسوريا يضعان حجر الأساس في البناء الذي سيكون له شأنه العظيم في تاريخ الإنسانية . سيكتب هذا ويوقع عنه الرئيس شكري القوتلي إلى القاهرة ومعه كبار المسئولين في الدولة السورية ليعلنوا مع مصر اندماج الدولتين في جمهورية واحدة تكون القاهرة عاصمتها . وسيكون التمثيل السياسي واحدا ، والجيش واحدا ، وعلم الدولة المتحدة واحدا ، ويبقى العلم المصرى لإقليم مصر والعلم السورى لإقليم سوريا . وسيكون للدولة الموحدة مجلس نيابي مركزى ، وستكون من ورائه مجالس نيابية وتنفيذية لحكومة إقليمية . وستكون للدولة الجديدة نقود موحدة ومجلس دائم للاتحاد مقره القاهرة . وإن أسس هذه الوحدة ستعرض في استفتاء شعبي .

إن هذا الحادث التاريخي العظيم فاتحة لما يرجى بعده من التوسع فيه تحقيقا لأماني أمة مزقتها الشعوبية منذ أكثر من ألف سنة ، وأفاد الاستعمار من ذلك فزادها فرقة وتمزيقا . إلى أن أراد الله لها اليقظة في جميع أوطانها ، فالقلوب العربية تتطلع الآن إلى هذا الحادث التاريخي من كل مكان : من ضفاف الرافدين ، ومن جانبي الأردن ، ومن ربوع لبنان ، ومن كل مكان ينطق أهله بالضاد . يلتفتون إلى الماضي يوم خرجت العروبة من جزيرتها لتقيم الوطن الأكبر ولتبني العالم الإسلامي كله ؛ ويتطلعون إلى المستقبل الذي سيتم فيه البعث وستستأنف فيه العروبة رسالتها في العالم الإسلامي والمجتمع الإنساني . إن هذا لخير البشر كلهم ، ولخير الأمم التي عانت من الاستعمار ، وسيكون ذلك نقطة تحول سعيد في التاريخ العالمي .

زيارة سوكارنو لمصر
وتعاون مصر وأندونيسيا

زار السيد أحمد سوكارنو رئيس الدولة الإسلامية (أندونيسيا) واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر مرارا وبحثا القضايا التي تهم الدولتين ، كما بحثا الموقف الدولي الراهن بصفة عامة ، وقد أكد الرئيس جمال عبد الناصر التأييد الكامل من الحكومة المصرية والشعب المصري للحكومة الأندونيسية والشعب الأندونيسي لتحرير إيريان الغربية من الاستعمار الهولندي

وأكد الرئيسان إيمانهما بالمبادئ المتفق عليها في مؤتمر باندونج للدول الآسيوية والإفريقية، وبالمبادئ التي يقوم عليها ميثاق الأمم المتحدة، وكان الرئيسان على اتفاق تام بأن سياسة عدم الانحياز هي خير مساهمة يمكن أن يقدماها لتحقيق السلام والرفاهية والاستقرار في العالم.

واتفق الرئيسان أثناء استعراضهما للتعاون بين مصر وأندونيسيا في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية على ضرورة توسيع نطاق هذا التعاون وتنميته، كما أعربا عن عزمهما على أن يبذلا كل الجهود الممكنة لبلوغ هذه الأهداف، زيادة في تدعيم الروابط بين الأمتين، وقد قبل الرئيس عبد الناصر الدعوة التي وجهها الرئيس أحمد سوكارنو لزيارة أندونيسيا عندما تسمح الظروف بذلك، وقد شعر الرئيس سوكارنو بأن زيارته لمصر قد هيأت له فرصة كبيرة لاستعادة صحته الطبيعية، ويرجع ذلك إلى الاستقبال الأخوي الحار الذي لقيه في مصر، وأعرب الرئيس جمال عبد الناصر لضيفه العظيم عن الأماني الطيبة التي يكنها الشعب المصري للرئيس الأندونيسي كما تمنى للشعب الأندونيسي السعادة والازدهار.

البدع في الموالد

منعت وزارة الداخلية البدع والمعاصي والسخافات التي كانت تجري في الموالد، من ضرب الدفوف ودق الطبول والنفخ في الناي وظهور النساء في حلقات الذكر بساحات الموالد أو في مواكب أهل الطرق، كما منعت بدع ضرب الأجسام بالسلاح وأكل الحشرات وارتداء الأزياء الغريبة، وكذلك عرض ألعاب الميسر والخلاعة وما إلى ذلك.

وقد كلف وزير الداخلية مشيخة الطرق بأن تندب أشخاصا من المنتمين إليها لمراقبة تنفيذ هذا القرار.

مقاطعة العرب لإسرائيل

يقدر الخبراء الاقتصاديون ما يلحق إسرائيل من خسائر بسبب مقاطعة العرب لها بخمسة وعشرين مليونا من الدولارات سنويا، وهو ما يستجديه الصهيونيون من حكومة أمريكا إعانة لهذه الدولة المصنوعة بالخيانة والبغي، فدافع الضرائب الأمريكي يتحمل عن إسرائيل ثمن البغي الذي رضيت حكومته أن تدفع به سمعتها وتاريخها.

الاتجار بالصور العارية

جريمة

حكمت محكمة جنح الأزبكية برئاسة الأستاذ محمود الزهدي القاضي بالحبس شهرا مع الشغل على بائع للصور العارية، وذكرت

المحكمة فى أسباب حكمها أن الدين الإسلامى الذى شبت فى ظله تقاليد المجتمع المصرى يأبى كل الإباء الاطلاع على مثل هذه الصور فالدين الإسلامى الذى يمنع التبرج ويعتبر جسم المرأة عورة لا يسمح بحال بنشر صور عارية تكشف عن المفاتن والعورات .

ودافع المتهم عن نفسه بأن الصور هى صور فنية ولا تعد منافية للآداب فضلا عن أنها انتشرت فى كل مكان ، فردت محكمة جنح الأزبكية أن الصور العارية ليس لها صلة بالفن ، فضلا عن أنها طبعت فى طبعات شعبية رخيصة وتعرض على جمهور لا يدرك إلا معنى واحدا هو معنى الإثارة للغرائز الجنسية .

صوت المرأة المسلمة

فى الدفاع عن النظام الإسلامى للأسرة

تقدمت نائبة من أعضاء مجلس الأمة بمشروع غير مشروع إلى المجلس تطالب فيه الحد من تعدد الزوجات وتقييد الطلاق ، فقامت (جمعية نساء النهضة) معارضة هذا المشروع غير المشروع ، وذهب وفد منها برياسة السيدة منيرة حسنى فقابلت رئيس مجلس الأمة وقدمت له مذكرة قلن فيها :

« إن الطلاق والزواج من اختصاص رجال الدين ، ولكن النائبة أمينة شكرى تريد أن تجعله حقا مدنيا - وإن مشكلة الطلاق مشكلة أخلاقية فقط ، وعلاجها بتقويم الأخلاق ، لا بعمل « ترقيع » فى نصوص الشريعة ، وإن تقييد الزواج والطلاق يجعل الحياة بين الزوجين بالإكراه ، وينشر الزواج العرفى بدرجة كبيرة فى المجتمع ، وسيضرب الشباب عن الزواج تفاديا للمحاكم والمتاعب وستزداد أزمة الزواج ويترتب على ذلك انهيار خلقى فى المجتمع » .

اليابانيون والبترول السعودى

وقعت المملكة العربية السعودية اتفاقا مع شركة البترول اليابانية يقضى بمنح الشركة اليابانية امتيازا باستنباط البترول من المنطقة المغمورة فى النصف المشاع بين المملكة العربية والكويت .

إسرائيل دولة لصوص

أعدت جامعة الدول العربية إحصاء دقيقا عن المخالفات القانونية التى ارتكبتها دولة اللصوص التى أنشأتها دول الغرب فى الوطن العربى (فلسطين) باسم (إسرائيل) ، فتبين أنها ارتكبت فى العام الماضى ٥٠١ ألف جريمة ، وبلغت قيمة المسروقات فى جرائم السطو ١١٤ مليون جنيه ، وتناول التحقيق ٢٤٣٦٧١ شخصا أى ١٢ فى المائة من مجموع

السكان ، وقد وزعت المخالفات على الوقت حين أن إسرائيل ارتكبت مخالفة قانونية في كل ست دقائق .

مباحثات مياه النيل

دارت المباحثات بين مصر والسودان حول التفصيلات الفنية التي تولاها لجان فنية مشتركة بشأن أسس مباحثات مياه النيل . وقد تم الاتفاق حول الخطوط العريضة التي تدور حولها هذه التفصيلات ، وفي مقدمة ذلك موافقة السودان على إنشاء السد العالي ، والموافقة على مبدأ الحق المكتسب في مياه النيل بالنسبة لاتفاق سنة ١٩٢٩ ، وتقسيم المياه الزائدة المترتبة على إنشاء السد العالي أو أية مشروعات مستقبلة بالنسب التي تواجه حاجة البلدين . وقد اتفق مبدئيا على أن يكون هذا التقسيم بنسبة ٥٠ ٪ أي مناصفة . وتعوض مصر السودان عن الأراضي التي سوف يغرقها المشروع في بلاد النوبة ، وتدفع نفقات ترحيل أهليها وإسكانهم في منطقة تقع جنوبي كسلا ، وتقدر هذه التعويضات مبدئيا بمبلغ يتفاوت بين ١٠ و ١٢ مليون جنيه فإذا لم يتمكن الطرفان من الاتفاق على قيمة التعويضات ، فإن السودان يقترح أن تقوم مصر بعملية نقل أهالي النوبة السودانيين وإسكانهم على نفقتها الخاصة بدلا من دفع تعويضات نقدية لهم .

وستكون مصر والسودان طرفا واحدا في أي مباحثات تجري في المستقبل مع أثيوبيا أو غيرها بشأن الكميات الزائدة التي تتدفق من النيلين الأزرق والأبيض في مجرى النيل بالبلدين .

أمة

سيتم إعلان الوحدة في اجتماع يعقده الرئيسان شكري القوتلي وجمال عبد الناصر .

سيعلن القرار في مجلس الأمة بالقاهرة ومجلس النواب السوري بدمشق في وقت واحد .

قال شكري القوتلي وهو في دمشق قبل أن يأتي إلى القاهرة لإعلان الوحدة . لقد كافحت في سبيل الوحدة مع إخوان أعزاء علق بعضهم على أعواد المشانق ، ونال الشهادة عدد منهم في ثورات الاستقلال ، وحكم علي أنا بالإعدام ثلاث مرات . ولم نكن نعمل لتستقل الأوطان العربية استقلالا محليا ، بل كنا نجاهد جميعا لأجل الوحدة . وقد عقدنا الآمال على كثير من الرجال لتحقيق وحدة الأمة العربية ، فشاءت إرادة الله أن يتأخر تحقيق نتائج جهادنا إلى اليوم لأكون أنا رئيسا للجمهورية ، وأسلم (الأمانة) يدا بيد الرئيس جمال عبد الناصر الشاب المثل عروبة وحماسة وإخلاصا للأمة العربية .

الفهرس



مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
بإدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٦٩٤

الجزء الثامن – القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٧ – ٢٠ فبراير ١٩٥٨ – المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

العروبة

من جذورها – إلى أغصانها ، وثمراتها

هي كلمة الله الطيبة ، من الأزل إلى الأبد . . .

قد يحجبها إبليس ورهطه بما يحجبهم عن مدارك أهلها حينا ، وعن أسماع الإنسانية وأبصارها حينا آخر ، ثم يظهرها الله لأهلها لعلهم يفيئون إلى أمره ، ويظهرها أهلها للناس لعلهم يهتدون طريق السعادة .

هي « كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت ، وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » .

إنها شجرة طيبة فيما بين الأزل والأبد ، توغلت جذورها في أعماق الأودية ، وبين طبقات الأرض ، لتتجدد أغصانها بتجدد الأدهار ، ودورات الفلك ، وازدهار الأزمان .

لقد كان من ثمراتها الشهية اليانعة في الأمس القريب إبراهيم أبو الأنبياء والصالحين من أبنائه ، إلى خاتمهم وأكملهم حامل أسمى رسالات الله ، محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم إلى يوم البعث الأكبر .

إن الأمة التي كان منها إبراهيم ، كانت غصنا من دوحة أصيلة أنبتها الله في جزيرة العرب مهد الساميين الأول ، وموطن العروبة وحصنها المنيع . قال المؤرخ الأمريكي باتون (١) : إن أول مهاجرة سامية ذكرت في التاريخ هي هجرة جماعة من الساميين من أرض العرب إلى البقعة التي بين مصبي دجلة والفرات . ولم يذكر باتون زمن هجرتهم هذه من أوطانهم الأولى إلى العراق ، لأنها موغلة في القدم ، ولكنه أثبت لهم حضارة زاهرة في ذلك القطر في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد .

والذي أثبته لنا يد البحث من نقوب آثار هذه الحضارة من نحو ستة آلاف عام ، يقسمه الدكتور ناجي الأصيل أمين الآثار العراقية في بغداد ، ويتعاون ورجاله على حفظه في المتحف العراقي ، ويقومون على وصفه في مجلة سومر باللغتين العربية والانجليزية عاما بعد عام .

وذهب العلامة المحقق الانجليزي أرشيبلد هنري سايس A. H. Sayce — وهو من أعلام جامعة أوكسفورد في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين — إلى أن قبيلة من الساميين تدل لفظ (كلدة) كانت نازلة عند مصب النهرين في الخليج العربي ، أي في مقاطعة البصرة والكوفة ، وأنها طليعة الأراميين الذين نزحوا من شمال بلاد العرب ونزلوا القطر البابلي وخيموا على ضفاف الفرات .

وقال الأب أنستاس ماري الكرملي (في مجلة لغة العرب ٣ : ٥٧٨) : كلمة شيخ عربي ، هو مؤسس دولة الكلدان .

هذا هو الغصن المبارك الذي كان من أطيب ثمراته إبراهيم وبنوه ، وإن جذور الدوحة الكبرى التي منها هذا الغصن هي من جذور العروبة في وطنها الخصيب المنيع مهبط وحي الله ، ومنه ظهرت أقدس رسالات الله .

قال باتون الأمريكي : « ثم إن بلاد العرب عادت فدفعت بأبنائها بعد ألف سنة ، فكانت الهجرة الأمورية الكنعانية (أي الفينيقية) حوالى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد » .

ويؤيد قول باتون — من أن أصل الفينيقيين من صميم بلاد العرب — ما ذكره الأب

(١) مجلة المباحث [٣ : ٢٢٨] ورسالة أنجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب [ص ٢] .

صرتين اليسوعي (في تاريخ لبنان طبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ص ٢٤١) وهو أن (أرمو) وجد في الكتابات الأثرية في البحرين خط المسند اسم (عشتروت) الإلهة الفينيقيين، وكان الحميريون يسمونها (عثر) .

ويؤيد هذه الحقيقة تأييداً وتأكيداً ما رواه الرحالة اليوناني سترابون المعاصر للسيد المسيح سلام الله عليه (في الفصل ١٦ من كتابه في الجغرافيا رقم ٣ و ٤) حيث قال : « إذا سرت في الخليج العربي رأيت جزيرتي صور وأرواد ومعابد فيها كل شبه بها كل الفينيقيين » . بل إن في الخليج العربي ثغراً اسمه جبيل ، وبعد انتقال الفينيقيين من وطنهم العربي على ساحل الخليج إلى سواحل الشام أنشأوا بلاداً على اسم بلادهم التي هاجروا منها : صور ، أرواد ، جبيل . . .

ولما زار هيرودوتس أبو التاريخ البلاد الفينيقية ، واجتمع بكهنتهم في هيكل (ملك ملك قرت) سنة ٤٥٠ قبل الميلاد ، وتحدث إليهم عن ماضيهم وأوليتهم ، كتب عنهم (في العدد ٨٩ من الكتاب السابع) يقول : « إن الفينيقيين كما يخبرون هم بأنفسهم أقاموا أولاً في البحر الأريتري (أي الخليج العربي) ثم رحلوا من هناك ، وجاءوا فسكنوا في سواحل الشام » .

وفي كتاب تروج بمبي (١٨ : ٣) وهو من مصادر التاريخ القديمة : « إن الفينيقيين لما آذتهم الزلازل في أوطانهم (وهي نجد من قلب جزيرة العرب كما سيأتي) هجروها وأقاموا أولاً بالقرب من البحيرة الأشورية (الخليج العربي) ثم رحلوا من هناك ونزلوا عند البحر الأبيض ، وهناك بنوا مدينة سموها صيداء لكثرة الأسماك في ساحلها » .

وقال المؤرخ الفرنسي فرنسيس لنورمان F. Lenormand : « إن تقليد الفينيقيين الذي حفظ في معبد مدينة صور المؤرخ هيرودوتس البارع في تحري منابع الأخبار ، وتقليد تروج بمبي المعروف بالرأي الصائب ، وتقليد سكان العربية الجنوبية الذي نقله سترابون ، ثم التقليد الذي كان جارياً ببابل في أوائل النصرانية أيام أخذ الكتاب السرياني الكلداني في الفلاحة النبطية ، جميع هذه التقاليد الثلاثة تدل على أن الكنعانيين (أي الفينيقيين) سكنوا في مبدأ الأمر بالقرب من الكوشيين إخوتهم الأصليين عند أرياف الخليج العربي ، أي في الجهة التي تسمى اليوم في المصورات الحديثة (القطيف) . وإن طريق القوافل ممتدة الآن من ناحية القطيف ومتصلة ببلاد الأحساء وكامل وادي دواسر إلى حد جبل طويق . وفيما وراء ذلك بقليل يميل إلى جهة الشمال الغربي في ناحية

الوشم إلى أن تتصل بمدينة حبرة ، ومن هناك تأخذ نحو الغرب مارة بخليج جهة القصيم لتتصل بطريق الحاج من مسدود الحنيكية . هذه هي الطريق التي سلكها الفينيقيون عند نزوحهم من قلب بلاد العرب إلى الشام ، وذلك أمر لا يستطاع الارتياب فيه ... ولما وصل الكنعانيون إلى الحنيكية تخلفت منهم قبيلة ، وأتم الباقون سيرهم نحو سواحل البحر الأبيض المتوسط . وفي تقاليد العرب القديمة أن ثمود أقامت بتلك الجهة ونحتت من الجبال بيوتا لها » .

وقال مؤرخ فرنسي آخر وهو مسيو رينه دوسو René Dussaud (في كتابه العرب في سوريا قبل الإسلام ص ١٨) اعتمادا على تحقيق العلامة ونكلر Winckler : « إن المستعمرات والمصارف الفينيقية في شمال إفريقية ليست نتيجة استعمار ، وإنما هي نتيجة حركة اكتساح عن طريق البر كتلك الحركة التي قام بها الفينيقيون يوم خروجهم من بلاد العرب وانتشارهم في سوريا . ويعتبر ونكلر أن بلاد العرب كانت الموطن الأصلي للساميين ، وأن البابليين (الكلدانيين) والكنعانيين (الفينيقيين) والآراميين (السريان) خرجوا من بلاد العرب فوجا بعد فوج كما خرج المحمديون البدو في القرن السابع الميلادي » .

وقبل أن أقطع الكلام عن الفينيقيين وثمود الذين يرى المؤرخون أنهم انحدروا معهم في هجرتهما معا قبل الميلاد بستة وعشرين قرنا ، أريد أن أشير إلى أداة المعرفة الإنسانية الأولى وهي الكتابة ، في الدور الذي انتقلت فيه من الكتابة بالصور (كالخط الهيروغليفي) إلى الكتابة بحروف الهجاء التي يرى مؤرخو الثقافة الإنسانية العامة أن الفينيقيين هم الذين اخترعوها لأول مرة ، وأن اليونانيين ثم الرومان أخذوها عنهم . ولكن الباحثين في تاريخ الموجات السامية والذين توصلوا إلى أن جزيرة العرب هي مهد الساميين الأول ومنها خرج الكلدانيون والفينيقيون وغيرهم ، أخذوا يتساءلون عن الأبجدية الفينيقية هل هي أصل الأبجديات ، أم أنها من تراث أوطانهم الأولى في الجزيرة العربية ؟ وهنالك من يرى أن الكنعانيين وثمود وعرب الصفا وكذلك الجهينة وسائر الساميين لا يبعد أن يكونوا أخذوا أبجدياتهم من اليمن عن خط المسند الذي كتبت به أجيال عريقة في القدم من اليمنيين . وإن آثار اليمن القديمة لا تزال بكرا ، وأمام رجال العلم من العرب واجبات عظيمة في التنقيب عن تلك الآثار والعناية بدراستها . ويقول

العلامة أرشيبلد هنري سايس . وإذا ذهبنا إلى أن مصدر الحروف الهجائية كان في بلاد العرب يكون أحسن حل لمعضلة التاريخ الأول لحروف الهجاء . لأن أسماء صور الحروف الفينيقية ليس فيه أدنى انطباق في كثير من الأحوال للرموز والإشارات التي تدل عليها ، من ذلك حرف ثور (أى الألف) فإن رسمه في كتابة المسند الذي كان يكتب به الفينيقيون من أهل اليمن أكثر شبها برأس الحيوان (الثور) الذي سمي حرف الألف باسمه . قال : وإن المكتشفات المقبلة في بلاد العرب ستدلنا على أسماء الشعوب التي سكنت تلك الأصقاع قبل عصر التاريخ وأحسنت فيها الحضارة .

ونلفت الأنظار إلى الأحقاف (الربع الخالي) التي دلت الدلائل على أنه كان حافلا بالخصب في أزمان عريقة في القدم قبل التاريخ ، وكانت تسيل إليه أودية الغامر وتنبثق متحدرة من جبال عسير فتصب في الربع الخالي وتملأه عمرانا وخصبا وخيرا ، ثم اضمحل عمرانه بزلازل وآفات سماوية تحول بها إلى بلقع ومفازات لا يجرؤ أحد الآن على اقتحامها .

وهنالك دولة الحثيين الكبرى Hittites التي ملأت آثار عظمتها وسطوتها شمال الديار الشامية وسكنت بلاد الأناضول كلها قبل البزنطيين بعهد طويل ، إن هذه الدولة التي ألف عنها الأستاذ أرشيبلد هنري سايس كتابا في ١٥٠ صفحة (وعندي طبعته الثانية سنة ١٨٩٢) يسمي دولة الحثيين (الإمبراطورية المنسية Forgotten Empire) وإن التوراة في كل ما تحدثت به عن الحثيين تنعتهم باسم إخوة الكنعانيين ـ أي الفينيقيين ـ وقد أوردت الأدلة والنصوص على أن الفينيقيين من جزيرة العرب ، فالمعقول أن يكون إخوتهم الحثيون موجة من الموجات التي هاجرت من جزيرة العرب ، ولكن في عهد أقدم من الزمن الذي هاجر فيه الفينيقيون إلى سواحل الشام ، بل هي موجة أعظم وأقوى وأعز شأنا . ولست أدرى لماذا لا تقوم وزارة التربية والتعليم بترجمة كتب أمثال باتون وونكلر وسايس وغيرهم في البحوث السامية ث . و . ت كر أستاذ اللغات السامية بجامعة درهام بإسكتلندا ، وكتاب الغصن الذهبي عن معتقدات العالم القديم للسرجيمس فريزر . نعم إن أكثر هؤلاء الباحثين ينظرون إلى هذه البحوث من زاوية التوراة ووجهات النظر اليهودية ، لكن اطلاع المشتغلين بالتاريخ العربي للأوطان السامية على كل ما يتصل بالماضي العربي والسامي أمر ضروري جدا لفتح أبواب البحث في جامعاتنا لهذه الأمور . بل ينبغي لنا أن نطلع على دراسات اليهود من علماء الفيلولوجيا في جامعة القدس العبرية عن مقارنة أصول الكلمات العبرية بما يوازنها في العربية وسائر اللغات

السامية ، فإنهم يقومون بمقاومة هذه الغارات من حدودها على حد تعبيرهم ، والاطلاع على ذلك من أهم واجبات الجامعات العربية . ومن العجيب أن يعنى اليهود بذلك ولغتهم أحدث اللغات السامية وتكاد تكون من اختراعهم ، بين العرب — ولغتهم هي البنت البكر للأمة السامية المنقرضة ، وهي أكملها وأوسعها ، لأنها وارثتها الأولى والأعرق في القدم — لا يزالون في غفلة عجيبة عن هذا الواجب القومي والعلمي الذي ينبغي لكل أمة منا أن تتطوع له وتنقطع لدراسته ، حتى تكون مرجعاً للأجانب بعد تخلف عن اشتغال أسلافهم به مائة سنة أو أكثر .

ولما بدأت بكتابة هذا المقال كنت أنوي التحدث عن الموجات السامية الأخرى من جزيرة العرب ، كقوم حورابي الذين أسسوا الدولة الكلدانية الخامسة قبل الميلاد بألف وستمائة سنة ، والنصوص في هجرتها عن بارور الأرامي كاهن معبد بعل في بلاد أشور أيام الإسكندر المقدوني ، وعن أبي ذات الكاهن المصري في هيكل أوزوريس على عهد خلفاء الإسكندر ، وبوليستور الشرق في القرن الأول قبل الميلاد ، وأبولو دوروس المعاصر لسيدنا عيسى عليه السلام . وقد نقل عن الأخيرين جورج سيسلوس وأوسابيوس قول كاهن بعل : « إن العرب استولوا على كلديا ، وجلس منهم على أريكتها تسعة ملوك في مدة ٢٤٥ سنة » وقد اعتمد المؤرخ رولنسن رواية بارور الأرامي وحسب أن المدة التي جلست فيها الأريكة الكلدانية للأسرة العربية المالكة امتدت من سنة ١٥٤٦ إلى سنة ١٣ قبل الميلاد .

ومن الموجات العربية نحو الشمال هجرات بني إسماعيل قبل الميلاد بحوالي ٩٠٠ سنة ، منهم بنو يطور بن إسماعيل الذين أسسوا مملكة في جنوب دمشق ، وفي التوراة ذكرهم (في سفر التكوين ٢٥ : ١٥ و ١٦ ، وفي أخبار الأيام الأول ١ : ٣١) . وإخوتهم بنو قيدار وبنو نابت الذين استقلوا من مكة إلى يثرب ومدين وشاطئ خليج أيلة (العقبة) ووادي موسى . ولبني نابت آثار منقوشة على الأحجار بين وادي موسى والسويس ، وبين العقبة والطور . ويقول المؤرخ القديم ديودور الصقلي : إنهم عشرة آلاف مقاتل من أشجع الرجال ، وقد بطشوا بحملة أنتيغونس سنة ٣١٢ ق م حينئذ أسقطها عن آخرها وصدت أنتيغونس عن غزو مصر . وقد امتدت مملكة نابت من وادي القرى على حدود يثرب إلى دمشق في الشمال ، واتخذوا حصن (سلع) في وادي موسى أحد فروع العربة عاصمة لهم . والرومانيون يسمون حصن سلع (بترا) أي الصخر ، وهو من أعاجيب الآثار . ومن

ملوكهم الحارث وربد ايل وعبادة ورب ايل ومالك. وانقرضت دولتهم على يد الإمبراطور تراجان الروماني سنة ١٠٦ م. وقد أخطأ الذين نقلوا عن الرومانيين اسم عاصمتهم بترا وكان ينبغي لهم أن يسموها باسمها العربي (سلع)، كما أخطأوا في تسمية هذا الشعب العربي النبط وتملكهم مملكة النبط، وهذا الاسم جاءهم من اسم جدهم (نابت بن اسماعيل) وكان ينبغي أن يسموا (الأنباط). أما النبط فجيل آخر بالبطائح بين العراقين سموا بذلك لاشتغالهم باستنباط ما يخرج من الأرض.

وكان بعد هجرة بني اسماعيل إلى الشمال افتراق بني معد في الحجاز وتهامة، وهجرة سيل العرم من اليمن، ولافتراق بني معد تفصيل دقيق في مقدمة معجم ما استعجم للبكري، وقد أوغلوا في سواد العراق والموصل وتكريت والأناضول وحولوا فيها مقاطعة قهستان إلى مستعمرة عربية اشتهرت إلى هذا اليوم باسم (ديار بكر) أي ديار بكر بن وائل وهي الآن ولاية تركية في صميم الأناضول، كما استقرت جماهير منهم في سنجار ونصيبين ورأس عين فصارت تسمى (ديار ربيعة).

أما الموجة القحطانية التي اندفعت إلى الشمال بانهيار سد العرم فمنها الأوس والخزرج وهم الأنصار الذين نزلوا مدينة يثرب، وخزاعة الذين توطنوا في مكة، ولخم الذين ملأوا العراق، وغسان الذين كانت لهم مملكة في الشام، وعاملة الذين انتشروا في جنوب الساحل اللبناني فخنقوا أسلافهم الفينيقيين. وبلغت تنوخ أعماق سوريا الشمالية ومن سلالتها حكيم شعراء العرب أبو العلاء ومواطنوه من أهل معرة النعمان وشيزر وما وراء ذلك في الشمال.

وكان ينبغي لي أن أتعرض لما كان بين مصر وجزيرة العرب من وشائج وأواصر متصلة من أقدم تاريخ عرفناه لمصر حتى اليوم، لولا أني بحثت بشيء من ذلك في مقالي (الشعب المصري جزء من الأمة العربية) المنشور في جزء رجب سنة ١٣٧٥ من هذه المجلة لمناسبة صدور دستور الشعب المصري معلنا هذه الحقيقة في مادته الأولى.

تلك هي جذور العروبة، كدوحة مباركة امتدت أغصانها في آفاق لا عهد للتاريخ بمثلها في أمة من أمم الأرض. أما ثمراتها فسوف نحاول إحصاءها كلما رجعنا إلى أنفسنا، وعرفنا من نحن، وما هو تراثنا، من أعرق الدهور في القدم إلى أن تقوم الساعة.

ولا ريب أن أعظم هذه الثمرات هي التي جنيناها ونجنيها من فيض الموجة الإسلامية الكبرى التي أعادت إلى البلاد السامية وحدتها القومية بألحان العربية الفصحى، وبعثت بهدايتها ربوع الهند وجزائر أندونيسيا ومدائن الصين شرقاً، كما عمرت شمال إفريقية إلى أقصى جبال الأطلس وبلغ المحيط الأعظم في الغرب، وجاست ربوع أوربا حتى وطئت خيول عبد الرحمن الغافقي جنوب فرنسا، ورحم الله حسان العروبة فؤاداً الخطيب يوم كان يترنم على مسامعنا بقوله:

تلك الحياة التي كانت مجنحة ... في الغيب لا عاماً تخشى ولا سقما
طارت مع الدهر من بدر إلى حضر ... حتى استقرت فكانت نهضة عمما
من ذلك البيت، من ذاك اليراع، على ... تلك الطريق مشت أجدادكم قدما
من كل أروع وثاب إذا اقتحمت ... بيض الصوارم كان الصارم الخذما
وانقض من صدواء الدار منصلتا ... وانسل في غمرات الموت مقتحما
لتنتموا بهم ولتنتموا من سلالتهم ... إن لم يكن منكم من بينهم أمما
إلى الشآم، إلى أرض العراق، إلى ... أرض الجزيرة سيروا واحملوا العلما

ويصعب علينا أن ننسى على الاستعمار الغربي ما أنزله بالعروبة في حروب الصليبيين الأولى وفي أعقابها في الأزمان الأخيرة. وينبغي لنا أن نعلم أن الذي نزل بالعروبة والإسلام من كيد الشعوبية شر من الذي لقيناه من الاستعمار، فالذي كادت لنا به الشعوبية في الفرصة قد أنسانا أنفسنا، وجعلنا نسيء الظن بعدد منا، وشوه فينا سمعة جبابرة من الصحابة إلى التابعين والفاتحين والمصلحين، وجعل مدلول الدين في نفوس الدهماء منا غير المدلول الذي كان له في صدر الإسلام. ولا بد أن نسارع في الخلاص إلى تنقية أذهاننا من الأعشاب السامة الضارة التي دست فيها. أليس من العجيب أن يفتخر مسلمو الهند وباكستان بالفتح العبقري محمد بن القاسم الثقفي ويحيون ذكراه لأنه كان سبب دخولهم في الإسلام، ونحن لا نعرف لأبي عبد الله صاحب رسول الله عمرو بن العاص رائد العروبة إلى مصر وحامل لواء الهداية المحمدية فيها وسبب إسلام أهلها من زمانه إلى الآن، فنزوره الزيارة الشرعية، وندعو له برحمة الله ورضوانه جزاء تمكينه للكنانة، وإقامته شريعة الإسلام نظام الطبقات التي كانت تنفرد بملكية الأرض وما عليها من العمال والمواشي ولا تتحرر من البيع إلى المشتري ومن الموروث إلى الوارث، فكان النظام الجديد الذي جاء به عمرو

إلى مصر أول ميزان لهذا الباطل ، ونحن لا نعرف له هذا الفضل كما ينبغي ، لأن تاريخنا قد اختلط فيه التشيع بالأعشاب السامة ، وقد آن أوان إنقاذنا منها .

إن الشعوبية أفسدت علينا عقيدتنا بعروبتنا ، وأفسدت ديننا حتى غطته ببدعها الذي كان – بشهادة الله له – خير أمة أخرجت للناس . ومن أعظم ما يكفر به الدهر عن ذنوبه للعروبة في هذه الأيام السعيدة رجوعنا إلى أنفسنا ، واطمئناننا إلى هذا الأصل الأصيل الذي سيجتمع به شملنا بمشيئة الله وتوفيقه . ومتى استأصلنا من مجتمعنا جذور الشعوبية ، وأقمنا مباني التربية والتعليم في مدارسنا وجامعاتنا على هذا الأساس المتين ، فسيكون منا للإنسانية القوة الفاضلة المهيبة التي تعمل للحق والخير ، وتدعو إلى العدل والرفق والتعايش السعيد فيما بين الأفراد وفيما بين الأمم . وإن ذلك له ما بعده في تاريخ الإنسانية إن شاء الله .

محب الدين الخطيب

مصر والشام

وطن واحد لأبنائه سام عربي في حضره وبداله
ليس عمرو وخالد غير قطبيـ ـن أطلا منه على آماله
وطن العرب منه كل هداة أشرق الساطعين نحو رماله
كفلته الصحراء شرقا وغربا حين مد الأعداء في أوصاله
مصر والشام مظهران لمجد عربي طغى على آصاله
فهما يبعثان عصرا قديما في جديد حاكا على منواله
مصر والشام دوحتان لشعب صانه الله ، مد في أظلاله

محمد الشريقي
وزير خارجية الأردن سابقا



— ٥٨ —

عبرة منسية

الحياة الدنيا بين وفاة كل ليلة وبعث كل يوم

« وهو الذي يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار » .

حياتنا قضية زمنية تتشابه معالمها ، ويتكرر عرضها ، ويصحب الآدمي ، ويجري على كل كائن حي .. وهي ناطقة بالعبرة ، وزاخرة بالتوجيهات ، والإنسان أقدر على فهمها ، وأعرف بمفهومها ، ولكنه سادر في الغفلة ، رغم أنه في أفق ضيق من حياته الشخصية ، ولا يفيق من غفلته إلا بعد الفصل في القضية ، ولا يتبصر في موقفه إلا بعد انتهاء العرض وانطواء الصفحة . فما هو مدرك بعد ذلك غير ما وعى من مشاهد القضية ؟ وماذا هو مستحق سوى ما أحرز لنفسه من معالم روحية يهتدي بها ، ويعيش في ضوئها إنسانا عاقلا ، وصاحبا خيرا ، وعاملا ناجحا ، يتخطى دنياه التي تنطوي به بين ليل ونهار ، ووفاة وبعث متجددين ، إلى بعث دائم ، وحياة خالدة ؟ .

هذه حياتنا الدنيا نجتازها نهارا في جهاد ودأب ، وذهاب وجيئة ، ومنافسة وتزاحم ، وكسب وخسران ، وننتهي منه إلى ليل ، نقضيه في استجمام ، وننفض عن جوانبه متاعب اليوم ثم ننهض صباحا إلى غداة ، وننتهي مساءا إلى مثل ما انتهينا .

وقد تمر بنا الذكريات ، وتطوف بأخيلتنا العبر ، ولكنه تنبه مؤقت أشبه بالخاطر العابر ، لا يكاد يعرض حتى يمضي ويزول .

والله تعالى يحدثنا في هذا الشأن حديثا واقعيا ، لا تلاحقه الريبة ، ويوجهنا إلى أمر نحسه ولا يتسع للجدل ، فيقول سبحانه : (أ) « وهو الذي يتوفاكم بالليل » (ب) « ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه » .

ومعنى هذا أن الله يتوفى عباده بالليل ، ثم يبعثهم في النهار ، وهو عالم بما يعملون من خير وشر . ولكن عبارة القرآن ذكرت البعث في النهار بعد ذكر العلم بما عمله نهارا ،

من خلاف ترتيب المعنى الذي يبينه ، وليس في ذلك غرابة ، وإنما هو سباق في التقديم والتأخير ، تأذن به لغة العرب ، ويعتد به القرآن كثيرا لحكمة ربط الكلام بما بعده مثلا كما هنا .

وذكر الوفاة بالليل مقصود به النوم ، فإن الوفاة عند العرب كما تطلق على الموت تطلق على النوم ، والله تعالى يتوفى أرواح الناس بالنوم بمعنى يقبضها قبضا يمنعها من التصرف في الأجسام ، وقد كان النوم يحصل نهارا كما يحصل في الليل ، فالمقصود عموم الوفاة ليلا أو نهارا ، وفي تخصيص الليل به مراعاة لشأن الليل ، وما هو غالب وشائع فيه ، كما أن الشأن والغالب في النهار أن يكون للعمل واكتساب الخير والشر ، وإن كان ذلك يحصل ليلا أيضا .

ويذكر الله تعالى : أنه يعلم ما تأتي جوارحنا من أعمال أثناء النهار ، وذلك أيضا متابعة للغالب في أحواله ، والله سبحانه عليم بما نجترحه ليلا كما يعلم ما في النهار .

وكثير من الناس يظن أن التعبير بالوفاة لا يكون إلا في الموت ، وأن البعث لا يكون إلا بعد الموت ، ولكن لغة العرب أوسع من ذلك فهم يذكرون الوفاة في النوم وفي الموت ، ويذكرون البعث في اليقظة بعد النوم وفي الحياة الأخرة بعد الوفاة .

وخلاصة هذا أن الله يتوفى الأنفس حين النوم ويتوفاها أخيرا بالموت .

وأنه يرسل الأنفس النائمة من رقادها هذه لتستأنف جهودها في الحياة ليالي وأياما بين وفاة ويقظة ، حتى ينتهي ما قدر لها من زمن تعيشه ، ثم يمسكها بالوفاة الأخيرة عند الأجل المسمى « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » .

ويبدو من ذكر القرآن للوفاة ليلا والبعث نهارا ، أن القصد تنبيه الناس من غفلتهم ، وإشعارهم بأن الوفاة والبعث واقعان دائما ، في نومهم ويقظتهم ، وأن ما وراء الوفاة والبعث أخيرا حساب لاشك فيه ، وجزاء لا مفر منه ، فإما نعيم ، وإما عذاب أليم ، فليس للناس أن ينسوا ما هو جدير بهم ، أو يتجاهلوا ما هو على مقربة منهم ، وهم – مهما عاشوا – في سبيلهم إلى تلك النهاية ، بعد غدوات معدودة ، وعشيات محدودة .

وأمر خطير كهذا ، بل هو أخطر الأمور المقدورة على الناس يقتضي في حكمة الله أن يكون التذكير به دائما للناس في نومهم ويقظتهم ، ومصداق هذا قوله سبحانه « ثم إليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » .

وتأتي الآية الثانية ، فتشعر الناس أن الله قاهر لهم ، وقادر عليهم ، وأن سلطانه فوق سلطانهم المزعوم ، وهو القاهر فوق عباده ، ومن مظاهر قهره وغلبته ، ومن آثار رحمته أنه يرسل عليهم حفظة من ملائكته يراقبونهم ، ويحصون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحف ينشرونها يوم القيامة ، كما أن منهم من يتولون المحافظة على الناس من أحداث مقدرة على غيرهم ، فلان من الناس يصادفه شيء مقدور عليه دون فلان ، فالملائكة يحفظون الأول حتى على غيره ، كما يحفظون على الناس من أضرار الجن والشياطين إلى آخر ما يعلمه الله ، وعلى الوجه الذي تجري به حكمته في خلقه ، ولم يكلفنا باستيعابه أو بحصره حسبنا الإيمان بما أخبرنا .

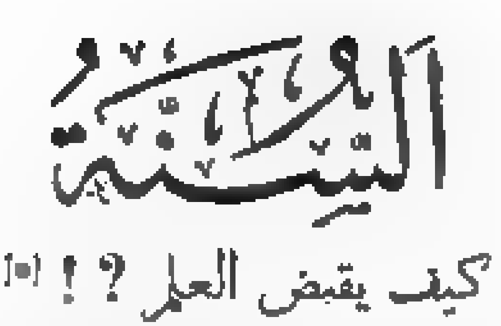
وواضح أن علم الإنسان بوجود الملائكة ، وأن لهم هيمنة على أعماله ، ويوحي له بنحو الخير ، يشجعه على الطريق بنفسه ، والاعتدال في مسلكه ، رهبة لله وللملائكته ، كما يستفاد ذلك من قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » .

بخلاف ما إذا كان العبد متروكا لشأنه دون مراقبة من الملائكة ، فإنه يكون مهملا ومتروكا لهواه ، وشيطانه ، وتكون حياته سدى ، أشبه بحياة الحيوان الضال يسير على غير هدى ، ولا يدرك لعيشه مغزى ولا غاية .

ولكن الله تعالى كرم الإنسان ورفعه فوق هذه المرتبة ، وجعل حياته بعطائه الحكيم ؛ جعلنا تحت مراقبة الملائكة ، وأعد لنا حسابا على ما قدمنا ، وسيجد الناس صحائفهم منشورة بين أيديهم في موقف الحساب أمام ربهم ، وسيتبين لهم أن الله أحاط بكل شيء علما ، وأنه سيقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ، وصدق الله فيما ختم به الآية « ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » .

وبعد — فما أجدر العقول أن تنتبه ، والقلوب أن تتعظ ، وما أجدر المسلم أن يبصر أخاه بما ينبهه من غفلته ، وأن يبعده عن كل شر ، إن المسلم أمانة في عنق أخيه ، ينصحه بما ينصح به نفسه ، ويحذره من الغواية — وإن لم يفعل ذلك امرؤ وهو قادر عليه فليس حفيظا على أمانة الأخوة ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول « ولا دين لمن لا أمانة له » والله يعصمنا من الزلل ويرشدنا إلى صالح العمل .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



كيف يقبض العلم ؟ ! (*)

ميراث الأنبياء – حياة العلم – رب جهل خير من علم – ليس العلم بكثرة الرواية – ورثة الأنبياء حقا – جهال في ثياب العلماء – شرف الفتوى – وصاة جامعة راشدة .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ؛ حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري)

• • •

العلماء ورثة الأنبياء ، ما في ذلك ريب .

والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم :

ورثوا العلم بأسماء الله وصفاته ، وسننه في خلقه وآياته .

وورثوا العلم بكتاب الله وحدوده ، والحكم بما أنزل الله فيه .

(*) هذه ترجمة الإمام أبي عبد الله البخاري في كتاب العلم ، وهذا لفظه فيه ، ورواه بلفظ آخر في كتاب الاعتصام وترجمته فيه : باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ، ورواه مسلم في كتاب العلم كذلك ، وترجمته هناك : باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ، والحديث علم من أعلام النبوة كما ترى .

وورثوا العلم شريعة الله ودينه الذي رضيه لعباده ، وتعبدهم به ، ووصاهم أن يقيموه ويهتدوا بهديه ؛ لأنه النور المبين ، والصراط المستقيم ، إلى الحياة الطيبة ، والعيشة الراضية ، والجزاء الأوفى ، في الآخرة والأولى .

ومصداق ذلك كله قول الله جلت آلاؤه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

* * *

ويتصل بهذا الميراث النبوي كل علم يهدي إليه ، وكل وسيلة توصل له ، متى خلصت النية ، وسلم القلب من الأمراض والعلل ، وطهر من الآفات والنقائص ؛ لا جرم أن للوسائل حكم المقاصد ، وأن للمقدمات حكم النتائج ، في الخير والشر ، والنفع والضر ، فإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى .

* * *

وغني عن البيان أن هذا العلم النبوي ، لن يتجرد — ولا ينبغي له أن يتجرد — من لبه وجوهره ، وحياته ونوره ، وهو العمل به والاهتداء بهديه ؛ فمن أبعد المحال أن يرفع الله الذين أوتوا العلم درجات وهم في واد وما أوتوه في واد ، بل يهبط بهؤلاء علمهم دركات ؛ لأنه حجة عليهم وفتنة لهم ، والجهل خير من العلم إذا كان فتنة ، والعياذ بالله !!

على أن العلم لو تجرد من العمل به لن يكون ميراثا نبويا بحال ؛ فإن الأنبياء لم يورثوا من شاء الله أن يورثوه — كلاما وجدلا ، وإنما ورثوا حكمة وبيانا ، وهداية ونورا ، وفقها في دين الله عز وجل .

* * *

وغني عن البيان كذلك أن هذا العلم ليس بكثرة الرواية ، ولا بقوة الجدل والمناظرة ، وإنما هو — بالخلق والتخلق — نور يهدي الله به ، ويهدي الله له من اصطفاه من عباده ، وعلامة هذا الاصطفاء أن يفقهه في دينه ، ويلهمه الرشاد والسداد ، فإن من جعله الله قدوة للعباد ، فذلك الذي يدعى في ملكوت السماء عظيما ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* * *

إن العلماء العاملين ، الناصحين المخلصين ، مصابيح الظلام ، وهداة الأنام ، يحيون الأمم ، ويحيون الهمم ، ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .

هؤلاء هم ورثة الأنبياء حقا، يهدون بهديهم، ويجددون للناس أمر دينهم، ويستغنون بالغني الحميد عما في أيديهم، ولولا بقية منهم لهلك العالم أجمع.

• • •

ولقد من الله على المؤمنين بهذه البقية، كما من عليهم بالنبيين وخاتمهم وأصحابه من قبل، إلا أنها تقل وتتضاءل - تدريجا - بقبض أرواحها، لا بنزع العلم وعفوه من صدورها، فإن الكريم إذا وهب لا يسترد، فما بالك بأكرم الأكرمين سبحانه ؟! لا نحصي ثناء عليه.

وقد بشرنا الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، بهذه البقية، وبين لنا علامتها إذ يقول: « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » رواه الشيخان [1].

• • •

وقد يبدو بين الحديثين خلاف أول النظر، ولكنه يذهب عند التأمل، فإن الحديثين لا يختلفان في ذهاب العلم بموت العلماء من حملة الشريعة وفقهاء الأمة، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا يستفتونهم في أمر دينهم، فيستنكف أحدهم أن يقول: لا أدري، ويتعاظم أن يرجع إلى أحد من هذه البقية التي بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم، أو يشق عليه الرجوع إليه، فتقل وتهزل حتى باتت في حكم العدم !

وحينذاك تفشو الجهالة، وتعم الضلالة، ويوسد الأمر إلى غير أهله، تمهيدا لقيام الساعة على كل لكع وابن لكع من شرار الخلق !!

• • •

وها نحن أولاء نرى جهالا في ثياب العلماء، يتصدرون للفتوى والقول على الله بغير علم، ولا يعدمون من أتباع كل ناعق من يصدقهم ويدافع عنهم، وهو يجهل الضروري مما افترض الله عليه، وإذا كان هذا وفي الأمة الإسلامية بقية من أولي العلم والفضل، فما بالك إذا اضمحلت هذه البقية إلى معشارها أو أقل ؟!

• • •

(1) وشرحه الأستاذ حسن منصور في م ١ ج ٥ ص ٢٦٨ - ٢٧٤.

وإذا كان في الحديث تنويه بشأن العلم والعلماء عامة ، ففيه تنويه أعظم وأجل بشأن الفتوى والمفتين خاصة ، وحسب الفتوى شرفا وفضلا أن الله – تعالى جده – تولاها بنفسه ثم ولاها خاتم أنبيائه ورسله ، ثم تولاها سادة الأمة وقادتها ، أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، أولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فليعد المفتون لهذا المنصب عدته ، وليعرفوا له خطره وجلالته [١] .

• • •

ورواية الإمام أحمد هذا الحديث – مسندا – عن أبي أمامة رضي الله عنه ، في حجة الوداع ، تدل على مكان التحديث به ، كما تدل على مبلغ اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم وأخذه وروايته ، وتوكيد وصاته به في آخر حياته ، وتحذير أمته – ولا سيما الآخرين منهم – أن يتهاونوا في طلب العلم والحرص عليه حتى يقبض بقبض العلماء [٢] فيفشو الجهل ، ويستفحل الداء ، وتستحكم الأزمة !! .

وقد توجس خيفة من هذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، في رأس المائة الأولى ، إذ كتب إلى أبي بكر بن حزم نائبه على المدينة :

« انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا » .

والله المستعان على العلم والعمل به ، والفقه في دينه والنصح له .

طه محمد الساكت

من وحي الوحدة

كنت حلما في خيالي	نازع الدهر البقاء
ما طغت فيه الليالي	وأحاطته السماء
طرف مجد وجمال	واصطفى خير الرجال
ثم آخى في الكمال	بين شكري وجمال

« من قصيدة للأستاذ محمد كامل شلش »

---

(٢) انظر تفصيل هذا الإجمال في « إعلام الموقعين عن رب العالمين » .

الفقـــــه

الطلاق فى الإسلام

منح الله الحكيم العليم الأسرة الإسلامية مزيدا من العناية فى تكوينها، ورسم خطوط السير لكل فرد منها، وحث الزوجين على حسن العشرة وكريم المعاملة، حتى ترفرف على بيت الزوجية أجنحة السعادة، ويتعاون كل من الزوجين على جلب ما يسعدهما ويسعد ما منحهما الله من ثمرة الزوجية الموفقة من بنين وبنات، وذلك هدف عظيم لتشريع الزواج فى الإسلام.

ولكن الأمور قد تسير فى غير هذا الطريق، وينزغ الشيطان بين الزوجين فيقلب سعادتهما شقاء، ويجعل البيت الهادئ جحيما حتى يضيق كل منهما بصاحبه، ويتمنى أن لو تقطعت الأسباب بينهما، وبعد كل من الآخر بعد المشرقين.

لهذه الحال القاسية التى تأزمت فيها الأمور، واستعصى العلاج شرع الله الطلاق - وهو أبغض الحلال إليه - إذ لا علاج غيره، وقد لوحظ فى تشريعه الترفق بالزوجين، وعدم سد سبيل المساعى الجميل دفعة واحدة «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»، فللزوج أن يلجأ إلى هذا العلاج أول مرة لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، فتنقشع السحب السوداء، ويرجع الزوج إلى زوجته وقد أدرك كل منهما خطأه وقدر موقفه، فترفرف أجنحة السعادة من جديد على بيتهما، ويتمم كل منهما صاحبه؛ وإن دامت الأمور على هذا كان ذلك من فضل الله وتوفيقه، وإن ساءت وتعقدت فما كان من أن يجرعها كأس الطلاق مرة ثانية ولعل الله يكفى بها ويحصل تكرار العلاج، فإن أمن الزوج من نفسه ومن صاحبته الشفاء من مرض الاعتلال الزوجى، والاستعداد الطيب لحياة زوجية هادئة، كان له أن يراجع زوجته المرة الثانية، ويستأنفا حياة زوجية مستقرة بعد ما عصفت بها الأعاصير مرة بعد أخرى، ولعل كلا منهما يقدر بعد هذه المرة خطورة الحال فيحرص على حسن العشرة لينعما بالهدوء ويظفرا بالسعادة، أما إذا ركب كل منهما رأسه واستأنفا النزاع والشقاق ولم ينجع الدواء، وانقطع حبل الأمل فى الحياة السعيدة، وصار كل من الزوجين قذى فى عين صاحبه، فلا مناص من قطع الصلة بينهما، وتحرير كل منهما من الآخر بالطلاق الثالث الذى تبين به الزوجة، ولا يملك بعده الزوج مراجعتها، بل يصبح كل منهما أجنبيا من الآخر، لا يحق له الإساءة ويوشك أن يلقى له الفضل الذى حث الله على عدم نسيانه

إذ يقول : « ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير » ولعل السعادة التي لم يذوقا لها طعما في اتصالهما يتمتع بها كل منهما في انفصالهما « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

هذا هو الطلاق الذي شرعه الله حلا لعقدة النكاح عندما تتأزم الأمور ، وتدعو المصلحة إلى الفراق ، ويبعد كل من الزوجين عن صاحبه ، وقد أعطى الله الرجل الحق في هذا التصرف ، إذ هو الرأس المسئول للأسرة وباني عش الزوجية — وشأنه — وهو المسلم المتدين ، أن يقدر المصلحة في بقاء الزوجية أو إنهائها أكثر من غيره ، ولم يعطه الله الحق في هذا التصرف مطلقا ، ليستعمله كيف شاء من عدل أو جور ، بل أوجب عليه العدل في المعاشرة كما أوجب عليه الإحسان في المفارقة ، وكرر عليه الأمر والنهي في هذا الشأن « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، « فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » .

فتشريع الطلاق إنما هو لمصلحة الأسرة فقد يكون لمصلحة الرجل ، وقد تكون المرأة أحرص عليه من الرجل ، وقد يكون لكل منهما فيه مصلحة ، وهذا هو الأغلب حتى لو كان سبب النزاع من طرف واحد ؛ إذ لابد حينئذ من فساد حال الزوجية وتدهورها إلى الحضيض ، الذي يتعين معه الانفصال واتجاه كل من الزوجين إلى حال يطمئن إليها ويستقر معها .

وربما يخيل إلى بعض الناس : فلماذا لا تكون المرأة صاحبة حق في التصرف بالطلاق ؟ ولكن الحوادث أثبتت أن المرأة لا تحسن التصرف والطلاق ، وأنها في هذا الموضوع على الأخص تغلب عليها عاطفتها ، وتتحكم فيها ويغلق أمامها باب التفكير الصحيح ، وكم من امرأة ألحت على زوجها في طلب الطلاق ، وبعد رفضه وكثرة إلحاحها أجابها إلى ما طلبت من الطلاق ، فلطمت الخدود وشقت الجيوب وندمت حيث لا ينفع الندم ، بل قد تغلب على المرأة عاطفتها في طلاق غيرها ، وكم من أم ألحت على زوجها في طلب طلاق ابنها ، وربما أقنعته بأن ابنته مشتكية في البيت تعاملها كالخادمة ، فلما أجابها وحقق لها طلاق ابنته من زوجها لطمت ، وقالت : كأنك كنت تتمنى الفرصة لطلاق ابنتك فلما أجابها بأنها هي التي ألحت في طلب طلاق بنته ، وأنبه على عدم إجابته ، قالت : كنت تنتظر بعض الوقت لعلنا نتدبر ، وما نحن إلا نساء لا يحصى خطؤهن ، والحوادث في تحكم عاطفة المرأة في موضوع الطلاق أكثر من أن تحصر ، فلهذا ولما قدمنا من أن الرجل هو رأس الأسرة وباني عش الزوجية ، جعل الله حق التصرف في الطلاق للرجال ،

وأخذ للنساء منهم ميثاقاً غليظاً بحسن العشرة ، وبيَّن لهن جميع حقوقهن في الزوجية وفي الطلاق ، وذلك تشريع الحكيم العليم .

على أن هناك أحوالاً تكون المرأة فيها المرجع في انفصال الزوجية إما بالطلاق وإما بفسخ العقد : فإذا ساءت حالة الزوجية ، لقسوة الزوج وسوء معاملته وإمعانه في الإضرار بزوجته ، فللزوجة في هذه الحال أن ترفع الأمر إلى القاضي وتطلب الطلاق للإضرار ، فإذا ثبت عند القاضي ما ادعته الزوجة طلق القاضي على الزوج زوجته ، وكذلك إذا كان الزوج معسراً بحيث لا يستطيع القيام بشئون الزوجية ومطالبها ، فللزوجة الحق في أن ترفع الأمر إلى القاضي ، وتطلب الطلاق لإعسار الزوج بنفقات الزوجية ، ومتى ثبت عند القاضي إعسار الزوج طلق الزوجة بنظام خاص يتبع في ذلك ، ففي هذه الأحوال كان الطلاق بناء على طلب الزوجة وكذلك أيضاً إذا ظهر بعد عقد الزوجية أن بالزوج عيباً لا تصلح معه الزوجية ، إما بمرض بدني كالجذام والبرص والسل والسرطان ، أو بمرض عقلي وهو الجنون ، أو بمرض يمتنع معه التمتع الزوجي كالعنة ، فللزوجة في هذه الأحوال أن ترفع الأمر إلى القاضي وتثبت هذا العيب وتطلب فسخ النكاح ، ومتى ثبت عند القاضي العيب الذي تدعيه في الزوج ، فسخ القاضي النكاح بالنظام المقرر لكل عيب ، وفي هذه الأحوال كان فسخ النكاح بناء على طلب الزوجة .

وربما يخيل إلى بعض الناس أيضاً ، لماذا لا يقيد الطلاق بأنه لا يجوز إلا بأمر القاضي ؟ فإذا رفع إليه الأمر تدخل في موضوع النزاع بين الزوجين ، وربما تكون النتيجة الصلح بينهما وعودتهما إلى بيت الزوجية ، ونناقش ذلك فنقول : إن أريد بأنه لا يجوز الطلاق إلا بأمر القاضي أن الطلاق الذي يصدر من الزوج بدون إذن القاضي ، يكون باطلاً ولو كانت صيغته مستوفية لشروطها الشرعية ، فهذا غير دين الإسلام ، وقد انعقد إجماع المسلمين على أنه إذا صدرت صيغة الطلاق من الزوج المكلف باختياره ، كأن قال : زوجتي طالق ، فإن الطلاق يقع ، سواء حضره قاض أم لا ، وسواء أذن القاضي أم لا ، بل وسواء حضرته الزوجة أم لا ، بإجماع المسلمين ، فهذا دينهم ، ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » .

وإن أريد هناك أن يرفع الأمر إلى القاضي ، ليتدخل ويحسم النزاع ويتم الصلح في كثير من الأحوال ، فنقول : إن ما ذكرناه من وقوع الطلاق متى صدرت صيغته الشرعية من الزوج المكلف باختياره هو ما شرعه الدين ، أما ما يراد من المصلحة بالصلح إذا تدخل القاضي ،

فيمكن تحقيقه بتدخل المأذون، فلا مانع من تكليف المأذون بالتدخل للصلح بين الزوجين، ومراجعة الزوج الذي يريد طلاق زوجته، لعل الله يوفق بينهما ويحقق رغبة الزوجية، وإن كثيرا من المأذونين ليتطوعون بالتدخل للصلح بين الزوجين بدافع حب الخير، وإصلاح ذات البين، وإذا كان المأذون مكلفا بذلك كان أثره أعظم، وهذا كله في طلاق لم يقع بعد، ويراد إيقاعه عند المأذون، أما إذا كانت صيغة الطلاق قد صدرت من الزوج مستوفية شروط الطلاق الشرعي، فقد وقع الطلاق، وحسب من الطلقات الثلاث التي يملكها الزوج، ولو كان ذلك في غيبة المأذون، بل ولو كان في غيبة الزوجة، ويجب على المأذون إذا حضر لديه هذا الزوج لإثبات ذلك الطلاق، أن يثبته حرصا على الدين والأعراض.

والذي يهمنا أن نبين أن الدين قد شرع الطلاق لمصلحة الأسرة، وحرص على أن تنال المرأة جميع حقوقها في الزوجية وفي الفرقة، فليس هناك إهمال لأي شأن من شئون الأسرة، لا في حال الاجتماع ولا في حال الانفصال، ثم إن بعض الناس قد أسرفوا في استعمال الطلاق، حتى جعل منه يمينا يريد به الحث على حصول أمر، أو المنع من حصوله، أو تحقيق خبر، إما بقوله على الطلاق، أو بصيغة التعليق، ولكن العلماء قد قرروا أن ذلك لا يعتبر طلاقا، وحكم بذلك القضاة الشرعيون في محاكمهم، وليس من الدين أن يكثر الرجل من استعمال صيغ الطلاق هذا الاستعمال بل ذلك دليل على الطيش والسفه.

هذا الذي بينا من أن الله قد شرع الطلاق للصالح العام، وحل الأزمات المعقدة التي لا تصلح معها الزوجية، وأنه قد جعل لكل حالة ما يناسبها، هو نموذج لتشريع الطلاق في الإسلام.

ونريد أن نوازنه بما عند غيرنا من علاج لحل أزمات الزوجية المعقدة، فلا نجد عند أي دين علاجا لحل هذه الأزمات، بل الواجب عندهم ترك الأمر كما هو، ولو أدى ذلك إلى استفحال الخطب وازدياد سوء الحال، وفي مقدمة هذه الأديان المسيحية فهي لا تعترف بصحة الطلاق مهما تأزمت الأمور، ولو صار كل من الزوجين يرى في صاحبه مثال الشقاء والتعاسة فيصبح ويمسي وهو يشقى.

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

فكل من الزوجين يباشر صاحبه على دخل ودغل، ويتمنى فراقه ولو بالموت.

وكثيرا ما كانت هذه الحال سببا لأن يخرج المسيحي من دينه ويترك مسيحيته، وقد دعا ذلك بعض المفكرين منهم إلى وضع تشريع للطلاق، ولكنه يعتبر تشريعا مدنيا

لأن الكنيسة مصرة على منع الطلاق وتحريمه ، وترى رجالها أن كل من طلق ثم تزوج زان ، وأن كل من طلقت ثم تزوجت زانية ، وأن المسيحي لا يصح منه الطلاق مهما بلغت حال الزوجية من سوء ، فالزوج يعيش مع من يشاء من الخليلات ، والزوجة تعيش مع من تشاء من الأخلاء مع علم كل منهما بحال صاحبه ، وربما اجتمع الخليل بخليلته في بيت الزوجية ، مع إغضاء كل من الزوجين عما يكون من صاحبه ، وذلك كله حيث عجز دينهم عن حل الأزمة .

أما المتمدينون منهم من الذين يلجئون إلى الطلاق وإن كان تشريعا مدنيا لم تقره الكنيسة ، ولعلنا لم ننس بعد حادثة الدوق وندسور ملك الانجليز ، الذي أولع بحب امرأة مطلقة طلاقا مدنيا ، ولما أظهر أنه يريد زواجها وقف في وجهه رجال الكنيسة ، معلنين أن طلاق هذه المرأة باطل لا يقره الدين ، وأنها لا تزال في عصمة زوجها فلا يصح أن تتزوج غيره ، وأن الدوق وندسور وهو ملك على عرش مسيحي يجب أن يختار بين هذه المرأة التي يحبها ، وبين العرش الذي لا تغيب عنه الشمس ، ولكنه خضع لسلطان الحب واختار المرأة ، ورفض العرش الذي تحكم فيه مسيحية لا تقر الطلاق ، ولا تعرف حلا لهذه الأزمات ، وقد كان الدوق صريحا في تصرفه ، إذ أنه كان في استطاعته أن يقنع باتخاذ المرأة خليلة عشيقة ، ويقنع من ذلك كما فعل من قبله أمير البحر اللورد نلسون الانجليزي ، وكما يفعل أبناء جنسه المخلصون لحكم الكنيسة عند ما تتأزم أمور الزوجية .

فعرفت أيها المسلم الآن ، أن الإسلام الذي شرع الطلاق ليعالج هذه الأزمات ، وأبغضه وهو الحلال ، وجعل لكل حال متأزمة ما يناسبها ، وقرر مبدأ عاما خاطب به الرجال إذ يقول : « وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » . لينبه الرجل إلى أنه يجب أن يكون حذرا في تصرفه بالطلاق ، وأنه قد يضيع به خيرا أكثر مما يدرؤه من شر ، فلا يقدم عليه إلا إذا سدت في وجهه جميع طرق الحياة الزوجية السعيدة ، وأن لا مناص من الفراق .

على أننا إذا نظرنا إلى ما يحصل من الطلاق المدني نجده قد صار مهزلة ، وأنه وإن كان بأمر القاضي إلا أنهم قد تهافتوا عليه وأكثروا منه لأوهى الأسباب ، فمرة نسمع عن طلاق امرأة لأن زوجها يعطيها ظهره وهو نائم معها في السرير ، وتارة نسمع أنها طلقت لأن زوجها لا يقبلها عند عودته من السفر ، ومرة يبلغنا أنها طلقت لأن زوجها أهمل تهذيب كلبها ، وسمعنا أخيرا أنها طلقت لأن زوجها يقصر عن تربية الكتاكيت في المنزل إلى

غير ذلك من منازل الطلاق التي انتقلوا بها من الصدد إلى القصد ، بقي ما يقترحه بعض الناس من منح المرأة عند طلاقها تعويضا عما لحقها بالطلاق من ضرر أدبي ومادي ، ونرى أنه لا مانع من ذلك والدين يدعو إليه وهـذا التعويض هو ما يسمى في التشريع الإسلامي متعة ، ولنبين الآيات الدالة على ذلك .

قال الله تعالى : في سورة البقرة : « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » وقال أيضا في سورة البقرة : « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » وقال في سورة الأحزاب « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ، ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا » فهذه الآيات تدل على وجـوب تمتيع الزوج مطلقته أي إعطائها متعة غير مقدرة على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، أي على من يكون ذا سعة وغنى ما يليق به ، وعلى من يكون ذا ضيق وقلة مال ما يطيقه ، ويرجع في تقدير ذلك المعروف عند الناس مع مراعاة حال الزوج من يسار وإعسار .

وذكر العلماء أن المتعة مال غير مقدر يعطيه المطلق مطلقته جبرا لما لحقها بالطلاق من إيحاش وضرر ، وبعض العلماء يوجبها لجميع المطلقات ، وبعضهم يستثني المطلقة قبل الدخول التي يجب لها نصف المهر ، وبعضهم يرى استحبابها ، ولكن الآيات ظاهرة في الدلالة على الوجوب وهو الراجح إلا أنهم قالوا إن تقديرها متروك للرجل فضميره هو الذي يحكم عليه بمقدارها المناسب لحاله من يسار وإعسار .

ونرى أنه حيث جعلنا المتعة واجبة ، ويختلف مقدارها تبعا لحال الزوج من يسار وإعسار فيمكن أن نسلك بها مسلك النفقة ، فإذا قدرها المطلق وقبلت منه مطلقته هذا المقدار فبها ، وإلا كان لها أن ترفع الأمر إلى القاضي ليفصل في مقدارها ، كما يفصل في مقدار النفقة تبعا ليسار الزوج وإعساره .

وبجميع ما قدمنا ظهر أن تشريع الطلاق في الإسلام قد حقق المحافظة على حقوق المرأة وصيانة الأسرة ، ورعاية مصلحة كل من الزوج والزوجة في حال العشرة والفرقة ، وظهرت عظمة هذا التشريع ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

عبد الرحمن العيسى
مدير مجلة الأزهر

حصوننا مهددة من داخلها

« في جامعة الدول العربية »

جامعة الدول العربية حصن من أكبر الحصون التي تسهر على حراسة حقيقة من أخطر حقائق وطننا وهي « العروبة » ، ومن المفيد ـ رغم تغير الظروف الآن ـ أن نتذكر أن هذه الجامعة قد أنشئت أول ما أنشئت بتشجيع دولة من أكبر دول الاستعباد الغربي ـ وهي انجلترا ـ لأنها كانت تطمع وقتذاك في أن تجعل هذه المؤسسة تحت رقابتها ووصايتها ، فتكون وسيلتها إلى السيطرة على العرب جملة ، وبذلك تتحكم في التيار الجديد فترسم له المصارف والمجاري وتوجهه إلى حيث تريد ، قبل أن يلتقي سيله فيحطم السدود ويجرفها ويجرف معها كل دول الاستعباد الغربي ويمحو كل أثر من آثاره ، وقدر الانجليز ودبروا ورسموا وخططوا ، ولكن القدر كان أقوى من كل ما يدبرون . وأخذ سيل هذه القومية الجارف يشق لنفسه الطريق بعيداً عن الطرق التي رسمت له من قبل بأيد غير أيدي أبنائه ، وأصبحت القومية العربية اليوم حقيقة واقعة ، ولم تعد حلماً ولا أملاً . أصبحت حقيقة تعترف بها حكومتا مصر وسوريا في دستور كل من البلدين ، وها هو ذا تيارها يجري إلى مستقره بأسرع مما كان يحلم أكثر الناس تفاؤلاً ، وهي بعد ذلك حقيقة واقعة مقررة عند الشعوب العربية كلها على اختلافها ومع اختلاف ميول حكامها . وهذا التطور الجديد يزيد جامعة الدول العربية أهمية ، ويجعلها الآن أهم مما كانت في أي وقت مضى منذ ظهرت للمرة الأولى في أعقاب الحرب العالمية الثانية . لذلك كان من المهم أن نستوثق من أن هذه المؤسسة قد تخلصت من كل آثار ماضيها ، وأصبحت تعمل بغير العقل الذي كانت تعمل به يوم كان الاستعباد الغربي من ورائها ، ومن وراء أصدقائه فيها .

وليس من شأني الآن ، وليس من شأن هذه المجلة التي أكتب لها ، أن أتناول الجانب السياسي من جامعة الدول العربية ، ولكن الذي يعنيني الآن هو الجانب الثقافي ، وهو جانب شديد الاتصال بالسياسة على غير ما قد يبدو للخاطر الأول . بل هو أخطر أثر

في التوجيه السياسي ، لأن آثاره أعلق بالنفس ، وهي لذلك أدوم في الجيل المعاصر وأبقى في الأجيال القادمة ، ولأنه يعمل في خفاء قد يبعده عن أعين الرقباء من رجال السياسة الذين قد لا يولونه من الاهتمام القدر الذي يستحقه ، وقد لا ينتبهون إلى أن من الممكن دائما تمرير مؤامرة الاستعمار على اختلاف آرائهم ونزعاتهم من خلال الثقافات التي يروجونها والتي يدعون إليها ، وهي العملة التي يمكن أن يستدل منها على الدول ، والحاكم الذي يحمل اسم المصلح .

وسوف أتناول في حديثي هذا اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية كما تبدو من مطبوعاتها الوافرة الغزيرة ، وهي اللجنة التي كان يشرف عليها أحمد أمين ، ثم ورثها طه حسين بعد وفاته ، وسأقسم منشوراتها إلى ثلاثة أقسام :

(١) البحوث والمحاضرات . (٢) الكتب المترجمة . (٣) المؤتمرات .

وأنا أعجل بتقديم النتيجة التي انتهيت إليها من بحث أعمال هذه اللجنة الثقافية ليضعها القارئ نصب عينيه على طول هذا المقال . هذه اللجنة كانت – ولا تزال – تنظر بغير عين العرب ، وتعمل بغير عقل العرب ، وتهدف إلى غير أهداف العرب . إنها لا تزال كما كانت يوم أنشأها الذين كانوا يحرصون على أن يكون العرب ذيلا لدول الاستعمار الغربي ، لا يرون الأشياء إلا كما يراها الغربي ، ولا يتذوقونها إلا كما يتذوقها ، ولا يقدرونها إلا كما يقدرها ، إنها لا تزال تعمل على ما يسميه دهاقنة الاستعمار الغربي Westernisation أي (التغريب) . ويقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية ، مما يساعد على إيجاد روابط من الود والتفاهم بين الحمار وراكبه ، وهي روابط تفيد الراكب دائما ولا تفيد الحمار وذلك هو ما تهدف إليه كل الجماعات التي من نوع (أصدقاء الشرق الأوسط) الآن ، أو (الصداقة الإنجليزية المصرية) و (الصداقة الفرنسية) سابقا ، وهذا الذي يسميه الاستعمار الغربي (تغريبا) هو ما يسميه سماسرة ذلك الاستعمار وصنائعه (تطويرا) . وهو ما يسمونه حين يتكلمون عن (بناء المجتمع من جديد) ، فالذين يتكلمون عن بناء المجتمع من جديد ، أو بناء المجتمع الجديد ، يعرفون أن مشروعهم هذا يشتمل على خطوتين : الخطوة الأولى هي هدم (القديم) ، والخطوة الثانية هي بناء ما يتوهمونه من (الجديد) . وهم مخلصون في الهدم ، لا يرضيهم إلا أن يأتوا على بنياننا من القواعد ، بما يتضمنه من دين وتقاليد وفنون وآداب . ولكنهم سوف يعجزون عن البناء ، سيهدمون مجتمعنا ثم يتركونه وسط أنقاض عظامه

القديم فى فوضى لا سكن فيها ولا قرار . وبوادر هذه الفوضى وأعراضها ظاهرة لكل ذى عينين ، ذلك لأن المجتمعات لا تبنى فى يوم وليلة ، وهياكلها تبنى فى مئات السنين ، ولا تبنى فى صحف منشورة أو قاعات مغلقة ، ولكنها عملية معقدة أشد التعقيد تتفاعل فيها قوى المجتمع كله ، ويستمر هذا التفاعل أجيالا تتمخض عن هذه القواعد وهذه الأشكال ، بما تتضمنه من التقاليد والقوانين وأساليب الفكر والتفكير .

ولا أكتفى بهذا القدر الآن ؛ بل أشرك القارئ معى فى استعراض نماذج من نشاط هذه الهيئة الثقافية ، ولنبدأ بالقسم الأول ، الذى يتمثل فى البحوث والمحاضرات . وليس من المستطاع وهذا المقال محدود أن نستعرض هنا هذا النشاط فى كل مطبوعاته ، ولذلك سأكتفى بتقديم نموذج منه فى واحد من كتبه ، وليكن هذا الكتاب هو الجزء الثانى من (العالم العربى - مقالات وبحوث) الذى نشرته الإدارة الثقافية سنة ١٩٥٣ مصدرا بمقدمة لأحمد أمين رئيس هذه الإدارة وقتئذ . وسأكتفى - على سبيل المثال ، ورغبة فى الاختصار - من هذا الكتاب باستعراض مقالين طويلين ، أحدهما للدكتور كامل عياد عن (مستقبل الثقافة فى المجتمع العربى ص ١٤٣ - ١٦٧) والآخر للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى عن (القانون المدنى العربى ص ٥ - ٢٩) .

أما المقال الأول (مستقبل الثقافة فى المجتمع العربى) - وهو مقال طويل يشمل نيفا وعشرين صفحة - فيبدو من عنوانه أن صاحبه يعارض كتاب (مستقبل الثقافة فى مصر) لطه حسين . والواقع أنه لا يعارض الكتاب فى عنوانه فحسب ، ولكنه يعارضه - كما سنرى - فى أسلوبه التفكيرى أيضا ، ويتفوق عليه فى جرأته على الدين وإسرافه فى إنكار ما وراء المادة المحسوسة الملموسة من عالم الغيب ، ومحاربة كل موارثينا الدينية والأدبية والاجتماعية على الإطلاق . وهو يبنى تفكيره على وهم خاطئ جعله أساسا لكل ما بناه عليه من الأباطيل ، فقد زعم - أو توهم - أن (الروحانية) التى يصف بها كتاب الغرب وباحثوه ثقافتنا الشرقية إنما يقصد بها صرفنا عن اللحاق بهم ، لأن هذه الروحانية (تستند إلى العاطفة والوجدان ، وتتعارض مع التفكير العقلى القائم على المشاهدة الحسية والتجربة العلمية والنظرة الموضوعية . وعلى كل حال فإنما القصد هو إظهار الفرق بين الغربيين والشعوب الأخرى ، ثم دفع هذه الشعوب إلى التمسك بعاداتها وتقاليدها وطرائق تفكيرها القديمة ، لئلا تقتبس الحضارة الحديثة وتسعى للتحرر من سيطرة الغربيين - ص ١٤٩) . وقد بنى زعمه هذا على واقعة شهد فيها مندوبا

من مؤسسة روكفلر الأمريكية يزور العاصمة السورية بدمشق ، وقد تلكأ هذا المندوب ولاذ بمختلف المعاذير حين أعربت له الجامعة عن حاجتها إلى بعض المختابر والأجهزة العلمية ، ولكنه لم يلبث أن أظهر البشاشة ولم يتردد في قطع الوعود بالمساعدة حين انتقل الحديث إلى إنشاء معهد لدراسة التصوف الإسلامي . والواقع أن كاتب المقال لم يحسن فهم دلالة هذه الواقعة ، ولم يكن على صواب في استنباط ما استنبطه منها ، فليس صحيحا ما زعمه وما استنبطه من أن دول الاستعمار الغربي تريد أن تصرف الناس في مستعمراتها عن اقتباس الحضارة الغربية . ليس ذلك صحيحا على إطلاقه ؛ فمن الثابت المؤكد أنهم عملوا على نشر مساوئ حضارتهم التي تتمثل في جانب الترف والتفنن في المتع والملذات ، وفي وسائل التسلية وتزجية الفراغ . ومن الثابت المؤكد أنهم بذلوا جهودا شاقة لتحويل المسلمين عن إسلامهم إلى ثقافة الغرب ، وجرهم إلى هذا التيه من الآراء الفاسدة المتناقضة باسم العلم وحرية التفكير . ومجهوداتهم في هذا السبيل مشهورة معروفة في شمال إفريقيا وفي الهند وفي كل مكان حلوه — ولا أستثني من ذلك مصر ، وذلك هو ما يسميه كتابهم بالـ Westernisation ولا يزال ماثلا في الأذهان ، أن من أول ما اشترطته فرنسا لإعادة علاقاتها مع مصر في المفاوضات الدائرة الآن إعادة مدارسها ومعاهدها ، فهل يجهل الناس معنى ذلك ؟ إذا لم يفهموه فها هو ذا نص واضح لا يحتاج إلى تأويل ، هو ترجمة لما جاء في تقرير اللورد كرومر واضع أسس الاستعمار الانجليزي في مصر ، بمناسبة تعيين سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٦ .

يقول كرومر ، بعد كلام طويل عن الوطنية المصرية ووصف في ختامه المدرسة العصرية التي ينتمي إليها سعد زغلول بأن برنامجها يقوم على (التعاون مع الأوروبيين — لا على معارضتهم — في إدخال المدنية الأوربية إلى بلادهم) ، ونصح بأن يمنحوا كل تشجيع ممكن ، يقول كرومر بعد ذلك . إن اختيار سعد زغلول لمنصب وزير المعارف ليس إلا تمهيدا لسياسة ترمي إلى تأييد هذه المدرسة ، ووضع مقاليد السلطة في يدها . ثم يقول عقب ذلك ما نصه . (وسوف نراقب ما تتمخض عنه هذه التجربة من آثار في عناية وانتباه . فإذا نجحت التجربة ، وذلك ما آمله وما أعتقده ، فسوف نمنح قدرا أكبر من التشجيع للسير في الاتجاه نفسه إلى مدى أبعد . أما إذا فشلت التجربة ، فستكون النتيجة الحتمية لذلك هي الاعتماد في شئون الإصلاح على الأوروبيين — وعلى الانجليز خاصة — إلى مدى أكبر مما جرى عليه العمل سابقا . وأيا ما كانت الحال

فلن يكون هناك سبيل إلى التراجع . إن العمل يسير بجد ونشاط في إدخال المدنية الغربية إلى مصر ، وهو يأخذ طريقه بتقدم ونجاح في كل إدارة من إدارات البلد ، حسب خطة مرسومة وضعت خطوطها بعد دراسة الواقع ، تقوم على التطور والتدرج ، لا على الانقلاب العنيف والتغيير المفاجئ ـ الفقرة الثالثة من تقرير سنة ١٩٠٦ ص ٨ من النسخة الإنجليزية) . ولو شئت لقدمت كثيرا من الأمثلة التي تدعم هذا النص الذي قدمته ، ولكني أظن أن فيه الكفاية لإثبات ما بذله الاستعمار الغربي في سبيل نشر أسوأ ما في حضارته وإحلاله محل الإسلام في كل مستعمراته ، يسمون صنيعهم هذا « نشر الحضارة » ويزعمونه « رسالة الرجل الأبيض » التي لا يملون من الحديث عنها ، ولكن الذي حالوا بين الناس في مستعمراتهم وبين الوصول إليه هو الأخذ بأسباب القوة ، أو بعبارة أخرى الجانب المثمر المفيد من هذه الحضارة .

أما الروحانية التي يحاربها الكاتب في جهل ، لأنه يزعم أن الاستعمار الغربي شجعها فهي شيء آخر غير الصوفية التي جاء ذكرها في قصة مندوب روكفلر مع الجامعة السورية . فالصوفية مذهب غير إسلامي في كثير من تفاصيله وشطحاته وتقاليده وطقوسه الدخيلة ، أو هو يبدو كذلك فيما هو مشهور عن كثير من فرقه التي تدعو إلى سلبية يائسة مستسلمة تعارض روح الإسلام معارضة صريحة ، وهو شيء آخر غير الزهد الذي عرف عن بعض الصادقين من الصالحين في صدر الإسلام خاصة وفيما تلا ذلك من العصور .

أما الروحانية بهذا المعنى بما نقيض المادية التي يدعو إليها الكاتب في مقاله ، فلا شك أن كل الأديان روحانية ، لأنها تؤمن بالروح وبالغيب وبالثواب والعقاب وبما وراء المحسوس الملموس .

وكاتب المقال لا يفرق بين الثقافة التي تتصل بالجانب الروحي والخلقي والديني من الإنسان ، وبين العلم الذي يتصل بالجانب العقلي والمادي منه . ولذلك فهو يقول : (لا بد لنا من الاعتراف بأن تقاليدنا لا تتعارض مع الاقتباس من الثقافة الحديثة السائدة في الغرب . وفي الحقيقة ، إذا تركنا المتطرفين في بعض الأقطار العربية ـ وهي فئة قد أصبحت لحسن الحظ قليلة العدد ـ فإننا لا نجد اليوم بيننا من ينكر ضرورة هذا الاقتباس . وإنما هناك فئة تسمى نفسها بالمعتدلة تريد أن يقتصر الاقتباس على محاسن الحضارة الغربية وعلى تلك النواحي من ثقافتها التي تتلاءم مع خصائصنا وتقاليدنا وعاداتنا . ولفئة

الضعف في هذا الرأي هي الصعوبة في تحديد الصفات والتقاليد والعادات التي نختص بها ويجب أن نحافظ عليها ، ثم الاختلاف حول المعيار الذي يميز الخاص من المستوى ـ ص ١٥١) . فالكاتب هنا ساخط أشد السخط على المحافظين ، ويصرح جدا أن عددهم يتناقص بيننا اليوم ، بل هو ساخط على المتعصبين الذين يدعون إلى التمييز بين الضار والنافع ، وما يلائمنا وما لا يلائمنا ، حين ننقل عن حضارة الغرب ، لأنه يريد فيما يبدو أن ننقل الحضارة الغربية (خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد وما يعاب) كما يقول صنوه طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) في الفقرة ٩ ص ٤١ . ومن الواضح أن هذا التصور الخطر لاقتباس حضارة الغرب ناشئ من عدم التفريق بين العلم والثقافة .

فالعلم ـ والمقصود به في الاصطلاح الأوروبي Science هو الرياضة والعلوم التجريبية ـ يتصل بالملموس المحسوس الذي أثبتته التجربة وتستطيع أن تعيد إثباته في كل زمان ومكان ، أو هو يتصل بالمنطق العقلي الذي تشترك كل العقول البشرية في إدراكه على وجه القطع واليقين مثل علوم الرياضة وكلها مما يشترك في إدراك حقائقه كل الناس بقدر واحد لا خلاف فيه ، ويمكن إعادة تجاربه ومراجعته والاستيثاق من صحتها والانتفاع بنتائج تطبيقها على اختلاف الأزمنة والأمكنة . أما الثقافة فهي تختلف باختلاف الأجناس والبيئات والأديان حسب حكمة الله سبحانه ، الذي جعل لكل قوم منسكا هم ناسكوه ، والذي جعل لكل قوم شرعة ومنهاجا ، والذي جعل الناس شعوبا وقبائل ليتنافسوا في الخير وليتبادلوا العلوم والمعارف ، والذي جعلهم أمما ولو شاء لجعلهم أمة واحدة . والثقافة لا تتصل بالمحسوس الملموس أو المعقول المشترك كما هو الشأن في العلم ، لأن بعض عناصرها يتصل بقيم الخير والشر ، والجمال والقبح ، والحق والباطل ، وهي حينما تعتمد على ما وراء المادة من الغيب الذي لا تصل إليه العقول ولا تدركه الأفهام ولا تشمله التجربة ولا يتطاول إليه الفكر . فهنالك خلاف واسع في تقدير الخير والشر بين الكافر الذي يقول (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وبين المؤمن الذي يراقب في أعماله ثواب الله سبحانه وعقابه في الدار الآخرة ، فبينما يرى الأول أن حرمان النفس مما تشتهيه ـ كل ما تشتهيه ـ ضرب من الحماقة ليس له ما يبرره ، يرى الآخر أن الإدمان على الشهوات هو عين الحماقة وقصر النظر . والمتدين يرى التفريط في العرض والعفاف شرا ، بينما يراه الوجودي مثلا حماقة . والمتدين يرى ضبط النفس فضيلة ، بينما يراه الفرويدي شرا يسبب الكبت الذي يورث في زعمه أمراض النفس .

والمسلم يرى اللص والقاتل مجرما تجب عقوبته والاقتصاص منه ، والمتفرنج الذى يعقل بأذنيه ويقلد تقليد القرود يراه صريعا حقيقا بالعطف . والمتدين يرى صورة المرأة العارية قبيحة ، لأنه يرى معها قبح نفس صاحبها ودنس شهوته التى خالطت صنعته حتى صبها نفسه ، وقد يراها غير المتدين جميلة ؛ لأنه لا يرى إلا مفاتنها ، ولأنها تخاطب شهواته وحواسه وحدها ولا تخاطب ضميره وخلقه ، أو هى تخاطب منه ضميرا وخلقا يخالف ضمير المتدين وخلقه على الأصح . وقل مثل ذلك فى كل ما يتصل بالخير والشر ، والحق والقبح ، والحق والباطل . فهذا الذى يدعو إليه الكاتب ، ويدعو إليه طه حسين وأضرابهما من المتفرنجين ، الذين يدعون إلى احتضان ثقافة الغرب بغير نقد أو تمييز ، لا شك أنه كما وصفه مصطفى صادق الرافعى رحمه الله . (نوع من المشاكلة بيننا وبينهم ، ووجه من التقريب بين جنسين يبين على اندماج أضعفهما فى أقواهما . ويضيق دائرة الخلاف بينهما . ثم هو من أين اعتبرته وجدت فائدته للأوروبى بين أشبه بتليين اللقمة الصلبة تحت الأسنان القاطعة . وعلى نسق الشرقيون أنه لا حجة للغرب فى استعبادهم إلا أنه يريد تمدينهم — وحى القلم ٣ : ٢٠٥) .

فى حضارة الغرب مواضع للقوة كانت سبب مجده وسيادته وتفوقه . ولكن فيها مواطن للضعف تحمل جراثيم موته ، وقد كانت سببا فيما اعتراه أخيرا من مظاهر الاعتلال التى تصور أنه يسير فى طريقه إلى الدمار والانهيار . فإذا كان مفهوما أن ننقل النافع الذى كان سببا فى مجد الغرب ، فكيف نفهم الدعوة إلى نقل الضار وقد كان سببا فى الخراب الذى تبدو طلائعه لكل ذى بصيرة ؟ .

يزعم الكاتب أن من غير الممكن اقتباس صناعات الغرب الآلية دون ثقافته . ويدعى أننا (لا يمكن أن نتقدم فى الصناعة الآلية . . . دون نشر هذه الثقافة بين الشعب على أكبر مقياس ممكن) وأنه (لا فائدة فى أن يصبح العامل قادرا على استخدام آلة تعادل قوتها ٢٤٠ من العبيد ، إذا ظل هو نفسه خاملا بليدا عاجزا عن التفكير الذاتى وعن النقد ، لا يستطيع تمييز الأخبار الصحيحة من الكاذبة ، وينقاد إلى الإيحاء والتضليل ولا يسيطر على أهوائه ونزعاته البدائية — ص ١٦٥) والدين هو المقصود بكل هذه الإشارات الأخيرة ، ولست أدرى إلى أى شىء قد استند الكاتب فيما يزعمه من أننا لا نستطيع الاستفادة من تجارب الغرب فى التفوق الصناعى الآلى إلا إذا نقلنا ثقافته ، أى أننا لا نستطيع — فى زعمه ووهمه — أن ننقل الصناعة وحدها دون الإلحاد والمادية والدعارة والأغلال التى تنطوى عليها ثقافة الغرب اليوم ، والتى يضج منها عقلاؤه ومصلحوه ، والتى ستنتهى حتما إلى زوال

أصحاب هذه الحضارة في القريب العاجل . هذا زعم عجيب ، هو مجرد ادعاء لا يقوم عليه دليل ، بل إن ألف دليل ودليل من الواقع ومن التاريخ ومن العقل يقوم على عكسه . وإذا كان هذا الكاتب الذي يصفق للمدنية الغربية لا يدرك أن ثقافة الغرب ومدنيته التي يطالبنا بنقلها، قد دخلها من الفساد ما هو خليق أن يجر الغرب كله إلى كارثة تقضى عليه، وتلحقه بالذين من حق عليهم القول فدمروا تدميرا، وإذا كان هو وأضرابه لا يصدقون إلا ما يجيء من الغرب، ولا يرون صوابا إلا ما رآه كتاب الغرب، فليقرأ ما كتبه المؤرخ الإنجليزي المعاصر أرنولد توينبي Arnold Toynbee في كتابه (الحضارة في الميزان Civilisation on Trial) وفي كتابه (الحضارة والغرب Civilisation and the West) ليرى حكمه على حضارة قومه بأنها في النزع الأخير ، وأنها تمر بمثل المرحلة التي سبقت سقوط الدولة الرومانية .

وكاتب المقال لا يعترف بأن لنا عادات خاصة ومقومات تميزنا عن غيرنا بوصفنا أمة من الأمم، لأنه يتساءل (هل يكفي أن تستمر بعض التقاليد والعادات مدة عصر أو عشرة عصور حتى تصبح جزءا لا ينفصل من تراثنا يجب التمسك به ؟ ص ١٥٢) . والواقع أن هذه التقاليد التي يدعو الكاتب وشيعته إلى نبذها وهدمها هي التي تمسك المجتمع وتشده ، لأن سلطانها فوق سلطان القانون . والدليل على ذلك أن كثيرا من الناس يرتكبون جرائم القتل التي تعرض رقابهم لحبل المشنقة، ولا يبالون بسلطان القانون، وذلك تحت ضغط التقاليد وسلطانها القاهر، فهم يرون عقوبة الموت التي تهدد حياتهم أهون من العار الذي يلحقهم من خرق التقاليد . هذا السلطان القاهر للتقاليد هو الذي يمسك المجتمع ويشد بعضه إلى بعض، لأنه يكون أشكالا شتى من الصلات والروابط، يلتقي عندها الناس على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم وأنواعهم . ومن المسلم به عند كل الباحثين – حتى الماديين منهم – أن أعمق التقاليد جذورا وأعظمها سلطانا، هو ما كان مستمدا من الدين . فإذا هدمنا هذه التقاليد على ما يريد الكاتب وأمثاله ، فأي شيء يبقى بعد هدمها ويقوم مقامها ؟ وأية سلطة تمسك المجتمع عند ذلك وتمنعه أن يتفتت ثم يزول وينهار ؟ .

لا يعترف كاتب المقال بغير الجانب المادي من الحياة ، فنظرته مادية خالصة ، واقتباساته كلها من مفكري الغرب المعروفين بنزعتهم المادية . وبعض هؤلاء الذين يقتبس منهم – مثل نيتشه – قد اعترف اليهود في محاضرهم المشهورة ببروتوكولات صهيون ، بأنهم هم الذين نشروا آراءهم وروجوها بين الناس لإفساد عقائد غير اليهود ومجتمعاتهم .

لا يرى كاتب المقال الأديان إلا أوهاما وخرافات وأساطير . ولا يجد شيئا إلا العلم المادى الحديث الذى أوجد عصر الآلة الذى نعيش فيه ، «إليه يرجع الفضل – حسب مايتوهم – في تحرير البشرية من الضلال والأوهام والخوف ... ولا شك في أن أبرز آثاره هو تغييره لتفكير الإنسان . فإن طريقة البحث العلمى جعلته تؤمن بالعقل ، ولا تتقيد إلا بالواقع الذى تدركه الحواس ولا تقبل شيئا (كذا !) لا تؤيده التجربة . وتقتضى هذه الطريقة التحرر من العقائد الغيبية السحرية ، ومن الأوهام والأحكام السابقة . وهى تفرض مبدأ المشاهدة الموضوعية ، والملاحظة المضبوطة والقياس الدقيق والتجرد من العواطف والتمسك بالحياد – ص ١٦٤» . وواضح من كلامه هذا أنه لا يعتد بالدين كله ، لأنه يقوم على الإيمان بالغيب ، وهو لا يؤمن إلا بالمشاهد الملموس ، ويرى أن ذلك من مزايا العلم التجريبى الحديث الذى حررنا – حسب زعمه – من الضلال والأوهام والخوف .

فالأديان كلها عنده ضلالات وأوهام ، كان الناس يخضعون لما تخوفهم به من العذاب ، ثم تحرروا من هذا الخوف ، ولم يعودوا يخافون العذاب الموهوم الذى زعمته هذه الأديان . هل هناك هدم أصرح من هذا ؟ وهل لا يعرف المسكين أن العلم التجريبى محدود الميدان والمدى لا يتناول إلا المدرك المحسوس . والمدرك المحسوس أقل بكثير مما لا يخضع لحسنا وإدراكنا ، بل هو لا يقاس إليه ويعتبر كأنه ليس شيئا مذكورا إلى جانبه . وقد أدرك العلم الحديث نفسه – الذى يتمسح به الكاتب – ذلك ، وعرف أن الموجات التى تدخل فى مدى إدراكنا الحسى ليست إلا شيئا ضئيلا تافها بالقياس إلى المعروف منها فضلا عن المجهول . ومن المعروف أن الكلاب والخيل وكثيرا من الحيوان – الأليف منه والوحشى – تدرك مالا ندركه . ولا نزال نعتمد على الكلاب خاصة ونستعين بها مستعينين اتساع مدى هذا الإدراك فيها .

ولا يزال علماء الفلك يقفون مشدوهين أمام ذلك الفضاء الجبار الذى لا يعرفون مقاييسه وأبعاده إلا ظنا ورجما بالغيب ، كلما زادوه تأملا انقلب إليهم البصر خاسئا وهو حسير . بل إن بعض ما يستنتجونه فى هذا أدعى إلى الحيرة من الجهل به . فهم يقدرون مثلا أن بعض النجوم – أركتورس مثلا – تبعد عنا ثلاثين سنة ضوئية . ومعنى هذا أن ذلك النجم الذى نراه الآن لا نراه كما هو الآن ، ولكننا نراه كما كان منذ ثلاثين سنة ، لأن الشعاع الضوئى الذى يصل إلى أبصارنا منه الآن هو الذى انبعث منه منذ ثلاثين سنة . ومعنى هذا أيضا أن من الجائز أن يكون ذلك النجم الذى يبدو لأنظارنا الآن غير

موجود الآن في حقيقة الأمر ، لأن رؤيتنا له لا تثبت إلا أنه كان موجوداً عندما انبعثت منه الأشعة الضوئية التي وصلت إلى عيوننا ، وهـذه لم تنبعث إلا بعد ثلاثين سنة . وما ينبعث منه الآن لا يصل إلى أبصارنا إلا بعد ثلاثين سنة ، أي أنه لا يمكن التأكد من أن ذلك النجم موجود الآن إلا بعد ثلاثين سنة . ويقدر الفلكيون أن بعض المجرات يبعد عنا ملايين من السنين الضوئية ، ومئات الملايين [١] ، أليس هذا العلم أدعى إلى الحيرة من الجهل ، وأدنى إلى أن يكون تعبيراً عن جهلنا وقصورنا ؟ ثم أليس مثل هذا ومثله — وهو كثير في علم الفلك خاصة — عن مسألة مدى العلوم التجريبية من ناحية ، وعلى صعوبة إدراك حقيقة الأشياء الأصلية من ناحية أخرى ؟ إن العقل يستطيع أن يوصلنا إلى تسخير بعض الظواهر والطاقات وتطويعها لمصلحتنا ، ولكنه لا يوصلنا إلى حقائق هـذه الظواهر والطاقات ، أليس الكفر بالله وبالأديان ، نتيجة هذا القليل الذي أتيح لنا الوصول إليه ، من آثار الكشوف الأخيرة ، لوناً من البطر ومن الغرور الذي يدرك ضعاف النفوس حين يصيبون حظاً قليلاً من النعمة أو القوة ، فيظنون أنفسهم أرباباً ويظنون أنهم يستطيعون كل شيء ؟ .

حقيقة الأمر في هـذه العلوم التجريبية أنها مفيدة في ميادينها المادية فحسب ؛ ولكنها غير صالحة لأن تنازع عالم المجردات الذي لا يخضع للحس لأنه لا يخضع لتجاربها . وذلك هو ما يسميه الإسلام عالم (الغيب) أي ما غاب عن الحس . ونحن مكلفون فيه بأن نؤمن بما جاء به الدين ، لأنه هو السبيل الوحيد إلى معرفته وإلى تحديد موقفنا منه وما فيه عندما ننتقل إليه . فميدان الدين إذن غير ميدان العلم التجريبي . فالأول يستأثر بعالم الغيب ، ويدبر شئون حياتنا على أساس الصلاحية لما بعد هذه الحياة ، بما لا يتعارض مع مصالحنا في هـذه الدنيا . والثاني لا يتعدى عالم الشهادة — أي ما يخضع للمشاهدة والحس — والمفروض مع ذلك أن الإدراك الصحيح لحقائق المشاهد الملموس يهدينا إلى ما ينطوي عليه من نظام دقيق معجز ، كما يقودنا إلى إدراك عجزنا أمام كثير جداً من المعضلات ، وهو عجز لا مفر منه من اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى . وليت كاتب هذا المقال وأمثاله يقرءون قول كثير من رجال العلم المظلوم ، الذي يحملونه أوزار كفرهم

---

[١] العالم وأينشتين تأليف لنكولن بارنت وترجمة البارودي ص ٤٢ ، مع الله في السماء تأليف الدكتور أحمد زكي ص ٢٠٢ .

وصلاتهم . ليته يقرأ قول أينشتين : (إن أجمل الأحاسيس وأعمق العواطف هي تلك التي نتعرض لها عند بحث الخفايا ؛ لأنها تؤدي إلى العلم الحقيق . وكل من ينكر هذه الأحاسيس ، ولا يتعرض للدهشة أو للرهبة ، فإنه يعتبر في عداد الأموات . والمؤمنون هم الذين يعلمون أن هناك أشياء تخفى من فهمهم . وهذا هو غاية الحكمة ، وأقصى درجات الجمال المشع التي تستطيع حواسنا القاصرة إدراكها ـ العالم وأينشتين ص ١١٥) . وليته يقرأ قول جاز بوهي : (إن الناس إما ممثلون أو متفرجون في تمثيلية وجودهم . فالإنسان هو نفسه أكبر أعجوبة غامضة في الحياة ، فهو لا يدرك الكون الغامض الذي يعيش فيه ؛ لأنه لا يدرك كنه نفسه . فهو لا يعلم إلا القليل من أمر العمليات العضوية في جسمه ، ويعلم الأقل من ذلك في شئون عقله وقدرته على فهم الدنيا التي تحيط به . بل إن قدرته محدودة في التعليل دون التخيل . بل إنه يكاد يكون عاجزا عن فهم أنبل وأعجب خصائصه ؛ ألا وهي قدرته على السمو بنفسه وإدراك كنهها في عملية التصور والتخيل ـ الكتاب السابق ص ١٣٧) . ليته يقرأ ذلك ـ وغيره كثير ـ ليعلم أن التكفر بالغيب ليس ثمرة المعرفة ولا ثمرة العلم ، ولكنه من آفات القليل من المعرفة والقشور من العلم .

هذا هو أحد النموذجين اللذين أردت تقديمهما لتصوير ما تنشره الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية من بحوث ومقالات . أما النموذج الآخر فهو بحث الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري أو مقاله عن « القانون المدني العربي ـ ص ٥ ـ ٢٩ » وسنتحدث عنه في المقال الآتي إن شاء الله .

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربي الحديث
بجامعة الإسكندرية

من كلام الأحنف بن قيس

- ليس لمكذوب مروءة ، ولا لحسود راحة ، ولا لسيئ الخلق سؤدد .
- المروءة أن لا تعمل في السر شيئا تستحي منه في العلانية .
- فضل الصمت لا يعدم صاحبه ، وفضل الحمق يتمتع به من سمعه .
- لا من تحكك في جوانب بيتي أحب إلي من أيم ردت عنها كفوا .

سلسلة الفقه الاسلامى

— ٢ —

وحيث انتهى بنا المطاف إلى هذه النتيجة الحاسمة نستطيع ، أن نقول : إن مصادر التشريع الإسلامى هى الكتاب والسنة والإجماع ، ونستطيع أن نقول فى غير شك : إن فقهاء المسلمين ما جلسوا إلى معلم رومانى ، وما قرأوا كتبا رومانية ، ولأن التاريخ القاطع الذى يعترف به الرومان أنفسهم ، يدلنا على أن الوقت الذى وجدت فيه النهضة التشريعية الإسلامية حتى وصلت إلى أرقى درجاتها ، لم تكن معاصرة لرقى الدولة الرومانية بل على العكس من ذلك ، فقد كانت الدولة الرومانية فى ذلك الوقت فى عهد الانحطاط والتقهقر فى جميع نواحيها ؛ إذ أن الفقه الرومانى قد ضعف بموت الإمبراطور جستنيان سنة خمس وستين وخمسمائة ميلادية ، والإسلام قد بدأ بعد ذلك بنصف قرن ، ولا يستطيع أحد أن يدعى انتقال الفقه الرومانى بعد هذا التاريخ إلى جزيرة العرب ، التى نشأ فيها الفقه الإسلامى ، بل يجمع المؤرخون على أن الفقه الرومانى ظل مجهولا من جميع الناس حتى من أهل أوربا أنفسهم ، لأنه فى ذلك التاريخ لم تكن الطباعة معروفة ، فظلت جميع المعارف محبوسة فى دائرة ضيقة جدا ، فى أيدى مؤلفيها أو ورثتهم أو فى الكنائس وما شابهها ، والمقطوع به أنها لم تتجاوز محيط الدائرة التى وجدت فيها ، وبذلك كله تنهار الشبهة التى نشأت عند بعض الباحثين من اعتقادهم بتأثر الفقه الإسلامى بالفقه الرومانى ، بحجة أن الفقه الرومانى سابق فى الوجود على الفقه الإسلامى ، وهذا منشأ خاطئ لا سند له ، سببه عدم التعمق فى البحث والاستقصاء والتنقيب والسير على الطريق المنطقى الصحيح ؛ فإن السبق فى الوجود الزمنى ليس وحده دليلا على أخذ اللاحق ولا سيما إذا كان للاحق منابع ومصادر خاصة ليست للسابق ، ولا دليل يمنع من لاحق يأتى بالعجائب والمبتكرات التى لم تخطر على بال من سبقه من أهل فنه أو علمه ، وأقوى دليل لذلك وجود المخترعات الكثيرة العظيمة التى جدت فى أواخر القرن الماضى والقرن الحالى مما أصبحنا فى دهشة منه ، فإن القمر الصناعى والصاروخ عابر القارات والتلفزيون والمغناطيس وغير ذلك من المخترعات لا يمكن لأحد أن يدعى تأثر مخترعيها بمن سبقهم من أهل هذا الفن ، وكل ما يمكن أن يقال لدفع شبهة المماثلة فى بعض الأحيان ، بين الفقه الإسلامى والفقه الرومانى ، أن بعض العقول الراجحة قد تدرك المصلحة فى طريق علاج بعض تصرفات الإنسان ، فتضع لها أحكاما مناسبة ؛

وقد كان لقدماء المصريين تشريعات في الأحوال الشخصية والعقوبات والمواريث، كما كان عند الإغريقيين والكلدانيين وغيرهم من الأمم التي سبقت الرومان بأزمان طويلة ، فوجود شبه بالرومانية في الفقه الإسلامي لا يدل بأي وجه من الوجوه على التأثر . ويوضح ما ذهبنا إليه من أن التشابه بين التشريعين لا يدل على التأثر بحال من الأحوال القطع بعدم الصلة بين التشريعين ، وهذا يبينه ما صرح به مترجم مدونة جوستنيان عند ترجمته الملحق الثاني منها ، وهو الأصول الفقهية العامة إذ قال : « بعض هذه القواعد مكرر العبارة في المعنى الواحد ، والسبب اختلاف أشخاص واضعيها أو اختلاف عبارات الناقلين عنهم ، كما أن الأثر الواحد منها بعينه ، أحيانا ما نقلته إلى العربية بعبارات مختلفة كل منها دال على ذات المعنى تماما ، فالمستعمل أن يختار منها ما يريد . وما كان من قواعد الأصول له مقابل عند فقهائنا ، قد وضعت ما قابله مأخوذا بنصه من مجلة الأحكام العدلية أو من كتاب الأشباه والنظائر ، ووضعت تحته خطا إعلاما بهذا » . وبذلك يظهر جليا وجه الصحة فيما ذهبنا إليه من القول بأن بعض العقول الراجحة قد تتلاقى آراؤها وأقوالها ، ومثل هذا التلاقي يوجد عند الشعراء والحكماء والأدباء من غير أن يكون هناك تأثر من أحد الفائتين بغيره .

وإتماما للفائدة وتوضيحا للنظرية بطريقة عملية نذكر بعض الأمثلة التي ذكرها مترجم مدونة جوستنيان ، فقد قال في القاعدة الثامنة : « الأولى تفسير العقود وفهمها على ما يقتضي إعمالها دون ما يقتضي إهمالها » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامي « إعمال الكلام أولى من إهماله » . وقال في القاعدة السادسة عشرة : « العادة شرع محكم » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامي « العادة محكمة » وقال في القاعدة الرابعة والعشرين : « الشيء الواحد لا يحتمل مالكين » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامي « المملوك لا يملك ، أو إجتماع المالكين وعلى واحد محال » . وقد أفاض المترجم بذكر كثير من قواعد الأشباه والنظائر ومجلة الأحكام العدلية ، فلئن وجدت عندهم شبهة تأثر الفقه الإسلامي بالفقه الروماني بعض العذر لعدم تعمقهم في دراسة تاريخ القانون الروماني ، وفي دراسة تاريخ الفقه الإسلامي ، ومن أجل ذلك ، كانت دراسة تاريخ التشريع عملا هاما عند الجامعات التي تدرس في بعض كلياتها القوانين المختلفة ، كما اهتمت بعض الجامعات بدراسة القانون المقارن لتقف على أوفق النظريات وأشدها ملاءمة للأخذ بها في التشريعات ، وللوقوف على التراث القانوني لجميع الأمم الحية ليسير الطريق أمام المشرع الحديث ، فإن خير الأعمال ما كان له سند

وأصبح مبنى عليها ، لتثبت حصانه ويأمن من الزلل ، ولا زالت شبهة تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني في حاجة شديدة إلى من يقوم بدحضها وردها ، إذ أنها لا تزال باقية حتى عند بعض الأزهريين المتفقهين إلى الآن ، حتى إن السؤال الذي وجه إلى العضو الإسلامي من لجنة تحضير الموضوعات لمؤتمر مقارنة القوانين منذ عهد قريب ، كانت صيغته على الوجه الآتي : « هل تأثرت الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني ؟ » . فالأزهر في أشد الحاجة إلى إعداد جماعة تجمع بين ثقافة قانونية وضعية ، إلى جانب ثقافتها الدينية الشرعية ، وعند ذلك تمكن رد كل شبهة تثار حول الشريعة الغراء .

والله يهدى العاملين إلى سواء السبيل ،،

عبد الله مصطفى المراغي

حكمة عاد وجرهم

قال أبو بكر بن دريد :

ألم تر ما أدت إلينا وسيرت ... على قدم الأيام عاد وجرهم

هم اقتضبوا الأمثال صعب قيادها ... فمثل هم منها الشريف المعظم

وقالوا « الهوى يقظان والعقل راقد » ... و « ذو العقل مذكور وذو الصمت أسلم »

ومما جرى كالوسم في الدهر قولهم ... « على نفسه يجني الجهول ويجرم »

وكالنار في يبس الهشيم مقالهم ... « ألا إن أصل العود من حيث يقصم »

فقد سيروا ما لا يسير مثله ... فيصبح على وجه الزمان وأنعم

نحو مجتمع إسلامي *

بين الوقاية والتقوى

يعرف الأطباء العقلاء في قواعدهم ومبادئهم أن « الوقاية خير من العلاج » ، والوقاية هي حفظ النفس مما يؤذيها ، وإبعادها عما يضرها ، وإنما كانت الوقاية خيراً من العلاج لأن الحيلولة دون وقوع الداء توفر الكثير من الجهود والمتاعب ، ولأن سد الباب على العلة أسهل بكثير من معالجتها بعد أن تتمكن وتتحكم . ونحن نستطيع بيسر أن نصد الكثير من الآفات إذا جاءت تريد الدخول ، ولكننا قد نفشل في القضاء عليها إذا فتحنا أمامها الباب وسمحنا لها بالدخول . والقرآن الكريم يشير إلى مكانة الوقاية وأهميتها حيث يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » ، وحيث يقول على لسان حملة العرش في دعائهم للمؤمنين : « وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم » . والله سبحانه يجعل وقاية المؤمنين من الشر والسوء ، منة كبرى عليهم فيقول : « فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً » .

والوقاية قريبة في معناها من « التقوى » ، لأن التقوى اتقاء واجتناب وصد للنوازع وحذر من الشبهات ، وهي ترك المعصية وصبر على الطاعة وإخلاص فيها ، وهي جعل النفس في وقاية من كل مخوف ، فهي إذن وقاية واستبعاد من أسباب الشر والفساد ، وتمسك بأسباب الهدى والرشاد ، ولو أردنا أن نصف دين الإسلام بوصف وجيز مركز لقلنا : إنه « دين التقوى » . وحسبنا أن مادة « التقوى » قد ذكرت في القرآن الكريم ما يقرب من مائتين وخمسين مرة ، والله قد وعد من وقى نفسه السيئات وحرص على الصالحات بالأمن والسعادة . « فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . والقرآن يحدثنا بأن المتقين قوم حذرون متنبهون ، فإذا خالطهم شيء لا يليق بهم من وسوسة الشيطان سارعوا بسد الطريق في وجهه ، لأنهم أهل بصيرة ويقظة : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذا هم مبصرون » .

ومن الناس من يفهم أن التقوى مقصورة على أداء ألوان من العبادات أو القيام بطائفة من القربات ، وأنها لا تخرج عن ذلك ، وهذا فهم قاصر ، لأن التقوى تشمل عمل الخير واجتناب الشر ، ويتسع معناها حتى يشمل الجانب الإيجابي بأداء ما فرضه الله وحرض عليه ، ويشمل الجانب السلبي بالابتعاد عما حذر الله منه ونهى عنه ، وقد تحدث أعلامنا عن التقوى بما يفيد هذا الاتساع ؛ فقال ابن عباس : « التقوى كرم الخلق وطيب المطعم » وقال شقيق البلخي : « تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء : في أخذه ومنعه وكلامه » وقال شاه الكرماني : « علامة التقوى الورع ، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات » . وقال أبو الحسين النيسابوري : « أجل شيء يمتع الله تعالى به على عبده التقوى ؛ فإن منه تتشعب جميع الخيرات » . وهؤلاء وغيرهم ينهلون في أقوالهم من رحيق القرآن الذي يقول : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولي الألباب » ! .

وهنا نسأل : هل نأخذ بمبدأ الوقاية والتقوى في حياتنا الفردية والجماعية ؟ . . .

لقد نفيني أناس فرحوا بالقرار الحكيم الذي اعتبر بيع الصور الفاضحة العارية جريمة ، وألغى القرار العجيب القائل : إنها من وتنمية للذوق وليس فيها ما يخل بالآداب ، وقد نشرت صحيفة (الأهرام) بتاريخ ٢ رجب ١٣٧٧ هـ - ٢٢ يناير ١٩٥٨ م خبر هذا القرار الذي قال : إن قرار حفظ التحقيق السابق (لا يتفق مع نصوص قانون العقوبات الذي اهتدى بأحكام الشريعة في بلد نص دستورها على أن الإسلام دين الدولة ، والدين الإسلامي - بل جميع الأديان السماوية - لا تبيح تصوير النساء العاريات ، ولا تميل إلى جعلها سلعة للبيع والشراء ، كما أن القانون يعاقب على حيازة الصور المنافية للآداب بقصد الاتجار ، ولا يمكن القول إن حيازة هذه الصور إحياء للفن والعلم) . . وجعل هؤلاء يقولون لي : لقد أفلحت الحملة الدينية على هذا الفجور ، فكنت أبادلهم تهنئة بتهنئة ، ولكني في الوقت نفسه كنت أسبح بخاطري في أفق واسع وعالم فسيح . . كنت أتساءل : فيم كان هذا العناء والتعب والمناورات والجهود الضائعة والأصوات الثائرة ؟ ولماذا لا نمنع الشر إلا بضجة وبعد زوبعة ؟ . . . لماذا لا نأخذ بمبدأ الوقاية والتقوى لنريح ونستريح ؟ ! . . .

لقد طالت - مثلا - قصة هذه الصور حتى تعقدت القصة وتشعبت ، وضج الناس منها ، وكان من السهل الميسور أن نتقيها بسد عليها الباب من أول الطريق ومنذ البداية . . . إن المجرمين من المضللين قد استباحوا لحوم النساء ، وصوروا منها هذه الصور العارية ،

ثم طبعوا منها آلاف النسخ ، ثم باعوها ووزعوها ، ثم ضج الناس بالشكوى ، ثم قبض على بعض الناشرين فتحقيق ، ثم أفرج عنهم وحفظ التحقيق ، ثم ثارت ثائرة الذين يغارون ، وأخيرا أعيد التحقيق ، ونحن الآن في انتظار النتائج !! . . .

لماذا كل هذا يا قوم ! . . لماذا نلف وندور ونتعب ، وفي النهاية نعود إلى البداية ، ونعي أن الأخلاق لا بد لها من قوانين ، وأن الدين لا بد له من حراس ، وأن الفضائل دائما حيث ، وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وأن الحق لا بد له من قوة تحميه وتدافع عنه ، وأن كثيرا من الناس كعبيد العصا لا يسمعون ولا يطيعون إلا بخوف ورهبة !! . . .

ولقد استشهد القرار — زاد الله مصدره توفيقا وغيرة على الدين والأخلاق ، وهو رئيس النيابة في شمال القاهرة — بالنص الوارد في الدستور وهو أن « الإسلام دين الدولة » ، والواقع أني تطلعت إلى هذه الجملة مرات لأتأكد من وجودها ، ولأتأكد من أن منطقنا الذي أفهمه هو نفس المنطق الذي يفهمه واضع القرار . . . إذن الإسلام دين الدولة . . . إذن قانوننا يهتدي بأحكام الشريعة . . إذن مخالفة الإسلام مخالفة للقانون . . إذن كل من يعمل على هدم ركن من أركان الإسلام ، أو مبدأ من مبادئه يكون خارجا على هذا القانون ويستحق الجزاء والعقاب ؟ ! هذا مبدأ جليل ونهج عظيم حين نؤمن به ونحرص عليه ونخلص في تطبيقه . . . وهذا يقتضينا منا أن نقول : إن محاكمة بائعي هذه الصور ليست هي كل شيء . . . إن على الدولة هنا واجبا أكبر وأوسع . . . إن من واجبها أن تعرف صاحبات هذه الصور ومصوريها وطابعيها وناشريها ورؤساء توزيعها ثم تؤدب هؤلاء أو تهذبهم . . إن الدولة تستطيع أن تتعقب المجرم وتكبله وتنال أمره ، والذين يشيعون الفواحش والرذائل في الأمة مجرمون . . . مجرمون بشهادة القانون وشهادة حراس القانون ، لأن هؤلاء المجرمين يحاولون هدم الكيان الاجتماعي والأخلاقي والديني ، ويحطمون مقومات الأفراد ومعنوياتهم ، ويمسخون روح الأمة وأخلاقها . . .

وليست هذه الصور المباعة في الشوارع هي كل ما نشكو منه الأخيار في هذا الباب . . . فهناك غيرها — ومن قبيلها — كثير . . . هناك صور عارية وشبه عارية ، ووقحة وشبه وقحة ، وجارحة وشبه جارحة ، ورخيصة وشبه رخيصة ، ومجرمة وشبه مجرمة ، تنتشر هنا وهناك في لوحات الإعلانات ، وفي النشرات ، وفي المجلات المتحللة . . . ومن هذه الصور

ما هو أشنع وأفظع، مهدمة من مجلات التحلل والانحلال تنشر علينا فاجر الصور بالآلاف، وفي أوسع نطاق، فأين عين الرقيب التي تحاسب على النقير والقطمير ؟.. ولم لا يأخذ بالعقاب كل محرض على الإخلال بالآداب، وكل هادم للأخلاق، وكل متطاول على الدين والعقائد ؟!..

إننا في فترة جليلة حاسمة من فترات البناء والتعمير، والإصلاح والتطهير، وأساس البناء في الأمم هو سلامة عقيدتها، وصفاء طبيعتها، ومناعة أخلاقها، وحصانة أعراضها، وصيانة حرماتها، ولن يعمر بنيان قوم — مهما شيدوا وجددوا — إذا كانت أخلاقهم خرابا، أو كانت صدورهم يبابا، وإنما يسمو البنيان ويسمق، ويعلو ويشهق، على قواعد أمينة رصينة، وأسس متينة ركينة، من العقائد السليمة، والأخلاق القويمة، والأعراض الكريمة، وصدق الله العلي الكبير حين يرشدنا إلى صراط الهدى والرشاد، فيقول: «وذروا ظاهر الإثم وباطنه، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون». ويقول: «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون».

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

ديانة الغرب

أعتقد في الجازم أن أوربا لم تعد اليوم تمثل روح الله أو المسيحية، ولكنها تمثل روح الشيطان.

وأكثر ما يكون الشيطان موفقا حين يبدو واسم الله على شفتيه.

غاندي

القراءات الشـــــــاذة

آراء علماء الاسلام فيها

— ١ —

ذكر علماء القراءات قاعدة تعرف بها القراءات المقبولة ، وتميز عن غيرها من القراءات الشاذة المردودة .

وهذه القاعدة هي . كل قراءة وافقت اللغة العربية ، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ، وثبتت بطريق التواتر . تقول : كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة ، موافقة اللغة ، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ، وثبوتها بطريق التواتر ، هي القراءة التي يجب قبولها ، ولا يحل جحدها وإنكارها . وهي من جملة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم .

ومتى لم تتحقق هذه الأركان كلها أو بعضها في قراءة فهي قراءة شاذة مردودة .

وينبغي أن يعلم أن أهم هـــذه الأركان هو الركن الثالث ، وأما الركنان الأولان فهما لازمان له ، إذ أنه متى تحقق تواتر القراءة لزم أن تكون موافقة لغة العـــرب . ولأحد المصاحف العثمانية ، فالعمدة هو التواتر ، وهو الجزء الأهم والعمدة . فلا تتصور ماهية القرآن إلا به .

والتواتر نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الـــكذب عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد جنح الشيخ مكي بن أبي طالب وتبعه المحقق ابن الجزري — مع الركنين الأولين — إلى الاكتفاء بصحة السند . وجعلاه مكان التواتر .

قال صاحب (غيث النفع) وهذا قول محدث لايعول عليه ، ويؤدي إلى تسوية غير القرآن بالقرآن . ثم قال : ومذهب الأصوليين . وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء أن التواتر شرط في صحة القراءة ، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر . ولو وافقت العربية ، ورسم المصاحف العثمانية

وقال النويرى فى شرح الطيبة : وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم ، لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة : منهم الغزالى ، وصدر الشريعة ، وموفق الدين المقدسى وغيرهم ، هو ما نقل بين دفتى المصحف نقلا متواترا . اهـ

ولذلك عرفوا القرآن بأنه اللفظ العربى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقول إلينا متواترا ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة من سوره .

قال الإمام النويرى : وعلى هذا لا بد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة لم يخالف أحد منهم فيما علمت بعد الفحص الزائد ، وصرح به جماعة لا يحصون : منهم ابن عبد البر ، وابن عطية ، وابن تيمية ، والنووى ، والأذرعى ، وابن السبكى ، والزركشى وابن الحاجب وغيرهم . وأما القراء فقد أجمعوا على ذلك أول الزمان ، وكذلك آخره . ولم يخالف من المتأخرين إلا مكى وتبعه بعض المتأخرين . اهـ .

ومن كلام علماء القراءات الدال على اشتراط التواتر ما صرح به الإمام الجعبرى فى شرح الشاطبية حيث يقول : « ضابط كل قراءة تواتر نقلها ، ووافقت العربية مطلقا ، ورسم المصاحف ولو تقديرا ، فهى من الأحرف السبعة ، وما لم يجتمع فيه ذلك فشاذ » اهـ .

والذى توفرت فيه الأركان الثلاثة إنما هى القراءات العشر . قال فى غيث النفع : فالشاذ ما ليس بمتواتر ، وكل ما زاد الآن على القراءات العشر فهو غير متواتر اهـ .

وقال النويرى : أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شىء مما زاد على القراءات العشر ، وكذلك أجمع عليه القراء إلا من لا يعتد بخلافه .

وقال الإمام ابن الجزرى فى « منجد المقرئين » والذى جمع فى زماننا الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التى أجمع الناس على تلقيها بالقبول .

وقال أيضا فى الكتاب المذكور « وقول من قال : إن القراءات المتواترة لا حد لها إن أراد فى زماننا فغير صحيح إذ لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشرة ، وإن أراد فى الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله تعالى » .

ويؤخذ من هذه النقول أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر ، وأن التواتر لم يتحقق إلا فى القراءات العشر وعلى هذا فكل قراءة وراء القراءات العشر لا يحكم بقرآنيتها ، بل هى قراءة شاذة لا يجوز القراءة بها لا فى الصلاة ولا خارج الصلاة .

قال الإمام النووى : ولا تجوز القراءة فى الصلاة ، ولا فى غيرها بالقراءات الشاذة ، وليست قرآنا ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، وأما الشاذة فليست متواترة ، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه ، سواء قرأ بها فى الصلاة أو غيرها ، هذا هو الصواب الذى لا معدل عنه ، ومن قال غيره فهو غالط أو جاهل .

وقد نقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ وأنه لا يصلى خلف من قرأ بها .

وقال ابن السبكى فى جمع الجوامع : وتحرم القراءة بالشاذ ، والصحيح أنه ما وراء العشرة انتهى ، ومثل ذلك عن ابن الحاجب .

وقال ابن الصلاح : وهو ممنوع من القراءة بما زاد على العشر منع تحريم لا منع كراهة ، فى الصلاة وخارجها ، ويجب على كل أحد إنكارها ، ومن أصر عليه وجب منعه وتأديبه وتعزيره بالحبس ونحوه ، وعلى المتمكن من ذلك ألا يهمله .

واستفتى الإمام ابن حجر العسقلانى عن حكم القراءة بالشاذ فقال : تحرم القراءة بالشاذ وفى الصلاة أشد ، ولا نعرف خلافا بين أئمة الشافعية فى تفسير الشاذ أنه ما زاد على العشر ، بل منهم من ضيق فقال ما زاد على السبع اهـ .

وقال السخاوى : لا تجوز القراءة بشىء مما خرج عن الإجماع ولو كان موافقا العربية وخط المصحف ولو نقله الثقات لأنه جاء من طريق الآحاد ، وتلك الطريق لا يثبت بها القرآن اهـ .

ونقل النويرى عن شمس الدين الحريرى أنه قال : لا يجوز اعتقاد القرآنية فى الشواذ التى لم تنقل بالشهرة والتواتر ، ولا يجوز إيهام السامعين قرآنيتها ، لاسيما إذا كان فى الصلاة ، وما زاد عن السبع فهو فى حكم الشاذ وإن تفاوتت طرق نقله ، وإذا نهى عن ذلك فلم ينته ، وجب الإنكار عليه ، ومقابلته بما يزجره اهـ .

ونقل النويرى عن أبى عمرو بن العلاء أنه رد قراءة « فيومئذ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد » بفتح الذال والثاء ، فقال له رجل : كيف وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم هذه القراءة ؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذى قال سمعت النبى

صلى الله عليه وسلم ما أخذته عنه ، أتدري لم ذلك ؟ لأني أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به الأمة ، وإنما أنكر أبو عمرو هذه القراءة لأنها لم تبلغه على وجه التواتر ، وقد يتواتر الخبر عند قوم دون قوم .

وورد عن أبي حاتم السجستاني أنه قال : أول من تتبع بالبصرة وجوه القرآن وألفها وتتبع الشاذ منها هرون بن موسى الأعور ، فكره الناس ذلك منه وقالوا : قد أساء حين ألفها ؛ لأن القراءة إنما يأخذها قرن عن قرن ، وأمة عن أفواه أمة ، ولا يلتفت منها إلى ما جاء من وراء وراء اهـ .

وهذه النصوص التي نقلناها عن أئمة الإسلام وعلماء القراءات تدل في صراحة وجلاء على أمور .

أولا : أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر ، ولا يكتفى في ثبوته بصحة السند .

ثانيا : أن القول بالاكتفاء بالسند الصحيح غير المتواتر قول حادث ، مخالف لإجماع الأصوليين والفقهاء والمحدثين وعلماء القراءات ، سلفهم وخلفهم إلا من لا يعتد بقوله ، ولا يعبأ بخلافه .

ثالثا : أن التواتر منحصر في القراءات العشر التي نقرؤها الآن بل قيل في السبع فقط .

رابعا : أن ما وراءها من القراءات فهو قراءات شاذة ، وإن وافقت العربية والرسم ونقلت عن الثقات واشتهرت واستفاضت ، فإن ذلك لا يخرجها عن شذوذها فلا تسمى قرآنا ، وتحرم القراءة بها في الصلاة وخارجها ، بل يحرم على المسلم اعتقاد قرآنيتها وإيهام السامعين أنها من القرآن ، ويجب على كل مسلم يحترم القرآن ويؤمن به أن ينكر على من يقرأ بهذه القراءات ، ويمنعه من القراءة بها منعا باتا ، ويعزره بالحبس وغيره إن استطاع إلى ذلك سبيلا .

هذا رأي جماهير العلماء من الأصوليين والفقهاء والمحدثين وعامة علماء القراءات ، ولم يشذ عن هذا الرأي إلا أفراد قلائل لا يعول عليهم ولا يلتفت لآرائهم ، منهم مكي ابن أبي طالب والشيخ ابن الجزري ذهب إلى الاكتفاء في ثبوت القراءة بصحة السند ، وإن لم تكن متواترة ، فالقراءة التي نقلها الثقات بطريق الآحاد ووافقت الرسم والعربية فهي قراءة مقبولة عندهم ، ويصح القراءة بها في الصلاة وخارجها ، ولكن بشرط أن تظهر هذه القراءة بالشهرة والاستفاضة والتلقي بالقبول ، أما القراءة التي نقلها غير الثقات ولو

وافقت العربية والرسم ، أو نقلها الثقات وخالفت الرسم أو العربية ، أو نقلها الثقات ووافقت الرسم والعربية ولكن لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة ، فهي بأقسامها الثلاثة قراءة شاذة مردودة .

وبناء على هذا نستطيع أن نحكم — في اطمئنان وتثبت — على القراءة التي انفرد بنقلها المشايخ الأربعة ابن محيصن ويحيى اليزيدي والحسن البصري والأعمش أو أحد هؤلاء أو راو من رواتهم بأنها قراءة شاذة مردودة لا تسمى قرآناً ، ويحرم اعتقاد قرآنيتها ، وإيهام السامعين أنها من القرآن ، وتحرم القراءة بها مطلقاً ويعزر من قرأها ، وهذا كله بإجماع العلماء حتى ابن الجزري ومكي بن أبي طالب .

أما عند جماهير العلماء فلأن هذه القراءة لم تنقل إلينا بطريق التواتر ، إذ التواتر منحصر في القراءات العشر كما تقدم .

وأما عند ابن الجزري ومكي فلأن بعضها مخالف لسواد المصحف مثل « أهدنا صراطاً مستقيماً » في سورة الفاتحة في قراءة الحسن ، وبعضها مخالف للغة العرب كما سيأتي ؛

وهي كلها على فرض صحة سندها وموافقتها للرسم واللغة لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة. وهما يشترطان في صحة القراءة التي لم تثبت بالتواتر أن تكون صحيحة السند ، موافقة للرسم والعربية ، وأن تظفر بالاستفاضة والشهرة .

إذن قراءة هؤلاء الأربعة شاذة بإجماع علماء المسلمين ؟

يتبع

عبد الفتاح القاضي
المفتش بالأزهر والمعاهد الدينية

تفاوت الأفهام

ما جعل الله سبيل المصلحة والمفسدة إلا من أفهامنا ، حتى إن الأدمغة لتعد من أكبر العلل في أمراض التاريخ الإنساني ، وربما كانت العلة الكبرى في طائفة من الطوائف صورة أثرية لأكبر رأس فيها .

مصطفى صادق الرافعي

الأزهر يكافح سموم المخدرات

وجه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الطنيخي مدير الوعظ والإرشاد إلى كل من أصحاب الفضيلة الوعاظ الكتاب الآتي .

أيها الزميل : ...

السلام عليكم ورحمة الله – أما بعد – فإنك تعلم – أعزك الله – أن العقل والصحة من أجل نعم الله التي أنعم بها على عباده ، بل هما أجل وأكبر النعم ، فالعقل السليم يهدي إلى البر ، ويميز بين الخبيث والطيب ، ويعرف الهدى من الضلال والرشد من الغي ، والصحة تعين صاحبها على القيام بالواجب : نحو ربه ونحو نفسه ونحو وطنه على أكمل الوجوه وأحسنها (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) . ولذلك وجبت المحافظة عليهما وصيانتهما مما يؤذيهما ويضر بهما . ولقد راعنا أيها الزميل انتشار المخدرات في أمتنا العزيزة بشكل مروع ، يخاف منه أن يذهب بعقول الكثير من أفرادها وصحتهم ، ويهلك قواهم ويضعف عزيمتهم ويضيع أموالهم ، فلا يلبثوا أن يكونوا عالة على الأمة ، وتنتشر البطالة بين شبابها ، وإن حكومتنا الرشيدة تعمل جاهدة لمنع دخول هذه السموم إلى بلادنا العزيزة محافظة على كيان الأمة ومعنوياتها ، ولكن أعداء بلادنا – قاتلهم الله – يحتالون شتى الحيل لتسريب هذه المهلكات الفاتكات إلى بلادنا بغية إذلالها وذهاب النخوة والقوة من نفوس أهلها وتدمير الأمة في نشاطها وحركتها الصناعية والتجارية والزراعية .

فنأمل أيها الزميل أن تجتهد في تبصير الناس بمضار تعاطي تلك المخدرات ، وبيان حكم دينهم في استعمالها أو الاتجار فيها أو تهريبها أو إحرازها ؛ فإن للدين سلطانه على النفوس ، ويحل من القلوب المحل الأرفع ، ووازع الدين أقوى وازع ، وأحسن هاد إلى الصراط المستقيم .

أيها الزميل : إن الله سبحانه يقول : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » . وقد آتاك ربك الكتاب فضلاً منه ونعمة ، فبينه للناس وعلمهم أحكامه صافية نقية ، وأرشدهم به إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، والله يتولى هدانا وهداك ، ويسدد خطانا وخطاك ، ويهدينا صراطاً سويا (من يهد الله فهو المهتدي) .

محمد الطنيخي
مدير الوعظ والإرشاد

المسئولية في الإسلام

— ٣ —

في هذا المقال سأتحدث عن المسئولية الثالثة ، وهي مسئولية النساء حسبما جاء بها الحديث المتفق عليه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم » الحديث . . . » .

وبعد أن كانت المرأة قبل الإسلام تسام كما يسام الحيوان ، ولا يقام لها وزن ولا تناط بها تبعة ، جاء الإسلام فرفع من شأنها ، وجعل عليها مسئوليات جساماً نحو نفسها وزوجها وأولادها ، وجعل لها ولاية تتفق وفطرتها وطبيعتها وهي ولايتها على شئون بيتها ، والله الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى ناط بكل منهما مسئوليات ، فالرجل يكد ويعمل وينفق ويوجه إلى خير الطرق وأقومها ، والمرأة تهيئ له ولأهله وولده الغذاء الشهي والشراب الهنيء والمسكن النظيف الهادئ ، وتتقبل إرشادات الرجل الحصيف وقوامته عليها بقبول حسن ونفس راضية مطمئنة .

وهذا الحديث الشريف نص صريح في تحديد مكان المرأة في الحياة ومنزلتها في المجتمع ، وهو قيامها على المملكة الصغرى وهو البيت ، وإذا علمنا أن البيت هو البيئة الأولى التي تكون الأولاد وتعدهم للمدرسة والمجتمع ، وأن لهذا الإعداد آثاراً بعيدة المدى في حياة الأولاد ومستقبلهم ، أدركنا عظم هذه المسئولية الملقاة على كاهل النساء ، وبقدر قيام المرأة على شئون بيتها ورعاية زوجها وولده وأهله يكون تقدم الأمة ورقيها ، وبقدر تفريطها في هذه المسئولية تكون الخسارة على بيتها وأمتها .

إن مكان المرأة في المجتمع هو البيت والقيام على شئونه ، أما المصنع ، أما المعمل ، أما الديوان ، فكل ذلك لا يلائم فطرتها وضرره أكثر من نفعه إن كان فيه نفع ، وقد جارينا في الخروج بالمرأة عن طبيعتها أمماً أخرى لا توافقنا في بيئة ، ولا في دين ، ولا في تقاليد كريمة ، وها هي اليوم تئن وتتوجع مما جره عليها اشتغال المرأة بغير شئون بيتها من مآس أخلاقية ،

وهى أخلاقية ومسئولية المرأة عن بيت زوجها وأهله تشمل مسئوليتها عن (١) زوجها (٢) وعن أولادها (٣) وعن أهل زوجها .

مسئولية المرأة عن زوجها :

وإذا كان الإسلام قد جعل للنساء على الرجال حقوقا فقد جعل للرجال على النساء حقوقا ، وزاد للرجال على النساء درجة وهو حق القوامة عليها بحسن الإرشاد والتوجيه هذا صدع القرآن الكريم قال تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » (١) وقد جعل الإسلام حق الزوج على زوجته أعظم الحقوق وأوجبها وذلك لما له عليها من أياد وآلاء ، ففى الحديث الذى رواه الترمذى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » حديث حسن صحيح .

وقد سما الإسلام فى باب بناء الأسر وإقامتها على أساس من التعاون ورعاية الحقوق ، بجعل رعاية الزوجة لزوجها وإحسانها إليه فى العشرة جهادا ، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « جهاد المرأة حسن التبعل » - أى حسن القيام بحقوق البعل - أى الزوج ، ويسمو الإسلام أبعد فى الإيحاء إلى المرأة بالحرص على كسب ود زوجها ورضاه ، حيث جعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه إرضاء الزوج فى حدود المشروع سبيلا إلى دخول الجنة فيقول : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح ، وأعظم بدين يجعل رعاية حق الزوج جهادا وسبيلا إلى الجنة ! ويمكننا إجمال رعاية الزوجة لزوجها فيما يأتى : -

١ - رعاية حق الزوج فى نفسها بأن تكون حصانا عفيفة ، فلا تمد طرفها إلى غير زوجها ، ولا تمكن أحدا من أن يطأ فراشه ، ولا تدخل البيت أحدا يكره الزوج دخوله وأن تكون رعايتها لحقوق زوجها فى غيبته كرعايتها له فى حضرته بل أشد ، ومن هذه الرعاية تتوقف الحياة الزوجية وسعادتها ، وبقاء هذه العلاقة الوثقى إلى الأبد ، ولقد أثنى الله سبحانه فى كتابه الكريم على هذا الصنف العفيف الأمين الحفيظ للأمانة والعهود بقوله : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من

---

(١) البقرة الآية ٢٢٨

أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » (١) . ولقد بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه هذا الحق فقال في خطبته في حجة الوداع : « فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » رواه مسلم . وفي حديث آخر : « ألا إن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

فأين من هذا الأدب الإسلامي العظيم في رعاية حرمة الزوج ما تفعله بعض النساء من طموح العيون إلى غير الأزواج ، وإلانة الكلام ثم تكون المواعدة واللقاء ، وما تفعله بعض الزوجات من لقاء أصحاب الأزواج والأصدقاء وإدخالهم البيوت في غير حضرة الأزواج ، بل جاوزن الحد حتى عم السيل وطفح الكيل ، فأتى الحفلات الصاخبة الماجنة الصديقات والأصدقاء على غير رضا من الزوج بل على كره منه ، ولا يملك الزوج الضعيف المسكين إلا السكوت والإذعان ، وإلا كان ما لا تحمد عقباه .

٢ — من رعاية المرأة لزوجها أن تكون مثالا للطهر والنظافة وعفة القول والنفرة من القبيح قولا وعملا ، وأن تحرص على أن لا تقع عين زوجها منها على ما يكره ، وأن تكون له مطيعة طائعة ما دام لم يأمرها بمنكر ولم ينهها عن معروف ، وأن تؤثر رضاه على هواها وشهوتها ومتعتها ، ولقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء دينا ودنيا فقال فيما رواه ابن جرير عنه : « خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك » . فحرصن أيتها النساء المسلمات الحريصات على رضا الأزواج أن تكن كما وصف رسول الله ، فإن ذلك أحرى أن يديم بين الأزواج المحبة والمودة ويوثق عرى الزوجية ، إن الزوجة العاقلة المؤمنة يمكنها بحسن منطقها وطهارة مسلكها وخلقها ولطف عشرتها أن تحول بين زوجها وبين الهروب من البيت وقضاء السهرات التي قد تكون بريئة في مبدأ أمرها ، ثم لا تلبث أن تصير سهرات صاخبة وغير بريئة .

٣ — من حق الزوج على زوجته أن تعفه وأن تعينه على أن يغض بصره ويحصن فرجه بأن تملأ عينيه رواء وحسنا ونفسه سرورا وأنسا ، وأن لا تتأبى عليه إذا ما دعاها إلى فراشه ، وإلا عرضت نفسها لغضب الله ولعنة الملائكة وباعدت بين نفسها وبين

---

(١) النساء الآية ٣٤ .

الجنة ، وفي الحديث الذي رواه الشيخان مرفوعا « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » . وفي رواية أخرى « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » . وهذا أمر قد يجهله بعض الناس عينا ، ولكننا إذا علمنا أن كثيرا من الشرور والآثام ، تنجم من التأبي على الزوج وعدم إرضاء داعي فطرته أدركنا بعد نظر الإسلام في تشريعاته وبيانه وإرشاداته ، وأن كثيرا من الانحرافات الزوجية ترجع إلى التفريط في هذا الحق من جانب الزوج أو الزوجة وعدم إعفاف كل منهما الآخر ، ولحرص الإسلام على هذا الإعفاف قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد ـ أي حاضر ـ إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه » متفق عليه .

٤ — ومن المسئوليات التي ستحاسب عليها المرأة رعايتها لمال زوجها وما تحت يدها من معاش أو متاع ، والزوجة الصالحة المدبرة هي التي تراعي حال زوجها إعسارا ويسارا ، فلا ترهقه مالا يدخل تحت طاقته ، وتراعي القصد في معيشتها وفي ثيابها وطعامها وزينتها ، وتجتنب قدر استطاعتها التبذير وإنفاق المال في غير وجوهه المشروعة ، قصد التباهي والتفاخر بمعالي الثياب وفاخر الأثاث والرياش ، وفي هذا عمل عن إرشاد القرآن الكريم حيث يقول : « ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا [١] » ويقول : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما [٢] » .

إن الزوجة الصادقة المؤمنة هي التي تنظر إلى من دونها فتشكر الله على ما أنعم عليها ، ولا تنظر إلى من فوقها فتزدري نعمة الله عليها . ومن توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم السديدة في هذا « انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم » متفق عليه .

والمرأة مؤتمنة على مال زوجها ، وليس لها منه إلا ما يكفيها وبنيها بالمعروف ، من غير تقتير ولا إسراف ، وليس لها أن تنتهز فرصة كثرة ماله ، أو إيثارها عليه فتبذره ذات اليمين وذات الشمال على ملذاتها وإرضاء نزعة الغرور والتفاخر المتسلطة عليها ، وإلا كانت آثمة في حق زوجها ، وحسبنا هذا اليوم ولنتمة الحديث عن مسئوليات المرأة في مقال آت إن شاء الله .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] الإسراء الآية ٢٦ ـ ٢٧ [٢] الفرقان الآية ٦٧ .

عقائد الألوهية والربوبية

كما قررها الإسلام

كانت شعوب العالم قبيل البعث الإسلامي ، قد ضلت في عقائد الألوهية والربوبية ضلالا بعيدا ، ولم يقف هذا الضلال عند حدود الأمم التي طغت عليها الوثنية بأضاليلها وأباطيلها ، بل جاوزها إلى الأمم التي كانت على صلة بشرائع النبيين والمرسلين ، فقد امتدت أيدي قادتها الدينيين إلى كتب أنبيائهم ورسلهم ، فحرفوا وبدلوا فيها بجهالتهم وسوء طوياتهم ، وافتروا على الله الكذب في صفاته تعالى وأسمائه وشرائعه ، فشوهوا بذلك توحيد أنبيائهم وشرائع رسلهم ، وبقي هذا الضلال مسيطرا على الشعوب في عقائدها وأعمالها ، حتى جاء الإسلام بهديه وإصلاحه ، فأصلح ما فسد من العقائد وما ضل من الأعمال ، وحرر الأفكار من أوهام الوثنية وخرافاتها ، ورد العقول الضالة إلى رشدها ، وأعاد توحيد النبيين إلى أصوله الحقة الخالصة ، وأرشد الضالين والمنحرفين إلى ينابيعه العذبة الصافية .

ولقد عنى القرآن بتقرير عقائد التوحيد والتنزيه عناية كبرى ، وجلاها للعقول في أساليب رائعة محكمة ، جمعت بين الإقناع العقلي والتأثير القلبي ، بما اشتملت عليه من القضايا العقلية والحقائق الوجدانية ، وما أودع الله فيها من الروعة البلاغية والقوة الروحية ، والإبداع في تجلية الحقائق وتصوير المعاني ، فاستمع إلى القرآن بعقلك ووجدانك ، وهو يقرر عقائد الألوهية والربوبية .

تارة بتوجيه العقول إلى مسارح الفكر في عوالم السموات والأرض ، وما فيها من الآيات الواضحة والدلائل القاطعة ، على أن لهذه العوالم صانعا خلقها بعد أن لم تكن ، إذ كان الله في الأزل موجودا ولا موجود معه ، فأحدث العوالم إظهارا لقدرته وحكمته ، وتعريفا بجلاله وعظمته ، وتنويها بسلطانه وقهره ، كما في قوله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » . « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » . « وفي الأرض آيات للموقنين »

وفي أنفسكم أفلا تبصرون » . « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » . « ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون » .
وهكذا خاطب القرآن العقول والأفهام ، وأيقظ الحواس والمشاعر ، وعرض عليها روائع النظم الكونية وبدائع السنن الإلهية ، لتتخذ منه كتابا تشاهد فيه عجائب الملك والملكوت ، وتقرأ في صحائفه سنن الله في الخلق والتدبير ، وتتملى في سطوره آثار قدرته ودلائل وحدانيته .

فوجود الكون على هذا النظام البديع المحكم ، دليل قاطع على وجود خالقه ومبدعه ؛ لأنه إذا كان المشاهد في مصنوعاتنا وأنظمتنا ، أنه لا يمكن أن يخرج منها شيء إلى ساحة الوجود ، ولا أن يكون في وجوده بديع الإتقان والإحكام ، مستكملا لعناصر الوجود ووسائل البقاء ، إلا إذا كان صادرا عن صانع ماهر صنعه وأحسن صنعه ، ومنظم خبير نظمه وأحكم تدبيره ، فكيف يستقيم في حكم العقل ومنطق الحق ، أن يوجد هذا الكون على اختلاف عوالمه وأنظمته الدقيقة ، بغير صانع قادر صنعه بقدرته ، ومبدع حكيم أبدعه بحكمته وإرادته ، ومن قيوم يقوم بحفظه وتدبير أمره ، اللهم إن الحق واضح جلي ، ووجودك يا ربنا ماثل في كل شيء أمام العقول ، والإحساس بعظمتك كامن في أعماق النفوس ، والشعور بجلالك منبث في شغاف القلوب وحنايا الضلوع ، ولكن أكثر الناس ضلوا طريق الهدى وهو على كثب منهم ، وأنست الغفلة أفهامهم دلائل الآيات وهي محيطة بهم ، يشهدونها في كل لحظة وهم عنها غافلون ، وتهتف لهم بدلالتها في كل آونة وهم عنها معرضون ، كما قال تعالى : « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

والنظر في عالم الكون وبدائعه ، هو أقرب طريق لمعرفة جلال خالقه وعظمة مبدعه ، فإن الإنسان إذا ما نظر لنفسه ، وهي أقرب مجال إلى فكره ، كيف خلقه الله من نطفة أخرجها من بين الصلب والترائب ، وجعلها في قرار مكين إلى وقت معلوم ، وأجرى عليها أطوارا مختلفة من الخلق والتكوين ، ثم أنشأه خلقا تاما وإنسانا ناطقا ، وإلى الأرض التي يمشي في مناكبها ، كيف جعلها الله فراشا ومهادا ، وسلك فيها سبلا فجاجا ، وأحكم جوانبها بالجبال الرواسي ، وأجرى فيها العيون والأنهار ، وأنبت فيها الزروع والأشجار ، وقدر فيها الأقوات والأرزاق ، وإلى السماء كيف أحكم الله بناءها ، ورفعها بغير عمد تراها ، وإلى الشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل

إذا يغشاها » وإلى الكواكب فى تألقها وإشراقها ، وهى تسبح فى أفلاكها ومداراتها ، وتسبح بحمد خالقها ومبدعها ، « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » ٣٦ : ٤٠ » أو تدبر قول الله جل جلاله « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » وأخذ يسائل نفسه عن مدى عظم هذه المواقع ، التى أقسم الله بها وأعظم شأن القسم بها ، ويناجيها بجلال خالقها وعظمة صانعها ، إذا هدى الإنسان إلى كل هذه الأنظار أو إلى بعضها ، فحدث بما شئت عما يجره هذا النظر الروحى ، من نور لعقله وحياة لقلبه ، وتجاوب مع أحاسيسه ومشاعره ، ومعرفة يقينية بجلال الله وعظمته ، وإحاطة علمه وكمال قدرته ، وإيمان أتم بوحدانية الله وألوهيته وربوبيته وكل ذلك ممكن بل واجب أن يكون ، متى حسنت النيات وصلحت القلوب ، وسلمت النفوس من علة الجهل وطغيان الهوى ، وتحررت العقول من رق التقليد الأعمى ، واتجهت فى تفكيرها وأحكامها ، الاتجاه الذى يطلب الحق وينشد الكمال ، ويستجيب لوحى الفطرة والوجدان ، ويخضع لسلطان الحجة والبرهان ، ولكن القلوب المقفلة ، والبصائر المدخولة ، والأهواء المتحكمة ، هى التى تحجب نور الحقائق الفطرية ، وتنكر صحو المعارف الوجدانية ، وتعكس الحقائق والأوضاع ، وتطمس معالم الحق ، وتوجب اختلال موازين الفكر وموازين الحكم ، وهى التى اجتالت كثيرا ممن عنوا بدراسة العوالم الكونية وخواصها ، ووقفوا على كثير من نواميسها وأسرارها ، وضلوا عن عظمة خالقها ومبدعها ، فتنكروا للأديان السماوية والعوالم الغيبية ، بل كلما توسعوا فى الدراسات الكونية والعلوم الطبيعية ، كلما أوغلوا فى مجاهل الإلحاد وإنكار الألوهية والربوبية ، وهم لغرورهم واعتسافهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، كما قال تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا » .

وتارة يلفت العقول إلى تفرده تعالى بصفات الألوهية وشئون الربوبية ، وما فى ذلك التفرد من الدلائل القاطعة ، على أنه تعالى هو الله الذى لا إله غيره ولا رب سواه ، ولقد قرر القرآن هذه الحقائق فى آيات كثيرة ، وعرضها على العقول فى معرض القضايا التى لا تحتاج إلى أدلة تقدم عليها ، لأن لها من دلالة الحس وشهادة الفطرة والوجدان ، ما يقوم فى مواقف الحجاج والإلزام مقام الحجة والبرهان ، كقوله تعالى فى بيان تفرده

بالخلق والإيجاد والتقدير والتدبير : « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل » ، « ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » .

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض » فالله جل جلاله ، هو الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا محكما ، ودبر أمره تدبيرا محكما ، وبيده مقاليد السموات والأرض ، فجميع العوالم الكونية قائمة على سنن معينة ، وأنظمة إلهية محكمة ، وكلها سائرة بتدبيره وتصريفه ، وجارية على أحسن الوجوه وأكملها ، وأبدع النظم وأعدلها ، ومشمولة بعين العناية الإلهية التي تحفظ كل شيء في الوجود ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون » « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل في كتاب مبين » .

وكقوله تعالى في بيان تفرده بالملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، والسلطان والقهر ، وعموم الإرادة ونفوذ المشيئة ، « قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » .

فالله جل جلاله ، هو مالك الملك وحده ، وله الخلق والأمر ، وإليه المرجع والمآب يقدر الأمور بعلمه وحكمته ، ويصدرها بإرادته وقدرته ، ويصرفها بتدبيره ومشيئته ، لا يعارضه معارض ، ولا ينازعه منازع ، إذ ليس معه سبحانه إله يعارضه أو ينازعه كما قال عز شأنه « قل لو كان معه آلهة كما يقولون ، إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » فكل الكائنات في قبضة قدرته ، وخاضعة لسلطانه وقهره ، وجارية بقضائه وقدره ، ومحكومة بتدبيره ومشيئته ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا يند عن إرادته لمحة خاطر ، أراد في الأزل وجود هذه المخلوقات ، وقدر لوجودها الحدود والأوقات ، فوجدت في أوقاتها كما أراد في أزله ، وجاءت

فى حدودها كما سبق فى علمه ، فيا من تعلم بعلومكم وفلسفتكم ، ويا من خدعكم التقليد الأعمى فى عقائدكم ، حكموا عقولكم وأفهامكم ، وراجعوا ضمائركم وسرائركم ، « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون » ١٠ : ٣٢ » .

هذا ولم تقف عناية الإسلام بأمر التوحيد عند تقرير أصوله وعقائده ، بل حاطه بسياج من الاحتياط فى الاعتقاد ، والتحفظ والاعتدال فى البحث والنظر ، وسد على الوهم والخيال منافذ التشبيه ومسالك الزلل ، فبين أنه تعالى قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وجلت ذاته العلية عن الإحاطة والإدراك ، وتنزهت صفاته القدسية عن المشابهة والمماثلة ، كما فى قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » ، « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم » . « تفكروا فى مخلوقاته ولا تتفكروا فى ذاته » . فأقصى ما تستطيع العقول إدراكه هو صفاته تعالى وأسماؤه الحسنى ، وغاية ما تدركه الأبصار هو مظاهر هذه الأسماء والصفات ، التى تتجلى فى بدائع الموجودات وروعة الكائنات .

بهذه الحقائق الصادعة بالحق ، والقضايا الناطقة بالصدق ، والدلائل التى تكشف عن القلوب ظلمة الجهل وغمة الشك ، وتبلغ بها الغوص فى المعرفة درجة الرسوخ العلمى والتذوق الوجدانى، وتصعد بها فى الإيمان إلى مرتبة الإذعان النفسى واليقين القلبى ، وبهذا المنهج الاستدلالى القرآنى ، الذى يجعل مجال النظر والفكر سهلا ميسرا ، وطريق الوصول إلى معرفة الله قريبا معبدا ، قرر الإسلام عقائد التوحيد والتنزيه ، وجلاها للعقول فى روعة الحق وجلال الصدق ، وطهر القلوب من أوضار الوثنية والشرك . وحرر الإنسان من رق الأوهام والخرافات ، ورفع شأنه وأعلى مكانته ، وجعله عزيزا كريما فى نفسه ، وعبدا خالصا لربه ، لا يظهر بمظهر العبودية إلا لخالقه، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لله الواحد القهار ١

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

سابق الفرس الى الاسلام

سلمان الفارسى

الفطر السليمة تهتدى إلى الحق بهداية الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، قال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » فكل من تجرد من تأثير البيئات وتلوث ما اعترف من النحل أو الديانات اهتدى إلى الحق وعرف الله صانع هذا الخلق ، ولقد كانت الكتب السماوية ولا سيما التوراة والإنجيل قبل أن يحرفهما الذين كفروا من بنى إسرائيل ، تدل على نبينا أصدق دلالة وتنص على الإسلام نصا لا يحتمل جدلا ولا مكابرة ، وكان الذين أوتوا الكتاب كما وصف الله سبحانه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون .

كان هذان العاملان إذن : (سلامة الفطرة ودلالة الكتب السماوية) مما هدى الله رجل فارسى ، تتضافر كتب السير والأخبار على ذكر قصته ، مما يبين للناس أن الدين إذا قوى جانبه فى النفوس ، وأن الهداية إذا حلت فى بعض القلوب ، فما وراء ذلك من أهل ومال ووطن إن هو إلا متاع تافه حقير ، لا يملأ فراغ النفس ، ولا يحل عندها محل الإيمان بالرب ، والتعلق به فى كبريائه وعظمته ، هاتفة بنداء الفطرة الخالد وضراعة القدسية الساجدة . « إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين » .

كان سلمان الفارسى فتى من أهل فارس ، أنعم الله عليه وجعله مثلا للمترفين من أبناء الأغنياء ، الذين ربوا فى أحضان النعيم حتى لا يبطرهم الغنى ، ولا يصدهم الترف عن سبيل الحق ، كان أبوه يحبسه فى داره كما تحبس الجوارى ، وعلمه المجوسية فأوغل فيها حتى بلغ مبلغ السادن على النار ، لكنه تلجلج بالفطرة وتلمس لنفسه ما هو أولى بالاتباع ، مما اختلف الناس فيه « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » . فإذا قيل إن الغنى مفسدة وسبيل مفسدة ، فمعنى ذلك أن النفوس السقيمة تزداد به فسادا ، فأما النفوس السليمة فمحال أن يصدها عن سبيل الله شىء مهما كان فيه من إغراء . إن فى قصة سلمان لعبرة لكل عاقل

وتبصرة لكل باحث ، فهو مهموم في طلب الحق ، زاهد منصرف عما يتنافس فيه الأشقياء من مال أو جاه ، مشفق على نفسه أن يزيغ في طريق الضلال ، ويتنكب بها عن صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض .

نسب سلمان :

سلمان كما قلنا رجل فارسي سماه الإسلام كذلك (سلمان) وكان اسمه قبل الإسلام (مابه) ابن بودخشان بن مورسلان بن يهبوذان من نسل آب الملك الفارسي ، وكان كما قلنا مجوسيا عابدا للنار ولما أسلم وقيل له انتسب قال (انا سلمان ابن الإسلام) ومن شاء أن يقف عند ذلك الجواب ولمعة ، فإن له أن يجد العبرة من قوة هذه النفس السلمانية الرفيعة ، وعظمتها الخالدة ، وكذلك النفوس الكريمة تسمو بكل اعتبار عرق ما عدا الحق والحكمة ، وتبرأ بكل معنى دنيوي تتنافس عليه صغار النفوس ، وما كان ضر سلمان لو أنه انتسب حتى انتهى إلى (آب الملك) الفارسي ، وجده كان للملوك من الفرس في نفوس العرب روعة يجدونها منذ حكمهم على بلادهم وتصريفهم لشئونهم ، ولكن الإسلام الذي محا سباوة كل اعتبار ، أشرب نفس سلمان ، وشائط اللحم والدم والعصب هرآه المجد الحقيق ، والشرف الإنساني ، وهذا جزء به كل ما عداه من معاني هذه الحياة فهو ابن الإسلام يتأدب بأدبه ، ويأخذ نفسه بمحامده ويتربى في أحضانه ، ولا يعرف حياة مع غيره مهما تكن تلك الحياة .

كيف أسلم سلمان .

قصة عجيبة يرويها رجال الأثر ، وينقلها ابن الأثير ، وغيره من نقلة التراجم ورجال السير بالأسانيد المختلفة تلتقي عند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني سلمان أنه كان رجلا من أهل فارس من أصبهان ، من قرية بها تسمى (جي) وكان أبوه دهقان (١) أرضه ، وأنه كان أحب الخلق إليه وأنه أحبسه في البيت كالجواري ، فاجتهد في المجوسية حتى كان في النار التي توقد فلا تخبو (٢) ، وأن أباه كان صاحب ضيعة ، وكان له بناء يعالجه فقال له يوما . (يا سلمان قد شغلني ما ترى فانطلق إلى الضيعة ولا تحتبس فتشغلني بهمي بك) قال سلمان : (فخرجت لذلك فمررت بكنيسة للنصارى وهم يصلون

---

(١) رئيس المزارعين أو رئيس الإقليم . (٢) صرحت بعض الروايات أنه كان سادنا لها

تلك اليوم ، وأعجبني أمرهم وقلت هذا والله خير من ديني ، ثم ألفت عندهم حتى غابت الشمس لا آتي الضيعة ، ولا أرجع إلى أبي ، فاستيقظ أبي وبعث الرسل في طلبي) ولما عاد سلمان إلى أبيه قص عليه أمره وقال له : « إن دين هؤلاء خير من ديننا » . فقال : يا بني : دينك ودين آبائك خير من دينهم . وهنا وقفة مع القارئ الكريم نبين فيها كيف جلب أحد هذين الرجلين (الأب والابن) على نفسه الخيبة والخسران ، والويل والحرمان ، على حين أدى الثاني منهما إلى أن ينجو من ظلمة الكفر ، ويسلم من براثن الطغيان والإثم ، ولو شاء الثاني لكان كالأول ، ولو شاء الأول لكان كالثاني ، ولكنه التقليد وأشكاله ، والتحرر واستقلاله ، فأبو سلمان مكبل في أشكال التقليد ، جامد على ما ترك الآباء من دين ، فهو يأبى أن يجادل في أمره أو النظر فيه ، وأما سلمان فهو رجل يأبى إلا الانتصار للحق وطلبه ، وإلا النظر ونشدان الهدى حيثما كان ، وكذلك الحق والباطل من قديم الزمان ، وهل فرق بين المسلم والكافر ، وبين الحق من الباطل إلا التحرر من القيود ، ولين الجانب لكلمة الحق أينما كانت ، وممن كانت أو الخروج على ذلك ، وفي القرآن الكريم دراسات سامية ، توضح هذا المعنى وتجليه لمن صفت نفسه ، وفتح أقفاله وليس المجال اليوم مجالها فليطلبها من شاء هنالك .

ثم يطرد سلمان في قصته فيقول : إنه رد على أبيه ما يقول ، فخافه أبوه وقيده حتى لا يتصل بهؤلاء النصارى فيفتنوه عن دينه ، ولكنه احتال فاتصل بهم ، وسألهم أن يعلموه إذا أراد أحد أن يسافر إلى الشام التي هي أصل هذا الدين حتى يسافر معه إلى هنالك ، فلما أخبروه بالركب المسافرين فك القيد الذي قيده به أبوه وألقاه ، ثم سافر على بركة الله ، وفي بلاد الشام سأل عن عالمهم فدل على الأسقف ، فصحبه وأخذ عنه حتى مات ، ثم صحب خليفته وأخذ عنه حتى مات ، ثم سافر إلى الموصل بوصية من الأسقف الثاني ، فقد كان أوصاه أن يذهب إلى أسقف هناك يعلم ذلك الدين ، وهذا الموصلي أوصاه قبل موته برجل من عمورية فبقي معه واتخذ ضيعة وبقرات ، ولما حضرت ميتته قال له سلمان أوصني فقال له : « لا أعلم اليوم أحدا على ما كنا عليه ولكن قد أظلك نبي يبعث بدين إبراهيم مهاجره (مكان هجرته) بأرض ذات نخل وبه آيات وعلامات لا تخفى ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت فتخلص إليه » .

ولنا هنا أيضا ملاحظة نلفت بها نظر القارئ إلى ما عرف من أمر النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكتابين ومنهم الكهان ، فقد كثر الحديث عنه ولا سيما حين أظل زمنه

ولا مرد لهو شيء ، كانوا « يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » . « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين . وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم » .

ذلك حكم الله سبحانه في قوم من حسدة العلماء اليهود ، سجل به عليهم بغيهم وحسدهم ، وينعى عليهم تناقضهم واضطراب أحبارهم .

فأما المنصفون منهم ، وأما المنصفون من النصارى ، فقد آمنوا به فآتاهم الله أجرهم مرتين ، ومن شاء فليطالع كتب السير ، ليرى كيف اطرد التبشير به من الأحبار والرهبان والكهان .

فأما سلمان فقد حرص على أن يظفر به ، وأن يلزم غرزه ، فما هو إلا أن مر به ركب من العرب في طريقهم إليه فأغراهم باستصحابه ، على أن لهم ما يملك من غنم وبقر إن حملوه . فأخذوه معهم وباعوه من يهودي بالقرب من المدينة ، وما أظلم الإنسان ! أهذا جزاء الإحسان استرقوه بغير حق ، وباعوه وكانوا ظالمين ! ولكن حسن عند سلمان كل ما يقرب من هذا النبي ويصل بأسبابه ، ثم كان أن بقي سلمان عند اليهودي حتى جاء يهودي آخر من بني قريظة فاشتراه وقدم به المدينة فعرفها بصفتها وفرح برؤية نخيلها ، وقوي أمله في أن يهديه الله إلى النبي المبعوث ! بل إذا سلمان مع ذلك اليهودي بالمدينة يعمل في نخل له حتى كان ذات يوم في رأس نخلة فسمع يهوديا آخر يقول لصاحبه : أي فلان ، قاتل الله بني قيلة (الأوس والخزرج) ! مررت بهم آنفا وهم مجتمعون على رجل منهم من مكة يزعم أنه نبي ! قال سلمان : فما هو إلا أن سمعته حتى أخذ مني القر ، ورجفت بي النخلة حتى كدت أسقط ، ثم نزلت أسأل صاحبي عن الخبر فلكمني لكمة ، وقال : ما أنت وذاك ؟ أقبل على شأنك ! وقاسى الله الاغتراب والمهانة ، ولكنه صبر المؤمن الذي يجري وراء أشرف غاية قدرها واحتمل كل ما يلقى في سبيلها ، والعاقبة للتقوى ... قال سلمان : فلما أمسيت جمعت شيئا فأتيته به وهو بقباء بين أصحابه ، فقلت هذا شيء اجتمع عندي ، أردت أن أتصدق به فبلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب ذوو حاجة ، فرأيتكم

أتيته به فوضعته بين يديه، فكف يده وقال لأصحابه: كلوا، فأكلوا، فقلت هذه واحدة، وأراد سلمان أنه لم يأكل من الصدقة فكان مصداقاً لواحدة مما قال الأسقف. قال سلمان: ثم تحول من قباء إلى المدينة، فجمعت له شيئاً فأتيته به، فقلت أحببت كرامتك فأهديت لك هدية وليست صدقة، فأكل وأكل أصحابه فقلت هاتان اثنتان. ثم أتيته وقد تبع جنازة وحوله أصحابه فسلمت وتحولت أنظر الخاتم في ظهره فعلم ما أردت فألقى رداءه فرأيت الخاتم فقبلته وبكيت فأجلسني بين يديه فحدثته بشأني كله كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجبه ذلك وأحب أن يسمعه أصحابه، ثم فاتني معه بدر وأحد بسبب الرق، فقال لي: كاتب يا سلمان عن نفسك [1] قال سلمان فلم أزل بصاحبي (اليهودي) حتى كاتبته على أن أغرس له ثلثمائة ودية[2] وعلى أربعين أوقية من الذهب. وهنا سبك إلى أدب الإسلام في معاملة الناس، وإيثار الحسنى وحفظ الحقوق للآخرين ولو كانوا أعداء الإسلام، فلو شاء النبي صلى الله عليه وسلم لحرر سلمان ولم يبال بهذا اليهودي ولا احترم استرقاقه، ولاسيما أنه على غير أساس صادق، لأن سلمان لم يكن رقيقاً بموجب شرعي، ولكنها مسالمة الإسلام والأسوة الحسنة في رسوله صلوات الله عليه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك مع سلمان مسلك التعاون الإسلامي واكتتب له في (ودى) إخوانه من الصحابة، فكان منهم من يعين بالخمس، ومنهم من يعين بالعشر، ومنهم غير ذلك، فلما اجتمع له ما طلب صاحبه من النخل قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «فقرها يا سلمان ولا تضع منها شيئاً حتى أضعه بيدي». فوضعه النبي صلى الله عليه وسلم كلها والذي نفسه بالحق ما ماتت منها واحدة. وانظر أيها القارئ إلى ذلك السمو في التواضع النبوي والنفس الرضية الزكية نفعني الله وإياك ببركتها، ولكن بقي الذهب على سلمان فهل يتركه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمؤمنين رءوف رحيم؟.

كلا: لم يتركه صلوات الله وسلامه عليه، ولكنه انتظر فرصة لإتمام مهمة سلمان فبينما هو قاعد إذ أتاه أحد أصحابه بمثل البيضة من ذهب، فقال ادع سلمان المسكين الفارسي

---

[1] المكاتبة في الإسلام أن يشترى العبد نفسه من سيده بمال حال أو مقسط، وهي مندوبة في الإسلام، ويرى بعض الأئمة وجوبها وذلك لشدة حرص الإسلام على حرية الناس، وقد جعل الله للمكاتب نصيباً مفروضاً من مال الصدقة في قوله سبحانه «إنما الصدقات للفقراء ... وفي الرقاب الآية».
وراجع كتاب الوحي المحمدي للسيد رشيد رضا ص ١٦١.

[2] هي النخلة الصغيرة تنقل من مكانها لتغرس في غيره.

المكاتب فقال : أدّه فقلت : يارسول الله : وأين تقع هذه مما علي ؟ ولكن الله باركها فأدت عن سلمان ونجا من الرق ، وخلص لله وحده ، ولدعوة الحق ، فكان أول مشاهده غزوة الخندق وقطع علائقه مما سوى الله ورسوله ، واندمج في خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله . أفهذا أم ضياع بين دهقان وعطاره ؟ وما يغني عنه ماله إذا تردى ؟ .

منزلة سلمان وأثره في الإسلام :

أسلم سلمان في السنة الأولى من الهجرة ، وهو في سن كبيرة حتى قيل إنه من المعمرين قد حنكته الأيام وأحكمته التجارب ، وتعاورت عليه الدول فأخذ الإسلام بقوة عجيبة ، وأخلص له إخلاصا يعادل قوة رغبته ، وتهالكه عليه وتضحياته التي مرت بك ، فعض عليه بالنواجذ وضم معارفه إلى ما أخذ من قبل ، وكان أول موقف له مشهود في أول غزوة شهدها وهي غزوة الأحزاب التي حزب فيها اليهود قبائل العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاطوا به لما غاظهم أمره واستحكم بينهم دين المسلمين ، وقويت شوكتهم ، وصادف ذلك هوى من العرب ولا سيما قريش ، فأجمعوا أمرهم على أن يغزوهم ويقضوا عليهم من داخل المدينة وخارجها ، وكان الحصر الدائم والبلاء اللازم ، ولولا فكرة هذا الفارسي ومحبته لدعوة الحق ، مع إنها هي التي أنقذت الإسلام ضمن الأسباب الكونية والجنود الخفية التي ينصر الله بها عباده المرسلين ليبلغ أمره . قد جعل الله لكل شيء قدراً .

أشار سلمان بحفر الخندق في شمال المدينة ، وكانت الجهات الأخرى محصنة بالجبال والنخيل والأبنية ، وكان موقفا أعجب به المسلمون جميعا فتنازع كل من الأنصار والمهاجرين سلمان كل يقول : « سلمان منا » فتوجه النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التاج الذي يكافئ ما قدم للإسلام من تضحيات ، وما حفظ للمدينة في أهلها ومن تضم من عصابة الإسلام ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » وهي قضية جديرة أن تكون عامة لكل من تمسك بهذا الدين ، فآل النبي كل تقي ، من أطاع الله فهو من النبي ، ومن عصاه فليس منه ، ولو كان منه « إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » ولكن مزية سلمان ما عمل لتخصه بالنص عليه ، ولا سيما بعد أن تنازعه طائفتان من المسلمين كل تدعيه لنفسها ، وقد كان من آثار ذلك الخندق الحيلة أن طول أمد الحصار على

القوم المعتدين ، وهم في اغتراب عن أوطانهم ، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، وكان ما فصله سبحانه في سورة الأحزاب . ورجع الكفار بخيبة الأمل وقد خسروا ما خسروا من مال وعتاد ورجال ، ثم لم يفكروا في غزو المدينة بعد ذلك الخندق الذي منع المدينة وحصنها تحصينا جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اليوم نغزوهم ولا يغزوننا » .

ثم لم يتخلف سلمان عن مشهد بعد الخندق ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي الدرداء [1] ، وقد أقاما بالمدينة في مدرسة النبوة يأخذان العلم والحكمة ، ثم تقلبت بهما الأحوال بعد ذلك مما لا يفصله التاريخ ، ولكنهم يقولون : إن سلمان كان أميرا على المدائن في عهد عمر بن الخطاب فلعله اتصل هنالك بموطنه الأول فمضى حظه بالدعوة إلى الله التي أحدثت عنده كل شيء وزهدته في كل شيء ، وقالوا إنه كان يرى هنالك (بالمدائن) وهو في أشد مظاهر التقشف والزهد في الدنيا ، وأنه كان يلبس الصوف ويأكل خبز الشعير ويركب الحمار بلا إكاف .

رحم الله سلمان . لقد كان من خيرة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كان من زهادهم وفضلائهم كما كان أخوه أبو الدرداء ، وكان من الصف الأول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى روى عن عائشة رضي الله عنها كان لسلمان مجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كاد يغلبنا عليه ، فما ظنك برجل يريد أن يصحب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ما ظنك برجل يشهد له علي بن أبي طالب فيقول فيما يرويه ابن الأثير في أسد الغابة قال : سئل علي عن سلمان فقال : علم العلم الأول والعلم الآخر ، وهو بحر زاخر ، وهو منا أهل البيت .

ونقل ابن الأثير أنه سكن العراق وأن أخاه أبا الدرداء سكن الشام فكتب أبو الدرداء إلى سلمان يقول

سلام عليك . أما بعد ، فقد رزقني الله بعدك مالا وولدا ، وسكنت الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان يقول :

---

[1] عويمر بن عامر الأنصاري الخزرجي كان من أفاضل الصحابة وعلمائهم وحكمائهم ، روى عنه أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين تأخر إسلامه ولم يشهد بدرا ، وشهد أحدا وغيرها من المشاهد ، توفي بدمشق سنة ٣٢ هـ .

سلام عليكم ، أما بعد - فإنك كتبت إلى أن الله رزقك مالا وولدا ، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد ، ولكن الخير أن يكثر حلمك ، وأن ينفعك علمك ، وكتبت إلى أنك نزلت الأرض المقدسة ، وأن الأرض لا تعمل لأحد ، اعمل كأنك ترى ، واعدد نفسك من الموتى .

وكان عطاؤه خمسة آلاف فإذا خرج عطاؤه فرقه وأكل من كسب يده ، وكان عمله سف الخوص (سف الخوص نسجه) هكذا كان مذهب سلمان ، وهكذا انتهى علم سلمان وحكمته إلى احتقار الدنيا وتهذيب النفس ، وإتقان العمل ، وتقصير الأمل ، وهكذا يكون المؤمن العارف المحقق .

وتوفي سلمان في خلافة عمر وزعموا أنه عمر إلى ثلثمائة وخمسين سنة ، قال العباس ابن يزيد : قال أهل العلم : عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة ، فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيه ، ولكن ليت شعري ، هل كان أبوه من المعمرين فقد رأيت أنه فارقه وقد أظله زمن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ .

ثم ذكروا أنه خلف ثلاث بنات واحدة بأصبهان ، واثنتين بمصر ، ولم يذكروا لنا ما أقامهما بمصر ، أذهب سلمان بهما إلى هنالك ؟ أم لعلهما تزوجتا فكان زواجهما بمصر !

هذا ما استطعنا أن نظفر به من أمر سلمان في مراجعة مما يبتغي القارئ وينفعه ، رحم الله سلمان وجعل لنا في ذكرى الصالحين خير عبرة .

محمود النواوي

« استدراك »

في الجزء الماضي

السطر ١٢ من صفحة ٥٩٥ (الصواب) : « ويتبع غير سبيل المؤمنين ... الخ الآية الكريمة » .

السطر ٢٢ من نفس الصفحة (الصواب) . « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ... الخ الآية الكريمة » .

[أما عدا هاتين الآيتين الكريمتين ، فتركنا تصويبه لفطنة القارىء الكريم] .

شيخ الأزهر السابق *

السيد محمد الخضر حسين

١٢٩٣ — ١٣ رجب ١٣٧٧

هذا رجل آمن بالإسلام ودعوته ، وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله سبحانه فيهم : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » .

إن الاستقامة على طريق الله بعلم وحزم وحكمة وتفانٍ هي الولاية ، فإذا تعارضت مصلحة الدين ومصلحة الدنيا أمام الرجل المسلم، فآثر مصلحة الدين على مصلحة الدنيا ، ومضى على ذلك في تصرفاته كلها مدى الحياة ، فهو من أولياء الله ، أي من أنصاره . والولاية هي النصرة ، وقد جرت سنة الله أن يأخذ بأيدي أوليائه وينصرهم ما نصروا دعوته وسنته في الأرض . وهذه المرتبة في متناول يد كل من أرادها من شبابنا وكهولنا وشيوخنا إذا آلى أن يجعلها وجهته في مراحل الحياة . وسأتحدث في هذه الصفحات إلى إخواني من شباب المسلمين وكهولهم وشيوخهم عن مراحل حياة هذا الرجل المؤمن بالإسلام كما رأيتها فيه أو عشتها معه من سنة ١٣٣٠ إلى أن اختاره الله إليه .

ولد السيد محمد الخضر حسين عام ١٢٩٣ في بلدة نفطة من بلاد الجريد في الوطن التونسي ، وأبوه من أسرة شريفة أصلها من الجزائر ، وقد حدثني قبل ولايته مشيخة الأزهر عن ظهير من أحد ملوك المغرب الأدارسة إلى جد من جدود الشيخ يتعلق بنسبهم . وأرجو ممن صارت إليهم أوراقه أن يعنوا بما فيها من أمثال ذلك ليستعان بها في تدوين سيرته ، وإرسال شعاع من نور على الأزمان التي عاشها في مراحل حياته .

وكانت أمه من صالحات النساء ، رثاها بقصيدة (بكاء على قبر) لما بلغه خبر وفاتها سنة ١٣٣٥ . وكان أبوها الشيخ مصطفى بن عزوز من أهل العلم والفضل ، له ترجمة

في تاريخ الوزير أحمد بن أبي الضياف ، وأبو جده لأمه محمد بن عزوز من الأفاضل أيضا وله ترجمة في كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) للشيخ الحفناوي بن عروس . وخاله السيد محمد المكي بن عزوز من كبار العلماء الصالحين ، وكان موضع الإجلال والاحترام من رجال الدولة العثمانية في العهد الحميدي ، وقضى الشطر الأخير من حياته في الآستانة برغبة من السلطان ، وله مؤلفات معروفة . ولفقيدنا قصيدة في تأبينه ووصفه لمناسبة وفاته سنة ١٣٣٤ أثبتها في ص ١٨٠ من ديوانه في طبعته الثانية .

وفي سنة ١٣٠٥ انتقلت أسرتهم من نفطة إلى العاصمة التونسية ، وكان فقيدنا في الثانية عشرة من حياته ، وقد تأدب قبل ذلك بأدب الإسلام ، وتلقى كتاب الله ومبادئ العلوم الشرعية والعربية . فلما نزلوا تونس التحق بجامعها الأعظم (جامع الزيتونة) ، وأخذ يتنقل في مراحل التعليم ، وكان من أبرز شيوخه العلامة الكبير الشيخ سالم بو حاجب المتوفى سنة ١٣٣٩ رحمه الله . ولفقيدنا أبيات في وصفه ورثائه هي في ديوانه (ص ١٠١) .

وحوالي سنة ١٣٢١ حصل على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ، وما لبث أن أصدر مجلة (السعادة العظمى) ، وأخذ يساهم في النهضة العلمية والأدبية ، ويباري رجالها لإحراز قصبات السبق علما في مرضاة الله . وفي ديوانه (ص ٧٣) قصيدة نظمها في هذه المجلة انطوت على روح الدعوة التي أنشأ هذه المجلة القيام بها .

وفي سنة ١٣٢٤ تولى قضاء بنزرت ومنطقتها .

وفي مساء ١٧ ربيع الآخر من تلك السنة ألقى محاضرة عنوانها (الحرية في الإسلام) في نادي قدماء خريجي المدرسة الصادقية بلغت ٦٤ صفحة ، ودلت على نزعته المبكرة إلى الحرية ، وفهمه السليم لرسالة الإسلام من هذه الناحية .

ولم تطل مدة ولايته القضاء ، لأن الجمع بينه وبين انطلاقه الفكري في بلد محتل بالاستعمار الملعون كان محاولة للجمع بين الضدين ، لذلك رأيناه في سنة ١٣٢٧ عاد مدرسا في جامع الزيتونة ، ولعله فارق القضاء قبل تدريسه في الزيتونة فتولى التدريس قبل ذلك في المدرسة الصادقية ، وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة في الوطن التونسي كله .

وفي مساء السبت ١١ شوال سنة ١٣٢٧ ألقى في نادي الجمعية الخلدونية بتونس محاضرة عنوانها (حياة اللغة العربية) تحدث فيها عن أطوار هذه اللغة ، وفصاحة مفرداتها ،

وحكمة تراكيبها ، وتعدد أساليبها ، وما تفردت به من إعجاز الإيجاز ، وبدائع التشبيه ، وارتقاء مستوى اللغة بارتقاء التمدن العربي ، وتحدث عن العامية والعربية والفصحى .

وفي ديوانه (ص ٢٣) قصيدة نظمها سنة ١٣٢٨ بعد ولايته القضاء والتدريس يوجه بها أنظار القائمين على جامع الزيتونة إلى ضرورة العناية بتدريس الإنشاء وتمرين الزيتونيين عليه ليكون للوطن من علماء هذا المعهد الإسلامي كتاب بارعون يؤدون مهمة الدعوة ويحوطون الأمة من أعدائها .

وفي تلك السنة مرت بتونس بعثة الهلال الأحمر العثماني قاصدة طرابلس الغرب بعد حملة البغي الإيطالي عليها ، فنظم قصيدة يدعو فيها إلى معونة هذه البعثة وإعانتها (وهي في الديوان ص ٣٣) .

وفي السنة التالية (١٣٢٩) وجهت إليه التهمة ببث روح العداء للغرب ولا سيما سلطة الحماية الفرنسية ، فسافر إلى الآستانة معتزما زيارة خاله السيد عبد المكي ابن عزوز ، ولما ظن أن الزوبعة هدأت عاد إلى تونس بطريق نابولي (انظر ديوانه ص ١١٥ و ١٦٤) ، ولما استقر به المقام رأى أنه لن يطيق البقاء في ذلك الجو الخانق ، فأزمع الهجرة منه نهائيا ، ووقع اختياره على دمشق ليتخذها وطنا ثانيا له ، وقد مر بنا في مصر في هذه المرة (سنة ١٣٣٠) وسعدت بالتعرف به ، واجتمع عندي بشيخنا الشيخ طاهر الجزائري وأحمد تيمور باشا والسيد رشيد رضا وأضرابهم ، وكنت وقتئذ أعمل في قلم تحرير المؤيد .

ولما وصل إلى دمشق كانت الحركة العربية في بدايتها ، وكانت الأمة تطالب الحكومة العثمانية بإعطاء اللغة العربية حقها من التعليم في المدارس الرسمية ، فعين السيد محمد الخضر حسين مدرسا للعربية في المدرسة السلطانية بدمشق ، وكانت سكة الحجاز الحديدية متصلة فيما بين دمشق والمدينة المنورة فزار المسجد النبوي سنة ١٣٣١ ، وله في هذه الزيارة قصيدة في الديوان (ص ١٠٦) .

وفي هذه الفترة زار تونس ، وفي ديوانه من ذكريات هذه الزيارة أبيات في ص ١٢٦ و ١٣٤ .

وذهب في هذه المدة إلى الآستانة ولقي وزير حربيتها أنور باشا ، واختير الشيخ محررا عربيا في وزارة الحربية .

وكان في هذه الحقبة قد عرف دخيلة الحال في الدولة ، وأصيب بخيبة أمل بين ما كان يتصوره من الخيال وبين مرآه بعين الحقيقة ، فنظم في سنة ١٣٣٤ أبياتاً بعنوان « بكاء على مجد ضائع » تجدها في ديوانه ص ٦١ ومنها :

أدمى فؤادي أن أرى الـ	أقلام ترسف في القيود
وهجرت قوماً كنت في	أنظارهم بيت القصيد
وحسبت هذا الشرق لم	يبرح على عهد الرشيد
فإذا الهلال كأنه	من ضيقه حلق الوليد

وفي سنة ١٣٣٣ أرسله أنور باشا إلى برلين بمهمة رسمية فقضى في ألمانيا تسعة أشهر اجتهد في خلالها أن يتعلم الألمانية ، وفي ديوانه قطع كثيرة مما نظمه هناك . ومن ذلك أنه كان في قطار ضواحي برلين يرافقه مدير الأمور الشرقية بوزارة الخارجية الألمانية ، وكان يتحدث مع شاب ألماني باللغة الألمانية ، ثم أقبل مدير الأمور الشرقية على الشيخ وقال له : أليس هكذا يقول ابن خلدون إن العرب أبعد الناس عن السياسة ؟ فنظم الشيخ في هذه الحادثة أبياتاً يقول فيها :

عذيري من فتى أزرى بقومي	وفي الأهواء ما يلد العداء
ملوا التاريخ من حكم تملت	رعاياه العدالة والرخاء
هو الفاروق لم يدرك مداه	أمير هز في الدنيا لواء

وأدركه عيد الفطر في برلين ، فقال :

يوم عيد وما بعيني كم	من أنيس ولا كمثل النياط
أين جيراننا وأين المصلى	وخطيب يهدي لخير صراط
لو تقاضت في اغترابي أمرا	همت حتى له ونشاطي
لأدرت العنان نحو دمشق	وجددت السرى على الأشواط

وعاد إلى الآستانة ، فوجد أن خاله الشيخ المكي بن عزوز قد توفي بها قبل قدومه بنحو شهرين ، فرثاه بما في الديوان (ص ١٨٠) ، ثم ضاقت به العاصمة العثمانية على سعتها ، وصرفه عنها وعن عظمتها يومئذ ما كان يشعر به من الشوق إلى دمشق ، حتى تمكن من الوصول إليها والاستقرار فيها . غير أنه ما لبث أن ناله شواظ من شرور

السفاح العسكري أحمد جمال باشا الذي لم يسلم فاضل من شره ، فاعتقل في رمضان سنة ١٣٣٤ وكان في زنزانة واحدة هو والأستاذ سعدي بك الملا ، الذي تولى رياسة الوزراء اللبنانية بين الحربين العالميتين ، وكانت جريرة سعدي بك الملا أنه كان سكرتيرا لشكري باشا الأيوبي من كبار رجال الجيش العثماني الذين أعجبتهم الشام ، أما شكري باشا فكان تحت التعذيب الأليم الذي يذكر الناس بديوان التفتيش الكاثوليكي في إسبانيا ، ومن شعر السيد محمد الخضر حسين في هذا الاعتقال :

جرى سمر يوم اعتقلنا بخندق ... ضحانا به ليل ، وصاحبنا رمس
فقال رفيقي في شقا الحبس : إن في الـ ... ـحاضرة أنسا لا يقاس به أنس
فقلت له : فضل البداوة رائع ... وحسبك أن البدو ليس به حبس

وأكبر ظني أنه كان لأنور باشا دخل في إنقاذ شيخنا من قبضة جمال باشا ، فما كاد يخرج منه ويخرج حتى أزمع السفر إلى الأستانة ، وما كاد القطار يسير به حتى قال (وهو في الديوان ص ١٣٦) :

أرقت أعاما كذات الوقود إذ ... رمتني من البين المشت رواشق
وما أنت مثلي يا قطار وإن نأى ... بك السير تمشي بألفة وتفارق
فما لك تلقي زفرة بعد زفرة ... وشملك إذ تطوى الفلا متناسق

ولما بلغ الأستانة أوفده أنور باشا سنة ١٣٣٥ المرة الثانية إلى ألمانيا ، فقضى بها زمنا طويلا ، وعاد إلى الأستانة ، ثم إلى دمشق ، فتولى التدريس بالمدرسة السلطانية مرة أخرى بقية سنة ١٣٣٥ ثم في سنة ١٣٣٦ ، وفي هذه المدة شرع في دراسة كتاب (مغني اللبيب) في علم العربية لجمال الدين ابن هشام (٧٠٦ — ٧٦١) بحضور جماعة من أذكياء طلاب العلم بدمشق ، وكان يرجع في تقرير المسائل المتصلة بالسماع والقياس إلى تلك الأصول المقررة والمستنبطة ، فاقترح عليه أولو الحذق من الطلبة جمع هذه الأصول المتفرقة ليكونوا على بينة منها ساعة المطالعة ، فكتب مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصل شروطه وتدل على مواقعه وأحكامه ، ومن هذه المقالات تألفت رسالة (القياس في اللغة العربية) التي أعاد عليها نظره بمصر ، ونال بها عضوية جماعة كبار العلماء ، وتم طبعها سنة ١٣٥٣ .

وفي سنة ١٣٣٧ ذهب إلى الآستانة ، وكانت الحرب العالمية الأولى في نهايتها ، والخلافة في دولة الاتحاد والترقي مؤذنة بالزوال ، فتوجه إلى ألمانيا ، وقضى هناك سبعة أشهر ، وكانت عودته منها في هذه المرة إلى دمشق رأسا وهو يقول (الديوان ص ٢٠٠) :

سئمت ، وما سئمت سوى مقامي ... بدار لا يروج بها مساقي

فأزمعت الرحيل ، وفرط شوقي ... إلى بردى يحكم في مساقي

وسلم حقيبتي لأحط رحلي ... بسفح زهور جلق في تداني

ووافقت عودة الشيخ إلى دمشق دخول الجيش العربي وولاية فيصل بن الحسين على سوريا ، وفيها اجتمعت بالشيخ مرة أخرى بعد عودتي من الحجاز لأتولى الجريدة الرسمية للحكومة السورية ، وكنت أقوم بتأسيس المعهد العلمي ، وأدير اللجنة الوطنية العليا مع المجاهد الكبير العلامة الشيخ كامل القصاب رحمه الله ، فكنت ألقى الشيخ المجيد مرارا ، ومن شعره يومئذ متضجرا من كثرة أسفاره السابقة ، ومتمنيا الاستقرار في دمشق المدينة التي أحبها ، والأبيات في الديوان (ص ٤١) :

أنا كأس الكريم والأرض ناد ... والمطايا تطوف بي كالسقاة

كم كئوس هوت إلى الأرض صرعى ... بين كف تديرها والنهاة

فاسمحي يا حياة بي لبخيل ... جفن ساقيه طافح بسبات

وأراد الله أن يقع الاحتلال الفرنسي ، فعدت أنا إلى مصر على الإبل بزي أعرابي ، وبقي الشيخ في دمشق على أمل أن يعود إلى تونس فيكمل حياته فيها ، ولكن الله أراد له اللحاق بنا إلى مصر في العام التالي (١٣٣٩) ، وله في ذلك مقطوعة لطيفة في الديوان (ص ١٤٥) وقال عند سفره من دمشق (الديوان ص ١٦٠) :

كأني دينار وجلق راحة ... تنافس في الإنفاق راحة حاتم

فكم همت في الرحيل ، وليتني ... ضربت بها الأوتاد ضربة لازم

وفي مصر أخذ يشتغل بالكتابة والتحرير والدرس ، وفي سنة ١٣٤٠ ألف رسالة (الخيال في الشعر العربي) ، وبعدئذ كسبته دار الكتب المصرية فالتحق بقسمها الأدبي عدة سنين ، ثم تجنس بالجنسية المصرية ، وتقدم لامتحان في الأزهر فقام على

امتحانه لجنة برئاسة العلامة الشيخ عبد المجيد اللبان ، وكانت اللجنة كلما اكتشفت آفاق علمه زادت في التعمق بمناقشته واستخراج كنوز علمه ، وأصبح بعد ذلك من أكابر أساتذة هذا الصرح العلمي العظيم في عصور الإسلام الطويلة ، وإن تلاميذ الشيخ صاروا فحول العلماء وأطواد التحقيق في الشريعة وعلوم العربية . وإن كثيرين منهم كانوا يرغبون في القيام بواجب الكتابة عن فضله وأياديه الكريمة في التحقيق وتخريج الرجال ، فلما علموا أني ما كتب عنه تخلوا لي – حفظهم الله – عن هذه المهمة لما يعلمونه من طول تعلقي به وتقديم صداقتنا التي أعتز بها وطالما أفدت منها .

وفي سنة ١٣٤٢ أسس (جمعية تعاون جاليات إفريقية الشمالية) ووضع لها قانونا كنت أنا طابعه .

وفي سنة ١٣٤٣ مرض مرضا شديدا ردد صداه في شعره (الديوان ٢٦) ومنه :

أطل على الموت من خلال الضنا ... فآنست وجه الموت غير كئيب

ولو جس أحشائي علمت شأنه ... وإن قال أقوام بأني طبيب

فلا كان من عيش أرى فيه أمتي ... تساس بحكم غاشم وغريب

وفي سنة ١٣٤٤ ظهر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ، وكان السيد محمد الخضر صديقا حميما لآل عبد الرازق ويزورهم ويزورونه ، فلما كاد الكتاب ينتهي طبعه ، وكان لا يعرف مذهب مؤلفه فيه ، طلبوا منه أن يقدم بعناوين كبار العالم العربي والإسلامي ليهدوا الكتاب إليهم ، فطلب الشيخ هذه العناوين مني ، وكتبت له بها قائمة طويلة ، ثم صدر الكتاب وأهدوا نسخة منه إلى الشيخ ونسخة أخرى لمجلة الزهراء التي كنت أصدرها ، فرأينا من الكتاب أنه ينكر كون الإسلام دين حكم ، فانتقدته أنا في مجلة الزهراء ، وكتب الشيخ علي مقالة افتتاحية في جريدة السياسة يجيب بها على نقدي ، وتفرغ فقيدنا لنقض الكتاب فقرة فقرة ، وفي أقرب وقت صدر كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وفي شهر واحد نفدت طبعته لشدة الإقبال عليها .

وفي السنة التالية (١٣٤٥) افتضحت رسالة (في الشعر الجاهلي) فعكف الشيخ على نقض كل ما فيها من باطل ، وصدر كتاب (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) وبقيت بقية من آخر أقلام استعملها في تأليفه ، فأهداها إلى خزانة العلامة أحمد تيمور باشا ، وكتب أبياتا في بطاقة ربطها ببقية القلم (وهي في الديوان ص ٨١) وهي :

سفكت دمى فى الطرس أنمل كاتب ... وطوى المسرة إلا ما ترى
فاصلت من حق يحاول ذو هوى ... تصويره للناس شيئا منكرا
لا تحسبوا وجـه الهدى مسبلة ... هى كما ترى الغشـاوة وتزدرى
خزانة الأستاذ تيمور ازدهت ... بحلى من العرفان تبهر منظرا
فأنا الشهيد وتلك جنات الهـدى ... لا أبتغى بسوى ثراها مقبرا

وفى سنة ١٣٤٦ أسسنا المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وكان الفقيد مع تيمور باشا رحمهما الله ركنين ركينين فى تأسيسه ، وقد جمعت لذلك يومئذ كل شخصيات المناصرة للإسلام من شباب وكهول ، فكان تأسيس تلك الجمعية نقطة تحول بين تيار العداء للإسلام باسم التجديد ، وبين قيام كيان مرموق للإسلام فى وادى النيل .

ولما تم النجاح فى هذا العمل الجيد ، تفرغ فقيدنا لتأسيس جمعية الهداية الإسلامية فضمت أهل الغيرة والنشاط من شباب الأزهر وشيوخه ، ومن نبغ منهم من المثقفين ثقافة مدنية . وكما صدرت لجمعية الشبان مجلة صدرت لجمعية الهداية مجلة . وكما كانت لجمعية الشبان فروع فى الأقطار قامت للهداية فروع مثلها .

وفى محرم سنة ١٣٤٩ صدرت مجلتنا هذه (الأزهر) وكان عنوانها يومئذ (نور الإسلام) فتولى فقيدنا رياسة تحريرها من جزئها الأول إلى ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ ، وفى سنة ١٣٥٠ عاوده مرض مزعج أثار فيه خواطر شعرية تراها فى ص ٤٢ من ديوانه .

وواصل ـ رحمه الله ـ السنين المباركة فى حياته بعد ذلك فى التدريس بكلية أصول الدين على طريقة العلماء الأقدمين فى التحقيق ، والرجوع بقضايا العلم إلى أصولها ، والغوص فى أعماقها . ويقضى الليالى فى محاضرة جماهير الشباب وأهل الفضل بدار جمعية الهداية الإسلامية داعيا إلى تجديد حيوية الإسلام فى نفوس أهله ، وتقرير حقائقه بأساليب بليغة كانت موضع الحرمة والتقدير من جميع الطبقات ، وقد نشر بعضها مستقلا أو على صفحات مجلة الهداية الإسلامية ، ثم جمع الكثير منه فى كتابه (رسائل الإصلاح) الذى طبع فى ثلاثة أجزاء .

وعندما أسس المجمع اللغوى كان من أقدم أعضائه ، وله فيه بحوث وقصائد ودفاع عن الفصحى ، وتبيان لأسرارها وعرض لجواهرها .

وما زال مستمرا فى التأليف والخطابة والوعظ فى الهداية الإسلامية والتدريس فى الحلقات العليا بالأزهر . وفى سنة ١٣٦٦ صدرت مجلة لواء الإسلام ، وعهد إليه برئاسة تحريرها ، وظل يواصلها بحوثه إلى آخر حياته المباركة .

وفى سنة ١٣٧٠ نال عضوية هيئة كبار العلماء برسالة (القياس فى اللغة العربية) التى ألف أصلها وهو فى دمشق أيام الحرب العالمية الأولى .

وفى يوم الثلاثاء ٢٦ من ذى الحجة ١٣٧١ (١٦ سبتمبر ١٩٥٢) خرج من مجلس الوزراء أثناء انعقاده ثلاثة من أعضاء ذلك المجلس فتوجهوا إلى المنزل الذى كان يسكنه الشيخ فى شارع حيرت ، وعرضوا عليه مشيخة الجامع الأزهر باسم حكومة الثورة ، وجاء الشيخ إلى مشيخة الأزهر والأزهر فى ذهنه رسالة حتى لو اضطلع بها الأزهر لتم له بها حمل أمانة الإسلام .

وكان هذا الاختيار تحقيقا للأخوة الإسلامية فى الدستور الإسلامى ، وبرهانا من الله عز وجل على أن من كان مع الله كان الله معه ، وعلى أن من عاش يؤثر الآجلة على العاجلة عند اختلافهما فإن الله يكافئه بخير مما يطمع فيه الذين يؤثرون العاجلة على الآجلة .

ولما أعفته الشيخوخة من مواصلة الاضطلاع بحمل هذه الأمانة عاد إلى منزله يواصل العكوف على الكتب والكتابة والتفكير ، حتى لقد نظم ديوانا آخر كله مقطعات فى الحكمة والخواطر التى تحوم حول الحق والخير .

وفى يوم ١٣ رجب مساء اختاره الله إليه وهو لا يزال على عهده الأول من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فكان جديرا بما وعد الله به أمثاله أن تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . وفى ظهر اليوم التالى صلى عليه بعد الفريضة فى الجامع الأزهر ، ومشى فى موكب جنازته علماء الأزهر وأعيان الأمة والمنتسبون إلى العلم حتى بلغ النعش باب الخلق والموكب متصل فيما بينه وبين الأزهر ، ودفن بجوار صديقه أحمد تيمور باشا بوصية منه ، رحمهما الله وسائر المسلمين وتغمدهم برحمته .

محب الدين الخطيب

رجـــــل عظيم

ويزيده عظما وقدرا أنه يعرف قدر العظيم

ما كنت أحسب وأنا أنعى إليه شيخنا وإمامنا الراحل ، وقد أسلم الروح إلى بارئها ، إلا أنه يجاملني بكلمة عزاء تمر كما يمر غيرها من الكلم . . . ولكن ما كان أعظم دهشتي حينما جزع واسترجع ! ثم أخذ يلقي علي درسا في تقدير العظماء الراحلين : درسا حقيقا بأن يسجل ويروى في تاريخ الخالدين .

كانت بين الشيخين خصومة في بعض مسائل العلم ، ولكنها كانت خصومة جليلة كريمة ، من قبيل « الخصومة بين الأكابر » تلك التي عهدنا نماذج من طرازها الأول في العقد الخامس والعشرين .

وكان من أدب فقيدنا الراحل — تغمده الله برحمته — أن يسجل مسائل الخلاف بينه وبين خصمه في مقال أو رسالة ، ثم يأتي عليها بالحجة الساطعة والبيان الناصع ، في أمانة من النقل ، وعفة من القول ، ضرب المثل الأعلى لمن يبتغي الإنصاف والحق ، من أفضل طريق وأسلمه .

* * *

ويقرأ خصومه الرد عليهم في مقالاته وكتبه ، وكلهم أو جلهم من جلة القوم وأكابر الكتاب ، فيعجبون بالأدب الرشيد والقول السديد ، والحجة البالغة ، والعلم المصفى ، والحكم البصير النافذ ، الذي يتقدمه الإخلاص والإيمان ، ويصحبه العدل والإحسان ، فيحتشم له كل عالم وأديب ، ويهابه كل دفع أو تعقيب !

* * *

لكن النبلاء من خصومه ، يفيدون من ذلك النبع الفياض ، والأدب العالي

الرفيع ، ثم ينوهون به في حياته ، ويدعون إلى التعلق به بعد وفاته ، وكذلك فعل « الرجل العظيم » .

كانا عضوين بالمجمع اللغوي إلا أن « إمامنا » كان أسبق ، إذ كان ركنا من أركان المجمع منذ إنشائه ، وكانا عضوين في جماعة كبار العلماء ، إلا أن « عظيمنا » كان أسبق منذ بضع سنين . . .

فلما تقدم إمامنا إلى عضوية الجماعة ، ظن من لا يعرفون « الرجل » أن الفرصة قد حانت للوقوف في طريق خصمه . . . لكنها كانت مفاجأة كريمة حاسمة ، أن تركه الخصم النبيل وهو يقول : إن من لا يزكى السيد الخضر في عضوية الجماعة ، فإنما يلغى عقله ، أو يسقط نفسه ، أو قال كلمة نحوها ! !

فلما قضى الله قضاءه ، واستأثر شيخنا برحمته ، عرف « الرجل » بكاءه مرا وهو يدعو إلى التأسي به ، حتى كأن العبرة كانت تنبعث من هول ما أصابه ، أو من عظمة ما يقول ! !

• • •

أما بعد ، فإن أحببت أن تعرف « الرجل » فحسبك أنه يشغل مركزا اجتماعيا خطيرا ما حلا منصبا أزهريا كبيرا ، فإن لم تعرفه بعد ذلك ، فحسبك درس عظيم ، من رجل عظيم ، في إمام كريم ، عاش في الله ، وجاهد في الله ، ثم مات في الله ، ورحل — فادى الله — إلى الرفيق الأعلى « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

ط محمد السايكن

الجمهورية العربية المتحدة

وليدة إرادة الشعب العربي

ان الجمهورية العربية المتحدة وليدة إرادة الشعب في كل من مصر وسوريا ، ولذلك كان من الطبيعي أن تعم الفرحة ، ويسود الابتهاج أرجاء البلاد العربية عامة ، لأن الجميع يشعرون ويؤمنون بأن هذه الجمهورية تمثل رغباتهم وأمانيهم ، وتحقق حلمهم الذي طالما حنوا إليه .

رشيد كرامى

رئيس وزراء لبنان الأسبق

قيام الجمهورية العربية المتحدة

وانتخاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر أول رئيس لها

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر يهنئ السيد الرئيس جمال عبد الناصر
برئاسة الجمهورية العربية المتحدة

يطيب لي اليوم أن أهنئ سيادتكم باجماع الشعب على تأييد قرار الوحدة وعلى اختياركم أول رئيس للجمهورية المتحدة .

والأزهريون وهم جند العروبة المخلصون يفخرون بتحقيق هذه الأمنية العزيزة ، ويعتزون بقائدهم الذي اجتمعت له القلوب بالمحبة والتأييد، لما له من أصالة الرأي وصدق الوطنية وكمال الإخلاص للواجب ، والتفاني في خدمة العروبة .

سدد الله خطاكم ، وجمع قلوب العرب على كلمة الحق ، إنه ولي التوفيق .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

ويهنئ فخامة السيد شكري القوتلي بقيام الجمهورية العربية المتحدة .

كما أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر إلى حضرة السيد شكري القوتلي البرقية الآتية :

فخامة الرئيس شكري القوتلي — قصر القبة القاهرة

يسرني أن أبعث إلى فخامتكم بالتهنئة الخالصة ، بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة ، التي كانت ثمرة جهودكم المتواصلة وتضحياتكم الرائعة ، راجيا لفخامتكم دوام التوفيق وللشعوب العربية الرفعة والعزة .

شيخ الجامع الأزهر

رد السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة على برقية فضيلة الأستاذ الأكبر

أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة إلى السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر البرقية التالية.

تلقيت بالغ السرور برقيتكم بمناسبة إعلان الجمهورية العربية المتحدة التي ستكون حصنا منيعا للعروبة وسبيلا لنهضة العرب . والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير للأمة العربية .

وذلك ردا على برقية فضيلته السابقة :

الأزهر ووحدة مصر وسوريا

أرسل علماء الجامع الأموى الكبير بدمشق تهنئة إلى الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر بوحدة مصر وسوريا ، وأشادوا فيها بدور الأزهر في دعم هذه الوحدة ، وقد رد عليهم فضيلته بخطاب شكر جاء فيه : إن أولى الناس بالاعتزاز بهذا العمل المجيد هم أولو العلم ، الذين يقدرون هذه الخطوة المباركة حق قدرها ، ويحرصون كل الحرص على أن ينضوى تحت لوائها كل عربي مؤمن بعروبته ، مخلص لوطنه ، وإن أجدر العرب بالمبادرة إلى دعم هذه الوحدة هم إخواننا السوريون الذين رفعوا ألوية الوحدة على أطراف الدولة الإسلامية آمادا طويلة .

وبين فضيلته أن الأزهر الشريف ظل دائما حصنا منيعا لدعوة الحق ، ومنارا عاليا يشع نوره في جنبات الأرض ، ويضم في ساحته الرحبة كل محب للثقافة الدينية من أبناء العروبة والإسلام ، في مساواة تامة ، وأخوة صادقة ، ويهيئ لهم تهيئة صحيحة للاضطلاع بمهمتهم النبيلة في ميادين العلم والثقافة الوطنية .

كما تلقت مشيخة الأزهر من الكليات والمعاهد الدينية والهيئات المختلفة ، سيلا من البرقيات وخطابات التهنئة بوحدة مصر وسوريا ، والآمال الكبيرة التي يعلقها العرب

والمسلمون على قيام الجمهورية العربية المتحدة ، كما وردت من الخارج بهذا الخصوص برقيات ورسائل من جهات متعددة ، كان من أبرزها تهنئة من علماء الجامع الأموى الكبير بدمشق التي صيغت الإشارة إليه ، وأخرى من الاتحاد الدولى للطلاب فى براغ .

وقد رد فضيلة الأستاذ الأكبر على هذه التهانى مشيداً بالروح الطيبة التي تحس بجلال هذا العمل المجيد ، ناصحاً بالعمل المتواصل لدعم هذه الوحدة وصيانتها للوصول إلى الغاية المرجوة من وراء أكبر حدث فى تاريخ الأمة العربية الحديث .

بيان من مشيخة الأزهر

بمناسبة الاستفتاء على قرار الوحدة بين مصر وسوريا

وانتخاب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

شيخ الأزهر وعلماؤه : يهيبون بجميع المواطنين فى سوريا ومصر أن يتوجهوا إلى لجان الاستفتاء عن قرار الوحدة بين القطرين العربيين الشقيقين ، وانتخاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة .

وهم على ثقة تامة بأن إيمان الشعب بهذا العمل الجليل ، وحاجته الأكيدة إلى وحدة تجمع الشمل ، وتضم الجهود ، تحت قيادة رشيدة حكيمة ، كفيلان بحرص المواطنين جميعاً على أداء هذا الواجب الوطنى نحو أكبر حدث فى تاريخ العرب الحديث ، ذلك الحدث الذى توج كفاح الشعبين الكريمين ، بقيادة زعمائهما المخلصين الذين جعلوا مجد العرب نصب أعينهم ، وبذلوا فى الوصول إليه كل ما يملكون من جهود وتضحيات ، جديرة بالتقدير والالتفاف حولهم ، ومساندتهم للوصول بالوطن الواحد ، إلى ما يريدون له من عز ومجد وسؤدد .

حيا الله الأمة العربية وحيا زعماءها الأحرار ، ووفقنا جميعاً إلى ما فيه خير الوطن وعزة العروبة .

كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر

بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة

إن قيام الجمهورية العربية المتحدة ، التي تضم مصر وسوريا ، وتجعل من دولتيهما دولة واحدة عظيمة ، ومن شعبيهما أمة واحدة قوية هو من أجل النعم التي يجب أن تعطى حقها من الشكر ، بحسن رعايتها ، والاحتفاظ بقوتها .

هو ، أكبر حدث في تاريخ الأمة العربية الحديث ، قد توج به كفاح الشعبين العظيمين تحت قيادة زعمائهما الأحرار ، الذين آمنوا أصدق الإيمان بحقهم ، وأخلصوا أعظم الإخلاص لقضية عروبتهم ، وجاهدوا أشق الجهاد وأمره ، للوصول إلى ما هو جدير بهذه الأمة من عزة وسيادة ، ومجد وكرامة .

وإن هذا العمل السياسي الخطير ، لمبشر بأمل كبير ، في مستقبل سعيد باهر ، ينتظر الأمة العربية كلها ، وسيتحقق به هذا الأمل المنشود بحول الله وقوته . ذلك لأنه عمل نابع من قرارة الإيمان ، منبعث من صدق وإخلاص وصحة وجدان ، فهو ترجمة للفكرة الأصيلة ، والعقيدة الراسخة ، التي يعمر بها قلب كل عربي ، عليم بما تقاسيه الشعوب العربية وتعانيه ، من جراء تدابير الفتنة ، ووسائل التفرقة ، التي كان يحيكها ويحبك أطرافها الاستعمار البغيض .

إن هذه الوحدة المباركة التي جمعت بين سوريا ومصر ، ليست عنصرا غريبا طارئا على كيان الشرق العربي ، فإن جامعة الدين والدم واللغة والتاريخ قد ربطت بين أهل هذا الشرق من قديم الزمان برباط قوي متين ، وجعلت منهم في دهور طويلة دولة قوية ، كان يهتز لها العالم كله رغبا أو رهبا . ولم يضعف شأن هذه الدولة إلا عندما وقفت تدابير السوء ضدها ، وبرزت أفاعي الشر وأفاعيل الحقد والحسد في طريقها ، وعمل الاستعمار جاهدا على تمزيقها أحزابا وشيعا ، وتفريقها دويلات وإمارات .

نعم ولكنها لم تفقد حيويتها ولم تمت فيها روح المقاومة ، بل ظلت تكافح وتقاوم بما كان يتهيأ لها من وسائل المقاومة والكفاح .

وكان أهم ما يعوزها في هذا الكفاح الطويل لتستعيد حريتها ، وتسترد مكانتها هو القائد البطل الخبير الذي يحسن التوجيه ويعرف كيف تكون القيادة الحازمة الحكيمة التي تسلك بالأمة إلى مستقر الأمن والعزة والحرية .

وقد أراد الله الخير لشعبي سوريا ومصر ، فقيض لسوريا البطل الشيخ شكري القوتلي وقيض لمصر البطل الشاب جمال عبد الناصر . فآلفت روحهما وتوافق إيمانهما وإخلاصهما واجتمعا على قلب رجل واحد ، وذلك حيث كان قد اكتمل في الشعبين العظيمين عامل قوى الإيمان بالوحدة ، واليقين بالعزة في اجتماع الكلمة ، والشعور بضرورة العمل في صف واحد ، لإحياء تراث العرب ، واستعادة مجد العروبة وعزتها وقوتها .

وقد انبثق بفضل هذه العوامل القوية الشريفة فجر الوحدة ، وتكونت الجمهورية العربية من الشعبين الكريمين ، أمة واحدة تؤمن بالخير وتدعو إليه ، وتبغض الشر وتعمل للقضاء عليه ، أمة غايتها من اتحادها بعد طول جهادها وكفاحها أن تعيش عيشة كريمة ، وأن تؤيد كل من يعمل لعزة الشعوب وكرامتها ، والله ولي التوفيق يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

تحية وتقدير

إلى الشيخ الوقور ، والبطل المجاهد ، المواطن الأول في الجمهورية العربية المتحدة ، فخامة السيد شكري القوتلي :

بعثت المجد للعرب أمجادا ... وجددت العروبة والجهادا

بعثت لهم وأحييت الفؤادا ... بعزم يصنع العرب الشدادا

توحد جمعهم ، وثق عراهم ... فذئب الغاب يأكلنا تمادى

عبد الحكيم الجوهري

وليد ميمون

الجمهورية العربية المتحدة

في اليوم الثاني عشر من رجب سنة ١٣٧٧هـ الموافق الأول من فبراير سنة ١٩٥٨م، تمخض الزمن عن أكرم وليد في تاريخ العرب، وهو الجمهورية العربية المتحدة، تلك الجمهورية التي امتزج فيها الشعبان العربيان الكريمان، الشعب السوري والشعب المصري، وأصبح القطران قطرا واحدا ودولة واحدة، وقد قرت بذلك أعين المحبين وتميزت غيظا قلوب الحاقدين الشانئين.

ولقد تظاهرت في تكوين ذلك الوليد عوامل حاول الكاتبون أن يتقصوها ويحصروا قريبها وبعيدها، وذكروا أن لاتفاق في الأهداف بين الشعبين كان من العوامل القوية في وحدتهما وتكوين الجمهورية المتحدة، وأن اشتراكهما في الآلام التي مرت بهما على أيدي المستعمرين والمسيطرين كان من تلك العوامل، وكذلك وحدة الجنس واللغة والدين والماضي التاريخي، وقال بعض من يزعم استبطان الحقائق: إن استهداف القطرين لخطر المستعمرين والمتآمرين هو العامل الأهم في ميلادها، ومهما تكن هذه الأسهام من الواقع فإن الحقيقة التي نؤمن بها ولا يخامرنا فيها ظل من الشك أن في مقدمة العوامل وأهمها، وأقربها فيما ترى أعيننا، تضحية الزعيم السوري شكري القوتلي، فقد ضحى برياسته وزعامته وجاهه ومظاهره مصلحة العرب وشعوب العرب والقومية العربية، وما قرأنا في تاريخ الزعامات والرجال مثل هذه التضحية والإيثار ونكران الذات. والذي قرأناه أن أكثر الزعماء كانوا يعدون أمجادهم الشخصية مصالح الشعوب وأعيادها، ولا غرابة، أن تحقق بتلك التضحية أحلام الشعوب العربية، وأن تقوم الوحدة بين الشعبين السوري والمصري بمثل هذه السرعة التي لم تعهد في تاريخ الدول.

لقد استقبل الشعبان المصري والسوري مولد الجمهورية العربية المتحدة في احتفالات قل نظيرها من قبل، ولم تكن تلك الاحتفالات مظاهر اصطنعها الشعبان في الأغاني والأناشيد والأعلام والبنود، ولكنها كانت مسرات وابتهاجات انبعثت من القلوب

والوجدانات فانطلقت بها الألسنة هتافات مصورة معبرة ، شاملة لا تقف عند حد ، ولا تقصر دون غاية .

لقد هلل المصريون وكبروا ، وفرحوا وابتهجوا لما يصرح شكري بوحيده ، يحمده الهام والأحداث الجسام ، ويعتز به عضدا وعونا على الأيام ، وكذلك المصريون والسوريون ينتظرون من هذه الوحدة نصرا وتبادلا وتكافلا في المصالح الداخلية ، وينتظرون منها حماية واطمئنانا وأمنا وسلاما من الأحداث الأجنبية .

لقد سارت خطوات تلك الوحدة موفقة سريعة لم تتعثر ولم تتعوق : فقد كان حاديها الإخلاص للعرب وللقومية العربية ، ولم تشبها الأغراض ولا الرغبات الشخصية ، وكان حاديها أيضا رغبة الشعبين في حياة حرة كريمة ، لا تتحقق إلا بتكامل القوى وتضافر الجهود واجتماع القلوب ، وسارت موفقة أيضا إذ لم تقف دونها مكايد المستعمرين ، ولأنها كانت ثمرة جهاد طويل بذل الشعب فيه من الدماء والأرواح ما وعاه التاريخ .

لقد قال شكري القوتلي إثر توقيع ميثاق الوحدة : « إننا بإعلاننا وحدة القطرين العربيين الغاليين ، والقطرين المجاهدين المناضلين ، وطنا واحدا في جميع مرافقه وشئونه بلا تفريق ولا تمييز ، وبلا تحديد وبلا تحفظ ، إننا لم نأت بجديد ، بل إننا نصحح أوضاعا ونعيدها إلى أصولها ، ونتجه بذلك كل الاتجاه مع طبيعة الأمة العربية ، وحقيقتها كانت وما زالت وستبقى إلى الأبد عربية وواحدة .

وإني لعلى إيمان راسخ بأن الأجزاء العربية إذا وعت وتحررت ، تقاربت واتحدت وتجمعت فتلاقت ، فالألفة هي الأصل ، والحرية للعرب أمر محتوم لن تستطيع أن تكف الإنسان العاتي مهما اصطنعت لقمعها من قوى الشر أن تغير قليلا أو كثيرا من أقدار الأمة العربية ، من أجل هذا أراني واثقا كل الوثوق أن وحدتنا القومية هذه نواة ستكبر وتنمو ، وخطوة في صميم الواقع العربي ستتلوها خطوات ، ولقد تحدينا بوحدتنا الشمس ، وصنعنا صفحات للأجيال القادمة في أفضل طريق للتحرر والوحدة » .

لقد كان ميلاد الجمهورية العربية المتحدة حدثا تاريخيا هاما ، معناه أن العرب أمة واحدة ، وأن العربي في أقصى المشرق أخو العربي في أقصى المغرب ، يتجاوبان ويتعاطفان : مشاعرهم واحدة ، وإحساساتهم واحدة ، وأنهم إن تفرقوا فعلى غير رضا وعلى غير هوى ، وعوامل ليست من صنعهم ، ولكنها من صنع أعدائهم الذين يتربصون بهم الفرص ، ويعملون

على تحريفهم ليسهل التهامهم واحتضانهم ، واستعبادهم واستغلالهم ، وإذا زالت عوامل الفرقة عادوا مؤتلفين متوافقين ، عودة النازح إلى داره والغريب إلى وطنه .

سيقيس قصار النظر الوحدة السورية المصرية بالمقياس المادى التافه فيقولون : سيكون من وراء ذلك مجال للزراعة والصناعة وللعمل وللرواج إلى غير ذلك ، أما ذوو العقول الكبيرة والتقدير الصحيح فيقيسونها بعوائدها المعنوية والأدبية ، وبمقدار ما تحققه للشعبين وللعرب عامة من عزة وكرامة ، وما تضفيه عليهم من مهابة وتقدير من الشعوب الحصيفة الواعية ، وبمقدار ما تدعمه تلك الوحدة من أطماع فى الشعوب العربية وفى حرياتها واستقلالها .

لقد كانت تلك الوحدة برضا الشعبين ، وتحقيقا لإرادتهما الواضحة الخالصة من كل ضغط أو إكراه أو نفوذ أجنبى ، فهى وحدة نابعة من ضمير الشعبين ومستندة إليه ، وكانت أمنية من أمانى الشعبين تهفو إليها قلوبهم ، وحلما يراود خواطرهم ، ودعاء تردده ألسنتهم ، فأصبحت حقيقة واقعة ترمقها العيون وتحوطها القلوب ، وما أحلى الأمانى أن تتحقق ، وأعذب الأحلام أن تصدق والدعوات أن تستجاب ! ! .

وما تم بإرادة الشعوب فإن الله سيباركه ويحقق الثمرات المرجوة منه ، وسيحرص عليه كل فرد منها ، ويحافظ عليه حفاظه على مصدر عزه ومبعث كرامته ، وإن واجب كل فرد فى مصر وسوريا أن يعمل على تثبيت أركان الدولة الموحدة ، وتمكين دعائمها لتحقق أهدافها ، وتؤدى الغرض منها ، ولتكون مثلا صالحا تحتذيه الأجيال القادمة فى خدمة القومية العربية والوطن العربى .

وسيذكر التاريخ فى إعزاز وفخار بطلين عربيين مجاهدين ، عملا على تحقيق الوحدة فى عزم وتضحية وإخلاص ، ولم يهدفا إلى مجد شخصى أو مغنم مادى ، ولكنهما استهدفا مجد العرب وخير العرب ، وحسبهما شهادة التاريخ وتقدير العرب .

أبو الوفا المراغى

الشعوب تؤيد الجمهورية العربية المتحدة

ولا تؤيد اتحاد الملكين

أبرق وبودهيو سفير الولايات المتحدة فى القاهرة إلى حكومته يقول :

إن الجمهورية العربية المتحدة تتمتع بتأييد الشعوب العربية لها ، فى حين أن اتحاد ملكى العراق والأردن لا يحظى بمثل هذا التأييد ، فقد أنشأه الملكان دون استفتاء شعبيهما فى أمر إقامته .

وثبا ... نحو وحدة العرب

وكأنما كان عمرو بن العاص وهو يلكز جواده بشدة لينهب الأرض نهبا حتى يجتاز (الحدود) بين الشام ومصر ، يدمج أطرافهما حتى تتطاير مع الغبار الذى أثارته سنابك الخيل . . . .

وما كان مسير عمرو من الشام إلى مصر جديدا ، فالجمع بينهما كان هدف القوى السياسية قبل عمرو وبعد عمرو : تحتمس والإسكندر وقيصر ، ثم دول الإسلام المتعاقبة حتى بعد قيام (حكم ذاتى) فى مصر ، وأخيرا بونابرت فالاستعمار الإنجلوفرنسى للشرق العربى . .

ولكن عمرو بن العاص وحده هو الذى حقق المعجزة . . . .

إنه لم يمح خطوطا من الورق تمثل الحدود فحسب ، بل أدمج القوم وأدمج اللسان حين أدمج الأرض .... إنه أجرى تحولا حضاريا وانقلابا اجتماعيا .... إنه أحال مصر قطعة من جسد العروبة الحى ، وجعل أبناءها – حتى غير المسلمين – لا يتفاهمون بغير العربية ، ولو فى شئون الدين والمعتقدات التى كانت – من قبل – فى كتبها المقدسة وتراتيلها وصلواتها لا تعرف الطريق للعربية ! !

لقد أراد إخناتون أن يحكم بديانة توحد الإقليمين فكريا بعد أن توحدا سياسيا .. فكانت ديانة الشمس المشرقة ، ولكن الديانة الموحدة هزت عرشه هو فى الداخل فتهاوى ، وانهارت معه ديانة (آتون) .. وبقيت الانقسامات التقليدية وورثت الدولة الموحدة القوية ! !

لكن عمرو كان يحمل رسالة الذى يعلم ما تخفى الصدور ، وهو الذى سوى الأجناس وبرأ الناس .. فخالطت فطرة الرسالة فطرة القلوب (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) !

كان عمرو يرتكز إلى ركن الوحدة الركين : كان معه الرابط الجامع والعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وكتب للوحدة الخلود يوم دعم قاعدتها (الفكرية الروحية) دينا خالدا .

وبقى الإسلام مهوى الأفئدة هنا وهناك .. وبقى لقاء السورى والمصرى على مائدة القرآن إن عز اللقاء بالأجسام ، وتلاقى وجهيهما عن قبلة البيت الحرام إن تعذرت المقابلة بأرض مصر أو بأرض الشام ، إزاء الحدود التى فرقت بين الأشقاء !!

وجاء وضع مصر الخاص فى ظل حكم محمد على وخلفائه ، ثم الاحتلال الإنجليزى ، وأخيرا الاتجاه نحو الاستقلال السياسى فى حدود النزعة الإقليمية .. كل هذه كانت عوامل تفريق ، فى حين كانت الأمة لا تفتأ تحتفظ بالمجارى العميقة الغائرة التى تجمع مصر والشام تحت مظهر الانفصال السطحى ، وكان الإسلام تيارا فكريا مشتركا يتحدى الجوازات والجمارك ومصطنعات التفريق الدولية . قرارات لندن ، وسايكس - بيكو ووعد بلفور ومعاهدات الصلح الهزيلة !

* * *

وظن المستعمر أنه يسخر من العرب ، حين أوعز بتكوين (جامعة دول) فى نهاية الحرب الماضية .. ثم ظن أنه يمعن فى السخرية حين يعرض جامعة الدول لمحك المحنة فى فلسطين ... فيخرج العرب وقد ذاقوا مرارة الهزيمة ، وأوغرت صدورهم العداوة فلا يفتأون يتراشقون بالاتهامات : من المسئول ؟؟ .

وكانت النتيجة غير ما أمل العدو ... ولو كان يعنى ما حدث لنا رضى (عن إسرائيل)...

ثم ... فقد هزت الكارثة مشاعر العرب ، وجعلت الوحدة ليست (صكا) ممنوحا لهم من عل ، ولكن تجاوبا حقيقيا وإدراكا واعيا لمصالحهم المشتركة ، وآمالهم وآلامهم القائمة ، والخطر العام المتحفز الرابض فى قلب ديارهم .

وصار اللاجئون الذين تشتتوا بين ديار العرب يحمل منهم الاستعمار عنوان الهوان والصغار - صاروا على صغر ما قدر - حافز الهمة ووقود العزم ، تحس آلامهم كل من ينزع إلى دعة أو يخلد إلى دون . وكانت المعركة كلها تعريفا بالطريق الصحيح إلى الوحدة ، وكشفا للعيوب والثغرات ، وبيانا للعراقيل والعقبات .. فالوحدة لا تتحقق خلف المكاتب الفاخرة ، وفى الأحفال الباهرة بين أهواء متنازعة متصارعة ، وإنما تتحقق

الوحدة يوم تمثل رغبات الشعوب حقيقة واقعة في أنحاء الدول ، ويوم تحجر هذه الرغبات في المحن والنكبات فتثبت في الامتحان ...

كانت معركة فلسطين مدرسة . وكان تشتت اللاجئون تذكارا ... وكان قيام إسرائيل نذيرا . فانظر كيف قدر القدر حساب التقدير !

• • •

وطوت معركة فلسطين آثار عزلة عسكرية وعصبية قامت أثر تباعد العرب السياسي ردحا من الزمن ... لقد قامت الدول العربية المعاصرة تنفخ فيها روح القومية المحلية ، وضل نفر ممن يعيشون في القرن العشرين عن اتجاه العالم نحو التكتل ...

سمعنا عن فرعونية وآشورية وفينيقية ... رغم أن المتنقل بين العرب في كل أرجاء عالمهم لا يسمع غير لسان العرب ، ولا يرى إلا أمة العرب ! !

أين آشور وبابل في بغداد والبصرة والموصل ؟ أين فينيقيا في دمشق وحمص وحلب والقدس وبيروت ؟.

أين قرطاجنة في تونس والجزائر والرباط ؟ ؟ أين الفراعنة في القاهرة ؟؟.

إني لا أجد هذه (الأثريات) إلا في المتاحف وحفريات القبور وبين الذكريات... يرشدني إليها ويعرفني بها دليل عربي ، وكتاب عربي ، في أمة عربية ! !

وسمعنا عن وحدة عالمية مرتقبة تغني عما عداها من وحدات . . وكأن وحدة العرب نشاز في وحدة العالم، مع أن اندماج الوحدات الإقليمية الصغرى في وحدة ، أكبر تقريب لتحقيق الحلم الإنساني المنشود !

وسمعنا عن خلافات اللهجات ، وتعدد الطوائف ، ومشكلات الاقتصاد والتشريع ونسوا أن الأمة حين توجد بكيانها الأصيل، فكل مظاهر التباين في أجزائها سطحية غير عميقة الجذور ... كيف وعندنا العربية السليمة تجمع كل شتات ، والإسلام الحنيف ييسر حل المشكلات ! !

• • •

وكانت سوريا طليعة الرواد إلى الخير والمعروف . .

« وذلك لأن سوريا – كما هو معلوم لدى الجميع – أعرق الأقطار العربية في الشعور بالقومية العربية، وأكثرها تجردا من النزعات الإقليمية، وأشدها توقا إلى الوحدة العربية. وكانت قد أعلنت – خلال مشاورات الوحدة العربية (١٩٤٤) – على لسان ممثليها بصورة رسمية استعدادها التام للتنازل عن سيادتها في تكوين (دولة عربية) تجمع تحت رايتها جميع شعوب الأمة العربية ...

ولم تكتف في دستور ١٩٥٠ بالنص على (عروبة سوريا) بل أشارت إلى (وحدة الأقطار العربية).

(... وبما أن شعبنا الذي هو جزء من الأمة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله يتطلع إلى اليوم الذي تجتمع فيه أمتنا العزيزة في دولة واحدة، وسيعمل جاهدا على تحقيق هذه الأمنية المقدسة في ظل الاستقلال والحرية). وجاء في قسم رئيس الجمهورية والنواب: (وأن أعمل على تحقيق وحدة الأقطار العربية) ... وفي شأن الجنسية: (... ويكون تسهيل خاص للمغتربين وأبنائهم وأبناء الأقطار العربية) ».

تلك شهادة الأستاذ ساطع الحصري لمؤلف سوريا في موكب وحدة العرب ...

فلا غرو أن رأينا – هذه المرة – سوريا تتبع الطلائع بالطلائع، والبشائر بالبشائر، من قرارات الأحزاب ثم المجلس النيابي ومجلس الوزراء، إلى إرسال الوفود والمشاركة في الجلسات، إلى إهداء العلم السوري – وهو الرمز المكرم الحبيب – ليرفع على منصة الرياسة في مجلس مصر!.

* * *

ولسنا – ونحن في زهو الأفراح – عن تبعات الوحدة بغافلين..

نحن نقرأ في التاريخ الماضي كيف قاست ألمانيا وإيطاليا المتاعب، ونعرف أن تبلور الوحدة واعتياد التكافل في المغارم والمغانم، وتقاسم الأعباء والمزايا يحتاج لمرونات الرجال...

ونحن نقرأ في التاريخ المعاصر كيف طاف طائف (وحدة أوربا) بالنفس، ثم استعمل جهودا متشابهة: منظمة سياسية تضم مجلسا وزاريا وآخر برلمانيا للاتحاد الأوربي، فاتحاد الصناعات الأساسية التي تناثرت مراكزها، ثم سوق مشتركة، ومشاورات متصلة حتى لا تظهر ثلمة من جراء فرقة، وما زالوا في الطريق.

فنحن نعلم أن الاقتصاد السوري لا يحوي مناجم الذهب السهلة التي سيغترف منها المصريون بالأكوام ، كما أن الاقتصاد المصري لا يضم الكنوز التي سيسطو السوريون مجهودهم ليحملوا منها بالأطنان ! ونحن نعلم أن العدو يتربص بمصر الدوائر من أجل (استراتيجيات القناة) وظروف مصر الجغرافية والمصرية ، كما نعلم أن العدو يتربص بسوريا الدوائر وراء (استراتيجيات البترول) !! ونحن نعلم أن الصراع بين الكتلتين يدور ولا ينتهي ، وأن الشرق الأوسط صار من ميادينه ، ونحن اليوم بين الشد والجذب نريد عدم الانحياز ..

فموقفنا دقيق .. ينبغي أن نكون بنيانًا مرصوصًا يصمد لضغط الأخطار من الخارج ، ويتغلب على ضغط الأهواء في الداخل ، ينبغي أن ننجح في أن (نضبط) أعصابنا ، ونضبط قراراتنا الاقتصادية والتنظيمية والدعائية على السواء ... ويجب ألا نتجه لغير العمل والواجب ، وحينئذ نسلم من عدونا ونضاعف إنتاجنا .

* * *

ثم وافتنا الأنباء عن اتحاد جديد بين الأردن والعراق ..

والرئيس بورقيبة أمنية في اتحاد عربي لشمال إفريقيا يضم تونس والجزائر ومراكش وليبيا أيضًا إذا أمكن ، وليس في هذا الاتحاد أو ذاك إلا بادرة الخير ، عاد تزحزح الحواجز المصطنعة التي يضعف قلاعها عصر ولو بالتدريج !

ولن يحول الخلاف السياسي العارض لبعض الوقت في جيل من الأجيال ، عن تقدير خطوة تؤكد مستقبلًا أفضل لأمة العرب على مدى الأجيال !

إن اتحاد الملايو خطوة نحو خير المسلمين لو أحسنوا الإفادة منها ، وإن تباعد الاتحاد في كنف (الكومنولث) ، وكذلك اتحاد (مشيخات الخليج) لو تم — أو أريد له أن يتم — كلها خطوات نحو الأمل المرموق ، مهما كانت الأيدي التي تصنع والأهداف التي تقصد !!

وراء الأيدي يد القدر ، وأمام الهدف المصنوع هدف مطبوع على صفحات القلوب ...

ولنذكر جميعًا أن (كندا) التي استبقتها بريطانيا في إطار روابطها ، ما فتئت تتحرر تدريجيًا من هذه الروابط ، وهي اليوم أقرب إلى (الولايات المتحدة) جارتها وشقيقتها

منها إلى بريطانيا التي يضمها وإياها (الكومنولث) ومركزها السياسي والاقتصادي قد يفوق مركز بريطانيا نفسها في كثير من الجوانب والأطراف .

* * *

هكذا يعود التاريخ إلى مجراه . .

وتضم دولة واحدة (المسجد العتيق : مسجد عمرو) بالقاهرة والمسجد الأموي في دمشق ... بعد أن جمعتهما قبلة واحدة ويتعاون (الأزهر) مع (الكلية الشرعية) ...

تحية من مصر إلى دعاة الحركة العربية من العرب الأحياء الذين يشهدون معنا عيد العرب :

تحية إلى الرئيسين جمال عبد الناصر وشكري القوتلي ، وإلى السادة صبري العسلي وصلاح البيطار وإحسان الجابري ، والسيدين اللذين يمثلان في عبد رحمت محمود فوزي وعلي صبري ، وتحية إلى محب الدين الخطيب وساطع الحصري ، وما أكثر ما دافعا عن العروبة وبصرا العرب بهما مثل (شكري) القومية العربية الرواد ، الذين ما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا ...

ثم تحية إلى ربوع الأرض المقدسة التي بارك الله حولها . تحية إلى شهداء فلسطين وإلى أحياء فلسطين ...

وأخيراً : تحية لكل دعوة نحو الوحدة في كل ديار العرب .

وإلى الإسلام جميعاً : نحقق به وحدتنا ، ونوثق عروتنا ، ونؤكد قبلتنا ، ونقيم شرعتنا ، ونذيع في العالم رسالتنا ، لننهض بالأمانة الملقاة على عاتقنا :

« وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون » .

فتحي عثمان

« تهنئة »

نحيي المواطن العربي الحر عبد الحميد السراج ، في امتحان القومية العربية ، بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى ، وسقط المتحسرون ، فنهنئه .

عن المجلة
إبراهيم عبد الأصيل

وحدة مصر وسوريا

أمل تحقق بعد طول كفاح   في وحدة كانت منى الأرواح

سار البشير بها لأمة يعرب   مستبشراً في نشوة الفراح

متهلل القسمات يشرق وجهه   مثل الغزالة في النهار الضاحى

وبصوته الرنان أعلن وحدة   سر الصديق بها وغص اللاحى

يا سرى بين الربوع كما سرى   نفح الشذى بأريجه الفواح

طربت له أبناء يعرب كلها   واستقبلته ببهجة الأفراح

واستبشر القدس الشريف وكبر الـ   ـبيت العتيق مهللا (بصلاح) [1]

وشدت بلابل في الرياض تهز أغـ   ـصان الغصون الزهر في الأدواح

فكأنما أغصان كل خميلة   تصغى لصوت الطائر الصيداح [2]

وتردد الإنشاد خلف طيورها   في هزة وتمايل وصياح

إن الطيور شدت لفرحة يعرب   طربا بكل عشية وصباح

المطربون بصوتهم وبنايهم   وبعودهم ناغوا على الصداح

ما أعذب الأنغام إن هي رددت   في السمع صوت المطرب الصداح

يتلو نشيد العاشقين مرجعا   لحن الورق بنشوة ومراح

لحن يروى الظامئين مسلسل   متدفق حلو المذاق قراح

• • •

قل للزمان اليوم حفل وحدة   للعرب تم لبابها بنجاح

الله راعيها إلى غاياتها   والروح ظللها بظل جناح

و(محمد) والصحب في طرب بما   قد حقق الرحمن من إنجاح

والعرب تهتف في البلاد بفرحة   قد بددت ما كان من أتراح

والنيل صفق كالطروب مهنئا   (بردى) يفيض بمائه الوضاح

[1] صلاح بفتح الصاد وكسر الحاء اسم لمكة المكرمة.

[2] الصيداح والصداح بمعنى.

وتبسمت فى الشام أزهار الربا — وافتر فى الوادى ثغور أقاح
لم لا تشاطرنا الطبيعة حبرة — حتى من أجل منافع المساح ؟

• • •

مصر وسوريا وحدتهم دولة — كبرى بناها فالق الإصباح
جمعتهمو لغة الكتاب وشرعة — تدعو إلى التوحيد والإصلاح
وأرومة لفت كريم عروقهم — فى سادة شم الأنوف صباح
لما دعا داعى الوفاق لوحدة — لبوا وما سمعوا مقالة لاح
وسعوا لتطهير الشعوب وأخلصوا — لله ، فى نبل تصافح بالراح
وتشاوروا فى حل كل عظيمة — وذهاب أضغان ، ودرء جراح
وسموا على الإخلاص أعظم دولة — قامت بأيدى مصلحين صحاح
كفل الإله لها البقاء على مدى الـ — أيام خالدة بغير براح
ما كان بدعا وحدة عربية — أوحى بها لصلاح شعب واح
هى وحدة الأهداف والغايات والـ — سمعة التى راقت بيان فصاح
إن الثقافة والمصالح لم تزل — تهفو بأرواح إلى أرواح

• • •

لله وحدة إخوة لبوا بها — صوت الضمير الناصح الملحاح
ستعيد للعرب الكرام مكانة — فوق المجرة فى مدار براح [1]
وتمن أوطان العروبة بالظبا — وأسنة مسنونة ، ورماح
من نال الاستقلال كان عليه أن — يحمى حماه بهمة الضحضاح [2]
الحق فى هذا الزمان مضيع — إن لم يصن بقوة وسلاح
إن التجارب كلها قد أثبتت — ألا بقاء لنا بغير كفاح
والعرب ما ظفروا ببعض حقوقهم — إلا بحد صوارم وصفاح
صمدوا فعادوا بالتحرر بعد ما — طردوا الغزاة بقوة الجحجاح

[1] براح بفتح الباء وكسر الحاء اسم الشمس .

[2] الضحضاح من أسماء الأسد .

قد حققوا استقلال مصر بلادهم — استقلال حر باسل نصاح

• • •

يا أيها العرب الأباة توثبوا — في البر والأجواء والقباح [١]
حتم الفداء صريحة قد أوجبت — تقديم أنفسكم لأشرف ساح [٢]
هبوا الحياة إذا دعا داعي الفدا — والبذل للأوطان خير صلاح
لا ترهبوا الأعداء إن هم هددوا — ما يرهب الآساد صوت نباح
لا تخشوا الموت الزؤام فإنما النـ — ـصر قد حققن في الألواح
لا تتركوا حمل السلاح وارهبوا — جيش العدو بصارم جراح
أجناد الاستعمار مازالت على — أوطاننا في غاد ورواح
هذي الجزائر ما تزال تحارب الـ — ـأعداء فوق أريضة وبراح
و(عمان) في حرب عوان دوخت — فيها العدا بسباسب وبطاح
لو أنصف العرب الأباة لوحدوا — كل القوى، وتصافحوا بصراح
ونضوا على أعدائهم في وثبة — تجتاحهم بالجحفل الطراح
إن التخاذل والتقاطع بينهم — ترك العروبة في مهب رياح
والله لا يرضى التفرق بعد ما — جاء الحنيف بنوره الوضاح

• • •

قل للذين تخلفوا عن وحدة — والله ما عذر لكم بمباح
الله يأمركم بجمع شتاتكم — والدين يطلب ذاك في إلحاح
وكتابكم ينهى لترك تنازع — ويهيب بالتوحيد في إفصاح
عودوا إلى هدى الكتاب فإنه — ما جاءكم بتقاطع وشياح [٣]
إن العروبة تلك أسمى دوحة — سنحت بضم صفوفكم وصفاح [٤]

---

[١] القباح: البحر الواسع.
[٢] الساح جمع ساحة.
[٣] الشياح بكسر الشين الإعراض.
[٤] الصفاح بكسر الصاد مصدر صافح.

مرني بأن تتحدوا لتصبحوا خالصا ... في وحدة تدعو إلى الإصلاح
بالله لا تهنوا ولا تتنازعوا ... يوما فتذهب ريحكم كرياح
لا تتركوا وطن العروبة نهبة ... للناهبين له ، وقداح
ولكم (بأندلس) مواعظ لم تزل ... تبكي العيون لرزئها القداح
كانت بها للمسلمين ممالك ... قد ضيعت بتفرق وتلاح
لم يبق للإسلام فيها غير ما ... تركته من حزن لنا ونواح
وخذوا تجارب من (فلسطين) التي ... قد أصبحت أبناؤها بجراح
وطن العروبة في فلسطين غدا ... لبني (يهود) علا بنجاح
عاثوا به مثل الذئاب فصيروا الـــساحات مسفكة لكل إباحي
فمتى أرى تلك العصابة شردت ... وعدتهم بسيوف يعرب ماح ؟ !

* * *

أبني العروبة فاصغوا آذانكم ... لسماع نصح الصادق النصاح
مصر وسوريا قد دعتكم دعوة ... للحق ، فاستبقوا بغير جماح
وذكرا أمجادكم وملك (أمية) ... بالشام فوق ممالك ونواح
وضع الأساس له (معاوية) الذي ... ساس الشعوب بحكمة وسماح
قد مد سلطان العروبة واسعا ... في المشرقين على قرى وضواح
وتذكروا (بغداد) وهي مدينة ... شعت بنور العلم كالمصباح
شرفت بأيام (الرشيد) وشبله (المــــأمون) للإسلام خير وشاح
وهت حضارتها على أسس غدت ... لحضارة الأجيال كالمفتاح
وجيوشها الجرار كالآساد قد ... غلبت على دول عظمى صاح
وتذكروا عصر الفواطم زاهرا ... في (مصر) بين توثب وطماح
شيد (المعز) به لمصر دولة ... عظمى مهيبة قائد فتاح
وبنوا لنا (المعمور) فيه أئمة ... بالعلم والعرفان غير شحاح
فاحت على الآفاق منه مناهل ... فياضة كالصيب السحاح
وهي الحنيف لمن يعز بدينه ... وكتابه ، والصادق المصباح
واليوم ناداكم بصوت ناصح ... لله ، فاستمعوا نداء الواحي
لا تخذلوا إخوانكم في مصر أو ... في الشام إن دعيا إلى إصلاح

فيهم (صلاح الدين) قام بجوده … قـــدس أحمى بصارم فتاح
وتمشت عليه جيوش الاستعمار في … زي أصدقاء من الصليب تلاحي
زحفا وما كان الصليب مهاجما … بل جيء دين محبة وسماح
وأخو الحنيفة لا يروع آمنا … في سربه ، بأسنة وسلاح
لكنهم جعلوه دين تعصب … أعمى يسوق الناس بالمطواح [1]
لم يبق في قوس التصبر منزع … عند ابن (أيوب) الفتى الصلاح
فأعد جيشا للدفاع تخاله … جند الإله يقوده جيش (صباح)
يحمي شريعته ويدفع خصمه … بكتيبة مثل الأسود رداح
طرد الغزاة من البلاد كأنهم … حيث التقاه أمام سيل جلاح [2]
خرجوا جميعا والدمار يعمهم … والخزي عند هزيمة الجناح
والغرب أصبح بعدها في مأتم … والقبط والإسلام في أفراح

• • •

اليوم والتاريخ يرجع نفسه … مصري (جمالا) في مكان (صلاح)
سيفه عن المسلمين وجندهم … بجنوده الأبطال ، يوم جياح [3]
فهو الذي أجلى الغزاة عن الحمى … وبنى لمصر قواعد الإصلاح
وأشاع في كل المرافق نهضة … عظمى تبشر مصر بالأرباح
بعثت عزيمته الكنانة بعدما … دست وراء الترب والصفاح [4]
فكأنما أحيا المسيح رفاتها … فسرت به الأرواح في الأشباح
والحب مقرون بحب الـــبطل الرئيس ووجهه الوضاح [5]
أقسمت ما اشتدت بمصر أزمة … إلا رأت حلا من الفتاح
فاستبشروا يا عرب … بالـــمقدام ، والإلهام ، والنجاح ، والفلاح

---

[1] المطواح : العصا .
[2] سيل جلاح هو الذي لا يبقي أمامه شيئا .
[3] جياح بفتح الجيم وكسر الحاء اسم المعركة .
[4] الصفاح الحجارة العريضة .
[5] الوضاح الصافي .

إن الذي احتازت عناية ربكم   سيكون للظلماء نور لاح [1]
ليل الخطوب قد انجلى وبدا لنا   فجر الوليد بسيفه الجحجاح [2]
عرف الذي قد صح من أمجادنا   عرفا بطرف للعلا طماح
طل رأى (الفوتى) به قوة   في عزمه، وذكائه الوضاح [3]
ومنح مولاه له ما لم يكن   يوما لأعظم قائد جحجاح
يمضي إلى غاياته في عزمة   تحكي عزيمة بيهس [4] صاح
ثبت الجنان محنك مستيقظ   فطن لبيب، بالمكايد صاح
اختاره (شكري) لأسمى غاية   وزجا (ليعرب) فيه كل فلاح
أديت يا (شكري) الأمانة حينما   بيد الأمين وضعتها يا صاح
سيظل ما أديت مذكورا على   سمع الزمان بألسن الإفصاح
ويدوم ذكرك في العروبة هاديا   كالنيرات الزهر في الإصباح

• • •

لله تضحية (لشكري) ذكرت   (بأبي الوليد) القائد الفتاح
في وقعة (اليرموك) أضحى مؤثرا   لله، لم يركب هوى الجماح [5]
ترك القيادة (خالد) متنازلا   لأبي عبيدة عامر الجراح
وأطاع أمر صغيره وأميره   وعلى الصبا برحبة المرتاح
وانضم جنديا يعاون قائدا   بحسامه، وبصيحة النصاح
والمؤمن الأواب ينكر ذاته   إن عاد ذاك لقومه برباح [6]
هذا هو الإسلام في تعليمه   لا يبتغي في الحكم غير صلاح

محمد مختار سليمان بدير
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[1] اللاح: الصبح.
[2] الجحجاح: السيد.
[3] الوضاح: الواضح.
[4] بيهس من أسماء الأسد.
[5] الجماح: صيغة مبالغة من جمح.
[6] الرباح: الربح.

كلمة

عن تاريخ اليمن وأطوارها

بمناسبة مولد الجمهورية العربية المتحدة وما تبع ذلك من اتجاه كريم للدول العربية المتحررة للانضمام إلى هذه الجمهورية المتحدة، إما بالوحدة أو اتحاد فيدرالى، وفى مقدمة الدول العربية التى أعلنت عن هذه الرغبة مملكة اليمن ؛ لذلك نعرض ولو بقدر للقراء مجلة الأزهر لتاريخ اليمن القديم وأدوار حياتها وأطوار وجودها التى مرت بها من أقدم العصور إلى يومنا الراهن . حين يعرض الناس الكلام عن الحضارة العربية أو أثر حرية العرب فى التقدم الإنسانى ، تنصرف بذاته الناس فى الأعم الأغلب إلى العصر الذى انبلج فيه نور الإسلام ، فطهر قلوب العرب وآخى بين عشائرهم . فخرجوا يفتحون الأمصار وأنشأوا دولتهم العظيمة .

ولكن قبل مولد النبى العربى بأكثر من ١٠٠٠ عام ، كانت هناك فى بلاد العرب حضارة مثيلة لا تقل عن الحضارات الأخرى فى بلاد الشرق، وما زالت بقايا هذه الحضارة قائمة فى بعض جهات اليمن ، فمعابد السبئيين وآثارهم الأخرى التى بنيت فى القرن الثامن قبل الميلاد، ما زالت تطاول السماء فى أسوارها الضخمة، وأعمدتها المرتفعة، كما نقش سكان اليمن القدماء على جدران بعض معابدهم، وعلى لوحات من الحجر والنحاس بعض أخبارهم، فأصبحنا نعرف الكثير عنهم . وليس القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام هو مبدأ ظهور الحضارة فى اليمن ، ولكنه تاريخ عهد معروف ، ولا شك فى أن مبدأ ازدهار الحضارة فى تلك البلاد يعود إلى عصر أقدم من هذا العصر ببضع مئات من السنين أو أكثر من ذلك . كما أن صلة اليمن بالبلاد المجاورة لها يرجع إلى آلاف السنين، ولا يخالجنا شك فى أن دراسة آثار اليمن بعد حفر مناطقها الأثرية ، سيلقى كثيرا من الضوء ليس على تاريخ هذه الجزيرة فحسب ، بل سيوضح لنا الكثير عن صلة الحضارات القديمة بعضها ببعض ، والدور الذى لعبه قدماء اليمنيين فى تاريخ حضارة الشرق .

أقدم الصلات بين اليمن وغيرها من البلاد :

نعرف من الآثار المصرية أن المصريين القدماء كانوا يقومون منذ فجر تاريخهم برحلات بحرية في البحر الأحمر لإحضار البخور المشهور في بلاد اليمن ، وأشياء أخرى من بلاد بونت ، وهي البلاد الواقعة حول بوغاز باب المندب على الشاطئين الآسيوى والإفريقي أى بلاد الصومال ، وجنوب اليمن وحضرموت .

ولقد كثرت هذه الرحلات منذ ألف عام قبل الميلاد ، واستمرت حتى آخر أيام الحضارة المصرية ، وأشهر هذه الرحلات هي الأسطول الكبير الذى أرسلته الملكة المصرية الفرعونية « حتشبسوت » في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وعاد محملا بخيرات تلك البلاد كما عاد أيضا ومعه أشجار البخور ليغرسها في معبد الإله آمون . وقد نقش النقاشون المصريون على جدران معبد هذه الملكة في البر الغربي بالأقصر « وهو المعروف باسم معبد الدير البحرى » تفاصيل هذه الحملة وخيرات بلاد بونت ورسموا بعض بيوتها وحيواناتها وأهلها وأسماك البحر الأحمر .

ومما تجب الإشارة إليه أن الصلات التجارية بين مصر واليمن ، لم تقتصر على مدن الشاطئ بل وجدت طريقها إلى داخل البلاد . وفي اليمن آثار مصرية أهمها جعران من عهد الملك « أمينوفيس الثالث » ، من الأسرة الثالثة عشرة المصرية في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وبعض آثار مصرية أخرى يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد .

ولكن هناك ما هو أرقى من هذه الصلات التجارية ، فقد عرف قدماء المصريين أن بعض أجدادهم أتوا من طريق « قفط القصير » ، كما أنهم يزعمون أن بعض معبوداتهم بينه وبين بلاد العرب صلة .

وكما اتصلت بلاد اليمن بمصر ، فقد اتصلت ببعض الحضارات الأخرى في أوقات شتى . وقد ورد على آثار السومريين منذ عام ٣٤٠٠ قبل الميلاد إشارات إلى الصلة بينها وبين الجزيرة العربية .

وفي آثار الملك « تجلات بلاسر الثالث » حوالى عام ٧٣٦ قبل الميلاد أنه أخذ من أهل سبأ جزية من الذهب والبخور والجمال .

أما صلة اليمن بالشاطئ الإفريقي فلابد أنها بدأت منذ أقدم عصور التاريخ ، وتركت القبائل اليمنية على الشاطئ الإفريقي وأحيانا داخل البلاد أثرا لا يخفى من حضارتها وثقافتها منذ آلاف السنين إلى اليوم ، وأهل يكسوم القدماء ليسوا في الأصل إلا بعض من هاجر من اليمن إلى بلاد الحبشة .

ذكر حضارة اليمن في الكتب المقدسة :

يتبين من القرآن الكريم ومن التوراة بجلاء ، المدى البعيد الذي وصلت إليه حضارة اليمن . وحسبنا الإشارة إلى قصة النبي سليمان وملكة سبأ ، ووصف مملكتها وعرشها لإدراك ما كانت عليه اليمن حوالي عام ألف قبل الميلاد .

وجميع هذه الأطوار المختلفة يشير إليها الكتاب المنزل في سورة سبأ ، كما ورد ذكر ممالك معين وسبأ في التوراة وفي كتب الأنبياء .

وحسب المرء أن يدرك من بين هذه الإشارات ما كانت عليه اليمن من حضارة ، وما كان في أيدي بنيها من سيطرة على الاقتصاد الشرقي القديم ، وذلك قبل سطوع نور الإسلام بأكثر من ١٢٠٠ سنة .

علاقة اليمن بالرومان واليونان :

ولم تخل كتب مؤرخي اليونان والرومان من ذكر الجزيرة العربية « اليمن » وذكر المعينيين والسبئيين والحميريين وذكر تجارة العطور والبخور التي كانت رائجة في أيدي أبناء اليمن ، واعتمدوا عليها تسويقا لتجارتهم عادت على أبناء البلاد بأبرك الثمرات وأطيب الفوائد . ولم يكن مسموحا للسفن الهندية أن تجتاز ميناء عدن يومئذ . فكانت مضطرة إلى أن تبيع أحمالها إلى تجار اليمن الذين كانوا ينقلونها بقوافلهم إلى أسواق الشام ، مخترقين تلك الجزيرة العربية من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال . ومن غزة تأخذ طريقها شرقا إلى بابل ، أو غربا إلى مصر ومنهما إلى أوروبا . وتعود قوافل اليمنيين من الشام محملة بكل ما يجدونه في أسواقها ويبيعونها مرة أخرى لسكان الجزيرة أو إلى غيرهم من التجار .

أما حضارة اليمن الإسلامية المشرقة في عهدها الأخير ، وما عرض لها من تطورات تبعث على الفخر والإعجاب والزهو والإطناب بنهضاتها المختلفة ، وما شاع فيها من النهضة العربية والحياة الإسلامية الكاملة ، وما ربط بينها وبين البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب العربي ، فوعدنا بإيفاء كل ذلك حقه في فرصة مواتية ما

عباس طه

شيخ الجامع الأزهر

يستقبل وفد علماء يوغوسلافيا

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمكتبه صباح الاثنين خامس شعبان (٢٤ /٢/ ١٩٥٨) وفد علماء يوغوسلافيا برئاسة الحاج سليمان كيموزا رئيس الجامعة الإسلامية اليوغوسلافية ، وعضوية السيد / بدرى عبد الحميد رئيس علماء مقدونيا ، والسيد / يرم أغاتى رئيس مجلس علماء صربيا ، والسيد / الحاج مصطفى شوا عضو مجلس علماء البوسنة والهرسك ، والسيد / جودت طالسكا عضو هيئة علماء المسلمين فى سراى بوسنة . وكان الحديث يدور حول أحوال المسلمين فى يوغوسلافيا واهتمامهم بأخبار العرب ، لأن قوتهم قوة للإسلام ، وسرورهم بقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وتقديرهم للأزهر فى نشر رسالة الإسلام فى جميع بقاع الأرض .

وقد أكد لهم الأستاذ الأكبر أن الإسلام هو دين الوحدة التى لا تعرف التفرقة والعصبية ، وأن قوة المسلمين فى اعتصامهم بكتاب الله ، وتضامنهم حول كلمة الحق ، كما ذكر لهم استعداد الأزهر لتلقى طلاب العلم من جميع أرجاء العالم ، وتيسير وسائل الراحة لهم ، واستعداده لإرسال البعوث الأزهرية إلى من هم فى حاجة إلى تعلم الدين والتزود من ثقافته .

وقد ألح الوفد فى طلب تشريف الأستاذ الأكبر لبلادهم بالزيارة ، لأن مليونين من المسلمين هناك فى أشد الشوق لمقابلة شيخ الجامع الأزهر الذى أفاد من ثقافته المسلمون فى الشرق والغرب ، فوعدهم فضيلته بهذه الزيارة عند ما تسمح الظروف ، وقد أهداهم فضيلته بعض المصاحف والكتب الدينية ومجموعات من مجلة الأزهر .

حفل كريم

وجه سعادة سفير جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية ، الدعوة إلى الأزهر والهيئات المختلفة ، للاشتراك فى تكريم السادة علماء يوغوسلافيا ، فى حفل زاهر ، أتيح فيه التعرف والاطمئنان على أحوال مسلمى يوغوسلافيا ، مما يزيد العلاقات الودية بين جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية واتحاد الدول العربية قوة وازدهارا .

وأسرة تحرير المجلة تتوجه بالشكر الوافر إلى سعادة سفير جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية على دعوته الكريمة لها بحضور الحفل ، وتشيد بالرفاهية والسعادة التى يعيش فيها مسلمو يوغوسلافيا مع مواطنيهم ، برعاية رجل السلام واتحاد الرئيس تيتو العظيم .

« فلتنقذوا جميـــــلة »

باسم الله الرحمن الرحيم
باسم الله العـادل الحكيم

السيد داج همرشولد سكرتير الأمم المتحدة، باسم الأحرار فى كل مكان ، باسم النضال المقدس من أجل السلام ، باسم كفاح البشرية الطويل المرير ، لتدعيم المعانى الإنسانية والقيم الأخلاقية ، باسم الأزهر أقدم جامعات العـالم .

نناشدكم

الإسراع فورا لإنقـاذ « جميـــــــــــــــــــلة » .

توقيعــــــــــــــــــــــات

(شيخ الجامع الأزهر) (وكيل الجامع الأزهر) (سكرتير الجامع الأزهر)
(أعضاء جماعة كبار العلمـاء) (شيوخ وأساتذة وطلاب الكليات والمعاهد الدينية)

الأستاذ الأكبر يهنىء السيد الرئيس جمال عبد الناصر

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة — دمشق

باسم الأزهر أبعث إلى سيادتكم بخالص التهنئة على الخطاب الوطنى الرائع الذى كشفتم فيه مؤامرة أعداء الوحدة العربية ، التى جاهدتم أنتم وفخامة الرئيس شكرى القوتلى ورجالات العرب الأحرار لتحقيقها ، وأحيى جيش الجمهورية فى شخص الضابط المخلص (عبد الحميد السراج) ، الذى ضرب المثل الأعلى فى الشرف والكرامة والتضحية بكل العروض والمغريات فى سبيل مجد العروبة ، وتقوية أركان الجمهورية المتحدة .

حقق الله على يديكم الآمال ، وأدام لكم التوفيق والسداد .

شيخ الجامع الأزهر

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة — دمشق

بمناسبة إعلان الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة أتقدم لسيادتكم وللشعب العربى بأخلص التهانى بهذا التوفيق العظيم فى دعم الوحـدة العربية ، وبناء الحياة الدستورية على أسس قومية سليمة ، ترد للشعب اعتباره ، وتكفل له حريته وحقوقه ، وتسير به فى خطا آمنة إلى المجد والعزة والسيادة .

فإلى الإمام يا قائد العروبة ، تحرسك عناية الله ويحدبك جندك المخلصون .

شيخ الجامع الأزهر

تعليقات

مهاجمة الدكتور عبد العزيز القوصي لبرامج الدراسة في الأزهر

مما قاله الدكتور مستشار التربية والتعليم – فيما نشرته الأهرام يوم ١٩٥٨/٣/١ – :
مناهج الدراسة بالأزهر لا تتصل بالحياة الواقعية –

١ – وهذا الكلام وما يرادفه ، تجديد لدعوة سابقة إلى – الخطوة الثانية – والحد من الصيحين المتأمركين في التخصص من الدراسة الإسلامية ، والاكتفاء منها بما تقدمه المؤسسات اليهودية الأمريكية ، ويترجمه لنا القوصي ، وينشره في الجمهورية العربية المتحدة بمعرفته ، وعنوانه ، كمستشار للوزارة ، ورائد الثقافة المعاصرة .

وهو ينشره باسم الثقافة ، والتربية ، والعلم ، وما إلى هذا من الألفاظ الخادعة ، وليست من هذا في قبيل .

وكأن الأستاذ القوصي المستشار – والمستشار أمين ، ، والرائد – والرائد لا يكذب – كأنه بعد أن فرغ من إصلاح التربية في وزارة التربية ، وبعد أن ركز التعليم في المدارس كلها على كتب – شرشر ، ورورو ، وبربر – تفرغ ، لاتجاه نحو الأزهر ليشمل فراغ نفسه بما كتب ، وبما اقترح .

وكأنه بالخوض في سياسة الأزهر يتم رسالة موكولة إليه ، وينفذ خطة وضعت له . . والرجل تحت هذه الأعباء كلها نسى أمورا ألصق به مما تعرض له ، وهي ورطة هو واقع فيها قبل أن يتورط في شأن الأزهر : مما لا يتصل به كموظف ، ومما لم يسأل عنه كمستشار لشيخ الأزهر – بل مستشار غير ناجح فيما يخصه .

٢ – القوصي المستشار الفني للتعليم تلقى ضربات قاسية في تقارير ديوان الموظفين وتقارير وزارة الخارجية عن هبوط المستوى العلمي ، وضعف المتخرجين في الكليات

الخاصية » . ونظير هذا ما ذكرته التقارير مثل التعليم الأساسي في المدارس التي تعتبر مصدر التموين للجامعات ، ومع هذه الملاحظات المريرة يفهم المستشار أنه فرع من عمله ، ويجمع فيه ، فلا مانع أن يعيب على الأزهر بشيء من كفايته ، ولو لم تكن له صلة ، ولا خبرة بما لدى الأزهر من تقدمة وكتب .

٣ — القوصي الرائد للثقافة يتكفل بترجمة كتب أمريكية ، تقوم بنشرها مؤسسة تدعى – مؤسسة فرنكلين – وهذه كتب خبيثة غايتها البحث في إفساد النشء ، ودفعهم إلى المجون ، وانتزاع الحياء من وجوههم ، وإغرائهم بالمجاهرة على الأعراض ولو في الطرقات العامة ، وتزعم هذه الكتب أن الإقدام على هذه المحارم شجاعة ، والتعفف جبن ، وهكذا مما يطول الحديث عنه ، والقوصي يترجمه فتحا للفاحش ، ويروجه لها ، وييسرها على الشباب يعتبر نفسه محاربا للهيئة الرجعية ؛ أما الأزهر فآخذ بكتب قديمة فيها ما ينقض هذه المزاعم ، وفيها ما يحول بين الناس – وخاصة الشباب – وبين هذه المآثم الإجرامية ، وفيها تثقيف صحيح للدين والدنيا ... ومادامت مؤسسة فرنكلين تغدق الدولارات وتملأ بها جيوب دعاتها فواجب على المستطيع أن يكون وفيا لها ، وطاعنا على الأزهر بما يسميه الحياة الرجعية ، وهي في الحق وقاية أولئك الوجوديين الذين ينحللون من العقيدة في الله ، ومن التدين بصفة عامة ، ويؤمنون بما يحسونه فقط ، ويعملون بما يشتهون ، وإن قام هذا الاتجاه على نقض الأخلاق وهدم القيم .

٤ — لم يطلب الأزهر من المستشار إبداء رأيه في شيء ما .

ومستشار لغير الأزهر لا يملك التدخل فيه من تلقاء نفسه ، ولديه متسع يتيح له أن يتقدم بما يراه إن صح أن له رأيا ينصح به .

وهو أنه عضو في المجلس الأعلى للأزهر ، عليه أن يتقدم بمشروعه إلى هيئة المجلس ليأخذ نصيبه من البحث قبل الإعلان ، كما هو الشأن في موقف العضو من الجماعة ، ولو كان عضوا في عصابة .

ولكن المستشار تجاوز واجبه المواضع ، واقتحم الصحافة خفاة ، ورمى الأزهر بحجر طائش ، لم يمس الأزهر ، بل ارتد إلى جبين صاحبه على غير توقع منه لذلك .

٥ — هناك دوافع ورغبات ، استبدت بتفكير المستشار الرائد ، وحملته على الخوض في شأن غير مفهوم عنده ، ولو أنصف الرجل نفسه لتحرى قبل أن يكتب ، حتى

لا يكشف للناس عن سقطته وهو رائدهم في عمل التفرقة كما يقال ، بل لو تحرى وأنصف لأشاد بنجاح الأزهر في رسالته أضعاف ما نجحت جهات أخرى ، فيها دكاترة كثيرون من خراس العصر الذهبي الإنجليزي ، ولا يزالون على ذلك الغرار يبشرون في مصر بعقول إنجليزية ، ويفقهون بمدارك مستعارة غير شرقية ، ويقلدون الاستعمار في حروبه علينا بتوجيهات تفسد قوميتنا ، وتنقص أخلاقنا ، وتنتزعنا من عناق الدين ، لتدفع بنا إلى إباحية مطلقة ، وتقصينا عن تقاليد كريمة ، هي صميم القومية العربية ، التي وضعها الإسلام قديما ، والتي طغت عليها عوادى الزمن ، حتى أفقنا أخيرا من غفلتنا ، وصحت الثورة تنادي بها ، وتسير حثيثا إلى تجديدها ، والاستظلال بعرشها ، والاستمداد من روحها وحيويتها ، وتلك هي القومية التي عاش الأزهر حارسا لتراثها .

٦ — شنع المستشار على ثقافة الأزهر ، وعلى مناهجه ، وكتبه القديمة التاريخ ، وعلى ألفية ابن مالك في النحو وطريقة حفظها الخ وأنا لا أقسو عليه كما قسا على الأزهر المظلوم وإن كان البادي أظلم .

بل أؤكد له أن في الأزهر مناهج حديثة ، تحوى طائفة جمة من المواد ، يعجبه أن يراها في الأزهر قبل أن يكون هو مستشارا برس .

في الأزهر مراقبة فنية تشرف على علوم الرياضة ، ومراقبة أخرى تشرف على الآداب وكلتا المراقبتين من رجال فنيين ، احتذبهم الأزهر من وزارة التربية والتعليم منذ عشرات السنين ، وفي الأزهر علوم التربية الوطنية ، والتربية الفنية ، ولغات أجنبية منها الإنجليزية — كما يحب المستشار الفنى — ومنها الفرنسية والألمانية ولغات أخرى ، وفي الأزهر قسم للدراسات الاجتماعية ، وفي الأزهر ثقافة عسكرية إجبارية ، وفيه نشاط رياضي ، وثقافي وكل هذه الجوانب تحت إشراف الإخصائيين من رجال التربية ، ووزارتي الشئون والدفاع .

وقد بدا نشاط الأزهريين في أسبوع الشباب الماضي فأحرزوا ميداليات التقدير والشرف ، وإن لم يعرف ذلك المستشار ؟ .

وبدا نشاط الأزهر في معرض الرسم المقام منذ عشرين يوما ، وزاره السيد وزير التربية ، وسجل فيه كتابة شهدت الحقيقة بقوة إبداع الأزهريين فيما عرضوه ، كما شهد به سفير أمريكا ، واقترح أن ينتقل المعرض الأزهري من قطر إلى قطر لو أمكن .

٧ — وفي الأزهر طبعا دراسة إسلامية عن وثيقة الإخاء بين أبناء العروبة ، وعن المزاج السماوي الذي جعل المسلمين أينما كانوا كتلة واحدة ، يعبر عنها بالعرب ، أو بالقومية العربية دون نظر إلى لون ، أو دم ، أو إقليم (إنما المؤمنون إخوة) .

هذه الدراسة يا دكتور قوصي يجب ويجب ويجب أن تتغلغل في المدارس والجامعات حتى تأخذ حظها من الدروس ، وحتى تنهض عليها القومية العربية التي كلفت نفسك توجيهنا إليها في حديثك ، والتي يفهمها الأزهر أكثر مما يفهمها غيره ، ويجب ويجب أن تبذل أنت نشاطك في الدعاية لها أضعاف ما تبذل في خدمة الكتب الأمريكية إن كنت جادا فيما تقول ؛ وكنت وفيا بأمانة مستشار في جمهوريتنا العربية المتحدة ! .

٨ — والأزهر يؤدي رسالته في الوعظ والإرشاد على أحسن وجه يكفل إصلاح المجتمع خلقيا ، ودينيا ، واجتماعيا ، مما لا تستطيع الثقافة المدنية أن تقوم بشيء منه ، بل مما تحتاج الثقافة المدنية أن تقتبس منه لتقدم ، نصيبا كبيرا .

٩ — يا دكتور قوصي ! ! غضبت ؛ لأن مجلة الأزهر اعترضت على نشاطك الأمريكي الدعوي ، ولأن واحدا من رجال الأزهر كشف عن مساوئ التعليم المدرسي والجامعي في محاضرة عامة ، فقمت تثور وتقول : كذا وكذا ، دمه عليك أتباعك .

وأخيرا : صارحتك بأن نقص الأزهر في شيء واحد . هو خلوه من صالة فسيحة لرقص الباليه وغيرها ، ولعلها تكون وندعو إليها من يعيبون الأزهر ، ليرقصوا عنه بعيدا ، ويكون راقصا معهم ، فانتظر مع الدكاترة الناصحين ما

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الأزهر في مباراة الخطابة والشعر

فازت الجامعة الأزهرية بكأس الرئيس جمال عبد الناصر في مباراة الخطابة والشعر التي أقيمت هذا الشهر في أسبوع شباب الجامعات .

وكان موضوع المباراة (تحية في الاحتفال بمولد الجمهورية العربية المتحدة) . وقد اختار المتبارون هذا الموضوع من بين عشرة موضوعات .



صفوة البيان ، لمعاني القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف — جزآن بالقطع الكامل ٤٨٦ + ٥٨٤ ص
نشره السيد حسن الشربتلي

هذه خدمة جديدة جليلة لكتاب الله عز وجل ، يقوم بها عصريا في عصرنا ، اقتداء بما قام به سلفنا في كل عصر ومصر ، من واجب العناية بالقرآن الحكيم ، وتقريب مقاصده من قلوب المسلمين وعقولهم .

وقد توجت صفحات هذا التفسير بالآيات الكريمة بحروف جلية جميلة ، مضبوطة بالشكل الكامل ، والعلامات المبينة للوقف والابتداء والوصل والفصل وغير ذلك مما امتاز به رسم المصحف العثماني ، مع بيان لذلك في ص ٥٨٣ — ٥٨٤ من الجزء الثاني بعد انتهاء الكتاب .

ويلي الآيات في كل صفحة صفوة البيان لمعانيها بأسلوب سهل مفسرا الآيات المحكمات بما فسرها به أعلام أئمة التفسير ، ونبه في المسألة الرابعة من المقدمة (١ : ٨) على مذهب السلف في المتشابه كآيات الصفات (الرحمن على العرش استوى ، كل شيء هالك إلا وجهه ، ولتصنع على عيني ، يد الله فوق أيديهم ، والسموات مطويات بيمينه) فقال : مذهب جمهور أهل السنة ، ومنهم سفيان الثوري وابن المبارك وابن عيينة ووكيع والأئمة الأربعة ، إنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى ، وترك تأويلها ، مع تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث . ونقل نصوص الأئمة في ذلك ، وهذا هو مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان .

وبالجملة فإن هذا التفسير الوجيز من خير ما يوضع في أيدي الجمهور لمعرفة ما يجب لهم معرفته من معاني القرآن ، وقد جمع إلى حسان التأليف حسان الطبع . وكما نشكر الأستاذ المؤلف على هذه الخدمة منه للإسلام نشكر الوزير السعودي معالي السيد الشربتلي على قيامه بنفقات طبعه ، وجعله نسخه وقفا لله عز وجل ، تولى الله مكافأتهما .

منهج القرآن فى بناء المجتمع

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت – ٢٣٢ ص – إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف

هذه فصول جمعت بين الإيجاز والإحاطة ، تناولت الحديث عن المجتمع الإسلامى كما يتحدث عنه الإسلام ، وقد رأت إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف أن تعمم به الجماهير فقامت بنشره . ومن أهم فصوله : أساس الإسلام فى رباط المجتمع . التجمل فى نظر الإسلام . التكالب على الدنيا . الروحية المهذبة . الإسلام دين العقل والعلم . مكانة العلم فى الوقاية من الأمراض . التضامن الاجتماعى . الأموال . التضامن المادى . أساليب القرآن فى الدعوة إلى الإنفاق . التسول . استغلال حاجة المحتاج . الدين والاجتماع . العبادات الإسلامية . العناية باليتيم . كيف تحيى العمل بالإسلام . الإسلام يدعو إلى التقدم . خير السبل لتوحيد كلمة المسلمين . الأعمال وأساس قبولها عند الله . الابتداع فى الدين . المعالم المحمدية واتصالها بالكون . العظمة المحمدية . القرية السعيدة . نتائج الميلاد النبوى . دعوة العلم والتعليم فى خدمة المجتمع . وهذا الكتاب هو الحلقة الخامسة من نشرات إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف . نلفت إليه الأنظار .

نظرات فى الإسلام

لفقيد الأزهر الدكتور محمد عبد الله دراز – ١٢٦ ص – المكتب الفنى للنشر

هذا آخر ما نشر من مؤلفات فقيد الأزهر الدكتور محمد عبد الله دراز ، ويتلخص موضوعه فى كلمة قالها المؤلف رحمه الله فى المقدمة « لقد نظرنا فى تاريخ الحركات الحربية ، وتاريخ الرسالات الإصلاحية ، ونظرنا فى تاريخ الدول الناشئة وتاريخ الدعوات الجديدة ، فما رأينا كرسالة الإسلام : لا فى تمكنها واستقرارها حيث حلت من أقطارها ، ولا فى عمق نفوذها وبعد آثارها » .

وهذا الحكم برهن عليه المؤلف فى أربعة فصول هى : مع التشريع الإسلامى ، فى حياتنا الاجتماعية ، بين المثالية والواقعية ، الإسلام والعلاقات .

وهو من الكتب الجيدة التى ينبغى لشباب المسلمين الاطلاع عليها ، والإحاطة بأغراضها ومراميها .

أنباء العالم الإسلامي

في طريق الاتحاد

في صباح يوم الجمعة ١١ رجب (آخر يناير) وصلت إلى القاهرة الطائرة المصرية التي أقلت الرئيس شكري القوتلي من دمشق ومعه السادة الوزراء صبري العسلي وخالد العظم وصلاح الدين البيطار وشاكر الكيالي ومأمون الكزبري وأسعد هارون وخليل الكلاس وحامد الخوجه وصالح عقيل واللواء عفيف البزري وفؤاد الجلبي والدكتور حسني سبح وفؤاد الشايب ، وكان يحرس الطائرة بين دمشق والقاهرة سرب من الطائرات المصرية النفاثة .

وكان في استقبالهم في مطار ألماظة الرئيس جمال عبد الناصر والوزراء المصريون ورجال السلك الدبلوماسي يتقدمهم سفير سوريا .

ودوت المدافع في أجواء المطار ساعة اللقاء تحية وتعظيما ، ثم توجه موكب القادمين والمستقبلين إلى القصر الجمهوري بالقبة ، وبعد راحة قليلة توجهوا إلى الجامع الأزهر لأداء فريضة الجمعة ، وكانت الهتافات تعلو بالتحية والدعاء للجمهورية المتحدة على طول الطريق ، والزهور تنثر على الموكب من شرفات المنازل ، والأعلام المصرية والسورية تخفق في كل مكان بين أقواس النصر وأنغام الفرق الموسيقية المختلطة بالهتافات والزغاريد .

ولما وصل الموكب إلى الجامع الأزهر كان في استقباله فضيلة الأستاذ الأكبر والوزراء وكبار العلماء ووكيل مجلس الأمة .

وبعد أداء صلاة تحية المسجد والاستماع إلى آيات الذكر الحكيم خطب على منبر الأزهر فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر والرائد الديني لجمعيات الشبان المسلمين وكان موضوع الخطبة (الوحدة في الإسلام) ، وبعد انتهاء الصلاة كان الازدحام الشعبي في طريق عودة الموكب أعظم مما كان عند القدوم فقطع ركب الرئيسين مسافة لا تزيد على كيلو مترين في أكثر من أربعين دقيقة .

وقد وجه السيد شكري القوتلي رسالة إلى الشعب العربي في مصر أعلن فيها أن ميثاقا جديدا للقومية العربية قد ولد ، وأنه سيكون نقطة تحول كبير في مجرى أحداث هذا الزمان .

وثيقة

إعلان الجمهورية العربية المتحدة

في يوم السبت ١٢ رجب (أول فبراير) وكان يوم عيد عام احتشدت فيه مئات الألوف من أفراد الشعب أمام دار رياسة الجمهورية

بالقاهرة ، وقف السيد صبري العسلي رئيس وزراء سوريا ، بإذن من الرئيسين القوتلي وعبد الناصر وتلا هذا البيان الرسمي معلنا وثيقة قيام الوحدة بين مصر وسوريا :

« في جلسة تاريخية عقدت في قصر القبة في القاهرة في ١٣ من رجب سنة ١٣٧٧ الموافق أول فبراير ١٩٥٨ ، اجتمع فخامة الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ممثل جمهوريتي سوريا ومصر (وذكر أسماءهم) وكانت غاية هذا الاجتماع أن يتداولوا في الإجراءات النهائية لتحقيق إرادة الشعب العربي ، وتنفيذ ما نص عليه دستورا الجمهوريتين من أن شعب كل منهما جزء من الأمة العربية لذلك تذاكروا ما قرره كل من مجلس الأمة المصري ومجلس النواب السوري من الموافقة الإجماعية على قيام الوحدة بين البلدين كخطوة أولى نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، كما تذاكروا ما توالى في السنين الأخيرة من الدلائل القاطعة على أن القومية العربية كانت روحا لتاريخ طويل ساد العرب في مختلف أقطارهم ، ولحاضر مشترك بينهم ، ومستقبل مأمول من كل فرد من أفرادهم . وانتهوا إلى أن هذه الوحدة التي هي ثمرة القومية العربية هي طريق العرب إلى الحرية والسيادة ، وسبيل من سبل الإنسانية للتعاون والسلام . ولذلك يؤمن واجبهم أن يخرجوا بهذه الوحدة من نطاق الأماني إلى حيز التنفيذ ، في عزم ثابت وإصرار قوي .

ثم خلص المجتمعون من هذا كله إلى أن عناصر قيام الوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية وأسباب نجاحها قد توافرت بعد أن جمع بينهما في الحقبة الأخيرة كفاح مشترك زاد معنى القومية وضوحا ، وأكد أنها حركة بناء وتحرير وعقيدة تعاون وسلام .

لذلك يعلن المجتمعون اتفاقهم التام وإيمانهم الكامل وثقتهم العميقة في وجوب توحيد سوريا ومصر في دولة واحدة اسمها (الجمهورية العربية المتحدة) — كما يعلنون اتفاقهم الإجماعي على أن يكون نظام الحكم في الجمهورية العربية ديمقراطيا رياسيا يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ، ويكونون مسئولين أمامه . كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعي واحد . ويكون لهذه الجمهورية علم واحد يظل شعبا واحدا وجيشا واحدا ، في وحدة يتساوى فيها أبناؤها في الحقوق والواجبات ، ويدعون جميعا لحمايتها بالأنفس والمهج والأرواح . ويتسابقون لتثبيت عزتها وتأكيد منعتها .

وسيتقدم كل من فخامة الرئيسين ببيان إلى الشعب يلقى أمام مجلس النواب السوري ، ومجلس الأمة المصري في يوم الأربعاء ١٦ من رجب سنة ١٣٧٧ (٥ فبراير) يبسطان فيه ما انتهى إليه هذا الاجتماع من قرارات ... كما

سيدعى الشعب في مصر وسوريا إلى استفتاء على أسس الوحدة وشخص رئيس الجمهورية.

والمجتمعون إذ يعلنون قرارهم هذا، يحسون بأعمق السعادة إذ شاركوا في الخطوة الإيجابية في طريق وحدة العرب حقبة بعد حقبة، وجيلا بعد جيل، وإذ يقررون وحدة البلدين يعلنون أن وحدتهم تتوخى جمع شمل العرب، ويؤكدون أن باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربي يريد أن يشترك معهما في وحدة أو اتحاد يدفع عن العرب الأذى، ويعزز سيادة العروبة ويحفظ كيانها، والله نسأل أن يكلأ هذه الخطوة وما يتلوها من خطوات بعين رعايته الساهرة ويجعل نتائجها النافعة، وأن يكتب للعرب في ظل الوحدة والعزة السلام».

إجماع ممثلي الشعبين

في الساعة الخامسة والدقيقة الأربعين من مساء الأربعاء ١٦ رجب (٥ فبراير) خطب الرئيس جمال عبد الناصر في مجلس الأمة بالقاهرة، وفي نفس اللحظة خطب الرئيس شكري القوتلي في مجلس النواب بدمشق، فأعلنا أسس الوحدة بين مصر وسوريا، وكان مجلس الأمة المصري يصفق في كل مرة يذكر فيها اسم الرئيس القوتلي، في الوقت الذي كان مجلس النواب السوري يصفق عند سماع اسم الرئيس جمال عبد الناصر. وقد أجمع المجلسان على القرارات المشتركة التي أعلنت يوم ١٢ رجب (أول فبراير) في وثيقة إعلان الجمهورية العربية المتحدة. وأعلن المجلسان في وقت واحد إجماع الشعبين على تحقيق الحلم الذي راود العرب وكان مشرق الوحدة. وقال جمال عبد الناصر: «يجب أن تتحول أمانينا إلى فيضان منظم، لا إلى طوفان عال شديد». ووصف القوتلي الوحدة بأنها: «حدث الأحداث في هذا العصر». وقال: «من واجبي أن أكون أول مواطن يرشح عبد الناصر الرجل المؤمن والقائد الملهم لرياسة الجمهورية العربية المتحدة».

الاستفتاء

في يوم الجمعة ٢ شعبان (٢١ فبراير) جرت عملية الاستفتاء في جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة (إقليم مصر، وإقليم سوريا) في الموافقة أو عدم الموافقة على قيام الجمهورية العربية المتحدة، وفي الموافقة أو عدم الموافقة على اختيار الرئيس جمال عبد الناصر لهذه الرياسة.

وقد وافق الناخبون في مصر على وحدة سوريا ومصر بأغلبية ٦١٠٢١٢٨ صوتا مقابل ٢٤٧، وكانت النسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعوين ٩٨,١٣ ٪، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى الآراء الصحيحة التي أعطيت ٩٩,٩٩ ٪.

ووافق الناخبون في مصر على انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية

المتحدة بأغلبية ٦١٠٢١١٦ صوتاً مقابل ٢٦٥ صوتاً ، وكانت النسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعوين ٩٨,١٣ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التي أعطيت ٩٩,٩٩ ٪ .

وفي سوريا كان عدد الناخبين المدعوين لإبداء الرأي ١٤٣١١٥٧ ، وقد اشترك منهم في عملية الاستفتاء ١٣١٣٠٧٠ ، والنسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعوين ٩١,٧٥ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التي أعطيت ٩٩,٩٨٪ .

ووافق الناخبون في سوريا على انتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة بأغلبية ١٣١٢٨٠٨ صوتاً مقابل ١٨٧ صوتاً ، والنسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعوين ٩١,٧٥ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التي أعطيت ٩٩,٩٨٪ .

جمال في دمشق

في الساعة الخامسة إلا ربعاً من صباح الاثنين ٥ شعبان (٢٤ فبراير) كان جماعة من قواد الجيش السوري يتقدمهم اللواء عفيف البزري وآخرون ينتظرون في مطار المزة بدمشق وصول القائد العام المشير عبد الحكيم عامر من القاهرة ، ولما فتح باب الطائرة فوجئوا بالرئيس جمال عبد الناصر وهو يهبط من سلم الطائرة ويمد إليهم يده مصافحاً ومن خلفه المشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وأنور السادات وعبد القادر حاتم .

وفي دقائق انتشر الخبر على الطريقة العربية إلى أحياء دمشق ، ثم إلى الضواحي ، فسائر المدن السورية ، فإلى لبنان ، والأردن ، والعراق . ولبث جمال عبد الناصر أكثر من عشرة أيام (إلى ساعة كتابة هذا) وهو يستقبل عشرات الألوف المتواصلة موجاً بعد موج وسيلاً بعد سيل في النهار والليل ، ويلقي عليهم الخطب من شرفة دار الضيافة ، بما عجزت أقلام الصحفيين والمراسلين عن استيعاء وصفه ، حتى كان ذلك استفتاء آخر شعبياً عن مبلغ ابتهاج القومية العربية بالجمهورية العربية المتحدة وبطلها المؤمن الملهم الذي كانت العروبة تنتظره منذ أمد طويل حتى ظفرت به واستبدلت حيويتها بقيادته الحكيمة الموفقة . وقد أحصت الجهات الحكومية في لبنان عدد اللبنانيين الذين زحفوا إلى دمشق لتحية قائد العروبة بأكثر من ستمائة ألف لبناني من جميع الطبقات والمذاهب ، حتى بات أعداء تحرر العروبة بتنظيمهم ، وحاروا فيما يصنعون أمام هذه الحيوية التي كانت جديداً للعرب فتحت

به الأبواب إلى مستقبل له ما بعده إن شاء الله .

خطبة لجمال في دمشق

ألقى الرئيس جمال عبد الناصر بعد ظهر يوم الأربعاء ٧ شعبان (٢٦ فبراير) خطبة من خطبه المتواصلة في دمشق قال فيها :

« إن الشعب العربي يمسك زمام المواقف بيده ، ويقرر مصيره بنفسه اليوم لا مستقبل للذين ينادون بشعار الوحدة بأفواههم ويعملون ضدها بأعمالهم ، ولا مستقبل للذين يعتقدون أن بقية شعوب العرب ضد مصالحهم الشخصية . إن الشعب العربي وآماله لن تورث بعد اليوم ، إنها ليست تركة . إننا نساند جميع البلاد العربية ، ولا نعادى إلا من يعادينا . لقد وقفنا ضد حلف بغداد لا من أجل أن اسمه حلف بغداد ، بل لقد كنا نحب أن حلف بغداد هذا يكون حلفا عربيا للعرب منبثقا من صميم العرب لصالح العرب ، ولو أنه كان كذلك ، لكنا أول من يرحب بحلف بغداد ، ونرحب باسم بغداد . إننا نعتز ببغداد ، ونعتز باسم بغداد ، ونعتز بالعراق وشعب العراق ، ولكننا قاومنا حلف بغداد وحاربناه لأنه يمثل فى هذه المنطقة النفوذ الأجنبي ، وحينما أعلنا أننا نقاوم حلف بغداد كنا نقاوم السيطرة الأجنبية ومناطق النفوذ » .

جمال في خط النار

كانت أول زيارة قام بها الرئيس جمال عبد الناصر وهو فى إقليم سوريا هى زيارة القوات المسلحة الجمهورية فى الخطوط الأمامية ، فقد فاجأ الرئيس ضباطه وجنوده على حدود إسرائيل مع مطلع الفجر من يوم الخميس ٨ شعبان (٢٧ فبراير) فأقبلوا عليه يعانقونه ويقبلونه ويهتفون بحياة عاقد الوحدة ومنشئ الجمهورية العربية المتحدة ومناهض الاستعمار وأعوان الاستعمار . وعلمت المناطق المجاورة لخط النار بوجود الرئيس فتقاطرت جموع الأهلين واشتركوا مع الضباط والجنود فى تحية الرئيس .

انضمام اليمن

إلى الجمهورية العربية المتحدة

كان الأمير سيف الإسلام البدر نجل إمام اليمن وولى عهده قد زار مصر فى الشهر الماضى مع وفد من أهل الحل والعقد فى اليمن ، وتفاوض مع الرئيس ورجال الجمهورية فى الأسس والقواعد التى يمكن أن يقوم عليها اتحاد انضمام اليمن إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ثم سافر إلى مصر للاجتماع بوالده والحصول منه على الموافقة على هذه الأسس والقواعد .

وفى صباح السبت ١٠ شعبان (أول مارس) وصل الأمير سيف الإسلام إلى دمشق عائدا من اليمن ومعه توقيع جلالة

وافقه الإمام على كل وثائق قيام الاتحاد الفيدرالى بين اليمن من ناحية والجمهورية العربية المتحدة من جهة أخرى ، ويحمل كذلك تفويض جلالة والده الإمام له فى أن يوقع الاتفاق النهائى بحضور الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وفى يوم الأحد ١١ شعبان (٢ مارس) أعلن الأمير البدر فى دمشق قرار اليمن بالاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ، وأمسك الرئيس جمال عبد الناصر بيد الأمير البدر ورفعها إلى أعلى وسط هتاف الجماهير الحاشدة وقال :

« إننا حينما نرحب باليمن العزيز ، وحينما نرحب بحضرة الإمام أحمد ملك اليمن ، إنما نشعر من كل قلوبنا أن ذلك الاتحاد الذى انبثق من صميم الأمة العربية هو القوة التى نسعى إليها ، وأنه نواة للوحدة العربية الشاملة » .

وقال الأمير البدر : « إننا عاهدنا الله على أن نعمل منذ اليوم على تحقيق كل ما نصبو إليه ، فنحرر فلسطين الذبيحة ، ونطهر الجنوب اليمنى المحتل ، كما نطهر كل بقعة من بقاع العالم العربى » .

الدول العربية المتحدة

فى يوم السبت ١٧ شعبان (٨ مارس) أعلن فى دمشق توقيع ميثاق بإنشاء اتحاد فيدرالى بين الجمهورية العربية المتحدة وإمامة اليمن ، وينص هذا الميثاق على إنشاء اتحاد يسمى (الدول العربية المتحدة) ، وأنه مفتوح لجميع الدول العربية ، وينشأ له (مجلس أعلى) يتألف من رؤساء الدول الأعضاء فى الاتحاد ، ويختص بالسياسة العليا ، ويصدر القوانين الاتحادية ، ويعين القائد العام ، ويضع الميزانية العامة .

وينشأ (مجلس اتحادى) لمعاونة المجلس الأعلى ، أعضاؤه يمثلون الدول الأعضاء فى اتحاد الدول العربية ، وتكون رئاسة المجلس بالتناوب بين الدول الأعضاء ، وهو يضع البرنامج التنفيذى لسياسة المجلس الأعلى ، ويشرف على تنفيذ القوانين الاتحادية ، ويتفرع من المجلس الاتحادى (مجلس دفاع) و (مجلس اقتصادى) و (مجلس ثقافى) .

والقوانين الاتحادية لها قوة إلزامية ، ويعين رئيس كل دولة وزيرا له لدى الدول العربية المتحدة للإشراف على تنفيذ قرارات الاتحاد ، ويلغى التمثيل السياسى بين الدول الأعضاء . ولكل مواطن فى الدول العربية المتحدة حق العمل فى أى دولة منها ، والمساواة بين كل المواطنين دون تفرقة ، وحرية التنقل مكفولة . وللدول العربية المتحدة سياسة خارجية موحدة ، وهيئة واحدة للتمثيل السياسى ، وقوات مسلحة واحدة ، وتنظم الشئون الاقتصادية وفقا لخطط موضوعة ، وتنسيق أمور التعليم والثقافة ، وينشأ اتحاد جمركى يحدده القانون .

الفهرس

حـــــديث رمضان

لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان يقول : قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كتب عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر . رواه أحمد والنسائي .

« أيها المسلمون » :

كلما اقتربت مواسم الخير ، وأوقات البر هفت إليها النفوس الخيرة ، البارة المؤمنة ، ونشطت لاستقبالها واغتنام فرصتها ، وعملت على أن تحرز فيها ، أكبر حظ من الخير ، وأسباب السعادة .

على هذه الصورة الكريمة ، كان السلف الصالح ، من الصحابة الأبرار ، والتابعين الأخيار ، كانوا يحسون نشوة الفرح تملأ قلوبهم ، وتشرح صدورهم عند حلول الأيام التي تسبق رمضان ، من حيث أنها تحمل البشرى بقدوم هذا الشهر الكريم ، الذي كانوا يحتفلون بأيامه المباركة ، ويشمرون فيه عن سواعد الجد ، للفوز بأكبر نصيب مما تزخر به من خير وفضل .

وأى مؤمن يسمع قول رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ، فيما يحكيه عن ربه عز وجل : « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام فانه لي وأنا أجزي به » ويعلم أن في رمضان ليلة هي خير من ألف شهر ، من حرمها فقد حرم الخير الكثير ، ويعلم من الأحاديث الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن لله عند كل فطر في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار » ، « وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » . أى مؤمن يعلم هذا كله ويعتقده ، ويوقن بحسن جزاء الصائمين المخلصين عند رب العالمين ، ثم لا يحرص على الصوم ، وعلى اغتنام الفرصة للإقبال على العمل الصالح في هذا الموسم العظيم ؟ .

ومضان « أيها المسلمون » مدرسة يتلقى فيها الصائم دروسا عملية نافعة ، وفترة تمرين

بعده للعمل خير الشهر في الأيام التالية ، وتزوده بالقوة التي يذلل بها الصعاب وتزيل من طريقه ما قد يعترضه من عقبات .

فالصوم يأخذ الإنسان بضرب قوي من التربية ، ويضعه تحت تجربة الجوع والحرمان من الشهوة ، ويجعله يحس نوع الإحساس الذي يتعرض له الفقير ، الذي لا يجد ما يسد به جوعته ، ويشفي غلته .

والصوم يخلص النفس من سلطان المادة وتحكم الشهوة ، ويرتفع به عن دركات الحيوانية ، إلى مستوى الملائكة ، الذين غذاء أرواحهم العبادة والطاعة ومراقبة الله .

والصوم يربي في النفوس ملكة الصبر ، وقوة الاحتمال ، والقدرة على مواجهة مكاره الحياة . ويكون في الإنسان صفات الشجاعة والصراحة والإخلاص في العمل ، ويبعده عن رذائل النفاق والمداهنة ، ويقضي على نوازع الشر ، وما تحمله النفوس من ضغائن وإحن ، وميل مع الهوى ، واندفاع وراء الشهوات . ويعود الإنسان النظام وضبط الأعمال ، وينمي فيه روح الاجتماع ، والاهتمام بما يرفع شأن الجماعة الإنسانية ويصون الكرامة الآدمية .

« أيها المسلمون » :

اغتنموا فرصة هذا الشهر العظيم ، وتزودوا فيه بخير زاد من التقوى والعمل الصالح وتنبهوا إلى الجانب الاجتماعي في فريضة الصوم ، وهو الذي يرمي إلى أن تتمكن بين الناس أسباب المودة والمحبة ، وأن يشعر الفقير بأنه لم تهمله منكم عاطفة البر والرحمة . واعملوا على تقوية روح التعاون في الأعمال والمنشآت التي تشد أركان الوطن ، وتنهض بالأمة . فإن الأمم المتحضرة التي نرى اليوم سلطانها وقوتها ، إنما تقوم شئونها على النظم الجماعية ، والمنشآت التعاونية . وهذا قبل كل شيء هو ما يرشد إليه الإسلام .

« أيها المسلمون » .

إني أشعر بالغبطة تغمرني ، وأرى السعادة تظللني ، وأنا أخاطبكم في هذا العام من عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، هذه الجمهورية التي كان يحلم بها المسلمون ، فأصبحت حقيقة واقعة .

وإذا كان في قيامها تصحيح لبعض الأوضاع ، وعود بالعرب إلى ماضيهم المجيد فإنه من غير شك ثمرة كفاح الأبطال ، الذين جاهدوا وصابروا ، واستشهد كثير منهم في ساحة الشرف ، لتحقيق هذه الغاية الكريمة ، والأمنية الغالية .

وإن شهر رمضان المعظم ، بروحانيته الخاصة ، ودروسه القوية ، في الصبر والجلد ، والعزم والتصميم ، وفي التضحية بالملذات ، والتعاون والرحمة والإيثار ليوحي إلى بالتنويه بشأن قادتنا الأماجد ، الذين خاضوا جهادهم لله ، وتمكن من نفوسهم حب الوطن ، وضحوا بكل نفيس وغال في سبيل توحيد كلمة العرب ، وتخليصهم من أسر الاستعباد ، الذي تجرعوا مرارته حقبة طويلة ، عمل فيها المستعمر على بذر بذور التفرق والفتنة ، وتشتيت القوة ، وتفكيك الرابطة ، والقضاء على مقومات العروبة الأصيلة ، والمعاني الكريمة النبيلة التي توارثها العرب الأمجاد ، الشرفاء الأمناء ، كابرا عن كابر ، وجيلا بعد جيل .

هذا وإني أهيب بجميع المسلمين ، في جميع الأقطار ، أن يبذلوا كل جهودهم في دعم وحدة العرب ، هذه الوحدة التي وضعت أولى لبناتها في هذه الأيام السعيدة ، وأن يحموها من كل شر يراد بها ، ويقضوا على كل محاولة أو مؤامرة تحاك حولها ، وأن يجنبوها من التيارات التي تعطل سيرها أو تقف في سبيل ازدهارها وتقوية أمرها . وألا يمكنوا الدخيل من بث سمومه فيهم ، وبث الفتنة بينهم ، وأن يحذروا شباكه التي ينصبها في طريقهم للإيقاع بهم ، وعرقلة جهودهم ، والرجوع بهم إلى العهود الأولى التي كان يمتص فيها دماءهم ويتحكم في مصايرهم ، ويتخذ منهم أعوانا عليهم .

وإني أدعوكم أيها المسلمون إلى الإقبال على الحياة الجديدة بجد وعزم ، وثقة وكبير أمل ، لتأخذوا بأسباب القوة ، وموجبات النصرة ، ولتنزلوا إلى ميدان العمل بجميع كفاياتكم وإمكانياتكم ، التي تستند إلى إخلاصكم ، وعظيم ثباتكم ، وإن ما عندكم من طاقات روحية وكفايات خلقية وقوة إيمان بالله واعتزاز بنصر الله ، كفيل بتحقيق النصر وبلوغ الغاية إن شاء الله .

واعلموا أن من يتنكر لوحدة العرب ، ويجد له أولياء من أعدائهم أو أعداء الإسلام فهو إما خارج على ملته ، وإما خائن لقوميته وعروبته ، وأمثال هذين الأمرين من أقبح الآثام .

أسأل الله العلي الكبير أن يجمع قلوبكم على الحق ، ويمدكم بعونه وجميل رعايته ، ويدفع عنكم كيد الخائنين إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر





رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

الجزء التاسع – القاهرة في غرة رمضان ١٣٧٧ – ٢١ مارس ١٩٥٨ – المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

من إلهامات رمضان :

موقف المسلم

من هذه الأحداث الكبرى

نحن في شهر رمضان ...

وشهر رمضان في السنة ، كجرس المنبه في الساعة ، يدعو أهله إلى أمر غير الذي كانوا فيه ..

يدعونا إلى تغيير نظام معيشتنا ، والانتقال من حياة الدعة والانطلاق المباح ، إلى التقيد بقيود طارئة ، والتزام أمور كنا في حل من التزامها في سائر شهور السنة .

بل نحن في رمضاننا هذا نستقبل أحداثا من أحداث التاريخ ستؤثر في كياننا ومجتمعنا في صميمهما لا في مظاهرهما، وفي مصيرهما لا في حال طارئ ثم يزول . إنها أحداث غير التي كنا نعيش فيها وآباؤنا من قبل ...

هذه الأحداث الكبرى التي استقبلناها مع رمضان هذا العام ، أو قبيل رمضان ، جاءت لتنبهنا إلى واجبات جديدة ، وحياة جديدة . إنها تدعونا إلى أن نكيف حياتنا ، وأنفسنا ، ونظام معيشتنا ، بما يلائم هذه الأحداث .

إن رمضان كجرس المنبه في الساعة ، يقرع آذاننا وهي نيام ، أو أشباه نيام ، ليوقظنا من غفلاتنا ، ولينقلنا من نظام الدعة الرتيب في المعيشة وسياسة النفس ، إلى نظام التقيد الطارئ في المعيشة وسياسة النفس .

وحكمة الإسلام في هذا التغيير الطارئ على رمضان ، وعلى حياة المسلمين في رمضان ، هي تمرين النفس المسلمة على أن يكون هذا التغيير - ولا سيما ما يتعلق منه بكبح جماح النفس ، واعتياد الصبر - صفة للمسلمين في غير رمضان ، وفي ظروف حياتهم كلها .

إن هذا التغيير في نظام المعيشة يحدث في رمضان ، ولكن أثره في كبح جماح النفس ، ينبغي أن ينسحب إلى تطوير أخلاقنا الإسلامية في سائر الشهور بعد رمضان ، حتى نتطبع به ونألفه في حياتنا كلها ، وإلا كان رمضان كالجسم مجردا من حيويته ، ومن الروح السماوية التي يمتاز بها .

ورمضان يأتينا بآدابه وأساليب تهذيبه في كل سنة ، أما الأحداث الكبرى التي رافقت رمضان هذا العام ، وما سيترتب عليها من تطور ، فإنها من نوع قلما يتكرر في ألف عام . فنحن منذ عامنا هذا في حاجة إلى التخلق بالأخلاق الإسلامية التي يمليها علينا رمضان ، أكثر مما كنا محتاجين إلى ذلك فيما مضى .

يأتينا رمضان في كل سنة لنتمرن فيه على الصبر ، وتهذيب النفس ، وكبحها عن لغو القول ، وعن الاستجابة لدواعي الشهوة .

يأتينا ليعودنا عفة اللسان ، وطهارة القلب ، في كل ما يتحرك به اللسان ويخفق به القلب .

يأتينا ليذكرنا بالله ، ويعودنا السير في الطريق الذي شرعه لنا الإسلام ، ولنتحرى ما يرضي الله من قول وعمل فيما بين السحور والإفطار ، ثم فيما بين الإفطار والسحور .

يأتينا بنظامه المشروع ، ومن نظامه المشروع ضبط النفس ، وقمع شهواتها ، وتقوية الروح والبدن بالإقلال من الطعام ، حتى يكون غذاء النفس وغذاء البدن متعادلين متعاونين في حياة المسلم المكافح المكافح .

نحن — في أحداثنا الكبرى التي اجتمعنا خلالها ، ويوشك أن يمن الله علينا بتيسير ما بعدها — مقبلون على أمور عظيمة تحتاج إلى تعبئة مواردنا كلها . قوى النفوس ، واكتشاف معادنها، واستمرارها في الكفاح المستمر . وقوى الأجسام وإعدادها للنهوض بأعباء الجهاد المقدس . وقوة المال واستغلاله في النهضة الاقتصادية وميادين التصنيع والتعمير . ودفائن الأرض من معادن وزراعة وتشجير تقوم بها كي نبرهن به على معرفتنا بأقدار النعم الإلهية علينا ، ونشكر الله عليها بحسن صيانتها واستغلالها واستثمارها وتعميم النفع بها إلى أقصى ما تبلغه قدرتنا وجهودنا .

هذه التعبئة القومية لجميع قوانا المادية والأدبية ، تحتاج منا إلى أن نقتصد في كل قوة من هذه القوى ، فلا نستعملها إلا فيما يرد علينا قوة وعزة وثروة ومنعة .

هذه حقيقة من حقائق الاقتصاد الإسلامي يجب أن يفهمها كل مسلم ، وأن يعمل بها كل مسلم ، وإن لم يعمل فقد نقص من إسلامه بمقدار ما يفرط فيه من العلم بهذه الحقيقة والعمل بها .

أيها المسلم ، إن ما تحت يدك وفي تصرفك من الأموال — قلت أو كثرت — ليس ملكا لك ، فالملك كله لله ، وإنما هي أمانة الله تحت يدك ، حصلت عليها بتوفيق الله وتيسيره لا بجهدك أو سعيك ، وقد يكون فيمن تعرف أولا تعرف من الناس من هو أبرع منك في تحصيل المال وأنشط سعيا منك لتحصيله ، ويكون مع ذلك أفقر منك وأقل وجدا ، لحكمة يعلمها الله . وعندما زعم قارون وهو يتحدث عن أمواله أنه أوتيها على علم منه بطرق تحصيلها ، كذبه الله وأباد أمواله . إن الذي لك من مالك — قل أو كثر — ما تقوم به حاجاتك الضرورية تنفق منه بالمعروف ، وما زاد عن ذلك فهو أمانة الله تحت يدك ، فإن كنت صاحب مصنع فعليك أن توسع به مصنعك وترقيه بما ينتفع به قومك بزيادة إنتاجه ، ولئلا يحتاج بلدك إلى استيراد شيء من ذلك من البلاد الأجنبية . وإن كنت من أصحاب الحقول والمزارع والبساتين فأنت مطالب بتوسيع زراعة ما تمس حاجتهم إليه ، وإن كان أقل ربحا لك من زراعة أصناف أخرى لا تمس حاجة في وطنك إليها . وإن كنت تاجرا فلا تقع في مثل الخطأ الذي وقع فيه أحد أصحاب الملايين من تجارنا إذ حصل على إذن باستيراد سيارات رخيصة مما ينتفع به أرباب الأعمال في أعمالهم ، فأحدث في إذن الاستيراد تغييرا ليستورد سيارات فاخرة لأرباب الترف والمسرفين في الأرض ، فيحصل من ذلك على ربح أكبر ، وعاقبه الله بمتاعب كان في غنى عنها لو أنه أحسن استغلال أمواله فيما ينفع

الناس ويرضي الله ، لأنها يتهافت عليه المسرفون في الأرض ويبتز به أموالهم . ولو أن كل تاجر أو مزارع أو صاحب مصنع علم أن ما تحت يده يجب هو أمينة الله عنده ائتمنه عليها ليحمي استثمارها بما ينهض بالأمة ويرفع مستواها بين الأمم ، لزاده الله ثروة ورضى ومحبة في قلوب الناس وتوفيقا في أعماله وبركة في ثروته .

كان مرشدنا الأعظم صلوات الله عليه لا يخشى علينا الفقر بقدر ما كان يخشى علينا طغيان الثروة والأموال ، ونحن نشهد الآن من طغيان المال في أيدي الذين أنعم الله به عليهم ما نقضي منه العجب من التبذير بماله وتبديده وتحويله من بلاد المسلمين إلى بلاد أعدائهم ، بل قد يتعدى طغيان المال في أيدي بعض الطغاة إلى ما وراء ذلك مما يسخط الله ويستعجل غضبه .

أين نحن من عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان يملك الممالك في آسيا وإفريقية وأوربة ، ومع ذلك فإنه تحول يوم تولى الخلافة من الدار الخضراء دار الخلافة إلى منزل صغير في خارج الباب الشرقي من مسجد بني أمية ، وربما كان يشتغل للدولة ليلا على ضوء شمعة من مال الدولة فإذا جاءه من يحدثه في غير شئون الدولة أطفأ الشمعة لئلا يسرف في شيء من دوانيق الدولة التي ائتمنه الله عليها .

إنما كان في أسلافنا من تبلغ به الأمانة على ما تحت يده من الأموال إلى هذا الحد لأنهم كانوا يدركون معاني نظام الإسلام الاقتصادي ويتفقهون فيها ، ويحرصون على أن يقيسوا أعمالهم بمقاييس هذا الإدراك لرسالة الإسلام وأغراضه ، ولذلك اتسعت حدود ممالكهم إلى أسبانيا من بلاد أوربا ، وإلى [illegible] وما وراءها من بلاد روسيه ، ولم يكن في الأرض يومئذ إمبراطورية أوسع وأغنى وأرقى من البلاد التي كانت تحكمها الخلافة الإسلامية في القارات المعروفة في زمانهم .

وإنما كان في أسلافنا من تبلغ به الأمانة على ما تحت يده من الأموال إلى هذا الحد ، لأن رمضان كان يأتيهم فيترك فيهم أثره من ضبط النفس ، وقمع شهواتها ، ويستصحب ذلك في أخلاقهم بعد رمضان ، حتى انطبعت نفوسهم بطابع رمضان ، وألفوه في حياتهم كلها فعزوا وسادوا ، وكانوا هم الناس بين أمم الأرض .

هذا رمضان قد جاءنا مرة أخرى ليدعونا إلى التخلق بأخلاق أسلافنا في صدر الإسلام ، فهل لنا أن نحاسب أنفسنا عما نقتبسه من أنظمة رمضان المشروعة ، وما نحققه من أغراضه ؟ .

أليس في الصائمين منا من يعرفون من حكمة الصيام ومزاياه ما يكيدون به للناس من شر، وما تحركه به ألسنتهم من باطل، وما يسخطون به ربهم فيما بين سحورهم وإفطارهم، وما يقضون به سهراتهم من الإفطار إلى السحور، وما ينفقون على شهواتهم من أموال يزعمون أنها لهم، وإنما هي أمانة الله تحت أيديهم يمتحنهم بها ليعلم كيف يتصرفون فيها بعقل وكياسة وحكمة. ومنهم من يذكرون الله، ولكنهم يذكرونه بألسنتهم دون قلوبهم، وإذا حلت ساعات السحور أو الإفطار ملأوا بطونهم مما جاء رمضان ليكفهم عن الإسراف فيه.

إن الشيطان قد نجح — فيما مضى من شهور رمضان السالفة — في إقناع أشباه الرجال منا بأن يفسدوا على أنفسهم صيامهم ببعض ما يخالف حكمة الله في الصيام، وشعائر الصيام، وأنظمة الصيام. فهل لنا أن نعري الشيطان في رمضاننا هذا، فنحكم سرائرنا الإسلامية، على نفوسنا الإسلامية، توطئة لإعدادها لما يريده الله لنا من أمر عظيم، في مستقبل عظيم، نحكم فيه أوطاننا الإسلامية بآدابنا الإسلامية، لننهض بهذه الأمة إلى مستوى السيادة والسعادة في الأرض؟!

كما أن الإسلام دين الحق، فهو كذلك دين الصبر، والاعتدال، والاقتصاد. ورمضان إنما نقوم فيه بشعائره لنقيم بها الحق، ولنتعود بها الصبر، ولنكون فيها من أهل الاعتدال، والاقتصاد.

النعمة العظيمة التي أنعم الله بها علينا في هذه الأحداث الكبرى التي تعاقبت هذا العام مع رمضان هذا العام يوشك أن يريد الله من آلائه فيها لنكون أمة كريمة بين الأمم، ويكون لنا دولة عظيمة بين الدول. وإن الغفلة عن هذه الأحداث، وعن حكمة الله فيها، والتجاهل لما يترتب عليها، ووقوفنا منها موقف المتفرج وهي مقبلة علينا، يجعلنا معها كالغافل الواجم أمام القطار المندفع نحوه، فلا يلبث أن يدهم الغافلين عنه ويحطمهم، جزاء تقصيرهم في مسايرته، وتلكؤهم في الاضطلاع بالأعباء الجديدة التي ترتبت على هذه الأحداث.

كنا نشكو الاستعمار، ونشكو حكام السوء، ونضيف إليهم كل سيئة تقع في أوطاننا، وكل ضعف أصيبت به شعوبنا. وفي الواقع كان الاستعمار مصدر الشرور والسيئات فيما أصابنا من ضعف، وكان حكام السوء قدوة للدهماء والغوغاء فيما انحدروا إليه من تبذير وإسراف وإسفاف. ولكن مبادئ الإسلام كانت تهتف بمن يعقل منا

منادية على ملأ الأشهاد : كما تكونوا يولّ عليكم . فنحن الذين أهملنا سنن ديننا ونظام الإسلام في حياتنا فوقعنا بين براثن الاستعمار ، ونحن الذين أضعنا وأسرفنا فابتلانا الله بحكام السوء . ولو أننا استقمنا على سنة الإسلام في معيشتنا وتصرفاتنا لكف الله عنا سلطان الاستعمار ، ولوقانا شر حكام السوء .

وأخيراً ، أنقذنا الله من براثن الاستعمار ، ومن أذنابه حكام السوء ، ليمتحن سلوكنا في الحياة ، واستعدادنا للمحافظة على هذه النعمة ، وتأهيل مجتمعنا للعيش فيها ، وليرى موقفنا من سننه في الارتقاء والانحطاط ، وفي التقدم والتخلف .

إن النعم التي يسديها الله سبحانه لأمة من الأمم تترتب عليها مسئوليات ، ولا تدوم هذه النعم إلا إذا اضطلعت الأمة بتلك المسئوليات .

إن منة الله علينا بالخلاص من كابوس الاستعمار وحكام السوء قد ترتب عليها واجب عظيم هو تعبئة كل القوى لإقامة كياننا القومي الجديد ، على أساس متين من الأخلاق والعلم والتروي والتنظيم والاستثمار واعتبار الأموال التي تحت أيدينا أمانة لله نتصرف فيها بما فيه المصلحة العامة للأمة والوطن ، وهذا الأساس وحده هو الذي يحمل البنيان الشامخ الذي يسر الله لنا أسباب تشييده هدية من جيلنا إلى الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا .

من حسن حظنا أن في نظام الإسلام - إذا وطّنا أنفسنا على العمل به - ما يساعدنا على تعبئة قوانا كلها ، وإقامة بنياننا الشامخ على أساسها . والحياة الإسلامية في رمضان - كما أراد الإسلام للمسلمين - هي حجر الزاوية في هذا الأساس الذي يدعونا رمضان إلى إقامة بنيان المستقبل عليه .

ليكن رمضاننا في هذا العام بداية عهد جديد لتمرين النفس المسلمة على كبح جماح الشهوات ، والمشاركة في التعبئة القومية الكبرى لاستقبال الأحداث القومية الكبرى ، بحسن استغلال ما أنعم الله علينا به من أوطان ، وثروة ، وصحة ، وقوة ، فنجعل ذلك كله في سبيل الله وفي مرضاته ، والعاقبة للمتقين .

محب الدين الخطيب



— ٥٩ —

مجالسة الآثمين نقيصة خلقية، وجريمة دينية

« وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » .

مجالسة المرء لغيره متعة وضيعة ، أو مأساة وجريمة ، وأمر ذلك منوط بالضمير وعمله ، وبالأنس وبلادته ، وبمجرى الحديث وشجونه .

والكثير من أحاديث الناس في مجالسهم يكون مرسلاً ، ومن شأنهم في القول تحديد الخواطر السانحة ، والقاء الرأي بكل ما توحي به الفكرة يميناً وشمالاً ، وعاماً وخاصاً ، وجداً وهزلاً .

والدين لم يحظر على الناس أن يتسامروا ، ولم ينكر عليهم أن يتحدثوا ، بل اعتبر المحادثة من أسباب المودة ، ووسائل التعارف ، ولم يرض أن تسكن المجالس جلبة بالصمت ، أو تتمادى في التجاهل ، كما نشهد في مجالس كثيرة وفي أسمار خلت له من بعض الأشخاص الذين يأخذون بتقليد الفرنجة ، أو الذين يظنون أن في الصمت عن محادثة الجليس لوناً من العظمة . . وهي عظمة جوفاء ، وصورة قاسية .

إنما هي نوع من المقاطعة . والإسلام يشرع ما يشرع من المحادثة بين الجالس وجليسه — إذا لم يكن مانع — ليسد الفراغ بين المرء وأخيه ، وليدفع وحشة النفس عن نفس كل منهما .

وهذه سياسة اجتماعية يشرعها الإسلام بين الأفراد ، لتمتد إلى صفوف المجتمع كله ، فتصبح ثمرتها في المجموع وحدة لا فرقة ، وتعاطفاً لا قسوة .

غير أن الإسلام مع دعوته إلى التودد بكل وسيلة ، يحرص على مجالسنا من الشوائب ، وينهض بنا في الاجتماع إلى المستوى الكريم ، فيصرفنا عن المهاترات في الحديث ، ويطلب إلى كل منا أن يقول خيراً أو يصمت ، ويكفنا عن التعرض لهجر الكلام ولغوه ، حتى

لا يفحش الإنسان في حديثه ولا يأخذ في لا فائدة فيه ، متكلما عن هذا كله في قوة ، فيشبه الجليس الصالح الذي يحدث عن لغو الحديث بحامل المسك إذ يستفيد المرء منه أيما فائدة ، ويشبه الجليس السوء بحداد ينفخ كير الفحم فيحرق ثيابه ، أو يتأذى بريحه على الأقل وهذا تصوير قوي الدلالة ، واضح التوجيه .

وإذا كان حديث الجلساء في جانب الدين وجب أن تكون الحيطة أشد ، والأدب أكمل ، حتى لا يكون الحديث وبالا على صاحبه ، وعلى سامعه .

وواضح أن الاستغراق في السمر العادي إثم أو نقيصة ، فإذا كان خوضا في الآيات ، ومساسا لها بالباطل ، أو كان قدحا في تشريع صحيح فإن ذلك جرأة شائنة ونتيجتها تنصل من الدين ، وتمرد على حرماته ، وعلى من بلغ آياته – صلى الله عليه وسلم .

وكثيرا ما نجد في البيئة المعاصرة ، ومن أهل الثقافة المعاصرة ، من يزجون بأنفسهم في هذا التورط : لا مستفهمين عن حكم ، ولا مستفسرين عن آية ، بل تدفعهم نزعة طائشة إلى حرية جامحة فينطلقون في غير ما تهيأوا له ، ويتشككون في غير ما يفهمون ، ويحسبون الدين ونصوصه وأحكامه كلأ يرتع فيه الأعرج والصحيح ، ويفوتهم أن هؤلاء يعتدون على التشريع ، وأنه مسلك أهل الجاهلية الأولى . فإن تمكنت منهم هذه النزعة صاروا يخوضون في الآيات بدلا من مدارستها ، ويهبطون في التفكير مهبطا أخرى ، وطالما هتف بهم القرآن لينتشلهم منها وهم لا يسمعون .

والجميل أن القرآن يترفق بهم ، فلا ينهى الرسول عن التعرف بهم ، بل يطلب إليه أن يبتعد عنهم حين خوضهم في الآيات ، ومساسهم بجلالها . . فإذا ما أخذوا في حديث آخر غير باطل فلا حرج على النبي أن يجالسهم ، وهذا رفق بقوم لم يرتقوا بأنفسهم ؛ حتى تظل فرصة الهداية بهدى النبي صلى الله عليه وسلم سانحة لهم .

وذلك قوله تعالى : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » .

وهل الخطاب للنبي – صلوات الله عليه – وتعليم لأمته ؟ أو هو خطاب لكل مسلم يصادفه هذا الشأن ؟ .

الأرجح أنه عام لكل مسلم يعد في مجلسه مثل ما كان يرى النبي وأصحابه صلى الله عليه وسلم.

وفي الآية إشكال مثير الاهتمام .. هيا: «وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» وكيف ينسى النبي بسبب الشيطان أمرا مكلفا به ؟؟ مع أن الله قال في الشيطان «إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون» والنسيان من عمل الشيطان كما ذكرت الآية فيكون له سلطان على الرسول.

والجواب عن علماء التفسير أن الخطاب مقصود به غير النبي، فالنسيان واقع من الشيطان لا محالة بالنسبة لغيره، وجواب آخر: أن النسيان لا يعتبر سلطان الشيطان، بل السلطان أن يدفع المرء بوساوسه وتأثيره إلى ارتكاب محرم، أما مجرد الترك لتنفيذ شيء أمر به فلا يسمى سلطانا، مع أن الله يتدارك نبيه عاجلا بالتذكير لما نسي فعلا خاصة به، وهذا كله مفروض في غير ما أمر بتبليغه، فإنه لا ينسى أبدا.

وربما كان النسيان في غير التبليغ حكمة، هي بيان الحكم الشرعي في الحادثة التي كان فيها النسيان.

وحسبنا هذا من كلام طويل، والعبرة التي نأخذها غنى عن السياق: ألا نجاري أهل الباطل في حديثهم، ولا نرضى عن مجالسهم، بل نردهم بالحسنى عن خوضهم. فإذا لم يستجيبوا هجرنا مجالسهم حتى يتأدبوا.

وقد يبلغ التسامح ببعض الناس أن يقعدوا هذا المقعد: حياء، أو مهابة، أو مجاملة، ولكن التغاضي عن كلمة الحق مجلبة لسخط الله، وشؤم على المجتمع إذا تفشت فيه هذه الموادة.

وللحق أساليب مقبولة، ودعاية مشروعة، وهي حكمة الإسلام في دعوته، وتبليغ رسالته والله يعصمنا من الزلل، ويهدينا سبيل الرشاد.

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السُّنَّة

مدرسة الصيام

أعظم ميراث نبوى – أعظم الناس حظاً من الفضائل – التخلق بأخلاق القرآن – نماذج من الجود النبوى – عرض القرآن ومدارسته – دروس يتلقاها الصائمون – مراحل العاملين.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ؛ فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى) (*)

• • •

بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا .

هذه أصول الإسلام ودعائمه العظمى .

وتؤلف كل دعامة منها مدرسة لها مناهجها وحدودها ، وأحكامها وآدابها . . . ثم تؤلف الدعائم كلها منهاج الدين كله ، فى جملته وتفصيله ، فأما الجملة فقد أشار إليها

(*) فى بدء الوحى ، ورواه بعد ذلك فى الصوم . وفى بدء الخلق : باب ذكر الملائكة ، وفى الأنبياء : باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وفى فضائل القرآن ؛ وأما مسلم فرواه فى كتاب الفضائل .

حديث الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ، وأما التفصيل فقد بينه صلوات الله وسلامه عليه أول ما ... منذ أوحى إليه في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، إلى أن ودع هذه الدنيا ، تاركا لأمته أعظم ميراث سوي ، وأوفى منهج تربوي ، أعجز الأولين والآخرين أن يأتوا بمثله ، وأن يجدوا سعادتهم الدنيوية والأخروية في غيره .

• • •

ويكفي من هذه الدعائم الخمس – هذا الأولى – ميدان الرهان ليس غير ، أو الزماني والمكاني معا ، وأما الدعامة الأولى ، فهي أس من الدعائم الأربع ومصاحبها ، وقطبها وعمادها ، لا يزن عند الله عمل إلا ميزانها ، ولن يرضى الله عن عبد إلا إذا كان متلبسا بها ، فليس له إذا زمان ولا مكان ... اللهم إلا قلب سليم ينطق بالحق ، ولسان قويم ينطق بالصدق ، ونفس مؤمنة راضية : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

• • •

ولئن كانت الدعائم الخمس ، يتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا ، إن لكل منها مزايا خاصة ، وفضائل وأسرارا ، وحكما لعله يوحي بها أو تشير إليها ، وتعرف من مفروضاتها ومناهجها ، بمقدار فقه العبد في دينه ، ومداه العلم من أمره . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا قاسم ، والله يعطي » . ولا جرم أن أعظم الناس حظا من هذه الفضائل والمزايا ، الأنبياء ، والصديقون ، والعلماء العاملون ، على درجات بينهم .

• • •

وأول ما اختصت به دعامة الصيام ، أن الله جلت حكمته ، وتباركت نعمته ، اختار زمانها – قبل أن يكون كتابا موقوتا ، وفرضا محتوما – مبدأ لإنزال كتابه ، في ليلة مباركة ، هي ليلة القدر ، أعظم الفضل فيها ، والإنعام بها ، حتى جعلها خيرا من ألف شهر .

عطاء جد عظيم ، وجود من جواد كريم ، لا يقدر عليه إلا مالك الملك ... ومن بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

لا عجب بعد هذه المنة الإلهية العظمى، واستقرار الإسلام بدعائمه الثلاثة الأولى، أن نعرض لهذه المناسبة الروحية الكبرى، شكرا لولي النعم، وذكرا لأجل النعم، واحتفالا كريما في كل عام، بفاتحة الهدى والفرقان.

• • •

ومن أجل ما اختصت به هذه المناسبة الروحية، الإخلاص الذي لا يشوبه رياء، وهو أول درس يتلقاه الصائمون في مدرسة الصيام. ومرجع هذا الإخلاص الخاص، أن الصيام عبادة سلبية خفية لا يعلمها إلا الله عز وجل، ومن ثم شرفها بإضافتها إليه وحده دون سائر العبادات، فقال سبحانه في حديثه القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» [1].

• • •

وإذا كان الإيمان بين الصبر والشكر، كما يشير إلى هذا قوله جل شأنه: «إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور»، وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» [2]. فالصائم يتلقى في مدرسة الصوم كل ضروب الصبر، وكل فنون الشكر، حتى يتشرف بالعبودية لله وحده، فيكون صالحا لعمارة الأرض، خليقا برضوان الله عز وجل.

• • •

وإذا كان شكر كل نعمة بما يناسبها ويتصل بها، فخليق بمن يشكر هذه المنة الكبرى، أن يجمع إلى فرح صوم رمضان، تخلقه بأخلاق القرآن، فإذا كان يحفظه أو يحفظ منه قدرا فيتعهد من تلاوته ومدارسته شكرا وذكرا، أما العمل به والتخلق بأخلاقه، فذلك تاج الشكر، وأفضل الذكر، وكذلك كان هدى أول المسلمين، وقدوة الشاكرين، صلى الله عليه وسلم.

كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه.

---

(1) الحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، وشرحه أستاذنا الجليل في م ٤ وسبقنا أن نرجع إلى جدول الأحاديث فشرحناه في م ٢٤.

(2) رواه مسلم عن صهيب بن سنان رضي الله عنه.

وكان أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ما سئل شيئا قط فقال: لا، إن كان عنده أعطى وإن لم يكن عنده وعد وعدا كريما. وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة، على حين يعيش في نفسه وأهله عيش الفقراء، حتى ليمكث الشهر أو الشهرين لا يوقد في بيته نار، إن هو إلا التمر والماء!

• • •

كان جوده قبل أن يبعث كرما إنسانيا، فلما أكرمه الله بالرسالة، أصبح جوده كرما ربانيا، ومن أولى من رسول الله، بأن يتخلق بأخلاق مولاه؟! فإذا جاء شهر التنزيل، فمن دونه البحر فيضا وعطاء، بل من دونه الريح انطلاقا ورخاء.

• • •

ومن جوده بالخير صلوات الله وسلامه عليه، تعليم الجاهلين، وهداية الضالين، وإخراج النفوس من ظلماتها، وإحياء القلوب بعد موتها، في غير كلفة ولا عنت، بل بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك من آثار فضل الله عليه ورحمته، ولا سيما في هذا الشهر الكريم.

ومن هذا الفضل أن يلقاه الروح الأمين في كل ليلة من لياليه فيدارسه القرآن فيه، ويعرضه كل منهما مرة في كل عام، حتى إذا كان رمضان الأخير كانت المعارضة مرتين، إيذانا بانتقاله إلى الرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه.

• • •

ألا إن الجود عامة، وفي رمضان خاصة، وتلاوة القرآن ومدارسته، وتزاور المحبين في الله، وشكر المنعم على ما أولاه، والتعاون على البر والتقوى، كل أولئك من الدروس التهذيبية القيمة، التي يتلقاها الصائمون في مدرسة هذا الشهر العظيم، ولكن مضت سنة الله تعالى، ألا ينفع طالب بعلمه، حتى يكون به من العاملين!

طه محمد الساكت

صيام رمضـــــــان

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

نادى الله سبحانه المسلمين بأحب الأوصاف إليهم ، وأعلمهم أنه فرض عليهم الصيام ، وأنهم ليسوا فى ذلك بدعا بين الأمم ، فقد فرضه على الذين من قبلهم . وذلك يدل على أن الصوم يحقق الصالح العام للبشر ، ولهذا شرعه الله لمن قبلنا وإن اختلفت الكيفية ، وكانت فرضية صوم رمضان فى شعبان من السنة الثانية الهجرية ، وصامه النبى صلى الله عليه وسلم تسع سنوات .

وتضافرت على فرضيته الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، ففرضيته معلومة من الدين بالضرورة ، ومنكرها كافر كمنكر فرضية الصلاة ، أما من ترك صوم رمضان بغير عذر كسلا فيحبس ويمنع عنه الطعام والشراب نهارا .

والصيام عند المسلمين الإمساك عن المفطرات (شهوتى البطن والفرج) من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وبين الله أن ما فرض عليهم صيامه أيام معدودات أى قليلة بالنسبة للعام أو معلومة ، والمراد بها رمضان ، فيكون الله سبحانه قد أخبر أولا بفرضية الصيام ثم بينه بأنه أيام معدودات ، ثم بينه بقوله شهر رمضان توطينا للنفس عليه ، وقد رخص الله من فضله للمريض الذى يشق عليه الصوم والمسافر أن يفطرا ويصوما عدة ما أفطرا من أيام أخر .

ثم قال الله : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » . والمتبادر بالنظر لهذه الآية

فريقان ، فريق يرى أن هذه الآية منسوخة ، وأن معناها : وعلى الذين يطيقون الصوم أى يقدرون عليه إذا أفطروا فدية ، وذلك أن الصوم أول ما فرض كانت فرضيته على سبيل التخيير إما أن يصوم من يطيق الصوم ويقدر عليه ، وإما أن يفطر وعليه فدية طعام مسكين عن كل يوم والصوم أفضل ، ثم نسخ التخيير بقوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . فصار الصوم متحتما وهذا التفسير مبنى على أن الإطاقة القدرة على الفعل ، والطاقة اسم مصدر بمعنى الإطاقة .

وفريق آخر يرى أن الآية غير منسوخة ، وأن معناها : وعلى الذين يطيقونه مع مشقة وشدة فدية إذا أفطروا ، وهذا يشمل الكبير الهرم والعجوز ونحوهما ، وهذا التفسير مبنى على أن الإطاقة والطاقة القدرة على الفعل مع مشقة وشدة ، ونناقش رأى كل من الفريقين :

أما الأول وهو أن الصوم كان على التخيير بين الصوم والفطر مع الفدية ، فإنه لا يحتاج إلى الترخيص بالتيسير للمريض والمسافر ، ومع هذا فكيف يكون الترخيص إذ يؤول الأمر إلى أن المريض والمسافر إذا أفطرا كان عليهما أن يصوما من أيام أخر عدة ما أفطرا ـ أما القادر على الصوم إذا أفطر بلا عذر فعليه الفدية فقط ، وبالتالى يؤول إلى أن من أفطر بعذر المرض والسفر عليه عدة من أيام أخر ، ومن أفطر بلا عذر عليه الفدية ، وتشريع يؤول إلى هذا لا يكون معقولا .

على أن النسخ فى كتاب الله لا يجيزه بعض العلماء ومع قطع النظر عن هذا ، ففى هذه الآية بخصوصها قد اختلف فى نسخها الصحابة والعلماء ، ومن الصحابة عائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم يقولون إن الآية غير منسوخة .

وأما الرأى الثانى : الذى يقرر عدم نسخ الآية وأن معناها وعلى الذين يصومونه بمشقة وشدة فدية ، وأن الإطاقة والطاقة القدرة على العمل بمشقة وشدة .

فأولا ـ نذكر نص القاموس وهو يخالف ذلك ـ الإطاقة القدرة على الشىء ، وقد طاقه طوقا وأطاقه وعليه ، والاسم الطاقة ـ وعبارة لسان العرب بهذا المعنى وتزيد عليه أن الطاقة هى الوسع وضدها .

الطوق والإطاقة القدرة على الشىء والطوق الطاقة ، وقد طاقه طوقا وأطوقه إطاقة وأطاق عليه والاسم الطاقة وهو فى طوق أى فى وسعى .

ومن ذلك قوله تعالى : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » أى مالا قدرة لنا على تحمله ، وقوله : « فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » أى لا قدرة لنا على قتالهم .

وثانيا — معنى الآية عندكم وعلى الذين يقدرون على الصوم بمشقة فدية — وهذا المعنى يشمل أيضا المريض الذى يشق عليه الصوم ويعسر ، ويشمل المسافر باعتبار أن الشأن فى صوم المسافر أن يكون بمشقة ، وعلى هذا يكون حكم المريض والمسافر مضطربا فى الآية ، فمرة ينص بخصوصه على أن الواجب على من أفطر بعذر المرض والسفر الإعادة ، ومرة يشمله نص عام على أن الذى يشق عليه الصوم (ومنه المريض والمسافر) إذا أفطر عليه الفدية فيكون للمريض والمسافر حكمان مختلفان وهذا غير معقول .

ويمكن أن يفسر معنى الآية على غير الرأيين السابقين ، ويكون ذلك رأيا ثالثا يتفق مع الرأى الأول فى تفسير الإطاقة ، وأن معناها القدرة على الفعل ومعنى قوله « وعلى الذين يطيقونه فدية » أى الذين يقدرون على الصوم إذا أفطروا عليهم فدية — ولكن الآية غير منسوخة كما يقرر الرأى الثانى عدم النسخ .

ويصير المعنى للآية كلها فرض الله الصيام على جميع المسلمين المكلفين ، ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا ، وعليهما عدة من أيام أخر ، وعلى من يطيق الصوم ويقدر عليه إذا أفطر فدية مع عدة من أيام أخر ، ويكون التنصيص على العدة مع القادر على الصوم غير محتاج إليه ، لأنه إذا وجب فى حق المريض والمسافر ، فأولى أن يجب فى حق القادر ، وجاء التنصيص فى حقه على الفدية ، فكأنه قيل : وعلى الذين يطيقونه مع العدة فدية طعام مسكين .

فالمعذور بالمرض أو السفر إذا أفطر عليه القضاء فقط ، وغير المعذور والقادر على الصوم إذا أفطر عليه القضاء والفدية .

فى أكل فى نهار رمضان عامدا عالما من غير عذر ، غير مبال بحرمة شهر رمضان فللعلماء فى حكمه آراء : —

الحنفية والمالكية يوجبون عليه القضاء والكفارة .

والشافعية والحنابلة يوجبون عليه القضاء فقط .

والرأى الأخير فى الآية يوجب عليه القضاء والفدية .

حكمة تشريع الصوم

شرع الله للناس الصيام وما به حاجة إلى أن يدعوا طعامهم وشرابهم ، ولكن لأن الصيام يحقق المصالح العام للبشرية ، ولهذا فرض على الذين من قبلنا ، فإن الله قد أودع في طبيعة الإنسان الشهوات ، فإذا اندفع المرء وراء شهواته وأرخى لها العنان فيما تطلب ، وأجابها إلى كل ما ترغب ، فقد انحط إلى درك البهيمية وربما زاد عليها ، أما إذا كبح شهوته وأخضعها لحكم شريعة السماء ، يصرفها كما أمر الله ويسيرها في الصراط المستقيم الذي خطه له الحكيم العليم ، ارتفع إلى أوج الملائكة وكان من عباد الله المكرمين ، وربما فاق الملائكة المقربين ، إذ هو قد وصل إلى هذه المرتبة السامية بجهاد عنيف لشهواته ، ونضال قوى بين وازع الدين ودواعي الطبيعة والشياطين ، أما الملائكة المقربون فلم يودع الله فيهم هذه الطباع ، ولذا لا يتجشمون ذلك الجهاد ، فهم بطبعهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ومن الحكمة في الصوم يخضع المسلم شهواته ، ويتحكم في عاداته ، وتقوى إرادته وتشتد عزيمته ، ويضعف أمامه سلطان النفس والشيطان ، ويقوى سلطان الدين والوجدان ، ويشير إلى ذلك قول الرسول الأكرم : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج) أي من قدر على مطالب الزوجية فليتزوج (ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) بكسر الواو أي مانع من استرسال الشهوة .

وقد صرح الكتاب الكريم في الآية بحكمة الصوم وذلك قوله : « لعلكم تتقون » ، أي أن الله فرض عليكم الصيام لتصلوا به إلى تقوى الله وامتثال أمره واجتناب نهيه ، ومتى أمسك الصائم عن مطالب بطنه وفرجه ، تصديقا بأمر الله وطمعا في فضله وثوابه ، ولازمه ذلك المعنى نهاره ولم ينقطع عنه بالكلية ليله ، فقد حاز صفة المراقبة لخالقه وهي نتيجة لازمة للصوم إذا تحرى الصائم المحافظة على آداب الصيام ، وكيف يجرؤ من حرم نفسه شهواتها ابتغاء مرضاة الله على أن يهم إلى ذلك ما يسخط مولاه .

هذه بعض مزايا الصوم الدينية ، وإليك بعض فوائده ومقاصده في الدنيا .

أما فائدته في صحة البدن وتطهيره من كثير من السموم ، وآثاره في نشاطه وقوته ، فقد بسط الأطباء فيها القول ، وحسبنا على العجالة أن نذكر أن المعدة وجهاز الهضم أعضاء دقيقة

ضعيفة ، لا تحتمل أن تواصل أداء عملها ليلا ونهارا طوال العام ، ثم الذى يليه والذى يليه حتى ينتهى الأجل ، ولكنها فى حاجة إلى الراحة والاستجمام ، وذلك بما شرع الله بالصوم من إجازة مدة شهر رمضان ، وليست إجازة طويلة بالنسبة للصائم ، فهى وإن كانت شهرا فقد آلت إلى نصف شهر مدة النهار فحسب .

ومن هذه الفوائد أن الصيام يربى فى نفس الصائم صفة الصبر واحتمال الأذى ومعالجة المكاره حتى يصير ملكة عنده ، كذلك يرقق الصيام القلب ، ويجعل الصائم الغنى يحس بحرمان الفقير وألمه ، فيدفعه ذلك إلى العطف عليه ومده بشىء مما آتاه الله ، ولهذا ورد فى الحديث (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، فرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة) .

وعلى الجملة فالصوم تهذيب للنفس ودفع بها إلى الفضائل وسمو بالخلق ، فليحذر الذين تفحش بالصوم أخلاقهم وتسوء معاملتهم ويؤذون الناس بفضائل ألسنتهم ، أن يهدروا صيامهم ويضيعوا جزاءهم .

من أحكام الصيام

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين .

استنبط العلماء من هذا الحديث أن الصوم يجب برؤية الهلال فى الصحو ، والسماء خالية مما يمنع الرؤية من غيم ونحوه ، وإذا لم يكن الجو صحوا وكان غيم أو دخان أو غبار أو نحوه مما يمنع الرؤية وجب الصوم بإكمال شعبان ثلاثين يوما .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له .

اختلف العلماء فى معنى قوله (فاقدروا له) فقال : مالك وأبو حنيفة والشافعى اقدروا له تمام العدد ثلاثين يوما ويكون آخر شعبان . وقال الإمام أحمد وطائفة : معناه ضيقوا له وقدروه تحت السحاب ، وأوجبوا الصوم عند الغيم ويكون أول رمضان ، وقال أبو العباس بن سريج ومطرف بن عبد الله وابن قتيبة وغيرهم معناه قدروه بحساب

المنازل ، واحتج الجمهور بالروايات المصرح فيها بإكمال عدة شعبان ثلاثين عند الغيم ، قالوا ومن قال بحساب المنازل فقوله مردود بقوله صلى الله عليه وسلم : إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر ، هكذا وهكذا يعني مرة تسعا وعشرين ، ومرة ثلاثين ، قالوا ولأن الناس لو كلفوا بذلك ضاق عليهم لأنه لا يعرف الحساب إلا أفراد من الناس في البلاد الكبيرة .

ورجح متأخرو الشافعية رأى ابن سريج ومن وافقه في الحساب ، وقالوا إن الحاسب متى وثق بحسابه وجب عليه العمل به ، وكذلك يجب على من صدقه ، أما بالنسبة لعموم الناس فلا يجب ، إذ لا يجب الصوم على العموم إلا بحكم القاضي ، وهو يعتمد على رؤية الهلال .

فإذا شهد عند القاضي شاهد ، ولكن علماء الفلك والحساب اتفقوا على أن رؤية الهلال في تلك الليلة غير ممكنة ، فمن العلماء من قال تقبل الشهادة ، ومنهم من قال ترد شهادته .

وقد ظهر من ذلك أن الذين لم يعملوا بالحساب أخذوا بظاهر الحديث إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب ، وعملوا بالطريقة الميسرة التي لم يتوفر فيها الحساب وهي رؤية الهلال التي أرشدهم إليها الحديث (صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته) .

ويمكن أن يحمل هذا الأمر على الوجوب ما دامت صفة عدم الحساب والكتابة باقية للأمة وملازمة لها ، أما إذا زالت وتوفر لدى الأمة علم الحساب الفلكي كان لنا أن نعتمد أيضا على الحساب ونعمل به ، ولا سيما إذا وصل إلى مثل هذه الدقة التي وصل إليها في هذا العصر كما هو رأى متأخرى الشافعية .

ومما لا شك فيه أننا وكلنا نعمل بالحساب في صلاتنا ونعرف منه أوقاتها ، فما الفرق بين الصلاة والصوم على أننا في الصيام لا نحتاج إلى الحساب إلا في عملية واحدة في أول الشهر ، أما في الصلاة فنحتاج إلى الحساب لمعرفة الأوقات الخمسة لكل يوم .

وليس المقصود من هذا أن نهمل جانب الرؤية ، ولكن لنا أن نجمع معها الحساب ولا سيما عند الغيم ، أو إذا كان الشخص في مكان بعيد عن بلد الحاكم ولا يتيسر له العلم بحكمه أو نحو ذلك ، فله أن يعمل بحساب الفلكيين .

لا يجب على المرأة الحائض والنفساء الصوم ولكن يجب عليهما القضاء في أيام أخر .

الحامل والمرضع يجوز لهما الفطر إن خافتا على أنفسهما أو على الحمل والرضيع، وعليهما القضاء، وقال ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير يفطران وعليهما الفدية ولا قضاء عليهما.

الحقنة الشرجية إذا استعملها الصائم أفطر عند جمهور العلماء، وقال القاضي حسين لا يفطر بالحقنة الشرجية. قال النووي وهو شاذ وإن كان منقاسا، لأنها إنما تصل إلى الأمعاء لتنظيفها ولا تصل إلى المعدة، ولهذا لا تحدث شبعا ولا ريا.

أما الحقنة الجلدية والعضلية والوريدية فلا تفطر لأنها من طريق المسام، كالكحل والقطرة في العين لا يفطران وإن وجد الطعم في حلقه.

إذا قطر في أذنه دواء أو ماء أو غيره، قال القاضي حسين والغزالي والفوراني إنه لا يفطر، لأنه لا منفذ من الأذن إلى الدماغ وإنما يصل بالمسام كالاكتحال.

عبد الرحمن عيسى
مدير المجلة

عربي أنا

لي من دين، ولي من خلق — نسب بالعرب موصول الحبال
هم إذا رقوا فينبوع جرى — يرتوي الظمآن منه بزلال
أو نسيم ينشر الطيب وقد — راح يسري فوق ممتد الظلال
أو سحاب جاد بالخصب وما — كان يدري ... عف عن ذكر النوال
فاغتنم صفوهم واحذر فمن — رام كيداً لهم رام المحال

صبيحة عبد الرءوف سعد

شهر الصيام في واقع حياة المسلمين :

رمضان ... يكشف لنا الطريق

من شعائر هذا الدين ما شرع ليخترق الحياة اليومية العادية ، ليدفع فيها روح الإيمان ساعة بعد ساعة ، دون أن ينقطع المرء من عمله ومشاغله إلا بقدر . . . وذلك واضح في فرائض الصلاة الخمسة في كل يوم .

ومن شعائر هذا الدين ما اتجه إلى تغيير نظام (الزمان) الذي يعيش خلاله الإنسان تغييرا مباشرا .. ويبدو هذا في فريضة الصيام التي تغير مواعيد الطعام والشراب إلى أوقات أخرى تماما .

ومن شعائر هذا الدين ما اتجه إلى تغيير (المكان) الذي يحيا فيه الإنسان تغييرا مباشرا .. ويظهر هذا في فريضة الحج التي يرحل فيها المسلم إلى الصحراء ، ويلبس ملابس الإحرام ، ويمتنع عليه طوال الإحرام أعمال معينة مما كان يزاوله في الحياة اليومية عادة .

ولكل من هذه الشعائر أثره في حياة الإنسان .. فالصلاة تنبيهات خفيفة (لضبط) الآلة الإنسانية خلال مجرى الحياة العادية ، والصوم (فك وصيانة) لهذه الآلة مما يكون قد علق بها على مدار العام عن طريق تغيير للعوائد والعادات ، والحج (عمار كامل) لما تلف من هذه الآلة طوال العمر .

وكلما كانت الشعيرة الدينية أطول أمدا وأكثر تغييرا في الأوقات الرتيبة كلما تركت انعكاساتها على نفس الفرد وواقع المجتمع ، ويبدو جليا مدى اهتمام الإسلام بأثر المجتمع على نفوس الأفراد .. فهو لا يترك المؤمن يشقى بالإيمان في بيئة تلح عليه ضغوطها المادية والأدبية ليتخلص من دينه ، وإنما يرمي بالإيمان نظاما للفرد والمجموع يحقق سلام الضمير وسلام البيت وسلام الجماعات كلها ، دون تصادم أو تمزيق .

والذين يريدون دراسة صحيحة (للأسلوب الديني) في التربية والتنظيم ، فعليهم (برمضان) فهو جامع لملامح متعددة من أسلوب الدين في التوجيه :

فرمضان أولا على حال المجتمع الإسلامي يميزه فلا يجهله السائح القادم من بعيد ...

فمع أن الصيام شعيرة حقيقتها بين العبد وربه « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به [1] » ، إلا أن هذه العبادة ظواهر تراها في المجتمع كله خلال رمضان .

وجو رمضان الاجتماعي : هو الأثر الباقي الذي لم يختلف من حياتنا الإسلامية ، ومهما تاه المسلمون وتفرقت بهم السبل عبر شهور العام ، فإنهم يهتدون إلى الطريق في رمضان .

نهار رمضان تغلق فيه حوانيت الطعام ، وتمتنع الأفواه عن الازدراد أو الاحتساء ، ويصبح الشذوذ أن ترى إنسانا يأكل أو يشرب أمام الناس ...

وتسود الحساسية تمشي جماعات المسلمين فلا يطيقون رؤية ناشز آبق ، ويسود الحياء إلى وجوه أفراد المسلمين فلما ترى مجاهرا بعصيان ، وإن رأيته سارع إلى الاعتذار والتبرير !

لا أقول إن هذا هو الحكم السائد الشامل ولكن لو قارنت الحال في موقف الناس من مخالفات رمضان ، وموقفهم إذا رأوا المكاذب الخلق أو الجريمة فيما اعتادوه من أيام ... لعلمت الفارق الكبير .

وقبل المغرب .. ترى مجتمعا متحركا يستعد للفرحة الأولى ، فرحة الفطر ...

إقبال على حوانيت الطعام ....

وترى الطرقات تموج بالناس ، ثم رويدا رويدا تنتقل الأقدام عن جنوب الشوارع لتسكن في البيوت ، وهكذا تخلو الطرقات وتغلق معظم الحوانيت ، وتصير المدن في حالة هدوء تام يقطعه صوت مدفع الإفطار .

وما يكاد ينتهي الإفطار حتى تنتفض الشوارع حركة ، وتقذف البيوت بسكانها إلى (تراويح) رمضان ، ثم (سهرات) رمضان .. وتعوض البلاد بالليل ما افتقدته بالنهار .

حتى الأطفال الصغار لهم في رمضان تقاليد وعوائد ، يهدون بضجيجهم ساعة العصر لضربة المدفع ، فإذا أقبل الليل كان لهم سمر ولهو ، ومنهم من يصر على أن يرافق (المسحراتي) أو يقلده ليعي الناس منه .

[1] من حديث الطبراني في الكبير ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير .

إن رمضان هنا يبق علينا دوما نقيسه في تطبيق الإسلام ...

فلن ينهض دين الله إلا إذا تعاون عليه الفرد والمجموع ، الصغار والكبار ، الرجال والنساء ، الأسرة والمدرسة ، الإذاعة والصحافة ، الفن والأدب ... وهكذا .

ولن تنتشر جذور دين الله عازة ضاربة متفتحة ، إلا إن كان المجتمع كله يتعاون على المعروف ويتواصى بالحق والخير ، وينكر كل مخالف مارق حتى يجد نفسه غريبا في مجتمع تميز بالطهر والإيمان .

ولن ينجح التوجيه الديني إلا إن أشركنا فيه نساءنا وأطفالنا ، وعمرنا به أيامنا ولياليها . ولا أعني بالتوجيه الديني إزجاء المواعظ فحسب ، ولكن أعني الحياة الكاملة التي يشيع فيها الصدق في القول والإخلاص في العمل ، والحب لله والبغض لله .

الحياة التي لا يكون فيها الدين أحمالا وأثقالا وأعباء فقط ... بل يتغلغل الدين كل دروب الحياة ومسالكها ويمسك كل ثمراتها ، جدتها ولهوها ، فرحها وترحها ، صدقها وحربها ..

الحياة التي يكون الدين فيها تقديسه مستقرة ، وعرفا جاريا ، وقدوة صالحة ... ولا يكون (المعروف والمنكر) مجرد كلمات يصرخ بها في واد ، بل حقيقة واقعة تحتمها حياة فاضلة لمجتمع يسوق تطبيعه نفسه إلى الخير دون ملاحاه أو اصطراع .. يجتمع فيه كفالة الحاجات ، ويسمو عن الملذات ، وتتصارع في الحق ، ولا مكان فيه الكذب والنفاق والخيانة ، إذ لا يجد المرء فيه ما يحدوه ليلقيه بالالتواء والصفقة ، وإنما هو آمن على حريته وعمله وسنه ووطنه وعقيدته .

فليكن مكان الدين كله من حياتنا ، مثل مكان رمضان بيننا .. وحينئذ خلد الدين في واقع أمرنا ، خلود رمضان على تتابع الأعوام .

* * *

ورمضان مدرسة ..

نرى في رمضان :

- ارتباط الوجدان بالفكر والعمل .
- وارتباط التكليف بالتيسير .

- وارتباط الحرمان بالمتعة .
- وارتباط الفرد بالمجموع .
- وارتباط الشعائر بالحياة .

وفي هذه الصور المتعددة من الارتباط ، تبرز صورة الوحدة في الدين والحياة .

فالإنسان مشاعر وأحاسيس ، والإنسان عقل وفكر ، والإنسان سلوك ونزوع ... ورمضان نموذج لاستيعاب الدين حاجات الإنسان كلها . فالصوم في رمضان شفاء وتزكية للنفوس ، والقرآن نزل في رمضان ذكرا وضياء للعقول ، وفي رمضان ذكريات جهاد وكفاح ترسم للمؤمنين منهج السلوك ، وفيه زكاة الفطر حق السائل والمحروم .

ورياضة النفس بغير فكر أصيل لن تزيد الإنسانية ثراء إلا في عدد الذين يناموت على المسامير ، ويسيرون على الحبال ويجمعون التراب ويلعبون بالسكاكين .. والفكر الأصيل إذا لم تعصمه نفس طهور فقد يكون وبالا على صاحبه وعلى الناس .. وإذا صفت النفوس واستقامت العقول فلا بد من عمل وثمر يعمر الدنيا بالخير .

والمسلمون يستقبلون في رمضان ندوات القرآن بعد صيام وقيام ، وما أجدرهم أن يخرجوا من رمضان بنفوس صافية وعقول مستنيرة .. لو كانوا يعقلون .

• • •

ورمضان فيه تكليف ومشقة .. ولكنه يعبر عن روح الدين كله إذ يجمع إلى ذلك التخفيف والتيسير : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » .

الدين عندنا ليس إعناتا للناس وتشديدا في حظوظهم ، ثم بعد ذلك إطلاقه للعنان وإرخاء للشهوات في غير أوقات الشعائر وبعيدا عن دور العبادة ..

والدين عندنا ليس إضناء للبدن وتعذيبا للجسد زعما بأن ذلك يرقق الروح ..

هذا وذاك من الأفكار الغريبة عن ديننا ، الدخيلة عليه .

الدين عندنا تحقيق لكل الضرورات والحاجات والآمال ، وتوفير (للراحة الإنسانية) في صورتها الكاملة ، راحة الجسد والروح ، للنفس والعقل ، للفرد والمجموع .

فلذلك نرى النبي الذي فرض الصوم في رمضان ، ينهى عن الصوم في الأعياد ، وينهى عن الوصال في الصوم ، ويدعو إلى تعجيل الفطر وتأخير السحور رحمة بالصائمين : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

ومن أجل ذلك خفف الله عن المسافر والمريض « ليس من البر الصيام في السفر [1] » .

وفي غزوة بدر « نادى منادي رسول الله يا معشر العصاة إني مفطر فأفطروا ! ! ... وذلك أنه قد كان قال لهم قبل ذلك : أفطروا فلم يفعلوا » وتكرر الموقف يوم الفتح « وبلغه أن قوما صاموا فقال . أولئك العصاة ! . وقال بمر الظهران : إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم [2] » .

« وسافر رسول الله في رمضان في أعظم الغزوات وأجلها : في غزاة بدر وفي غزاة الفتح . قال عمر بن الخطاب : غزونا مع رسول الله في رمضان غزوتين : يوم بدر والفتح ، فأفطرنا فيهما . ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تقدير المسافة التي يفطر فيها الصائم بحد ولا يصح عنه في ذلك شيء ، وقد أفطر دحية بن خليفة الكلبي في سفر ثلاثة أميال وقال لمن صام : قد رغبوا عن هدي محمد . وكان الصحابة حين ينشئون السفر يفطرون من غير اعتبار مجاوزة البيوت ... » .

وإذا كان رسول الله يأمر أصحابه بالفطر إذا دنوا من عدوهم ليتقووا على قتاله « فلو اتفق مثل هذا في الحضر وكان في الفطر قوة لهم على لقاء عدوهم فهل لهم الفطر فيه قولان ، أصحهما دليلا أن لهم ذلك ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ، وبه أفتى العساكر الإسلامية لما لقوا العدو بظاهر دمشق . ولا ريب أن الفطر لذلك أولى من الفطر لمجرد السفر ، بل إباحة الفطر للمسافر تنبيه على إباحته في هذه الحالة فإنها أحق بجوازه ، لأن القوة هناك تختص بالمسافر والقوة هنا له وللمسلمين ، ولأن مشقة الجهاد أعظم من مشقة السفر ، ولأن المصلحة الحاصلة بالفطر للمجاهد أعظم من المصلحة بفطر المسافر ولأن الله تعالى قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » والفطر عند اللقاء من أعظم أسباب القوة [3] » .

[1] رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير .
[2] المقريزي : إمتاع الأسماع – طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ٦٣ ، ٣٦٠ .
[3] ابن القيم : زاد المعاد [مطبعة السنة المحمدية] ج ١ ص ٣٣٤ – ٣٣٦ .

دين واقعي .... إنساني :

« والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً » يريد الله أن يخفف عنكم » وخلق الإنسان ضعيفاً » .

* * *

ولكن ينفي الدين معنى (التعبد بالحرمان وإجهاد البدن) ، ويثبت معنى (التعبد بطاعة أوامر الله) سواء كان فيها تخفيف أو تشديد ، فإنه جعل الصوم ساعات معدودات حتم الفطر بعدها وحرّم المواصلة فوقها ، وأحلّ ليلة الصيام أن يخلو الرجل لأهله ...

وأنت تقرأ في ذلك حنو الربانية الرحيمة على الطبيعة الإنسانية التي يعلم الله سرها ونجواها :

« أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هنّ لباس لكم ، وأنتم لباس لهنّ ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم ، وعفا عنكم ، فالآن باشروهن ، وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » .

وفي هـذا أصل جليل ، حنا فيه الإسلام لفطرته إلى دوافع النفس ، فلم يزهد في الاستجابة لها ولم يحط من قدرها ، بل عمل على إرضائها بما يفي الفرد ولا يجحف على المجتمع ، بعيداً عن كبت المتزمتين أو انطلاق الفجرة .

« وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن قد يدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل بعد الفجر ويصوم ، وربما كان يقبل بعض أزواجه وهو صائم في رمضان [١] » .

هكذا يسوق الدين أحكام قضاء الوطر في ثنايا أحكام الصيام ... حتى يغدو الصيام مرتبطاً بالامتناع عن الطعام والشراب والنساء ، كما يغدو تلبية نداء الفطرة قربة لله بابتغاء ما كتبه الله لعباده « فالآن باشروهن ، وابتغوا ما كتب الله لكم » .

(١) المصدر السابق ص ٣٣٧ . لكنه منع الأزواج في سن الشباب من ذلك لأنهم لا يملكون أوطارهم .

فاذا انتهى رمضان ختم الله أيامه المباركة بعيد الفطر .. وهكذا يتزاوج فى الدين الصبر على المشقة ، ثم الإحسان على النعمة والترفيه ، فلا إفراط ولا تفريط .

« وكان صلى الله عليه وسلم يلبس للخروج إلى العيدين أجمل ثيابه ، فكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة ، ومرة كان يلبس بردين أخضرين ، ومرة بردا أحمر [1] » .

« كانت مظاهر الإسلام تجلى فى الاحتفال بالعيدين فى الأمصار الإسلامية ، وعلى الأخص فى بغداد وبيت المقدس ودمشق . . وكان يبلغ منتهى الروعة فى البلاد التى يكون فيها الشعور الإسلامى قويا مثل طرسوس حيث كان يتوافد إليها غزاة المسلمين من أنحاء الدولة الإسلامية ، وترد إليها صلات أهل البر من المسلمين الذين لا يستطيعون الخروج للجهاد بأنفسهم » . (حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام جـ ٢ ص ٣١٥) .

وقد شاء الله أن يكون ختام الصوم عيدا ، وأن يكون ختام الحج عيدا . . . وكما تكون الطاعة باحتمال مشقة الصوم والحج ، تكون الطاعة بإشاعة مشاعر السرور فى عيد الفطر وعيد النحر .

* * *

وليس الصوم مقصورا على تربية الفرد فحسب ، بل إنه يمضى آثاره على الفرد وعلى المجموع ، فيعقب صوم رمضان زكاة الفطر ، كما أن أيام الحج تنتهى بالأضحية فى عيد النحر .

وفى هذا وذاك يتقرر حق الفقير والمسكين ، وتثمر شعائر العبادة ثمارها فى روح الفرد وفى مصالح المجموع على السواء .

« كان رسول الله يخرج يوم العيد من يوم الفطر ، فيصلى بالناس تينك الركعتين ، ثم يسلم فيستقبل الناس فيقول : تصدقوا ، وكان أكثر من يتصدق النساء . [2] » .

* * *

---

[1] المصدر السابق ص ٢٥٠ .

[2] المصدر السابق ص ٢٥٢ .

وأخيراً ... فإن ثمة ارتباطاً كاملاً بين الصيام والحياة ، وهو ارتباط نجده في كل شعيرة من شعائر الإسلام .

فليست الشعائر في الإسلام مقصودة لذاتها ، وإن لم ينعكس أثر الصلاة والصيام والحج على واقع حياة المصلين والصائمين والحجاج فإنهم لم يدركوا الطريق بعد ... « ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » . رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وصححه السيوطي في جامعه الصغير .

الشعائر في الدين مدرسة أخلاقية ، وعبادة نفسية ، وتربية اجتماعية : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » ...

وفي الصيام بالذات توجيه لتقوية الإرادة والعزيمة ، وتعود الصبر والاحتمال ، وتأكيد لانقياد الفرد لأحكام الله في أخص مقومات حياته ـ غريزة حفظ النفس وحفظ النوع ... « الصيام جنة من النار ، فمن أصبح صائماً فلا يجهل يومئذ ، وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه ، وليقل إني صائم » . « الصيام نصف الصبر » . « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

ويبين القرآن ثمرة تربية المجاهدين على الصبر : « فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني ، إلا من اغترف غرفة بيده » . فأما الذين لم يطيقوا الصبر على العطش بعض الوقت فقد كانوا أعجز عن مواجهة العدو . « قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » . وأما الذين ثبتوا على الطاعة فقد واجهوا عدوهم ثابتين : « قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله » .

• • •

وهل يخرج المسلمون من رمضان ، بأخلاق فى عزائمهم وسلوكهم تلين لهم مصاعب الحياة ؟ ؟ .

وهل يعرف المسلمون أن شعائر العبادة فى الإسلام (نماذج مركزة) للتعليم ، لن تغنى شيئاً إذا لم تحقق من طريقها النماذج الأصيلة على الطبيعة فى واقع الحياة ؟ ؟ .

وهل يعلم المسلمون أن (شهادات) أداء الشعائر لن تعصمهم إذا لم يجتازوا بها ميدان العمل ، ويتعززوا بها على من لا يعرفون مؤهلاتهم ؟ ؟ .

وهل يصمم المسلمون على أن يجعلوا للاسلام فى حياتهم قاعدة اجتماعية يتضامنون على إرسائها ، كما أرسوا بينهم تقاليد رمضان ؟ ؟ .

فتحى عثمان

يقظة العروبة

قال المستشرق الانجليزى الدكتور جب : العرب يتمسكون بلغتهم وأدبهم ، ويتغنون بمجد الإسلام ، ولم تقم فى بلادهم حركة وطنية إلا كانت الروح الإسلامية أساسها . فهل يفكر العرب بعد هذا فى إبدال حروف لغتهم بالحروف اللاتينية ، أو ينصرفون عن لغة القرآن التى تربطهم بالعالم الإسلامى كافة ؟ هــذا مستحيل . وستبقى الروح الإسلامية تسود بلادهم وتتقدم أمنا بلا كلل ولا ملل ، ولن يطرأ عليها أى ضعف أو وهن .

حصوننا مهددة من داخلها

« في جامعة الدول العربية »

— ٢ —

يدعو السنهوري في مقاله – الذي وعدت بالحديث عنه – إلى توحيد القانون المدني في سائر البلاد العربية، فيستثني من ذلك الحجاز واليمن، لأنهما يحترمان الشريعة الإسلامية، (إلى أن يحين الوقت الذي تتمكن فيه من المشاركة في حركة التقنين المدني العربي – ص ٨)، ويقول بعد ذلك: إن التقنين العربي يتنازعه تياران، أحدهما ممثل في القانون المصري، وهو تيار غربي خالص أو يكاد.

والآخر يمثله القانون العراقي الحديث، وهو يمزج بين الشريعة الإسلامية والقوانين الغربية. ويدخل في القسم الأول الذي يصفه بأنه (ينتمي إلى الثقافة المدنية الغربية) مصر وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ومراكش، بينما يدخل في القسم الثاني العراق والأردن وفلسطين.

وهو يصف القانون المدني الجديد في مصر بأنه قد جعل للشريعة الإسلامية بعض الاعتبار. ولكنه يعترف بأن (المشرع المصري بالرغم من كل ذلك لم يخط خطوة حاسمة في جعل القانون المدني مشتقا في مجموعه من الفقه الإسلامي). ويعتذر عن ذلك بأن المشرع المصري قد أخذ بأسباب الأناة والتبصر (وتربص حتى يأخذ الفقه الإسلامي بأسباب التطور – ص ١٠). ثم يعود فيؤكد أن هذا القانون (يمثل أصدق تمثيل الثقافة المدنية الغربية في العصر الذي نعيش فيه – ص ١٥).

أما القانون العراقي فهو يعبر عنه بأنه (أول قانون مدني حديث يتلاقى فيه الفقه الإسلامي والقوانين الغربية الحديثة جنبا إلى جنب بقدر متساو في الكم والكيف – ص ١٨) وهو يرى أن هذه التجربة (من أخطر التجارب في تاريخ التقنين الحديث)، لأن وضع نصوص الشريعة الإسلامية إلى جانب النصوص الغربية قد (مكن لعوامل المقارنة

والتقريب من أن تنتج أثرها ، ويمهد الطريق للمرحلة الثالثة والأخيرة فى نهضة الفقه الإسلامى ، يوم يصبح هذا الفقه مصدرا لأحكام حديثة تجارى مدنية العصر وتساير أحدث القوانين وأكثرها تقدما ورقيا – ص ١٩) .

وهو يقول (بعد أن أصبح الفقه الإسلامى والقانون المدنى العربى جنبا إلى جنب فى صعيد واحد ، أن يتكامل القانونان وأن يتفاعلا ، هذا يؤثر فى ذاك وذاك يتأثر به . ومن ثم تقوم نهضة علمية حقة لدراسة الفقه الإسلامى فى ضوء القانون المدنى العربى . وهذه الدراسة هى التى قصدت أن أصل إليها ، حتى إذا آتت ثمرها وتقدمت دراسة الفقه الإسلامى إلى الحد الذى يجعله مصدرا لقانون مدنى يجارى مدنية العصر ويساير ثقافة الجيل ، عند ذلك نكون قد بلغنا المرحلة الثالثة والأخيرة وتحقق ببلوغنا هذه المرحلة الهدف المنشود – ص ٢٠) .

والهدف المنشود عنده هو الذى أشار إليه قبل ذلك بسطور قليلة حين قال (والهدف الذى قصدت إليه هو أن يكون للبلاد العربية قانون واحد يشتق رأسا من الشريعة الإسلامية) ولكن كلامه الذى تلا ذلك – وهو كلام بالغ الخطورة – يكشف عن مبلغ ما فى هذا الزعم من إخلاص ، ويرى أنه ليس إلا خداعا ، وأن الشريعة الإسلامية التى يقصدها هى شىء آخر غير الشريعة التى أنزلها الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فهى شريعة تستهدى (مدنية العصر) الغربية و (ثقافة الجيل) الغربية أيضا ، وتروض نفسها على أن ترتفع إلى مستوى شرائع الغرب ، لأنها فى زعم المؤلف لم تبلغ هذا المستوى . وقصد الكاتب إلى (تطوير) الشريعة الإسلامية واضح فى مقاله هذا كل الوضوح . وهو يقصد بتطوير الشريعة الإسلامية جعلها ملائمة لنظم حياتنا ولأنماطها المنقولة عن الغرب المسيحى ، أو الغرب اللادينى على الأصح ، فهو يريد أن يشكل الشريعة الإسلامية بشكل هذه الحياة ، بدلا من أن يشكل الحياة بشكل الشريعة ، أى أنه يحكم هذه الأنماط الغربية فى الشريعة بدلا من أن يحكم الشريعة فى اختيار ما يلائمنا من هذه الأنماط أو بعبارة أخرى هو يعرض الشريعة على واقع الحياة ، ولا يعرض واقع الحياة على الشريعة . وهو مع ذلك لا يميز بين الشريعة الإسلامية المنزلة من عند الله وبين القانون الغربى الذى صنعته المصالح والأهواء ، بل الذى صنعته اليهودية العالمية فى بعض الأحيان ، كما هو الشأن فى القانون الفرنسى الذى استمد منه القانون المصرى خاصة ، لأن هذا القانون ثمرة من ثمار الثورة

الفرنسية اليهودية التي أصبحت فرنسا من وقتها دولة لادينية من الناحية الرسمية على الأقل.
وما وجه المقارنة بين قانون صنعه الإنسان وبين قانون منزل من عند الله العليم الخبير؟.

إن الذي يعتريه شك في أن الشريعة الإسلامية - كما هي في القرآن الكريم وكما بينتها السنة الشريفة - منزلة من عند الله كافر. والذي يؤمن بأنها منزلة من عند الله لا يعتريه شك في صلاحيتها لكل زمان ومكان، لأن الله سبحانه وتعالى يعلم الماضي والحاضر والمستقبل، قد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، بذلك وصف نفسه - سبحانه - في محكم كتابه، وبذلك يؤمن المسلمون.

والواقع أن هذا الذي يهدف إليه السنهوري هو شر الحلول، لأن الذي يعمله هو تبديل الشريعة الإسلامية، ولا شك أن تفاعل الشريعة الإسلامية السماوية مع شرائع الغرب الوضعية هو شر مما كان حادثا من استعارة القانون الغربي كله أو بعضه. لأن من الممكن التخلص من الدخيل في هذه الحالة، أما في حالة الاندماج والتفاعل فادراك الحدود بينهما صعب، وتخليص الشريعة الإسلامية مما دخلها من أسباب الزيغ والانحراف يكاد يتعذر بعد أن تتخلل الروح الغربية في كيانها، ويصبح الناتج من تفاعلهما شيئا جديدا معقد التركيب تختلف خصائصه وصفاته عن كل من العنصرين المكونين له.

ثم إن الناس في الحالة الأولى يدركون إدراكا واضحا أن القانون الذي يحكمهم قانون دخيل. أما في الحالة الثانية فقد يتوهمون أن القانون الذي يحتكمون إليه قانون إسلامي بل إن كاتب المقال يزعم لهم ذلك منذ الآن.

والواقع أن هذا الذي يعمله السنهوري هو الذي يهدف إليه الاستعمار الغربي.
يقول «ه. أ. ر. جب» في كتابه «إلى أين يتجه الإسلام Whither Islam» - ص ٣٢٨ - ٣٢٩ من طبعة لندن ١٩٣٢»: (إن مستقبل التغريب والدور الذي سيلعبه في العالم الإسلامي لا يتوقف على هذه المظاهر الخارجية للتأثر والاقتباس، لأن الصورة الظاهرية ثانوية، وكلما كان التقليد في المظاهر أكمل كان امتزاج الشيء المنقول بنفس المقلدين أقل؛ لأن جوهر الروح والأصول التي تنطوي عليها المظاهر الخارجية مهما كاملا لابد أن يصحبه إدراك التعديلات التي تتطلبها الظروف المحلية، ويمكن أن يزول من العالم الإسلامي كثير من النظم الغربية التي نراها فيه الآن، ولن يكون بعد ذلك أقل حظا من الاستغراب

بل ربما كان أوفر حظا ، وإذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للغزو الغربي ولمدى تغلغل الثقافة الغربية في الإسلام كان علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية . علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة والحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تهشم وتصدع جزءا حقيقيا من كيان الدول الإسلامية ، متخذة شكلا يلائم ظروفها) .

يعود كاتب مقال المجلة الثقافية بجامعة الدول العربية فيؤكد أن هدفه هو تغريب الشريعة الإسلامية نصها وروحها ، أو بعبارة أخرى إيجاد « إسلام غربي » إن صح هذا التعبير ، وذلك حيث يقول (فالنتيجة الحتمية إذن لوضع القانون المدني المصري ثم لوضع القانون المدني العراقي مشتقا منه ومن الفقه الإسلامي هي السير في النصوص بدراسة الفقه الإسلامي في ضوء القانون المدني الغربي — ص ٣١) .

ومع ذلك فهذا القانوني الذي يطلق بالتشريع الإسلامي التخلف عن القانون الغربي يعترف بأنه لم يدرس الشريعة الإسلامية إلا في وقت حديث متأخر جدا ، حين اشترك في وضع القانون المدني العراقي . فأتيح له الاطلاع على بعض نصوص الفقه الإسلامي ، وهو هنا يعترف اعترافا صريحا بأن اطلاعه على الفقه الإسلامي جديد تاريخا ، ومحدود موضوعا ، لا يجاوز ما أتيح له أثناء اشتراكه في لجان وضع القانون العراقي ، ولم يحنه من وقته صفة من عشرات السنين التي أنفقها في دراسة القانون الفرنسي ، والواقع أن هذا الجهل بالشريعة الإسلامية يمثل ثقته بالقوانين الغربية ، التي حدت به إلى المجاهرة بأن تكون روح التقنين الغربي وأسلوبه هما قوام نهضة التشريع الإسلامي ، وهو بذلك معذور بجهله حسب اعترافه ، ومن جهل شيئا عاداه ، ولكن من الظلم للناس وللإسلام وللقانون أن يسلم زمام التشريع في البلاد الإسلامية إلى الذين يجهلون شريعتها ، ومن الواضح أن الرجل حين رأس لجان القانون المدني الجديد في مصر لم يكن على معرفة بالشريعة الإسلامية ، لأنه إنما اتصل بها حسب اعترافه أثناء اشتراكه في لجان القانون المدني العراقي ، وقد كان ذلك بعد وضع القانون المدني المصري الجديد ، واعترافه في هذا الصدد صريح ، إذ يقول (وأكثر ما كان درسي للفقه الإسلامي عند وضع القانون المدني العراقي . فإن هذا القانون كما قدمت مزاج صالح من الفقه الإسلامي والقانون المصري الجديد . فأتاح لي اطلاعي على نصوص الفقه الإسلامي ، سواء كانت مقننة

في المجلة [١] ومرشد الحيران ، أو كانت معروضة عرضا فقهيا في أمهات الكتب وفي مختلف المذاهب ، أن أحفظ مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابتداع ، وما يكمن فيه من حيوية وقابلية للتطور ص ٢٢) .

ويرسم كاتب المقال منهجا يقترحه لدراسة الفقه الإسلامي (لإحيائه والنهضة به نهضة علمية صحيحة) حسب زعمه . فيقرر في بدء كلامه أن (الأساس في هذه الدراسة أن تكون دراسة مقارنة . فيدرس الفقه الإسلامي في ضوء القانون المقارن) . ولست أدري ما حاجتنا إلى هذه المقارنة . ولماذا كل هذا الحرص على أن لا نخالف التشريع الغربي ولا نبتعد عن روحه ؟ أليس في تلك قتل شخصيتنا وإفناء لها في الغرب ، مما لا يخدم سوى مصالح الاستعباد والتبشير ؟ ذلك إلى ما يتضمنه من تبديل شرع الله وتحريف الكلم فيه عن مواضعه ، وهو كفر صريح ، وليس بعد الكفر ذنب .

ويطالب الكاتب بدراسة مذاهب الفقه الإسلامي المختلفة ، التي منها والشيعي والخارجي والظاهري : (ونستكشف من وراء كل هذا قواعد الصناعة الفقهية الإسلامية ، ثم نقارن هذه الصناعة بصناعة الفقه الغربي الحديث ، حتى يتضح ما بينهما من الفروق ووجوه الشبه ، وحتى نرى أين يقف الفقه الإسلامي ، لا في قواعده الأساسية ومبادئه ، بل في أحكامه التفصيلية وفي تفريعاته ؛ لنهتدي به للعبور إلى هذه التفصيلات ، على أسس تقوم على ذات الفقه الإسلامي وطرق صياغته وأساليب منطقه . وحيث يحتاج الفقه الإسلامي إلى التطور يتطور ، وحيث يستطيع أن يجاري مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير . وهو في الحالين فقه إسلامي خالص (؟ !) لم تداخله عوامل أجنبية فتخرجه عن أصله (؟ !) – ص ٢٣) .

ألا تعجب معي لهذا الرجل الذي يزعم بعد كل ما قاله أن الفقه الإسلامي الذي يسعى إلى تطويره تحت وصاية التقنين الغربي وفي ولايته هو فقه إسلامي خالص ؟ وكيف يكون خالصا وهو يحكم فيه (روح العصر) ، وهي روح غربية حسب اعترافه في كل موضع من مقاله ؟ ومن الواضح أن (مدنية العصر) التي يطالب السنهوري الفقه الإسلامي أن

---

[١] المقصود هو (مجلة الأحكام العدلية) التي أصدرتها الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر متضمنة صياغة الأحكام الإسلامية – على المذهب الحنفي – في شكل مواد على النمط الغربي .

يجاريها ، ويطلب إلى واضعي القوانين أن يتخذوها مقياسا لصلاحية الفقه الإسلامي ، هذه المدنية هي مدنية غربية فرضها الاستعمار الغربي ونجح في ترويجها وفي إرساء دعائمها وتنشئة الرجال الذين يسهرون عليها ورعاية هؤلاء الرجال ودفعهم إلى منصب القيادة والزعامة ، بما يسمح لهم أن يربوا جيلا جديدا من أتباعهم ، ثم يربي هذا الجيل جيلا من بعده ، وهكذا دواليك ، فتصبح قيادة المسلمين الفكرية والسياسية دائما في يد هذه العصابة ، لا يسمع الناس إلا كلامها وكلام أذنابها ، ولا يرون إلا صورها وصور أذنابها ، ولا يرقى أحدهم إلى مرتبة من مراتب الشرف ولا يفتح له باب من أبواب الرزق إلا إذا حصل على جواز المرور من هذه العصابة التي تسد كل منفذ ، وتتحكم في كل باب وتحتل كل معقل . ويظل المسلمون هكذا محكومين في حقيقة الأمر بالاستعمار الغربي وهم يظنون أن حكامهم هم إخوانهم وأبناء أمتهم .

ويقترح السنهوري بعد ذلك إنشاء معهد خاص يلحق بجامعة الدول العربية لدراسة الفقه الإسلامي حسب ذلك المنهج الذي يقترحه . وهنا يلتقي السنهوري بطه حسين ، الذي اقترح في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر - الفقرة ٤٩) إنشاء معهد للدراسات الإسلامية في كلية الآداب ، كما يلتقي بمحمد خلف الله في اقتراحه الذي تقدم به إلى وزارة التربية والتعليم عن إعداد مدرسي الدين ، فاقترح فيه (أن يعاد النظر في تكوينه وإعداده وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق له عمق الثقافة وحرية الفكر) ، وبنى على ذلك اقتراحا بإنشاء (قسم أو شعبة للدراسات الإسلامية في كل كلية للآداب بالجامعات المصرية) تدرس فيما تدرسه (سيكولوجية الدين) و (النظم الدينية والأخلاقية المقارنة) و (لغة أو لغتين شرقيتين كالفارسية والأوردية ، ولغة أو لغتين غربيتين ، ليكونوا على اتصال بتيارات التفكير الثقافي في الشرق الإسلامي وفي الغرب) [١] .

ومع ذلك كله فلن تسلم الشريعة الإسلامية من الاحتجاز عند كاتب هذا المقال أكثر مما سلم القانون الروماني . فالغاية عنده من إنشاء ذلك المعهد الذي اقترحه هي أن تنتهي هذه الدراسة بعد عشرات من السنين إلى أن يتجدد شباب هذا الفقه ، وتدب فيه عوامل التطور فيعود كما كان منها صالحا للتطبيق المباشر ، مسايرا لروح العصر ، وتكون مهمة

---

[١] مجلة الأسرة - يصدرها قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالإسكندرية - العدد السادس سنة ١٩٥٢ ص ١٦٠ - ١٦٥ .

الفقه الإسلامى هـذه شبيهة بنهضة القانون الرومانى فى العصور الوسطى . ويبعث الفقه الإسلامى قانونا مدنيا متطورا يجارى المدنية الحديثة . ويشتق هذا القانون الحديث من الشريعة الإسلامية كما اشتقت الشرائع اللاتينية والشرائع الجرمانية من الفقه الرومانى - ص ٢٤)

ومثل هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن مسلم يعتقد أن الشريعة الإسلامية منزلة من عند الله ، وأنها حدود الله ، لا يتعداها إلا كافر ظالم لنفسه .

ثم يأخذ الكاتب فى بيان ما يتضمنه التقاء القانون الغربى بالفقه الإسلامى من وجوه واحتمالات ، ويخرج القارئ من كلامه بأن ما يسميه (اشتقاق القانون من الشريعة الإسلامية) ليس فى حقيقة الأمر إلا إخضاع الشريعة الإسلامية لأهواء العصر وشهواته وهو ما يسميه (مدنية العصر) . وخلاصة ما يقوله هنا أنه لا يأخذ بحكم الشرع إلا حيث يتفق تماما مع روح القوانين المدنية المستجلبة من أوربا . ثم هو يعدل الحكم الشرعى أو يلغيه ويسقطه حسب مبلغ تعارضه مع هذه القوانين الغربية الأصول ، التى هى فى رأيه (أصلح للعصر) أو (تجارى مدنية العصر) أو (تساير روح العصر) حسب تعبيره فى مواضع مختلفة من هذا المقال الطويل .

وتطوير الفقه الإسلامى الذى يدعو إليه الكاتب ، أو تبديله على الأصح ، هو تطوير وتبديل لا يقف عند حد حسب اعترافه هو نفسه حيث يقول : (فالهدف الذى نرمى إليه هو تطوير الفقه الإسلامى وفقا لأصول صناعته ، حتى نشتق منه قانونا حديثا يصلح للعصر الذى نعيش فيه . فإذا استخلصنا هـذا القانون فى نهاية المرحلة وأبقيناه دائم التطور حتى يجارى مدنيات العصور المتعاقبة ، فقد تكون أحكامه فى جزء منها قل أو كثر ، مطابقة لأحكام القانون المدنى العراقى أو لأحكام القانون المدنى المصرى أو لأحكام كل من القانونين ... الخ ص ٢٨) . والمهم فى ذلك كله أن هذا التطور الدائم سوف ينتهى بذلك التشريع الإسلامى المزعوم فى المدى القريب أو البعيد إلى أن يصبح شيئا مختلفا عن الإسلام الذى أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام اختلافا تاما . بل إنه لكذلك منذ بدء وضعه أو التفكير فيه كما هو ظاهر فى هذا البحث »

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

الأزهر بين العروبة والإسلام

هذا موقف من مواقف الإنصاف وإيضاح الحقائق يرى الأزهر نفسه مضطرا فيه إلى الحديث عن ذاته، لا رغبة المفاخرة والمكاثرة، بل بدافع التصحيح للوقائع، والتقويم للأحكام، والتعديل للعوج، والله يقول الحق، وهو يهدى السبيل.

والأزهر الشريف هو صاحب الفضل علينا وعلى الناس هنا وهناك، وهو الجامع الإسلامى العربى الأكبر، الذى صان تراث الإسلام والعروبة خلال أكثر من ألف عام، والذى حقق الوحدة العربية والوحدة الإسلامية منذ أقدم العصور، ففى أروقة الأزهر وحول أعمدته، وفى رحابه وجنباته، وفى معاهده وفروعه، تلاقى أبناء الأمة العربية، وأبناء الأمة الإسلامية خلال هذه القرون الطويلة، فتعارفوا وتآلفوا، وتذاكروا وتدارسوا، واجتمعوا على عقيدة الإسلام السمحة ولغة القرآن العربية، كتلة واحدة ومجموعة متحدة، تتقارب عواطفها ومشاعرها، وتتلاقى أفكارها وخواطرها..

والأزهر هو الذى لولاه فى عصور الظلمات وعهود الاحتلال ـ لضاعت العروبة وضاعت كلمة الإسلام من هذه الديار، ولم يبق فى مصر رجل يقرأ أو يدرى الكتاب، كما يقول «شوقى» عليه رحمة الله.

فقد نظم «شوقى» قصيدة يحيى بها كتاب «تاريخ مصر الحديث»، وفيها يصف ظلمات البغى والاحتلال والاستبداد التى طغت بالبلاد والعباد، ثم ينوه بفضل الأزهر الشريف خلال هذه العهود المظلمة فيقول:

ظلمات لا ترى فى جنحها ... غير هذا الأزهر السمح شهابا

زينت الأخلاق فيه حائطا ... فاحتمى فيها رواقا وقبابا

وترى الأعراب من أشياعه ... صيروه بسلاح الحق غابا

فيها لولاه لم يبق بها ... رجل يقرأ أو يدرى الكتابا

حفظ الدين مليا ومضى ... يفقد الدين فلم يملك ذهابا

أودت هيبته من عجزه ... وقصارى عاجز ألا يهابا!

ولقد حاول الأتراك أن يفرضوا التركية في بلادنا على الجميع ، وحاول الفرنسيون أن يفرضوا الفرنسية ، وحاول الإنجليز أن يفرضوا الإنجليزية ، وزحفت هذه اللغات فعلا في الدواوين والمصالح والنظارات والوزارات والبيوت والأندية والمجتمعات ، وكاد صوت العربية يضيع ، لولا أن الأزهر الجليل أبى واستعصم أمام هذا الطوفان الأعجمي المربي الجارف ، فصانت اللغة العربية في أماكن كثيرة وبقيت حية قوية في الأزهر . أيقال بعد ذلك في نزوة من نزوات النقد أو التكيد إن الأزهر مقطوع الصلة بالقومية العربية ؟ .

وكيف يقال ذلك والأزهر كان ولا يزال المنبع الذي تفيض منه الدعوات الحريصة على خير البلاد والعباد ، وتشع منه الأضواء التي تنير السبيل في فترات الكفاح والجهاد ، وهو الذي تنبع منه الدولة مشاعر الأمة وعواطفها في كل موقف فاصل من مواقف التاريخ ، وفي كل ملمة من ملمات الأحداث ، وفي كل مرحلة من مراحل النضال ، ففي يوم الاعتداء الثلاثي الأسود على مصر انبعث صوت التعبئة العامة من جوف الأزهر ، وفي يوم ميلاد الجمهورية العربية المتحدة ارتفعت كلمة الإسلام من ساحة الأزهر تؤيد هذه الوحدة وتزكيها ، وما من يوم من أيام الفصل في تاريخ هذا البلد وهذه الأمة إلا وكان فيه للأزهر كلمة مسموعة وصوت مرفوع ؟ ! . .

والأزهر عربي كل العروبة ، عربي في داره وعلومه ولغته وأساتذته وطلابه ، والأكثرية الكاثرة من طلابه هم أبناء البلاد العربية ، ولو لجأنا إلى لغة الأرقام لقلنا إن تسعين في المائة من طلابه على الأقل عرب من أبناء العرب ، جاءوا إليه من أقطار عربية ، وفيهم ما فيهم من مقومات العروبة ، فزادهم الأزهر عروبة وعربية ، وأهدى إليهم فوق تقويته لعروبتهم هدية كبرى ، هي أن فقههم في دين الله ، وجعلهم دعاة للإسلام ، والإسلام هو خير من زكى العروبة وأعلاها ، وأيدها وقواها . . . .

والأزهر قد عرّب الذين ليسوا بعرب . . . عرّب الكثيرين من العجم الذين لم تكن لهم رابطة بالعروبة والعربية . . فكم من آلاف الطلاب غير العرب قدموا إلى الأزهر من أقطار نائية وديار بعيدة ، وهم لا يعرفون حرفا من العربية ، ولا ينطقون فيها بكلمة ، فتسلمهم الأزهر ، فثقف ألسنتهم بالعربية ، ودرس لهم كتب العربية ، وجعلهم يكتبون بالعربية ، وينطقون بالعربية ، ويفكرون بالعربية ، وفي أثناء ذلك عمر الأزهر عقولهم وقلوبهم بتاريخ العرب وأمجاد العرب ومفاخر العرب ، وعاد هؤلاء إلى بلادهم ينشرون

الإسلام بلغة العرب ، فيحسنون المزج بين العروبة والإسلام ، ويبثون في الديار التي ليست عربية في أصلها ذكرًا للعرب وريحًا عاطرة للعروبة ...

ويقولون – ويا إفك ما يقولون – إن الأزهر مقطوع الصلة بالحياة ولا يدرس العلوم الكونية والمواد الحديثة ، مع أن الأزهر تدرس فيه علوم التاريخ والجغرافيا والرسم والهندسة والجبر والطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان وعلم النبات وتشريح الجسم وقواعد الصحة واللغات الأوربية . أفليست هذه من علوم الحياة ؟ . . .

وهذه صحيفة «الأهرام» تنقل لنا في صباح السبت ١٧ شعبان سنة ١٣٧٧ هـ – ٨ مارس سنة ١٩٥٨ م ، رأى رجل مسيحي ، وهو من رجال السياسة والقانون المخضرمين الذين شاركوا في معمعان المحاولات السياسية والتيارات الاجتماعية ، وهو الأستاذ لويس فانوس ، الذي كان عضوًا بمجلس الشيوخ في الماضي ، وفي هذا الرأي يقول :

« إني كمسيحي أود لدى أن أؤكد أن الدراسة في الأزهر خير دراسة يقوم عليها منهج قديم أو حديث ، فإن الأزهر هو ذلك المعهد القديم الذي صان القومية العربية واللغة العربية والفقه الإسلامي الذي لم يترك شيئًا من حياة المجتمع إلا نظمه ، كالجنايات والحدود وشئون التوثيق وأحوال الأسرة » ! . .

وفي الأزهر فرق كبرى للتدريب العسكري والحرس الوطني ، أفليس هذا التدريب من الاستجابة القوية للحب ، وللواجب نحو الوطن ؟ ... وفي الأزهر فرق كثيرة للرياضة بمختلف أنواعها ، وقد تغلب بالأمس القريب فريق الأزهر لكرة السلة على فريق الإقليم السوري في الجمهورية العربية المتحدة ، أفليس هذا دليلًا على اتصال الأزهر بالحياة ؟ .. ومنذ أيام أقام الأزهر معرضًا للفنون .. إي والله أقام معرضًا للفنون زاره الكثيرون من شعبيين وحكوميين ، أفبعد هذا اتصال بالحياة ؟ . . ولقد قال أحد علماء الأزهر في مؤتمر رياضي عام منذ سنوات وهو يتعلق باسم الأزهر الحديث : « نريد بجوار كل مسجد ملعبًا ونريد في كل ملعب مسجدًا » ، أفليس هذا من اتصال الأزهر بالحياة ؟ . ولقد نادى أحد علماء الأزهر بالتعاون الصادق بين رجال الدين – وهم أهل الأزهر – وبين رجال الفن ، وقال كلمته التي سارت : « إنه يود أن يرى رجل الفن ومعه رجل الدين يلتقيان في منتصف الطريق خدمة للعقيدة الصحيحة والفن السليم » ... أتوجد وراء هذه رغبة كريمة بوصل الأزهر بالحياة ؟ ...

معاذ الإنصاف بعد هذا أن تقول إن الأزهر خلو من العيوب ، أو إن مناهج دراسته صورة من صور الكمال والتمام ، فالنقصان حظ الإنسان ، والمثل الأعلى يرتفع دائماً كلما خطا الإنسان نحوه خطوة أو خطوات ، ولكن المؤسف كل الأسف أن تشكل للأزهر وعلومه وشخصيته تهم هو منها براء ، فيقال إنه مقطوع عن القومية العربية ، مع أنه عماد هذه القومية العربية ، أو يقال إن علومه لا تتصل بالحياة ، مع أن أغلبها وثيق الصلة والارتباط بهذه الحياة ! ...

لو قيل – مثلا – إن الأزهر مهضوم في حقه ، أو مظلوم من بعض أهله ، أو منكور الفضل عند بعض قومه ، أو مصدود عن مكانته بسبب عجزه ، أو متأخر عن موضعه بسبب الغبن المادى والأدبى عليه ، لكان القول أشبه بالإنصاف وأدنى إلى الإصلاح ...

أما أن يقال إنه منقطع عن القومية العربية ، ومقطوع الصلة بالحياة ، فكبرت كلمة تخرج من الأفواه ...

بعض الإنصاف يا هؤلاء ، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه ! ..

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

نسبة التعليم في سوريا

بلغت نسبة التعليم في سوريا ٨٠ ٪ بين أفراد الشعب .

وقد أوجب دستور سوريا الذي صدر عام ١٩٥٠ تعميم التعليم الابتدائي في كافة أنحاء سوريا خلال عشر سنوات على الأكثر ، على أن يوضع لذلك برنامج مفصل على مراحل ، وتلتزم بتنفيذه جميع الحكومات المتعاقبة خلال هذه السنوات .

كما أوجب الدستور القضاء على الأمية خلال عشر سنوات ، وأن يوضع برنامج مفصل لذلك تلتزم جميع الحكومات المتعاقبة بتنفيذه .

رسالة الأزهر

هي رسالة في تحية ، وتحية في رسالة ، كلتاهما صنو لأختها ، يستقبلان معاً واحداً في جنبات هذا البيت المعمور برسالاته نيفاً وألف عام .

المساجد :

« وإن المساجد لله » فهي دور العبادة ومهابط التقى ومراد تربية الأرواح على هدى الدين الحنيف ، ومنتديات التعارف بين القلوب بهذه التجمعات التي تؤدى بها الصلاة ، وقد بدأ تأسيسها في الإسلام الرسول الكريم ، من فجر أيام جهاده في الدعوة إلى دين الله ، وكانت يلتقى فيها صحبه ويبث التعاليم التي أضاءت للناس سبل الاستجابة للدعوة الإسلامية . كما كانت في أيام ورثته على القيام بهذه الدعوة ، الخلفاء الراشدين ، مثابة لكل خير فيها انبعثت التشريعات للحكم الصالح ، وسياسة الحياة الفاضلة ، وفيها كان التقاضي بين الناس والفصل في الخصومات ، وإقامة الحدود الشرعية ، وفيها كانت تعقد ما يشبه المجالس النيابية للمفاوضة فيما يقتضي تمحيص الرأي كأمور الجيش وحرب المعتدين إذن لم يكن دخول العلم ومدارسته في وظائفها هذه بالأمر المقحم عليها ، وإنما رسالتها هي التي جذبته إليها اجتذاباً وولدته منها توليداً . فرسالة الدين والعلم ورسالة التعبد والتقوى ، ورسالة النظر في مصالح المسلمين هي رسالة واحدة لدية واحدة ، وهذه مساجد الإسلام الكبرى دخلها العلم والتفقه بالدين فصارا من نسيج رسالتها كالحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، والمسجد الأقصى أو جامع عمر بالقدس ومساجد ابن العاص وابن طولون والأزهر بمصر ، والمسجد القرطبي بقرطبة ، والمسجد الجامع ببغداد ، والمسجد الأموي بدمشق ، ومسجد الزيتونة بتونس ، ومسجد الكتبية بمراكش ، ومسجدي السلطانين أحمد ومحمد بالآستانة . كلها دخلها العلم ومدارسة أحكام الدين من باب رسالتها ، لا بالاستعارة ولكن بالحقيقة والأصالة ، وسرعان ما جبيت إليها ثمرات العلوم من كل حدب ، فأمدت المعرفة بنبض على تحاجج ، مع تفاوت بينها قريب أو بعيد في أزمان التأسيس وانتظام التلقي ودرجات الإفادة . فمنها ما خدم العلم حيناً ما ، ومنها ما أدى رسالته له قوية عارمة . فما هي إذن رسالة الأزهر من بينها ؟ .

رسالة الأزهر :

كان الأزهر على موعد لم يخطئه في حمل رسالة الدين والعلم بعد أن دك الطوفانان الشائعان على التعاقب : بغداد دار العلم والسلام والخلافة ، وقعت صريعة تحت وحشية المغول الذين مثلوا بالعلم وأهل علماء الدنيا شر تمثيل ، ويحسبي من وصف هذه الوحشية الجهلاء أنهم اتخذوا من أكداس الكتب العلمية معابر يعبرون عليها الأنهار ، ثم الأندلس التي ارتفع فيها العلم والمعرفة بكل أنواعهما إلى قمة الملك ، زالت أيضا كأختها بغداد زال منها الوجود العلمي بغزو برابرة الأسبان . كان الأزهر على موعد من حمل ذلك التراث العلمي الضخم .

الفاطميون والأزهر :

فتح الفاطميون مصر وخطبوا لزعيمهم « المعز لدين الله » في جامع عمرو بن العاص في التاسع عشر من شعبان سنة ٣٥٨هـ وبعد تأسيس « القاهرة المعزية » - كما سموها - رأوا أن يؤسسوا لهم مسجدا يحوطونه بكل أنواع الرعاية ، فأسسوا « الجامع الأزهر » سنة ٣٦١ هـ ، وقد سموه الأزهر أخذا من اسم السيدة فاطمة الزهراء التي قسموا اسمها إلى قسمين سموا دولتهم الى القسم الأول منه فكانت الدولة « الفاطمية » وأخذوا من القسم الثاني منه اسم (مسجدهم الجديد فكان « الجامع الأزهر » .

الأزهر والعلم :

كان الفاطميون علماء حقا في أداء رسالتهم الدينية والعلمية ، وقد أرادوا أن يلفتوا الأنظار إلى مسجدهم هذا . فاختاروا له نواة صالحة من العلماء ، وأخذوا يجرون عليهم الأرزاق ويبنون لهم المساكن بجوار الأزهر ، وكم أقاموا فيه من احتفالات بهيجة تارة في صلاة الجمع وتارة في افتتاح الدراسة به مما وصفه مؤرخ مصر « المقريزي » بأوصاف تفيض روعة وجلالا ، وكانوا يسجلون أسماء الحاضرين في سجلات خاصة تكريما لهم ، وقد جلبت هذه الوسائل الإكرامية الجماهير من طلبة العلم وطبقات الناس إلى ارتياد الجامع الأزهر ، وهذا يرجع بلا ريب للفاطميين الذين كانوا أكثر الناس شغفا بالاحتفالات الدينية وتاريخ احتفالاتهم بالأعياد ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف للطالبين .

على هذه الأسس أخذ الأزهر يؤدي رسالته العلمية والدينية بجد ونشاط حتى صار

معهداً علمياً جامعياً في أسرع الأوقات بعد أن أدخل فيه من مناهج الدراسة وترتيب أوقات الدراسة والتحلل من القيود في البحوث العلمية ما كان يصل به إلى مداها . وقد أعانهم على استقامة هذه الطرق العلمية وتنوع العلوم الدراسية ـ مكتبتهم التي أربت على مائتي ألف كتاب ، فيها من كل ما ألف في مختلف العلوم والفنون إلى وقتهم .

الأزهر والمرأة :

جذبت أساليب عناية الفاطميين بالأزهر النساء كما سبق أن جذبت إليه الرجال ، فلقد روى المقريزي أنه كان للنساء في الحضور إلى الأزهر نصيب وكن يفردن فيه بمجلس خاص . وفي هنا وقفة قصيرة هي وقفة الإعجاب بالأساليب الساحرة التي أحاط بها الفاطميون الأزهر لا سيما التي جذبت إليه النساء يتفقهن فيه الدين ، وفي الحق إن الفاطميين كانوا أبرع أهل المذاهب في الدعوة إلى مذهبهم ، ومن أكرم الناس عطاء للعلماء والطلبة والطالبات ، ولذلك استمرت الحركة العلمية تزدهر في الأزهر ونزح إليه النازحون من المشرق والمغرب لأنه صار المعهد العلمي الإسلامي الذي طبق ذكره الآفاق ، وضربت في السعي إليه آباط الإبل .

الجامعية :

إذا صاحبنا الفاطميين في رسالة الأزهر العلمية بأن هذا المعهد ليبرز في حلبة الجامعية بروزاً كبيراً ، ففيه درس المذهب الفاطمي والعلوم والفنون الكثيرة على أوسع طرق الدراسة ، وفيه دخلت إلى هذا المعهد الطرق الجامعية في أداء الرسالة العلمية ، وفيه انتظم النساء في حلقات دراسية خصصت لهن بعيدة عن حلقات الرجال .

وجاء دور السلطان صلاح الدين الأيوبي في حكم مصر وكان سنياً في مذهبه فعمل على تعطيل دراسة مذهب الشيعة في الأزهر وركدت الحال العلمية فيه :

ثم ابتدأ الملك الظاهر بيبرس حكمه بأن أعاد إلى الأزهر ما كان فيه من حركة علمية ودراسية ، ولكن على المذهب السني ، ومن هنا انمحت دراسة مذهب الشيعة في الأزهر وأخذ الأزهر يؤدي رسالته مهمة جديدة للدين ولغة القرآن ، وإني إذا ذكرت دعائم النهوض في هذه الحقبة فإني أذكر بكل فخر الإمام الجلال السيوطي الذي تعهدنا بمؤلفاته – على وجه التقريب –

ما كان يدرس فى الأزهر من علوم ألف فيها هذا العالم الجليل خمسمائة كتاب ، عنونت رسالة الأزهر العلمية بعنوان قوى لا تزال مراجعه معتبرة للدارسين ، هذه المؤلفات فى علوم التفسير والقراءات والحديث ومتعلقاته والفقه واللغة العربية ومتعلقاتها والأصول والبيان والتصوف والتاريخ والأدب . كما أذكر الجلال المحلى وعز الدين بن عبد السلام وعلماء البيت السبكى من الأب إلى أولاده ، والشهاب القرافى وابن هشام وابن دقيق العيد والأدفوى وغيرهم . ولا يسمح الإيجاز — المقدر لبحث فى مجلة — أن أذكر شيئا عن كل واحد منهم . كما ارتحل إلى مصر كثيرون من العلماء المسلمين الغرباء فنهلوا من مناهل الأزهر ، وكان هذا هو اجتذاء تكوين ما يشبه عصبة أمم إسلامية فى هذا المعهد العتيق . أذكر منهم الأجلاء الزيلعى والأصبهانى والتبريزى وعز الدين المقدسى وابن حيى الأندلسى والحافظ العراقى وابن حجر العسقلانى وعلاء الدين الحموى والرضى الشاطبى والفيروزبادى الفاسى وقاسم الحوسى وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى .

أدى هؤلاء السادة العلماء فى هذه الحقب رسالتهم فى مرحلة من كل مطامع الحياة وزخرفها ، فاحتكموا على أداء رسالة الدين ومعه تأليفا ودراسة فأورثوا العالم الإسلامى أوسع المؤلفات وأهم الموضوعات مشرقا ومغربا . وكانت المراجع الخالدة للدين واللغة وما يدور حولها من علوم وستظل أبدا هى المراجع الأولى فيما ألفت فيه . كما أدوا رسالة الوعظ والإرشاد بتعليم الناس أمور دينهم فى تقشف وزهادة ، فكانوا للفقراء أفضل مثل فى تحمل ضيق العيش ، وخلاصة القول كانت حياتهم العلمية من تأليف وإرشاد وحياتهم الخلقية الكريمة وتدينهم وتقواهم — أفضل رسالة أداها الأزهر للدين والدنيا معا .

عصر التطور ورسالته :

أريد بهذا العصر عصر الإمام محمد عبده ، ويحسبني ابتداء من وصف هذا العصر ورجله الجليل أن أذكر رأى الإمام المراغى فى ذلك بنصه .

« أعتقد أننا إذا جاوزنا عصر السلف الصالح لا نجد رجلا رزق فهما فى هداية القرآن ووضع مصدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثل الإمام محمد عبده ، ولقد وهبه الله شروط الإمامة الدينية جميعها كما منحه البصر فى أمور الدنيا ، ومن الحق على المسلمين أن يترسموا خطواته بالإصلاح الدينى والدنيوى إذا أرادوا إعزاز دينهم ورفعة أتباعه فى دنياهم » .

وهب الله الإمام شروط الإمامة التي كان من مظاهرها الدفاع عن دين الله أمام كتاب الغرب ومفكريهم ، واعتقد أن الذين عنوا بإصلاح الأزهر لو فكروا في تدريس مقارعات الإمام وهانوتو لكان ذلك خيرا كبيرا ، لأن الإمام وصل في أداء رسالة الدين في ردوده إلى أرفع الدرجات وأسمى الغايات ، ولم يجد الإسلام وقد وجهت إليه التهم الكثيرة من هانوتو وأمثاله إلا عبقرية هذا الإمام الجليل فذب عنه وحمى حماه ، ولم يكن هذا الجدل إلا ناحية من الصراع الفكري بين الشرق والغرب ، صوره الكاتب الفرنسي بأن الجنس السامي الإسلامي تربة خصبة لكل تمزق ، وصوره إمامنا الجليل بأنه الدين القوي المتين في أصوله وفروعه ، يلحق البيئة بالبيئة ويميز بين ما هو من صلب الدين وما هو دخيل عليه .

أما إصلاحه الدين والدنيا بتفسير كتاب الله عن طريقته فذلك ما خرت له العقول ساجدة دون الأفهام ، تتقاطر إلى درسه أفواج المسلمين من مصر والمشرق والمغرب ؛ لتسمع دروس الشيخ وكأنها تشاهد تحفة فريدة في صنعها . هذه الطريقة المثلى في تفسير كتاب الله هي التي تشرئب لها العقول الناهضة إلى يومنا وقد رأيناها واضحة جلية بين يدي الشيخ المراغي من آي القرآن الحكيم ، ثم امتدت بعد المراغي إلى من استفادوا من طريقتها المثلى أمثال فضيلة الشيخ محمود شلتوت في كتابه « منهج القرآن في بناء المجتمع » وكذلك إلى هؤلاء الأساتذة الأزهريين الذين رأيناهم في المؤتمرات الإسلامية يصورون رسالة الأزهر اليوم تتمثل في تفسير القرآن وفلسفة الدين الإسلامي وما مهد من أمور جديدة .

ولعظم تمكن أسرار الدين من نفس الإمام فإنه قد غاص إلى الأعماق في وصف إصلاحاته بنفي البدع التي أدخلت عليه ممن شوهوا بهاءه ، سواء أكانوا من الغربيين أم من الجاهلين ، الذين ينتسبون إلى الدين وهم لا يفقهون منه شيئا إلا القشور وما لا يجدي . وقد نادى في ذلك الإصلاح بأصول كبرى : مثل الرجوع بالإسلام إلى ينابيعه الأولى ، ومثل أنه لا سعادة للمسلمين إلا بأن يكون هم الدين وجدانه ، كما أنه رأى فتح باب الاجتهاد لمن أهلته مواهبه العلمية وقوته العقلية لارتياد فيافيه .

حسن الشيخ

عضو نقابة الصحفيين

الإسلام والوحدة

كان الحدث العظيم ـ اتحاد رئيسي مصر وسوريا ـ الذي تمخضت عنه هذه الأيام الغرر في تاريخ العرب والمسلمين فرحة وأي فرحة في نفس كل غاضب للإسلام والعروبة ، فما برح هذا البلاء المستطير الذي نال العرب والمسلمين في تاريخهم الحديث ، إلا تفرقهم شيعا وأحزابا ، وما أتوا إلا من هذه الجهة ، حتى لقد أصبح مشهورا أن من مبادئ الدول المستعمرة الغاشمة « فرق تسد » ، ولقد نجح المستعمرون في الإفادة من هذا المبدأ الماكر الخبيث إلى حد كبير ، حتى قيض الله للشرق العربي الإسلامي دعاة الإصلاح والاستقلال : أمثال السيد الكبير جمال الدين الأفغاني ، وتلميذه ابن الأزهر البكر الأستاذ الإمام محمد عبده ، والزعيم الأزهري الفلاح أحمد عرابي ، والزعيم مصطفى كامل ، والزعيم الأزهري سعد زغلول . . . وغيرهم ، فاستيقظ بعد النوم وبدأ حياة الكفاح والجهاد ، وما زال الشعب العربي يكافح ويكافح حتى استجاب له القدر ، وأكمل الله بسببه التحرر والاستقلال على يد فئة مؤمنة أخلصت لله وللوطن العربي في مصر وفي غير مصر ، فصرمت مطرقة من حديد على رأس الاستعمار ، وما زالت تضرب وتضرب حتى يئس شيطان الاستعمار أن يطاع في أرضنا ! .

وبدأ العملاق العربي يرفع رأسه رويدا رويدا بعد طول هذا الكابوس ـ كابوس الاستعمار ـ الذي جثم على صدره فترة من الزمان حتى استوى قائما على قدميه ، ثم أخذ في الانطلاق يجني الحرية الكاملة والقوة المستقلة والإصلاح الشامل .

فإذا بالاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة في أغلب أقطار العرب والمسلمين ، وإذا العرب يصبح لهم صوت مسموع في المحافل الدولية وأصبح لهم قوة لها اعتبارها في الميزان الدولي ، وإذا بالاتحاد يتم بين شعبي مصر وسوريا في جمهورية عربية متحدة ، وإذا بالاستفتاء الحر يسفر عن انتخاب فتى العرب ، الزعيم المصري جمال ، أول رئيس لهذه الجمهورية وقد بارك هذا الاتحاد الرجل الذي ضرب أروع مثل للتضحية ، وإنكار الذات والوفاء « الزعيم العربي شكري » ، ولقد كان اتحاد مصر وسوريا خطوة مباركة ، تليها وستتلوها إن شاء الله خطوات فها هو اليمن قد انضوى تحت لواء الاتحاد مع الجمهورية العربية

المتحدة ، ومن يدرى ؟ فلعله لا يمضى عامنا هذا إلا وتكون الأقطار العربية كلها من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى قد أصبحت تحت راية واحدة فى دولة متحدة .

ثم تكون من بعد ذلك الخطوة الأخيرة الاتحاد الإسلامى الأكبر ، من بلاد الصين إلى بلاد المغرب ، وحينئذ يصبح المسلمون قوة ثالثة ، تدعو إلى الحق والعدل والتراحم والإيمان والأمان والسلام ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوى العزيز . إن الإسلام ليؤيد أى اتحاد يكون بين العرب والمسلمين . والإسلام دين الوحدة ، فالمسلمون أمة واحدة ، وربهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وغايتهم واحدة ، وهم فى صلاتهم كتلتهم واحدة ، وجهتهم واحدة ، وفى صومهم شعارهم واحد ، وأوقات فطرهم وإمساكهم واحدة ، وهم فى حجهم شعائرهم واحدة ، ومظهرهم واحد ، وهكذا تتجلى مظاهر الوحدة فى عقيدتهم وعباداتهم .

وفى الكتاب الكريم - الذى هو أصل الدين ومنبع الصراط المستقيم - يقول الحق تبارك وتعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون[1] » . ويقول : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين[2] » . وفى السنة القولية والعملية ما يدعو إلى الاتحاد ، وجمع الكلمة ، والانحياز إلى الجماعة ، وينفر من التفرق والاختلاف ومفارقة الجماعة .

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » . وضمن النبى صلى الله عليه وسلم لأمته عند اتفاقهم واجتماعهم العصمة من الخطأ والضلال كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة .

وكان من أعماله صلى الله عليه وسلم البارزة حقا أنه لما هاجر هو وأصحابه إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار ، كى يؤكد بينهم المودة والوحدة ، ويوثق العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وبهذا التآخى تحقق لهم التكافل والترابط فيما بينهم ، كما تحقق لهم التناصر على أعدائهم المتربصين بهم من اليهود وأضرابهم .

---

(١) آل عمران الآية ١٠٣ .

(٢) الأنفال الآية ٤٦ .

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ، لم يكن قومه العرب على حال تسر في حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية ، وقد كانت أطراف بلادهم نهبا مقسما بين الدولتين المقتسمتين للعالم آنئذ . فارس والروم ، ولم يكن ذلك لقلتهم فقد كانوا كثيرين ولا لعدم نخوتهم وإقدامهم ، فقد كانوا مضرب الأمثال في الإقدام والشجاعة ، ولكن السبب الأصيل هو تفرقهم وتدابرهم وعدم وجود رابطة قوية بينهم تربطهم ، ولعل في قصة أبرهة وغزوه لبلادهم ، كي يهدم الكعبة المقدسة في نفوسهم ، ما يدل دلالة أكيدة على مبلغ تفرقهم وتخاذلهم ، وعدم وجود جامعة تجمعهم ، فماذا كان من الرسول ؟ .

لقد أخذهم بالتربية والتهذيب والتعليم ، وما زال ينتزع من عقولهم ونفوسهم العقائد الزائفة والآراء الضارة ، ويزرع في نفوسهم العقائد الصحيحة والتعاليم الرشيدة ، ويروضهم على الأخلاق الكريمة ، ويرشدهم إلى سنن الله في الكون والطبيعة ، حتى كون منهم أمة واحدة لا تعرف التفرق ، متآلفة لا تعرف قلوبهم البغض ، متآخية متناصرة لا يتطرق إليها الوهن أو التخاذل ، وماذا كان منهم ؟ .

لقد كونوا دولة مرهوبة الجانب عزيزة المنال وثيقة الأركان ، وبدلهم الله سبحانه من بعد خوفهم أمنا ، ومن بعد ضعفهم قوة ، فإذا بهم ينطلقون خارج جزيرتهم ويثلون عروش الأكاسرة والقياصرة ، لا حبا في الملك أو في الجبروت فقد كانوا أرحم الناس وأعدلهم ، ولا استنزافا لخيرات الأمم وأموالها ، فقد كانوا أزهد الناس في الدنيا وزخارفها ، وإنما كان لخلاص الشعوب المظلومة المستذلة من نير استعباد الملوك والأباطرة ، واستبدادهم وتحكمهم ، وإطلاعهم على النور الذي حاول القساوسة حجبه عن عيونهم ، نور الرسالة المحمدية ، رسالة الحق والخير والعدل والرحمة ، فإذا بهذه الشعوب تحب الإسلام وتخلص له إخلاص العرب أنفسهم ، وتدخل تحت لوائه طائعة مختارة ، فقد فتح عيونهم على النور ، وأشعرهم بإنسانيتهم الكريمة ، وأمنهم على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ولم يمض قرن من الزمان حتى خفقت راية الإسلام على ربوع العالم المعروف آنئذ ، وحتى قال أحد خلفاء بني العباس ، وقد مرت عليه سحابة ممطرة « أمطري حيث تمطرين فسيأتيني خراجك » .

وقد استمرت العزة والسلطان لهذه الأمة وهي متحدة ، فلما صارت شيعا وأحزابا تتنازعها الأهواء والشهوات ، وصارت الدولة الواحدة دويلات لا تجمعها وحدة ، ولا تضمها راية واحدة ضعفت وذهب ريحها وضعفت هيبتها ، وكان ما كان من المآسي التي لا يتسع لها المقام . إن الاتحاد الذي حصلنا عليه اليوم في حاجة إلى يقظة وإلى حراسة قوية ، فإن

أعداءنا يتربصون بنا الدوائر ، ويتحينون الفرص ويحاولون ما وسعتهم الحيلة أن يبذروا بيننا بذور الفتنة ، ويفوتوا علينا فوائد هذه الوحدة المباركة ، فلنكن جد حذرين ويقظين ، وليكن لنا في يقظة النبي العربي سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه أسوة حسنة ، ذلك أنه بعد ما وفق في التأليف بين الأوس والخزرج بالمدينة ، وصاروا قوة لا يستهان بها في شد أزر الإسلام ونشر دعوته آلم ذلك اليهود ، وأكل كبدهم فارسل رئيس من رؤسائهم وهو : شاس بن قيس ، إلى شاب يهودي أن يأتي إليهم في مجلسهم فيذكرهم بيوم بعاث[1] وينشدهم بعض ما تقاولوا فيه من الأشعار ، ففعل وحدثت العصبية عليهم ، فتنازعوا وتواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه إن شئتم رددناها جذعة ، وغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا ، السلاح السلاح ! . وتواعدوا على اللقاء في الحرة ظاهر المدينة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين الله الله ! ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله تعالى إلى الإسلام وأكرمكم به ؟ ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟ » فعرف القوم أنها كانت نزغة شيطانية ، وكيد لهم من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا ندما على ما فعلوا وعانق بعضهم بعضا . ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين .

وإن كان في مبدأ الإسلام شاس وشرذمة من هم على شاكلته ، ففي عاصرنا اليوم عشرات بل مئات دعاة فتنة وتفريق . برعوا في الدس والوقيعة وتفننوا فيهما ، وتيسرت لهم من الإمكانيات للوصول إلى أغراضهم الدنيئة ما لم يتيسر لغيرهم فالغرب مثلا إسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية بأموالها وإذاعاتها وصحفها ودعاياتها ، والدول الاستعمارية أو ثورة المشايعة لإسرائيل ، والتي لولاها لما كان لها وجود على خريطة الأرض ، وصحفها وإذاعاتها ، وهناك فئات مأجورة لا تفتأ تنفث سمومها القاتلة ، اتخذهم المستعمرون لهم صنيعة واشتروا ذممهم بالأصفر الرنان ، والجاه الكاذب فلم يراعوا حقوق الدين والأمة والجوار ، كل هؤلاء وأولئك أعداء لتكتل المسلمين والعرب ، فاحذروهم ولا تخلدوا إلى أمر ما نهم بالا وقفوا لهم بالمرصاد ، وأفسدوا عليهم خططهم وتدبيرهم ، ولنكن لكم في الرسول المعظم صلى الله عليه وسلم أسوة وما أوجبها من أسوة ! !

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

[1] يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج في الجاهلية ، وكان الظفر للأوس على الخزرج .

من الاتجاهات الخاطئة في التاريخ :

الوحدة العربية

يرى فريق من الناس أن في الشرق اليوم حركةً وغلياناً شديداً ، وأن آسيا وإفريقية تتمخض عن حوادث خطيرة ، وأن العالم العربي والإسلامي من الشرق إلى الغرب يتحفز ويتوثب ليسترد مجده السالف ، وعزه الغابر ، ويسترجع أقطاره المغصوبة وحقوقه المهضومة .

ويرى فريق آخر ، ولا سيما الغربيين أن العالم العربي خاصة ، والشرق عامة مفكك الأجزاء ، مقطع الأوصال ، عاجز عن أسباب الدفاع والثورة ، يعوزه العلم والسلاح ، وما بلغ من النهوض والوعي بعد درجة تكفل له تحطيم سلاسل الاستعمار الثقيلة ، أو استرداد ممالكه الواسعة ، بل لا يزال الجهل مخيماً على آفاقه ، وما برحت العصبيات الجاهلية تعمل عملها في تفكيك عراه ، كما أن الرعب والخوف من سطوة الأجانب والمستعمرين ملء السمع والجوانح .

ومن الحمق والعالم الشرقي هذه حالته أن تقيم أوربا ودول الاستعمار له وزناً ، وأن تحسب للعرب والمسلمين حساباً ، ومن الحزم في زعمهم أن تمضي أوربا قدماً في سياستها المبنية على التوسع والفتح والاستعمار ، غير مبالية ولا منعرجة عما يعترض طريقها من ثورات وانتفاضات .

ومع ما أحدثته الحربان العالميتان الأولى والثانية من تضحيات في الأنفس والأموال والخسارات ، فلا يزال هذا الفريق عند رأيه ومذهبه تجاه العالم العربي والشرق عامة .

ولم ينبه ساسة الدول الغربية ، ودعاة الاستعمار إلى مراعاة القصد ، وإيثار الرفق والاعتدال ، والتحدث بغير نغمة القوة والغلبة والاستعلاء ، بل لا يزال محور سياستهم ، تمزيق العالم العربي والشرق وإضعافه ، والتسابق على استعماره واقتسامه بكل وسيلة ، والحيلولة بينه وبين الاتحاد والتحرر والتماسك .

وبعض هذا الفريق يعتقد أن حالة التفكك والتخاذل التي تنتاب العالم العربي والآسيوي والإفريقي ستبقى أبداً ، وسيطرة الأجنبي عليهم ستستمر ، وأنهم سيلبثون

أبد الدهر فريسة للاستعمار ، ويحطموا نير الاستعباد والمذلة ، وأن ستكون لدول العرب السيادة خالصة لها من دون الناس .

لكن الرأي الذي يعول عليه ، وهو الذي يتفق مع منطق الحوادث المعقول الواقعي أن العالم العربي ، بل والشرق أجمع ، قد استيقظ من رقدته ، ونهض من كبوته ، وأخذ يعمل في نشاط وقوة على استرداد سلطانه ومجده ووحدته .

إن العالم العربي ، والشرق المترامي الأطراف ، الواسع الرقعة ، تتغلغل فيه اليوم عوامل الانقلاب ، وتدب في عروقه عوامل التبدل . وإذا ما رحت تسرح ببصرك نحو أقطاره الواسعة المترامية من مراكش حتى الخليج الفارسي ، بل من مراكش حتى بلاد الصين وما وراءها ، ومن تركستان وأفغانستان إلى الكونغو وأواسط إفريقية رأيت الشعوب جميعها قد ثارت نفوسهم ، وتداولت ضروب الآراء الجديدة والمبادئ والآمال عقولهم وقلوبهم ، وإن عاقبة هذا الانقلاب الشامل لعظيمة الأثر وستتأثر بهذه النتائج أمم الأرض جميعا .

إن منشأ هذا الانقلاب قديم العهد ، بعيد الزمن ، فقد نبتت بذوره في الولايات العربية والإسلامية قبل الحرب العالمية الأولى .

ومنذ ذلك الحين أخذت بذور هذا الانقلاب العربي والشرقي تنمو ، وإن كان نموا بطيء الحركة أول الأمر ، حتى كانت الحرب العالمية الأولى . ومنذ هذه الحرب أخذ العالم العربي ، وأخذ يتطور متنقلا من طور ضعيف إلى طور أشد منه ، حتى انتهى به الأمر إلى ما نشاهده اليوم من يقظة واعية ناهضة ، ونهضة متوثبة جامحة .

وكما شهد القرن التاسع عشر استقلال أمريكا بأسرها ، فسوف تشهد بقية القرن العشرين ، استقلال العرب واستقلال إفريقيا وآسيا كذلك على ما نعتقد ، وبذلك ينال العرب بلادهم ، والإسلام أقطاره ، ويتمتع هؤلاء ، وأولئك من نعمة الاستقلال والوحدة ، وقوة العظمة والسلطان ، بما يصبون إليه .

إن نهوض العرب ، والشرق كله هو الشرط الأول في سيادة السلام ، وحقن الدماء ، وحفظ التوازن في العالم ، فعلى الأمم الشرقية أن تلتمس المنعة في مسابقة الدول الغربية في ارتياد ميادين العالم ، والسير حثيثا نحو المعرفة والثقافة لتكون ذات قوة وذات بأس شديد ، فبالعلم والمعرفة تكون القوة ، وبالقوة يتحقق خلاص العرب والشرق ، ويعلو الحق .

وإن من ثمرات هذه اليقظة الشرقية الواعية ، والنهضة العربية المتوثبة ، وحدة سوريا ومصر ، وإنشاء « الجمهورية العربية المتحدة » .

إن الوحدة السورية المصرية هي الباب الذي فتحه الله أمام العرب للعزة وعلو كلمة الحق ، هي حكم على الاستعمار المتخاذل المضطرب بأن يرحل ويتزحزح ، هي نور الحق أمام الشعوب العربية لتحرير الشعوب والعقول من رق العبودية ، ومن أسر الأوهام ، ومن ربقة الأجنبية الوحشية التي تنحدر بالنفس الإنسانية إلى مهاوي المذلة والهوان .

هنالك عندما أعلنت الوحدة ، وأصبحت حقيقة واقعة اضطرمت نار المعركة التي كانت ناشبة بين الشرق العربي ودول الاستعمار ، وصارت من أشد ما وقع في التاريخ منذ عرف الغرب الشرق ، والشرق الغرب ، وهي معركة حياة أو موت بالنسبة للفريقين معا والنصر لا ريب فيه للصادقين المؤمنين بالعزة والحرية والقومية .

حقا لقد عظم الأسى على دول الغرب ، وحزت في صدورهم نشأة « الوحدة العربية » ، إذ أدركوا أن فيها خطرا على مكانتهم ونفوذهم . لذا أخذوا يبذلون كما بذلوا من قبل جهودا جبارة في محاربة القومية العربية ، والحيلولة دون تحرر العرب واستقلالهم ، وجمع كلمتهم .

ولكن على ما قام به دول الغرب ، وأعوان الاستعمار لمحاربة القومية العربية ، وما بذلوه ، ويبذلون في جهودهم من إغراء ورجاء حينا ، ودعاية متهافتة وتهديد وضغط اقتصادي أحيانا ، فنقول هل أثر ذلك في عزيمة شعب سوريا ومصر ، أو أوهن له عزما ؟ !

كلا ! ! فقد انجابت مخاوف العرب من الغرب ، ولم يبق لذعرهم وهلعهم منه موضع ، وزالت خشيته من نفوسهم .

واجتمعت كلمتهم وتحققت وحدتهم وبدت واضحة تباشير النور ، وانفسح باب الرجاء أمام الدول العربية والإسلامية في الاتحاد والتكتل وجمع الكلمة .

ولا عجب أن هيأت الأقدار للقاهرة ودمشق هذا الحظ والفتح المبين ، فقد كان لهما من ماضيهما المعظم وتاريخهما الأمجد ما يؤهلهما لحمل رسالة الجهاد والتحرر لخير العرب والإنسانية .

دكتور بدوي عبد اللطيف عوض
الأستاذ بكلية أصول الدين ودار العلوم

كفاح الجزائر

ما هــذا الهول الثائر الذي يعبط بجناحيه جوانب الصحراء ، فتتطاير وراء البحار نفوس ، وتخلع قلوب ، وتزهق أرواح ، وتهتز عروش ، ويرتعش سلطان ، ويسقط صولجان ؟ . . !

وما هذه المعجزة التي انبعثت من الذين انطلقوا من الأغوار والكهوف، والأكواخ وشواهق الجبال وأعماق الوديان ليكتبوا تاريخهم ، وليظهروا للوجود القوة الخارقة الساحقة قوة العقيدة التي تنهار أمام بنيانها أشلاء الطائرات والدبابات والمدافع ، وليثبتوا للمستعمرين والغرب أنه لن يغلب الحق غالب، ولن يستمرئ حياته في الشرق غاصب؟ . . !

وما هذه الثورة التي يلتهم أوارها أبراج المطامع المريضة وتجتاح زلازلها الشعواء العصابية ، ويستشري بأسها ليدمغ أحلام العبيد الذين تمسكوا في أحضان سادة آثمين ، ويجري انتقامها عنيفاً مدمراً لا يسكن حتى يمسح من شمال إفريقية كل هذه الأشباح البغيضة ؟ . . !

هذا هو هول نضال الجزائر . . !

وتلك هي معجزة البعث . . !

وهذه هي ثورة التحرر . . !

هول النضال الجزائري العنيف الذي استمد عنفه من قوة حق الشعب ، والحق سلاح قوي يتضاعف بأس أصحابه ، ولا يخدعه زور أعدائه ، ولا يخور أبداً أمام نمر الوعيد ، ولا تصهره نار ولا يفله حديد . . !

وحق الجزائر في الحياة وفي الحرية وفي استغلال أرضها وينابيع ثرواتها وفي حكم نفسها لا يجحده إلا أولئك الذين ينكرون جميع حقوق الشعوب ، ويعيشون على حساب الشعوب ، بل يريدون الوطنيين غرباء في بلادهم ، بل عبيداً يكدحون ليجني غيرهم ثمرات كدحهم ، ويكدون لينعم سواهم بقطوف كدهم . . !

ولهذا فالظلم الصارخ كان منبت النضال . . .

ولهذا الاستغلال الوحشي الذي يحرم الكادح حتى من قشور كدحه ، سيشتد هذا النضال ، وسيحفر المناضلون في كل شبر من أرضهم قبورا لأعدائهم ، وسيصبون على كل درب من دروب الصحراء ، وكل سبيل من سبلها لوحة كتيرا عليها بالدم : إلى مقابر البغاة .. !

ولن يهدأ هذا النضال ولن يسكن صراعه حتى يتغير وجه التاريخ في هذه البلاد ، ويحطم أبناؤها مقاليد أمورها ، ويتفيأ شعب الجزائر ظلال الحكم الذي يرجوه لنفسه شعب حر مناضل ... !

وما معجزة البعث إلا أثر الاضطهاد المرير الذي عانته الجزائر من استهتار الفرنسيين بمقدسات هذا الشعب ، واستهانتهم بحرماته ، وتناسيهم ما تفرضه القوانين الدولية من احترام حقوق الشعوب .

ومن ثم صحو البعث ولم يكن يقظة كتلك التي تكون في الشعوب أول شعورها بالظلم ، ولم يكن وعيا شعر به فرد منحه الله من صرامة اللسان وقوة البيان ما يحرج أعاديه ويوقظ مواطنيه لا ، لا ... !

إنه البعث الزاحف الذي جعل من الجزائر كلها وقدة خاطفة جحيما يضطرم في الأرض فتتقد كأنها جمرة ، وينتشر في الجو فيحجبه أشد لفحا من نار السموم ... !

وهو البعث : الذي لا نوم بعده أبدا فهو في الحرب هدم وتدمير ، وفي السلم بناء وتعمير ... !

وإن الشعوب المنبعثة من الأغلال والتي ذاقت مرارة الإخضاع والاستغلال حريصة على صلاح نفوسها وإصلاح مجتمعاتها ، في أحس كل فرد أنه أصبح لبنة في بناء مجتمعه ، ومن هذه اللبنات السليمة من شوائب الضعف والاسترخاء يكون البناء السليم .

ولم تكن الثورة التحررية التي تأججت في الجزائر ثورة تحرر عسكري فحسب ، بل إنها تهدف إلى التحرر التكامل من كل ما يمس سيادتها ويقيد عقول أبنائها ، ويشل اقتصادها ويفرق جوانب اجتماعياتها .. !

إنها تحرر كأمة مسلمة عربية لتعيش في حدود المبادئ والعادات والتقاليد الإسلامية العربية ... !

هذا هو المصير الذي شرع في سبيله ثورة الجزائر، والذي من أجله كافح شعبها، وفي ميادينه ترهق الأرواح وتراق الدماء، ولا سبيل لقوة في الأرض أن تحول بينها وبين الغاية التي تزحف إليها.

وإن كفاح الجزائر الذي صقل عزيمتها، وشحذ قوتها، وجعل منها قوة أصلب من أن تهزها دواهي الأحداث، جعل منها كذلك مثلا حيا يتطلع إليه طلاب الحريات، الذين لا تتكافأ قوتهم، ولا يتماثل سلاحهم مع قوى أو سلاح الذين يسومونهم سوء العذاب.

وهكذا حقق الله من شعب الجزائر وجهاده بفنون الحرب وبأسلحة الفتك المستحدثة، وفي ضروب بديعة من الثبات الذي أبدته في هذه الحرب الطويلة، حتى غدا منه مثلا للشعوب المستضعفة، التي تتحكم في الخوف قبل أن تفلت من حبائل الخوف، وما من شعب ما زال الرعب قريبا منه قبل أن يجعل السخط وجهته.

ولا صاد شعب الجزائر البطل ورواده عن التفكير في محنته وخروجه من عصبة الحكام الذين يريدون أن يظل المحكومون بين أسوار تحول بينهم وبين الحرية في كل ألوانها وصورها، فلا أجدر بالشعوب التي تعيش بين الأطواق الحكام الذين يعيشون لأنفسهم ولعروشهم، بانتفاضة تحطم الأطواق والأسوار التي ضربت عليها، لتعيش مع الأحرار بين ظلال الحرية..

ولن يصل كفاح إلى غرته إلا على جسر من الأشلاء على بحر من الدماء يتوشحه شواظ من النار وتذيبه شظايا الدمار...

وتلك هي السبل التي تسلكها الجزائر في عزمها.

وإن شهداءها الذين روت دماؤهم شجرة الحرية فنمت وبسقت فروعها..

وإن مكافحيها من الشعب والشباب والنساء والفتيات، الذين اتخذوا مواقعهم عند سفوح الجبال وبين ظلمات الصخور وفي الشعاب والدروب، لا يرهبهم زمهرير ولا يضجرهم هجير، هؤلاء وأولئك قد كتبوا في تاريخ الجهاد سجلا مليئا بالأمجاد سيبقى على الزمن حديث الأجيال ونشيد الجلال...!

حيا الله الجزائر في نضالها، وكتب لها النصر في كفاحها، أما شهداؤها فهم أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله.

محمد محمد خليفة

المدرس بمعهد القاهرة

يوم الجزائر

حيّ في الأطلس الأشم رجالا   يوم صالوا في الكفاح وجالا

صفعتهم يد الظلوم ، وقد صفّع الظلم قادة أبطالا

ثورة في الظلام أعلنها الشعب فباتت بها الليالي حبالى

وأجابت جبال (أطلس) عنه   برصاص يحطم الأغلالا

سيق عمدا إلى السجون ، وذاك اغتيل غدرا بها وذاك استقالا

وسط الفلاة صرعى ، فهلا جرموا عنه عبروا ارتجالا

واحدوا الحدود بين بلاد وشعوب   توحدت آمالا

كان عطرا على (المريطة) سيفا   تحيل دما بها يتلالا

أي طرس يضمه ما نحل   وكتاب ما ضاع منه مقالا

وعلى الألسن الجزائر كانت عثرة   في بيانها لن تقالا

ثم أمست فصاحة وبيانا   وجرت في الشفاه ماء زلالا

ماجلت صاحب القصيد لمعنى   ونمى بها الخطيب مقالا

يا ابن شعبي ، يد البغاة رأت   منك شجاعة وصيالا

حيها يا فتى الجزائر بالبأس   وحي الجبال منها نضالا

(نيل) مصر لو استطاع لجاب البيد شوقا إليك يجري الزلالا

(وأبو الهول) لو يطيق حراكا   كان هولا على العدا ووبالا

لن يكن جامدا ، فاحتضنت مصر   وأسد عرينك روحا ومالا

(أطلس) المغرب الأبي أسود   أرتد خداعه ففاد عنك ودالا

(بردى) لم يعش أي نور تراه أحمرا   من دما عدوك سالا

سال شوقا على شجاعك يا شعبي   وصاما على القضاة استحالا

وجرى (الفرات) رجع حسين   ينيم بكى أنا مثقلا

وعلى الكعبة الحرام دعاء   يا ابن شعبي بنصره قد تعالى

وسألناه في الحروب نصيرا   ومنا عرفنا الوجود امتثالا

لو تخلى الوجود عنا حماك الله   منه بقوة لن تنالا

أبو عبد الله صالح الجزائري

محنة الشعر المعاصر

يشدنا إلى الكتابة في هذا الموضوع تلك الظاهرة التي صاحبت نهضتنا المعاصرة ، والتي رأينا فيها شبابنا المتأدب يندفع في تيار مضاد لتراثنا الفني وتقاليدنا الأدبية ، ويثور على الأوضاع الشعرية التي صحبت تاريخنا العربي العريق ، وصنعت أمجاد العروبة على طول الأزمان والأحقاب .

وإن من المفارقات العجيبة أنه بينما تثب الآن نهضتنا الظافرة في التحرر من الاستعمار السياسي ، وتحطيم أغلاله ، ومحو آثاره ، وبينما تبني في شموخ وعزة واستقلال مجدنا العربي ، وتستعيد تاريخه المجيد ، وتحدد شخصيتنا العربية على أساس متمكن من ترابط الدم والفكر والأمل والثقافة والتقاليد ، نجد هذه الطائفة مفتونة كل الفتنة بتقليد المستعمر وأفكاره وتقاليده الأدبية ، فإذا نعق في الغرب غراب بفكرة إلحادية أو مذهب وجودي رأينا صداه في نفوس هذه الشبيبة وفي تفكيرها وكتاباتها . وإذا كان الشعر الأوربي لا يلتزم وزنا ولا يتقيد بقافية ، اندفعوا في تياره ، متندرين بالشعر العربي ، متهمين إياه بالعقم والجمود والتخلف والبلى ، وإنه لاستعمار ثقافي وفكري أشد خطرا وأوخم عاقبة – لو أدركنا – من الاستعمار السياسي الذي تخلصنا منه . فأي كيان لنا إذا نحن قطعنا صلتنا بماضينا وتاريخنا وتراثنا ؟ وأي شخصية تحدد وجودنا إذا نحن ذبنا في تفكير غيرنا وتقاليده وثقافته ؟ .

إنها لمفارقة عجيبة حقا أن نتحرر من استعمار لنمكن لما هو أخطر منه ، وأن نثور على استبداد ونتابع ما هو أنكى منه وأقسى ، وأن نرى في موكب ثورتنا المتحررة ، المتعطش بالآمال الطامحة من هم أشبه بالمهرجين في موكب الأفراح ، فإذا كانت الثورة المعاصرة تحرر الوطن من الاستعمار السياسي ، وتثور على مظاهره ، وتقضي على أسبابه ، وتحارب الفساد والطغيان ، فهم هؤلاء أنها ثورة على كل شيء ... حتى على التقاليد والتراث وكل ما يربطنا بماضينا ، أو انتهزوا الفرصة لترويج ما يؤمنون به ، وأشاعوا الفوضى والتهريج في زحام هذا الموكب الرزين .

ولعله نكر الثقافة ، وصعوبة المعرفة ، وجدب التفكير ، واختصار الطريق إلى الشهرة ، وتوفير العناء وإجهاد التحصيل . فليس أيسر على هؤلاء من قول الشعر مادام لا يكلف صاحبه تجويدا في صياغة ، ولا تحريا للدقة ، ولا احتفاظا بوزن ، ولا التزاما لقافية ، وإنما هي كلمات مبعثرة موزعة على السطور بلا قانون ولا مقياس ، أشبه شيء بمأمأة الصبي الصغير .

من اليسير على كل إنسان يدن أن يصبح شاعرا في هذا العصر ، لأن الشعر لم يعد ذلك الفن الذي يرتكز على الموهبة الفطرية ، ويعتمد على المنابع الأولى للأدب العربي والنظر فيها والتحصيل منها ، كما يعتمد على تقويم اللسان وسلامة الأداء ، ورعاية موسيقى الأوزان . وإنما أصبح كلاما أي كلام ينثر كالحصا ، ويوزع على السطور كيف اتفق ، وهو بعد ذلك في حماية مضمونه ، فالواقع أن الذي حمى هذا السخف والهذيان مما يسمى شعرا في هذه الأيام إنما هو اتشاح به أصحابه من المهرجين ، الذين يندسون في موكب النهضة ، فيضمنونه الموضوعات الوطنية والنضالية التي نعيش فيها ، ولولا هذا الموكب الذي يحتمون به لما كان لصيحاتهم هذه المعربدة المضطربة مكان في الصحف والمجلات ، وإنما يكون مجالها الذي تتجاوب فيه مستشفى المجاذيب .

وليس أدل على ذلك من فشل هذه التجربة في الميدان الحقيقي إبان المعركة الماضية في فترة الاعتداء الغاشم على بلادنا ، فلقد كانت الأناشيد الحماسية التي تستثير العزائم ، وتستنهض الهمم ، وتدفع إلى المعركة دفعا ، أناشيد صيغت كلها في قوالب من الأوزان المعروفة الموروثة القائمة على أسس منتظمة من الوحدات الموسيقية المتناسبة التي تتسق مع اللحن والنغم . فهل كان من الممكن أن يصيح جندي واحد ويستقيم مع هذا التهريج الذي يبعثر الألفاظ بلا نظام ثابت أو مقياس يمكن أن يحفظه أحد أو يحتذى ؟ .

ومن العجيب أن يسخر هؤلاء من نظام الشعر القديم ، وأن يروحوا للتحلل من تقاليده البالية في صياغته وأوزانه ، وأن يصفوه بالتخلف عن التجاوب مع المجتمع والحياة ، كأنه لم يسجل حياة المناضلين ، ولم يتجاوب مع الثورة الإصلاحية ، ولم يرمز بألوان الحضارات المزدهرة في ظلال العباسيين ، ولم يتناسق مع جمال الطبيعة في الأندلس ، ولم يطاول الدهر بقاء وخلودا في كل هذه العصور ، ويتبجحون بالواقعية ، ولا يقصرونها على المضمون بل يطبقونها على التعبير ، فهم يدعون إلى البساطة فيه حتى ينزلون إلى لغة

الشارع ، ويتبذلون فى الأسلوب حتى يدخلون الأزقة والحارات ، وكل هذا ليكون (الفن للحياة) وليكون واقعيا ، كأنه لا يكون كذلك إلا إذا نزلنا بمستوى اللغة والتعبير بدلا من أن نرتفع بهما . وكأنه لا بد لنا من تنامى طائفة المدعين ، وتجاهل أسباب ارتفاع مستوانا الثقافى والتعبيرى ، وإنها لكثيرة فى عصرنا . إن هذا عدوان وتجنى بالتطويح على اللغة الفصحى ذلك الرباط الوحيد الذى يصل ماضينا ، ويصون عروبتنا ، ويربط بأقوى الوشائج عرى قوميتنا العربية فى كل بلادها . فهل ملاءمة التعبير وجمال الصياغة والتزام الموازين الموسيقية فى الشعر ، ينافى الواقعية التى بها يتشدقون .

إنهم ينفرون من البارودى وشوقى وحافظ وغيرهم ، تماما كما حدث فى فرنسا فى عصر النهضة . كان الشاعر لامرتين يقول : « إنى أنظم الشعر كما يزهر الغصن ويغنى الطائر » ولكن الشعراء الرمزيين الذين دانوا بالغموض وابتدعوا المذهب الرمزى الغامض ، من أمثال موريس ورامبو وبول فاليرى ، نفروا من لامرتين ، لأنهم كانوا يدعون إلى التعبير عن المعنى فى صورة ضبابية حالكة ، وتطرفوا فى ذلك الغموض والإبهام حتى ابتدعوا لغة فى اللغة ، وأوغلوا فى الرمزية حتى فسروا الرموز بالرموز ، والألغاز بالألغاز ، فسميت مدرستهم بمدرسة (اللاوعى) أو المدرسة السريالية (ما وراء الواقع) وضاق بها الناس حتى سموها (مدرسة الهبوط والانحدار) .

نحن لا نحارب الواقعية ، ولا نريد للفن أن يعيش بعيدا عن الحياة والمجتمع ، فالفن انعكاس للبيئة والحياة والتجارب النفسية ، بل إننا ندعو إلى أن يكون الفن تعبيرا عن القيم العالية ، والتجارب الرفيعة .

فالشعر الجميل الرواء ، الرائع الصياغة لا قيمة له إذا كان مجرد صياغة شكلية لا تعبر عن مضمون رفيع ، ولكنه كذلك شعر خال من الفن إذا كان مجرد مضمون فى قالب مهلهل النسج ، لا تظهر فيه جودة ، ولا ينتظمه إيقاع مثير .

يقول مارتنى ترنج فى كتابه (مشاكل الأدب والفن) : « إن الأعمال الأدبية الخالية من الجودة الفنية لا أثر لها مهما تكن مجدية من الناحية السياسية » .

إنهم يقولون إن الشعر أصبح قوة مكافحة مناضلة ، وإن الشاعر لا يستطيع الانطلاق والإعراب عن تجاربه الجديدة وحقائق دنياه فى مرونة وحيوية وجدة وحدة ،

إذا هو التزم هذه القواعد الكلاسيكية البالية ، وتقيد بالأوزان العتيقة التي تعوق الانطلاق والتعبير الحر .

أحقا أن الأوزان الشعرية قد عاقت الشعراء عن الانطلاق في التعبير عن ألوان الحياة في عصر من العصور ؟ هل عاقت الشعراء عن تصوير الحياة الجاهلية في حروبها المستمرة وتقاليدها المتزمتة ؟ هل عاقت أمثال ابن أبي ربيعة وأبي نواس وجرير والأخطل وأبي تمام والمتنبي وابن خفاجة وغيرهم من شعراء العربية في كل عصورها عن الانطلاق في تصوير اللذة ، والتعبير عن خلجات النفس ، ورسم مشاهد الجمال في الطبيعة ، وتمثيل ألوان الفنون في الحضارة ، والإعراب عن الميول السياسية والمذهبية ، واستظهار الأفكار الفلسفية والثقافية ؟ أم هل عاقت أمثال شوقي وحافظ الذي انعكست في شعرهما آمال مصر وآلامها ، وانطبعت فيه مشاهدها وأمجادها وتاريخها وأحداثها ؟ .

إنها حجة العاجز الذي لا يريد أن يتجشم عناء ، أو يتكلف تعبا ، وإنما يريد أن يكون [illegible] من أقرب طريق .

ومع ذلك فإننا لا نطالب بالوقوف على أوزان الخليل ، وإنما نريد فقط أن يظل الشعر محتفظا بطابعه الخاص الذي يضفي عليه سمة مميزة وهي الوزن ، فإن لحسن الإيقاع ، وجمال التقسيم ، وروعة التنغيم ، من الحلاوة على السمع ، والعلوق بالقلب ، والتأثير في النفس ، ما ليس للكلام المنثور الذي لا يسنده الوزن ، ولا يؤلف بينه النظام .

ولقد رأينا في أدبنا العربي أن ما بهر الناس وراعهم وأثار كامن إعجابهم من الشعر ، إنما جاء في هذا السمت وذلك الطراز ، وبهذا يتميز الشعر عن النثر الفني . . يمتاز بهذه الموسيقى الخارجية التي سميت بحورا وأوزانا ، فإذا اجتهد فنان في خلق صورة تنسجم أصواتها ، وتتسق أفكارها ، في ألفاظ مرسلة ، قلنا إنها نثر ، لخلوها من هذا الوزن الذي كان يزيد من جمالها ويضاعف من رونقها وبهجتها ، فلولا الوزن لضاع هذا الرنين الموسيقي العروضي المصاحب للألفاظ والمعاني .

والقافية أشبه بوقفات المغني ، ونهايات العازفين ، فهي نهاية النفس في البيت ، واستراحة منه إلى الآخر .

قدموا لنا ما شئتم من الأوزان وألوان البحور الجديدة على أن تكون أوزانا ذات مقاييس ثابتة ، يمكن أن تؤلف وحدات متناسقة ، تحمل معها الموسيقى والإثارة والانفعال ،

أما بعثرة الألفاظ والكلمات هكذا فلم تصرون على تسميتها شعرا ؟ وماذا تسمون النثر الفنى إذن وهو ينهض بمضمون الشعر ويحلق فى أجوائه الخيالية ، ويرفل فى وشى من جمال التعبير وروعة الصياغة ، ويرن فى ألفاظه الموسيقى الداخلية التى تكمن وراء التعبير ؟ .

إنها نكسة بالشعر إلى الوراء . . الوراء العميق فى مجاهل الزمن ، أول عهد الإنسان بالشعر قبل أن يستقر فى هذه القوالب ؟ فما قصة هذه النكسة ؟ وكيف نشأت هذه القوالب ؟ وكيف جدد فيها المجددون على مر العصور ؟ .

ثم ما هذا الشعر الحديث إن صح أن نسميه شعرا ؟ .

ذلك ما نعرض له فى مقال تال إن شاء الله .

حسن جاد
المدرس بكلية اللغة العربية

مهندس عربى فى صناعة الأقمار الأمريكية

فى معهد البحوث التابع للبحرية الأمريكية شاب يدعى (د . يوسف حبيب أبو يونس) مولود فى أمريكا ومن أصل لبنانى ، وله دور كبير يقوم به فى صناعة الأقمار الصناعية ، ويعد ثقة وحجة فى كل ما يتعلق بالأجرام السماوية وعلم الفضاء .

ولقد ألقى محاضرة فى جمعية المهندسين المدنيين بأمريكا فقال : إن العلماء الأمريكيين كانوا يعملون فى سنوات عشر بينما كان الروس يفاخرون بالقدم الصناعية .

الحكمة فى تعدد الزوجات

– ٢ –

نبه سبحانه الناس أن يتخيروا الطيبات من النساء لتحسن العشرة بين الأزواج والزوجات، ويسود بينهم الوفاق والوئام، فيكون ذلك أطيب لقلوبهم ونفوسهم، وتصلح الذرية وتستقيم حالها بصلاحهم واستقامتهم، فإن البيت الواحد كمملكة صغيرة مالكها الزوج ووزيرها الزوجة والرعية الأولاد، فإذا صلحت حال الملك ووزيره صلحت حال الرعية فإنهم نسق مما منه ينطفون، وبصلاح البيوت أو الممالك الصغيرة تصلح الأمة بأسرها أو المملكة الكبيرة.

إن من خير النصائح وأحسن النصح اختيار الطيبة من النساء، فإن المرأة إذا كانت طيبة عند زوجها مرغوبا فيها منه كان ذلك وسيلة إلى حفظه من الفسق والفجور، وإنا لنشاهد هذا فى كثير من الناس، يتهتكون ويفجرون إذا لم تكن قعيدات بيوتهم طيبات، وإن كانت الأخلاق الآن تدهورت إلى أقصى حد ممكن، وباتت بحيث لا يرجى لها صلاح، فلا يخشى زنا، ولا يتحرج من فجور، طابت النساء أو لم تطب، والأمر لله وحده ...!.

انظروا – رعاكم الله – إلى بلاغة التنزيل الحكيم حيث أريد من النساء أوصافهن عبر بما التى لغير العاقل، وصرح جار الله الزمخشرى بأن المراد بالطيبات الحلال دون من حرمهن الله سبحانه فى قوله – حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم الخ ... وعندى أن المراد طيبهن عند العروس بحيث تميل إليهن وترغب فيهن، وقد ورد فى الحديث الشريف ما معناه: تنكح المرأة لدينها وجمالها ومالها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك. فبين فى الحديث مرغبات الرجل فى المرأة وأسباب الميل لها، وبين أن خيرها وأحسنها الدين، ولا أطيل بذكر اختلاف الفقهاء فى النكاح من حيث وجوبه وعدمه، ولكنى أقول على وجه الإجمال: إن الفقهاء ذكروا أنه تتوارد عليه الأحكام الخمسة: الوجوب والندب والتحريم والكراهة والإباحة، ولكل منها موضع يطول الكلام بشرحه وتفصيله

ثم وسع الله على عباده ولم يضيق عليهم رحمة بهم فقال في النكاح (مثنى وثلاث ورباع) . تلك الكلمات الثلاث كانت مثار عراك شديد ، وتضارب كبير ، بين الناظرين في كتاب الله المستنبطين للأحكام منه ، فذهب جماعة إلى أنه يجوز من النساء إلى تسع تمسكا بما يفيده ظاهر الآية الكريمة من الجمع بين هذه الأعداد ، ومجموعها كما ترون تسع ، وذهبت طائفة أخرى إلى جوازه إلى ثمانية عشر ، تمسكا بأن هذه الألفاظ الثلاثة معدولة عن أعداد مكررة من ألفاظها فمثنى معدولة عن اثنين اثنين ، وثلاث معدولة عن ثلاث ثلاث ، وهكذا .. وهي تفيد إباحة مجموع هذه الأعداد ومجموعها ثمانية عشر ، وأسرفت جماعة أخرى بل أفرطت في التقدير ، وأبعدت جدا حيث أجازت الجمع بين النساء مهما بلغ عددهن ، محتجة بأن ما ذكر من العدد ليس المقصود منه الحصر ، ولكنه ذكر على وجه التمثيل ، لتعذر ذكر جميع الأعداد لعدم وقوفها عند حد ، وهذا لعمري خبط وخلط في معنى الآية الكريمة تنبو عنه جزالة اللفظ ومتانة الأسلوب ، فإن الخطاب في الآية الشريفة لجميع الناس الراغبين في النكاح ، والمقصود التوسعة عليهم ليصيب كل واحد منهم ما أراد من العدد الذي أطلق له ، وهل لو قال قائل اقتسموا هذا المال درهمين درهمين وثلاثا ثلاثا وأربعة أربعة أكان يفهم منه ذو عقل رشيد وفهم سديد أن يعطى كل واحد مجموع هذه الأعداد ؟ أو هو لا يفهم منه إلا أن جماعة يأخذ كل واحد منها درهمين ، وجماعة أخرى يأخذ كل واحد منها ثلاثة ، وأخرى يأخذ كل واحد منها أربعة ، ولو ذهبت بغير اللفظ إلى غيره كأن قلت اقتسموا هذا المال درهمين وثلاثة وأربعة لما أفدت معنى صحيحا ، ولو قلت اقتسموه درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة لما أفدت إلا أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه على نوع واحد من هذه القسمة ، وذلك مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الشريف وبلوغه من البلاغة أعلى حد فيها وأرفع منزلة منها .

لهذا اتفق الأئمة المجتهدون رضي الله عنهم على أنه لا يجوز ما فوق الأربع ، وهو إجماع لا يجوز مخالفته ، بل من أفحش المنكر وأقبح الذنوب تعديه إلى حد غيره ، ويدل له ما ورد أن سيدنا غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهن أربعا ، وفي لفظ آخر أمسك منهن أربعا وفارق سائرهن ، وحصل ذلك لكثير من الصحابة سواه رضي الله عنهم وكانت فتواه صلى الله عليه وسلم لجميعهم ما ذكر ، أفيجرؤ بعد هذا مسلم على تحليل ما زاد عن الأربع ؟ إنه بذلك يرتكب في الدين جرما من أكبر الأجرام ، وأعظمها وقانا الله السوء وحفظنا منه .

أما جواز الزيادة عن الأربع لسيد الأنام صلى الله عليه وسلم فإنما كان ذلك خصوصية له عن أرسله للناس بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وستبين بعد ، حكمة التعدد في ذاته حكمته له صلى الله عليه وسلم .

بيد أن الله جلت قدرته وتعالت حكمته وإن أباح للزوج أن يجمع ، إلا أنه أحاط النسوة وحافظ عليهن محافظة كبيرة بشرط أن يكون ذلك الجمع عند تحقق العدل والتسوية بينهن فقال . « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » فمن رغب واحد منكم جمع أي عدد مما أحلت لكم في عصمته ، فليتريث في أمره ، وليتثبت من حاله ، هل أحس من نفسه القيام بحقوقهن وأداء ما لهن عليه من واجبات ، بحيث يعدل بينهن أقدم على ذلك ، وإن خاف ألا يعدل بينهن فليتزوج واحدة وليلزمها ، أو فالأحسن أن ينكح واحدة ، ونص الفقهاء على أن العدل الواجب إنما هو في القسم في النفقات والبيتوتة حتى قالوا : يجب على ولي المجنون أن يطوف به على نسائه ، وصرحوا بأنه لا يجوز للزوج أن يدخل عند إحدى زوجاته في نوبة الأخرى إلا بإذنها حتى إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطاف به في مرضه على بيوت أزواجه محمولا ، حفظا للعدل ومن أول ذلك منه صلى الله عليه وسلم ، ولم يرض بالإقامة في بيت إحداهن خاصة إلا بعد إذنهن فلما كان عند إحداهن ، سأل في أي بيت أكون غدا ، فعلم نساؤه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أنه يسأل عن نوبة السيدة عائشة رضي الله عنها ، فأذن له في المقام عندها مدة المرض فقال صلى الله عليه وسلم هل رضيتن ، فقلن نعم ، فأقام عندها صلى الله عليه وسلم ، هذا هو القسم الواجب بين النساء ، أما الميل القلبي فذلك الذي لا يكلف به المرء بالتسوية فيه ، فإن القلوب بيد الله وحده يقلبها كيف يشاء ، يثبت فيها ما يشاء ويمحو منها ما يشاء ، لذلك كان صلى الله عليه وسلم يعتذر عن ميله القلبي فيقول « اللهم هذا (أي القسم في النفقة والبيتوتة) جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك » .

وعلى هذا الميل القلبي والحب النفسي حمل العلماء قوله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » ولو حمل العدل في هذه الآية على العدل في البيتوتة والنفقة لكانت النتيجة اللازمة للآيتين عدم جواز التعدد بحال وهو ظاهر البطلان بين الفساد .

وإني لأعجب فعجب أن بعض من ينتسبون إلى العلم — بزعمهم — كتب مقالة في بعض الجرائد بعنوان (القرآن أو الإسلام — لست أذكر — يحرم تعدد الزوجات) واستدل على

ذلك فيأبهم هوى أو فهم الذين أرشدوه بأن الآية الكريمة أباحت التعدد بشرط العدل، والعدل محال بدليل آية « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . وهذا فهم سقيم لا يقره إليه عاقل ، إذ لا يستساغ أبدا أن يبيح لنا ربنا سبحانه شيئا ثم يعلقه على محال ، فإن هذا أشبه شيء بالعبث والهزء بعباده ، ولو أراد الله جل شأنه تحريم التعدد بين ذلك فيما حرمهن في قوله حرمت عليكم أمهاتكم بكلمة واحدة ، فيقول مثلا وأن تجمعوا بين الأختين أو اثنتين ، ويكون هذا نصا واضحا لا يمترى فيه أحد .

ثم إن الله سبحانه لم يترك النساء سلعة في يد الأزواج يطوحون بهن أنى شاءوا ، وعلى أى حال أرادوا ، بل أوجب على الزوج أن يحسن العشرة ولا يسيء فيها فقال . « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، وقال . « فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف » .

هذا وقد سوى الله سبحانه وتعالى عند خوف عدم العدل بين المرأة الواحدة الحرة وبين الإماء من غير حصر في السهولة واليسر فقال : « فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » . قال جار الله . لعمرى إنهن (أى الإماء) أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مئونة من الحرائر لا عليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن في القسم أو لم تعدل ، وعقب سبحانه ما تقدم بقوله : « ذلك أدنى ألا تعولوا » . أى ألا تجوروا أو تميلوا إلى إحدى نسائكم تأكيدا لأمر العدل وتنبيها على المحافظة عليه فإن المرأة الواحدة لا يعقل طلب العدل في شأنها إذ لا يطلب إلا بين متعدد ، وإن كان لها حقوق أخرى بينت في آيات أخرى — أما الإماء فقد رفع الله عن الرجل إصر القسمة بينهن فضلا من الله ونعمة ورحمة .

من هذا يتضح لنا متى يجوز تعدد الزوجات في الإسلام ومتى يكون الاقتصار على الواحدة أو ما ملكت أيمانكم مطلوبا ، وليس من غرضي في هذا المقال أن أوازن بين المصالح حال التعدد وحال الانفراد وأفاصل بينهما ، ما دام الشرع الشريف قد نص على جواز الأمرين كل بما حدد له من شروط وبين من أسباب ، ووكل ذلك إلى الرجل نفسه بعد أن هداه السبيل وأرشده الطريق ، من توخى العدل والمحافظة عليه مع استطاعة القيام بحقوقهن وأداء ما يلزم لهن من النفقات ، ولكن الذى أقصده من حديثى هو حكمة تعدد الزوجات في الإسلام .

كان المرأة إنما خلقت لتكون ملاذا لنا عن المسلمين في دينا واحترا ما لتعاليمه الحكيمة ووصاياه المستقيمة ، إذا فلا يجوز طلاق المرأة ، فإن الأجانب في حقها . إنهم

قساة القلب ، غلاظ الأكباد ، يأمرهم دينهم بطلاق المرأة ، وقد تكون قضت أيام شبابها مع الرجل وأفنت زهرة حياتها بصحبته ، وإن قلنا المرأة تقر في بيتها ولا ترى الناس حنانك ضناً بها أن يراها الأجنبي منها وحفظاً لدينها وعرضها ، قالوا : جامدون متشددون لا يتمشون مع المدنية الحديثة ونظامها ، وإن قلنا يجوز الجمع بين الزوجات قالوا : شهوانيون ، ودينهم شهواني يسلك بهم في ميادين الشهوة إلى حد بعيد ، كما يقولون وغير ذلك يقولون في حق ديننا الحنيف ، وما يضر الشمس إلا يراها الأعمى ، تلك شنشنة عرفناها من أخزم ، وهذا شأنهم في كل نصح حكيم من مبادئ ديننا العظيم ، إذا لم يعرفوا أسراره ووجه الحكمة فيه ، ولو أنهم تأملوا قليلا ونظروا إلى الدين بعينين لم تمسهما الأعراض والأهواء ، وفكروا فيه بقلوب لم يطبع عليها غشاء التعصب الممقوت ، لألفوا الدين الإسلامي دين المدنية الفاضلة والنظام الاجتماعي المستقيم .

الغرض الأصلي من النكاح إنما هو النسل والذرية ، أما مجرد قضاء الوطر فحسب فذلك وظيفة البهائم وغايات الحيوانات ، ولا سبيل لمن أراد كثرة النسل وتعدد الذرية إلا بتعدد الزوجات حتى قال بعض حكماء الغرب ، لو تركنا رجلا واحدا مع مائة امرأة سنة واحدة لجاز أن يكون لنا من نسله في السنة الواحدة مائة إنسان ، وأما إذا تركنا مائة رجل مع امرأة واحدة سنة كاملة فأكثر ما يمكن أن يكون لنا من نسلهن إنسان واحد ، والأرجح أن هذه المرأة لا تنتج أحدا ، لأن كل واحد من الرجال يفسد حرث الآخر ، فتعدد الزوجات يكثر العشيرة ويجعل عددها وفيرا ، وما أدراكم ما فائدة العشيرة إذا كثرت ، تعظم بذلك الأمم ، وتستطيع الدفاع عن حقوقها برجالها وأبنائها ، وإنكم لتعرفون أن الجهاد مشروع في كل الدول ، وأنه وسيلة من وسائل حفظها وبقائها ، فلا دولة إلا ولها قوة حربية تسعى جهدها في تحسينها وتجهيزها بكل ما يمكن من معدات الحرب والقتال ، وبمقدار استعداد الأمة بأموالها ورجالها تكون هيبتها في نفوس الأمم وعظمتها لديهم ، وإنكم لترون بأعينكم أن الدول قليلات الرجال نهب مقسم بين الدول الكبيرة ، تمسكها إحداها وتتنازل عنها للأخرى كأنها سلع تباع وتشترى ، وهنا أقول والفخر يغمر المواطن برجال وطنه المخلصين : إن رجال ثورتنا – حفظهم الله – عرفوا هذا المعنى حق معرفته فأعدوا جيشنا إعدادا كاملا وقووه وزادوا في عدده وعتاده حتى صار جيشنا مرهوب الجانب مخشي السطوة ، حتى قال قائل الصهيونيين – قاتلهم الله وأخزاهم – لو أراد جيش مصر أن يسحقنا في ثمان وأربعين ساعة لفعل ، ولقد

وزرت مصنعين للذخيرة في جهتين من جهات القاهرة، فرأيت ما ملأ نفسي زهوا وفخرا وتقديرا لرجال ثورتنا المخلصين المجاهدين ، ووددت لو أن جميع المصريين يزورون هذه المصانع، ليروا بأعينهم ما يعمله رجال الثورة لأمتهم، وما يبذلونه من جهد وعرق ومجهود، وقاهم الله شر العوادي ، وحفظهم لجمهوريتنا المصرية العزيزة وللأزهر والأزهريين والعروبة والإسلام .

هذا ومن المعلوم أن الحروب من شأنها أن تفني الرجال ، وتغتال الأبطال ومنهم قطعا المتزوجون والعائلون بنات وأزواج ، فإلى أين يذهب هؤلاء النسوة وتلكم البنات اللاتي اغتالت الحرب منهن عائلهن ومن يقوم بمصالحهن ؟ أيمتن جوعا وعطشا ؟ أم يفرطن في عفافهن وحدهن أن يقبضن ما يقمن به أصلابهن ؟ أو يمشين في الأرض فسادا فيصبحن أدواء تصرع بدن الأمة التي يعشن فيها ، وقد قالت كاتبة من كاتبات الغرب لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، وإذا كنت امرأة تراني أنظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنا ، وماذا عسى يفيدهن بثي وحزني ، وتوجعي وتفجعي ، وإن شركني الناس فيه جميعا وقد درو ماس فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكافل للشفاء ، وهو أن أباح للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة .

على أن عدم التعدد في البلاد المتمسكة به جعل الزنا يفشو بينهم وينتشر فيهم ، حتى عم الفساد وساءت الحال ، ولقد حدثت من مصري سافر إلى أوربا فرصة أنه لم يكد تطأ رجلاه بعض بلاد أوربا حتى أحاطت به جماعة من النسوة ، تلك تأخذ بيده وهذه تضع يدها على صدره ، وأخرى تضمه إلى صدرها ... إلخ الحديث . ولكن الشريعة الإسلامية المطهرة أباحت التعدد حتى يستطاع حفظهن وكفالة اللاتي لا كفيل لهن ولا قيم عليهن ، لا سيما إبان الحروب وبعدها .

ومن جهة أخرى فقد أثبت التعداد أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال في غالب البلدان إن لم يكن في جميعها ، فلو جعلنا لكل رجل واحدة فأين يذهب أولئك النساء الباقيات ؟ ليس لهن من وسيلة إذا إلا أن يتجرن بأعراضهن فيأتين بأولاد غير شرعيين ، كما هو الحال في البلاد المتمسكة بالواحدة فقط ، ولعمري كيف يعيبون تعدد الزوجات ، ولا يعيبون هتك الأعراض وتمزيق جلباب العفاف ، وبعد فالرجل ربما لا تكفيه المرأة الواحدة لأنه قد يريدها وهي مريضة ، أو بها مانع من الموانع الشرعية ،

ولو لم يأتها لاضطر إلى الزنا وهو ممنوع في جميع الشرائع ، فهل الأفضل حينئذ أن تدع الرجل يزني أو تبيح له تعدد الزوجات ؟ وربما يقول قائل : إن المرأة أيضا ربما لا يكفيها الرجل الواحد فلم لم يبح لها أكثر من واحد ؟ فهذا سؤال وجيه ، ولكنه نادر جدا ومصروف بأن النادر لا تبنى عليه الأحكام ، وإنما تبنى على الأعم الأغلب ، على أن الشرع الشريف حكيم في وضعه ، فمن إباحة ذلك للمرأة ما يفسد الأنساب ويضيع الحقوق ، خصوصا في المواريث ، فلو وجدت تلك المصلحة في حق المرأة فمفسدة من أكبر المفاسد فكان إنصافا وحكمة غلق هذا الباب وإرتاجه أحكم ارتاج وأشده ، وهناك غير ما ذكرنا حكم كثيرة ومزايا فاضلة لهذا التعدد ، قالت كاتبة انكليزية « وإباحة التزوج بأكثر من واحدة للرجل يزيل البلاء بلا ريب ولا شبهة ، وبه تصبح بناتنا ربات بيوت والبلاء كل البلاء من جعل الرجل مقيدا حسب التقليد بالاكتفاء بامرأة واحدة ، وهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شاردات وعالة على المجتمع الإنساني » وقد أطالت في ذلك .

أما حكمة زواجه صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع ، فهي السياسة الرشيدة والحكمة العالية ، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يريد بتعدد الزوجات ما يريده الملوك والأمراء من مجرد التمتع بالحلال ، إذ لو أراد ذلك لاختار حسناوات الأبكار ، لا أولئك الثيبات المكتهلات ، وإنما راعى صلى الله عليه وسلم المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه حسب الرضوان في التشريع ، ولكل واحدة من نسائه صلى الله عليه وسلم حكمة ، ولكني أجمل القول في ذلك إجمالا فأقول بهذا التعدد جذب إليه صلى الله عليه وسلم كبار القبائل بمصاهرتهم ، وعلم أتباعه احترام النساء ، بعد أن كن أذلة في أيدي الأزواج ، وعلمهم كيف يقيمون العدل بينهن ، ودلهم بزواجه من السيدة زينب بنت جحش امرأة زيد الذي تبناه على إبطال تلك البدع الجاهلية من تحريم زوج المتبنى كزوج ابن الصلب ، وتقرير الأحكام تلك وتثبيتها ، وترك من بعده تسع نسوة من أمهات المؤمنين يعلمن نساءهم من الأحكام ما ينبغي أن يتعلم من النساء دون الرجال ، وأذكر هنا حكمة لزواجه بواحدة من نسائه رضي الله عنها لتتضح آثار مصاهرته صلى الله عليه وسلم للقبائل من جمعها حوله ، واستظلالها بظله الوارف وهو ما لأجله بعثه الله رب العالمين .

تلك هي السيدة برة بنت الحارث سيد قومه بني المصطلق ، فإن المسلمين كانوا قد أسروا من قومها كثيرا من الرجال والنساء والذراري ، وفيهم سيدتهم برة ، فأراد رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بسيدتهم هذه بأمر من ربه ليكون ذلك وسيلة لاحتمام وفك أسرهم ، ولو أمرهم صلى الله عليه وسلم لائتمروا وما خالفوا ، ولكنه أراد أن يأخذهم بسياسة حازمة حكيمة ، إذ كان عليه السلام الأسوة والقدوة ، فلما تزوج تلك السيدة قال الصحابة رضي الله عنهم أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم ، فأطلقوا سبيلهم وأعتقوهم ، فأسلم جميع بني المصطلق وصاروا إخوة للمسلمين بعد أن كانوا حربا عليهم ، وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم منار هدى وإرشاد لجميع الناس في كل ما هو خير لهم في حياتهم وآخرتهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم) وفقنا الله إلى سلوك سبيله ، وهدانا إلى طريقه السوى المستقيم .

محمد الطنيخي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ والإرشاد

الحالة في العراق

خطب السيد رضا الشبيبي في البرلمان العراقي فقال « إن هناك احتكارا للرأي في العراق . هناك مكيفة في العلاقات مع الدول العربية . بريطانيا تتدخل في كل مسألة . حرية الاجتماع ممنوعة . حرية الرأي ممنوعة . إني أقولها على صدق . إن التفسير الحقيق لاستقلال العراق أنه استقلال جماعة معينة في إدارة شئون الدولة عما لا يتفق ومصلحة الدولة » .

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

بحث فى الطلاق

(أ) التشريع الحديث الذى جرى التطبيق عليه فى محاكم الأحوال الشخصية ممتاز بسنة التدرج والاعتدال . (ب) الطلاق وأسرار إباحته . (ج) جعل الفراق بيد الرجل والحكمة فيه . (د) ما فى حكم الطلاق مما به حل عقدة النكاح وأسرار ذلك . (هـ) الكشف عن بعض المذاهب الإسلامية التى جرى عليها تطبيق بعض أحكام قانون الأحوال الشخصية من غير مذهب أبى حنيفة فى العهد الأخير .

لما ظهر قانون إلغاء المحاكم الشرعية فى عهدنا الزاهر طلب إلينا الكثير من زملائنا فى المحاكم الوطنية ومن المشتغلين بقضايا الأحوال الشخصية أن نصدع لهم فى بحث مستفيض عن المادة الثامنة من القانون المشار إليه ، والتى تقول إن الطلاق بجميع أنواعه وملابساته والنسب بعد أن كان يفصل فيه لدى المحاكم الجزئية ، أصبح من المواد التى تطرح أمام القضاء الكلى فى المحاكم الكلية الابتدائية ، واستجابة لرغبات الزملاء نحقق لهم رجاءهم فيما طلبوا ، فننشر فى هذه المجلة ما استقر عليه الفقه الإسلامى فى باب الطلاق وما أحدثت به المحاكم ، متوخين فى ذلك كله الموضوعات والمراجع الوثيقة فى باب الفقه والقضاء والله المستعان .

الطلاق وأسباب إباحته :

هى أولا : عدم تعطيل النسل المرغوب فيه ، المندوب إليه من الرجل والمرأة ؛ لأن المرأة قد تكون عقيما أو آيسة والرجل فقيرا لا قدرة له على الجمع بين اثنتين ، فإن لم يستبدل لم يكن مستعدا لأداء النسل ، ولأن الرجل قد يكون هو العقيم أو به ما يمنع الخلوة بها كالعنة ، فإن لم يفارق المرأة ليختص بها سواه تعطل نسلها عليها وفات عليها استعدادها له .

وثانيها : رفع الحرج عن الزوجين ، لأنه قد يتصف أحدهما بسوء في خلقه وفساد في تربيته أو ضعف في دينه ، أو يكون بينهما تخالف في الطباع وتعدد في المناقضة ، فتتنافر القلوب ويعدم التآلف . والزوجية إن لم تتآلف من نواحيه وتدعم بالموافقة ، تداعت أركانها وانهار بناؤها واستحكى المقصود منها ، فصار الضرر — لولا الطلاق — محققا ، والفساد أمرا واقعا ، لأن المعاداة تظهر في أقبح مظاهرها فلا يأمن كلاهما الآخر على نفسه ، ولا يسمع منه عطف واحتشام ، فيصبح العيش دميما ، والحياة مريرة ، وتقع ذراريهما وأعقابهما النشأة خلط في حيرة وارتباك ، وقد عمد أحد الخائفين مع الغرائب من الآخر ، فيضطر إلى الخديعة والنفاق والغش والتدليس ، فيصير ذلك خلقا وصحبة مألوفة ، فتقبح سوءته ويسوء منقلبه ، ولقد رأينا من الأزواج من هجر وطنه وهو عزيز ، ومن رق دينه وهو أعز ، ومن قتل نفسه ولا شيء بعدها ، ومن أودى بصاحبه وهو جناية كبرى ، تخلصا من قرين السوء والحياة الذميمة .

ولهذا نرى كثيرا من أبناء الديانات الأخرى يلجئون إلى الطلاق المدني إشفاقا من ترتب آثار الزوجية ، وحذرا من الوقوع في أخطار يقدرها هؤلاء ، أقلها نتيجة حدوث تنافر بين الزوجين ، ولا يجد كلاهما إلى التخلص من ضرره سبيلا . لهذا اضطرت دول إلى الاعتراف بهذا الطلاق المدني ، وجعلته أصلا من أصول مدنيتها وإن خالف أصول دينها . وإن شركة روتر البرقية نقلت إليه في أول ديسمبر سنة ١٩٤٩ م أن الإحصاء الحكومي بالولايات المتحدة أثبت أن المحاكم في العشرين سنة الأخيرة ، قضت بإجراء مليون طلاق ، فقارن بعقلك بينه وبين غيرنا ، وانظر إلى آثار رحمة الله بنا ، واشكر مولاك على ما أولاك من هذه النعم الجزيلة والمنة الحقة .

ثالثا : إن جعل الطلاق بيد الرجل وحده يقرب من بقاء الزوجية ، ويبعد من زوالها قدر الاستطاعة ، لأن للرجل فضلا على المرأة ، ولأنه كلف بالإنفاق وإيتاء الصداق ، فهو لذلك لا يقدم على الفراق ما وجد للتأخر عنه سبيلا ، بخلاف المرأة لأنها قليلة التثبت في الأمور ، كثيرة الاضطراب في الآراء ، سريعة السير مع الأهواء ، ضعيفة طبيعتها عن احتمال المكاره ، وتفرح وتحزن بأحقر الأسباب . فإذا جعل الطلاق بإرادتها انهار بناء الاجتماع متى وجد خصام وتلاحٍ ، وإن جعل بيد كل من الرجل والمرأة كان الأمر أفظع والفراق أسرع ، لأن المرأة كما رأيت قد تعرض عن الأمور التي بها بقاء الزوجية ،

والرجل يعلم ذلك ويأنف أن يكون الفراق منها ، وقد تكون مثله في تلك الأنفة ، فإذا ما وجد شقاق بينهما يسيء كلاهما الظن بصاحبه ، ويخشى أن يفارقه ، فيبادر هو بالفراق فرارا مما أنف منه .

على أن جعل الفراق بيد الرجل خاصة إنما يكون إذا أراد الرجل أن يتنازل عن حقوقه قبل المرأة ويوفيها جميع حقها ، أما إذا أراد كلاهما أن يكون له حق حل عقد النكاح — وقد وضع بعض أئمة الدين حق الفراق بيد المرأة إن اشترطت ذلك في عقد الزواج ، وجرى عليه الآن كثير من العقود — فليس على من خافت من بعلها سوء العشرة وتمسكت بهذا الشرط من بأس .

لكن حدث — ملاءمة لسير التطورات ، ومسايرة لشتى الاعتبارات المتولدة عن الوقائع والحادثات — أن تشريعا وضع سنة ١٩٢٠ وهو الموسوم بقانون رقم ٢٥ ، بعد أن كثرت الشكوى من بقاء قيد النكاح في أيدي الأزواج ، يتلاعب بها شرارهم ، ويجعل الزوجية في نظر المستهترين متاعا يستمتع به ذوو الغايات ، وسبيلا إلى الانتقام شتى الوسائل ، فجاءت المادة الخامسة من القانون المذكور ، وهي تبيح للزوجة أن تطلب التفريق إذا وجدت عيبا لا يمكن البرء منه ، أو يمكن بعد زمن طويل ، ولا يمكنها المقام معه إلا بضرر ، كالجنون والجذام ، سواء أكان ذلك العيب بالزوج قبل العقد ولم تعلم به ، أو حدث بعد العقد ولم ترض به ، ثم جاء قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فأباح للزوجة أن تطلب إلى القاضي التطليق على الزوج ، في حالات بينت من المادة السادسة إلى المادة الحادية عشرة من هذا القانون في حالة ثبوت إضرار الزوج بها . ثم أباح لها أن تطلب إلى القاضي التطليق على زوجها عند غيبته في شروطها المبينة من المادة الثانية عشرة إلى الرابعة عشرة من هذا القانون . ذلك لأن الطلاق شرع في الإسلام للتخلص من رابطة الزوجية إذا تحقق أن المعاشرة بالمعروف وأداء حقوق الزوجية مستحيلة البقاء . والشقاق بين الزوجين مثار لأضرار كثيرة ، لا يقتصر ضررها على الزوجين فحسب ، بل يجاوزها إلى ما خلق الله بينهما من ذرية ، وإلى كل من له بهما علاقة قرابة أو مصاهرة .

فرأت الوزارة من أجل ذلك أن المصلحة تدعو إلى الأخذ بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه في أحكام الشقاق بين الزوجين . ووضعت القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المتقدم ذكره .

التطليق لغيبة الزوج أو لحبسه :

كذلك قد يغيب الزوج عن زوجته مدة طويلة بلا عذر مقبول ، كطلب العلم ، أو التجارة ، أو لانقطاع المواصلات ، ثم هو لا يحمل زوجته إليه ولا هو يطلقها لتتخذ لها زوجا غيره . ومقام الزوجة على هذه الحال زمنا طويلا مع محافظتها على العفة والشرف أمر لا تتحمله الطبيعة في الأعم الأغلب ، وإن ترك لها الزوج ما تستطيع منه الإنفاق . وقد يقترف الزوج من الجرائم ما يستحق عقوبة السجن الطويل ، فتقع زوجته في مثل ما وقعت فيه زوجة الغائب .

من أجل ذلك شرعت المواد ١٢ و ١٣ و ١٤ من القانون المذكور إنهاء لذلك العذاب الذي كان في يدي الزوج على زوجته يرسلها به أنى شاء .

عباس طه
المحامي

المسلمون في يوغوسلافيا

تبلغ نسبة المسلمين في يوغوسلافيا إلى مجموع السكان ١٢,٥٣ ٪ ويشرف على حياة المسلمين الدينية مجلس أعلى للأوقاف ، وعلى رأسه رئيس للعلماء ، ولهم ثلاثة معاهد دينية في سراي بوسنة واسكوب وبشتنة ويتخرج العلماء من هذه المعاهد ، ولهم مجلة إسلامية تنشر فيها بعض المقالات العربية أحيانا . وفي يوغوسلافيا ثمانية آلاف مسجد وعدة مئات من المكاتب القرآنية ، وأهم المدارس الإسلامية مدرسة الغازي خسرف بك في سراي بوسنة .

مكانة الأزهر المعمور

« أُلقيت هذه القصيدة في الاحتفال الكبير الذي عقد في دار المركز العام لجمعية الشبان المسلمين ضمن سلسلة (حديث الثلاثاء) يوم ١٩ شعبان سنة ١٣٧٢ هـ تحت عنوان (رسالة الأزهر الشريف) وقد خطب فيه الأساتذة عبد اللطيف السبكي ومحمود حب الله وأحمد الشرباصي ومحمد الغزالي وغيرهم [illegible] وصاحب القصيدة »

ردوا عليّ صباي عهدا أزهريا ... لأرى القدسي الرحيب الأزهرا

وأجول في حلقاته متلهفا ... من علمه ، متذكرا ، ومذكرا

متمليا لغة الكتاب وآيه ... متدبرا ، مستبصرا ، ومفسرا

ومتوجا بعمامة تستدعي الفتى ... في قومه شيخا مهيبا نيرا

إن العمامة هيبة ومهيبة ... أسفي على من عقها أو أنكرا

أسفي على أن لم أكن من أهلها ... وأنا ابن من لبس العمامة أدهرا

إن لم تزرني أزهريا واعيا ... فلتبلوني هاديا متأزهرا

هذا البناء حصانة وصيانة ... للدين والدنيا ، وهدي للورى

الله صاحبه ورائع ركنه ... ما كان صاحبه المعز وجوهرا

هذا البناء كرامة وسلامة ... للمسلمين وعزة لن تقهرا

هذا سفير تآلف ومعارف ... من قبل عرف بالسفارة قد جرى

هذا الذي عق الغزاة شجاعه ... من كل باغ قد عتا وتجبرا

لاذ الحماة به فكان حماهم ... ومجال شورى بينهم ومعسكرا

قد عاش جارا للحسين ، ولم يزل ... في العز من صحب المقام الأطهرا

فالأزهر المعمور حارس دينه ... ومؤدب لمن اعتدى ومن افترى

ولعابث متهتك ، ولمن سعى ... كيما يزندق جيلنا ويكفرا

والأزهر المعمور نبع حضارة ... إن نحن صناه علا وتمصرا

ولئن صددنا عن قويم علومه ... فلقد أعنا المفسد المستعمرا

ولقد ظلمنا الدين في أحشائه ... ولقد جعلنا الضاد كلا مهدرا

لا تزهدوا العلم الحديث ، وإنما ... لا تغفلوا النبراس ، لا ، لا الأزهرا

أ. مصطفى علام

تحية الوحـــــــدة

عادت لعزتها الجدود فأبشرى ... وجرى القضاء بما أردت فكبرى

وغدت مهاد الأنبياء بأهلها ... صحف الهداية بين كفى ناشر

وتعانق الأخوان جهد ملوع ... جمعته بالأحباب قدرة قادر

شكرى الذى وهب الوفاء حياته ... وأخو الفداء جمال عبد الناصر

عطفا القلوب على القلوب كأنما ... وزنا على الإخلاص عصر الفاخر

• • •

يا وحدة القرص الشريف تحية ... من شاهد بالمكرمات مطهر

أنا إن مدحتك كنت مادح نفسه ... لكن عظائم الأعمال بخاطرى

بجلالك خطا فى السجل صحيفة ... يزهو بها فى الدهر شعر الشاعر

وهما التليدان توجا لعروبة ... شرف الشعوب وكل مجد زاهر

• • •

يا أخت مصر حبذا ترحيبنا ... ودعت إليه حكمة وتبصر

نكبت المروءة من أناس معشر ... حبكوا الخديعة فى جلال الساحر

جعلوا الرياء سبيلهم وتنكروا ... للخير والمعروف أى تنكر

طمعوا الشيء على الشيء وأمعنوا ... وتجاهلوا حق الشقيق المصر

باعوا الضمائر للعدو رخيصة ... رغم الشراء وساء حظ المشترى

يا ويح عاصى الأهل من نزواته ... ويجوحه نحو الرحيل الغادر

خسر الحياة وإن تأخر يومه ... ولقى البقية صب حين المزدرى

إن الذين تربصوا بمجاهد ... لم يؤمنوا بالله خير تظاهر

• • •

يأيها البطل التقى سريرة ... والمستجيب لكل بذل مثمر

الله جل جلاله لك حافظ ... فاختم رسالة على المجد الصابر

محمد كامل عكاشة

مراقب المعهد الدينى بشبين الكوم

لغويات

الاتحاد والوحدة

يراد بالاتحاد اجتماع شيئين فأكثر واشتراكهما وتعاونهما في أمورهما ، ويكون هذا في آحاد الناس وفي الأمم . وهذا المعنى الشريف قديم جاء في أشعار العرب وفي الكتاب العزيز ، وقول الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه ، والأمر في هذا لا يحتاج إلى تذكير ، ومما جاء من الشعر قول الحكيم :

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا

غير أن لفظ الاتحاد ومتصرفاته لم أره في نصوص العرب القديمة ، وهو يكثر في عبارات المؤلفين والمصنفين للعلوم .

ونرى لفظ الاتحاد في القرن الرابع فما بعده ، ويقول [1] الصابي في كتاب إنشاء للصلح بين ابى عضد الدولة كتبه في سنة ٣٧٦ هـ : « وعلى أن يمسكا بينهما بالسير الحميدة ، والسنن الرشيدة التي سنها هو السلف الصالح من آبائهما وأجدادهما في التآلف والتوازر ... والاتحاد بخلوص الطوايا والخفايا ، وسلامة الخواطر ، وطهارة الضمائر » . وكتب [2] زين الدين طاهر الحلبي من كتاب السلطان فرج بن برقوق في سنة ٨٠٥ هـ في كتاب صلح بين هذا السلطان والملك تيمورلنك ، وكان يلقب بالمقام القطبي : « وحلف المقام القطبي على المؤاخاة والمصافاة واتحاد المملكتين ، وإجراء الأمور على السداد ، وعلى مصالح العباد والبلاد » . وفي كتاب [3] الصلح هذا : « هذا على أن يكون كل من المقامين الشريفين المشار إليهما مع الآخر على أكمل ما يكون في السراء والضراء : من حسن الوفاء ، وحبل المودة والصفاء ، ويكونا في الاتحاد كالوالد والولد ، وعلى المبالغة في الامتزاج والاختلاط كروحين في جسد » .

---

[1] صبح الأعشى ٩٣/١٤ .
[2] المرجع السابق ص ١٠٢
[3] المرجع السابق ص ١٠٣ .

وإذا رجعنا إلى المعاجم لا نجد في اللسان ذكراً لصيغة الاتحاد في مادتي (أحد) و (وحد) ؛ ونرى في القاموس في (أحد) : « واتّحد : انفرد » وهذا في غير المعنى الذي يستعمل في هذه الأيام ؛ ونرى أن القاموس جاء به اتّحد من المهموز وهذا لا يجرى في القياس ، وإنما قياسه ايتحد ، وإنما تقلب فاء الافتعال تاء إذا كانت واواً أو ياء لا همزة كما هو معروف ، وقد خطأ النحاة قول المحدثين « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتّزر » وهو افتعال من الإزار ، وكان يجب أن يقال : يأتزر . وجاء في الأساس : « واتّحد الرجلان ، وبينهما اتحاد » وهذا يساوي المعنى المستعمل في الاتحاد ، وحسبنا بهذا مصدراً ثقة يعول عليه ، ويستند إليه .

فأما الوحدة فقد فسرت في المعاجم « الانفراد » وتستعمل الآن في معنى الاتحاد أو صيرورة الاثنين فما فوقهما واحداً ، فيقال : وحدة الدولتين ، ووحدة قوانين التجارة ؛ وكأن هذا المعنى نشأ بالتوسع والتجوز في المعنى الأول ، فمن شأن المنفرد الضبط وعدم الانتشار ومن شأن المتعدد التشعث ؛ فاستعملت الوحدة التي أصلها الانفراد في الاجتماع الذي فيه الضبط والالتئام ، ومن دعائهم : اللهم اجمع شَتّى ؛ وهذا المعنى المجازي أشهر ، وعرف في اللغة العلمية . ففي كليات أبي البقاء ٣٧٠ : « الوحدة كون الشيء بحيث لا ينقسم . . . . وتطلق ويراد بها عدم التجزئة والانقسام ؛ ويكثر إطلاق الواحد بهذا المعنى ، وقد تطلق ويراد العدد والكثرة » .

بقي بعد هذا ، البحث في ضبط الوحدة .

فقد جرى على ألسنة الناس كسر واو الوحدة ، وهذا لم أقف عليه ، وإنما الذي وقفت عليه فتح الواو . فهذا ما وجدته في اللسان والأساس والمصباح والصحاح ؛ ويرى القارئ في نسخة القاموس المطبوعة بالمطبعة الحسينية المصرية في سنة ١٣٣٠ هـ ضبط الوحدة بضم الواو ، وهذا الضبط يراه القارئ في التاج شرح القاموس ؛ ولكني وجدت في نسخة القاموس المطبوعة في مطبعة بولاق في سنة ١٢٧٢ هـ الوحدة مضبوطة بفتح الواو ؛ وأرى أن صاحب التاج وقعت له نسخة من القاموس فيها ضم الواو خطأ من الناسخ فاعتمده ، وتبعه مصحح مطبوعة المطبعة الحسينية ؛ فينبغي ألا يعاج على هذا الضبط ولا يركن إليه ، ويدل على هذا أن صاحبي الصحاح والمحكم اقتصرا على فتح الواو ، وهذان الكتابان مصدران للقاموس فهو يأتي بما فيهما وقد يزيد عليهما ، وهو

لم يذكر الوحدة إلا مرة واحدة ، فالمرجح أنها هي التي في الصحاح والمحكم ، ولو كان أفيد وقف على الضم لذكر الوحدة التي في السكتين والوحدة (بالضم) التي زادها عليهما .
ومما يؤيد أن الوحدة بالفتح قولهم في تخريج جاء وحده : إن الأصل . وحدته حذفت التاء للإضافة ، ويقول الرضي في شرح الكافية في مبحث الحال : « ووحدك في الأصل وحدتك، حذفت التاء لقيام المضاف إليه مقامه ، كما في قوله تعالى - « وإقام الصلاة » والوحدة . الانفراد ... » . ومما يتصل بهذا أن الوحدانية أي التفرد وانقطاع النظير نسبة إلى الوحدة يقصد بها المبالغة ، كالجدي والرقباني في النسب إلى الجمة والرقبة ، وقد انسلخت الكلمة عن النسبة وصار يراد بها الحدث وتدخل فيما يسمى بالمصدر الصناعي ، والوحدانية بفتح الواو لا محالة ، ولا يقبل تجويز بعضهم كسر الواو في الوحدانية ، فقد جاء في كتابة الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد في مبحث الوحدانية : « ثم أفاد سيدي يحيي صحة كسر الواو نسبة إلى حدة كعدة وعدة ، وأصلهما وعد بكسر الواو من وعد يعد ، قالوا . هذا على عدة ، وهذا على حدة ، فتأمل » ، وأمر الأمير بالتأمل في كلام سيدي يحيي يوحي بأنه لا يرضاه ، ووجه هذا أن النسب إلى حدة : حدي ، ولا ترد الفاء المحذوفة ، فلا تكون الوحدانية منسوبة إلى الحدة .

ويذكر بعض الباحثين أن الوحدة بكسر الواو تخيل عن أنها اسم الهيئة وإن لم يسمع ذلك ، إذ إن صوغ الفعلة للهيئة مما ينقاس . وفي نصوص النحويين قصر المرة على الأفعال العلاجية ، ففي حاشية الصبان على الأشموني في أواخر أبنية المصادر : « ثم فعلة التي للمرة إنما تكون لما يدل على عمل الجوارح الحسية ، كأمثلة الناظم والشارح ، لا ما يدل على الفعل الباطني ، كالعلم والجهل والجبن والبخل ، أو الصفة الثابتة ، كالحسن والظرف » ، وقد سكت الصبان عن الهيئة ، ويبدو أنها كالمرة لا تكون إلا من الأفعال العلاجية التي لها هيئة وشكل خاص يظهر .

والوحدة أي الانفراد ليست – فيما يبدو – من الأفعال العلاجية الحسية .

والوحدة مصدر ، وفعله وحد يحد كوعد يعد ، ومن مصادر هـذا الفعل الحدة كالعدة . ويقال أيضاً : وحد يوحد بضم الحاء فيهما . وأثبت بعض اللغويين وحد كسمع أيضاً :

والناس يستعملون الوحدة في مكان الاتحاد أي اسم مصدر له ، ولا ينطقون بفعل ثلاثي ، وإنما ينطقون بالفعل من الاتحاد .

الفانوس

الفانوس معروف ، وهو وعاء من زجاج يوضع فيه مصباح أو شمع ، فيكنه من الهواء . ويبدو أنه في مبدأ أمره لم يكن من الزجاج ، بل كان يغطى بستر رقيق من القماش الشفاف ، ولا يزال هذا جاريا في فوانيس بعض الطرق الصوفية في احتفالاتهم الدينية . ويقول مجير الدين بن تميم :

أجرى اعتذارا لنا الفانوس حين بدا ... في حالة من هواه ليس ينكرها
رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه ... نارا فهوى لهذا بالثوب يسترها

ذكر هذا الغزولي في مطالع البدور ١ / ٨٧ . والغزولي من أدباء صدر القرن التاسع الهجري . وأنشد في هذا الموطن للوجيه المناوي :

كأنما الليل وفانوسنا ... يجلو دجى الظلمة الحلس
لجة بحر قد طفا موجه ... تسبح فيه كرة الشمس

ولا ترى ذكر الفانوس في اللسان . وجاء في القاموس : « والفانوس : النمام من المازري . وكأن فانوس الشمع منه » . ولا ترى في المادة غير الفانوس إلا الفنس بالتحريك ، وهو الفقر المدقع ، وظاهر أنه مبدل من الفلس ، وعلى ذلك تكون كلمة الفانوس ليس لها علقة تتصرف منها . وهذا أمارة أنها دخيلة في العربية ، ومن آيات ذلك إغفال المعاجم القديمة لها ، وإنما نقلها صاحب القاموس عن المازري في شرح مسلم ، وذكر المازري أن معناها النمام . ويبدى المجد احتمال أن فانوس الشمع - وهو الفانوس المعروف - من الفانوس بمعنى النمام . وذلك أن فانوس الشمع ينم عما فيه من الشمع أو المصباح لما كان لايحجب ضوءهما . وقد بعثني هذا على النظر في أصل الكلمة ومأتاها ، فعلمت أن الفانوس في اليونانية معناه المضيء المنير ، وقد انتقل من اليونانية إلى العبرية بهذا المعنى ، كما أخبرني ثقة في هذه اللغة . وعلى هذا فقد انتقلت الكلمة إلى العربية من اليونانية أو العبرية بمعنى المضيء ، واستعمل في المعروف اليوم لإضاءته ، وإذن فاستعمال الفانوس في فانوس الشمع هو الأصل ، واستعير للنمام ، لأنه ينم عما بين الناس

من الأسرار ويكشف عنها ، كما ينم فانوس الشمع عما في داخله . وهذا عكس ما رآه صاحب القاموس .

وقد بدا لي أن الفانوس في اليونانية أصله فاروس . وفاروس كانت جزيرة أمام إسكندرية ، بنى فيها بطليموس فيلادلف في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح عليه السلام منارا يضاء ليلا لهداية السفن إلى مدى مائة ميل ، وصار لفظ فاروس ودياً للنار . وقد أخذ الفرنسيون لفظ فار من فاروس للنار ، وللفوص الشديد الإضاءة . ورى في العامية الفنار لضرب من المصابيح ، ويبدو أن هذا أيضاً أصله فاروس . وكان مكان المنار يعرف بمنارة الإسكندرية ، وظل معروفاً بهذا عند علماء المسلمين ، وكانت تروى في شأنه أساطير ، وأطال القول به ياقوت في معجم البلدان في الحديث عن الإسكندرية . ومن كلامه : « وأما خبر المنارة فقد رووا لها أخباراً هائلة ، وادعوا لها دعاوى عن الصدق عادلة ، وعن الحق مائلة ... » ولمن أراد سعة في العلم بها فليرجع إلى هذا المرجع .

محمد علي النجار

الحروب الصليبية والاستعمار

قال الرئيس جمال عبد الناصر في خطبته مساء آخر شعبان بالقاهرة :

إن العرب حين وثقوا في بريطانيا وفرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى ، ليتخلصوا من ظلم العثمانيين ، نسوا أنهم يستعينون بنفس الذين كانوا يحاربونهم قبل العثمانيين ، وإن كان العرب قد نسوا ، فإن بريطانيا لم تنس وكذلك فرنسا .

وعند ما دخل ألنبي القائد البريطاني المشهور إلى بيت المقدس قال : « الآن انتهت الحروب الصليبية » .

وعند ما دخل الجنرال غورو الفرنسي دمشق اتجه إلى قبر صلاح الدين وقال : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » .

إن الحروب الصليبية كانت استعماراً يستغل اسم الدين .

تعليقات

١ — اتحاد سوريا ومصر

شيء تمنيناه طويلا ، وقضينا في انتظاره أحقابا ، ثم سمحت به الأقدار في أحوج ما نكون إليه ، ووالت به الأيام أكمل ما ترجوه سوريا ومصر ، وأجمل ما تنشده العروبة في كل ناحية من أوطانها .

شيء علقت عليه الدنيا آمالها في استقرار السلام ، وكف الأطماع وعدوان الدسائس حول هذه الأوطان وكانت هي مهبط الوحي ، ومبعث الهداية ، ومشرق العلم والحضارة ، بعد أن تمرست الإنسانية في مهدها ، وقبل أن تنهض على آثار الشرق أمم جامدة ، وتقتبس من علمه وحضارته شعوب جاحدة .

وما نستطيع أن نشبع الرغبة بالإعراب عن شعورنا ، ولا تحديد ما يتملكنا من هزة بعد أن تواطأت على معاكستنا أمم حاقدة علينا ، وناصبتنا الخصومة ، ووقفت في سبيلنا حيناً وأحياناً من الزمن ، ومهما يكن فقد خسروا وظفرنا ، واندحروا ونهضنا ، وشمنا فجر الأمل بعد طغيان مطبق ، وظلم محدق ، وعدوان جائر ، وتدبير خاسر .

والله يعصمنا من كيدهم ، ويبقي لوحدتنا قوتها وهيبتها ، حتى نكون كأولنا يوم شنوا حروبا صليبية تجمعوا لها من كل ركن ، وعدوا عيثاً في غير هوادة ، وبعد قرنين من الزمن كانت رايتنا فوق راياتهم ، وتاريخنا أنصع من تاريخهم ، وكان اعتزاز الإنسانية بنا سلوة عن حربها وحشيتهم ، وكانت فرحة الدنيا بنصرنا عليهم وصدنا أشبه بفرحتها اليوم لقيام حقنا على باطلهم .

وستظل الراية مرفوعة ، وكلمتنا مسموعة ، والزعامة رشيدة ، وخطانا إلى الأمام سريعة غير وئيدة . . وإن فيما سمعناه من كلمات الزعيمين ، وتحياتهما الشعبين والعروبة كلها لخير

قال ، وأصدق بشرى عما سيكون ، من تكوين مجتمع جديد ، وإنشاء جيل يعرف وطنه ، ودينه ، وحقه ، ويحترم تاريخه ؛ فكلا الزعيمين على أصدق إيمان بالله ، ورجوع إلى دين الله ، وكلاهما لا يلهى تذكير نفسه بحاجته إلى ربه ، وكلاهما لا يغفل من حسابه أن يعز دين الله ، ويسير فى ضوء كتابه . وفق الله الزعيمين ـ شكرى وجمالا ـ وشد على يديهما وأيدى أعوانهما بالعصمة من الزلل .

٢ ـ الندوة الثانية لحماية الشباب

قلنا مرة : إن فكرة عقد هذه الندوة لفكرة واعية ، ووسيلة مجدية فى توجيه الشباب إلى الخير . وكانت الندوة الثانية شاهداً بالتوفيق القائمين على الندوة ، بعد أن كانت الأولى بشيراً بالتوفيق ، غير أن لنا بعض لفتات يسيرة ، نعرضها فى غير قصد ، ولا انتقاص لتلك الجهود .

أولا : لم يراعوا فسحة الوقت بين حلول صلاة المغرب وبين الموعد الندوة ، إذ أن المغرب [حينئذ كان] يحين فى الساعة ٣ و٥ ، والندوة فى تمام الساعة ٦ فالدقائق اليسيرة ـ ١٨ ـ لا تتيح للناس أن يصلوا فرضهم ثم يحضروا أماكنهم قبل الموعد مهما حاولوا ؛ إلا من كان ذا سيارة كوزير التربية ، أو كانت الندوة تنتظره كوزير التربية أيضاً . مع أنهم وضعوا فى صدر الندوة لوحة كتب عليها : يابنى أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر . . الآية . فمن الحق تمكين الناس بفسحة الوقت ، أو بوضع مصلى فسيح فى جانب من جوانب الندوة وهذه تكون سنة مشكورة لو فعلوها

ثانياً : المعروض فيمن يشترك فى الندوة ويدلى برأيه فى الخلق أن يكون معروفاً بحسن الخلق ، أو مستور الحال على الأقل .

ولكن الندوة قدمت لنا من عرف بالمجون حتى بعمه كبر سنه ، والناس لم ينسوا قذائفه فى يوم ما مع المرحوم على أيوب حينما أقر صاحبنا هذا على نفسه فى مجلة الجيل أنه فى المجون أشد بخصمه ، ولم يحاول ـ أو ـ لم يكترث بتبرئة نفسه مما رمى به ؛ لأنه لا يكترث بذلك ، وكانت كلمته فى الندوة تشف عن هذا ، فمن الخير ألا يكون للمتحرشين موقف بين الصفحات حتى لا يكون هذا مأخذاً على الندوة .

٣ — يقظة أدبية

قرأت في جريدة الشعب يوم ٢١/٣/١٩٥٨ كلمات طيبات لسيدات ، منهن السيدة الفاضلة أمينه شكرى ، وهى كلمات أجمعت على إنكار الأزياء السوريه القصيرة ؛ لكشفها ما يجب ستره من سيقان المرأة ، ولأن قصر الملابس لا يأذن بجمال ، بل قد يكون كاشفاً عن قبح ممقوت ، وأن ذلك تقليد لنساء غير شرقيات

وهذه أصوات كريمة جديرة بالاستماع من كل سيدة ، ومن كل رجل يملك توجيه زوجته أو ابنته ، وجديرة عند إخواننا علماء المساجد والوعظ أن يشيدوا بها في مجتمعاتهم بالرجال وبالسيدات ، ولعل نصيحة تعثر وتعم .

عبداللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الأزهر يسجل نصرا فى الميدان الرياضى

زار الإقليم المصرى فى الأسبوع الماضى ، فريق منتخب سوريه لكرة السلة ، ونظمت ضمن مباريات مع فرق الإقليم المصرى ، مباراة تقابل فيها مع فريق الأزهر .

وابتدأت فى ثامنه من مساء يوم ١٦ من شعبان الموافق ٧ من مارس على ملعب جمعية الشبان المسلمين .

وذلك بعد أن تبادل أحمد صدقى رئيس فريق سوريه ، وعاصف سليم رئيس فريق الأزهر الأعلام التذكارية والهدايا الرمزية وباقات الورود .

وكان النصر حليف منتخب الأزهر من أول المباراة ، وظل يتقدم فى تسجيل الأهداف حتى خرج منتصرا على الفريق السورى ٦٥ — ٦٠ ثم احتفل المدعوون والفريقان الى حفل شاى كبير ، أعده الأزهر بصالة الجمعية ، وقد تحدث فيه فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر والرائد الدينى لجمعية الشبان المسلمين .

فنوه بتقدم الأزهر فى الميدان الرياضى ، ودحض فرية القائلين بتخلفه عن ركب الحياة العامة .



قصص من التاريخ

للأستاذ السيد على الطنطاوى – ٢٢٤ ص – مؤسسة دار السلام للطباعة والنشر بدمشق

أصدق كلمة جمعها حامل قلم فى هذا العصر هى قول مؤلف هذا الكتاب النفيس : « إننا أمة تجهل تاريخها ، هذا التاريخ الذى ليس لأمة مثله ، هذا العالم الذى يفيض بالحب والنبل والتضحية والبطولة والإيمان ، هذا السجل الأدبى الذى اشتمل على بذور مآس وملاحم وقصص ودواوين لو وجدت من يستخرجها ويزرعها فى الذهن الخصب لكان حصادها أدب جديد يزحم بمنكبيه آداب الأمم جميعاً » .

وهذه الحقيقة برهن عليها الكاتب الأديب البليغ مؤلف هذا الكتاب بجمع وعشرين تحفة أدبية كان فى كل تحفة منها يتناول خبراً من الأخبار يقع عليه فى أى كتاب من تراثنا النفيس الحافل بالروائع ، فيديره فى ذهنه ، ويتصور تفاصيله ، ثم يحاول أن يعرضه عرضاً موضحاً كما لو كان من شهود وقائعه ، ومن لداتِ الأشخاص الذين وقعت لهم تلك الوقائع ، فجعل من ذلك قصة من قصص التاريخ الإسلامى تنبض بالحب والنبل والتضحية والبطولة والإيمان كما قال المؤلف ، ولو رجعت إلى أصول هذه الفصول فى التاريخ لوجدت أن أكثرها لا يجاوز بضعة أسطر جاءت متوارية فى حاشية من الحواشى أو زاوية من زواياها لا ينتبه لها القارئ ولا يقف عندها ، وليست أحلى ما فى تاريخنا ولا هى من أجمل ما فيه ، ولكن القلم البليغ ، والمعرفة التاريخية الأخرى التى تبعث الحيوية والحياة فى أحاديث النبل والبطولة والإيمان هى التى تنمى ثروة الأدب العربى بمثل هذه التحف فتساعد الجيل على أن يعيش فى عصر أسلافه الذين ملأوا الدنيا بطولة ونبلاً .

إن أدب الأستاذ الطنطاوى لا يحتاج منا إلى تعريف ، فقراؤه عرفوه من قبل ، وإنما أردنا أن نلفت أنظارهم إلى هذه الحلقة الجديدة من سلسلة حلت من نفوسهم المحل اللائق بها .

حياة حافظ إبراهيم

الأستاذ أحمد محفوظ — ٢٤٥ ص — مؤسسة مصر للتوزيع والنشر

قال المؤلف: «هذا حافظ إبراهيم، أجلوه للقارئ: مولده، وطفولته، وشبابه، وكهولته، وشيخوخته، وموته. ومدرسته، وبيئته، وأصدقاؤه، وظرفه، وبؤسه، وعدواته وروحاته، وفنه».

وقد كتب مقدمته الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة فوصف الكتاب بأنه «قيم، حوى الكثير الحق من عصر حافظ، وأحاط بطرائف ممتعة عاشها حافظ مع رجال الصحافة والسياسة والعلماء والأدباء والظرفاء والشعراء. وأروع ما في الكتاب أنه يكشف لنا عن حياة القاهرة في مفتتح القرن العشرين: في أنديتها ولياليها وسهراتها ومواصلاتها، كما يكشف لنا عن ظرف حافظ وأصدقاء حافظ وحياته كلها من لدن مولده حتى موته.. وقد عرض المؤلف لضروب شعر حافظ ينقد ما يصح في بعضها، ويجنى عليه في البعض الآخر. والنقد قبل كل شيء ذوق خاص بالناقد لا يلزم به إلا هو».

فهذا الكتاب ذكرى للكهول والشيوخ ترجع بهم إلى حياة القاهرة وأدبائها قبل نصف قرن، وتاريخ للشباب يعرفون بمقارنة عصرهم وبيئتهم بعصر حافظ وبيئته، ومعرفة ذلك خير لهم من أكثر ما تنشر المطابع من قصص وأدب ركيك في هذه الأيام.

التربية الإسلامية

من مطبوعات وزارة التربية والتعليم السورية – أربعة أجزاء

قسما القرآن الكريم والحديث

هذا كتاب نموذجي جيد لتلقين طلاب الصفين الأولى والثانية الثانويتين في المدارس السورية ما ينبغي لهم أن يعرفوه وأن يتأدبوا به من كتاب الله وسنة رسوله. فالقسم الخاص بالقرآن الكريم من هذا الكتاب في جزءين كل منهما في أكثر من مائتي صفحة تضمنا السور القرآنية المقررة في منهج الدراسة مبدوءة بدراسة موجزة لكل سورة، ثم تأتي السورة مطبوعة على رسم المصحف المتبوع، مشفوعة بمبحث لأهم الكلمات اللغوية فيها، ثم تفسير مجمل مشفوع ببعض التفصيل، وألحق بذلك أحيانا خلاصات لبعض المعاني، وأسئلة توجيهية يمكن أن يعين عليها المدرسون والطلاب توصيلا للفائدة المرجوة.

أما قسم الحديث النبوي الشريف والبحوث الإسلامية فهو أيضا في جزءين للصفين الأولى والثانية الثانوية حسب منهج التربية الدينية الذي أقرته وزارة التربية والتعليم

السورية ، وقد قامت بتأليفه لجنة مكلفة من قبل الوزارة ، وقد بذلت جهدها لأداء مهمتها بقدر ما ساعدها على ذلك المنهج الرسمي ، وقالت في مقدمته : إن الكتاب الصالح والمدرس الصالح إذا وجدا للطالب الجيد كان منهما النفع الكبير له ولأمته ، وقد نبه المؤلفون المدرسين إلى مهمتهم العظمى تجاه دينهم وأمتهم وتلاميذهم .

وكل جزء يحتوي على قسم الحديث الشريف للدراسة والحفظ مذيلا كل حديث بشرحه وبما يرشد إليه الحديث . ثم قسم البحوث الإسلامية ، وفيه فصول مطيبة نافعة في العادات والآداب الإسلامية والأهداف الملية . وعسى أن يتسع صدر وزارات التربية والتعليم في البلاد الإسلامية لأكثر مما في هذه الأجزاء النافعة الصادرة عن الوزارة السورية .

الأجوبة المنيفة في مذهب أبي حنيفة

للأستاذ سيد عبد الله حسين — ٥٠٤ ص — المكتبة المحمودية بالأزهر

هذا كتاب في الفقه على طريقة السؤال والجواب ألفه مؤلفه ليتذكر به الطالب دروسه ، وليرجع إليه العلماء من غير عناء للبحث عن الأحكام المرغوبة لهم ، وقد اشتمل على العبادات والمعاملات والأقضية والشهادات والميراث وأبواب الزكاة وكتابة الطلاق والعدة وربا الفضل والنسأ والدية وذوي الفروض والحجب الخ .

وبآخره فهرس أبجدي مطول ، وفهرس آخر للأبواب وفصول المواضيع الفقهية . فنرجو الله أن ينفع به .

جمال الدين الأفغاني – تاريخه ورسالته

للأستاذ الشيخ محمود أبو رية — ١٦٣ ص — مؤسسة مصر للتوزيع والنشر

كتاب لطيف جامع ، قدم له الأستاذ عبد الرحمن الرافعي ، تدور فصوله على نشأة اليقظة الإسلامية ، والجامعة الإسلامية ، وتعاليم جمال الدين وأثرها في الثورة العرابية وسائر الحركات الحرة في البلاد الإسلامية ، وأنه الباعث الرئيسي الأول للروح المصرية ، وأقوال أعلام العصر عنه وتحقيقات عن حياته الأخيرة في العاصمة العثمانية وما قيل في أسباب وفاته .

الأدب والعلوم

رسالة المعلم العربي

عقد السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم ندوة في مدرج الجامعة السورية بدمشق ضمت معلمي المدارس الابتدائية والثانوية ومعلماتها فتحدث إليهم عن رسالة المعلم العربي في تكوين أمة عربية واحدة ، موحدة الآمال والأهداف وقال : يجب علينا أن نعي وندرك أن هؤلاء الأبناء الذين نبني لهم المستقبل أو نبنيهم للمستقبل ، لابد أن نوفر لهم جميع عناصر القوة ، لكي يتحملوا هذا العبء الضخم الذي وضع على كواهلهم ، ويمكن تلخيص القوة التي نعدها لهم في قوة الروح ، وقوة الإيمان ، لأنه بدونهما سوف نفقد كثيراً من عناصر القوة المادية التي يمكن أن يستفيد منها أشبال الأجيال المقبلة .

يجب أن نكون على سباق مع الزمن ، فقد فاتنا وقت كثير ، ولزاماً أن نقطع مسافة طويلة لنلحق بالركب ، ثم لنسبق الركب .

يجب أن نعيد أذهان الجيل الصاعد إلى حضارة أمته العربية ، وأنها كانت وما زالت حضارة بناءة امتازت على حضارات الأمم جميعاً بأنها تنمي الإنسانية والمدنية الصحيحة ، وتنشر العلم والعرفان ، وتهدف إلى حرية الشعوب .

إن معركتنا نحن المعلمين ليست معركة عابرة أو وقتية ، بل هي معركة مستمرة نخوضها في السلم وفي الحرب بقوة الإيمان والعمل ، وتقوية القوة المادية بين أبنائنا من أجل وحدتنا ومستقبل أمتنا العربية .

المركز الثقافي الإسلامي بلندن

رشحت مشيخة الأزهر فضيلة الشيخ سليمان دنيا ، الأستاذ بكلية أصول الدين ، لإدارة المركز الثقافي الإسلامي في لندن ، وقد تلقى من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر التوجيهات الحكيمة فيما يجب أن يتخذ من الإجراءات هناك .

ومما يذكر أن إدارة المركز الثقافي الإسلامي بلندن ظلت شاغرة منذ نقل مديره السابق الدكتور علي حسن عبد القادر ، وكانت هناك بلاد إسلامية أخرى تريد أن تستأثر بهذا المركز الإسلامي ، لكن مجلس الأمناء الذي يشرف عليه رأى أن يرجع إلى مشيخة الأزهر

في هذا، لأنه يعتقد أن مصر هي الزعيمة الروحية لكل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهي صاحبة الرأي والتوجيه فيمن يصح أن يشغل هذا المركز، فكتب المجلس إلى مشيخة الأزهر كتاباً يقرر فيه أن مصر هي البلد الإسلامي الكبير الذي يأتم به العالم الإسلامي في مختلف البلدان. ولذلك رغب المجلس في أن يكل إلى مشيخة الأزهر ترشيح المدير الجديد للمركز الثقافي الإسلامي.

الأزهر في مجمع اللغة العربية

أقام مجمع اللغة العربية حفلة علمية لتأبين شيخ الأزهر السابق العلامة السيد محمد الخضر حسين، وتولى صديقه الأستاذ الشيخ محمد علي النجار استعراض حياة الفقيد رحمه الله.

اللغة العربية في الصين

افتتح في بكين رسمياً فصل لتدريس اللغة العربية في أوقات الفراغ، وأشرف على إنشاء هذا الفصل جمعية الصداقة بين الصين والجمهورية العربية المتحدة. وتستمر الدراسة في هذا الفصل عامين يتلقى الطلبة خلالهما الدراسة مرتين في الأسبوع.

وخطب في افتتاح هذا الفصل السيد عبد السلام بدران الملحق الثقافي في سفارة الجمهورية العربية المتحدة، ومما قاله إن إنشاء هذا الفصل سيدعم التبادل الثقافي والتفاهم الودية بين الأمتين الصينية والعربية.

المعهد الأزهري للفتيات

وافق مجلس الأزهر الأعلى على افتتاح المعهد الأزهري للفتيات في العام الدراسي القادم، ويكون التعليم فيه مقصوراً عليهن.

وكان مقرراً أن يفتتح هذا المعهد في العام الدراسي الماضي، غير أن ظروفاً حالت دون ذلك.

وستتيسر بهذا المعهد للفتيات في مختلف أنحاء الجمهورية العربية المتحدة أسباب الثقافة الإسلامية، ويخطو – إن شاء الله – بتعليم الفتاة المسلمة خطوة صحيحة تلم بالطابع اللائق بها، فتدير البيت وتربي الجيل، وهي تعلم ما يرضي الله وما يسخطه، وما يدني الأمة من سعادتها أو يبعدها عنها.

وفي المنهج الدراسي المرسوم لهذا المعهد إلى جانب ما يلزم من الثقافة الشرعية والعربية، عناية خاصة بالدراسات المنزلية وشئون التطريز والتمريض والإسعافات الطبية الأولية.

أنباء العالم الإسلامي

القوة العليا الخالدة

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى أول خطبة له فى مصر بعد عودته من الشام :

« إن هذا العصر عصر الشعوب ، وكانت الشعوب هى التى فرضت الوحدة ، فرضتها فرضاً وكنت سعيداً أنها فرضتها إذ معنى ذلك أن زحف الشعب المقدس قد بدأ ، وأن وعيه يتبلور ، وأنه أصبح القوة العليا الخالدة » .

سلطات الحكم

فى البلاد العربية السعودية

تنازل الملك سعود عن سلطات مباشرة الحكم لولى عهده ورئيس وزرائه الأمير فيصل ، وأصدر مرسوما منحه فيه السلطة الكاملة فى مسئولية رسم السياسة الداخلية والإشراف على تنفيذها ، ومسئولية رسم السياسة الخارجية والإشراف على تنفيذها ، ومسئولية الحالة المالية والعسكرية للمملكة السعودية والإشراف عليهما إشرافا كاملا

وقد أعلن ذلك فى المملكة العربية السعودية وأذيع فى الوقت نفسه فى الأمم المتحدة .

وأذاع الأمير فيصل ولى العهد ورئيس الوزراء بياناً للشعب السعودى ناشده فيه أن يتعاون مع الحكومة فى عهدها الجديد .

وألف الأمير فيصل ثلاث لجان : واحدة للسياسة الداخلية ، وأخرى للسياسة الخارجية وثالثة للسياسة المالية . وستتولى كل منها الإشراف على النواحى التى تدخل فى نطاق اختصاصها .

مسئوليات

الجمهورية العربية المتحدة

فى الخطبة الكبرى التى ألقاها الرئيس جمال عبد الناصر بالقاهرة مساء آخر شعبان ، حدد المسئوليات التى تحملتها الجمهورية العربية المتحدة فى النقط التالية :

إن هذه الجمهورية تحملت أن تكون خط الدفاع الأول عن الأمة العربية .

وتحملت أن تكون أداة التعبير عن آمال الأمة العربية .

وتحملت أن تكون قاعدة الدعوة إلى الوحدة العربية .

وتعملت أن ترى العالم القوة البناءة القومية العربية .

وتعملت أن تقوم بنصيب العرب في صيانة السلام العالمي ، لأنها تمثل فكرة مستقلة لها كيانها الدولي ، بينما باقي الدول الأخرى ذيول منجرة إلى معسكر دولي .

إنذار من زعماء العراق إلى حكومتهم

وجه ثلاثة وأربعون من زعماء العراق - بينهم رؤساء وزارة ووزراء سابقون ورؤساء أحزاب ونواب ونقباء محامين ومحامون ورجال أعمال وعمداء كليات وأساتذة جامعيون - إنذاراً قالوا فيه لرئيس الوزارة العراقية وحكومته :

« لقد انتهجتم سياسة معينة أدت إلى تحويل العراق عن الأمة العربية إلى الارتباط بحلف بغداد والاتفاق الخاص مع بريطانيا . فسلبت وزارتكم جميع حقوق الشعب الدستورية ، وأصبح من المتعذر في هذا الجو الخانق الذي يسود العراق اليوم أن يعلن أبناء الشعب وجهة نظرهم وهم آمنون من الأذى » .

وقالوا : « إن وحدة مصر وسوريا وحدة طبيعية لأنه قد أتيحت لكل منهما ممارسة حقوق سيادتها كاملة بمجرد من أجنبية أجنبية . وهذه الوحدة تتحدى سياسة التفريق التي لم يعد في مقدور أحد ولا في استطاعة دولة أجنبية حمل المواطنين في أية بقعة من على الاستسلام لها ومن عجب أن يتظاهر البعض برغبته في إقامة اتحاد بين سوريا والعراق ، ثم يستنكر إقامة اتحاد بين العراق من جهة وسوريا ومصر معاً من الجهة الأخرى . وكذلك الحال بالنسبة للأردن ، فإن دخوله مع العراق في اتحاد يشمل الجمهورية العربية المتحدة أدعى إلى تأسيس وحدة الصف العربي » .

« إن العراقيين قد ملوا العهد الذي يبيح لبضعة أشخاص أن يدعوا التعبير عن إرادة الشعب ، في وقت لا يجد فيه هذا الشعب أية وسيلة للإفصاح عن رأيه في صحف حرة ، أو اجتماعات عامة ، أو انتخابات سليمة ، بعد أن عطلت أحكام الدستور التي هي كل لا يتجزأ » .

جامعة الدول العربية في عامها الثالث عشر

احتفلت جامعة الدول العربية بعيدها الثالث عشر ، ووجه الأمين العام للجامعة رسالة إلى العالم العربي تكلم فيها عن أهداف هذه المؤسسة العظيمة ، والنشاط الذي قامت به في الميدانين العربي والدولي ، وموقف الجامعة العربية من قضية فلسطين . وتحدث عن تمهيد الجامعة السبيل للوحدة السياسية

والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية بين الدول العربية ، كما تكلم عن قوة الرأى العام العربى ، وعن ضرورة كسب الرأى العام العالمى ، وعن انتصارات القومية العربية فى الحاضر وأملها فى المستقبل .

جربنا الوقوف معهم مرتين

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبته الأخيرة بالقاهرة :

« لقد وقفنا مع الحلفاء مرتين : مرة فى الحرب العالمية الأولى ، وكان جزاؤنا وعد بلفور !

ومرة فى الحرب العالمية الثانية ، وكان جزاؤنا تنفيذ وعد بلفور واقتطاع جزء من أرضنا ومنحه لإسرائيل » .

تكاليف العدوان البريطانى

على قناة السويس

أذاعت الحكومة البريطانية تقريراً رسمياً عن عدوانها على قناة السويس جاء فيه أن تكاليف القوات البريطانية البرية فى عدوانها على منطقة القناة بلغت فى مدة أربعين ساعة فقط عشرين مليون جنيه ، وهذا عدا نفقات الوحدات البحرية والجوية التى اشتركت فى العدوان .

منطق المرونة ومنطق الاستعمار

روى الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبة آخر شعبان قال :

« جاءنى بعد الوحدة أحد الأجانب وسألنى : ما هى الدولة التى ستضمونها بعد ذلك إلى الجمهورية العربية المتحدة ؟ .

فقلت له : ضم ؟ ! إن منطق الضم هذا مع منطق الاستعمار . إن الضم هو ما فعلوه فى الهند وفى سنغافورة وغيرها . أما هنا فالأمر آخر . هذه إرادة شعوب ، عالمة فى المسألة » .

اللاجئون

الفلسطينيون فى الأردن

تلقت الدوائر العربية المطلعة فى القاهرة أن حكومة الأردن بدأت تنفذ المشروع الصهيونى الخاص بتصفية قضية اللاجئين فى الضفة الغربية لنهر الأردن ، فأجبرت عدداً كبيراً من الأسر الفلسطينية على الرحيل إلى الصحارى الشمالية فى العراق وإلى أوستراليا وأمريكا الجنوبية . وأن أسراً كثيرة تم ترحيلها بالقوة فى ظلام الليل ، وزج فى السجون كثير من اللاجئين الذين رفضوا هذه الهجرة الإجبارية .

سلاح الوحدة

من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر في خطبته الأخيرة بالقاهرة :

« إن الوحدة هي السلاح الوحيد لصيانة مستقبل العالم العربي . وإذا أردنا الحرية والوحدة فلا مناص لنا من الاعتماد على أنفسنا . أما إذا اعتمدنا على الدول الكبرى فلن نكون إلا عبيد الدول الكبرى » .

ثورة سومطرا

أعلنت حكومة أندونيسيا في القضاء على ثورة سومطرا التي ثبت قيام علاقات بينها وبين الأصابع الأمريكية التي تمد هذه الفتنة بالسلاح والمال والدعاية . وقد أخذ عدد كبير من جنود الثوار في الانضمام إلى قوات الحكومة المركزية في ما كان يسمى بسومطرا الوسطى .

وقد اعترفت الدوائر الغربية في جاكرتا بأن مركز التمرد أصبح يدعو إلى اليأس .

مسئوليات النصر

من الفقرات الحكيمة التي وردت في خطبة الرئيس جمال عبد الناصر مساء آخر شعبان قوله يخاطب العرب :

« لقد انتصرتم ، ومن شأن ذلك أن مسئولياتكم كبيرة . إن الهزيمة تعفي المهزوم من كل مسئولياته ، أما النصر فمثقل كاهله بالمسئوليات . المهزوم يبكي على الماضي ، والمنتصر يفكر في تبعات المستقبل . أعانكم الله على مسئوليات النصر » .

الفحم في سيناء

كان أحد الجيولوجيين المصريين الذين يعملون في شركة شل قد اشتبه منذ أعوام في وجود مناطق الفحم بجوار مناطق البترول في سيناء ، وأبلغ الشركة عن ذلك ، فأرادت شركة شل أن يبقى ذلك سراً لها ، وحفظت أوراقه في أضابيرها ، ونقلت المهندس الجيولوجي المصري إلى عمل آخر بعيد عن هذه الجهة .

ولما جعلت شركة شل تحت الحراسة المصرية ، تبين القائمين على حراستها أمر الوثائق الخاصة بمناطق الفحم في سيناء ، فأسرعت وزارة الصناعة إلى إرسال الطلبة والجيولوجيين المصريين للبحث عن الفحم في تلك المناطق ، وقد تكللت جهودهم بكثير من النجاح .

الفهرس

حديث

عيد الفطر المبارك

لسيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فإنه يسرني في هذا اليوم السعيد ، أن أبعث بالتهنئة بعيد الفطر المبارك ، إلى جميع المسلمين ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن أشفع هذه التهنئة ، بالتمنيات الطيبة ، أن تتوالى أعيادهم ، ومواسم أفراحهم ، وأن يحقق الله آمالهم ، ويمكنهم من جني ثمار كفاحهم ، ويمكن لهم في حياة عزيزة كريمة ، هي حياة الاستقلال والاستقرار ، في ظل ظليل ، من الأمن والقوة والمنعة .

أهنئهم بتوفيق الله إياهم لأداء فريضة الصيام ، وأهنئهم بما يفيض الله عليهم ، في هذا اليوم الكريم ، من نفحات البر والإحسان والرضوان ، جزاء ما أدوا من طاعة وأخلصوا لله في العبادة ، وأحسنوا إلى أنفسهم باتباع هدى نبيهم ، والاستمساك بشريعتهم ، التي إنما جاءت لخيرهم ونفعهم وإصلاح شأنهم .

إن شريعة الصيام ، هي كغيرها من شرائع الإسلام ، لا يقصد بها إلا خير الإنسان ، وسعادته ، وصلاح أمره في شئون دنياه وآخرته .

وإذا كانت فريضة الصوم لا تخلو من شدة أو مشقة ، فليست هذه الشدة أو هذه المشقة بالغة حد الحرج أو العنت ، فإنه محال أن يكون في شيء من تعاليم الدين وتكاليف الإسلام إحراج أو إعنات . والله تعالى يقول في كتابه العزيز : « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » ، ويقول عز وجل : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

حديث عيد الفطر المبارك

إن الله سبحانه لم يرد بالناس عنتا حين فرض عليهم صيام رمضان ، بل جعله تهذيبا للنفس ، وتصفية للروح ، وفترة استصلاح واستعداد ، يعرف الصائم بعدها كيف يحسن التصرف فيما خلق الله له من نعم ، وكيف يتمتع فى حكمة واعتدال ، بما هيأ له من خير ، فإن تعاليم الإسلام فى جملتها وتفصيلها ، قد جاءت لإصلاح حال الناس فى الدين والدنيا معا وشرعت للتوفيق بين مطالب الروح ومطالب الجسد جميعا .

فالإسلام ليس روحانيا محضا ، ولا رهبانية صرفا ، تحجز الإنسان عن عالم المادة ، وتقطع صلته بهذا الكون الذى خلقه الله وسخره له ، وتعطل رسالته الواسعة فى مجال نشاطه الفكرى والعملى .

والإسلام ليس ماديا بحتا يستجيب لكل رغبات النفس ، ويبيح الانغماس من غير وعى فى جميع صنوف الملذات والشهوات ، بل هو دين الوسط والاعتدال ، والحكمة والوزن المستقيم ، يرتفع بالإنسان عن مستوى البهيمية ، ويدنو به ما استطاع من صفوف الملائكة ، يجمع له بين المتع الروحية ، والنافع الصالح من المطالب البدنية ؛ يشهد لذلك قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ، « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » ، « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .

ومن أجل هذا المنهج الكريم الذى هو جمع الشريعة بين مطالب الدنيا ومطالب الدين ، أوجب الله على الصائمين أن يفطروا يوم العيد ، وحرم عليهم أن يصوموه ، إذ جعله يوم حمد وشكر ، وفرح وبهجة ، وندب المسلمين فيه أن يتطهروا ويتطيبوا ويظهروا فى أحسن أرديتهم ، وأجمل ثيابهم ليكونوا فى اجتماعهم لصلاة العيد وفى احتفالاتهم بيومه المجيد ، فى مظهر كريم يليق بهم ، وتتجلى فيه نعمة الله عليهم

حديث عيد الفطر المبارك

ثم أراد الشارع الحكيم ، أن يكون الفرح بالعيد عاما شاملا لجميع المسلمين ، على اختلاف مقدرتهم المالية ، وحالاتهم الاجتماعيـــة ، فأوجب صدقة الفطر عن القادرين ، وحث على المبادرة بصرفها قبل أن ينتهي يوم العيد ، كي يتمكن الفقير من المشاركة في بهجة هـــذا اليوم العظيم .

أيها المسلمون :

أنتم اليوم في فرح بالعيـــد ، بعد ثلاثين يوما كابدتم فيها مشقة الحرمان ، إذ كنتم تمسكون عن الطعام والشراب ومختلف المشتهيات طوال نهارها ، لكنكم كنتم أيضا تشعرون بفرحة الإفطار عند غروب الشمس في كل يوم من أيامها ، كما كنتم تنعمون بالطيبات من الرزق ، في جميع لياليها .

وإن ذلكم الذي كنتم عليه في تلك الأيام ، وهذا الذي أنتم فيه اليوم ، جدير أن يذكركم بإخوة لكم ، في ركن من أركان الوطن الإسلامي ، فإنهم منذ زمن بعيد ، في حرمان مستمر ، ونوع من الصيام قاس وشديد ، هؤلاء هم إخوانكم المجاهدون في الجزائر الرابضون للعدو في الكهوف والمغاور ، وفي بطـــون الأودية وعلى قمم الجبال ، لا مؤنس لهم في ظلمات الليالي الحالكة ، والرياح الشديدة العاتية ، إلا إيمانهم بالله ، وثقتهم بنصر الله ، ولا معزي لهم في تلك المحنة القاسية التي فرقت بينهم وبين أبنائهم ونسائهم ، إلا الاطمئنان إلى أن لهم إخوة في الدين والإنسانية ، والكفاح في سبيل الحرية وعزة القومية ، يرعون حرماتهم ، ويحمون ظهورهم وبيوتهم ، وينصرونهم في جهادهم بأقصى ما يستطيعون من وسائل المعونة والنصرة .

أيها المسلمون :

إن الجهاد ضد الوحشية التي يرتكبها المستعمرون ، والكفاح ضد البربرية التي يحمل أوزارها الفرنسيون ، هو فرض مقدس على جميع المسلمين ، وعلى كل من يؤمن بمبادئ الحق والعدل والحرية .

وإذا كان إخواننا في الجزائر ، قد هبوا لهذا الجهاد بأنفسهم ، ومضوا يبذلون دماءهم وأرواحهم في سبيل استقلالهم ، وإخراج عدوهم من ديارهم ، التي هي جزء من الوطن الإسلامي الكبير ، فيجب عليكم جميعاً أن تقفوا من ورائهم ، تمدون أزرهم وتقوون

حديث عيد الفطر المبارك

سواعدهم ويرعون حق الله وحقهم في هذا الموقف العظيم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديث صحيح متفق عليه : « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا » .

أشعروا هؤلاء المؤمنين المجاهدين ، بأن في الناس من يحنو عليهم ، ويهتم بشأنهم ويرعى كريم مواقفهم . واعملوا على أن تخصوا منهم ضحية الأحداث ، بما تجود به نفوسكم من خير . وبرهنوا على أنكم كسبتم من رمضان شهر البر والرحمة ، عاطفة قومية حية ، تدعو إلى أعمال البر والرحمة .

ثم اجعلوا لهؤلاء المجاهدين الأبطال ، من الزكاة المفروضة عليكم ، نصيباً يساعدهم على مواصلة كفاحهم وجهادهم ، حتى يطردوا العدو من ديارهم ، وحتى تنقشع عنهم ظلمات الاستعمار والاحتلال ، التي طال أمدها عليهم ، واعلموا أن أعظم مصرف للزكاة ، هو مصرف الجهاد في سبيل الله .

هذا ـ وإني أكرر لكم تهنئتي ، وأصيحكم نصيحتي ، أن تتعاونوا على الخير والإنسانية ، وحماية مقدساتنا الدينية والوطنية ، وأن تعملوا صفا واحدا ، للنهوض بالوطن الإسلامي وخدمة قضية العرب والمسلمين

وفقكم الله جميعا للخير ، وهدانا وإياكم سواء السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

شيخ الجامع الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

(العالم الإسلامي يهنئ فضيلة الأستاذ الأكبر بعيد الفطر المبارك)

وردت آلاف البرقيات والرسائل من أساتذة وطلاب الأزهر والمعاهد الدينية في الجمهورية العربية المتحدة ، ومن كبار الشخصيات في العالم العربي الإسلامي تهنئ فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بعيد الفطر المبارك وتشيد بجهود الأزهر في تأدية رسالته السامية في دعم أركان الفضيلة ، وتقوية أواصر المحبة بين المسلمين ، وإرشادهم إلى الطريق السوي لبلوغ أهدافهم المشروعة .

وقد رد فضيلته على هذه الرسائل بالشكر الخالص والتمنيات الطيبة أن يعيد الله أمثال هذا العيد على المسلمين ، وقد قويت شوكتهم واتحدت كلمتهم ، وعز شأنهم وتحققت آمالهم وأمانيهم ، وأهاب بالمسلمين جميعاً أن يعملوا صفاً واحداً لرفع راية السلام وإعلاء كلمة الإسلام ، وتجنيب ويلات الإنسانية والأخذ بيدها إلى حيث الطمأنينة والاستقرار .

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ،
يهنئ السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة بعيد الفطر المبارك

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة القاهرة

يسعدني أن أبعث إلى سيادتكم - بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك - بأخلص التهانى مقرونة بأطيب التمنيات ، سائلا الله العلى الكبير أن يديم عليكم وعلى أعوانكم المخلصين التوفيق والسداد : لتوطيد دعائم الوحدة بين العرب جميعاً لخدمة قضية السلام ورفعة شأن العروبة والإسلام .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

ويهنئ السيد المواطن العربي الأول .

السيد المواطن الأول شكرى القوتلى دمشق

لسيادتكم خالص تهنئتى بعيد الفطر المبارك راجياً لكم ولجميع المخلصين من أبناء الأمة العربية التوفيق والنجاح فى العمل على توحيد كلمة العرب ورفعة شأنهم .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ،
يهنئ السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بسلامة الوصول إلى موسكو عاصمة الاتحاد السوفياتى

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة قصر الكرملين - موسكو

يسرنى أن أبعث إلى سيادتكم ورفاقكم المخلصين بصادق تهنئتى بسلامة الوصول ضارعا إلى الله تعالى وأنتم فى رحلة الكفاح والجهاد أن يوفقكم دائما بالتعاون مع الشعوب المحبة للحرية والسلام فى تحقيق هدفكم الأسمى جمع الكلمة وتوطيد دعائم المحبة ، ونشر السلام بين ربوع العالم .

(شيخ الأزهر)

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، يشكر السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر، ويبادل فضيلته التهنئة بعيد الفطر المبارك.

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

تلقيت بمزيد الاهتمام تهانيكم الصادقة وتمنياتكم الكريمة، بمناسبة عيد الفطر المبارك، وإنه ليسرني أن أبعث إليكم بأخلص الشكر مقرونا بأطيب الأماني بدوام الصحة والسعادة.

(جمال عبد الناصر)

كما أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة إلى السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر البرقية التالية

كان لبرقيتكم التي حملت إلى خالص التهاني وصادق العاطفة، أجمل الأثر في نفسي، وإنا لنضرع إلى الله العلي القدير أن يحمي الجمهورية العربية المتحدة من كل ما يراد بها من سوء حتى يتحقق لشعوب الأمة العربية ما ترجوه لها جميعاً من المجد والرفعة، ويطيب لي أن أبعث إليكم وإلى رجال الأزهر بأصدق الشكر مقرونا بأطيب التمنيات

(جمال عبد الناصر)

وذلك رداً على برقية فضيلته التي نصها :

باسم الأزهر أبعث إلى سيادتكم بخالص التهنئة على الخطاب الوطني الرائع الذي كشفتم فيه مؤامرة أعداء الوحـــــدة العربية، التي جاهدتم أنتم وفخامة الرئيس شكري القوتلي ورجالات العرب الأحرار لتحقيقها، وأحيي جيش الجمهورية في شخص الضابط المخلص عبد الحميد السراج الذي ضرب المثل الأعلى في الشرف والكرامة والتضحية بكل العروض والمغريات في سبيل مجد العروبة، وتقوية أركان الجمهورية العربية المتحدة.

حقق الله على يديكم الآمال وأدام لكم التوفيق والسداد. (شيخ الجامع الأزهر)

السيد المواطن العربي الأول الرئيس شكري القوتلي، يشكر السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر، ويبادل فضيلته التهنئة أيضاً بعيد الفطر المبارك.

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

أشكر فضيلتكم أجزل الشكر على ما حملته برقيتكم من كريم التهنئة بعيد الفطر السعيد أعاده الله عليكم وعلى الأمة العربية والإسلام باليمن والخير والبركة. (شكري القوتلي)

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، يشكر السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر .

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر .

تلقيت بالتقدير برقيتكم التي أعربتم فيها باسمكم وباسم الأزهر عن كريم المشاعر وصادق التهاني بمناسبة انتخابي رئيساً للجمهورية العربية المتحدة ، وإني إذ أشكركم جميعاً أخلص الشكر أرجو أن يوفقنا الله جلت قدرته إلى ما فيه الخير والعزة للأمة العربية ويسرني أن أبعث إليكم بأطيب التمنيات .

(جمال عبد الناصر)

وذلك رداً على برقية فضيلته التي نصها

يطيب لي اليوم أن أهنئ سيادتكم بإجماع الشعب على تأييد قرار الوحدة وعلى اختياركم أول رئيس للجمهورية العربية المتحدة .

والأزهريون وهم جند العروبة المخلص يباشرون بتحقيق هذه الأمنية العزيزة ويعتزون بقائدهم الذي اجتمعت له القلوب بالمحبة والتأييد لما له من أصالة الرأي وصدق الوطنية وكمال الإخلاص للواجب والتفاني في خدمة العروبة .

سدد الله خطاكم ، وجمع قلوب العرب على كلمة الحق ، إنه ولي التوفيق .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ، يحيي مؤتمر وحدة شمال إفريقيا .

سكرتير مؤتمر وحدة شمال إفريقيا :

طنجة — مراكش

شيخ الأزهر وعلماؤه يشيدون بجهودكم المضنية في خدمة قضية الجزائر ، ويستنكرون الأساليب الوحشية التي يرتكبها المستعمرون في شمال إفريقيا ، ويناشدونكم مواصلة الجهاد في سبيل تحرير الجزائر ويهيبون بالأحرار في كل مكان أن يبذلوا أقصى ما يستطيعون من عون مادي وأدبي لإتمام ما بدأه المجاهدون من كفاح لنيل حقوقهم المشروعة وتوطيد دعائم السلام .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

• من برقيات العالم الإسلامى لفضيلة الأستاذ الأكبر •

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج وإخوانه الموقرين من هيئة العلماء القاهرة

بمناسبة عيد الفطر المبارك أبعث لكم ولجميع الشعوب العربية بالإصالة عن نفسى وبالنيابة عن جميع المسلمين فى موسكو أطيب التحيات وخالص التهانى متمنيا لكم الفلاح والتوفيق ، ونسأل الله تعالى أن ينصر الجمهورية العربية المتحدة ، ويعز شأنها ويشمل شعبها بالخير والسعادة والسلام .

(فخر الدين بن بهاء الدين صالح)
إمام وخطيب ومحتسب مسجد موسكو

من صميم قلبي نهنئ سيادتكم وجميع الأساتذة والطلاب بشهر رمضان وبالعيد المبارك أتمنى لكم ولشعب مصر حياة سعيدة فى أمن وازدهار .

كما أسأل الله تبارك وتعالى أن يزيد علاقتنا الودية المتينة والتعاون القوى فيما بين الشعبين فى سبيل النضال من أجل السلم .

داعيا لكم بالسلامة وراجيا لقاءكم عن قريب . رئيس الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى
(المفتى ضياء الدين بن إيشان باباخان)

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر يشكر السيد إمام وخطيب مسجد موسكو وبادله التهنئة بعيد الفطر المبارك .

السيد الحاج فخر الدين صالح

إمام وخطيب مسجد موسكو — موسكو

أشكر لسيادتكم كريم تهنئتكم بعيد الفطر المبارك وشعوركم الطيب نحو الجمهورية العربية المتحدة وأتمنى لكم ولجميع المسلمين فى موسكو والاتحاد السوفييتى حياة طيبة وتوفيقا دائماً لما فيه خير الإسلام والمسلمين . (شيخ الجامع الأزهر)

ويشكر فضيلته أيضاً السيد رئيس الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى ويبادله التهنئة بالعيد .

السيد المفتى ضياء الدين باباخان

رئيس الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى طشقند

أشكر لكم جميل تهنئتكم بشهر رمضان المبارك وعيد الفطر السعيد وأتمنى لكم ولجميع المسلمين فى آسيا الوسطى وسائر أنحاء العالم حياة سعيدة طيبة ، وتوفيقاً دائماً لما فيه الخير والسلام . (شيخ الجامع الأزهر)



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدرها مشيخة الأزهر أول كل شهر عربي



الجزء العاشر — القاهرة في غرة شوال ١٣٧٧ — ٢٠ إبريل ١٩٥٨ — المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

معـــــــــدن العروبة

ومكانة العرب من رسالة الاسلام

حدث الإمام العلم الثقة عمرو بن دينار المكي الأثرم مولى بني جمح رحمه الله أن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : إنا لقعود بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ مرت امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنة محمد (ويروى أنها ابنة عمه درة بنت أبي لهب ، وكانت زوجة الحارث بن نوفل ، ثم تزوجها دحية الكلبي) . فقال رجل : إن مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن . فانطلقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم . فجاء عليه السلام يعرف في وجهه الغضب ، ثم قام على القوم فقال :

« ما بال أقوام تبلغني عن أقوام ؟ ! إن الله عز وجل خلق الخلق ، فاختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر

قريشا ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ؛ فأنا خيار إلى خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » حديث حسن [١] .

ويشهد لصحته حديث واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » . وهو حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه . ومثله في مسند الإمام أحمد ، ومثلهما في جامع الترمذي .

وثبوت فضل العرب في الحديث النبوي ، وأنهم خيرة الأمم ، لا يختلف فيه أحد من عرب المسلمين وعجمهم ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهم كتب السنة وأصحها [٢] بروايات كثيرة وألفاظ متعددة أنه صلوات الله وسلامه عليه قال

« الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير هذا الحديث [٣] : « فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة ، كان معدن الذهب خيرا ، لأنه مظنة وجود أفضل الأمرين فيه . فإن قدر أنه تعطل ولم يخرج ذهبا كان ما يخرج الفضة أفضل منه .

« فالعرب في الأجناس ، وقريش فيها ، ثم هاشم في قريش ، مظنة أن يكون فيهم الخير أعظم مما يوجد في غيرهم . ولهذا كان في بني هاشم النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يماثله أحد في قريش ، فضلا عن وجوده في سائر العرب وغير العرب . وكان في قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير في العرب

---

[١] قال الإمام الحافظ المحدث زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي الكردي [٧٢٥ – ٨٠٦] في كتيب له عن فضل العرب ومكانتهم في الإسلام ألفه في مدينة الرسول في شهر رجب سنة ٧٩١ هـ : أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط وقال : حديث صحيح . ورواه الحاكم من غير هذا الإسناد أيضا ، وروي نحوه عن أبي هريرة

[٢] منها صحيح البخاري [الكتاب ٦١ ، الباب الأول] وصحيح الإمام مسلم [الكتاب ٤٣ ، الحديث ١٦٨ ، والكتاب ٤٤ ، الحديث ١٩٩] وصحيح الإمام ابن حبان [رقم ٩٢] ومسند الإمام أحمد [رقم ٧٤٥٧] ومواضع أخرى كثيرة منه

[٣] منهاج السنة ٢ : ٢٦٠ — ٢٦١ .

وغير العرب. وكان في العرب من السابقين الأولين من لا يوجد له نظير في سائر الأجناس. فلا بد أن يوجد في الصنف الأفضل ما لا يوجد مثله في المفضول ، وقد يوجد في المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجد في الفاضل ، كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء . والمؤمنون المتقون من غير قريش أفضل من القرشيين الذين ليسوا مثلهم في الإيمان والتقوى . وكذلك المؤمنون المتقون من قريش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم في الإيمان والتقوى من بني هاشم .

« فهذا هو الأصل المعتبر في هذا الباب ، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقاً ، ودون من ظن أن الله تعالى يفضل الإنسان بنسبه على من هو أعظم إيماناً وتقوى منه . فكلا القولين خطأ ، وهما متقابلان . بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة ، وفضيلة لأجل المظنة والسبب . والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيلة تعيين وتحقيق وغاية . فالأول يفضل به لأنه سبب وعلامة ، ولأن الجملة منه أفضل من جملة تساويها في العدد ، والثاني يفضل به لأنه الحقيقة والغاية ، ولأن كل من كان أتقى لله كان أكرم عند الله ، والثواب من الله يقع على هذا لأن الحقيقة قد وجدت فلم يعلق الحكم بالمظنة ، ولأن الله سبحانه يعلم الأشياء على ما هي عليه ، فلا يستدل بالأسباب والعلامات » .

وكون العرب مظنة الخير والفضل قد بينه حكماء الأمم بوجوه ومعان لا تحصى ، وكلها مستمدة من صحة الواقع . من ذلك قول أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه (الأخبار) وهو من الكتب الضائعة ، وقد نقل ذلك عنه الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى في كتابه (المنية والأمل) ، قال أبو عثمان :

« ليس في الأرض قوم حتى عدم جليل القبيح ودقيقه ، وعدم دقيق الحسن وجليله مثل العرب . حتى لو جهد أعطى العرب وأعقل الخليقة أن يذكر معنى لم يذكروه لما أصابه . وللعرب من صدق الحس ، وصواب الحدس ، وجودة النظر ، وصحة الرأي ، ما لا يعرف لغيرهم . ولهم العزم الذي لا يشبهه عزم ، والصبر الذي لا يشبهه صبر ، والجود ، والأنفة ، والحمية التي لا يدانيهم أحد فيها ، ولا يتعلق بها رومي ولا هندي ولا فارسي . وفيهم أيضاً خصلة لا تصاب إلا فيهم ، وذلك أن سفلة كل جيل ، وسقطة كل صنف ، إذا اشتد تشاجرهم وطالت ملاحاتهم وكثر مزاحهم والدعابة بينهم ، وجدتهم يخرجون إلى ذكر الحرمات وشتيمة الأمهات واللفظ البذيء والسفه الفاحش ، وليست مسامع

من عهد أعرفنا في البادية لا في صغيرهم ولا في كبيرهم ولا جاهلهم ولا عالمهم . وكيف يقولون هذا والصبيان منهم يعلمون من دون ذلك . وليس في الأرض صبيان في عقول الرجال غير صبيانهم، وكل شيء تقوله العرب فهو سهل عليها، أو كالبديهة منها، وكل شيء تقوله العجم فهو تكلف واستكراه » .

ومما لاحظته منذ سنوات طويلة وبحثت عليه أن جميع أمم الأرض من شرقية وغربية كانت في بداوتها وقبل أن تستعمل القلم والكتاب ضعيفة العقول قصيرة المدارك وفقيرة في لغاتها ، إلا العرب فإن مداركهم وأحلامها في بداوتها كانت تزن الجبال ، ولغتها في أوديتها وجبالها قد ملأ ما بقي منها في الذاكرة بعد التدوين عشرات المجلدات . وهذا يدل على عراقة هذه الأمة في التفكير والمنطق وتجاريب الدهور ، وذلك ما يمكن استنتاجه من مقالة « العروبة من جذورها — إلى أغصانها وثمراتها » التي كتبتها في عدد شعبان الماضي [1] .

ومعنى كون قريش ومضر صفوة العرب وخيرة الله منها — كما ورد في حديث عبد الله ابن عمر الذي افتتحت به هذا المقال — قد أبان عنه الحافظ أبو سليمان الخطابي (٣١٧ — ٣٨٨) في كتاب العزلة (ص ٤٢ الطبعة الأولى و ٥٥ الطبعة الثانية) قال : « وبلغني عن بعض العلماء أنه سئل عن قريش كيف صارت أفصح العرب قاطبة ، وإنما هي قبيلة من مضر ؟ فقال : لأن دار قريش لم تزل موسم الناس ومنسك الحاج ، وكانت العرب تقصدها في كل عام لحجهم ، وتردها لقضاء نسكهم ، فهم لا يزالون يتأملون أحوالهم ويراعونها فيختارون منها أحسن ما يشاهدونه ، ويتكلمون بأفصح ما يسمعون من كلامهم ، ويتخلقون بأحسن ما يرونه من شمائلهم ، فصاروا أفضل العرب من قبل حسن الاختيار الذي هو ثمرة العقل . فلما ابتعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم منهم تمت لهم الفضيلة ، وكملت لهم به السيادة » .

---

[1] كتب إلي أخ في الإسلام — وهو الأستاذ وهبي سليمان الألباني — كتابا رقيقا مهذبا ثنى به على ما كتبته بما لا أستحقه . ولكنه ظن أن تعرضي لمحاسن العروبة وأصالتها وعراقتها في الإنسانية قد يحمل على التعصب الجنسي ، وقد يتنافى مع ما أنا بسبيله من الدعوة الإسلامية ، فكان ذلك حاملا لي على كتابة هذا الفصل عن « صدق الله ورسوله » ومكانة العرب من رسالة الإسلام ، لأبين به أن العروبة غير الإسلام ، وأن العروبة والإسلام كلاهما من كنوز الإنسانية وينابيع سعادتها إذا عرف أهلها قيمتها ، وإذا أتيحت لها أسباب الظهور للناس على حقيقتها .

وقد اعترف المنصفون للعرب بأنهم مظنة أن يكون فيهم الخير أعظم مما يوجد في غيرهم ، وسجل ذلك لهم المؤرخون من جميع أمم الأرض قديما وحديثا ، ولو شئنا أن ننقل النصوص في ذلك عن أعلام الشرق والغرب لامتلأ بها عدد كبير . وقد قرر هذه الحقيقة في الصدر الأول صاحب رسول الله وخادمه عبد الله بن مسعود — وهو من كبار علماء الصحابة وفقهائهم — فقال لتلاميذه من أهل العراق : « إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه . ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه » .

ومما يندرج في حديث « الناس معادن ... » ما رواه أبو نضرة المنذر بن مالك العبدي (المتوفى سنة ١٠٨) أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسوا يوما إلى رجل من القاصين فأعجبهم علمه وحديثه ، فقال له قائلهم : « إن مثل القرآن كمثل المطر : حلو طيب ، طهور مبارك ، أنزله الله فأصاب به الشجر حلوه ومره ، فزاد الحلوة حلاوة إلى حلاوتها ، والمرة مرارة إلى مرارتها » . ولعل الصحابي قائل هذه الكلمة في ذلك المجلس قد أخذ معنى كلمته من قول الله سبحانه في سورة فصلت ٤٣ : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد » . ومن الأدلة على حلاوة الأرض الأولى التي اختارها الله عز وجل لصاحب وحيه ، ومبعث كتابه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلحق بالرفيق الأعلى إلا والعرب كلهم من أهل الإجابة لهذه الدعوة ، والذين لم يصلوا إليه في حياته من أعماق الجنوب أو أطراف الشمال كانت وفودهم في الطريق إلى خليفتيه العظيمين أبي بكر وعمر ، فتألفت منهم كتائب الدعوة إلى الله في الأقطار مما لم يسبق له نظير في أمة من أنبياء الله السابقين . وإن التوراة من أولها إلى آخرها تشهد بلسان أنبياء بني إسرائيل بسوء سيرة أممهم في الأرض ، واقرأ إن شئت سفر إرميا وما أوحي إليه مما فعلته المملكة العاهرة إسرائيل ، وأختها الغادرة الكافرة يهوذا ، وقارن المعدن الذي منه بنو إسماعيل وإخوتهم من قحطان في جزيرة العرب ، والمعدن الذي منه بنو إسحاق وأسباطهم في أرض سدوم وعمورة وما إليها لترى العجب العجاب .

ومن بدائع صنع الله في آخر رسالاته وأكملها إلى بني الإنسان أنه كما اختار لها أكمل خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم الذي اختصه دون العالمين بهذه المهمة الكبرى ، اختار لها

كذلك اللغة الأصيلة التي أنزل كتابه بها ، ووصل سببه بسببها ، والأمة التي بعث منها خاتم رسله ، واختصها بأن جعل منها الدعاة الأولين إلى هذه الرسالة ، والذين قام على عواتقهم حملها وتبليغها للناس وتعميمها في أقطار الأرض ، وهم الذين قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، فكان حديثه الشريف هذا تفسيراً لقول الله سبحانه في سورة آل عمران ١١٠ : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر » .

لما بعث الله محمداً بآخر رسالاته كانت أمم الأرض إما أهل حضارة تفسخت وأنتنت فلا ينتظر أن تستجيب لنداء الحق ولا لعصبيته ، إلا أن ترى أمة أخرى سباقة إلى الحق والخير تتقمصهما وتؤمن بهما وتعمل بسلطانهما لتكون قدوة للآخرين . وإما أهل بداوة همجية طمطمانية لا إدراك لهم ولا وعي فلا ينتفعون بهذه الدعوة إلا تبعاً وتقليداً . وكانت جزيرة العرب هي التي طهرها الله من موبقات الخنا التي طغت على الحضارة البالية يومئذ في الشرق والغرب ، وحررها من شهوات التحلل ومرض الإسراف . ووهب أهلها – مع بداوتهم – ما حفظه لهم الحفاظ من قوة المدارك ودقة الشعور وحلاوة المنطق وفضائل النفس الإنسانية الممتازة ، بما كان لهم من نظام الضيافة حتى كان كل بيت للعرب فندقاً مجانياً يستقبل كل طارق بطارفه مستضيف ، ويرون ذلك حقاً له لا يضيق به نظير منهم ولا دوني . وبما كان لهم من نظام الجوار الذي لا نظير له في غير العرب [1] . وما كان لهم من نظام الأشهر الحرم التي يسود فيها السلام وتمتنع فيها العداوات والحروب والإحن . وأعلى من كل هذا وأسمى في معاني الإنسانية قيام البيت الحرام ملجأ للإنسان والطير ، فلا يروع فيه خائف أو ضعيف ، ولا يهرق فيه دم . وحتى في حالة الحرب كان من حق الأسير عندهم إذا طلب رسولاً إلى أهله أن يقدموا له من يؤدي إلى أهله رسالته .

والوثنية في الحجاز وجزيرة العرب كانت مرضاً أجنبياً طارئاً عليها من شرق الأردن وبلاد كنعان ، جلبه منها عمرو بن لحي في بعض الوقت الذي تولت فيه خزاعة الحكم في الحجاز قبل الهجرة بنحو أربعمائة سنة ، فهي أقصر وثنيات العالم عمراً [2] . ولأنها كانت قصيرة العمر في بلاد العرب لم تقم عندهم فيها كتب وتهاويل وأنظمة وأساطير ،

---

[1] انظر فصل « جوار العروبة وذمة الإسلام » في ص ٩٩ – ١٠٣ من كتاب [مع الرعيل الأول] .

[2] انظر فصل [ذكرى فتح مكة] في كتاب [الرعيل الأول] ص ٨٦ .

كالتي كانت الوثنية العريقة في الهند والصين ومعابد الفراعنة وأثينة وروما . وكان العرب وشعراؤهم وعرافوهم أكثر أمم الأرض سخرية بأوثانهم كلما اصطدمت حلومهم بدليل من أدلة تحقير تلك الأوثان وعبثها . ومع ذلك فقد كانت حنيفية إبراهيم بقايا امتدت إلى زمن البعثة المحمدية . بل كان في العرب بقية من شريعة خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام ، وروى علي بن الطاهر الموسوي في أماليه (٢ : ١٦٧) عن أبي حاتم السجستاني أن الحارث بن كعب المذحجي كان أحد الذين يتواصلون بدين شعيب ، ومثله أسيد بن خزيمة ، وتميم بن مر .

ولو أن الدعوة المحمدية ظهرت في أي وطن إنساني آخر غير جزيرة العرب ، وفي غير قريش بالذات ، لقوبلت بغير ما قوبلت به من قريش . لأن قابلية قريش للاستجابة للدعوة المحمدية كانت أعظم وأكرم من قابلية أية أمة أخرى تسكن في أنحاء الأرض .

وأذكر أننا كنا في حفل أقامه المركز العام للشبان المسلمين لذكرى غزوة بدر قبل نحو عشر سنوات أو أكثر ، وكان خطيب الحفل الدكتور عبد الوهاب عزام ، وكان في البلد إضراب في المواصلات ، ولم نجد ما يوصلنا إلى جزيرة الروضة ، فمشينا أنا والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ عبد المنعم خلاف وآخرون من دار الجمعية في حي منيرة إلى الروضة ، وكانت ليلة من ليالي رمضان ، وكان حديثنا عن حكمة الله في ظهور الإسلام في مكة ، فقال الدكتور عبد الوهاب : إن المقاومة التي لقيها الإسلام من قريش لم تكن شيئاً يذكر في جانب ما كان يمكن أن يلقاه الإسلام من حكومة الملك فاروق لو أنها عاصرته وعاصرها ، فذكرت لهم خلاصة حديث في مسند الإمام أحمد (رقم ٧٠٣٦) عن يحيى ابن عروة بن الزبير عن أبيه عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال - أي عروة بن الزبير - قلت له (أي لعبد الله بن عمرو) : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما كانت تظهر من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم . قال : فبينا هم كذلك ، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول ، قال : فعرفت ذلك في وجهه . ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجهه . ثم مضى بالثالثة فغمزوه بمثلها

فقال : « تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح » . فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فوالله ما كنت جهولا . قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ؟ فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون له : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم . قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذي أقول ذلك . قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه قال . وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي : « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله » ؟ ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط » . والحديث إسناده صحيح وراويه يحيى بن عروة بن الزبير أخرج له الشيخان في الصحيحين .

وأكثر الذين عارضوا الإسلام من قريش تشرفوا بعد ذلك بالإيمان ، ومنهم من صاروا بعد ذلك من كبار المجاهدين الأخيار . والذين ماتوا منهم على الكفر عدد ضئيل جداً معروفون بأسمائهم . فالعرب وقريش استجابوا كلهم للإسلام في أوقات مختلفة ، وأعز الله بهم هذه الدعوة ونصرها على أيديهم . وصح عن رسول الله صلوات الله عليه الثناء والدعاء منه لأفرادهم على التخصيص ، أما ثناء التعميم بالجملة فقد امتلأت به دواوين السنة النبوية ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ثابت عن أنس : « حب قريش إيمان وبغضهم كفر . من أحب العرب فقد أحبني ، ومن أبغض العرب فقد أبغضني » . أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال : حسن صحيح .

وعن سلمان الفارسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « يا سلمان ، لا تبغضني فتفارق دينك » . فقال له سلمان : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال . « تبغض العرب فتبغضني » . أخرجه الترمذي في جامعه بلفظ « وبك هداني الله » ، ورواه محدثون آخرون بلفظ « وبك هدانا الله » .

وحديث عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أحبوا العرب

لثلاث : لأنى عربى ، والقرآن عربى ، ولسان أهل الجنة عربى » . رواه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين ، والطبرانى فى المعجم الكبير .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أحبوا العرب وبقاءهم ، فإن بقاءهم نور فى الإسلام ، وإن فناءهم فناء فى الإسلام » . رواه أبو الشيخ بن حبان فى كتاب الثواب وفضائل الأعمال .

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » . حديث صحيح .

وعن على كرم الله وجهه قال : أسندت النبى صلى الله عليه وسلم إلى ، فقال لى : « يا على ، أوصيك بالعرب خيرا » . رواه أبو بكر البزار فى مسنده . واقتصر الطبرانى فى المعجم الكبير على لفظ الوصية .

وعن ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى ، ولم تنله مودتى » . أخرجه الترمذى فى جامعه وقال : حديث حسن صحيح .

وعن أبى موسى الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنى دعوت للعرب فقلت : اللهم من لقيك منهم معترفا بك فاغفر له أيام حياته . وهى دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . وإن لواء الحمد يوم القيامة بيدى ، وإن أقرب الخلق من لوائى يومئذ العرب » . أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير ، وفى مسند أبى بكر البزار مختصرا ، وإسناده جيد .

وعن عمرو بن ميمون : رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام (وذكر حديث طعن عمر ووصيته ، وفى آخر الوصية) : « وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب خيرا ، فإنهم ردء الإسلام ، وجباة المال ، وغيظ العدو ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم . وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام : أن يأخذ من حواشى أموالهم ، فيرده على فقرائهم » .

ومما يلاحظ أن مصنفى أكثر كتب السنة النبوية ـ التى دونت هذه الأحاديث

الشريعة في مقاصد العرب ومكانتهم من رسالة الإسلام – لم تكن لهم أصول عريقة في العروبة ، فإنهم يغبطون حبيبا بما من الله به عليهم من الاندماج بالكيان العربي ، حتى كانوا – بآداب الإسلام وأخلاق العروبة وتقوى الله – جسما واحدا مع الذين سبقوهم في الإيمان ، وكانوا حسب إيمانهم . وقد كان الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يفتخر بالانتساب إلى قبائل جعفي اليمنية ، لأن أسلافه تشرفوا بالإسلام على أيدي رجالها أيام ولاية سعيد بن جعفر الجعفي على خراسان ، فكان أهل بخارى وسمرقند يعدون أنفسهم أبناء أو كالأبناء لبني جعفي بن سعد العشيرة من مذحج ، ومذحج أخو طيئ جد حاتم ، وأخو الأشعر جد أبي موسى الأشعري .

إن العروبة ما برحت منذ عشرات كثيرة من القرون ترسل موجات متتابعة من أبنائها مندفعة من جزيرة العرب إلى العراق والشام ، وإلى مصر والسودان وشمال إفريقية وشرقها ، فتغذي هذه الأوطان بدماء العروبة وأخلاقها وسجاياها ، وبلغتها وعقليتها وأساليب تفكيرها . ومن الأمثال السائرة في العراق قولهم « البادية أم العراق دائما » ، والشام لا تعرف نفسها إلا معسكرا للعروبة يرابط في الشمال للدفاع عن أمانات التاريخ ، والعامة في مصر لا يعرفون أنفسهم إلا أولاد العرب ، والسودانيون يرون أنهم هم العرب وأن القاطنين لهم وراء الساحل الشرقي من البحر الأحمر هم جهينة ؛ أي أنهم لا يفترقون عن عرب السودان إلا بكونهم قبيلة من قبائل العرب . فالعروبة في الأوطان التي تتكلم الآن اللغة العربية قومية أصيلة عريقة الجذور في أعماق التاريخ ، وما علينا بعد الآن إلا أن نتعرف إلى رسالتنا نحو العروبة والإسلام فنجدد حيويتها كما فعل أسلافنا من قبل .

وعلى كل حال فالحضارة موفقة تذوب فيها الأنساب ، وتبقى فيها التقوى الإسلامية ، والآداب الفاضلة ، ولغة القرآن الجامعة ، وتعاون جميع أبناء العروبة والإسلام على العمل الصالح ، لبناء الكيان الصالح ، في الدنيا والآخرة .

محب الدين الخطيب



— ٦٠ —

المنحرف عن الدين أحمق ولن يفلت من قبضة الله

> أ — « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا » .
>
> ب — وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ...

أ — الدعوة إلى الدين مكرمة من الله على عباده ، إذ القصد منها أولا وأخيرا تعليم الإنسان ما يجهل ، وهداية العبد من ضلاله ، والوصول بالبشرية إلى الخير هنا وهناك .

وهذا هو وجه الامتنان على الناس بنعمة الدين « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا » . « فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه » « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » .

ومع هذه التوجيهات ونحوها نرى من حكمة الله في خلقه أن تكون هذه الدعوة الخيرة الواضحة الأهداف مجال شقاق بين الناس منذ القدم ، ومثار الجدل بين الناس وبين الرسل والدعاة من بعدهم ، حتى تعب الدعاة جميعا ، وحتى كانت عزيمة النبوة محتاجة إلى مؤازرة من جانب الله ، وإلى مددها بالوعود الكريمة ، والتسلية بما جرى بين الأسلاف منذ درج الناس على وجه الأرض وتحت قبة السماء .

وكان في التسلية بذكر الأسلاف تعريف للرسل ولمن سلكوا طريقهم أن هذه سنة الله في خلقه بين الداعين والمدعوين « ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين » — فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون

لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ـ واصبر ، وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولا تك في ضيق مما يمكرون ... » .

ففي هذه التسلية وما اقترن بها من وعود ووعيد تثبيت للرسل ولأصحاب الحق على ما يبذلون من جهد ، وما يلقون من عنت ، وفيها تهديد للمكذبين ، وإعلامهم أنهم على حق ، وأن الله سيأخذهم بعدله وقدرته ، وسيثأر منهم لدينه بحوله وقوته ، وسينزل بهم البلاء في الدنيا ، أو في الآخرة ، أو فيهما معا « لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .

وكان من التهديد الرادع الذي تجهمت له وجوه الحق ، ولم تستجب له عقولهم الملتوية قول الله ـ سبحانه ـ « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ، وغرتهم الحياة الدنيا . » .

فكفار قريش يومذاك ، كانوا لا يكترثون بالدين ، ولا بدعوة محمد إليه ، بل كانوا يتخذونه ملعبة وسخرية ، أو كانوا يجعلون اللعب واللهو بالباطل دينا لهم ، ودينا يلازمونه ؛ سواء أكان الدين الحق سخرية لهم ، أم كان اللعب واللهو هو الدين الذي ارتضوه بدلا من دين الله ؛ فهم على أي الوجهين منصرفون عن الهدى ، وعاكفون على الباطل ، ومحمد صلوات الله عليه وسلامه يحاول ويحاول أن يهدي القوم إلى سبيل الله ، ويحتمل ما يحتمل من صدودهم ، وعنادهم ، طامعا في توفيق الله لهم ، ولكن الله تعالى يترفق برسوله ، فيقول له مرة ـ إن عليك إلا البلاغ ـ ومرة ـ إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ـ ومرة يقول له « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا » .

يعني اتركهم ، ولا تشغل نفسك بأمرهم أكثر من تبليغ الدعوة ، وحسابهم موكول إلينا ، وما عليك في شأنهم من حرج « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

ب ـ ثم يتجه الخطاب إلى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في رسم الطريق له نحو الغاية العظمى فيقول له « وذكر به : أن تبسل نفس بما كسبت ، ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ، وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها . » .

فهنا مقاصد ثلاثة تتعلق بها مواصل الآية :

أحدها : تذكير الناس بالقرآن أن النفوس تبسل ـ أي تحبس في العذاب وعن النعيم في الآخرة بسبب ما كسبت في الدنيا من مآثم .

وثانيا : أن ليس للأنفس ولى غير الله يتولى تخليصها من عذابه ، ولا شفيع يتوسط في إفلاتها من الحساب والجزاء .

وثالثا : أن النفس المحبوسة في العذاب ، الممنوعة من النعيم لاتستطيع أن تفتدى من هذا الشقاء ، كما كانت تفتدى في الدنيا من المكاره بالمال أو بغيره ، ولو فرض أنها تستطيع ذلك وتقدمت بما يعدلها ويساويها ، بل لو تقدمت بكل عدل – فداء – فلن يقبل منها شيء ؛ لأنها الآن في ساحة الجزاء ؛ لا في مساومة الفداء !

فما بالك وهى غير قادرة على شيء مما كانت تبذله في دنياها ؟؟ إنها معطلة من العمل ، ومعطلة من المال الذى كانت تناضل به من قبل ، وليس أمامها سوى حساب عدل ، وجزاء حق ، وعذاب مقيم .

هناك موقف الفصل ، وهناك جد لا هزل ، وهناك يقظة لا غفلة بعدها ، وحياة لا نهاية لها ، ولكل امرئ نصيب يوفاه غير منقوص .

وإن مسألة الحساب والجزاء من البدائه التى لا يجهلها إنسان يعيش مع الناس ، إذ هى محور دائر يدور حوله خطاب القرآن ، وكلما اتجهنا مع الآيات في أى ناحية من مسالكها ؛ وجدنا العظة والتذكير والتخويف من العذاب ، والترغيب في الثواب شاخصة في مواجهتنا ، وفيما تحتوى عليه الأساليب المتنوعة ، والبلاغة الأخاذة .

ونحن في عصرنا هذا نرى أقواما يجهلون الدين كما كان يجهله أهل البداوة قبل مشرق الإسلام .

ولهؤلاء على أهل العلم حق النصيحة والتوجيه ، وأخذهم بالحكمة والموعظة الحسنة كما أوجب الله ، حتى تنجلى عنهم غشاوة الجهل ولو بعض الشيء ، وحتى تتضح لهم السبيل ، وتبدو لهم الغاية .

وربما كان عجيبا ؛ بل هو غاية العجب أن نجد بين القوم جمهرة من أهل الثقافة المدنية ، لانضعهم في مستوى الجهلاء ، ولا ننكر عليهم أنهم أوتوا حظا من العلم ، ولكن ثقافتهم صرفت كثيرا منهم عن وعى ما تنادى به الثقافة الدينية المستقاة من نبع الكتاب السماوى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والذى نفهمه : أن العلم كيفما كان نوعه لا ينافى توجيه الدين ، ولا يتنافى مع ما يرى

إليه من التهذيب ، وتربية الضمير ، وإحياء الصلة بالله في قلوب الناس ، وصيانة المجتمع من شرور العابثين بالنظام ، وتوجيه البشرية إلى ما أريد لها ، وما طلب منها من نشاط ، وطموح ، وعمل ، في سبيل حضارتها وسعادتها . ومن الحق أن العلم متى كان مسلما به وصح أن يسمى علما لايكون محاربا للدين . .

والقرآن نفسه حين أشاد بالعلم وأهله قصد طبعا العلم الذي يهدى إلى معرفة الحق وإلى الطريق المستقيم ، وقصد كذلك كل علم نافع يكون من عبقرية الإنسان وتجاربه ، فانظر مثلا إلى قوله تعالى ــ هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟ ؟ .

فقد أطلق العلم ، ولم يحصره في نوع خاص ، بل أصبح مفهومه لكل ما ينفع الناس ولا يجلب عليهم نقيصة في دين ولا خلق .

وانظر إلى قوله تعالى ــ إنما يخشى الله من عباده العلماء ــ بضم همزة العلماء ــ فهو يشعر بامتداح أهل العلم الديني الذين يخافون ربهم ، ولا يمنع أن يكون شاملا لأهل العلم الدنيوى الذين يهديهم البحث إلى الإيمان بالله ، والإقرار بعظمته ، وإبداعه في خلقه ، فقد آل بهم العلم إلى الخشية من الله .

وانظر كذلك إلى قوله سبحانه ــ قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟ ؟ ــ فإنه ينفى المساواة بين العالم والجاهل ، ويشبه العمى بالجهل ، والعلم بالبصر ، والمفروض كما قلنا أن العلم نور يهدى إلى الحق ، وأن أهل العلم الصحيح أعرف الناس بربهم ، وأقوامهم حساسية بقدرة الله وخشيته ، إذا صادف علمهم طواعية من أنفسهم ، ولم تتغلب عليهم شهواتهم .

وحينما قال النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ اطلبوا العلم ولو بالصين ــ كان يحضنا على التماس العلوم النافعة وإن بعدت أوطانها ، والإسلام لا يرى شيئا خيرا من العلم ، ويحثنا عليه في قوة ، لنكون على معرفة أكثر من سوانا ولنكون بالعلم أقوى من غيرنا في هذه الحياة .

والمفروض أن العلوم الدينية في طليعة العلوم المرغوب فيها ، لأنها تهدى الإنسانية من خيرها دينا ، ودنيا ، ولأنها لا تدع الناس في غفلة عن ربهم ، ولا تلهيهم عن العمل النافع الخالد في الحياة الباقية .

والعلوم الدنيوية مقامها بعد ذلك ، إذ هي ضرورية للإنسانية في تقويم دنياها ، ولكنها لاتستكمل خير الآخرة إلا إذا اتخذناها في عمل يتصل بالآخرة ، لا في المعاش

ولا في مناهضة الدين ، والبعد عن توجيهاته ، ولا يسوغ – حين امتحاننا – . . للعلوم الدنيا بقدر ما لها من شأن في حضارتنا وسعادتنا أن نرفع من درجتها إلى مستوى العلوم الدينية ، ولا أن نرفع من مقام علمائها إلى منازل الأبرار عند الله .

فإن العلوم الدينية مستقاة من عند الله ، لا من طريق التجربة التي تنجح يوما وتتعثر يوما آخر ، وإن علماء الدنيا لا يستوون مع علماء الدين العاملين بعلمهم ؛ لأن العقيدة والأخذ بالدين الحق ، والامتثال لآدابه ترفع من شأن فريق على فريق عند الله .

ونستطيع أن نقرر بعد ذلك أن العلوم كلها متضامنة في الخير وإن تفاوتت في مقداره وتفاوت أهلها بالإيمان وعدم الإيمان كما أوضح الله سبحانه .

هذا ، وكثيرا ما قرأنا عن علماء غير متدينين أن البحث العلمي جنح بهم إلى الإيمان وأنهم لمسوا ضرورة التدين بعد أن فطنوا إلى أن القوة التي تدير هذا العالم وتتولى رعايته جديرة بالإيمان بها ، والاستجابة لها وهي – الله – جلت عظمته وتباركت أسماؤه وصفاته .

وتلك نتيجة حتمية للعلم الصحيح يهتدي إليها العقل الناضج .

فما بالنا نرى أناسا لم يبلغوا من الثقافة المدنية مبلغ أولئك العباقرة يتخذون ثقافتهم المحدودة حربا على الدين ، ووسيلة هدامة إلى التحلل من العقيدة ، والآداب ، وإهدار القيم ؟؟ .

هل اختلفت طبيعة العلم عند هؤلاء عما كانت عند من حصلوا تلك المعارف ، ووصلوا إلى أسرار الله في هذا الكون ؟؟ .

أعتقد أن الجريمة ليست جريمة العلم ، وإنما هي جريمة العقول القاصرة ، والأفهام الكليلة ، والأمزجة المنحرفة . . وهي جريمة الإلحاد والعجز عن الربط بين دين الله وبين ما خلق الله من كائنات ، وأودع فيها من أسرار .

فنحن نؤمن ، ونأخذ بالعلوم كلها ، وننتفع بها ، ونحمد الله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وما سوى ذلك مما يتشدق به الملاحدة فمردود عليهم ، والله يهدينا ويهديهم .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

آخر الكلام النبوى

توفيق بين حديثين ـ وصية وهداية ـ خاتمة حاسمة ـ صلة العبد بمالكه ومملوكه ـ وداع !

عن على رضى الله عنه قال: كان آخر كلام النبى صلى الله عليه وسلم: الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم.

(رواه أبو داود (*))

• • •

لا خلاف بين حديث على هذا وحديث عائشة فى الصحيحين وغيرهما، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح: إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ثم يخير. فلما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه على فخذى غشى عليه ساعة ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى. قلت إذا لا يختارنا، وعرفت الحديث الذى كان يحدثنا به وهو صحيح. قالت عائشة: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله اللهم الرفيق الأعلى.

(*) فى حق المملوك. وأخرجه السيوطى فى الجامع الصغير بلفظ: الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة وما ملكت أيمانكم. ورمز إلى الأئمة: أحمد والنسائى وابن ماجة وابن حبان إذ رووه عن أنس، وإلى أحمد وابن ماجة أيضا إذ روياه عن أم سلمة، وإلى الطبرانى إذ رواه عن ابن عمر. والصلاة منصوب على الإغراء، أى الزموا الصلاة أو احفظوها، وملك اليمين هم الرقيق. وأغرب من قال: الزكاة كما سيأتى. وفى الإغراء إيجاز وتأكيد، فالتكرير هنا لمزيد التأكيد.

لا خلاف بين الحديثين في أن كلا منهما كان آخر كلامه صلوات الله وسلامه عليه وهو يودع هذه الدنيا ، إلا أن الحديث الأول كان آخر كلامه وهو يوصي أمته ، والحديث الآخر كان آخر كلامه وهو يناجي ربه ، وذلك بعد أن مسح وجهه بيده من ماء كان في علبة بين يديه وهو يقول : لا إله إلا الله ! إن للموت سكرات " !

وكأن الصلة بين الحديثين هي الصلة بين المقدمة ونتيجتها والوسيلة وغايتها، فلا ريب أن الوصية إلى الرفيق الأعلى ، إنما هي تقوى الله تعالى ، في تأدية حقوقه وحقوق عباده، وقد جاءت كلها في رسالات الله بينة واضحة ، إن أجملت تارة فقد فصلت تارة أخرى .

• • •

لبث خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم نيفا وعشرين عاما ، يؤدي الأمانة ، ويبلغ الرسالة ، ويجاهد في الله حق جهاده ، لا يفتر ولا يني ، حتى حج حجة الوداع وخطب فيها خطبته الجامعة ، التي بين فيها لأمته، خلاصة رسالته العامة الخالدة .

فلما قفل من حجة الوداع أخذ يضاعف اهتمامه بشئون أمته ، علاوة على اهتمامه بلقاء ربه ، وخاف عليهم أن يتنافسوا في الخلافة والملك ، وفي زهرة الحياة الدنيا ، فتهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم ، وتلهيهم عن مقومات العزة والسعادة في الدنيا والآخرة . فلم يزل يتعهدهم بوصاياه وهدايته ، حتى ودعهم آخر وداع بوصيته الخاتمة الجامعة ، أجمع جوامع الكلم ، وأنفع مقومات الأمم ، وأهدى سبيل إلى الحياة الطيبة الكاملة ، والسعادة الأبدية الشاملة : الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم :

إنها وصية مؤكدة بأن يحسن العبد صلته بخالقه ومالكه ومولاه العلي الأعلى .

وإنها وصية مؤكدة بأن يحسن العبد صلته بمملوكه وخادمه ومولاه الأدنى .

وإن من أحسن هاتين الصلتين خاف مقام ربه ، وراعى حق خادمه ، فقد تم دينه ، وكملت مروءته ، وعظمت سيادته ، وسعت إليه الدنيا صاغرة ، وكان جديرا بالعزة والكرامة ، وبالاستخلاف في الأرض ، والعمارة الصالحة فيها .

• • •

إن أمانة الله ورسالته — التي أداها أنبياؤه ، وبلغها رسله ، وقام عليها بعدهم من اصطفاهم الله لوراثة كتابه ، وحملهم أمانة وحيه — إنما تتمثل في جملتها وتفصيلها على حقوق الله وحقوق عباده ، وركز النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ، حقوق الله في الصلاة ،

إذ كانت قيامها وعمادها وملاك أمرها كله ، من أقامها فهو لغيرها أشد إقامة ، ومن أضاعها فهو لغيرها أكثر إضاعة . ولن ترجو من تارك الصلاة خيرا أبدا ، وإن كان عند الناس عظيما ، لا لنفسه ولا لغيره ، لا في دين ولا دنيا ، وكيف يرجى الخير ممن خان الله ورسوله ، ومن هو للكفر أقرب منه للإيمان ؟ ! !

• • •

وركز صلوات الله وسلامه عليه ، حقوق عباد الله في رعاية الضعفاء منهم وتقوى الله فيهم ، بالعدل في معاملتهم ، والإحسان إليهم . . ومن أتقى الله في العبيد والضعفاء ، فهو أجدر بأن يتقيه في الأحرار والأقوياء ، موقنا بأنهم جميعا إخوانه ، لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى .

• • •

ومن غريب الشرح وطريفه ، ما قيل في ملك اليمين هنا إنه الزكاة ، ويؤيده أن الصلاة قلما تفارقها في الذكر ، ولكن المعروف والمألوف في لسان العرب والشرع ، أجدر بالفهم ، وأحق بالعلم .

• • •

ألا إن أحق الناس عملا بهذه الوصية النبوية الخاتمة ، ودعوة إليها ، وأخذا على أيدي المفرطين فيها ، هما الصنفان اللذان إذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس : العلماء والأمراء . .

ألا وإن التهاون في شأن الصلاة ، وفي رعاية الضعفاء من عباد الله ، أعظم خطر يهدد الدول الإسلامية بسلب عزتها وكرامتها ، وينذرها بأن يتخلى الله عنها ويكلها إلى غيره ، ومن يتخل الله عنه ويكله إلى غيره فقد أهانه « ومن يهن الله فما له من مكرم » .

• • •

أما بعد ، فقد عهد غير قريب وأنا أستخير الله تعالى ، وأترضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أودع الكتابة في هذا المكان إلى أجل مسمى عند الله عز وجل ، وها أنذا أستأذن أسرة المجلة وقراءها . . . حتى يأذن الله لي بالعود ، والعود إن شاء الله أحمد « وما توفيقي إلا بالله » ما

طه محمد الساكت

الحج والعمرة

من القواعد الخمس التي بني عليها الإسلام : الحج ، فهو فرض عين من فروضه ، وكان فرضه في السنة السادسة من الهجرة وقيل في الخامسة .

وثبتت فرضيته بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، فمن أنكره كان كافرا كإنكار كل أمر معلوم من الدين بالضرورة .

وإنما يجب الحج مرة واحدة في العمر ، لما روى مسلم عن أبي هريرة قال . خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يأيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه .

من يجب عليه الحج :

يجب على المسلم البالغ العاقل المستطيع ، وتتحقق الاستطاعة بتوفر المال الذي يحتاج إليه في أداء هذه الفريضة فاضلا عما يلزم أسرته ومن يقوم بشئونه مدة ذهابه للحج وإيابه ، وفاضلا عما عليه من دين ولو كان مؤجلا ، وأن يجد في طريقه ما يحتاج إليه من الضروريات ، وأن يكون قادرا على تحمل أعباء ذلك السفر بدون مشقة عظيمة ، واستتباب الأمن في الطريق وفي مكة ومواضع النسك .

وجميع ما تقدم شروط لوجوب الحج على الرجل والمرأة ، وتختص المرأة بشرط وهو أن يخرج معها زوجها أو أحد محارمها ، قال الشافعية أو امرأتان ثقتان ، وقال المالكية أو رفقة مأمونة ، وقال الحنفية هذا إذا كان بين بلدها وبين مكة ثلاثة أيام فأكثر وإلا فلا يشترط أن يخرج معها زوجها أو محرمها .

هل وجوب الحج على الفور أو على التراخي :

إذا توفرت شروط وجوب الحج في شخص فهل يجب عليه أن يؤدي الحج في أول عام توفرت فيه الشروط وتمكن فيه من أدائه :

مذهب الجمهور : ومنهم الحنفية والمالكية والحنابلة يجب أداء الحج فورا بمجرد التمكن من أدائه وإذا أخره يكون آثما بالتأخير .

ومذهب الشافعية : لا يجب أداء الحج فورا ، فله تأخيره من أول سنة تمكن فيها إلى سنة أخرى ، بشرط أن يغلب على ظنه سلامة بدنه وماله إلى أن يؤديه ، وأن يكون عازما على فعله في المستقبل ، ولكن يستحب له أن يبادر بفعله لقوله تعالى : فاستبقوا الخيرات ، ولأن تأخيره يعرضه للفوات بحوادث الزمان ، فإن خاف العجز لكبر سنه أو لمرض يخشى زيادته ، أو خاف عدم بقاء المال المحتاج إليه في حجه وجب أداؤه فورا وأثم بالتأخير .

وإذا لم يحج من وجب عليه الحج حتى عجز عنه لمرض أو كبر سن ، وجب عليه أن ينيب من يحج عنه متبرعا أو بأجر ، أما إذا مات فيجب على ورثته قضاء الحج من تركته : كدين الآدمي ، فإن لم يكن له تركة استقر في ذمته ، ويستحب لورثته قضاؤه ، ومتى حج عن الميت الوارث أو غيره سقط الفرض عنه .

وقد استدل الشافعية على أن الحج يجب على التراخي بأنه قد فرض في السنة السادسة أو الخامسة من الهجرة ، ولم يحج النبي هو وزوجاته وعامة أصحابه إلا في السنة العاشرة ، مع أنه كان مستطيعا ، وكان فتح مكة في رمضان من السنة الثامنة ، وانصرف عنها في شوال من سنته ، وولى عليها عتاب بن أسيد فحج بالناس ، ثم ولى أبا بكر في السنة التاسعة إمارة الحج فحج بالناس ، ثم حج النبي هو وأزواجه وعامة أصحابه سنة عشر فدل على جواز تأخير الحج عن سنة الاستطاعة .

العمرة :

العمرة مطلوبة من المسلم مرة واحدة في العمر كالحج ، ولكن الأئمة اختلفوا في حكمها ، فالشافعية والحنابلة قالوا إن العمرة فرض عين كالحج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » ، مع قراءة « وأقيموا الحج والعمرة لله » ، واستدلوا أيضا بحديث عائشة قالت : (قلت يا رسول الله على النساء جهاد ؟ قال جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة) ، وغير ذلك من الأحاديث .

والمالكية والحنفية قالوا : إن العمرة سنة مؤكدة ولكنها تجب بالشروع فيها ، والمسلم الورع يتحرى الخروج من الخلاف بالإتيان بالعمرة .

ويجرى فيها الخلاف السابق في الحج من أنها على الفور أو على التراخي .

حكمة مشروعية الحج :

الحج من الشرائع القديمة فرضه الله أول ما فرضه على خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذلك أن الله أمره بإسكان ابنه اسماعيل مع أمه هاجر مكة فصدع بالأمر، ولما ودعهما قال: « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ، فأجاب الله دعوته بأكثر مما كان ينتظر وفرض عليه وعلى أمته الحج ، فصارت مكة مثابة للناس وأمنا ، وصار الحج موسما عظيما للناس يتبادلون فيه التجارة ، ويشهدون منافع لهم دينية ودنيوية ، ويطعمون فيه البؤساء والمحتاجين ، وعاش اسماعيل وذريته في أمن من العيش وسعة تناسب حال هذا الوادي .

وكانت أعمال الحج كلها في عهد ابراهيم واسماعيل بريئة من شوائب الشرك (ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ، إلى أن امتدت يد الشيطان ، وأدخلت في هذا البيت المطهر الأصنام ووضعتها فوق الكعبة ، وتدنست بالشرك أعمال الحج .

ولما فتح رسول الله مكة كان أول ما أمر به هدم تلك الأوثان ، وتطهير البيت من الأصنام ، فحقق بذلك ما أمره الله به وأمر به ابراهيم من قبله (وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) .

وحج رسول الله والمسلمون فتوجهوا بجميع أعمال الحج لله وحده ، رفضوا مثلا ما كانت تصيح به الأفواه ويجلجل في الفضاء حتى يبلغ عنان السماء التلبية (لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ، فكان من أول أهداف تشريع الحج محمد وأمته عملية تطهير الحج ، وتنقيته من دنس الشرك ، وتوجيه أعماله كلها لله وحده ، فأدوا عملية التطهير خير أداء ، وعادت أعمال الحج خالصة لله كما كانت في عهد ابراهيم ، كما عاد من فضل الله الزمان واستدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ، وبطل النسيء ونقل الأشهر الحرم إلى غير مواضعها ، فصار الحج حنيفا نقيا في أعماله ، مطهرا في مكانه ، حاصلا في زمانه .

ووراء ذلك حكمة عظيمة أخرى للمسلمين نفرد لها ذلك القول :

لما كان دين الإسلام دينا عاما لجميع البشر ، فكل أبيض وكل أسود بلغته دعوة محمد على وجهها الصحيح ، مكلف بالدخول في دين الإسلام والتزام عقائده من جنة ،

ولما كان المفروض أن تحدث هذه الدعوة أثرها قويا ، فيدخل الناس في دين الله أفواجا ، من شعوب مختلفة في مشارق الأرض ومغاربها كان من أهم مقاصد الإسلام بعد سلامة العقيدة أن يكون المسلمون أمة واحدة ، أمرهم واحد وكلمتهم واحدة وإحساسهم واحد وآلامهم واحدة وآمالهم واحدة .

فلما شرع الله لهم من الدين ما يوجههم هذه الوجهة الواحدة ، فأمرهم أن يستقبلوا في صلاتهم كل يوم خمس مرات أو تزيد قبلة واحدة .

وفرض عليهم الحج ليكون فرصة لاجتماع هذه الشعوب ، المختلفة الأجناس واللسان والمكان في مكة مهبط الوحي الأول ، وبجوار بيت الله مركز المنارة التي تربط المسلمين برباط الدين الواحد ، وليكون مؤتمر الشعوب الإسلامية ومجتمعهم السنوي ، يبحثون فيه شئونهم ويشرحون أدواءهم ويصفون له العلاج ، ويتعاونون على درء الظلم عمن ظلم منهم وتقوية المستضعفين ومساعدتهم للتحرر من نير الاستعمار .

ولقد كان الأمل عظيما في أن يهيئ الحج للمسلمين الفرصة لجمع الكلمة والتعاون على ما يصلح شأنهم ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر كما شرعه الله ولكن والأسى يملأ الفؤاد قد لعبت يد الاستعمار أعنف الأدوار ، ففرقت جمع المسلمين وصيرتهم شيعا وأحزابا ، وبثت بينهم العداوة والبغضاء ، حتى صار كل فريق يتربص بالآخر الدوائر ، وذلك بتسليط بعض أعوان المستعمرين الذين أعماهم سلطانهم وشهواتهم ، فباعوا دينهم بدنياهم ودنيا المستعمرين .

على أننا لا تزال عندنا بقية من الأمل في أن يعود المسلمون إلى رشدهم فيصلحوا ما فسد ، ويتعاونوا على الصالح العام للمسلمين والعرب ، والله يهديهم سبيل الرشاد .

كيف تحج وتعتمر أيها المسلم :

للحج أعمال مطلوبة طلبا محتما وهي قسمان ، قسم إذا ترك يكون الحج ناقصا ، وبالتالي يكون باطلا وهو الأركان ، وقسم إذا ترك يكون الحج صحيحا ويجبر تاركه بدم وهو الواجبات .

كذلك للحج أعمال مطلوبة طلبا غير محتم وهي المسنونات ، ومثل الحج فيما تقدم العمرة .

وقد ذكر العلماء من شروط صحة الصلاة العلم بكيفيتها ، قالوا وهذا الشرط يكفي في تحققه ألا يعتقد المكلف الفرض سنة ، فلو اعتقد أن أعمالها كلها فروض أو أن فيها فرضا وسنة ولكنه لم يميزها كفى .

ومن المعلوم أن العلم بالكيفية شرط في صحة كل عبادة ومنها الحج والعمرة ، ونرى أن هذا الشرط يتحقق فيهما بما تحقق به في الصلاة بطريق الأولى ، إذ الصعوبة هنا في الإحاطة بالأركان والواجبات والسنن أعظم .

لهذا رأيت أن أبين باختصار كيف يحج ويعتمر المسلم ، ذاكرا أعمال النسك على أنها كلها مطلوبة ، سواء منها ما كان ركنا ، وما كان واجبا وما كان مسنونا ، فأقول :

إذا عزمت أيها المسلم على الحج والعمرة فإني أختار لك أن تبدأ بالعمرة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

وكيفية العمرة :

فإذا كنت تريد ركوب الطائرة فقم أظفارك ، وأزل ما شئت من شعرك ، واغتسل والبس ثياب الإحرام (إزارا ورداءا) وصل ركعتين ثم انو الإحرام بالعمرة واقرن نيتك بالتلبية أو أي ذكر - افعل كل هذا في منزلك ثم اذهب إلى طائرتك .

وإن كنت تريد ركوب الباخرة فافعل ذلك بعد أن تسير الباخرة وتحاذي رابغا ، (وهي ميقات الحج والعمرة لمن بمصر والشام والمغرب والأندلس) أو تحاذي ميقات بلدك إن كنت من غير هذه البلاد ، واستمر على إحرامك مع تكرار التلبية من وقت لآخر ، حتى تصل إلى مكة فاقصد المسجد الحرام ، وادخل من باب السلام فإذا رأيت الكعبة فقل بسم الله الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ، ثم اذهب إلى الحجر الأسود فاستقبله واستلمه بيمينك وقبله إن أمكنك ، وإلا فاكتف بالاستلام ، وإلا فالإشارة باليد ، وانو طواف العمرة بشرط أن تكون متطهرا طهارتك للصلاة ، وابتدئ من الحجر الأسود جاعلا البيت عن يسارك مارا تلقاء وجهك ، قائلا بسم الله الله أكبر ، اللهم إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، اللهم إن هذا البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار فأعذني منها يا عزيز يا غفار ، ثم ادع بما شئت إلى أن تصل ثانيا إلى الحجر الأسود فتبدأ الشوط الثاني وهكذا حتى ينتهي الشوط السابع ، ثم اذهب فصل ركعتين سنة الطواف خلف المقام ، وبهذا ينتهي الطواف .

ثم اقصد الملتزم وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، وتضرع إلى الله تعالى داعيا بما شئت من دعاء ، ثم اذهب إلى بئر زمزم فاشرب هنيئا مريئا .

ثم اخرج من باب الصفا إلى المسعى واقرأ « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ثم اصعد على درجات الصفا واتجه إلى الكعبة ، وقل بسم الله الله أكبر ولله الحمد ، ثم اسع إلى المروة قائلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، وهرول في السير بين الميلين الأخضرين (وهما عمودان في جدار الحرم والمسافة بينهما سبعون مترا) ، قائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، وادع بما شئت حتى تأتي المروة فاصعد على درجاتها ويحسب ذلك شوطا ، ثم اتجه إلى المسعى وانزل عن الدرجات وعد إلى الصفا حتى تصعد على درجاتها ويحسب ذلك شوطا ثانيا ، وهكذا حتى تكمل سبعة أشواط ينتهي السعي عند المروة ، ثم احلق أو قصر ، والمرأة تقصر ، وبذلك تنتهي العمرة ، ويحل لك ما كان قد حرم عليك بالإحرام (وسنبينه لك) .

واعلم أن من يأتي بالعمرة في أشهر الحج وبعد الفراغ من أعمالها يأتي بالحج ، يسمى متمتعا ، ويجب عليه ذبح شاة للفقراء ، فإن لم يجد فصيام عشرة أيام ، ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده ، ويذبح الشاة بعد الفراغ من أعمال العمرة بمكة ، أو يذبحها يوم النحر وهو الأفضل .

كيفية الحج :

وتقيم بمكة بغير إحرام إلى يوم التروية (اليوم الثامن من ذي الحجة) فتنوي الإحرام بالحج ، وافعل عند إحرامك به ما فعلت عند إحرامك بالعمرة ، ثم توجه إلى عرفة واستقر في طريقك بمنى ، ولك أن تبيت بها ليلة التاسع ، وهو الأفضل أو تواصل السير حتى تصل عرفة وتمكث بها ، وتمضي بعرفة اليوم التاسع من ذي الحجة وجزءا من ليلة العاشر ، وأكثر في طريقك من التلبية ، وفي عرفة أكثر من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتلبية ، والاستغفار وقراءة سورة (الإخلاص) والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم ادفع من عرفة بعد جزء من ليلة العاشر كما ذكرنا إلى المزدلفة وهي المشعر الحرام ، وقيل هو جبل قزح بالمزدلفة وتبيت بها .

ثم ادفع من المزدلفة بعد نصف الليل إلى منى ، أو بعد أن تصلي الصبح مع أخذ حصيات جمرة العقبة منها ، فإذا وصلت منى فانتظر إلى ما بعد طلوع الشمس ، ثم ارم جمرة العقبة

بسبع حصيات وتقطع التلبية مع أول حصاة ، وتأتي بدلها بالتكبير مع كل حصاة قائلا : بسم الله الله أكبر ، اللهم تصديقا بكتابك ، واتباعا لسنة نبيك وحبيبك عليه الصلاة والسلام .

ثم احلق أو قصر – والمرأة تقصر – وبهذا يحل لك كل ما كان قد حرم عليك بالإحرام إلا النساء ، وهذا هو التحلل الأول وتبيت بمنى أيام التشريق ، وترمي في كل يوم الجمرات الثلاث ، كل جمرة بسبع حصيات ، مبتدئا بالجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف ، ثم الجمرة الوسطى ، ثم جمرة العقبة ، ويكون الرمي بعد الزوال وتكبر مع كل حصاة كما فعلت في جمرة العقبة يوم النحر – تفعل ذلك في أيام التشريق الثلاثة ، ولك أن تتعجل في يومين فتبيت بمنى ليلة الحادي عشر وليلة الثاني عشر من ذي الحجة ، وتقتصر على الرمي فيهما وتنزل من منى قبل غروب الشمس ، وإلا وجب عليك مبيت ليلة الثالث عشر ، وبعد أن تنزل مكة طف طواف الإفاضة كالطواف السابق في العمرة ، ثم اذهب للسعي بين الصفا والمروة كما سبق وبذلك ينتهي حجك .

ولك أن تذهب إلى مكة في يوم النحر إن أمكنك بعد رمي جمرة العقبة ، فتطوف طواف الإفاضة ثم تسعى بين الصفا والمروة ، وبذلك يحصل التحلل الثاني ويحل لك به النساء أيضا ، ثم تعود إلى منى لتبيت بها أيام التشريق وترمي الجمار كما بينا .

من أحكام الحج

محرمات الإحرام :

يحرم على الرجل بسبب الإحرام بالحج أو العمرة أمور (١) لبس الملابس المخيطة بالجسم كالقميص ، والسروال ، والبيجامة ، والمعطف ، والبنطلون ، والجبة والقفطان . (٢) وتغطية رأسه أو بعضه بما يعد ساترا عرفا كالعمامة والقلنسوة ، وله لبس الخاتم وشد الحزام أو الكمر على وسطه وعلى إزاره ، وله عقد بأكمة الإزار ليدخل فيها تكة يعقد بها وليس له ذلك في الرداء ، ويحرم لبس الحذاء ، أما النعلان المعروفان فيجوز لبسهما بشرط ألا يستر سير النعل جميع أصابع القدم .

ويحرم على المرأة تغطية الوجه ولبس القفاز (الجوانت) .

ويحرم عليهما : (١) استعمال الطيب في بدن أو ثوب أو فراش أو طعام وكذا الزهور ذات الرائحة الذكية . (٢) ودهن شعر الرأس أو الوجه بشيء من الزيوت والأدهان . ومن ذلك الفازلين . (٣) وإزالة الشعر بحلق أو غيره . (٤) وتقليم الأظفار .

فإذا فعل الحاج أو المعتمر شيئاً من هذه المحرمات ، وجب عليه واحد من هذه الأمور الثلاثة باختياره : ذبح شاة ، أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (قدح مصرى) ، أو صيام ثلاثة أيام ، مع ملاحظة أن تكون إزالة الشعر لثلاث شعرات فأكثر ، وتقليم الأظفار لثلاثة أظفار فأكثر ، ويجب فى إزالة شعرة واحدة مد ، وفى شعرتين مدان ، وفى قلم ظفر مد ، وفى ظفرين مدان (والمد نصف قدح مصرى) . وعند مالك يجب فى إزالة شعرة إلى اثنتى عشرة شعرة مد ، ويجوز إعطاء الفقير ثمن نصف الصاع أو المد ، ويقوم مقام المد غداؤه أو عشاؤه .

ويحرم أيضاً بسبب الإحرام الوطء ومقدماته ، والتعرض للحيوان الوحشى المأكول بصيد أو أكل ، والتعرض لشجر الحرم بقطع أو قلع أو إتلاف ، والأحكام المترتبة على ارتكاب هذه المحظورات مبسوطة فى كتب المذاهب ، والذى يهمنا أن ننوه عنه أن الحج والعمرة لا يفسدهما شىء من المحرمات إلا الوطء ، فليحذر الحاج والمعتمر ذلك حتى به الطاعة التى قاما بعمل .

ومن أحكام الحج — من عجز عن الطواف بنفسه لمرض جاز أن يطوف محمولا بالإجماع ، ومن أبى حنيفة وعطاء يجوز أيضاً أن يطوف عنه غيره .

ومن عجز عن رمى الجمار بنفسه جاز له أن ينيب من يرمى عنه ذكرا كان النائب أو أنثى حلالا أو محرما ، ويشترط فى المحرم أن يكون قد رمى عن نفسه ، ولعل هذا يشترط أيضاً فيمن يطوف عن غيره عند أبى حنيفة وعطاء .

وإذا مات الحاج فى أثناء حجه فمذهب الشافعى القديم يجوز البناء على ما عمله الميت من أعمال الحج ، لأن الحج يقبل النيابة فيحرم النائب بالحج ، ويقف بعرفة إن لم يكن الميت وقف ، ولا يقف إن كان وقف ، ويأتى ببقية الأعمال كما لو لم يمت ، وهذا كله إذا مات الحاج قبل التحللين أو بينهما ، فإن مات بعد التحللين لم يجز البناء بلا خلاف ، لأن الباقى من أعمال الحج يجبر بالدم .

وفى هذا الرأى تيسير على من أصيب فى زميل وافقه فى أداء فريضة الحج وتخفيف من حدة المصاب ، ومساعدة للميت على أداء فرضه وبراءة ذمته .

للحج تحللان فالتحلل الأول يحصل بفعل اثنين من ثلاثة هى : رمى جمرة العقبة يوم النحر ، والحلق ، والطواف مع السعى — إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم — ويحل بها الحاج

جميع محرمات الإحرام إلا ما يتعلق بالنساء، فإذا فعل الثالث حصل التحلل الثانى وحل به باقى المحرمات .

أما العمرة فليس لها إلا تحلل واحد يحصل بالانتهاء من جميع أعمالها .

ومما يتصل بالحج

الحجر الأسود :

فى الركن الذى على يسار الكعبة الحجر الأسود ، وهو حجر مائل بيضاوى تقريبا ولونه أسود مشرب بحمرة وفيه نقط حمراء وتماريج صفراء وقطره نحو ثلاثين سنتيمترا ، ويحيط به إطار من الفضة عرضه عشرة سنتيمترات .

وقد جعل الحجر علامة لبدء الطواف منه ، ويذكر بعض الناس فيه روايات منها أنه درة بيضاء من الجنة سودته خطايا بنى آدم ، وغير ذلك وهو غير صحيح ، وإنما صح فيه وبلغ حد الشهرة قول عمر رضى الله عنه على رءوس الأشهاد من أصحاب رسول الله وسائر المسلمين ، أما إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولو لا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

حكمة السعى ورمى الجمار .

قال العلماء : كل عبادة لها معنى قطعا لأن الله لا يأمر بالعبث ، ثم معنى العبادة قد يفهمه المكلف ، وقد لا يفهمه ، ومن العبادات التى لا يفهم المكلف معناها السعى والرمى ، فكلف العبد بهما ليتم انقياده لربه ، فإن هذا النوع من العبادات لا حظ للنفس فيه ولا للعقل به ، ولا يحمل عليه إلا مجرد الامتثال لأمر الله والانقياد له اهـ من المجموع للنووى باختصار . ومنه يعلم أنه لم يصح شىء مما يرويه الناس فى السعى ورمى الجمار ، وإلا لذكره النووى ، وأكثر أعمال الحج أمور لا نعقل معناها ، ولكن الله تعبدنا بها لتربية ملكة الانقياد والمسارعة إلى طاعته .

فضل الحج والعمرة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من حج فلم يرفث (لم يمس النساء) ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء

إلا الجنة . وعن عائشة رضي الله عنها قالت ، قلت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ فقال لكن أفضل الجهاد حج مبرور .

والأحاديث في فضله كثيرة ، والحج المبرور : الذي لم يرتكب في أثنائه الحاج معصية وهو المقبول عند الله ، قال العلماء وعلامته أن تكون حال صاحبه من الناحية الدينية أحسن بعد الحج ، والحج والعمرة يكفران الذنوب الصغائر باتفاق ، ويكفران الكبائر على الراجح حتى التبعات وهي حقوق الآدميين ، لكن هذا إذا مات في أثناء الحج أو العمرة أو بعدهما وقبل التمكن من أداء ما عليه ، من حقوق الله أو للآدميين ، أما إذا عاش بعد التمكن من أدائها فلا تسقط عنه بل يجب عليه قضاؤها .

هذا وإذا تأمل المسلم قول رسول الله لعائشة في الحديث المتقدم (لكن أفضل الجهاد حج مبرور) علم أن ليست رحلة الحج رحلة إلى مصيف أو مشتى ، وإنما رحلة لا بد أن يصحبها نصب ، ويلازمها قسط من المشقة والتعب ولكن لأنها رحلة إلى ربه ، وتنفيذ لأمره ، وانقياد لطاعته ، يهون بجانبها كل مشقة ونصب ، ويسهل في سبيل رضى مولاه كل صعب ، ويزول كل ألم ؛ فليحذر الحاج بعد عودته من أن يعقد المجالس ليقص على الناس ما صادفه من المصاعب ، وما قاساه من الآلام ، ويحسب من نفسه منفرا من هذه الفريضة ، وداعيا للتحلل منها ، فيحمل وزره كاملا وأوزارا معه ، ويحبط حجه وهو من الغافلين ، وليعلم الحاج أن له بكل خطوة أجرا ، وعلى كل مشقة ثوابا جزيلا ، وأن الثواب والأجر على قدر المشقة .

وليكثر في رحلة الحج من الصدقات ، فإنه سيصادف أكبادا حرى ، وأجسادا أشبه عارية ، أنهكها الجوع والعرى والحرمان ، وليتحر ببعض صدقاته أناسا ألح عليهم الفقر ولكنهم يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، وعلى الجملة ليحرص على أن يكون في هذه الرحلة أجود بالخير من الريح المرسلة .

وليكن الحاج بعد عودته مثال الفضيلة والأخلاق الكريمة ، والمحافظة على حقوق الحق والخلق ، تحقيقا لمعنى الحج المبرور ، وإن اعترض سبيله الشيطان وطوعت له نفسه العصيان ، فليتخذ من ضميره ودينه وازعا قويا ، فليجاهد نفسه ، وليحارب شيطانه والله الكفيل بنصره وتوفيقه إنه نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحمن عيسى
مدير المجلة

نحو مجتمع إسلامي :

بين الأبناء والآباء

لعل أقوى الروابط بين الأحياء هي الروابط العميقة الثابتة بين الأبناء والآباء ، ولذلك يجب أن نسعى بتوثيقها وإقامتها على أساس وطيد من الخير والبر ، وتبادل الحب والإخلاص . وإذا كنا نطالب الآباء بأداء واجباتهم نحو فلذات أكبادهم وثمرات قلوبهم ، فلا بد لنا من مطالبة الأبناء بواجباتهم نحو هؤلاء . وأول هذه الواجبات فيما نظن ، هو أن يتذكر الأبناء على الدوام أن آباءهم كانوا السبب المباشر في وجودهم ، والأصل الحسي لحياتهم ، والواسطة البادية في خلق الله تبارك وتعالى لهم ، وأن آباءهم قد شقوا في سبيلهم ، وتعبوا من أجلهم ، وذاقوا المر والعلقم لتنشئتهم وتربيتهم ، وصبروا على ذلك صبرا جميلا ، وتحملوا من أجله تحملا طويلا ، وبذلوا من جهدهم وعرقهم بذلا جليلا ؛ وشرعة العدالة تقتضي التماثل والتبادل ، والقرآن الكريم يقول : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » ؟ .

وهنا حقيقة يلزم أن ننتبه إليها جيدا ، وهي أن الآباء يمثلون جبهة المحافظة والمقاومة والدفاع ، لأنهم أهل جيل قد مضى أكثر زمنه ، وأخذوا يحكمون على أنفسهم وأحاسيسهم ، بينما الأبناء يمثلون جبهة الاندفاع والتجديد والهجوم ، لأنهم أهل جيل مقبل شبابه وحيويته وآماله ، والحياة تسير في تطورها وتغيرها ، ولابد فيها من الفريقين ، فلو تصادما أو تخاصما لكانت عوامل الهدم والتحطيم أضعاف عوامل البناء والتعمير ، فلا بد لهما من حسن التفاهم وكريم التعاون ، حتى يلتقيا في منتصف الطريق .

ولما كان الآباء من الناحية الحسية في موطن الضعف بحكم الكبر والتقدم ، وكان الأبناء في مكان القوة بحكم الشبيبة وإقبال الحياة ، وجب على الأبناء أن يقابلوا بكرم المعاملة وحسن الصحبة هؤلاء الآباء الذين قدموا ما قدموا ، وبذلوا ما بذلوا ، وجاهدوا في سبيل هؤلاء الأبناء ما جاهدوا ، والفضل للمتقدم ، والآباء يبعد منهم أن يهملوا الأبناء ، بينما الأبناء مظنة الإهمال للآباء ، ومن هنا نستعرض آيات القرآن فنجد أن الله قد أمر الولد بأن يحسن إلى والديه إحسانا في عدة آيات ، بينما لا نجد في القرآن أمرا للوالدين بالإحسان إلى الولد ، وذلك لأن إحسان الوالدين إلى ولدهما أمر محقق واقع مطبوع عليه الوالدان ،

لا يحتاج إلى تذكير ، بينما نلاحظ أن الكثير من الأبناء لا يعقون ربهم في معاملة آبائهم ، فيسيئون إليهم ويتخلون عنهم حينما يكون الآباء بحاجة إلى الرحمة واللين ، مع أن أول سمات الإنسانية الصحيحة أن لا يجحد المرء الفضل ، وأن لا ينكر الجميل ، ومن هنا جعل الله الإحسان إلى الوالدين قضية إنسانية عامة ، إذ قال في القرآن : « ووصينا الإنسان بوالديه » . فلم يقل « ووصينا المسلم » أو لم يقل : « ووصينا المؤمن » بل قال : « ووصينا الإنسان بوالديه » . كأن حسن الأدب مع الوالدين ، وحسن الرعاية للوالدين ، وحسن التعامل مع الوالدين ، أمر إنساني بشرى ، يجب أن يقوم به المرء بمقتضى أنه « إنسان » وأنه « بشر » ، فكيف إذا كان هذا الإنسان صاحب إسلام وربيب إيمان ؟! . . .

والقرآن الحق كل الحق في أن يجعل الوصية بالوالدين قضية إنسانية ، لأنها قضية مقابلة الجميل بالجميل ، ومجازاة الإحسان بالإحسان ، وعلى هذا الأساس صور لنا القرآن المجيد في تلك الصورة الإنسانية المؤثرة فقال : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

فالله عز وجل قد قضى وأمر أمرا مقطوعا به ألا نعبد غيره ، لأنه لا رب سواه ، ثم ذكر بعد عبادته الأمر بالإحسان إلى الوالدين ، ويكاد القرآن لا يذكر الإحسان إلى الوالدين إلا بجوار ذكر الدعوة إلى عبادة الله وشكرانه . ففي سورة البقرة يقول : « لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا » . وفي سورة النساء يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » . وفي سورة الأنعام يقول : « ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » . وفي سورة الإسراء يقول : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » . وفي سورة لقمان يقول : « أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير » .

ويقول جار الله الزمخشري في كشافه عن الولد مع أبويه : « فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال ، حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مئونتهما : أف ، فضلا عما يزيد عليه ، ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ، ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر ، مع موجبات الضجر ومقتضياته ، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة » .

وانظر كيف خص الله بالذكر في آية الإسراء حالة كبرهما وطعنهما في السن ، لأن هذا

الوقت هو مظنة ضيق الولد بهما ، واستثقاله لظلهما ، واشمئزازه منهما ، وهما حينئذ أشد احتياجا إليه بعد جهادهما الطويل من أجله وفي سبيله ، ولذلك أكد القرآن في الوصية والنصيحة ، فأمر الولد بألا يصايقهما ولو بأقل ما يشير إلى التضجر وهو كلمة « أف » ، وألا ينهرهما أو يغلظ عليهما ، وأن يخاطبهما خطابا رقيقا لطيفا كريما ، وأن يبالغ في الأدب معهما والخضوع لهما ، حتى يبدو أمامهما ذليلا رحيما ، وبا لها من عزة أن يذل الابن لوالديه ، وأن يتوج ذلك بتاج الدعاء لهما ، متذكرا دائما سابق فضلهما وقديم إحسانهما ، فأوصى القرآن هنا بخمس درجات للاحسان : « فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » ! !

واوسع الإسلام بقضية الإحسان إلى الوالدين إلى قمة السماحة الإنسانية ، فأمر الولد بأن يحسن معاملتهما ولو اختلف معهما في الرأي أو الدين أو منهاج الحياة ، فقال القرآن يخاطب الولد : « وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلي ، ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » .

وجاء الرسول عليه الصلاة والسلام ـ وهو نبي الوفاء ورسول الإحسان ـ فزاد هذه القضية رعاية وعناية ، فأخبرنا بأن رضا الله في رضا الوالدين ، وأن الولد وماله لأبيه ، وأن الجنة تحت أقدام الأمهات ، وأن أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين . ولقد سأله أحد صحابته : أي العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ . فقال : الصلاة على وقتها . قال : ثم أي ؟ . قال : ثم بر الوالدين . قال : ثم أي ؟ . قال . ثم الجهاد في سبيل الله . فجعل بر الوالدين بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام ، وكذلك جعل بر الوالدين وسطا بين الصلاة التي هي جهاد نفسي والقتال في سبيل الله الذي هو جهاد حسي ، لأن بر الوالدين يشمل الاثنين ، فهو جهاد نفسي بالأدب معهما ، وهو جهاد حسي بالبر إليهما وتأدية الواجب لهما وحسان المعاملة معهما ، وليس وراء ذلك تكريم ! .

ولقد ضرب السابقون أروع الأمثال في تكريم الآباء ، فهذا علي بن الحسين كان لا يأكل مع أمه في صحفة ، خشية أن تمتد يده إلى شيء تسكون عينها قد تطلعت إليه ، وهذا عمرو بن ذر يقول عن ابنه : ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفي (تأدبا) ، ولا ليلا إلا مشى أمامي (خشية مكروه يلقاني) ، ولا رقي سطحا وأنا تحته (حتى لا يعلوني) . وهذا هو الفضل بن يحيى البرمكي كان عجيبا مع أبيه ، وكان أبوه لا يطيق

استعمال الماء البارد في وضوء الفجر ، ولقد منع السجان عنهما الحطب ، فكان الفضل يمسك بإناء الماء ، ويدنيه من المصباح ، ويدفئه إلى الفجر ، حتى يسخن الماء لوضوء أبيه !! . .

قد يقول أبناء اليوم : إنك تحدثنا عن عهود سلفت ومضت بما لها وما عليها ، ونحن الآن في عهود الحرية والمساواة !! . . .

ويعلم الله أننا مهما زحمنا في رفع الكلفة والتحفظ بين الآباء والأبناء ، فلن نستطيع تفريط الأبناء في حقوق الآباء ، ولن يصدق عاقل أو يرى أن تتنكر التربية لهذه الصور الرائعة التي أتوا بها وصبروا عليها . وإذا كنا ندعو الوالد إلى أن يكون بولده رحيما وبه كريما ، وأن يلاعب الأب أبناءه ويداعبهم ، ويستجيب لرغباتهم القويمة ، ويعرف اتجاهاتهم ، ويحترم شخصياتهم ، ولا يستبد بهم كاستبداد المالك الأرعن في ملكه ، فإننا مع هذا لا ننسى مطالبة الولد بأن يكون مع والديه صاحب أدب ووفاء وتوقير ، ولو علم الأبناء مبلغ الحسرات التي تأكل قلوب الآباء وهم يقومون على مصالح أولادهم ، ويحنون عليهم في الحياة ، ويحرصون على نجاحهم بين الناس ، لما أضاف الأولاد إلى هذه الأعمال أعمالا أخرى من الجحود والنكران ، ولحرصوا كل الحرص على أن يكونوا من أهل الوفاء مع هؤلاء الآباء !! . . .

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

المركز الثقافي الإسلامي بلندن

نشرت مجلة الأزهر جزء رمضان سنة ١٣٧٧ أن منصب مدير المركز الثقافي الإسلامي بلندن ظل شاغرا بعد الدكتور علي حسن عبد القادر حتى الآن ، والواقع أن المرحوم الأستاذ الدكتور حمودة زكي غرابة المدرس بكلية أصول الدين ، خلف الدكتور علي حسن عبد القادر في هذا المنصب من أغسطس سنة ١٩٥٤ ، وظل يزاول عمله حتى توفي إلى رحمة الله سنة ١٩٥٦ ، ثم تولاه من بعده الأستاذ إبراهيم عبد الحميد المدرس بكلية الشريعة من أكتوبر سنة ١٩٥٦ إلى سبتمبر سنة ١٩٥٧ ، وفي فترة انقطاع العلاقات بين مصر وإنجلترا بسبب العدوان الثلاثي ، وقد تريثت مشيخة الأزهر في تعيين خلف له حتى يتهيأ الجو الملائم ، وقد وقع اختيارها أخيرا على الأستاذ الشيخ سليمان سيد أحمد دنيا ، لشغل هذا المنصب .

حصوننا مهددة من داخلها

فى الجامعة العربية

— ٣ —

تقوم اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية على ترجمة عدد من الكتب الأوروبية والأمريكية إلى العربية وتنفق على طبعها ونشرها . فما هي الصفات والمميزات التي تتوخاها اللجنة فيما تختاره للترجمة من هذه الكتب ؟ لاشك فى أن الميزة التي ينبغي أن تراعى فى اختيار هذه الكتب هي مصلحة العرب . وذلك بأن تكشف لهم ما ينفعهم وتدارك مافاتهم مما سبق إليه غيرهم ، مما كان سبقهم فيه سبب تفوقه وسيادته ، وكان تخلفنا فيه سبب ضعفنا واستعبادنا . ولا شك فى أن العرب أنفسهم هم أقدر الناس على إدراك ما يصلحهم وهم أحرص الناس عليه . فليس من المعقول مثلا أن يكل أمر هذا الاختيار إلى إحدى دول الاستعباد الغربي مثل أمريكا أو انجلترا أو فرنسا أو أسبانيا أو هولندا أو بلجيكا ، ثم نطمع أن يرشد هؤلاء العرب مخلصين إلى ما ينفعهم ، وما يترتب عليه استنقاذهم من سيطرتهم ، واستقلالهم باستغلال خيراتهم ، وخراب ما يعبث فى بلادهم من شركات ، وبوار ما يروج فى أسواقهم من المنتجات الصناعية على اختلافها ، وانقطاع ما تنتفخ به جيوبهم وبطونهم من بترول هذه البلاد وخيراتها المعدنية والزراعية .

ومن الواضح أنى حين أتكلم عن الغرب أعنى الغرب كله ، غربيه وشرقيه . الذين استعمرونا واستعبدونا فى الأمس الغابر ولا يزالون ، والذين يطمعون فى استغلالنا واستعبادنا فى الغد القريب أو البعيد ، الذين يغزون أسواقنا والذين يحاربون عقائدنا . من الواضح أنهم جميعا سواء ، وإنما يبدو حديثي فى معظمه موجها إلى فريق منهم دون فريق ؛ لأن ذلك الفريق — والمقصود به هو المعسكر الأمريكي وحلفاؤه من الانجليز والفرنسيين خاصة — يمثل الخطر الراهن الماثل ، ولأن عملاء هذا المعسكر هم أقدم سماسرة وأعرقهم فى هذه الحرفة الدنيئة ، وقد رشحهم هذا القدم وهذه العراقة — دون سادتهم ومصاص عصابتهم — لاحتلال كثير من المراكز الخطيرة فى حصوننا ، ونحن حين نوجه النظر إلى الخطر الراهن

المسائل لا ينبغى أن نغفل عن الخطر المتربص الذى يتحين الفرص ، وهذا الخطر المتربص مؤامرة من نوع آخر لا أحتاج لأن أكشف القناع عن وجوههم لأنهم غير مقنعين .

ونعود لما كنا فيه فنقول : إن من غير المعقول أن تختص دولة من دول الاستعمار بما تنصح به العرب من اختيار النافع من الكتب ، الذى يؤدى إلى نهضة حقيقية . وليس من الإنصاف أن نؤاخذهم على التقصير فى ذلك أو الغش فيه ، فلا ينبغى أن نتوقع منهم أن يخربوا بيوتهم بأيديهم ، وأن يضعوا رقابهم فى حبال المشانق طائعين مختارين . العرب وحدهم هم الأمناء على مصالحهم ، لا يصلح للقيام عليها سواهم ولا يؤتمن على هذه الأمانة غيرهم . فاختيار الكتب التى تترجم إلى العربية يجب أن يوكل إلى علماء العرب وحدهم . تلك كلها من المسلمات التى لم أكن أحتاج لأن أطيل القول فيها ، لولا أن هذا الذى يبدو فى عقول كل الناس من الحقائق الواضحة التى تبلغ درجة المسلمات لم يكن يبدو كذلك فى عقول المشرفين على التوجيه الثقافى بجامعة الدول العربية . هل يعقل عاقل منصف أن يلجأ العرب إلى السفارة الأمريكية مثلا لتختار لهم من الكتب ما تراه نافعا للعرب ومحققا لنهضتهم ، ومعينا على طرد اليهود وإجلائهم ، ومصفية شركات البترول وخرابها ؟ لقد فعلت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ذلك ! استوحت السفارة الأمريكية فى بعض ما اختارته للترجمة ، واستوحت اليونسكو فى بعضه الآخر . وهى نفسها تعترف بذلك حيث تقول فى نشرتها الثقافية التى عرضت فيها نشاطها بين سنتى ١٩٤٦ ، ١٩٥٦ : (كذلك اتفقت الإدارة الثقافية بعد موافقة المكتب الدائم على أن تتولى نشر بعض الكتب الهامة المقترحة بمعرفة القسم الثقافى بالسفارة الأمريكية . وقد قدمت فعلا إلى الطبع على هذا الأساس أصول كتاب مترجم إلى العربية ، ويشتمل على مقالات للكاتب الأمريكى الحكيم إمرسون — ص ٢٥ [1]) . وتقول كذلك : (اتصلت الإدارة الثقافية ببعض الهيئات العالمية المختصة [2] ، وحصلت منها على كشوف بأسماء الكتب التى تراها تلك الهيئات

---

[1] طبعت اللجنة بعد ذلك كتابين آخرين مما أوحت به السفارة الأمريكية وهما : (القيادة والحرية) لجون ديوى ، الذى أسس للأمريكان تربية شبابها وأهم ... ، و (انتصار الحضارة) لبرستد الذى أوفده المليونير اليهودى المستتر تحت النصرانية روكفلر فى سنة ١٩٢٦ ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس معهد للدراسات الفرعونية يحث على سلخ مصر من عروبتها

[2] المقصود بها هيئة اليونسكو التى يسيطر عليها — كما هو الشأن فى أكثر مؤسسات الأمم المتحدة — الصهيونية العالمية الهدامة

داخله في إطار هذا البرنامج) . وسوف أعرض في هذا المقال نموذجين من هذه السموم التي تدس على العرب باسم خدمتهم في كتابين ، أحدهما مما أوصت به السفارة الأمريكية وهو (مختارات من إمرسون) ، والآخر مما أوصت به اليونسكو وهو (قصة الحضارة) لول ديورانت . وقبل أن أتناول هذين الكتابين أحب أن أؤكد لجامعة الدول العربية ولجنتها الثقافية الموقرة التي يرأسها طه حسين أن العرب لم يغلبوا من ضعف في الفلسفة ولا الآداب ولا التاريخ . ولكنهم غلبوا وضربت عليهم الذلة لأنهم متخلفون في العلوم التجريبية المادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية ، النظرية منها والتطبيقية . غلبوا لأنهم لا يملكون من المصانع ومن أدوات القتال ما يناهضون به عدوهم وما يتحررون به من حصاره الاقتصادي ، الذي يسخرهم فيه لجمع الثروات له كما يسخر العبيد ثم يحاربهم بهذه الثروات نفسها ، ويشتري بها من رجالهم من يقوم على حراسة هذا السجن الكبير ، ويقيم فيه معبدا يسبح كهنته بحمد آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، وينكل الذين ينبهون النائمين والغافلين والمخدوعين إن كان صاحب سلطان ، أو يطاردهم بالإشاعات الكاذبة والأباطيل الباطلة حتى يلبس على الناس أمرهم ويضعهم موضع السخرية والاستهزاء .

إن الجماعات البشرية في الدول والأمم والملل ، والجيوش في ميادين القتال ، والفرق الرياضية في الساحات ، تميز نفسها بمختلف الشارات ، فتتخذ الأعلام والأناشيد وأنماط الأزياء والعلامات والأشعرة ، تفعل ذلك لتميز نفسها من غيرها فلا تضل في الزحام ، ولا تذوب عند الاختلاط ، ولا تحل رابطتها عند المصادمة والنزال .

والعرب طابع يميزهم ، ولهم شخصية قد سلبوا منها في عصور الضعف والخمول وأسلمهم عنها المستبدون وأذنابهم . ولن تتحقق لهم نهضة إلا إذا أحيوا هذه الشخصية ، وتمسكوا بمقوماتها ، وتعصبوا لرموزها وشاراتها ، وميزوا أنفسهم بطابعهم الخاص . وسيظلون بغير ذلك أذنابا للمستعبدين ينقادون ولا يقودون ، وأبواقا يكررون ما يلقى إليهم من قول ويرددونه في الأجواء لا يريد منهم فيه من غير تصحيحه . ذلك لأنهم لا يبتكرون حتى يحسوا في أنفسهم القدرة على الابتكار ، وحتى يكونوا جميعا متماسكين مستمدين من اجتماعهم وتماسكهم قوة . وهم لا يحسون القدرة على الابتكار إلا إذا استيقنوا أنهم عريقون في هذا الباب . ولا يجتمعون ويتماسكون إلا إذا عرفوا خصائصهم الأصيلة التي تمنعهم من أن يذوبوا في غيرهم فتذهب قواهم شعاعا وتتفرق بددا .

لا يباح للعرب مواجهة الأساتذة في هذه العلوم الحديثة التي أدخلها عدوهم بتفوقه عليهم فيها إلا إذا أصبحت هذه العلوم ملكا لهم . وهم لا يملكون هذه العلوم ولا يحسون أنها علوم عربية إلا إذا قرءوها بالعربية وكتبوها بالعربية ، وسيظلون يحسون أنهم غرباء عنها وأنهم متطفلون على أصحابها طالما ظلوا يقرءونها ويكتبونها بغير لغتهم .

ولكن اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، وعلى رأسها طه حسين الذي تشهد كتبه أنه لم يكن إلا بوقا من أبواق الغرب ، وواحدا من عملائه الذين أقامهم على حراسة السجن الكبير ، يروج لثقافته ويعظمه ، ويزهد قلوب العبيد ليجمعهم على عبادة جلاديهم . طه حسين الذي لم يمل من الكلام عن جامعة البحر الأبيض المتوسط ، التي دعت إليها فرنسا بالأمس والتي تدعو إليها أمريكا اليوم . طه حسين الذي زعم لمصر أنها جزء من البحر الأبيض المتوسط في مقومات شخصيتها ، وليست جزءا من عرب نجد واليمن والبحرين والعراق والسودان . طه حسين الذي لم يجد العرب في وحدة أمة ، لأن قوام الدول في زعمه هو المنافع المادية ، ولأن (تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ، ولا قواما لتكوين الدول [١]) . طه حسين هذا لا يقر معنا هذه الحقيقة ، لأنه يزعم للعرب أن السبيل إلى نهضتهم ليس هو ترجمة العلوم ، ولكن السبيل إلى نهضتهم أن يذوبوا في الغرب ، وأن يخلعوا من أنسابهم ويخلعوا من تربتهم ليزرعوا في تربة الغرب ، ولذلك فهو يهلك أموالهم في ترجمة شكسبير الذي ترجمت رواياته من قبل أكثر من مرة ليعابث بها طاقته وحريته فيدفق عليهم مما تحت يده ، بل هو يهلك أموالهم في ترجمة ما لعن به أجدادهم ، وما سب فيه أسلافهم ، وسفه دينهم ، وافترى على نبيهم .

ولو أنصف طه حسين ، ولو أنصف كل القائمين على الترجمة في هذا البلد من مثل إدارة الثقافة بوزارة التربية ومجلس الآداب وغيرهما ، لجعلوا كل همهم مصروفا إلى نقل العلوم التجريبية والرياضية وحدها لا يشتغلون بترجمة غيرها حتى نستكمل نقصنا فيها ؛ لأن الاشتغال بنقل كتب الأدب والفلسفة والتاريخ والتربية والأخلاق وما شاكلها من

---

[١] مستقبل الثقافة في مصر ص ١٩ ، ويراجع في بسط الفكرة كلها الفقرتان الثانية والثالثة ص ١٢ – ٢٠ من طبعة المعارف سنة ١٩٤٤ .

الثقافات الإنسانية ، على هذا النحو الذى تسوده الفوضى وسوء الاختيار بل سوء القصد فى كثير من الأحيان ـ نضر مرتين ، نضر بإفساد أذواق شبابنا وتسميم كيانهم ، وتحويل شخصيتهم بحيث يصبحون غرباء بين قومهم ، ثم يصبح قومهم بعد قليل هم الغرباء بينهم حين يكثر عددهم ويكثف حشدهم . ونضر مرة ثانية بتبديد الجهد والمال من غير وجهة وصرف العرب عن الطريق الصحيح إلى تحررهم ثم سيادتهم . ولو كان لى أن أقترح على اللجان الثقافية والهيئات الحاصية عن احتلالها ، لاقترحت أن يعمدوا بترجمة كتب المراجع فى الطب والهندسة والعلوم والزراعة التى يدرسها طلاب الجامعات العربية . فهم بذلك يصيبون غرضين : إنهم ييسرون سبل العلم لطلبة العرب ويخففون عن آبائهم بعض الأعباء ، بإغنائهم عن الطبعات الأوربية الباهظة الثمن ، والتى لا يتيسر وجودها فى كثير من الأحيان ، لأن أصحابها يستطيعون أن يمنعوا تصديرها إلينا حين يشاءون . وهم فى الوقت نفسه يخطون بهذا العمل خطوة واسعة نحو تعريب هذه العلوم التى لا تزال تدرس فى جامعات مصر باللغة الإنجليزية .

وقد كان أنصار اللهجات السوقية ودعاة تطوير العربية الفصحى فى قواعدها وأساليبها ومفرداتها ، من غربيين ومن عرب مستعربين ، كانوا ولا يزالون يستندون فى دعوتهم إلى ما يسميه بعضهم (ازدواجا) ، ويزعمون أننا نقرأ ونكتب بغير اللغة التى نتكلمها ، وذلك عندهم هو السبب فى تخلفنا العلمى والثقافى الذى يحول بيننا وبين التفوق والنبوغ . ومن عجب أن هؤلاء العباقرة قد اكتشفوا هذا العيب الخطير فى عربيتنا الفصحى وحدها ، ولم يكتشفوه فى الإنجليزية أو الفرنسية ، فلم نسمع صوتا واحدا منهم ينبه إلى الازدواج الناشئ عن قراءة الجامعيين العرب ـ أساتذة وطلابا ـ وكتابتهم بالإنجليزية أو بالفرنسية ، فهل يرون الازدواج فى المراوحة بين السوقية والفصحى مع قرب ما بينهما ، ولا يرونه فى المراوحة بين الإنجليزية والعربية أو الفرنسية والعربية مع بعد ما بينها وبينهما ؟ .

ولنعد من بعد إلى حديثنا عن الكتابين اللذين أشرت إليهما من قبل لأقول : إن جامعة الدول العربية حين استوحت السفارة الأمريكية فى أحدهما ، واستوحت اليونسكو فى الكتاب الآخر ، قد رجعت فى حقيقة الأمر إلى السفارة الأمريكية مرتين . رجعت مرة إلى السفارة الأمريكية التى ترفع فوق دارها العلم الأمريكى ، ثم رجعت مرة أخرى إلى السفارة الأمريكية التى ترفع علم الأمم المتحدة ، وإن شئنا الدقة قلنا : إنها لجأت

إلى اليهودية العالمية المتآمرة فى الخالين ، لتختار لها أشد الكتب تمسكا بالدين والأخلاق وأصلها فى قتل الشخصية العربية ومحو مقوماتها وتدمير تفكيرها وتسميم ينابيع الثقافة فيها ، ومن أراد الدليل على صدق ما أقول فليرجع إلى الكتابين اللذين أشرت إليهما ، فسيجد فيهما الكيد للإسلام وللمسيحية وكل دين صحيح ظاهرا وخفيا ، وسيجد أن اليهودية وحدها هى التى سلمت من كيد المؤلفين وحدتهما ، وسيجد الثناء على اليهودية واليهود تصريحا وتلميحا . يجد ذلك فى مثل إشارة إمرسون إلى يوم السبت الذى يسميه (يوم الدين) ويظهر الحزن والأسى لأنه (فقد الآن عند القسس معناه الطبيعة — ص٧٧) ويجده فى مثل قوله (إنى لأتطلع إلى الساعة التى يتكلم فيها فى الغرب كل ذلك الجمال العلوى الذى احتضنت به أرواح أولئك الشرقيين ، وبخاصة أولئك العبريين الذين تحدث الأجيال من خلال شفاههم لكل زمان .. وإنى لأتطلع إلى المعلم الجديد الذى يتابع هذه القوانين المشرقة — ص ٩٠) . ويجده كذلك فى عرض ول ديورانت لتاريخ اليهود عرضا جذابا مثيرا للعطف والمحاباة فى أخره الثانى من هذه القصة التى أثارها بالحديث (ص ٣٢٦ وما بعدها) ، وفى اعتماد المؤلف الشديد على المؤرخ اليهودى يوسيفوس ، وعرضه تاريخ اليهود من زوايا تثير العطف والإعجاب فى كل مكان من الكتاب [١] ، وذلك فى مقابل ما يصبه ول ديورانت من التهم البذيئة على شخصى محمد والمسيح الكريمين عليهما صلوات الله وسلامه فى الجزءين الحادى عشر والثالث عشر من هذه القصة ، وفى مقابل تهكم إمرسون اللاذع وسخريته المرة بالمسيحية ورجالها وطقوسها . ألا يذكرنا ذلك كله بالتهم البذيئة الموجهة إلى شخصى المسيح عليه السلام وأمه رضى الله عنها فى التلمود الذى يقدسه اليهود أكثر من تقديسهم التوراة ؟ ثم ألا يذكرنا كذلك بالمادة الخامسة من خطة الصهيونية السرية التى عرفت فيما بعد باسم (بروتوكول حكماء صهيون) حيث تتحدث عن (حكم الجماهير والأفراد عن طريق عبارات ونظريات وقواعد للحياة معدة إعدادا ماهرا وعن طريق شتى أنواع الخداع والحيل) ، ثم تقول بعد قليل : (وبقدر ما نعلم فإن المجتمع الوحيد الذى يستطيع الوقوف فى وجهنا فى مضمار هذا الفن هو مجتمع اليسوعيين ، إلا أننا قد توصلنا إلى الحط من قدرهم فى

---

[١] تراجع أمثلة ذلك فى صفحات ١٣ ، ١٤ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٦ من الجزء الحادى عشر [الجزء الثالث من المجلد الثالث]

نظر الجماهير الحمقاء بتوكيدنا لهم أنهم منظمة زائلة ، بينما وقفنا نحن وراء الكواليس وحرصنا على أن تبقى منظمتنا مستترة خفية [١] .

يهدم إمرسون الدين والتدين من جذوره تحت ستار الدعوة إلى الحرية وإلى استقلال الشخصية . وأما ول ديورانت فهو يهدمه من طريق تجريح الرسل الأطهار وإثارة الغبار حول سيرهم . على أن الكاتبين كليهما يشتركان في هدم النبوات وإنزال الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه إلى مرتبة العباقرة والكتاب والمصلحين .

يستدرج إمرسون المخدوعين من القراء وضعاف الإيمان بالثناء على موسى وعيسى عليهما السلام ، ولكنه يزعم لهم أن الدين يتجدد دائما ، وأن الأنبياء كانوا ولا يزالون . (ص ٦٩ ، ٧٠) . ولذلك فهو ينعى المسيحية التي أزالت عن المسيح عليه السلام (المسيحية التاريخية — ص ٧١) ، ويعد فيما يعدده من أخطائها أنها تهتم بشخص المسيح اهتماما مبالغا فيه ، وأنها تبالغ كذلك في الاهتمام بالطقوس دون جوهر الروح . ومن أجل ذلك صار الناس في زعمه (يتحدثون عن الوحي كأنه قد أوحي به وانتهى من عهد قديم ، كأن الله قد مات — ص ٧١ إلى ٧٤) . ولا يزال هذا الصهيوني الهدام يستدرج قارئه حتى ينتهي به إلى النتيجة المدمرة التي يريد أن يسوقه إليها ، وهي هدم كل الديانات ، باعتبار الوحي ظاهرة مألوفة تتكرر في كل زمان ومكان ، وذلك حين يقول : (ومن واجبي أن أقول لكم إن الحاجة إلى إلهام جديد لم تكن في أي وقت من الأوقات أشد مما هي الآن — ص ٧٥) ، وحين يقول بعد ذلك : (إن جمود الدين ، والزعم أن عصر الإلهام قد ولى ، وأن الإنجيل قد استغلق ، والخوف من الحط من شخصية المسيح بتمثيله في صورة رجل ، كل ذلك يدل في وضوح كاف على خطأ علمنا بالدين . وواجب المعلم الصادق أن يرينا أن الله كائن اليوم ، لا كائن فيما مضى ، وأنه يتكلم لا تكلم

---

[١] الترجمة العربية ص ٤٦ — ٤٢ من طبعة « كتب سياسية » — العدد الخامس . ويجب أن ينتبه المسلمون إلى أن الأساليب التي استخدمتها الصهيونية في هدم المسيحية وهدم سلطانها وسلطان رجال الكنيسة من قلوب المسيحيين هي نفسها التي تتخذها الصهيونية الآن لمحاربة الإسلام وإبعاده عن نفوس خاصتهم وجماهيرهم وإضعاف سلطان الإسلام على نفوس عامتهم . ويقوم هذا الأسلوب على السخرية بعلماء الدين وتصويرهم بصورة الجهلاء الجامدين تارة ، والمنافقين المتملقين للسلطان وطغاتهم تارة أخرى ، وبإثارة الشكوك الواهية حول قواعد الإسلام وأحكامه ليوهموا مجادليهم أنها لم تعد كافية لما تطلبه المجتمع الحديث .

وانسهى – ص ٨٣) . ما الفرق بين كلام هــذا الرجل وبين كلام القسيس الأمريكى ميلر بروز فى الــكتاب الذى نشرته مؤسسة فرانكلين باسم « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » ؟ وما الفرق بينه وبين كلام القسيس الأمريكى الآخر هاورلد سمث فى ذلك الــكتاب نفسه (ص ٤٧ ، ٧٤) ؟ ألا ترى أن واردات أمريكا تهــدف جميعا إلى زعزعة إيمان الناس بديانتهم ، وجعل المسلمين فى هــذه المنطقة مسلمين بأسمــائهم وأسمائهم وشهادات ميلادهم ، لا يريدون من ذلك ولا يتجاوزونه ؟ هذا هو الهدف الهدام الذى تخفيه أردية الــكهنوت السوداء – وإمرسون أحد أصحــاب هذه الأردية . فهو ينتمى إلى أسرة يحترف كثير من أفرادها الكهنوت ، وقد تخرج هو نفســه فى مدرسة هارفارد الدينية سنة ١٨٢٩ ، وبدأ حياته راهبا لــكنيسة كان أبوه يقوم بالوعظ فيها ، ثم طردته الــكنيسة لمـا شاع إلحاده . وما يعنى هذه الأردية السوداء أن تخدع الناس عن حقيقة الدين بلبوسها ، إنهم مدسوسون على الناس ، دسّتهم عليهم الصهيونية العالمية الهدامة .

ومن وجد فى هـــذه الحقيقة شيئا من الغرابة فليقرأ الرسالة التى بعث بها كبير حاخامى اليهود فى القسطنطينية إلى يهود فرنسا سنة ١٤٨٩ حين تعرضوا لاضطهاد لويس الثــانى عشر . فقد قال لهم : (إنكم تذكرون أن ملك فرنسا يريد أن تصبحوا مسيحيين فعليكم إذن أن تفعلــوا .. إنكم تذكرون أنهم يريدون الاستيلاء على ممتلكاتكم ، فاجعلوا من أبنائكم تجارا ، وبواسطة التهريب ستطيعون شيئا فشيئا الاستيلاء على ممتلكاتهم ، إنكم تشكون من أنهم يحــاولون اغتيالــكم ، فاجعلوا من أبنائكم أطباء وصيادلة ، حتى تتمكنوا من القضاء على حياتهم دون أن يخشوا عقابا . إنكم تؤكدون أنهم يهدمون معابدكم ، فحــاولوا أن تجعــلوا من أبنائكم كهنة ، ورجال دين ، لــكى يدمروا كنائسهم ... الخ) [١] .

يقرن هذا الصهيونى الهدام رسالات الأنبياء فى كل موضع من كتابه بآراء الفلاسفة والــكتاب وأصحاب المذاهب الضالة الغاشمة فى بعض الأحيان – مثل ما جاء فى صفحات ٨٤ ، ١٢٨ ، ١٥٧ – فهى فى زعمه ليست منزلة من عند الله ، ولــكنها نابعة من عقولهم بعد أن تحرروا من أسر الآراء السائدة فى عصرهم . ولذلك فهو يحض على الاقتــداء بهم – حسب تصويره المزعوم لهم – فى الخروج على كل ما هو موقر ومقدس ممــا تقرره التقاليد وتقدسه الأديان . وذلك هو ما يسميه ذلك الهدام بالحرية وباستقلال الشخصية .

---

[١] راجع « عدو ترضا رقم ١ » ص ١٣ ، العدد ١٩ من سلسلة « كتب سياسية »

والحرية أو استقلال الشخصية التي يدعو إليها هذا الهدام هي حرية تقوم على الغلو المفرط في الفردية ، ويستطيع القارئ أن يلمس بوضوح في كل مقالات الكتاب أن وراء كل سطورها إسرافا في تقدير الفرد والفردية والحرية الشخصية في السلوك وفي التعبير عن الرأي ، ينتهي إلى أن يسمح لكل إنسان لنفسه بأن يبني عالما مستقلا ، من القيم لا يستوحي فيه غير خياله وأوهامه . مثل هـــذا الكلام لا يصدر إلا من هدام محترف ؛ لأنه يقتل الروح الجماعية التي هي أساس في كل تماسك اجتماعي ، والتي أدى فقدانها إلى ما يعانيه الناس الآن من فوضى واضطراب . فلو سمح لكل فرد من الناس أن يبني لنفسه عالما مستقلا من القيم لأصبحت مقاييس الخير والشر مقاييس فردية ، فلا يكون هناك شر هو عند كل الناس شر ، ولا يكون هناك خير هو عند كل الناس خير . وعندئذ لا يصبح هناك مجتمع ، ولا يكون هناك إلا الفوضى والخراب .

والأمثلة على هذه الدعوة الهدامة التي هي بمكان اللب من هذه المقالات التي ترجمتها الجامعة العربية بمشورة السفارة الأمريكية غلاة الكتاب ، أستطيع أن أقدم بعض نماذج منها على سبيل التوضيح لا الحصر .

وإلى اللقاء في الجزء الآتي إن شاء الله .»

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربي الحديث
بجامعة الإسكندرية

هي من عند الله

قال المؤرخ البريطاني الشهير مستروارت :

« إن محمدا (صلى الله عليه وسلم) هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تزيد عن ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم ، وأن يقلب التاريخ رأسا على عقب ، وأن يكبح جماح أمة أضجرت الصحراء المحرقة سكانها ، واشتهرت بالشجاعة ، ورباطة الجأش ، والأخذ بالثأر ، واتباع آثار آبائها ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على أمرها . فمن الذي يشك أن القوة الخارقة للعادة التي استطاع بها محمد أن يقهر خصومه هي من عند الله ؟ . . . . »

المسئولية فى الاسلام

— ٤ —

تحدثت فى مقال سابق عن مسئولية النساء عن بيوت أزواجهن ، وذكرت أن من هذه المسئولية رعاية المرأة لمال زوجها وحسن تعهدها وعدم إسرافها فيه ، وكأنى ببعض النساء يقلن : ومـاذا تعمل المرأة إذا ابتليت برجل شحيح يقتر عليها وعلى أولادها فى النفقة ، أتمد يدها إلى الغير ، أم ماذا تصنع ؟ وإنى أقول لهؤلاء : إن الشريعة السمحة ، قد جعلت لكل عسر مخرجا ، وهو أن تأخذ المرأة من مال زوجها المقتر بغير إذنه ما يكفيها ويكفى ولدها بالمعروف شرعا وعرفا بغير إسراف ولا تبذير . والأصل فى هذا ما رواه البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها : « أن هندا بنت عتبة قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى ، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ، فقال : خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » .

ومسألة أخرى تهم النساء اللاتى يصدرن فى تصرفاتهن عن الدين والشريعة وهى : هل للمرأة أن تتصدق من طعام بيتها ومال زوجها أو تعير بعض متاعه بغير إذنه ؟ والجواب أن ما جرت العادة بتسامح الزوج فى التصدق به وإعارته فلا ضير على الزوجة فى التصدق به أو إعارته ، وذلك كالرغيف والإدام والقدر والملح والصحن وما شابه ذلك ، بل هى مأجورة على ذلك ، ففى الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة فلها أجرها بما أنفقت ، وللزوج بما اكتسب ، وللخازن مثل ذلك » . وأما ما جرت العادة بعدم التسامح فيه ، فليس للزوجة أن تتصرف فيه إلا بإذن الزوج ورضاه ، وإلا كانت الزوجة بتصرفها متسببة فى تعكير الحياة الزوجية الصافية .

ومن المسئوليات التى جعلها الله أمانة فى أعناق النساء ، رعاية الأولاد وحسن القيام على تربيتهم تربية دينية ودنيوية صحيحة ليس فيها جناية على الدين ولا هدم للأخلاق ؛ والزوجة أقدر من الرجل بحكم ملازمتها الطويلة لبنيها — على حسن التوجيه ، فلتحرص

أيتها النساء أن لا يرى مسكن الأولاد إلا كل حسن ، وأن لا يسمعوا إلا كل حسن ، فتمنعي من الألفاظ النابية وتجنبي ما استطعت النزاع أو الشجار مع الأزواج أمام الأولاد حتى لا يتطبعوا على هذا الخلق المشين من الصغر ويتأثروا على هذا النوع المزرى من المعاملة .

وشيء آخر أحب أن أسوقه إليك أيتها المرأة المسلمة العاقلة ، وهو رعاية حقوق أهل الزوج وإكرامهم ولا سيما الحماة ـ أم الزوج ـ فلولاها ـ بعد الله ـ لما كان الزوج ، وبسبب عنايتها ورعايتها لزوجك تمتعت به وبأنسه ، وقد أضحى الخلاف بين الزوجة والحماة من الأمراض الاجتماعية الخطيرة ، وطالما قوض أسرا وبيوتا ، وليس من خلق الإسلام وسماحته أن تستأثر الزوجة بزوجها دون أهله وذوى رحمه ، فافرضى نفسك حماة ، وعاملى حماتك بما تحبين أن تعاملى به أنت لو كنت حماة .

مسئولية الخادم :

ومن المسئوليات التى تكفل بها الحديث الشريف مسئولية الخادم عن مال سيده وأهله وولده ، وسواء أكان الخادم ذكرا أم أنثى ، فعليه أن يراقب الله فى مال سيده ومخدومه فلا يخونه ولا يضيعه ولا يسرف فيما وكل إليه الإنفاق منه . ومثل مال السيد والمخدوم فى وجوب الحفظ والرعاية ، أهله وولده بأن ينزلهم من نفسه منزلة محارمه فلا يمد إليهم طرفا ، ولا يكشف لهم سترا ، ولا يفشى لسيده ولا لهم سرا ، ولا يطرق لهم بيتا بغير استئذان أوقات نومهم وراحتهم ، والخادم الأمين إذا أدى حق الله وحق سيده كان له أجران : أجر القيام بحقوق الله ، وأجر القيام بحقوق السيد .

وأهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الخادم العفة والأمانة والصدق فى القول والإخلاص فى العمل ، وقد خدم السيد الجليل أنس بن مالك رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كذب ولا غش ولا خان ولا نكث بامهد ولا أفشى لرسول الله ولا لأهل بيته سرا . روى مسلم فى صحيحه عن أنس قال : أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الصبيان ، فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجته فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ما حبسك؟ فقلت بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة . قالت ما حاجته ؟ قلت إنها سر قالت : لا تخبرن بسر رسول الله أحدا ، وعسى أن يكون فى هذه القصة عبرة وعظة لهؤلاء الذين يفشون أسرار البيوت والأسر ولا يراعون فى هذا إلا ولا ذمة .

ولعل مما يجب أن يعرف في هذا المقام أن الخادم إذا كان ذكرا وبلغ الحلم أو راهق فلا يحل له أن يرى من زوجة سيده وبناته إلا ما يراه الأجنبي منهن ، فلا يرى غير الوجه والكفين والقدمين ، ولا يحل للزوجة وبناتها أن يظهرن له غير هذه الثلاثة . وكذلك لا يجوز للخادمة أن تظهر لمخدومها أو لأولاده الذكور البالغين شيئا من محاسنها وجسمها غير هذه الثلاثة . وإلا وقعت فتنة في البيوت وفساد كبير مما نربأ القلم عن الخوض فيه ، وقد كفانا مؤنة الخوض في هذا ما تنشره بعض الصحف والمجلات من مهازل ومآسي في هذا المزلق الخطير ، وإنا نربأ ببيت إسلامي أن تجري فيه هذه المآسي في غفلة من الرجل أو الزوجة ، ونرجو أن يفتح راعي البيت وراعيته عينيهما لكل ما يجري في البيت ، وإلا فعما قليل يندم حيث لا ينفع الندم . وبحسبنا هذه الإشارة ، ورب إشارة أبلغ من عبارة .

حق الخادم على مخدومه :

ولقد جعل الإسلام للخادمين على المخدومين حقوقا ، وأوصى بهم الرسول خيرا مما لم يعهد في شريعة من التشريعات حتى المستحدثة منها . وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إخوانكم خولكم — أي خدمكم — جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » . ولقد ضرب رسول الله في هذا مثلا عاليا ، فقد كان يجالس الخادم ويؤاكله ويعينه على عمله ولا يكلفه ما يشق عليه . وهذا هو أنس يقول : « خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله ؟ » ويوصي رسول الله الناس بالخدم وصاة مبنية على علم بالنفوس وخبرة بها فيقول : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليطعمه لقمة أو لقمتين ، فإنه ولي علاجه » . فلا تعجب إذا كان الكثيرون من الصحابة كانوا يطعمون مماليكهم وخدمهم مما يأكلون ويلبسونهم مما يلبسون ، حتى لقد رؤي أبو ذر رضي الله عنه عليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها . ولا تعجب أيضا إذا كان الخدم كانوا على غاية من العفة وكرم النفس والإخلاص ، وكتم الأسرار والأمانة الفائقة وإن نظروا إلى السيد وأهله نظرهم إلى الوالد والأهل » .

مسئوليات أخرى :

ولئن كان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في هذا الحديث الكريم أربع مسئوليات فليس

ذلك على سبيل الاستقصاء، وإنما هو من قبيل الاقتصار على ذكر أعظم المسئوليات وأولاها بصلاح الأمم والأسر، وليس أدل على هذا من أن النبي صلى الله عليه وسلم ختم الحديث بهذه الكلمة الجامعة: «ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». فالمعلم راع على من تحت يده من التلاميذ في تثقيفهم وتمكينهم وتسليكهم سلوكاً صحيحاً، وإعدادهم لحمل الأمانة في غدهم، وهو مسئول أمام الله وأمام ضميره وأمام الإمام الأكبر، والزارع في مزرعته راع على ما تحت يده من عمال ومزروع ومزروع، وهو مسئول عنها وعن إحسان التصرف فيها وأداء حقوق الله وحقوق الناس فيها. والصانع في مصنعه راع على من تحت يده من صناع ومصنوعات وهو مسئول عنها أأتقن الصناعة أم زيفها؟ وهل قام بما يجب عليه نحو وطنه من إعداد العدة للأعداء والاستعداد ليوم الجهاد والكفاح؟ والتاجر راع على تجارته في حسن تصريفها والعمل على حفظها من التلف والهدر ومسئول عنها، أصدق في القول وأدى الحقوق ووفى بالعهود أم كذب وغش وخان واكتسب الأموال من طرق الحرام؟ هل نزه أمواله عن المعاملات الربوية، ولم يدهور نفسه في الشره والطمع والجشع والاحتكار، وهكذا دواليك حتى تأتي على كل الرعايات.

وبعد فلعلك – يا أخي القارئ الكريم – آمنت معي أن هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، وأن الشريعة الإسلامية ليست عبادات فحسب، وإنما هي لكل شئون الدين والدنيا، وأنها لم تدع شأناً من شئون الحياة جليلها وصغيرها إلا حثت عليه أو نبهت إليه، وأننا – معشر المسلمين – ما أوتينا إلا من جهة التفريط فيها وعدم العمل والتمسك بها، وصدق الرسول الكريم حيث يقول: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي» ا ﻫ

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

اللغة العربية في النمسا

نظم المكتب الثقافي للجمهورية العربية المتحدة في فيينا دروساً في تعليم اللغة العربية للنمسويين الراغبين في تعلمها، وقد قررت وزارة التربية والتعليم تعميم مهمة المكتب الثقافي العربي وتزويده بمجموعات كبيرة من الكتب اللازمة لهذه الدراسة.

عقائد اليوم الآخر

كما قررها الإسلام

كانت الأمم قد ضلت في عقائد اليوم الآخر ضلالا بعيدا ، وسلكت في ذلك مسلكين من مسالك الضلال والانحراف :

أحدهما : إنكار البعث والحساب والجزاء ، كما قال تعالى : « وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » . وهـذا هو مسلك الأمم التي عتت عن أمر ربها ورسله ، وقد تابعهم على ذلك الإنكار كثير من مشركي العرب .

وثانيهما : بناء الجزاء الأخروي على الأماني والأوهام ، لا على الإيمان الصادق والعمل الصالح ، وهـذا هو مسلك الأمم التي كان عندها أصل الإيمان باليوم الآخر ، غير أن هذا الإيمان دخلت عقيدته جناية التحريف والتبديل ، وطاحت بثمرته ظلمة الجهل وآفة الهوى ، فصارت قلوبهم أسود من الليل البهيم ، وأعمالهم أسوأ من الريح العقيم ، هكذا كان ضلال الأمم في عقائد البعث والجزاء ، وقد بقي هـذا الضلال دائما بينهم ، حتى جاء الإسلام بهديه وإصلاحه ، فكشف عن الهوة السحيقة التي تردى فيها المنكرون والمرتابون ، والمجاهل السحيقة التي هوى إليها المحرفون والمبدلون ، وأعاد عقائد البعث والحساب والجزاء ، إلى حقائقها التي جاء بها النبيون من قبل ، ووضح معالمها بتقرير الأصول الآتية .

الأصل الأول : أن الحياة لا دوام لها ولا بقاء ، وأن عوالمها وأنظمتها مقضي عليها بالزوال والفناء ، وقد قرر القرآن هذا الأصل في آيات كثيرة ، تارة ببيان هذا القضاء المكتوب والمصير المحتوم ، كما في قوله تعالى : « ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون » ، « كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » ، « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » .

وتارة يضرب الأمثال لحال الحياة الدنيا في اضمحلالها وزوالها ، وانتزاعها قوة واقتدارا من أيدي أهلها ، وقد اشتد طمعهم فيها وتعلقهم بها ، واستحوذت عليهم بزهرتها وزينتها ، وحملهم الغرور على الظن بأنهم قادرون عليها ، كما في قوله تعالى : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلا أو نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » . وتارة بتصوير زلزلة الساعة التي هي من مقدمات القيامة الكبرى ، كما في قوله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » . فانظر كيف أظهر القرآن زلزلة القيامة في هذه الصورة الرهيبة المروعة ، التي تذهب بالفكر في مجال الترهيب والترويع كل مذهب ، وتأمل هول ما يغشى الناس في ذلك اليوم العصيب ، من فزع تذهل له كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وذهول يجعل الناس سكارى وما هم سكارى من الشراب ، ولكن شدة الرعب والفزع ، ملكت عليهم حواسهم ومشاعرهم ، فسلبتهم قوة العقل والتفكير ، وجعلتهم في ذهول عميق وشرود بعيد .

وتارة ببيان ما يحدث عند صعق الخلائق وهمود الحياة وخمودها ، من خراب العالم وانفراط عقد النظام الكوني ، كما في قوله جل جلاله : « إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت وأخرت » ، « إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت » ، « إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا » .

الأصل الثاني : أن فناء العالم سيعقبه بعث الموتى من قبورهم ، وحسابهم على أعمالهم وأقوالهم ، ومجازاتهم عليها في دار هي جنة أبدا أو نار أبدا ، وقد قرر القرآن هذا الأصل في آيات كثيرة .

فتحدث عن اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء ، وجمع بين الإيمان به والإيمان بالله في الترغيب والترهيب ، كقوله تعالى : « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم

الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً » ، « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً » لأن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء ، من شأنه أنه يعصم النفوس من الزيغ والانحراف ، ويكبح جماحها عن الإفراط في متابعة الأهواء والشهوات ، ويحملها على عمل الحسنات واجتناب السيئات ، ويرغبها في التزود ليوم الحساب بالصالحات الباقيات ، وتحدث عن البعث وأنه واقع لا محالة ، وساعته آتية لا ريب فيها ، تارة بالأخبار المؤكدة بالقسم وغيره ، كقوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ، وذلك على الله يسير » ، فهذا القسم القرآني العظيم ، لا يدع في الفطر السليمة مجالاً للريبة والشك ، فإن من طبيعة البشر أنهم يقدسون القسم ويكبرون من شأنه ، ويعتبرونه من أقوى دلائل الحق والصدق ، ويحلون المقسم عليه من أنفسهم محل الإذعان واليقين ، وعلى ما تقدم من مكانة القسم وقداسته في نفوس البشر ، جاء قول النابغة الذبياني أحد شعراء الجاهلية في قصيدته التي يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

وإذا كان القسم له هذه المنزلة من التقديس والتعظيم ، فكيف يكون شعور النفس بجلال المقسم ومبلغ دلالته على الصدق ، إذا كان المقسم إنما هو الصادق الأمين ، والمقسم به هو الله رب العالمين ، والمقسم عليه هو الحق الذي بعث الله به النبيين والمرسلين ؟ .

وتارة يلفت عقول المخاطبين إلى ما بين أيديهم من دلائل البعث ، كقوله تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ، فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » ، فانظر كيف بين الله لهؤلاء المرتابين في البعث ، أنه تعالى خلقهم من تراب وذلك بخلق أصلهم وهو آدم أبو البشر ، ثم جعل خلقهم بعد ذلك من سلالة من ماء مهين وأجرى عليهم وهم في بطون أمهاتهم أطواراً مختلفة من الخلق والتكوين ، ثم قال تعالى في آية أخرى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر

فتبارك الله أحسن الخالقين » ثم أجرى عليهم في تنشئتهم أطوارا مختلفة كذلك ، من طفولة غضة ، وشباب مكتمل ، وكهولة حكيمة ، وشيخوخة هرمة ، ولفت بهذا إنسانا عقولهم وأفهامهم ، إلى أن الله الذي خلق من التراب إنسانا ناطقا ، والذي أجرى عليهم هذه الأطوار في خلقهم وتنشئتهم ، قادر بالبداهة على إحيائهم وبعثهم من قبورهم ، فما البعث إلا طور يجرى عليهم ثانيا كما جرت عليهم هذه الأطوار أولا ، كما قال الله تعالى في سورة أخرى « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » ، ثم نقلهم بعد ذلك إلى دليل آخر من دلائل البعث ، وهو أن الأرض تكون هامدة لا حياة ولا نمو فيها ، فإذا أنزل الله عليها الماء دبت الحياة في أوصالها وبعثت عناصر النماء في ذراتها ، وأنبتت من أصناف النبات ما يسر الناظرين ، فالله الذي أحيا الأرض بعد همودها وموتها ، وأخرج الزروع والأشجار بعد كونها وأصولها ، قادر بالبداهة على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم ، فما البعث إلا إحياء للعظام بعد همودها ، وإخراج للأشباح والصور بعد كونها .

ثم ثنى سبحانه على هذه الأدلة بذكر الحقائق التي تضمنتها ، ورتبها عليها ترتيب اللوازم على ملزوماتها ، وجلاها للأفهام في روعة الحق وجلال الصدق ، كالثمار التي أينعت وحان قطافها ، فتتلقاها العقول الرشيدة بالقبول والتسليم ، وتنعقد عليها القلوب السليمة عقد الإذعان واليقين ، فقال تعالى : « ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور » .

وتحدث عن الجزاء الأخروي في آيات كثيرة ، فوصف الجنة ونعيمها ، وصور حياة السعداء فيها ، كقوله تعالى : « إن المتقين في جنات ونعيم ، فاكهين بما آتاهم ربهم ، ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، متكئين على سرر مصفوفة ، وزوجناهم بحور عين » ، وقوله عز شأنه : « يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون » . ووصف النار وعذابها ، وصور حياة الأشقياء فيها ، كقوله تعالى : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا

فيها ، وذوقوا عذاب الحريق » . « إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقا » .

الأصل الثالث : أن البعث والحساب والجزاء ، شئون قضت بها الحكمة الإلهية والعدالة الربانية ، فإن من حكمة الله في إبداعه وعدله في قضائه ، أن الإنسان لم يخلق في هذه الحياة عبثا ، ولم يترك فيها سدى وهملا ، كما قال تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق ، لا إله إلا هو رب العرش الكريم » ، « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » . فهذه الحياة الدنيا بأطوارها وأجيالها ، وخيرها وشرها ، ليست هي كل ما للوجود الإنساني من حكم وأسرار ، وهذه الأجيال التي يطويها كر الغداة ومر العشي ، ليست هي الغاية التي لأجلها خلق الله الإنسان ، وهذا الموت الذي تنتهي به الآجال والأعمار ، ليس نهاية أبدية يترك الإنسان بعدها سدى ، لا يبعث ولا يحاسب ، ولا يجزى محسن بإحسانه ، ولا مسيء بإساءته ، ولا يقتص لمظلوم من ظالمه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، كما قال جل جلاله : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون » ، « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون » . وإنما خلق الله الإنسان ليكون خليفة في الأرض ، يعمرها إلى أجل مسمى ، ويحمل فيها أمانة التكليف والابتلاء ، وتجرى عليه قوانين المسئولية والجزاء ، وأعد له في معاده دار حساب وجزاء ، كما كانت الدنيا دار تكليف وابتلاء ، وقدر لكل من الخير والشر جزاء وفاقا ، يوم يقف العامل في صحن العدل الإلهي ، يوم تعرض على الله الخلائق ، وتتكشف فيه الحقائق ، يوم يقوم الروح والملائكة صفا صفا ، ويتجلى الله بالعظمة والجبروت ، وتعنو الوجوه للحي القيوم ، ولا شريك يومئذ يخطر بالبال ، ولا غفلة تحجب العقول عن رب العزة والجلال : « يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ، لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار ، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب » . ٤٠ : ١٦ — ١٧ .

الأصل الرابع : أن حساب الخلائق يوم القيامة ، سيجرى بينهم على قواعد العدل الإلهي ، وتوفية كل نفس ما عملت ، وقد قرر القرآن هذا الأصل في آيات كثيرة ، كما في قول الله عز وجل : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » ، « وأشرقت الأرض بنور ربها ،

ووضع الكتاب ، وجيء بالنبيين والشهداء ، وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

الأصل الخامس : أن الجزاء الأخروي ، مبني على عقيدة الإنسان ونيته وعمله ، وأن الناس سواسية في المسئولية أمام الله تعالى ، لا على الأماني والأحساب والأنساب ، فكل إنسان مسئول عن عمله ، ويجزى بما قدم من خير أو شر ، كما قال تعالى : « كل امرئ بما كسب رهين » ، « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » ، « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . ولا يغني أحد عن أحد شيئا ، ولا يعفيه من المسئولية أمام الله حسب ولا نسب ، كما قال تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم ، واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور » ، « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » ، « فإذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ، « يا بني هاشم لا يجيئني الناس بأعمالهم وتجيئوني بالأنساب » ، « اعملي يا فاطمة ، فإني لا أغني عنك من الله شيئا » .

بهذه الأصول الاعتقادية الحاسمة ، وبهذه الأساليب القرآنية الرائعة ، التي تصل بروعتها إلى أعماق النفوس وشغاف القلوب ، فتعطف بها القلوب النافرة ، وتلين بها العريكة المستعصية ، وتنقاد لها النفوس الشاردة ، قرر القرآن عقائد البعث والحساب والجزاء ، وجلاها للأفهام بيضاء ناصعة ، وأبطل إنكار المنكرين وارتياب المرتابين ، ونفى عنها تحريف الغالين وتأويل الجاهلين ، وأقام الحجة البالغة على الناس أجمعين .

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

على هامش مؤتمر أكرا :

افريقيـــــــا اليوم

بمناسبة انعقاد مؤتمر الدول الإفريقية في مدينة أكرا عاصمة غانه في الأسبوع الثالث من شهر أبريل سنة ١٩٥٨ لبحث الشؤون الخاصة بدول هذه القارة ، ومناصرة شعوبها المكافحة لاستخلاص حقوقها ، وتقرير مصيرها بنفسها ، والقضاء على الأعمال الوحشية التي يمثلها المستعمرون على مسرح الشعوب المستضعفة – أنقل إلى قراء مجلة الأزهر الغراء صورة تعبر عن رأى الغربيين في قارة إفريقيا ، ونظرتهم السياسية والاجتماعية إليها ، وفي الدور الخطير الذي تقوم به مصر والجامعة الأزهرية في سبيل تخليص هذه الشعوب من نير المستعمر .

لقد نشرت جريدة منبر الأمم Tribune des Nations التي تصدر أسبوعيا في باريس ، في عددها الصادر في ٢١ من مارس ١٩٥٨ مقالا للكاتب بيير كازنف Pierre Cazeneuve علق فيه على الكتاب الذي ألفه الدكتور أوجولا Aujoulat عن الكنيسة الحية Eglise vivante وعقد فيه فصلا بعنوان « إفريقيا اليوم » تحدث فيه المؤلف عن بدء استغلال الأجانب لها ، وعن تجارة الرقيق والجرائم التي ارتكبها الإنجليز والفرنسيون والهولنديون والأسبانيون والبرتغاليون في هذه الدول لصالح أمريكا ، وذكر أن الاستعمار في طريقه إلى الزوال ، ونوه بما قام به الكاردينال لافيجرى Lavigerie من جهود في إفريقيا . ثم تحدث عن التفرقة العنصرية خصوصا في الجنوب ، وذكر أن السكان الأصليين يعيشون في خارج المدن ، ويطبق عليهم نظام التفرقة في المكاتب والسيارات وقاعات الاجتماع والأماكن العامة ، بل وفي الكنائس أيضا ، ويفرض عليهم حمل جوازات مرور في داخل البلاد ، كما يحرم عليهم تكوين النقابات والتملك والشراء إلا في حدود ضيقة ، وليس لهم تمثيل سياسي مناسب ، ولا يسمح لطلابهم بالالتحاق بالجامعات إلا بصعوبات كثيرة .

ويبين المؤلف أن الكنيسة لم تقض على هذه النزعة بل إن رسالتها قائمة على هذا الأساس، مما يؤيد أن غرضها استعماري لا ديني ولا إنساني، وأشاد بالإسلام في تقريره مبدأ المساواة بين الجميع، الذي يتمثل في اختلاط العرب بغيرهم من المواطنين في شرق إفريقيا والسودان وغيرها، وتكلم عن معركة الأديان في كسب إفريقيا، وما يقوم به الغرب لمنع التمكين للشيوعية في هذه البلاد.

وقال عن الإسلام ما ترجمته : —

« وفي مقابل ذلك يزداد نمو الإسلام في إفريقيا شيئاً فشيئاً بدليل هذه الأرقام : ففي البلاد التي تحكمها فرنسا الآن يوجد المسلمون بالنسب الآتية ٩٩ ٪ من شعب موريتانيا، ٧٩ ٪ في السنغال، ٧٠ ٪ في غينيا، ٧٢ ٪ في النيجر، ٦١ ٪ في تشاد، ٥٥ ٪ في السودان، ٣٠ ٪ في ساحل العاج، ١٧ ٪ في الداهومي، ١٩ ٪ في الكمرون، ٥ ٪ في توجو، ٣ ٪ في أوبانجي، ٥,٠ ٪ في جابون والكونغو. ويمثل المسلمون حينئذ أكثر من ١٢ مليوناً من مجموع سكان المناطق الفرنسية وعددهم ٢٥ مليوناً ».

وتحدث Aujoulat عن أثر مصر والأزهر في إفريقيا فقال : —

« إن هناك شعوراً من الثورة والحماس يستولى على إفريقيا في السنوات الأخيرة بتأثير القاهرة التي تعتبر مركز إشعاع، وقد ضاعفت مصر جهودها لتربط بين المسلمين السود وبين بقية المسلمين في إفريقيا والشرق، وأصبحت مركزاً فكرياً وروحياً يفيد منه كل جزء في المناطق السوداء بفضل العشرات والمئات من الطلاب السود الذين يفدون إلى الجامعة الأزهرية، كما أن قضية السويس قد تأثر بها كثير من السود حتى المسيحيين منهم، وجعلوا منها بشير أمل في السود إلى حياة التحرر والاستقلال، وكان القرار الذي أعلنه عبد الناصر للجهاد والكفاح ضد العدو نصراً له ولجميع القارة الإفريقية، وهذا حمل عظيم يصدر عن القاهرة، ويعتمد على كثير من بلاد إفريقيا الغربية، وساحل الذهب ونيجيريا يمكنهما بعد زمن يسير أن يكونا منطقتي نفوذ كامل للقاهرة.

وحكومة ساحل الذهب ستقوم فيها جامعة عربية بمدينة أكرا التي عقد بها مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة، وقد اعتزمت إنشاء عدد من المدارس العربية في عاصمة غانا وفي داخل البلاد. والأزهر يخرج الآن كثيراً من المدرسين، وتنفق مصر بسخاء بالغ على الطلاب الذين هم في حاجة إلى إتمام دراساتهم ».

ويختم المؤلف حديثه بقوله « إن بعض المراقبين المهتمين بالشئون الإسلامية يحذرون من التيارات السياسية التي تنبع أواسطها من الشرق الأدنى ، وتنتقل من مكان إلى آخر باسم التضامن الإسلامي ، والمعارضة القوية القائمة في شمالي نيجيريا التي يسكنها ١٢ مليوناً من المسلمين ، ضد الوحدة الحقيقية الكاملة لنيجيريا تحمل في طياتها الأدلة الواضحة من وراء الحدود .

ولكنهم يتساءلون فيقولون : إن الإسلام الذي نخشاه الآن ، والذي يريده قوة وحماسا حوادث الجزائر وتوجيهات القاهرة ودمشق ، لا يبعث من جديد روح الكفاح التي حمل لواءها في السنوات الماضية الأخيرة أمثال الحاج عمر ومهد الأمين وساموري ، وإن تأشيرات المرور التي يعطيها زعيم حزب الاستقلال علال الفاسي لشباب المراكشي الذي يتقبلها بغبطة وحماس ، كتصريح باستعمال حقهم في اختراق حدود مراكش إلى سان لويس بالسنغال تسجل ضمن هذه القرائن والأمارات » .

ثم يعلق الكاتب على كلام المؤلف فيستبعد أن نخشى فريقا من قبضة الغربيين ، وذلك لوجود مستعمراتهم وموظفيهم وتعليمهم الغربي بها ، ولكنه يعود فينبه إلى خطر الدور الذي تقوم به الإرساليات والمبشرون ، ويدعو إلى تقوية نفوذهم ، وإلا كانت الفرصة سانحة لأن يصبح هؤلاء مسلمين ، ويكونوا أداة طيعة في يد عبد الناصر ، يستخدمها لصالحه في هذه الأيام .

وبعد : إذا كان الغربيون يدعون إلى تقوية مراكزهم في إفريقيا ، عن طريق الإرساليات التي انتشرت في كل بقعة من القارة ، وعاش رجالها البيض في المناطق الحارة والأجواء القاسية ، من أجل التمكين لسلطان الغرب في هذه الأراضي الغنية بخيراتها ومواردها الطبيعية ، والممتازة بموقعها الجغرافي والاستراتيجي ، فإنما يجب على جميع المسلمين وكل ما يهمهم الأمر في مصر وغيرها أن يضاعفوا جهودهم لكسب الرأي العام الإفريقي ، وضمان صلته بالإسلام والشرق مصدري الحرية الحقيقية ، والرغبة الأكيدة في نشر ألوية السلام في العالم .

ويقتضي أن شيئا من السخاء في الإكثار من البعوث الإسلامية ، وإنشاء المراكز الثقافية ، وإعداد المبعوثين وتزويدهم تزويداً كاملاً بالإمكانيات التي تساعدهم على أداء

رسالتهم على الوجه المرضي – يغني أن ذلك أجدى وأنفع للقضية الإسلامية والعربية من كثير من الأعمال التي تنفق عليها الأموال الطائلة ، وليس لنا هذا الطابع الروحي الذي يسهل بالعناية به قيادة الشعوب إلى الهدف الذي تريد ويسهل تخليصها من أسر الاستعباد الذي ظلت ترسف في قيوده سنين طويلة .

وجدير بالذكر أن الأزهريين بإسهامهم العميق بهذا الواجب ، ورغبتهم الأكيدة في خدمة الشعوب المستضعفة عن طريق الدين والمثل العليا – على استعداد تام للاضطلاع بهذه المهمة النبيلة إذا هيئت لهم السبيل ، وزودوا بما يشجعهم على ارتياد هذه المناطق التي تتطلب نوعا خاصا من العمل ، ويمكن أن يلفت إليهم أنظار من يسهل لهم عن ما يزود به المبشرون من وسائل الدعاية .

علي صقر

المدير الصحفي لمكتب شيخ الجامع الأزهر

خطبة عيد الفطر

(ملخص خطبة العيد التي ألقاها فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر ورائد جمعيات الشبان المسلمين بمسجد الإمام الحسين ، وحضرها السيد رئيس الجمهورية وأذيعت بالراديو) :

تحدث فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي في خطبته ، عن فرحة العيد ، واعتبرها فرحة عامة جامعة شاملة لكل أبناء الإسلام في شتى بقاع الأرض ، ثم أشار إلى أن الأعياد يجب خلوها من تجديد الأحزان الشخصية والأشجان الفردية ، كما ذكر فضيلته أن هذا العيد يأتي بعد انتهاء رمضان الذي جاهد كل فرد فيه بما تيسر له من خير وبر ، فمن حق الأمة أن تفرح بذلك ، وأن هذا العيد هو أول عيد يأتي بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وفي أعقاب ذكرى عزيزة غالية ، هي ذكرى جلاء الغاصبين عن قطعة كريمة من صميم الجمهورية العربية المتحدة وهي القطاع الشمالي منها والإقليم السوري منها ، فمن حق الأمة أن تفرح بذلك ، كما أبان ألوان الفرح الكريمة ، وألوان الفرح المرذولة

وتحدث الأستاذ الشرباصي في الخطبة الثانية عن ثورة العراق ودعا الله بأن يؤيدها وينصرها ، وأن يرد عن العرب والمسلمين المستعمرين ، ودعا الله بأن يثبت دعائم الجمهورية العربية المتحدة ، وأن يقيم بنيانها على التقوى والحق والعدل والعمل الصالح ، وأن يجعلها طليعة مباركة لوحدة عربية شاملة وأخوة إسلامية عامة .

حول مؤامرات المبشرين

بجنوب السودان

نشرت بعض الصحف ووكالات الأنباء في هذه الأيام أن حكومة السودان تعتزم اتخاذ تدابير حاسمة إزاء ما يقوم به المبشرون في الجنوب مما لا يتفق ووحدة البلاد وتعاون أهلها ، وإني أريد أن أسلط قليلاً من الضوء على هذه المسألة تنويراً للأذهان وكشفاً لبعض الحقائق إذ لي بها شيء من الإلمام منذ أوفدتني مشيخة الأزهر رئيساً لبعثاتها الثقافية في ذلك القطر الشقيق [١] ، فكان لي فيه — بحكم عملي — جولات أتصل فيها بالمبشرين ، وأدرس حالة الأهالي لمعرفة ما هم عليه ، وماذا يتجهون إليه ؟ ولذا أضع تحت أنظار القراء الكرام ملخصها في غير إطالة .

من المعلوم أن أهم سلاح في يد الاستعماريين هو التفريق بين السكان بأية وسيلة سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، وهم — في خاصة أنفسهم — لا يدينون إلا بأن الغاية تبرر الوسيلة ، وما المسيحية عندهم من حساب ، وما لتعاليمها الرحيمة لديهم من قيمة ، فهم إن حلوا بالهند انحازوا إلى المسلمين ، وإن زحفوا على الصين ساعدوا مذهباً على آخر ، وإن نزلوا بقبرص ظاهروا ذوي المسيح ، وهكذا . . . وهذا ما كان منهم في السودان منذ أن وطئوا أرضه الطيبة ، رأوا أهله عرباً مسلمين على الفطرة البدائية ، فأصمتهم طبيعتهم الفاسدة ونواياهم الخبيثة فأطلقوا العنان للمبشرين من كل جنس يحاربون الإسلام ، مستغلين سذاجة الأهالي وفقرهم وضعف الحكومات المصرية واستعداءها ثم أغلقوا عليهم مناطق الجنوب إلا على الإعانات والإمدادات التي ترد من الخارج إلى تلك الجهات ، وزادت من حاجها الإمدادات سنوياً من خزانة حكومة السودان بلغت نسبتها ستة وتسعين في المائة من مجموع ما ينفق عليها ، وهي لا تقل عن خمسمائة جمعية لها فروعها المنبثة في نواحي الجنوب ، يعيش القائمون عليها في بحبوحة من العيش في العادات وغيرها ، ولديهم من وسائل التبريد والتدفئة والمواصلات البرية والبحرية والجوية ما لا يوجد إلا في الجيوش الجرارة أو عواصم المدن الكبرى ، وهم على أنفسهم وذراريهم آمنون مطمئنون تحت حراسة الجند الساهرة وفي رعاية الحكام المستعمرين ، وذلك

---

[١] سنة ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م

، خلقوا جيلا جديدا مثقفا بثقافة اختاروها له ، جعلته متعصبا يخالف دينه الإسلام ـ دين المواطنين الأصليين ـ ناهيك عما يحل في قلوب أبنائه من مرارة وحساسيات ، من ضغائن وأحقاد تبعث في كل ما قدم إلى أولئك المساكين من غذاء ثقافي يكاد يقطع صلاتهم بإخوانهم الشماليين .

ومن العجيب ألا يأبه الاستعمار لنمو بعض تلك الطوائف في مواطنها ما دامت تؤدي تلك الرسالة الخبيثة الانفصالية ، كما كان شأن الكنيسة الإيطالية في مدينة (واو) عاصمة مديرية بحر الغزال ذات النفوذ الواسع والسلطان الجبار ، والتي لا يقوى المسلمون في جانبها على الجهر بدينهم أو بناء مسجد يحترم لصلواتهم ، حتى لكأنها في قطعة من (الفاتيكان) بروما ، وكأنه لا صلة للإنجليز بها ، فهم لا يتدخلون في شأنها ، ولا يحدون من سلطانها ، في الوقت الذي لا يسمحون فيه للشمالي بشكوى أو إبداء رأي ، اللهم إلا إذا كان من أذنابهم ومن يسبحون بحمدهم .

ومن المألوف أن ترى الأطفال في حوزة المبشرين كأن لا صلة لهم بأهل أو أقارب . ولقد هالني حين دخلت كنيسة الرجاف ، وهي في حديقة فسيحة غناء مشرفة على النيل قرب الحدود الأوغندية ، أن رأيت كثيرا من أولئك الصغار يتراقصون ويتلاقون مع القسس تحت ظلال الأشجار كأنهم من الثمر المتساقط من أغصانها . فهم مدد متجدد تحت أيدي صنائع الاستعمار ورسله . ومما شاهدته في تلك الكنيسة طائفة من النساء والبنات العاريات ، تلقنهن الترانيم نصف عمياء من سيدتين المتوطنة على حين تدخل الطعام حالة مراهقة تؤدي عملها عارية كما ولدتها أمها ، وحين تقدمت لأنظر ما تصنع وثبت بعيدا كأنها هرة في حضن رفيقاتها ، ولم تزل كذلك حتى فارقت مكانها . ولقد أدركت أن ذلك الحقول أثر لما بث في عقول الجميع من تعاليم السوء ، التي أسلفت الإشارة إليها لخلق جيل منعزل يخشى كل ما فيه رائحة الشماليين .

لاحظت ذلك في زيارة الجنوب ـ مع كثير غيره ـ فأيقنت تماما أن المسألة ليست مسألة دين في ذاتها ، وإنما وراء ذلك من الأهداف ما وراءه ـ وكما أسلفت ـ ليس للاستعمار دين غير غايته وإن تظاهر بدين قومه ، ولنا في مساعدة اليهود من جانب المسيحية عبرة على ما بين العقيدتين من تضاد ، بل من عداوة تاريخية متوارثة ، ولو كانت في صعيد مصر ما بقي فيه كائن حي ، وعلى من تلك المساعدة ؟ على من يقول دينهم : إن أهل المسيحية أقرب الناس مودة إليهم (١) . ولما عدت عند عودتي إلى الشمال إلى الاتصال بالسادة زعماء الاتحاديين ـ وكان منتظرا أن يلوا الحكم فيما بعد ـ وقد تم ذلك

بمعرفة الأستاذ الكبير الشيخ عمر إسحق مفتش المعارف السودانية العام ومن كل من السادة الختمية ، وبمعونة [1] وأذكر من حضر السادة : إسماعيل الأزهري ، وخلف الله مرضي ، ومحمد نور الدين ، والدرديري عثمان ، فحدثتهم عن مشاهدتي في الجنوب ، وبينت لهم أني — وإن لم أكن رجل سياسة — أضع تحت أنظارهم ما وصل إليه تفكيري وما استنتجته من رحلتي ، وهو أن الجنوب بحالته هذه سيكون نقطة الضعف التي يستغلها المستعمرون في إثارة الفتن والقلاقل ، بل طلب الانفصال عن الشمال ، وحينئذ يكون لصوته صدى يتردد في الأوساط العالمية رسمية وغير رسمية ، لما له من صلات روحية وعاطفية تجعله موطن العطف والرعاية مهما كانت الظروف . ويومئذ تكون الطامة ، أضف إلى ذلك أنه سيحكم داخليا بأولئك الذين رباهم الاستعمار في أحضانه مدة طويلة ، بما أنه لا يوجد من مواطنيهم متعلمون سواهم ، يشاركونهم الأمس ويعدلون التوازن . وبذا سيكون منهم النواب والشيوخ وبقية الهيئات العاملة التي تكون بطبيعتها كتلة واحدة متماسكة يسهل التأثير عليها من الداخل والخارج ، لا سيما في المواقف التاريخية الحاسمة ، وبذا يكون الجنوب هنا في موضع يقابل إسرائيل هناك .

وإني أرى درءا لتلك الأخطار ، وتقصيرا لأمد تلك الظروف ، أن تقوموا من جانبكم بمثل ما قام به المبشرون من إقامة منشآت يأوي إليها أولئك العرايا ، فيجدون الطعام والكساء والثقافة الوطنية الحديثة التي تخلق منهم مواطنين صالحين متعلمين ، يعرفون حقوق البلاد عليهم ، ويؤدون واجبهم في جانب غيرهم وليس يكفينا مجرد نشر عقيدة الإسلام في ربوعهم ، فذلك — وإن أدى الغرض في ناحية منه — لا يمنع من أن تتحكم أقلية متعصبة في أكثرية من البسطاء لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا كما هو الشأن في الحبشة . فضعوا هذا في برامجكم ، ولا تغفلوا عنه فله من الأهمية عندي ما له .

وقد كان هذا قبل أن يلي الحكم وقبل الانتخابات — على ما أذكر — وقد صادف ذلك حضور أحد وزراء الخارجية المصرية السابقين بعد عدة أيام ، وقد منع من دخول الجنوب ، فقابلني وطلب إلي شرح ما رأيت هنالك ، فقصصت عليه القصص فأقرني على رأيي وطلب إلي الاتصال به عند عودتي إلى القاهرة ليساعدني لدى المسئولين في الأزهر . وقد كنت كتبت إليهم بذلك في تقريراتي الخاصة فأبنت لهم الناحية العملية المنتجة التي تؤدي إلى الغايتين ، الدينية والسياسية ، دون اعتماد على الوعظ والتدريس فحسب ، بواسطة البعوث التي تعد لذلك على ما بها من فائدة لا تنكر .

---

(1) في يوم الخميس ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢ هـ — ٥ مارس سنة ١٩٥٣ .

ولقد اتصلت في هذا الموضوع كثيراً بفضيلة الأستاذ الوزير الشيخ علي عبد الرحمن ، فكنا متفقين في الوسيلة والهدف ، ولدى إدارة البحوث والبعوث في الأزهر تقريرات خاصة بالاتفاق مع هيئة الإصلاح والتبشير الإسلامي بالجنوب التي يرأسها فضيلة الأستاذ الشيخ الأمين القرشي ، عن استعداد تلك الهيئة لإقامة تلك المنشآت ـ تدريجياً ـ بمعرفتها تحت رقابة محاسب من جانب الأزهر متى أمدها بالمال ـ إن وافق المسئولون فيه على ذلك ـ بدلا من إيفاد البعوث الجائلة في جهات لا نعرف لغات أهلها ، أو المستقرة في أماكن محدودة بعيدة عن الميدان العملي المطلوب ، وما يحقق على هؤلاء سنويا يؤدي مهمة الإنشاء والإيواء .

ولقد حضر السيد القاضية المذكور إلى القاهرة بعد عودتي إليها ، واجتمع في دار الشبان المسلمين بكثير من العلماء وبعض الوزراء ، والمعنيين بالشئون الدينية والوطنية ، وكنا متفقين معا في الرأي الذي شرحته للمصريين ، ولكن الحوادث بعد ذلك حالت دون تحقق الغرض من آمال .

هذا ما أردت إلقاءه فيمن من النور عليه إزاء ما جأرت به حكومة السودان من شكوى صارخة من فتن المبشرين ، وتآمرهم على مصلحة البلاد بعد أن استوت شرورهم على عرش الجنوب ، لنزداد علما بأن الأمر لم يك خافيا على مصر والمصريين ، وأننا أرشدنا العلم من قبلها وكنا مخلصين .

وبعد : فلعل الأستاذ عبد الله خليل ـ في موقفه هذا ـ من المبشرين ، يذكر ثورته الجامحة على مبعوث الأزهر بدار السيد المهدي بالخرطوم (١) ولقد قابله بكل هدوء حتى انتزع منه يده القابضة على العصا مما بالجروب .

ليته يذكر ذلك فيعلم أننا كنا ـ على الأقل ـ نحاول أن نمهد الطريق لحكومة سودانية لا تشكو من مكايد المبشرين ! ! !

ومع ذلك فإني أهدي إليه هذه الكلمة ليجرب العمل بما فيها ، ولديه من الإمكانيات ما يساعده على ذلك وإني له ـ كما كنت دائما ـ من الناصحين المخلصين .

والسلام على من اتبع الهدى ما

علي السيد جعفر
مفتش الوعظ بالقاهرة

(١) رمضان سنة ١٣٧٢

السلطتان الدينية والزمنية

كما يراهما الاسلام

ليس في الإسلام سلطتان متنازعتان العقائد والقلوب وشئون الدنيا كما هو الشأن عند غير المسلمين ، وإنما هي سلطة واحدة ذات ناحيتين ، إحداهما دينية والأخرى دنيوية .

فالناحية الأولى تنظم علاقة الإنسان بخالقه في معاملاته وعباداته الظاهرة والباطنة .

ومن الناحية الدنيوية تنظم علاقة الإنسان بالإنسان ، وترسم تلك العلاقة محدودة في المعاملات شتى ملابساتها ، وتتألف هذه السلطة من ثلاث سلطات : التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية .

وبديهي أن الإسلام دين روحي زمني ينتظم في أبلغ أوضاعه أمور الدنيا والآخرة ، فهو بطبيعة وجوده مصدر يصل بين حياتي المعاش والمعاد ، ويكل إلى المسلمين أصحاب الحكم أن يستمدوا قوانينه ومبادئه من مستقر جميع الأصول الكاملة ، وهو القرآن المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم .

فلو أغفل الإسلام الناحية الزمنية لكان مزيجا من أخلاق متناقضة ووحدات متنافرة ، ولكان قصارى جهد معتنقيه أن يخضعوا لنواميس هذا المجتمع في علله وأوصابه ونتائج أسبابه ، وأن تكون الغلبة فيهم للقوى العاتي وأن توجد الفروق بين الطبقات والأسر . من أجل ذلك امتزجت الناحية الدنيوية في الإسلام بالناحية الدينية في نظام الحكومة ، على معنى أن نظام الحكومة كان مستمدا في جميع أدواره من روح الإسلام .

جعل الإسلام فيما جعل من أسمى المبادئ مبدأ الشورى ليكون أساس الحكومة الصالحة ، ودعامة تتلاقى عندها سائر الرغبات والأماني ، لأن الشورى في أبسط أحكامها خير من رأي الفرد ، فهي وليدة آراء مستخلصة من قوى الجماعة لا يراد بها غير إسعاد المجموع وإشعاره بمبدأ العدالة والحرية والمساواة ، حتى يظل آمنا في سربه مطمئنا في أغراضه ومراميه . وإن لم تكن الشورى القائمة بيننا في الشرق هي التي تمليها مبادئ

الإسلام ، فالشورى التي تسنها مبادئ الإسلام هي المستخلصة من قوة الجماعة كما تقنع ليس فيه أثارة من تشيع لهوى أو أخذ بحيرة أو إصغاء إلى ضعف في سائر مرافق الدولة .

فالناحية الدنيوية ترسم شكل الحكومة ومقاصدها المختلفة وتؤسس الأنظمة المتنوعة للأفراد والأسر والجماعات والقبائل والأمم ، وتضع أحكام الحرب والسلم وسياسة القضاء والإدارة وتوابعهما من الاجتماع ، ثم هي تنتسب بعد إلى الأحوال الشخصية المتعلقة بذات الإنسان . فتنشئ علاقة زوجية صالحة بين الرجل والمرأة وترتب عليها حقوقاً قبل المرأة ، وحقوقاً قبل الرجل ، ثم تتناول أحكام الإرث فتوزع الأنصباء من تركة الميت على ذويها توزيعاً قائماً على أدق أنواع الرعاية وأحكم مراميها ، ثم تتعهد الحكام بالوصايا الحاسمة حتى لا يحيدوا عن شريعة الحق ولا تعصف نفوسهم بل شوائب الهوى ، ثم تهيب بالمحكومين إلى السمع والطاعة فيما أمر الله . وبهذا التساند بين الهيئتين يظفر الأمة والحكومة معاً قائم على الإخلاص المتبادل ، وتسودهما روح طيبة في مرافق البلاد وحيويتها .

لقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية (الدنيوية) ، فأقام بهاتين السلطتين خير حكومة من حكومات الأرض في تاريخ البشرية ، وأسس للإنسانية لسياسة أفضل المناهج في الحكم حتى فاضت القلوب باليقين الراسخ والطمأنينة الشاملة . ولا أدل على ذلك من أقوال الرسول وأعماله وما يأتي به الملك النازل من آيات منجمة بحسب الوقائع ، سواء أكان ذلك متعلقاً بأمر من أمور المعاش أو المعاد ، إذا استثنينا بعض مسائل تعليمية ثابتة لا يتصل وجودها بشئون الحكومة أو الاجتماع . ثم درج من بعده خلفاؤه رضوان الله عليهم أجمعين على قدمه ، فكانوا نعم الخلف لنعم السلف . وناهيكم عمر الفاروق الذي كثرت على يديه الفتوحات الإسلامية مؤسسة على الكتاب والسنة والحنيفية البيضاء وهدى الرسول الأعظم ، فاستدام بذلك الناموس السماوي أصلح الطرائق في أنواع الحكم وأهدى السبل في إسعاد الأفراد والجماعات والأمم .

إن الشريعة الإسلامية السماوية هي شريعة الخلود والبقاء ، لأنها جمعت بين حلقات الزمن من دابر وحاضر ، ووضعت لكل عصر وجيل أحكامه وطرائقه فكانت شريعة الإسلام خير الشرائع .

وغنى عن البيان بعد هذا التقرير أن الذين يلوكون بفصل الدين عن السياسة قد جهلوا حقائق الإسلام ، أو على الأقل تجاهلوا نظام الحكم فيه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد خلفائه من بعده ، أولئك النفر الميامين الأطهار ، الذين حكموا فيهم في الدولة فسادوا حتى بلغوا القمم ؛ لأنهم قضوا بهذه السياسة العادلة أوطار الأفراد والجماعات وحققوا لهم كل رغبة صالحة ثم اجتاحوا بؤرة الوثنية ، ومستهجن العادات في عهود الجاهلية .

ولعل الخط الذي جرى عليه توزيع الزكاة وإقامة الولاة في الدولة ، ورسم الحدود ووضع الخطط التي ينتهجونها في أمثل حكومة عادلة ، بواسطة برامج تكشف لهم حقيقة حكم الشعوب الداخلة في نطاق الإسلام ، وأخذهم بالرفق والهوادة في موضعهما ، وتيسير الأمور عليهم حين يضيق عنهم التيسير ، ومحاسبة الولاة المذنبين والمعتدين والضاربين ، والمدى الذي توزع به السلطات بين شئون الرعية ، آية الآيات على أن الإسلام في حقيقته وجوهره دين يقوم على أهدى السبل ، وأعدل المناهج التي فاقت جميع أنواع السياسات في الأمم .

فالمستخلص إذا من أدوار التاريخ القديم منه والحديث ، أن حكومة الشورى في كل بلد هي الحياة العادلة المسيرة لرغبات الشعوب المحققة لأمانيها . وقد ظلت هذه الفكرة معتقدا من المعتقدات الشائعة بين أمم الغرب منذ عهد خاص إلى ما قبل نهاية القرن التاسع عشر ، ومن ذلك التاريخ نجمت فكرة أخرى مقابلة تنادى بالأضرار الناجمة عن الحياة النيابية ، والشرور المنبعثة عنها ، وكيف أنها تنظم الظلم وتلبسه ثوبا قشيبا من العدل ، وتخلع عليه مسوح الحياة النيابية ؛ على حين أن الأوضاع السليمة للأمم كفرت بهذه المبادئ بعد تجلى مثلها وإخفاقها .

منذ أربعين عاما ونزيد هبط إلى مصر روزيت الأول ميدانا له وهو في مصر أن يحاضر في الآراء الدستورية مستمدا محاضرته من آراء فقهاء الدستور في الغرب ، فأبان أن الحياة الدستورية أصبحت دائما غير صالحة ؛ لأنها تقوم على سياسة الأحزاب ، وصاحب الغالبية فيها هو الذي يتولى زمام الحكم ، فيوجهه توجيها حزبيا في أكثر صوره ، وبذلك يقضى على خصومه في المعارضة ، فيضطرب حبل النظام الدستوري في البلاد المحكومة بالدستور إلى آخر ما جاء في محاضرته .

ومن نافلة القول أن بعض الأحزاب في مصر عبثت بأحكام الدستور في فترات متقطعة ، جاءت فيها حكومات متعاقبة اصطنعت الأكثرية البرلمانية ، فصارت على خصومها ولزم من ذلك فساد الحياة النيابية .

واليوم يمارس الشعب حياة نيابية يرجى لها في مستقبل الأيام أن تكون ذات خطر عام رفيع ، وإننا كمواطنين نرجو مخلصين — بعد أن تمت الوحدة التي هي اندماج وتمزيج بين قطرين عربيين مسلمين شقيقين — أن تكون في مستقبل الأيام القريبة جداً حياة نيابية مثمرة مزدهرة .

ويقيننا أن مطلع الفجر الصادق وشيك الانبثاق ، فلابد أن تخرج الثمرة من بين حب الحصيد ، ولابد أن تخرج لنا الظلام من جبين الصباح :

وكل ليل وراء أستاره صبح وضوء النور لم يحتجب

عباس طه
المحامي

الرئيس جمال في طاشقند

خرجت مدينة طاشقند كلها لتحية الرئيس جمال عبد الناصر عند زيارته لها ، وكانوا يحيونه باللغة العربية لغة دينهم الإسلام . وطاشقند أخت سمرقند وبخارى التي أنجبت طائفة من عظماء وعلماء الإسلام . وطاشقند عاصمة جمهورية بلاد الأوزبك وأكبر مدينة في آسيا الوسطى ، ويبلغ تعداد سكانها قرابة ٨٠٠ ألف نسمة ، وتقع في واحة واسعة مزدهرة ترويها مياه نهر جرجيك ، وتقع عند تقاطع طرق تاريخية مهمة ، والمدينة نفسها من أقدم مدن آسيا الوسطى . وهي الآن مركز صناعي وثقافي ، وفيها أكاديمية أوزبكستان للعلوم ، كما أن فيها جامعة ، ومعاهد علمية ومتاحف ومكاتب . وعند استقبالهم الرئيس جمال عبد الناصر تمثلوا في شخصه زعامة مصر الإسلامية المحبوبة .

رســـــالة الأزهر

— ٢ —

للأزهر عند تفصيل القول رسالات لا رسالة . أبدأ منها بالرسالة الخلقية ، وعندى أن التحدث عن الخلق أولى بالتقديم من التحدث عن بقية الرسالات .

رسالة الأزهر الخلقية

« أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ؟ ... » ... فعلام أسس الأزهر روحانية وخلقا ، وماذا أفاد هذا التأسيس الصلاح والتقوى ، والزمان والمكان ، والقوميات والأهليات ؟ .

حقا : كل إناء ينضح بما فيه ؛ وهذا الدين الإسلامى الذى هو المادة الأولى للدراسة منذ كان الأزهر أزهرا ، ومنذ حل الرسالات جميعا بعد بغداد وقرطبة ، ومنذ ورث قومه وأهله ميراث أمثال حجة الإسلام الغزالى ، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية هذا الدين هو الذى عمت مدارسته وتعرف أسراره بنفوس أهل الأزهر إلى أبعد الآفاق الخلقية . وقد صح عليهم بعض ما فيه من بركات . فصاروا هم الأتقياء العباد ، وظلوا هم الوعاظ والمرشدين ، وظلوا هم قادة القومية المصرية وزعماءها — وإذا كان الصوفية الأولون قد وصلوا إلى معرفة الله بأمد هذه التصفية الشاقة فصاروا على خلق عظيم ، وإذا كان الفلاسفة الإسلاميون قد شقوا طريق المعرفة بالتعمق وإطالة النظر فكانوا على صراط مستقيم . وإذا كان الدارسون فى الصدور الأولى من أيام الإسلام قد فهموا أسراره وركزوا للناس من واسع علمهم فيض من مكنونات الإسلام وجواهره — فإن الأزهر هو الذى انتهت إليه جملة هذه المحامد . وورثها فى القرون الماضية عن هؤلاء الأسلاف الصلحاء ، فكان المعهد الذى أخرج للأمة خير الرجال روحانية وخلقا كريما .

كل رسالة فى الأزهر — تقوم على أسس زمنية ومكانية ، فكيف تكون خلق علماء الأزهر إيمانا وتقوى ، ثم كيف صاروا زعماء أقوياء لأهلهم وذويهم ، يدفعون عنهم

الصميم أمام الظلمة الطغاة كيف ؟ . إذا كان الإسلام لا رهبانية فيه حيث السلوك العام في الحياة . . والسلوك العام الديني يتكيف بأصول كل دين في طريقته إلى هداية قومه على مقتضاه ـ فإن التكوين الخلقي في رجال الأزهر السالفين قد جاء من (رهبانية) هي نوع غير المعروف من معناها . إنها رهبانية الانقطاع إلى العلم . وقضاء العمر في تحصيله (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) . وقد ساعدت هذه الرهبانية بهذا المعنى ، ذلك الفقر الذي كان يلازم طلبة العلم غالبا ، فكان الانقطاع للعلم أمرا طبيعيا في هذه البيئة الأزهرية ، هذا الانقطاع للعلم والبعد عن التهافت على أهل المادة أورثهم خلق الزهد ، وخلق الزهد والترفع من أقوى مكونات الشخصية الخلقية المثالية . ولذلك رأينا هذه الشخصيات الأزهرية قد ملأت الحياة عظمة ومهابة ونفوذا ، في وقت كان فيه حكام مصر يستعبدون أهلها استعبادا موجعا ذليلا ، وكأن أمهات المصريين لم يلدن أولادهن أحرارا .

إذا كان (العلماء ورثة الأنبياء) والأنبياء مجاهدون ، جاءوا لإسعاد البشر ودفع الحيف عنهم ، وتعليمهم من أمور دينهم وشئون دنياهم ما لم يكونوا يعلمون ، فلقد كان علماء الأزهر على نحو من هذا التوارث ، فهم في التقى والزهادة في الحياة الباطلة ، من أقوى القدوة ، وهم في هيبتهم الخلقية وسموهم النفسي ، نواب الشعب أمام أظلم الحكام وأجور الفجار ، كانوا له أمام هؤلاء الجبارين كاسحة الصواعق في اصطلاح علماء الطبيعة ، كما كانوا ـ على اصطلاح الأطباء ـ الحجاب الحاجز بين اندفاع المظالم إلى غاياتها وبين أهليهم المصريين . .

لا خفي لي عن أن أضرب الأمثال الخلقية لا من ناحية الأخلاق اللازمة كتقوى الله ومجاهدة حق تعبده . فإن هذه أشياء بين الخالق وبين عباده . وإذا هي تعدت صاحبها فإلى الاقتداء به والاستفادة من وعظه وإرشاده . . ولكنني أضرب الأمثال للأخلاق المتعدية التي لا يتحقق معناها إلا بالإضافة إلى غير أصحابها ، ويرى الناس من آثارها ما ينفعهم ويرفع عنهم المظالم والمغارم أمام الجبارين من الحاكمين . وقضية الحكم الفاسد كانت دائما بحاجة إلى مدافعين يدفعون عن الناس شرور الفساد وغوائل البلاء . وهذا ما قصدته بالإضافة في رسالة الأزهر الخلقية التي كونت رجالها على عظمة الدين وحق اليقين . فكانوا في اشتداد البلاء على ذويهم رجالا يقدرون ما يقدره غير الله أمام

الحكام الغربيين الناهبين الذين لم يكونوا يحسبون حسابا إلا للسادة العلماء دون بقية الطوائف والجماعات .

إن الأمثال التي سأضربها هي أمثلة تاريخية من مختلف المصادر ، ولكنني لا أذكرها كوقائع تاريخية صماء ، وإنما أحيطها بطريقتي في التحليل لنعرف عمق الرسالة الخلقية وآثارها في الحياة العامة . الأمثلة كما حدثنا به الإمام جلال الدين السيوطي في ترجمة الإمام جلال الدين المحلي قال : « وكان غرة هذا العصر في سلوك طريق السلف على قدم من الصلاح والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام ، ويأتون إليه فلا يلتفت إليهم ولا يأذن لهم بالدخول عليه » « لا يراعي أحدا في القول » . وعرض عليه القضاء الأكبر فامتنع » . وفي هذا الذي رواه السيوطي مزيج جيد يبين لنا في مجموعه ارتباط الورع والتقوى والوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بسمو الأخلاق وترفعها إلى أبعد الآفاق ، وهل منتظر من سمو أخلاق تقي ورع أكثر من أنه لا يأذن الحكام بالدخول عليه ، وأنه يواجه الظلمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وليس أقسى على نفس الظالم من سماع القول في الحكم الصالح والحكم الفاسد ، وخاصة إذا أضيف إلى ذلك ما يعد في باب العادات خدشا للكرامة ، كعدم السماح لهؤلاء الحكام بالدخول على الشيخ في حضرته ، وليس ما هو أبعد من ذلك في التعريف برسالة الدين والتقى في نفوس العلماء الزهاد .

كانت تحكم مصر بلا شريعة ولا قانون في عهود المماليك والأتراك والفرنسيين ، وكان القانون أو الشرع هو تنفيذ إرادة الظالمين في رقاب هذه الأمة وأعراضها وأموالها وثمراتها ، وإذا كان الإمام محمد عبده قد وصف الحكم في وقته بقوله ـ « جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ويد الظالم من حديد ، والناس عبيد له أي عبيد » . أقول إذا كان هذا ما وصف به ذلك الإمام الحكم في عهده وقد كان فيه شيء من النظام ، وشيء من الشورى عما كان للشعب من مجالس يمثلها مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، فكيف بالحكم في أيام هؤلاء الطغاة الذين كانوا سوط عذاب لا يهدأ على هذه الأمة ، ونارا موقدة على هذا الشعب المسكين ؟ لقد كانت شجاعة العلماء أمام مظالم هؤلاء الطواغيت عثابة النيابة عن الأمة في إيمانها وصراحتها ، يلقون إلى حكامها بالنصح تارة وبالتهديد تارة أخرى . وكان لوساطة هؤلاء السادة

قيمة وتقدير عند الحكام ، ولشجاعتهم فى إبداء الرأى أثر بالغ لا يخفاه التاريخ لأمثال الأجلاء الشيخ سليمان المنصورى ، وشيخ الإسلام الشيخ محمد المهدى ، الذى وصفه مؤرخ مصر الشيخ عبد الرحمن الجبرتى بقوله . « إنه كان قطب رحى الديار المصرية لا يتم أمر من أمور الدولة إلا باطلاعه ومشورته ، والشيخ الزاهد الصوفى الورع (الدردير) ، والشيخ على الصعيدى ، والشيخ عبد الله الشرقاوى ، والسيد عمر مكرم ، والسيد محمد السادات . . فهم وأمثالهم قد اشتركوا فى مدافعة المظالم وكبح جماح المستبدين . وكانوا يخرجون من كل حادثة بشروط مكتوبة — غالبا — تكون شبه دستور يعمل به بين المحكومين والحاكمين . وهذا منتهى ما تصل إليه طاقة علماء ، ومدنيين ليس لهم من قوة إلا قوة الخلق واليقين . كما كانوا يعتصمون عن الثورات إذا لم يجدوا فى طريق المسالمة فائدة . وكان (الأزهر) هو الأتون الذى توقد فيه الشرارات الأولى ، ولا ننسى أن الفرنسيين — انتقاما من هذا المسجد — قد عروه بخيلهم وجعلوا من قبلته مرابط لها ، ومثلوا بأهله وذويه شر تمثيل ، لأنهم أرادوا أن يقضوا على هذا (المجمع) الذى هو أساس التكتلات الثورية .

انتهى الأمر ، وصار العلماء هم قادة الشعب ونوابه والمدافعين عما ينزل به من البأساء والضراء . وقد عرف ذلك القائد الفرنسى (نابليون) ودرسه دراسة كافية بواسطة علماء الفرنسيين ، فأراد أن يتقرب إلى السادة العلماء وأن يحكم مصر برضاهم ، فلم يلبث بعد أن دخل الإسكندرية أن أخذ يوزع المنشورات التى ادعى فيها الإسلام ومحبة القرآن ، وأنه ما جاء مصر إلا ليخلصها من يد المماليك أعداء الخليفة الإسلامى . وأردف ذلك بأن عين كثيرين منهم فى ديوانيه العام والخاص ، اللذين أراد بهما ذر الرماد فى العيون حتى لا يرى المصريون الأمور على حقيقتها . ورفع هذا وغير هذا استرضاء للمشايخ ، ولكنه لما جد الجد وحزبت النيات لم يثن العلماء عن أداء واجبهم مكافحات ومساطات وثورات ، سواء فى عهد الفرنسيين أو قبلهم أو بعدهم ، ثم ما زالوا يجدون فى زعامتهم للشعب حتى لقد كانوا من العوامل القوية فى ذلك — فى زوال الظلم الصارخ بانتقال الحكم إلى محمد على الكبير برأيهم وسعيهم المتصل مع السلطان العثمانى . وقد ترك لهم التاريخ أعمالا لا تنسى ، كما ترك لهم أقوالا تترجم عن خلقهم وشدة إيمانهم بالله . كان يقول الشيخ سليمان المنصورى لقاضى القضاة العثمانى فى شأن أمر من السلطان خالف فيه الشرع : « ولا يسلم الامام فى عمل يخالف

الشرع » .. وكان يقول السيد عمر مكرم لأحمد باشا (خورشيد) الوالى التركى وهو يحاوره : « أولو الأمر هم العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل » . وكان ذلك جوابا على قول محاوره : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

* * *

وبعد لا أطيل القول فى هذا البحث المتواضع بأكثر مما أطلقت .. وقبل أن أنتهى منه لا يسعنى ترك تحية إمام عظيم الخلق هو الشيخ محمد عبده الذى أطلقت له وصف حالة الحكم فى أيامه . وأزيد على ذلك أن سمو أخلاق هذا الإمام هى التى جعلت الخديوى يصفه بأنه إذا دخل عليه فكأنما هو فرعون !! يقول ذلك ملك فى يده كل السلطات والثروات فى حق رجل لا يملك إلا نفسا كبيرة وكبرياء لا يحس به إلا الحاكمون المستبدون » .

حسن الشيخ
عضو نقابة الصحفيين

جمال عبد الناصر فى الشام

لمن العرس فى مغانى الشام … يسكب البشر فى القلوب الظوامى
معقد الشام والكنانة والقا … هر يوم القناة جيش الطغام
وفتى العرب جدد الله للعر … ب به روعة الأمانى العظام
وضع العرب قلبه لسلام … يحمى آماله الكبار الجسام
وترامى مدى هواه فما تنـ … ـسيه وهران معضلات الشآم
عونه شرعت الكتاب على الحـ … ـكم فما زال عصمة الحكام
سار فى ضوئه الميامين من قبـ … ـل فضاءت به وجوه الظلام
نصل الحاضر التليد بماض … ليس ينفك غرة الأيام
فانثر تقصم معاقل صهيو … ن ونسف حواجز الألغام

اللاذقية … أبو غسان

محنة الشعر المعـــــاصر

— ٢ —

ليس هناك من شك في أن الإنسان قد اهتدى إلى الشعر بفطرته ، وانساق إلى هذا الفن الرفيع بطبيعته التي شاقها ما في الكون من حسن التناسق ، وجميل الانسجام ، وحلو الأنغام . .

أحس بمعان حركت قلبه ، وأثارت نفسه ، وجاش بها صدره ، ثم استفاضت على لسانه في صورة متنوعة ، وربما كانت أول الأمر أصواتاً مبهمة كأصوات الطفل المعبرة ، ثم استقرت في كلمات منثورة ذات مدلول يعبر عن إحساسه ، ثم تدرجت هذه الكلمات المتناثرة إلى السجع المتحد القافية ، والمتناسق الألفاظ ، لأنه أقرب إلى التوقيع الموسيقي ، ثم أخذت هذه الكلمات تتطور وتتغير ، حتى استقرت في أوضاع خاصة هي التي تعرف عندنا بأوزان الشعر وبحوره ، وهي التي انتهى إليها الغناء ، لأنها ألصق شيء به وأليق .

وكذلك نشأ الشعر العربي واستقر في أوزانه المعروفة ، وظل الشعراء في كل عصر ينظمون على نظامها ، دون أن تضيق هذه البحور المتنوعة في أعاريضها وأضربها ، بمظاهر الحياة وألوان الحضارة ، ومختلف العواطف ، وعوارض الأحداث والثورات ، فلما بلغت الحضارة قمتها في الأندلس وغيرها من الأمصار ، وتعددت فنون الغناء ، ابتدع الشعراء أوزاناً جديدة كالموشحات تلائم ما جد من هذه الفنون ، ولكن ما ابتدعوه كان ذا أوضاع معروفة ، ونظام محدد ، وطرائق مرسومة الخطوط والمعالم ، لا كهذا الشعر الذي نراه اليوم ، يذهب فيه كل فرد مذهبا ، بل إنه لا يخضع حتى لأي مذهب فردي .

فمن الموشحات ما جاء على الأوزان العربية المعروفة ، ومنها ما جاء على أوزان خاصة مرسومة ، وبحور معروفة مثل (مستفعلن فاعلن فعيل مرتين) أو (فاعلاتن فاعلن مستفعلن فاعلن مرتين) ، وعلى هذا النحو كانت الفنون الشعرية المستحدثة ذوات قوالب معروفة متفق عليها .

ولقد كان من أهم العوائق التي حالت دون ظهور الملاحم والمسرحيات في الشعر العربي دون الشعر الإفرنجي ، هو التزام القافية والوزن في القصيدة ، لأن بعض الملاحم تبلغ أحيانا عشرات الآلاف من الأبيات ، وتعدد المواقف واختلاف المشاهد في المسرحية يتطلب تغير الوزن من آن لآخر ، ولذلك لو رأينا في التحرر من هذا الالتزام في البحر والقافية عند نظم الملحمة أو المسرحية ، على نحو ما صنع شوقي ، فإن هذا التحرر يضيف إلى تراثنا العربي فنونا جديدة كان الشعر العربي محروما منها .

ذلك ما نوافق على التجديد فيه ، وهو تجديد على كل حال لا يخرج عن أوزان الشعر العربي ، لأنه مجرد تنوع وتنقل بين البحور تبعا لتنوع المشاهد في الرواية المسرحية أو القصة .

إن الشعر الذي نقرؤه في هذه الأيام يعود بنا منتكسا إلى عهد البدائية الأولى ، حيث كان الإنسان أول أمره يتغنى بألفاظ مسرودة ، لا تأخذ نظاما معينا ، ولا تستقر في وضع خاص . إنه أعمال فردية فوضوية ، ومنتكسة إلى ما قبل عهد السجع ... إنه بعر متناثر في صحراء هذه الأيام .

وهذه هي جناية الفهم الخاطئ للتحرر والتجديد . لقد فهم صعاليك الشعر هؤلاء ، أن التحرر هو الثورة على كل شيء على الدين والتقاليد والأوضاع الموروثة ما صلح منها وما فسد ، وكأنهم في ثورتهم على الأوزان الشعرية التي تنسق بها موسيقى الشعر ويحدث تأثيره ، يريدون أن يخرج الناس من حدود القصور والأسوار ، وأن يحطموا ما انتهى إليه فن الحضارة العمرانى ، وأن يعودوا إلى الانطلاق في الصحراء والعيش في خلال الخيام ، متحررين من هذه القيود البالية ، قيود النظام المعمارى المنسق ، وقيود الأسوار التي تحد من حرية الإنسان .

هكذا يريدون ، وهكذا يفهمون ، ومع ذلك فهم دائما يتغنون في أشعارهم هذه المهلهلة باسم الحضارة ، والتقدمية ، والركب الصاعد ، والقمة العالية ، والانطلاقة العملاق ، إلى غير ذلك من (دمغة) الألفاظ المسجلة باسمهم ، والتي لا يستعملون سواها ، لأنهم لا يحفظون غيرها .

والآن ، ماذا يقول هؤلاء الشعراء ؟ إننا لا نريد أن نقف عند هذا الهراء الذي يتشدق به المشعوذون ، في ذلك الهذيان الذي لا يستقر حتى على نظام التفعيلة التي يجعلها المجددون أساسا لنظمهم .

(الليل خانق – الليل مطارق – الليل مشانق – الليل حرائق – ياقيصر عمان الأعمى – يا أسطورة – رائحة مكرورة – يا سارق نوم الأطفال – ودم العمال – سنصيدك كالأرنب – وسنسحق رأسك كالعقرب – يا لصا أجرب – يا قيصر – يا خنجر – في أيدي الدخلاء) .

ما رأيك في هذا (الردح) الذي مشت فيه عفوا بعض شطرات من البحر المتدارك مثل (يا قيصر عمان الأعمى – يا سارق نوم الأطفال) ؟ أهذا هو التجديد ؟ سلام على هجائك بالحطيئة ، وسلام على المتنبي ، وسلام على ابن الرومي .

واقرأ واعجب : (عصفور أزرق – في قفص من زئبق – في أغنية – في الحرية – يالثرى الأحمر – ياحبي الأول – يا جدول – يمشي عمراني – يا وطني الثاني – يا ثرى – يا وادي الأصفر) .

أفي هذه القصيدة (الزئبق والحرية) جملة واحدة ، أو صورة واحدة ، أو وزن واحد . ولم سميها شعرا ، وما الفرق إذن بين الشعر والنثر الفني ؟ .

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقا أن يقال له شعر

اسمع صدى هذه القصيدة في شعر عربي موزون من البحر المتدارك ، لتدرك الفرق بين الفن المثير للانفعال والتأثر والاهتزاز وبين الهراء والهذيان ، على ما في هذا الصدى من خروج على نظام القافية العربية :

غرد في أرض المؤلف عصرية الأبطال
غرد فالشمس غدا تشرق وبني العصفور الأزرق
لا تبعد فالأرض وريف والشط عيون وقطوف
وشفاه بالحب ترقرق ألحان العصفور الأزرق

واسمع هذا الذي يصرون على تسميته شعرا :

(لو كان لي بحة نازحة – واخترتها عار – أو طول ما بيننا من نهار – لو كان عندي وحيد – وصاح من بين كل الصغار – وأجهشت أمه – سائل أمسيات – يا له حقا أمات – لو كنت في منى – في قلب مفصلة – ما كان إطراق الطويل .. الطويل) . والصدع

هذه الفاقات المفككة التي لا تمثل وحدة فنية، ولا تحمل وزنا موسيقيا ، وإنما هي ثرثرة تنشر في الصحف إجلالا لمصدرها الوطني ، وتقديرا لأحداثها العربية . وكم يعاني الفن باسم الوطنية والعروبة .

ولنعرض بعض النماذج التي تتردد فيها بعض الإيقاعات الموسيقية ، وتلوح فيها بعض تفاعيل البحور العربية :

الأستاذ كامل الشناوي شاعر أزهري رقيق ، ولكنه استسلم لهذا التيار ، وكان في قوة شعره ما يمكنه من مقاومته . لقد نظم أغنية من مجزوء الرمل (فاعلاتن فاعلاتن مرتين) .

كان وهما وأماني وحلما كان طيفا

ثم يجعل التفعيلات الأربعة خمسة ، وخامستها مديدة ، وليتها كانت كذلك فقط بل جعلها من تفاعيل البحر الكامل :

ثم كانت صحوة كالنار ، كالتيار ، كالقدر المبيد .

فالتفعيلة الأخيرة (قدر المبيد) وزنها (متفاعلان) .

ثم يقول :

مثل دم السوري والمصري يجري لهبا .

صارخا : عربا كانا وبقى عربا .

ووزن البيت الثاني عنده هكذا :

(صارخاع) فاعلات (رباكنا) مفاعيلين (وبقى) فعول (عربا) فعلن أو (صارخا) فاعل (عرباكن) فعلاتن (نا وبقى) فاعلاتن (عربا) فعلن ، وهو خلط على كل حال لا يتفق مع عمر الأغنية ولا مع أي بحر عربي آخر ، ولا هو بالبحر المخترع الذي يسير على نظام معين .

ثم يعود فيجعل التفاعيل الأربعة ثلاثة فقط .

لم يكن أيهما في الأمس وحده .

ولقد صار مع الأيام وحده .

أما أغنية (أحمد شفيق) التي غنتها أم كلثوم ، فإنه بدأها من مجزوء البحر الكامل المرفل (متفاعلن متفاعلن ـ متفاعلن متفاعلاتن) .

أنا لن أعود إليك مهما استرحمت دقات قلبي .

أنت الذي بدأ الملالة والصدود وخان حبي .

ثم ينتقل إلى الرمل فيقول :

كنت لي أيام كان الحب لي ... أمل الدنيا ودنيا أملي

ثم يفاجئنا بالبحر السريع :

وضحكت حبي وحل نورها ... لاحت أزاهير الصبا والفتون

ثم يعود إلى مجزوء الرمل :

ثم أصبحت وعودا ... طاب فيها خاطري

ثم ينتقل إلى البحر الخفيف :

كان عندي وليس بعدك عندي ... بسمة من تصوراتي ووجدي

وهكذا ينتقل من بحر إلى بحر ومن تام إلى مجزوء ، فيصير المقطعة خليطا عجيبا ، لا يمكن أن نسميه طريقة ثابتة المعالم تجرى على نسق يحتذى . ولقد يكون من المسائغ في باب الأغاني أن يحصر الشاعر تنويع أوزانه على أعاريض وأضرب البحر الواحد ، أما هذا الخلط فما أغنى شاعرنا المعاني الرقيق عنه .

ولندع جانب الأغاني فهي موزونة على كل حال ، وربما تطلب الغناء التجديد في القافية أو الوزن ، كما تطلب من قبل في الموشحات وغيرها ، وإن كنا نلح في أن يكون هذا التجديد قائما على أسس ثابتة وأصول متفق عليها مرسومة ، حتى لا يصبح الأمر فوضى بلا ضابط ، وحتى لا يصبح الشعر ـ وهو الفن الرفيع ـ مبتذلا ، يتحكم فيه كل إنسان ولو لم تتوفر له موهبته .

عاش الشعر العربي تلك القرون الطويلة يستنفد الطاقات الشعورية ، ويصور التجارب النفسية دون عناء أو إفلاس . ذلك لأن الشاعر كان يصقل موهبته بالاطلاع ويغذيه في ذهنه رصيدا كبيرا من لغته ، فلا يكون شاعرا حتى يستكمل أدوات

الشاعرية ، ويجمع بين الموهبة والكسب ، ولكن صعاليك الشعر في هذه الأيام لا يريدون هذا العناء ، فقد لا تتوفر لأحدهم الموهبة ولكنه يريد أن يكون شاعرا ، وقد تتوفر له الموهبة ولكنه لا يريد العناء بالاطلاع على الأوزان أو تحصيل الثروة اللغوية ، يكفى أن يحفظ تلك الألفاظ المكررة : التيار ، القدر العنيد ـ القصاص الصاعقة ـ الطوفان ـ الدرب الموحش . ونحو ذلك إلى جانب ما سبق من بنية (الدمعة) المسجلة ، وعليه بعد ذلك أن يوزعها على السطور في غير ملل ولا تسطاس ، فإن صادفت كلمة منها وزنا ، فبها ، وإلا فلا عليه ، إنه حر طليق مجدد ! ! .

هذا كاتب من كتاب الطليعة طرب لأسلوبه في الكتابة ، ولكنه يأبى إلا أن يكون شاعرا كذلك ، ولم لا يكون شاعرا ما دام الشعر قد أصبح سهل المنال :

الحقني يا جميلة (شطره من مجزوء الرمل : فاعلاتن فاعلاتن) .

وثقي بالحب بالإنسان بالفجر الذي أنت تشيره

(خمس تفعيلات من تفاعيل الرمل)

ربما قالت عجوز لك في ليل شتاء (أربع تفعيلات) .

من لياليه الطويلة (تفعيلتان) .

قصة الغيلان والجنيات الفقيرة (ثلاث تفعيلات) .

واسمها (فاعلن) .

عندنا في مصر ست الحسن والشاطر حسن (أربع تفعيلات مع سكون راء الشاطر)

وغدا في اللحظات المرجاة (علاتن فعلاتن فاعلن) .

يطبل الفرسان من كل مكان يسبون عربيات السنان

تصرع الغيلان بفتنه وتبشين الحياة الطيبة

في الحياة والبنات ـ بالبنين والبنات .

أجل (في الحياة والبنات) لأن الواقعية تتطلب هذه السوقية ، وتستدعى النزول من المستوى الفنى العالى إلى الدروب والأزقة وحكايات العجائز على (المصطبة) ، ومع ذلك فقد عجزت طاقة الشاعر اللغوية والفنية عن تصوير هذه التجربة الشعرية القصيرة في أبيات مسلسلة القافية والبحر ، كأنما اتحاد البحر والقافية يعوق هذا التصوير ، وفي اتحادهما ما فيه من الرنين الموسيقى المؤثر .

لقد سئمنا هذا الهذيان الذى لايحتاج إلا إلى السير على تفعيلة أو اثنتين ، وكفى الله الشعراء القافية المتعبة والبحور الصعبة ، وحسبهم هذه الخطابية ، والجلجلة . ومع ذلك فنحن فى حاجة إلى الضحك والترفيه ، فلنقرأ :

صديقى - صديقى الحبيبة - شهر مضى - لاحرف - لا رسالة حصية - لا أثر - لا حبر - العطر موضوع على مقاعد الجنينة الكئيبة) .

(شهرا غاب - يا أختى شهرا غاب - ولماذا غاب ؟ - فقد دوبى لما غاب - ولقد ألف المرسوب - بحساب القهوة والشاى - من عام غاب - لكن حبيبى لم يدفع حتى ثمن القهوة والشاى) .

أرأيت مثل هذا التسكع الفنى على المقاهى ، والحديث عن ثمن القهوة والشاى ؟ ولست أنكر أن كثيرا من هذا الشعر المصرى يحمل شرف المضمون ، كما يتسم بروعة التصوير ، وقوة الانفعال ، ولكن هذا المتحرر من الوزن والقافية يفقده أروع جوانب التأثير ، ويلحقه بالنثر الفنى الذى يتسم بمثل هذه الروعة فى الأداء والخيال والانفعال ، بل إن النثر الفنى يحتفظ بطابع الاتساق الفكرى والنظام ، ولا ينزل إلى هذا التفكك التعبيرى .

وأخيرا صبغ عربيتنا الفصيحة النقية من هذا الهذر ، وصيد تراثنا المجيد من هذا العبث ، ونبرأ إلى الله من هذا الذى يسمونه شعرا ، وينسبونه إلى العربية وهى منه براء !!

حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

كرسى القيادة

شعر نابليون - قبل أن يشعر معاصروه من العرب والمسلمين - بأن كرسى القيادة فى الشرق كله فى انتظار الرجل الكفء الذى يتولاه . وكان نابليون يتجاهل الشرط الأول لهذا المنصب ، ويطمع فى أن يملأ هو ذلك الكرسى ، لو تمكن من عاقبة الممالك . إن الأقدار قد ادخرت لتاريخ العرب والإسلام الرجل الذى يملأ هذا الفراغ ، وكان من حظ هذا الجيل أن يكون ذلك فى زماننا . إن الله وحده هو الموفق .

الصحابى الجليل

أبو ذر الغفارى

رحم الله أبا ذر ، فلقد كان يمثل اشتراكية كريمة مع شرع الإسلام للناس ، ولقد كان يمثل عظمة الإسلام فى اعتزازه بربه ، واعتداده برأيه ولو خالف الوالى أو الخليفة ، وقد وصفه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « إنه يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » على أنه رضى الله عنه غلا فى اشتراكيته مذهب بها مذهب التشديد ، فجعل ما فضل من حاجة الإنسان كنزا لا يجوز بقاؤه فى حوزته ، وطبق عليه الوعيد فى قول الله سبحانه : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

ومما لا مجال للارتياب فيه أن فى الإسلام اشتراكية لا تتنافى مع ضبط المال والجد فى جمعه من كل طريق شريف ، على أن يعده صاحبه للصالح العام ولا يؤثر به نفسه ، ويجعل فيه حقا للذين لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، ويجعل فيه نصيبا مفروضا لإعداد العدة للجهاد فى سبيل الله ، والمستشفيات والمدارس ، والمعاهد ولوصل ما أمر الله به أن يوصل ، والإسلام يأبى أن يكون المال دولة بين طبقة من الناس كما هو نص القرآن الكريم . ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة خلطهم الأنصار بنفوسهم ، وانحازوا إلى حجرات أدفأت وأظلت ، وقاسموهم أموالهم حتى حصلوا على الريش الذى يطيرون به ، واستطاعوا أن يستغنوا عن إخوانهم . وقد شكر الله سبحانه لهم ذلك فى كتابه ، وحكم لهم بالفلاح فى حكمه العام الذى يسجل معنى الاشتراكية بالتعاون والتعاطف فقال : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . ثم جاءت غنائم بنى النضير فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وحدهم ورجلين فقيرين من الأنصار ، كل ذلك لحفظ التكافل بين الأنصار والمهاجرين ، أما أن تكون الأموال لقوم يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فهذا ليس من الإسلام فى شىء ، ولعل مجالا آخر يتسع لدراسة ذلك تباعا بجانب مذهب السيد أبى ذر رضوان الله عليه .

• • •

كان أبو ذر جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو ، من قبيلة غفار ينتهي نسبه إلى خزيمة بن مدركة .

وكان من السابقين إلى الإسلام، فروى أنه رابع من أسلم ، وروى أنه كان خامسهم .

وكان من حديث إسلامه أنه سمع مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يعيش في بني غفار ومنازلهم في طريق قريش إلى الشام .

فأرسل أخاه إلى مكة وقال له : اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم ائتني .

وانطلق أخوه حتى قدم على الرسول صلوات الله عليه وسمع منه ، ولكنه لم يشف غلة أخيه جندب حين عاد إليه يقول : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ويتكلم كلاما ما هو بالشعر .

سافر إذاً جندب بنفسه إلى مكة ، وصادفه بالمسجد الحرام علي بن أبي طالب فجم جندب عليا ولم يسأل واحد منهم صاحبه شيئا ، وعاد أبو ذر إلى المسجد فاضطجع به وبقي في المسجد يومين لا يدري شيئا مما في مكة من أمر البعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي مساء اليوم الثاني مر به الإمام علي وهو مضطجع بالمسجد فقال له :

علي : أما آن للرجل أن يعلم منزله (يريد بيته رضي الله عنه) فسار مع علي إلى منزله لا يسأل أحدهما صاحبه عن شيء حتى مضى يومان .

وفي اليوم الثالث تقدم إليه علي رضي الله عنه بالسؤال :

علي ـ ألا تحدثني ما الذي أقدمك ؟

أبو ذر ـ إن أعطيتني عهدا أو ميثاقا لترشدني فعلت .

علي ـ قد عاهدتك على ذلك .

أبو ذر ـ قدمت لأعلم علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء .

علي ـ إنه حق وإنه رسول الله ، فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى أدخل مدخلي .

وفي صبيحة اليوم التالي انطلق علي وخلفه أبو ذر حتى دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم،

فسمع أبو ذر منه ، وأسلم مكانه ، ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم : انطلق إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري . قال أبو ذر : والذي نفسي بيده ، لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

ثم أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله فضربوه حتى أضجعوه ، حتى أتى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فدفعهم عنه وهو يقول : ويحكم ! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأنه طريق تجارتكم إلى الشام ؟ .

وبقي أبو ذر بمكة حتى فاتته الهجرة إلى المدينة لم يهاجر إليها إلا بعد غزوة أحد .

وفي بعض الروايات أنه عاد إلى قومه فبشرهم بالإسلام واتبعه كثير منهم ، ثم هاجر إلى المدينة واستقر بالمسجد مع أهل الصفة بعيدا عن السعي والطلب ، وقد غرس ذلك في نفسه الزهد في الدنيا وتخصص في هاته الناحية ، فكان أشد الصحابة تمسكا بها ، ومما أظهر فضله في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ولاه المدينة مرتين ؟ .

وكانت غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، وكانت أشق الغزوات على المسلمين لبعد الشقة ، ولأنهم كانوا يريدون قوما أولي قوة وبأس وإمكانيات فوق الطاقة ، وكان أبو ذر من الصحابة الذين خرجوا فيها على بعد اثني عشر فرسخا من المدينة ، ثم صار يتخلف كثير من الناس ، وأيضا أبي ذر بعيره عن اللحاق بالجيش ، فأخذ متاعه من فوق البعير وحمله على ظهره وسار ماشيا . ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض منازله فنظر بعض الصحابة سواده من بعيد ، فلفت نظر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : (كن أبا ذر) ، فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله ! هو والله أبو ذر ، فقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله أبا ذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . فلما ورد على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره خبر بعيره فقال صلى الله عليه وسلم : « إن كنت لمن أعز أهلي على تخلفا ، لقد غفر الله لك بكل خطوة ذنبا إلى أن بلغتني » .

ثم لم يعرف لأبي ذر إسهام في فتوح العرب في عهد الشيخين ، ولا ندري لماذا ؟ وكل ماقيل إنه خرج إلى الشام في عهد عمر مترددا بينها وبين المدينة .

فلما كان عهد عثمان رضي الله عنه ثار أبو ذر على تصرفه فيما لايتفق مع اشتراكيته ، وأخذ يجهر برأيه ، وصادف ذلك بوادر الفتنة على عثمان فكان عمله هذا ضغطا على إثارة

في عهد عثمان رضي الله عنه ولكنه خالص النية ، صادق الاتجاه ، لا يريد للناس إلا ما يريد لنفسه من الزهد في الدنيا ، والإعراض عن متعها وطيباتها .

ولما كان هذا مذهبا لا يسع الناس جميعا ، فقد وجد أبو ذر كثيرا من الخصوم الذين يقاومون مذهبه ، ولكنه كان عنيا بكل مايتعلق بالزهد من الكتاب والسنة أو جل ذلك على الأقل ، وكان عنيفا مؤثرا ، خافه معاوية بالشام وكان واليا عليها ورفع أمره إلى الخليفة عثمان فاستدعاه إلى المدينة واختار له أن يعترق الناس إلى مكان هادئ وادع قريب من المدينة اسمه (الربذة) [١] ، وقد مات به وليس معه إلا امرأته وغلامه موضوعين على قارعة الطريق ، حتى أقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق فلم يرعهم إلا الجنازة على قارعة الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه ، فبكى عبد الله وقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك .

رأينا في اشتراكية أبي ذر :

لم يعرف لهذا المذهب ظهور إلا في عهد عثمان رضي الله عنه ، ليقاوم به أبو ذر ما ظهر في عهده من تدفق الثروات على مكة والمدينة ، فقد ظهرت طبقة مترفة من أرباب الثراء تستطيع أن تسميهم رأسماليين ، ونجم بهم طبقة فقيرة معدمة حرمهم أولئك الأغنياء المسيطرون على شئون الحكم والرياسة وقيادة الجند ، فحقد الفقراء على الأغنياء ، وتمنوا الخلاص من سيادتهم ، وأعلنوا أن الفيء والغنائم لهم لا للحكومة ، وأثار ذلك روح المعارضة للحكومة ، والتمرد عليها في المدينة وفي جميع الأمصار الإسلامية ، وكانت هناك ضروب من الكيد تدبر لعثمان .

[١] الحق ـ إن أبا ذر رضي الله عنه هو الذي اختار الإقامة في الربذة ففي كتاب (العبر) للقاضي ولي الدين ابن خلدون (بقية ج ٢ ص ١٣٩) أن أبا ذر استأذن أمير المؤمنين عثمان في الخروج من المدينة وقال له : إن رسول الله أمرني أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا ، فأذن له ، ونزل الربذة ، وبنى بها مسجدا ، وأقطعه عثمان صرمة من الإبل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقا . وكان أبو ذر يتعاهد المدينة ، وبين المدينة والربذة ثلاثة أميال قال ياقوت . وكانت من أحسن منزل في طريق مكة .

وقد كان مما يذكى نيران الثورة كما أشرت إليك من قبل ذلك الصحابي الزاهد الذي كان من أهل الصفة مغرس في نفسه الزهد المؤصل الذي لا يدع مجالا للدنيا بحال .

وسواء أكان مذهب أبي ذر تحريم الادخار مطلقا أو تحريم الادخار لغير ما ينفق في سبيل الله ، فإنه مذهب متشدد لا يعلم من يقول به . نعم إن روح الإسلام تمنع التضخم في الثروات ، وأن تستبد بطائفة من الناس شهوة جمع المال من كافة الوجوه الممكنة ، فلا يبالون باستغلال العمال وانتقاص حقوقهم واتخاذهم جسورا إلى جمعهم الثروات البيض ، وأولئكم الأغنياء المكثرون الذين تنسيهم شهوة المال والحرص عليه حقوق الله والناس في أموالهم ، ويتهربون من أداء الواجبات الدينية والاجتماعية المنوطة بهم .

إن الإسلام يحارب كل هذه المساوئ لأنها وسائل للشر ، ودواع للفساد في الأرض وهو يدعو إلى أن يكون المسلمون كجسم واحد ويد واحدة على من سواهم ، فأما أن يشيع البغي والحسد وتربص الدوائر بسبب هذه المغالاة التي ليس وراءها إلا تقسيم الناس إلى سادة وعبيد ، فليس في الإسلام شيء من ذلك ، وقد بدأت بوادر الشر منذ عهد عثمان الذي فتح فيه هذا الباب بحسن نية . فمن حق الإمام أن ينظم التكافل الاقتصادي بالحكمة في ظل اشتراكية الإسلام ، في دائرة أوسع من دائرة أبي ذر ، ومن أجل ذلك قال عمر ابن الخطاب في يوم من الأيام : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين » . ولو لم يكن ذلك جائزا في الإسلام ما قاله عمر ولا نبه إليه ا ه

محمود الشرقاوي

جبهة علماء الأزهر

أصدرت جبهة علماء الأزهر بيانا حول بعض المسائل المتصلة بتحقيق العدالة وسلامة النفس والجسم وتربية الخلق والذوق وهذا البيان يتناول مسائل توحيد القضاء ، والصور العارية ، وصناعة الخمر وتعاطيها والاتجار فيها ، ومسألة تحديد النسل . وقد توخت في ذلك أن تبين الرأي الذي يتفق مع أصول الإسلام وتعاليمه الرشيدة .

لغويات

ها قد تمت الوحدة بين مصر وسورية

ها نحن نسير في طريق المجد

هذا الأسلوب شائع على ألسنة الناس . و (ها) فيه من أدوات التنبيه للسامع وحثه على الإصغاء، فهي تؤدي ما تؤدي أما وألا الاستفتاحيتان .

وقد أنكر بعض الباحثين موقع (ها) هنا وادعى خطأ ما يحدث في هذه الأساليب . ذلك أن المعروف في (ها) هذه أن تختص باسم الإشارة ، نحو هذا وهؤلاء . وقد يتفق هذا مع تعرف ما ذكره النحاة في هذا الباب .

فترى ابن هشام في المغني يذكر أن هذا الحرف يدخل في (أيها) في قولك : يا أيها الرجل ، وما جرى مجراه ، نحو يا أيتها امرأة ، وهو لازم في هذا القبيل من الكلام . ويدخل في أسلوب القسم بالله سبحانه إذا حذف الجار ، نحو ها الله لأفين بالعهد . وهذان الموضعان لا يعنيان في هذا المقام . ويدخل على اسم الإشارة ، نحو هذا وهذه ، وهذا الموضع لا شبهة فيه ولا غبار عليه . ويدخل على ضمير الرفع المخبر عنه باسم إشارة ، نحو ها أنا ذا أنهض إلى المعالي ، وها أنتم أولاء تجرون وعيكم . وقد لقي هذا الموضع من النحاة بحثاً طويلاً .

فيرى بعضهم أن هذا يرتد إلى ما قبله ، إذ إن حرف التنبيه في الأصل كان داخلاً على اسم الإشارة فقدم على المبتدأ وهو منوي به مكانه الأصلي فإذا قلت : ها أنت ذا تفعل فأصله : أنت هذا تفعل ، فقدمت (ها) كما رأيت . ويرد بعضهم هذا النظر بنحو قوله تعالى في سورة آل عمران : ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، إذ إن اسم الإشارة صحبه حرف التنبيه ، فكان غنيا عن (ها) التي في صدر الجملة فهي ليست داخلة عليه ، فإن الحرف لا يدخل على مثله . ويجيب صاحب الرأي الأول بأن حرف التنبيه أعيد في الآية للتوكيد .

فهذه هي المواطن التي تقع فيها (ها) كما ذكرها صاحب المغني . ولا نرى فيها مكانها في الأسلوب الذي هو موضع بحثنا ، فمن ثمّ كان فرصة للاستنكار والتخطئة .

ولكنا نرى نحويا جليلا سابقا على ابن هشام – وهو الزمخشري – لا يلتزم قصر (ها) على هذه المواطن ، فهو يجعلها كألا وأما ، وتراه يقول في المفصل إذ عدّ حروف التنبيه : « وهي ها وألا وأما . تقول : ها إن زيدا منطلق ، وها أفعل كذا . . . » ونرى أن الأسلوب الذي معنا لا يختلف عما مثل به جار الله . واذكر هنا أن جار الله يقول في موطن من هذا الفصل « وأكثر ما تدخل (ها) على أسماء الإشارة والضمائر ، كقولك : هذا وهذه وها أنا ذا وها هو ذا وها أنت ذا وها هي ذه وما أشبه ذلك » .

فترى أن الأسلوب الذي مثل به أولا – وهو ها إن زيدا منطلق وها أفعل كذا – عنده قليل ، ولكنه مع هذا سائغ صحيح .

ونرى الرضيّ يجري على قصر (ها) على المواطن الأربعة كما فعل ابن هشام ، غير أنه يتوسع في الرابع ، فالشرط عنده أن يوجد في الجملة اسم إشارة ، ويفصل بينه وبين ها بضمير مبتدأ في الأكثر ، وقد يفصل بغير المبتدأ ، وأورد من هذا قول النابغة :

ها إن تا عذرة إلا تكن نفعت ... فإن صاحبها قد تاه في البلد

والرضيّ لا يرتضي رأي الزمخشري وتوسعته في (ها) ، فهو يقول في شرح الكافية ٢ / ٣٨١ « وما حكى الزمخشري من قولهم : ها إن زيدا منطلق وها أفعل كذا مما لم أعثر له على شاهد » .

وقد وقف الدماميني على رأي الزمخشري وتعقب الرضي له ، فكتب في حاشيته على المغني – كما نقل الدسوقي عنه – « قوله : فتدخل على أربعة ، حكى الزمخشريّ في المفصل أنه يقال : ها إن زيدا منطلق وها أفعل كذا ، وهذا ليس شيئا من الأربعة التي ذكرها المصنف . لكن قال الرضيّ : لم أعثر له على شاهد ، وهو عجيب ، فإن الزمخشريّ أنشد في المفصل قول النابغة :

ها إن تا عذرة إن لم تكن نفعت ... فإن صاحبها قد تاه في البلد

وهذا شاهد على دخولها في الجملة الاسمية الخالية من اسم الإشارة » . وقد علمت أن الرضي يجيز الأسلوب إذا كان فيه اسم إشارة وإن لم يكن فيه ضمير ، وإنما ينكر ما خلا من اسم الإشارة كما في مثالي الزمخشريّ ، فليس في صنيع الرضي ما يقتضي العجب ، كما زعم الدماميني .

وقد أردت أن أرجع في هذا إلى كتاب سيبويه وأعرف منه جلية الخبر .

وقد جاءت هذه المسألة في الكتاب ٢ / ٣٧٩ ، فأورد رأي الخليل في (ها أنا ذا أفعل) ، وهو أن حرف التنبيه داخل في التقدير على اسم الإشارة ، وقد سبق هذا الرأي ، ثم عقب عليه بأن هذا الحرف قد يدخل على الجملة ولا يدخل على اسم الإشارة ، وهذا حين يقول : « وقد تكون (ها) في ها أنت ذا غير مقدمة ، ولكنها تكون للتنبيه بمنزلتها في هذا ، يدلك على هذا قوله ها أنتم هؤلاء ، فلو كانت (ها) ههنا هي التي تكون أولا إذا قلت : هؤلاء لم تعد (ها) ههنا بعد أنتم » . وقد سبق أن بعضهم يجعل (ها) قد أعيدت في الآية للتوكيد ، ومن هؤلاء ابن مالك في التسهيل إذ يقول : « وقد يعاد (ها) بعد الفصل توكيدا » وقد نص عليه الدماميني في شرحه فقال « وظاهر هذا مخالف لكلام سيبويه . » ثم ساق كلام سيبويه ، وفهم من هذا أن سيبويه يرى أن (ها) قد تكون للتنبيه على مضمون الجملة ولا تكون قرينة لاسم الإشارة ، وسيبويه يفرض المثال فيه ضمير الرفع مع اسم الإشارة لأن الكلام فيه ، ولو كان الكلام فيه الضمير فقط كما لو قلت : ها أنا أفعل أو لم يكن فيه ضمير البتة كما لو قلت : ها إن الصدق منج لم يكن فيه بأس في القياس على ما قرره سيبويه ، أن (ها) تدخل على الجملة ، ولا تختص باسم الإشارة .

وكأن الزمخشري استمد رأيه السابق من نص سيبويه هذا ، فأجاز : ها إن زيدا منطلق ، وها أفعل كذا ؛ وقد علمت أن الرضي ينقد كلام الزمخشري في جواز هذين المثالين بأنه لم يعثر له على شاهد ، وقد يكون من الشواهد ما أورده من قول النابغة : ها إن تا عذرة .. . ولا يمنع الرضي أن يزعم أن (ها) داخلة على اسم الإشارة فصل بينهما بالناسخ ، فقد علم أن (إن) الناسخة لها الصدر في جملتها فلا يتصل ما قبلها بما بعدها ، فينبغي أن تعد (ها) داخلة على الجملة لا على اسم الإشارة .

ومن الشواهد الصريحة قول عوف بن محلم الخزاعي [١] :

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر وغصنك مياد ففيم تنوح
أفق لا تنح من غير شيء فإنني بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب فها أنا أبكي والفؤاد جريح

فتراه أورد (ها) على الجملة التي فيها ضمير وليس فيها اسم إشارة ، وهذا يقضي أن حرف التنبيه يدخل على الجملة لا على الإشارة ، وهو يسوغ ما هو موضوع البحث .

---

[١] الأمالي ١ - ١٣٣

وأذكر هنا أن ابن هشام جاء في خطبة كتابه المغني : « وها أنا ذا بائح بما أسررته ، مفيد لما قررته وحررته » فكتب الدسوقي « أدخل ها التنبيه على الضمير المنفصل وخبره ليس اسم إشارة مع أنه يمنع ذلك كما يأتي بيانه في حرف الهاء . وقد وقع له ذلك في ثلاثة مواضع ، إلا أن يجاب بأنه مشى فيها على ما جوزه بعضهم » .

ويخرج القارئ من هذا البحث بجواز ما جرى عليه كلام الناس في دخول (ها) على الجملة التي ليس فيها اسم إشارة .

محمد في الزيتون الثانوية

يتردد هذا الأسلوب كثيرا يراد : محمد في مدرسة الزيتون الثانوية ، فحذف المضاف وبقي الوصف « الثانوية » كما لو لم يحذف ، وهذا استعمال صحيح في نظر النحاة ، فهم يقررون أن المضاف إذا حذف قام المضاف إليه مقامه في الإعراب وفي التذكير والتأنيث ، وفي الأشموني في باب الإضافة : « كما قام المضاف إليه مقام المضاف في الإعراب يقوم مقامه في التذكير » ، كقوله :

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

بردى مؤنث فكان حقه أن يقول : تصفق بالتاء ، لكنه أراد : ماء بردى ، وفي التأنيث ، كقوله :

مرت بنا في نسوة خولة ... والمسك من أردانها نافحة

أي رائحة المسك وفي مثالنا (الزيتون) اكتسب التأنيث من المضاف المحذوف وهو مدرسة فأنث الوصف له ، وهو الثانوية . ومن هذا ما جاء في المعرب في الكلام على السيرة إذ يقول : « وأصلها حالة السير ، إلا أنها غلبت في لسان الشرع على أمور المغازي وما يتعلق بها ، كالمناسك على أمور الحج . وقالوا : السير الكبير فوصفها بصفة المذكر الذي هو كتاب ، كقولهم : صلى الظهر . وسير الكبير خطأ ، كجامع الصغير وجامع الكبير » يريد أنهم يقولون . من مؤلفات محمد بن الحسن السير الكبير فجاء الوصف مذكرا مع تأنيث السير إذ هي جمع نظرا لاكتساب السير التذكير من المضاف المحذوف وهو كتاب ، وهذا عكس المثال الذي معنا إذ اكتسب فيه المذكر التأنيث من المضاف المحذوف .

محمد علي النجار



إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام

للأستاذ محمد خليل الخطيب — ٣٦٧ ص — مطبعة الشعراوي بطنطا

فضيلة الأستاذ مؤلف هذا الكتاب من علماء معهد طنطا ، وقد توخى جمع الخطب النبوية في هذا الكتاب متحريا مستقصيا ، ورتبها على معاني الهداية والإرشاد ، وإذا لم يجد في معنى من تلك المعاني خطبة ذكر فيه حديثا شريفا أو وصية نبوية توفية للمقام ، وأدخل فيه مواعظ بعض أصحابه الكرام التي رأى أنها في حكم المرفوع ، وعقب على كل خطبة أو حديث بتعيين مراجعه أو بعضها ليرجع إليها الراجعون ، قال : وخرجتها وذكرت درجتها ليطمئن المحدثون ، وقد شرح غريب ما فيها وأبان بعض معانيها ، وبدأها بخطبة جهاده صلوات الله وسلامه عليه ، وختمها بخطبته في مرضه الذي انتقل بعده إلى الرفيق الأعلى .

وهو مجهود كريم يشكر عليه فضيلة المؤلف تولى الله مكافأته .

رجال من التاريخ

للأستاذ علي الطنطاوي — ٢٧٦ ص — مؤسسة دار السلام للطباعة والنشر بدمشق

هو مجموعة أحاديث ، حدث المؤلف ببعضها من إذاعة الحجاز ، وبأكثرها من إذاعة الشام ، ولأنه كان يتحدث بها إلى الجماهير تخير لها شروط الفصاحة وهي خلو الكلمة من الغرابة والتنافر ، وشرط البلاغة وهو مطابقة الكلام لما تقتضيه الحال . إلا أنه كان مضطرا إلى الاختصار والإيجاز ، كما هو الشأن في أحاديث الإذاعة ، فهي لا تعم أطراف الموضوع ، وليس فيها استقصاء ولا تعمق ، وإن كان في اختصارها بلاغ .

افتتحها بفصل ضخم طبع عنوانه « محمد صلى الله عليه وسلم في يوم الهجرة » وختمها بفصل عن حياة أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي شارح القاموس والإحياء . وقد جاء في هذه الترجمة أن شارح القاموس ولد في زبيد ، وأذكر أنني قرأت مثل ذلك في مقال لأحد أفاضل المصريين عن شارح القاموس . ومما لا شك فيه أنه ولد في بلكرام من بلاد الهند ، وهو من أسرة السيد غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي مؤلف كتاب (سبحة المرجان في آثار هندستان) ، وأصلهم من سلالة السيد عيسى مؤتم الأشبال ابن الإمام زيد بن الحسين ، انتقلوا إلى الهند من واسط العراق . وبسبب غموض أخبار شارح القاموس قبل انتقاله من بلكرام إلى زبيد في اليمن جبل إلى – تأثير ما كتبه محمد عبد الجليل السامرودي في ترجمة طاهر بن علي الفتني بآخر تذكرة الموضوعات – أن شارح القاموس وصاحب سبحة المرجان شخص واحد ، ثم تبين لي من تحقيق السيد مناظر أحسن كيلاني في مجلة (معارف) الأوردية (١٩ : ٩٩) أن مؤلف سبحة المرجان في سنة ١١٧٧ غير ابن عمه شارح القاموس الذي دخل مصر سنة ١١٦٧ مع أنهما من بلد واحد وأسرة واحدة ، لكن مؤلف سبحة المرجان أكبر من شارح القاموس بنحو ثلاثين سنة . وفي مقالة مجلة معارف سلسلة نسب هذه الأسرة وكلام جيد عن شارح القاموس .

وفي كتاب (رجال من التاريخ) بين فصل الهجرة وترجمة شارح القاموس فصول نفيسة عن عظماء الإسلام في مختلف عصوره ، وكل فصل منها يساوي كتابا كما يعهد القراء فيما يكتبه الأستاذ الطنطاوي شفاه الله وقواه .

الداء والدواء

للإمام ابن القيم — ٣٥٩ ص — مطبعة المدني بالقاهرة

هذا الكتاب هو الذي اشتهر باسم (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) وقد سبق طبعه مرتين ، غير أنه قد امتاز الآن في طبعته هذه الثالثة بصورة مخطوطة نشر في أوله راموز الصفحة الأولى منها وراموز آخر الكتاب وخاتمته . وقد قام بتحقيقه والتقديم له فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

والكتاب مبني على سؤال موجه إلى الإمام مؤلفه في رجل ابتلي ببلية ، وعلم أنها إن استمرت به أفسدت عليه دنياه وآخرته ، وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق

فما يزداد إلا توقداً وشدة ، فما الحيلة فى دفعها ؟ » . فأجاب ابن القيم رحمه الله عن هذا السؤال بهذا الكتاب مرشداً السائل إلى سنن الإسلام فى طب القلوب وصرفها عن طريق الشيطان إلى التعلق بطاعة الرحمن ، وهو بحث طويل فى طب النفس الإسلامى يدل على سعة علم المؤلف كما يدل على عظيم حكمة الإسلام فى معالجة أمراض القلوب وأدواء النفوس . وقد ختم ابن القيم هذا الجواب بفصل يشمل بعشق الصور ومفاسده العاجلة والآجلة .

المغنى فى تصريف الأفعال

للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة — ٢٠٨ ص — مطبعة العهد الجديد

أفضل ما يقوم به علماؤنا فى هذا الجيل الرجوع بالعلوم الإسلامية والعربية إلى ينابيعها الأولى وتراثها الأقدم ، يستمدوا منها أسسا للبناء والتجديد . وفضيلة الأستاذ الجليل مؤلف هذا الكتاب من أفاضل مدرسى كلية اللغة العربية ، وقد عرف عنه منذ عهد طويل إلى الدراسة العربية وعلومها فى كتبها الأولى ، من كتاب سيبويه إلى مصنفات العلماء الذين جاءوا بعده ، فكان من حسن حظ تلاميذه فى كلية اللغة العربية أن يقصدوا معه منبع هذا العلم الصافى ويأنسوا به . وقد قال فى مقدمة كتابه (المغنى فى تصريف الأفعال) . إنه حرص فيه على أن يذكر مراجع كل مسألة ليكشف عن منابعها ويشير إلى مصادرها ، ونهج نهجا جديدا هو الإكثار من الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته المختلفة ، والاستشهاد بقراءات القرآن فيه عضد وتأييد لقواعد النحو ودعم لشواهدها . وفيه رد على الشبهات المنكرة التى تنبعث بين الحين والحين من أفواه أشباه العامة تنادى بالإعراض عن دراسة النحو والصرف زاعمة أن لغة العرب فى غنى عما شرع النحويون من قوانين ووضعوا من قواعد واصطنعوا من شواهد .

وحقنا أن يكون لهذا الكتاب ، ولمنهج الأستاذ المؤلف فيه ، أثر طيب فى نفوس طلاب العربية ، فيقبلوا على دراستها على أنها متعة تخرج بهم عن تكاليف المنهج الدراسى وحدوده إلى الرغبة النفسية فى الوقوف على أسرار العربية حتى يكون ذلك سليقة فيهم كما كان أعلام علمائنا الأولون .

أنس الجليس

للأستاذ الشيخ على رودعى – ١٩٢ ص – دار الزينى للطباعة والنشر

سبق لنا التعريف ببعض مؤلفات فضيلة الأستاذ المؤلف ، وكلها تدور حول مهمته الجيدة فى الحياة وهى الوعظ والخطابة ودلالة الناس على طريق السعادة .

وكتابه هذا قد وجه فيه الخطاب إلى أحد أبنائه ، فهو موعظة من قلب لمن يحب . وقد توخى فيه أن يكون متعة للروح وبهجة للنفس وسرورا للفؤاد ، فهو ينتقل من العلم إلى الأدب والقصص والعظة والعبر والفكاهة والحكمة .

فعسى أن ينتفع به قراؤه كما انتفعوا بكتبه الأخرى من قبل .

طراز البردة

للأستاذ محمد كامل عبد العظيم – الجزء الأول ١٥٩ ص – مطبعة مصر

لقد بذل المؤلف الفاضل فى كتابه هذا أقصى ما بلغته العناية لتجويده وتجميله ، فافتتحه بمقدمة مستفيضة للأستاذ العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمى ، ثم بكلمة أخرى للأستاذ محمود بيرم التونسى ، تتلوهما مقدمة المؤلف وغرضه من هذا الكتاب وطريقته فيه ، والسبب الذى حمله عليه . ثم أجرى لترجمة شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى الصنهاجى ناظم البردة ، فذكر نشأته ، وحالة عصره ، وأفاض فى وصف شعره ولا سيما البردة ونسخها المخطوطة والمطبوعة ، والذين شطروها وخمسوها وشرحوها وعارضوها ، وتكلم على بحرها وعروضها وقافيتها ، وقد بلغ ذلك كله فى ٦٨ صفحة ، ثم بدأ المؤلف فى شرح القصيدة من صفحة ٦٩ فشرح أربعة أبيات منها فيما بقى من صفحات الجزء الأول ، وسيوالى نشر شرح سائر القصيدة فى أجزاء أخرى ، وكلما ورد ذكر علم من الأعلام فى المقدمة والترجمة والشرح استطرد لترجمته . فجاء الكتاب حافلا بالفوائد الغزيرة والبحوث الأدبية التى قد لا يجدها القارئ مجتمعة فى كتاب غيره .

الأدب والعلوم

العرب يدرسون الذرة

يخصص الآن في الاتحاد السوفيتي خمسة عشر طالبا من الجمهورية العربية المتحدة في دراسة الطبيعة النووية . وقد أعدت لهم زيارات خاصة لمعامل الأبحاث والمراكز الفنية في هذا النوع من الدراسة .

محرك كهربائي مصري

ابتكر الدكتور جلال المغربي في كلية الهندسة بجامعة القاهرة محركا كهربائيا (موتور) يوفر نصف نفقات أي محرك آخر من قوته ، ويمكن استخدامه لتوليد الكهربائية ذات القوة العالية ، ومن مميزاته أن سرعته تبلغ ضعف سرعة المحركات العادية ، مما يضفي عليه أهمية خاصة في بعض البحوث العلمية التي تحتاج إلى سرعة كبيرة لا تتوفر في المحركات المتداولة الآن .

٤٠٠٠٠٠ تلميذ ابتدائي

أوشكت السنة الدراسية على الانتهاء ، وستعد وزارة التربية والتعليم للسنة الدراسية القادمة ، وقد اتفق مؤتمر المديرين المساعدين للتعليم الابتدائي على قبول أربعمائة ألف طفل بالسنة الأولى الابتدائية ، أي زيادة قدرها خمسة عشر ألف طفل على الذين قبلوا في السنة الماضية .

إصلاح إدارة التربية والتعليم

اتفق مؤتمر المديرين المساعدين للتعليم الابتدائي على نقل النظار والمدرسين غير الصالحين إلى الأعمال الكتابية والأعمال الإدارية الأخرى ، وسيكون نقلهم على مراحل ، وسيتشكل الجهاز الإداري للمناطق من بين هؤلاء . وسيكون اختيار نظار المدارس من بين الصالحين ، وفي حالة عدم توفر الشروط يمكن اختيار النظار عن طريق الندب ممن تتوفر فيهم الصلاحية والكفاءة ، وستعمل جوائز تشجيعية للمدرسين والنظار الذين يؤدون عملهم على الوجه الأكمل .

المدارس الأجنبية في سوريا

انعقد في دمشق مؤتمر مديري التربية والتعليم في الإقليم السوري ، وكان برئاسة السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم ، ومما قرره هذا المؤتمر وجوب خضوع مدارس التعليم الخاص — الأهلية والأجنبية — لإشراف الدولة ممثلة في وزارة التربية والتعليم ، وذلك في شتى النواحي التعليمية والخلقية والمالية والصحية وغيرها .

مكتبة القوتلي
في الجامعة السورية

كانت اللجنة التي تألفت لتكريم السيد شكري القوتلي اعترافا بفضله في قيام الاتحاد بين شطري الجمهورية العربية المتحدة قد اقترحت إقامة تمثال له . ولكن السيد شكري القوتلي لم يحبذ هذا التعبير الأجنبي عن محبة شعبه له ، وطلب أن تنشأ باسمه مكتبة علمية في جامعة دمشق يكون نفعها عاما خالدا ما دامت العروبة في ظل اتحادها .

وسيحتفل في يوم الخميس ١٠ ذي القعدة (٢٩ مايو) بوضع الحجر الأساسي هذه المكتبة في جامعة دمشق ويرأس الاحتفال السيد صبري العسلي نائب رئيس الجمهورية .

١٠٥ مكتبة نموذجية
بالثانوي ، ومعاهد المعلمين

بلغ عدد المكتبات التي أحدثتها وزارة التربية والتعليم ١٠٥ مكتبة بمدارس الثانوية ومعاهد المعلمين والمعلمات .

ويفتتح السيد وكيل وزارة التربية والتعليم المكتبة النموذجية لمعهد المعلمات الخاص بالمبتديان .

معرض روسي
لتمثيل الحياة في الجمهورية العربية

احتفل في موسكو بافتتاح معرض فني للوحات الفنانين الروس التي تمثل الحياة في شطري الجمهورية العربية المتحدة (مصر والشام) ، وذلك في قاعة بوشكين للفنون التطبيقية في موسكو . وقد قامت وزارة الثقافة السوفيتية بتنظيم هذا المعرض بالتعاون مع اتحاد الفنانين والرسامين السوفيت وكان من أبرز ما لفت الأنظار في هذا المعرض لوحات تمثل كفاح شعب بورسعيد الباسل ضد العدوان الثلاثي الأخير .

الوسائل التعليمية

تسلمت إدارة الوسائل التعليمية بوزارة التربية والتعليم ١٠٢٥ آلة جراموفون ، وثلاثين ألف أسطوانة خام ، و٣٠٠ آلة عرض سينمائي ، و٦٠٠ جهاز لعرض الصور الثابتة ، و١٠٠٠ جهاز راديو ، و٥٠ وحدة إذاعة ، و٥٠ جهاز تسجيل ، وقد تم توزيع معظم هذه الأجهزة على المدارس بالمراحل المختلفة .

تدريب طلاب الثانوي
على الآلة الكاتبة

أعدت إدارة التعليم الثانوي بوزارة التربية والتعليم مشروعا لتشجيع طلاب المدارس الثانوية على الآلة الكاتبة ، وحث الطلاب على الإقبال عليها ، وستخصص المدارس جوائز تشجيعية للمتفوقين فيها .

أنباء العالم الإسلامي

زيارة الرئيس لروسيا

في الساعة ٣ و ٢٥ دقيقة من صباح الثلاثاء ١٠ شوال (٢٩ إبريل) سافر الرئيس جمال عبد الناصر من مطار أبو صوير على طائرة روسية نفاثة قدمتها روسيا خصيصا لهذه الرحلة ، سرعتها ٩٠٠ كيلو مترا في الساعة ، وتتسع لـ ٧٥ راكبا ، وقد صحب الرئيس السادة عبد اللطيف البغدادي وأكرم الحوراني وكمال الدين حسين والدكتور محمود فوزي وعلي صبري وأحمد عبد الكريم وصلاح الدين نصر ومحمد عوض القوني . وصلت الطائرة مدينة بودابست عاصمة المجر ، وتناول الرئيس إفطاره في قاعة المطار مع رئيس الجمهورية المجرية ورئيس وزرائها ورجال حكومتها وهم في استقباله ، ثم واصل الرئيس رحلته إلى موسكو فاستقبل فيها استقبالا لم يلقه رئيس دولة أخرى زار موسكو حتى الآن . واشترك الشعب الروسي في استقباله بحماسة أذهلت جميع مراسلي الصحف الدولية ووكالات الأنباء ، وفي الليلة التي أعقبت نهار وصول الرئيس إلى موسكو لم تنم العاصمة الروسية ، وكانت تعيش كأنها في عيد . وكلما ظهرت الجموع الروسية في الميادين بشاب عربي كانت تلتف حوله ، وتهتف معه ألفاظا باللغة العربية يحاولون أن تنطق بها ألسنتهم . ومكبرات الصوت في الشوارع تذيع كل شيء عن جمال عبد الناصر ، عن قصة حياته ، عن تاريخ كفاحه . وظلت التلفزيون تتابع تحركات الرئيس وتنقل صوره إلى الناس بعد لحظات من تصويرها وهكذا كانت رحلة الرئيس إلى روسيا شغلها الشاغل من بدايتها إلى نهايتها .

الاجتماع الرسمي
بين روسيا والجمهورية العربية المتحدة

تم هذا الاجتماع في قاعة الاجتماع الصغيرة بالكرملين منذ الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لوصول الرئيس وصحبه إلى موسكو . تكلم جمال عبد الناصر في هذا الاجتماع عن مشاكل الشرق الأوسط ، وعن سياسة الجمهورية العربية المتحدة نحو كل هذه المشاكل وكان يشرحها شرحا كاملا مستفيضا وأعلن الجانب السوفيتي نيكيتا خروشتشيف تأييده للسياسة العربية الحكيمة ، وأن السياسة السوفيتية إزاء الشرق الأوسط لم يطرأ عليها تغيير ، وأنها قائمة على أساس بذل المساعدات غير المقترنة بقيود ، والمنزهة عن الغرض . وفي مأدبة الغداء قال جمال عبد الناصر : لأول مرة نتقابل مع قادة الاتحاد السوفيتي ونتكلم في جميع الأمور بصراحة ووضوح .

لقد أثبت التعاون الذي تم بيننا في السنوات القليلة الماضية أنه يمكن التعاون بسياسة مبنية على التعاون والصداقة . ولم تكن مساعدتكم لنا متوقفة على شرط أو على التزام ، فقد ظللتم تحترمون سياستنا المستقلة ، ولم يحدث أي تدخل بأي حال من الأحوال وقد كنتم تحترمون سياسة الحياد الإيجابي التي أعلناها . وقد أثبتت الحوادث التي تمت بيننا أن التعاون بين البلدين مبني على الصداقة والإخلاص . وأن من يريد أن يصنع بلدا لا يمكن أن يعاونه في أن يصل إلى مراكز القوى سواء من الناحية العسكرية أو من ناحية البناء الصناعي . ولقد حاربنا لكيلا نكون ضمن منطقة نفوذ الدول الاستعمارية . وقررنا أن تكون سياستنا مستقلة تنبع من ضميرنا ، ولم تكن أبدا الأحداث في ماضينا في السنوات الأربع الماضية إلا متمشية مع سياسة التحرير التي رسمناها ورست هذه السنين بناءها على أساسها . ويسرني يا سيادة الرئيس شكركم على تفهمكم لكفاح الدول العربية من أجل الحرية والاستقلال وتفهمكم لخطر إسرائيل الذي يهدد الدول العربية باعتبار إسرائيل رأس جسر للاستعمار . وإن شعب الجمهورية العربية المتحدة وسائر الشعوب العربية تنظر إليكم نظرتها للصديق الذي يعاونها لا لسبب أو مصلحة ، ولكن من أجل تثبيت حريتها واستقلالها . عبرتم عن ذلك في حديثكم الآن .

إننا نقدر هذه الصداقة ونعمل على تثبيتها وتدعيمها ودوامها .

الاتفاق على أسهم القناة

كانت الشركة السابقة لقناة السويس تطلب من مصر تعويضا لحملة الأسهم عن المدة الباقية من الامتياز وهي ١٢ عاما ، وتطلب قيمة معاشات الموظفين السابقين في الخارج وكذلك السندات المستحقة على الشركة في الخارج ، وجملة ما يطالبون به مصر ٢٠٠ مليون جنيه .

ولقد توصلت الجمهورية العربية المتحدة إلى تنازل حملة الأسهم عن طلبات التعويض للمدة الباقية في الامتياز ، وأن تتحمل الشركة السابقة دفع معاشات الموظفين السابقين في الخارج وقدرها ١٣ مليونا و ٨٠٠ ألف جنيه . وأن تتحمل الشركة السابقة قيمة السندات المستحقة في الخارج وقدرها مليونان و ٧٠٠ ألف جنيه . وستدفع الجمهورية العربية المتحدة تعويضا قدره ٢٨ مليونا و ٣٠٠ ألف جنيه ، فإذا خصم منه قيمة المعاشات وهي ١٣,٨٠٠,٠٠٠ جنيه ، وقيمة السندات المستحقة في الخارج وهي ٢,٧٠٠,٠٠٠ جنيه يكون صافي التعويض ١١ مليونا و ٨٠٠ ألف جنيه .

ومن المعلوم أن الجمهورية العربية المتحدة حصلت على ممتلكات وأموال الشركة في

الإقليم المصرى وقيمتها ٣١ مليونا و٥٠٠ ألف جنيه، منها ٢١ مليونا قيمة المبانى والورش، و١٠ ملايين ونصف مبالغ نقدية وسندات كانت تملكها الشركة السابقة فى الإقليم المصرى عند التأميم.

ويقدر الدخل السنوى للقناة بأربعين مليون جنيه من النقد الحر، ولو استمرت الشركة السابقة على مباشرة تحصيله فى الاثنتى عشرة سنة الباقية من الامتياز أى لو لم يتحقق التأميم لكان مجموع ذلك أربعمائة مليون جنيه وثمانية وأربعين مليونا.

إفراج أمريكا عن أرصدتنا

أعلنت وزارة الخزانة الأمريكية أنها أفرجت عن حوالى ثلاثين مليون دولار من مقدار الأموال المصرية التى كانت أمريكا قد جمدتها عقب إعلاننا تأميم قناة السويس.

البرنامج الثامن لتحسين قناة السويس

كان عمق قناة السويس عند إنشائها عام ١٨٦٩ ثمانية أمتار وعرضها عند القاع ٢٢ مترا بقطاع مائى قدره ٣١٠ أمتار مربعة.

ويبلغ الآن عمق القناة نحو ١٤ مترا وعرضها عند القاع ٣٦ مترا بقطاع مائى قدره حوالى ١٢٥٠ مترا مربعا.

وقد تم هذا التعديل فى صورة برامج تم سبعة منها فى الفترة من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٩٥٤، وبدئ فى سنة ١٩٥٥ بتنفيذ البرنامج الثامن للتحسين وقد قسم إلى سبعة أجزاء تم تنفيذ جزءين منه من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٧ وهما تفريعة بورسعيد وتفريعة كبريت ويجرى الآن تنفيذ الجزء الثالث من البرنامج الثامن وهو خاص بتوسيع المنطقة الواقعة شمال السويس بامتداد ٢٣ كيلو مترا على أن يتم التوسيع من الجانب الشرقى للقناة.

وتقوم هيئة قناة السويس الآن بدراسات مستفيضة لتقرير الخطوط الرئيسية لمشروع ضخم يهدف إلى تحسين القناة بحيث تتمشى فى عمقها وعرضها وكفاءتها مع التطور المنتظر فى أحجام وعدد السفن والناقلات التى ينتظر عبورها للقناة فى المستقبل. وقد أطلق على هذا المشروع اسم (مشروع ناصر).

قرض ألمانى
يغطى تكاليف مشروع السنوات الخمس

نجحت مفاوضات الدكتور عبد المنعم القيسونى فى ألمانيا الغربية، فوافقت ألمانيا على منح الجمهورية العربية المتحدة قرضا يبلغ ٥٠٠ مليون مارك ألمانى (حوالى ٤٧ مليون جنيه) وصدر بلاغ مشترك يقول: إن الاتفاق تجرد من كل غرض سياسى، ومما تم الاتفاق عليه إيفاد ألمانيا خبراء فنيين لاستغلال الموارد المعدنية ووضع

تخصيصات السواقى والمطارات . وقال البروفسور إرهارد وزير الاقتصاد الألمانى : إن المصريين أثبتوا أنهم أهل للائتمان .

وقد أصبح لدى مصر – من القرضين الروسى والألمانى – ما يمكنها من تنفيذ مشروع السنوات الخمس .

مؤتمر وحدة شمال إفريقية

عقد فى طنجة مؤتمر سياسى اشتركت فيه لأول مرة الأحزاب السياسية فى شمال إفريقية وهى حزب الاستقلال المغربى ، والحزب الدستورى الجديد التونسى ، وجبهة تحرير الجزائر .

وتقول جريدة (صنداى تيمس) الإنجليزية : إن هذا المؤتمر يعد نقطة تحول مهمة فى تاريخ شمال إفريقية لأن الغرض منه هو رسم خطة مفصلة لإنشاء اتحاد فيدرالى من هذه الأوطان الثلاثة .

وقد بحث أعضاء المؤتمر مشروعا عمليا مهما لتعزيز الجهاد فى سبيل استقلال الجزائر وهو يقضى بتلقى المجاهدين الجزائريين مزيدا من العون العسكرى والمالى من المغرب وتونس لمواصلة الحرب ضد فرنسا إلى أن تظفر الجزائر باستقلالها التام .

واختتم المؤتمر أعماله بالموافقة على التوصية بإنشاء (حكومة وطنية) للجزائر ، ومجلس استشارى للمغرب وتونس والجزائر ، وتحذير الغرب من مساعدة فرنسا فى حربها الاستعمارية ضد الوطنيين الجزائريين ، واعتبار (جبهة التحرير الوطنية الجزائرية) الهيئة الوحيدة التى تتزعم وتقود الشعب الجزائرى فى نضاله من أجل تحرير الجزائر من الحكم الفرنسى .

وأصدر المؤتمر – عقب اختتامه – بلاغا رسميا بهذا المعنى ، وقام السيد علال الفاسى زعيم حزب الاستقلال المغربى بتلاوة هذا البلاغ فى مؤتمر صحفى حضره نحو مائتين من الصحفيين والمصورين من جميع البلاد .

وإن هذا المؤتمر الشعبى سيعرض قراراته على الحكومتين المغربية والتونسية لإقرارها ومن المؤكد أن الحكومتين ستوافقان على قرارات المؤتمر ، لأن كلا من الحزبين هو الذى يتولى الحكم فى بلاده .

مؤتمر أكرا
وتضامن الشعوب الإفريقية

يقول توماس هودجكين فى صحيفة (نيوستيتسمان) الإنجليزية :

إن فكرة تضامن الشعوب الإفريقية ظهرت لأول مرة فى المؤتمر الذى عقد فى باريس عام ١٩١٩ ، ولكن التمهيد العملى هذه الفكرة يرجع إلى جهود الدكتور نكروما

والسيد الحبيب بورقيبة عندما التقى فى مارس من العام الماضى فى مدينة أكرا لمناسبة استقلال غانا .

ولقد ساعد مؤتمر باندونج على تحقيق مؤتمر أكرا ، ولا يمكن اعتبار الأخير مؤتمرا موحيا للمؤتمر الأول لأن مؤتمر أكرا اتسم بطابع إفريقى بحت ، ومن شأن هذا الطابع أن ينزعج له الغربيون الذين اعتادوا أن ينظروا إلى إفريقية على أنها شطران : الساحل المتاخم للبحر الأبيض ، وإفريقية الاستوائية ، أو إفريقية العربية ، وإفريقية الزنجية ، أو إفريقية المسلمة ، وإفريقية المتأثرة بنشاط المبشرين . فجاء مؤتمر أكرا قاضيا على هذه الآراء ، ومزيلا لهذه التقسيمات ، ومعلنا أن الصحراء الكبرى ليست حدا فاصلا بين الشعوب الإفريقية . ولقد سئل أحد ساسة غانا : هل تعد الشعوب التونسية والليبية والمصرية شعوبا إفريقية ؟ فأجاب : نعم . والسائد الآن أنه ليس ثمة ميل لتقسيم إفريقية إلى قسمين : أحدهما عربى مسلم ، يقابله قسم زنجى مسيحى ، بل الميل كل الميل ، إلى تضامن الجميع فى مكافحة الاستعمار .

وأيد مؤتمر أكرا قضية الجزائر ، وكان هذا طبيعيا ، لأن المسألة لم تكن فى الواقع مناورة من الدول العربية لحمل الدول غير العربية تهتم بالجزائر وتؤيد قضيتها ، بل كانت مسألة : التضامن الإفريقى لمحاربة الاستعمار .

حكومة المغرب الجديدة

وقع اختيار الملك محمد الخامس على السيد عبد السلام بلفريج لتولى رئاسة الحكومة المغربية الجديدة ، بعد أن ظل المغرب ثلاثة أسابيع بلا حكومة منذ حل الملك مجلس الوزراء الذى كان يرأسه السيد بكاى .

والسيد أحمد بلفريج كان وزير الخارجية فى الوزارة السابقة ، وهو من أقدم المجاهدين المغاربة فى سبيل تحرير المغرب والنهوض به ، وله فى ذلك جهاد طويل معروف عند المراقبين لأحوال المغرب .

الجزائر فى طريق الاستقلال

حذر رئيس الجمهورية التونسية حكومة فرنسا وحلفاءها الغربية من نشوب حرب عامة فى شمال إفريقية ما لم تحصل الجزائر على استقلالها . وقال : إننا قد نضطر إلى استئناف النضال لتحرير الجزائر ، ونحن على يقين من النجاح إذا فعلنا ويجب على الحكومة الفرنسية وحكومات حلف الأطلنطى أن تنظر بعين الاعتبار إلى قرارات مؤتمر طنجة بشأن وحدة شمال إفريقية .

شط العرب

بين حليفتين فى حلف بغداد

إيران والعراق جارتان ، يجمعهما حلف

بغداد ، وتجمعهما جامعة أقدم من جامعة حلف بغداد ، ولكن جرفت بينهما المطامع والعصبية والأنانية . ولأول مرة في تاريخ إيران والعراق نسمع من إيران أن لها حق الإتاوة على مرور السفن في شط العرب الذي يتألف من اجتماع الرافدين دجلة والفرات ، وأنها إذا لم تحصل على هذه الإتاوة فستأمر أساطيلها بمنع السفن العربية من المرور في هذا النهر ! وهذه الدعوى لم يسمعها أحد من إيران طول مدة إدارة الانتداب البريطاني على العراق ، وطول مدة الحكم العثماني في العراق ، ولا في زمن الدولة العباسية أو صدر الإسلام . فالرافدان — دجلة والفرات — يخترقان أرضا عربية خاصة بالعراق ، وشط العرب يسير في أرض العرب العراقية ، فهل الإتاوة التي تطلبها إيران من العراق عن سير البواخر في شط العرب هي ثمن لوجودها في حلف بغداد ، وهل تهديد سفن شط العرب بسلاح الأسطول الإيراني يتفق مع روابط حلف بغداد وغيرها من الروابط ؟

ما أشبه هذه الدعوى بدعوى إيرانية جزر البحرين العريقة في عروبتها من قبل أن تدخل قبائل تغلب في دين النصرانية ، وأيام كانت تعبد في هذه الجزيرة الصنم (أوال) ، وكانت تسمى جزيرة البحرين باسم جزيرة (أوال) .

الاستعمار البريطاني في اليمن

حتى جنون الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن لما يتسرب من أنباء الحيوية العربية في تلك الربوع ، وقد دأب في مقاطعة لحج ، ثم صب نيران همجيته بصواريخ الطائرات الحديثة على مقاطعة قطيبة الواقعة على الحدود بين إمامة اليمن ومستعمرة الاستعمار . وكان ذلك كله بغيا من دولة جائرة لم تستفد من دروس التجارب والعبر ، وعليها تدور الدوائر .

ثورة سومطرا

أذيع رسميا في أندونيسيا أن قوات الجمهورية الأندونيسية استولت على مدينة بوكتنجي عاصمة الثوار في غرب سومطرا ، وأن ظهر الدين رئيس حكومتهم فر مع أعضاء حكومته إلى مدينة باوسكو في الجنوب .

الشعب يهنئ الجيش في لبنان

استقبل الشعب اللبناني — في ثورته العادلة ضد حكومة كميل شمعون الخائنة — الجيش بالهتاف وكان الجيش يبدي شعورا طيبا نحو الشعب ، ويفرق بينه وبين قوات الدرك عند اشتباكهم ، كما قبض الشعب على السفاحين الخونة ، من أفراد جماعة القوميين السوريين ، وصادر أسلحتهم .

فهرس

المجلد التاسع والعشرين

(لسنة ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م)

(أ)

(ش)

(ص — ط)

(ع - غ)

(ك - ل)

(م)

(ن — هـ)

(و — ى)

الفهرس

